إحياء علوم الصوفية

تأليف

محيي الدين الطُعمي

المجلد الأول

المكتبة الثقافية

بيروت

إحياء علوم الصوفية

تأليف

محيي الدين الطعمي

محمد يوسف جلال الدين
نقشبندي مجددي

المجلد الأول

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

المتجلي بعروش النور في شتى البقاع، والمتنازل عن أحكام الأحدية كي تبرز من عين القدرة فنون الاختراع، ملك بديع، ورب شفيع، تحلى بما لا يدرك، وتنزه عن كل شيء يدرك، فهو لا يدرك بما يدرك، ويدرك بما لا يدرك، من هو سل ليلى، وإن شئت فقل سلمى، أو ربما لبنى، قف يا فتى، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، دعنا من عبارات التصريح، وابرز لي بكنايات التلميح، فهو عندي غاية المجد المريح، هلك أصنام الجمود، وفقهاء الجحود، الذين قتلتهم نصوص الشريعة، ولم يفهموا أن الشريعة حقيقتها كنوز جواهر بديعة، لم تكشف لهم، ولم ترصد لأجلهم، لأنهم عمي، وآلة بُكْم، مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وهم قائمون في هذا المقام غصبًا وإرغامًا.

وأصلي

وأسلم على صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، هيكل العوالم، وناموس المعالم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فاعلم يا فقيه الأولياء، وسلطان الأصفياء، أنني لما رأيت التصوف قد

أصبح اسمًا بلا رسم، وسرابًا بلا رجم، أحببت أن أحييه، وأنفخ من روعي فيه، فجعلت فيَّ في فيه، فإن لكل قرن إمامًا يقتدى به، وينتهي الناس إليه، واللبيب بالإشارة يفهم، وعن روح الحضرة يترجم، ويفك رموز ما هو مطلسم، وترجمان الحضرة أخبرنا بهذا، فلا تقل لماذا؟ من أنت يا ضعيف حتى تغامر، وتتآمر، على أساطين الوجود، وأساطيل أهل الشهود، ليوث الحضرة، الجهابذة السفرة، الكرام البررة، فأنت لست معهم، حتى تلحقهم، بل لا يصح لك أن ترى أثرهم، ولا أن تلثم نعال ترابهم، هذا ليعلم القوم من المتكلم المطلق بلسانهم في هذا الوقت، ومن المجدد المنفرد من أهل السمت، ولا ينكر الفضل إلا غراب غربيب أعمى، وكلب أقعى، رجل أنثى، لا يحمي الحمى، أنا لم يؤدبني أحد، إلا واحد يُدعى الله الأحد، ولا فضل لمخلوق عليَّ في الوصول، سوى الله والرسول.

عنقاء مغرب برزت مرة أخرى، تحيي ما مات تحت الثرى، فأخرجته جثة هامدة، وأشلاء عفنة، فجعلته جديدًا، بعد أن كان قديدًا، لما أجرت لعابها فيه فصار عنصرًا فريدًا، وناموسًا وحيدًا، صاحت فأخرست الكل، واستظل الجميع تحت جناحها بظل، فلا تتكلم بهل، ولا تعلل، ولا تتململ، نسي أهل الحضرة من هذه العنقاء المكتومة، ربة الحقائق المعلومة، ولما نظروا في صفحات هذا الكتاب ذهلوا، ولم يحق لهم بعد ذلك أن يجهلوا، كل ما قلته هو ذرة في حق هذه العنقاء، صاحبة العصمة العصماء، المنقوش على ريشها ختم الولاية، وبين كتفيها شعرات من خاتم نبوة العناية.

اعلم

أيدني الله وإياك بروح القدس أن هذا الكتاب صنفته معجزة للقوم وقد حوى جميع العلوم التي تكلم فيها أهل الإسلام قديمًا وحديثًا مثل التصوف وعلم الباطن اللدني والحديث والفقه والتفسير والبلاغة والشعر والتاريخ وعلم الحرف وعلم المنازلات والدقائق وعلم المناظرة وعلم التوحيد والكلام والعقيدة والحديث الموضوع وعلم الآخرة وعلامات الساعة وأحوال البرزخ والقبور وعلم

الفضائل والمناقب والكرامات والسيرة وأوصاف النبي ﷺ وعلم الأدعية وأسرارها وشروح ما أشكل من كلام القوم وما عمق من معاني ألفاظهم وضبط مصطلحاتهم على الكتاب والسنة وشرح معاني أسماء الله الحسنى وعلوم مجاهدة النفس.

ويحتوي هذا الكتاب أربعًا وتسعين كتابًا ورسالة فيها عجائب علوم القوم من المبتدىء حتى المنتهي في السلوك، وينتفع المريد بكل علوم الدنيا والآخرة إذا قرأ في هذا الكتاب.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انظر الكعبة حسن طاف زائرها ... سلها تجبك لقد طافت بنا سحرا
دومًا أردت المجد من بدء الورى ... في عالم الذر القديم فهل ترى
مذ كنت آدم في الرموز خليفة ... في حضرتي سجد الملائك والورى
انظر لحاظي شاخصات للعلى ... والعرش يزهو نحو مجدى قد جرى
كلي عيون في الحقائق قائم ... بالحق أحيي من أراه مصورا
عنقاء مغرب في العلوم معارفي ... ختمي ونقشي عند عرشي في الذرى
لي عزة الملك القديم طلائع ... راياتها يوم القيامة تنشرا
روحي أراها في الغرام قديمة ... تبدي علومًا لا أراها تشترى
من حضرة الناموس وهي فريدة ... أسفارها عندي أحدث في الورى
توراة موسى ثم إنجيل أتى ... فرقان أحمد في دمائي قد سرى
أكمل علومك من حقائق وجهتي ... تعطي مقامًا مني فوقك ينثرا
روحي وراحي ثم راحة مهجتي ... ذابوا طويلًا في صفائك أبحرا
روحي لطافتها يذوب صفاؤها ... انظر تراني جوهرًا متبلورا
بلورة الأرواح وهي زجاجة ... من ماء زيتي تستضيء فتبهرا
إن كنت في حكم الغرام مقصرا ... فالوصل يحيي في الغرام مقصرا
أشواق عشقي في الغرام قديمة ... مذ كنت في الأزل القديم محررا
شمسي وقمري أنت محبوبي الذي ... ضيعت عمري مذ كنت محيرا

أنت المعـذب والعـذاب يـا قـاتلي ذنبي عشقتك فـاستبحـت لتهجـرا
وانـزع ثيـابـك إن أردت تطهـرا من مـاء قـدسي في الحظيرة طهـرا
واخلع نعالك عن بساط شهـودنـا واتـرك دعـاوى لا أراهـا تغفـرا

ويحتوي هذا الكتاب على اثنين وتسعين كتابًا ورسالة هذه أسماؤها :

١ - كتاب قانون الجمال الإلهي.
٢ - كتاب قانون الكمال المطلق.
٣ - كتاب هدهد سليمان.
٤ - كتاب خاتم سليمان.
٥ - كتاب روح وريحان.
٦ - كتاب عصا موسى.
٧ - كتاب النكاح المطلق.
٨ - كتاب قانون الفناء والبقاء.
٩ - كتاب المسائل الخضرية.
١٠ - كتاب المضنون به على من لا يستحقه.
١١ - كتاب جنون الموحدين.
١٢ - كتاب نسيان المحبة من ازدياد القربة.
١٣ - كتاب مقام الصحابة.
١٤ - كتاب ضعف الهيكل الآدمي.
١٥ - كتاب هوان أهل البدايات.
١٦ - كتاب عروس القيامة.

١٧ ـ كتاب شرف الخرقة.

١٨ ـ كتاب قانون المشيئة الإلهية.

١٩ ـ كتاب الرحيق في أسرار مقام أبي بكر الصديق.

٢٠ ـ كتاب قانون الاصطفاء الإلهي.

٢١ ـ كتاب فضل الشيخ على المريد.

٢٢ ـ كتاب إحياء المناسبات لتشريف لابسي المرقعات.

٢٣ ـ كتاب قانون القهر الإلهي.

٢٤ ـ كتاب اللؤلؤ والمرجان في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان.

٢٥ ـ كتاب رفع الملامة عن قتال الحق عز وجل عن المكانة.

٢٦ ـ كتاب قانون تداخل المقامات.

٢٧ ـ كتاب قانون ترك المقامات.

٢٨ ـ كتاب الأمجاد الحافلة بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة.

٢٩ ـ كتاب رداء الكبرياء.

٣٠ ـ كتاب أسرار تنافر الأولياء.

٣١ ـ كتاب قانون اختلاف الصحابة.

٣٢ ـ كتاب قانون المبتدأ والخبر الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر.

٣٣ ـ كتاب فضل أبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية.

٣٤ ـ كتاب الفتوحات القاهرية في شرح كتاب سر المعية.

٣٥ ـ كتاب النور القدسي والجمال الأنسي في شرح آية الكرسي.

٣٦ ـ كتاب تأويل قانون وحدة الوجود.

٣٧ ـ كتاب فناء اليقين.

٣٨ ـ كتاب طبقات الأقطاب الذين تركوا التصرف في الوجود.

٣٩ ـ كتاب الأولياء الأنبياء المحمديين.

٤٠ ـ كتاب طبقات أقطاب الظاهر والباطن.

٤١ ـ كتاب صفة الديوان.

٤٢ ـ كتاب ثمن الصدق.

٤٣ ـ كتاب العارف المحض.

٤٤ ـ كتاب المراشف الخمرية اللاعقة لرضاب التائية.

٤٥ ـ كتاب سر إيمان الحق تعالى بنفسه.

٤٦ ـ كتاب حبل الله المتين في عقيدة الشيخ محي الدين.

٤٧ ـ كتاب فهرست أسماء مصنفات الشيخ محي الدين.

٤٨ ـ كتاب سدرة المنتهي في شرح أسماء الله الحسنى.

٤٩ ـ رسالة الناموس الأعظم.

٥٠ ـ رسالة الثغر البديع في فضل الصلاة على الشفيع.

٥١ ـ كتاب قانون الحب الإلهي.

٥٢ ـ رسالة فناء العاشق في المعشوق.

٥٣ ـ كتاب قانون اللذة.

٥٤ ـ كتاب جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد.

٥٥ ـ كتاب ما يخالف المريد فيه شيخه.

٥٦ ـ كتاب اللوح المحفوظ.

٥٧ ـ ديوان عروج الأشباح إلى منازل الأرواح.

٥٨ ـ كتاب الحديقة الزوراء في فضل عاشوراء.

٥٩ ـ كتاب كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب.

٦٠ ـ كتاب أسرار خاتم الأولياء.

٦١ ـ كتاب رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء.

٦٢ ـ كتاب المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء.

٦٣ ـ كتاب فك الرموز والإشارات الغامضة في كتاب المخاطبات.

٦٤ ـ كتاب طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية.

٦٥ ـ كتاب من ادعى الختمية المطلقة.

٦٦ ـ كتاب غصن الكمثرى في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى ﷺ.

٦٧ ـ كتاب فاكهة العريش في تحريم الحشيش.

٦٨ ـ كتاب مغازلة الحور في شرح هياكل النور للسُهْروردي.

٦٩ ـ كتاب إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٠ ـ كتاب تحذير الرجال من فضائح المسيخ الدجال.

٧١ ـ كتاب اللؤلؤ المنثور في أحوال الموتى وأهل القبور.

٧٢ ـ كتاب الاعتبار بذكر أحوال أهل الجنة والنار.

٧٣ ـ كتاب اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس.

٧٤ ـ كتاب مقاومة الشهوة الجنسية بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٥ ـ رسالة النور السافر في معرفة حقيقة الشهوة في علمي الباطن والظاهر.

٧٦ ـ كتاب الإسرا لتحقيق مقام الصلاة على المصطفى.

٧٧ ـ كتاب جنة المأوى.

٧٨ ـ كتاب جنة النعيم.

٧٩ ـ كتاب جنة الخلد.

٨٠ ـ كتاب جنة السلام.

٨١ ـ كتاب جنة القرار.

٨٢ ـ كتاب جنة عدن.

٨٣ ـ كتاب جنة الفردوس.

٨٤ ـ ديوان نوح العندليب من هجر الحبيب.

٨٥ ـ قانون الأنس بالله المسمى أنس الموحدين برب العالمين.

٨٦ ـ السر الموقر الذي بيني وبين الشيخ الأكبر.

٨٧ ـ محاكمة العساكر الإلهية لتقي الدين بن تيمية.

٨٨ ـ أصناف اللحية.

٨٩ ـ أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة.

٩٠ ـ الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة.

٩١ ـ المناقب الفاخرة في محاسن بنت المعز القاهرة.

٩٢ ـ رسالة ماء الذهب في أوصاف النبي ﷺ.

كتاب
قانون الجمال الإلهي

الحمدُ لله

المتجلي بثياب جماله على أرقاء عباده فملكهم. وهم لا يملكونه فزاد عذابهم وأجج ضرامهم.

والصلاة والسلام على فتى الوجود وغوثه محمد النبي الأمي.

وعلى الصحب والآل.

وبعد

فهذا قانون الجمال الحاوي لمعالي الخصال.

قيل يا حكيم ما سر الجمال الساري في التعيينات المبدئية والتكوينات الأولية. أهو ظاهر في الكل أم حوى المظاهر والبواطن؟

قال الحكيم: ظهوره على المحض ممنوع في هذه الدار لقوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾.

ولقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾.

فالاستواء الجمالي على عرش الميزان مجهول في الظهور المحض على الإطلاق.

لاشتراك القبح في البدء مع الجمال فهو حاوٍ للمظاهر والبواطن.

ولم يظهر محضًا ولم يبطن محضًا بل ظهر وخفي.

فقيل: عذب وملح.

وقيل: أعمى وبصير.

وقيل: ظلام ونور.

وقيل: ظل وحرور.

وقيل: حي وميت.

هذا مبلغ العلم الآدمي الظاهري الشرعي.

أما الذائق الرائق: فأقام قاعدة قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وهذا الوسع الجمالي لم يقبله أي وسع إلا ما كان في جانب الحق تعالى شأنه. لكون المخلوق لادراية له بهذه القاعدة أصلًا ولا يتحصل من طعمها شيئًا مهما اجتهد وبحث.

وهذا لكون السريان البشري ذائقًا لصفة القبح أصلًا رضي أم لم يرضَ وذاك قوله تعالى: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾. وذاك أيضًا قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

فلا بد للخلق التعييني من تذوق شيء من ذلك الكبد وتلك الردة السافلة. أما بقاؤه في الجمال المحض فشرط مستحيل حتى يلج الجمل في سم الخياط.

إذْ هذا علم من ليس يعلم وحظيرة من لم يدخل من شؤون الإله القديمة التي مبلغ علم العالمين بها رؤيتها من خارج سور الذوق بلا ذوق.

لذا ذهب العارف الكامل ورد الأمر. فقبح: وأجل.

وهو بهذا لم يخرج عن صنيع الإله لكونه آمرًا بهذا.

ولو رأى الجمال المطلق لغلطوه فورًا وردوه قهرًا لكونه دخل بابًا لا ينبغي له. أما الجمال القديم فهو العلم القديم الذي قدر به الإله فكله جمال لكون رؤية الحق تعالى وقعت عليه دون غيره. لذا صدق قول القائل: ليس في الإمكان أبدع مما كان. ورؤية المخلوق لمعاني أخرى جمالية دون معاني الحق تعالى التي قدرها لا شك فيها نقص لقوله: ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

فقيل: لا يسئل؟

لكون الوسع الآدمي لا أمل له في أن يسأل في مثل هذه المواطن. ولو سأل وتلقى الجواب لكان أي الجمال نقصًا وهذا نقص الذوق المطلق عند الطالب لأمجاد الجمال المطلق.

أما سر الجمال المطلق فلم يتحصل لمخلوق قط ولو بغاه لاحترق.

إذْ هذه قاعدة الإله التي لم ينازعه فيها أحد. وعن هذه القاعدة تصرف وقال: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار ولا أبالي. فشأن الحق تعالى أن لا يبالي في الدفاع عن مقامه بمخلوق. لكونه يدافع عن المكانة التي هي أعز عزيز لديه. فليس مخلوق أكرم منها.

وهذا في علمنا نسميه مقام: اللامبالاة الإلهية. وهذا مقام لا يوجد فيه دبيب لمخلوق وهو من أسرار المجد الإلهي. والعزة الإلهية.

كتاب
قانون الكمال المطلق

الحمد لله الذي له الكمال المطلق دون غيره فاستوى على ذلك العرش دون غيره. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

اعلم أيها الولي الحميم والصفي الكريم أنه ما كان ينبغي أن يدرك مخلوق ذرة من الكمال المطلق. وذاك قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شي﴾. أما الكمالات المنسوبة للأنبياء والصديقين. فهي ذرة من كمال الحق تعالى المطلق فلم يصلح لهم أن يدعوا شيئًا من كماله تعالى المطلق. ألا ترى المشرع لما ضاق ذرعًا قال: (لا أحصي ثناء عليك). قالوا قف على كماله المطلق بكماله المحدث إنما هو ذرة في فلاة لا غير.

وسر هذا العالم أنه قديم أزلي وما كان للمحدث أن يدعيه. أو أن يتعين له هذا المقام. أما قالب الكمال المحدث فهو عين من عيون كماله تعالى. ومقام الكمال أذوق من مقام الجمال. ورتبته في الصفات أرقى. إذ الجمال شعبة من شعب الكمال ولما كان العالم الكوني هو كل ما سوى الله. فقد صار ليس كمثله شيء قط. وصار بنعته مخالفًا للكل. وهذا نهاية الكمال والذوق الجمالي في هذا الفن الفريد.

إذ الكمال هو مخالفة الكل. فلا مناسبة بينه وبين وهم تصوري لذا قيل الكامل هو الغريب في الأكوان الذي لا طعم له. فهو جوهر فريد. أما أوهام

الكمال المطلق فهي الأوهام التي أدركها رجال من أهل المعرفة من كمالات الحق تعالى فظنوها من كماله المطلق سبحانه وتعالى فوقعوا في لبس الظنون. فذاك سنا برقه سبحانه وتعالى الذي قيل فيه على لسان الحضرة: ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾. فأين صحة دعواهم. وقد ادعوا أن سنا برقه من كماله المطلق؟ وهذه أوهام الكمال المطلق. فما بالهم لو اطلعوا على برقه دون سنا ذلك البرق؟

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن كل كمال محدث فهو ذائب في مقام الكمال الإلهي المطلق. وذاك من قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾. فأين الكمال الموسوي الذي لم يحتمل تجلي الحق على الجماد. فكيف به لو تجلى له دون الجبل؟

كتاب
هدهد سليمان

الحمد لله رب العالمين المتفضل على عباده بالنعم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد صحت لنا على لسان الهدهد السليماني أقوال حاج بها سليمان بن داود عليه السلام وذاك قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾. وهذا سر الهدهد السليماني.

إذْ أن علم الأفراد خافٍ عن الغوث فلا إحاطة له به حتى يقول الأخير: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾. فكيف يدرك الهدهد ما لا يدركه نبي بعلم اليقين. حتى ينظر أصدق أم كذب الهدهد.

وكان من شأن الأفراد أي المفردون المحققون لما عجز عنه الأكابر إدراك مذاقات فريدة حجب عنها كبير الأولياء في عصره.

وإذْ رآها فلن يصل إلى تحقيق أصغر شيء منها. فكيف بمقام الهدهد أن يحقق ما لم يحققه سليمان النبي الملك وذاك كالمقام الخضري لما حقق ما لم يحققه موسى عليه السلام.

فهذا يا ولي شأن المفردين؟

أي ولي الله وصفيه فما بالك بالحق تعالى أقام العباد فيما أراد فلا اعتراض عليه يعلم الكبير بالصغير. ويعلم الغني بالفقير. والجليل بالحقير فلا اعتراض لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا سر الأدب الإلهي الساري في التعيينات في العالم الأول فلا كبير على ذات الحق تعالى بل الكل قائمون على عرش أدبه متلقون لعجائب ذاك الاقتدار وهم يقولون لا نسألك رد القضاء ولكن اللطف فيه وهذه التحف المخالفة للمظاهر مدار الأمر عليها عالم الحيرة المحض. الذي لو دخله الفتى الضرغام لصار لا حول له ولا قوة.

وكان من شأن الأكابر قبول ذاك القضاء بشرطه وعيبه الظاهري وآدابه الشرعية وإلا فلا وصول بلا هذا الذوق. فافهم. وخفي عليهم أن الحق تعالى اشتراهم فقال لهم: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾. فهم باعوا وهو اشترى فلما علم صدق أدبهم قال لهم: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾. والثمن بين البائع والمشتري له وجهان: وجه ظاهر وهو الجنة فقال: بأن لهم الجنة ووجه باطن وهو صدق الرضا بما أوجدهم فيه من لجة أنياب المجاهدات والابتلاءات فاشترط على سليمان أن يعلمه هدهد في الأدب الإلهي. وقبل سليمان الحكيم هذا الشرط.

كتاب
خاتم سليمان

الحمد لله

المتفضل بنعمائه القائل: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾. والصلاة والسلام على نبينا الهادي الأمين صاحب الحوض المورود واللواء المعقود وعلى صحبه وآله الغر المحجلين وبعد:

فقد سألني السائل الإلهامي الفوري عن الخاتم السليماني وسره وحقيقته؟ فقلنا: هو رمز الملك الظاهر والباطن الذي تحقق سليمان فكان ملكًا نبيًا. وحقيقته أخفيت في سر الخاتم. الذي هو رمز هذا المقام وذوقه المحض. قيل يا حكيم الأولياء ولسان المفردين فما حقيقة هذا المقام وهل تحقق لرجال من أقطاب هذه الأمة؟

أجبنا بقولنا: اعلموا مادة المتذوقين وشيوخ العارفين.

أن ممن هو على قدم النبي سليمان من رجال هذه الأمة ممن جمع الخلافتين الحسن بن علي ومعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ونور الدين زنكي. وصلاح الدين.

وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى (كتاب من حظي بالخلافة الظاهرية والباطنية). فصاحب هذا المقام جمع بين الظهور والبطون في آن واحد. فهو إمام جامع بين اسمه الظاهر والباطن. وسره الخاتم. الذي هو من التوفيق

الإلهي الرمزي المؤيد به صاحب هذا المقام. فكان من شؤونه خرق قوانين مقفلة لا يعرفها غيره.

وهذا كشأن عمر بن عبد العزيز لما أعاد أيام الخلفاء لما تولى. فكان الذئب في زمنه يحرس الغنم ولا يتعدى عليها. أو هذا كشأن المتوكل الذي رفع المحنة عن أهل السنة. ولم يرفعها أحد سواه.

وصاحب هذا المقام أوتي سر كن وهو رمز الخاتم السليماني. فهو محقق للمعضلات الصعاب. بهذا السر. الذي لا يحققه أحد سواه.

ألا ترى أن سليمان كان إذا دخل الخلاء نزع ذلك الخاتم وأعطاه للخادم. حتى لا ينجسه. فإذا خرج أخذه منه ولبسه.

فلما نزعه يومًا ودخل الخلاء تشبه به شيطان وأتي الخادم وهو في صورته فأعطاه الخاتم فجلس في موضع سليمان فصار يحكم. فلما خرج سليمان طلب الخاتم من الخادم فكذبه. وقال له: ما أنت سليمان. فهام سليمان على وجهه حتى أتى إلى شاطىء البحر فرأى قومًا يصيدون السمك فاشتغل معهم. حتى دعا الله تعالى أن يرد عليه الخاتم. فخطف طير الخاتم من الجني فوقع منه في البحر فابتلعته سمكة فصادها سليمان. وفتح بطنها لينظفها فوجد الخاتم فلبسه وحمد الله ورجع إلى عرشه وعاقب الجني.

فانظر يا ولي ما ذلك الخاتم. وما اكتنه من أحكام الملك وسر كن.

وهذا الخاتم من مظاهر الملك من ملك باطنًا وظاهرًا معًا أما من ملك باطنًا فلا خاتم له في الظاهر. كالمقام المحمدي. الذي كان صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام عبدًا نبيًا. فلا خاتم له في المظاهر. وقد وهب مقام الملك وتخلى عنه. لكن رمز الخاتم في صاحب الباطن منقوش بين كتفيه.

روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ ابن أختي وَجعٌ فمسح رأسي ودعا لي

بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل ذِر الحجلة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة رواه مسلم والترمذي ولفظه: كان خاتم رسول الله ﷺ الذي بين كتفيه كان غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

وكان صاحب الخاتم الباطني أقوى في المقام لكون المقام إلهي التكوين من نفس خلقته. غير منفصل عنه. فلا تذهب علامته ولا تمحى ولا تسرق ولا تختلس.

أما صاحب الملك الظاهر فتأييده بالخاتم المتحرك. الذي هو معرض للخلع في مواطن الكراهة كدخوله الخلاء مثلًا.

أما الخاتم الباطن كالذي كان عند نبينا فهو ثبوتي يرد به كل المواطن حتى مواطن الكراهة. وهنا وضحت الميزة والفضل.

كتاب
روح وريحان

الحمدلله رب العالمين

المتجلي على أوفياء عباده بالصفاء والنقاء وصلى الله على محمد الفتى القانت الراكع الساجد العابد وعلى الصحب والآل. وبعد.

فاعلم أيها الولي المجذوب والمتشوق المغلوب أن الروح هو البقاء السرمدي بجوار المحبوب.

واعلم أن الريحان هو الاتصال الدائم بينهما. إذ الريحان هو الرائحة ورُمِزَ للرائحة برمز الريحان.

أما نعته فهو شم رائحة المحبوب. أو تقصّي أخباره. أو التماس ما يُسِرّ المحب. وهذا على مقامات. يعلمها أهل الذوق. فكانت بغية المحب من المحبوب الروح والريحان. ولا ثالث لهاتين البغيتين.

وماذا بعد البقاء والوصال السرمدي مع المحبوب في دار الخلد.

وهذه هي الغاية. لذا كان طلب أهل الجنة من الحق تعالى في الجنة دومًا. أن يبقوا ناظرين إليه على الدوام. دون انقطاع. وهذا النظر هو غاية الغايات وهو المعبر عندنا برمز روح وريحان.

فالروح البقاء والريحان البقاء الوصالي المتصل سرمدًا.

وهذا المقام لا ينبغي إلا لأهل القربة الذين لهم روح وريحان على الدوام السرمدي. إذْ حياة أرواحهم بهذا القانون. وإلا ماتت الأرواح ويئست من الحياة بلا روح وريحان.

فكان الغذاء الذي أبقاهم في الجنان هو النظر. ولو انقطع الحق تعالى عنهم لحظة لماتوا وهلكوا ولا لوم.

وهذا سكر الأرواح وشرابها وخمرها الذي باعوا من أجله الدنيا بما فيها. وأهلكوا النفس من أجله. وباعوا المال والأهل لحصوله ونواله. فكان محل نظرهم الحق تعالى بلا انقطاع فهم في حياة سرمدية معه على وصال مطلق.

كتاب
عصا موسى

الحمدلله رب العالمين المتجلي على قلوب أصفيائه بأنواره الباهرة وأسراره القاهرة. والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ولا فخر وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

قال القائل: ما سر العصا الموسوية يا ولي الله وصفيه؟

قلنا: العصا الموسوية كانت حجة كناقة صالح عليه السلام. وكان من شأنها أنها آية مكرية. قلما يبدو مثلها في الآيات.

ومن أبوابها هذه كونها تنقلب حية. وكونها تشق البحر نصفين. وتجعل الماء يابسًا. وكونها تبلع كل شيء تؤمر ببلعه. وهذه خصائص مكر واستدراج. فيها إذلال لأهل الكفر. لما يرون ظاهر العصا حقيرًا. فإذا مكرت أتت بباهر الآيات الخارقة.

فهنا تجعل الكبير صغيرًا والجليل حقيرًا والغني فقيرًا والشجاع جبانًا والذكي بليدًا.

فآية هذه العصا قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾. إذْ علامتها إبراز الخارق الجديد الذي لا يتوقعه اللب. وكان هذا الإبراز هو عين الاستدراج. فكلما جدَّ جديد، زاد الاستدراج. وزاد المكر في صفة العصا. وزاد عناد الكافر اللئيم. وهذا لكون قوم موسى قومًا آذوه كثيرًا

فصلح لهم هذا اللون المكري العجيب. إذْ لا يصلح في مشربهم سر كن. لكونه سرًّا قاطعًا لا تحتمله قاعدة المكر. وهذا من أسرار أرباب الابتلاء ألا ترى أبا القاسم (ﷺ) قال: (رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر). وكانت حجة الصابر على اللئيم أن يمكر به لكون اللئيم قد ملئ مكرًا. فظن أنه قد حاز كل ما يتعلق بهذا العلم. ونسي قوله تعالى: ﴿إن رسلنا لديهم يمكرون﴾.

فمن رسله الذين هم في هذا المقام المكري العجيب؟ أتراه موسى أم عصاه.

كتاب
النكاح المطلق

الحمد لله الخالق للذة. التي هي منى الفائزين ومرام الصابرين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

قد عبرنا عن تجاذب الموجودات الإنشائية والسريانية في كل الخلق بالنكاح المطلق. وهذه قاعدة إلاهية سارية في مجموع الوجود. ولا حياة للوجود بغيرها.

أقام الحق تعالى بها كل موجود. فكل موجود حيّ بها.

ومن ثم جعل سبحانه وتعالى من كل شيء زوجين اثنين.

وهذا معنى النكاح المطلق. أنه أطلقه على كل شيء فقال: ﴿ومن كل شيء جعلنا زوجين اثنين﴾.

وهذا النكاح المطلق له وجهان.

الوجه الأولى: ظهوري.

والوجه الثاني: باطني.

وشرط النكاحين الولوج.

فلا نكاح بلا ولوج.

وتجمع هذا الولوج في المتضادات المعنوية الغير ملموسة. كالنور والظلام والإيمان والكفر.

ومن هذه القاعدة قالوا بنقص الإيمان وزيادته. لما تحققوا من قاعدة الولوج. فإذا غلب ولوج المعصية على الطاعة نقص الإيمان. وإذا غلب ولوج الطاعة على المعصية زاد الإيمان.

وشرط الولوج في الضدين تولد اللذة أو الألم. كالذي ينكح بلذة والمنكوح يتألم.

فترى على هذه القاعدة الوجود سائرًا كله في الولوج والدخول والخروج.

وهو قائم في قاعدة النكاح المطلق.

وهذه الصفة منتفية من الجانب الإلهي. لكونه تعالى لا يدخل ولا يخرج. بل هو في الكل متعين.

فكانت صفة النكاح المطلق للمحدث المخلوق.

وهذا علم تحقق به القطب المكاشف الذي يرى سر الوجود كلها ناكح بعضه البعض. فهو قائم في قاعدة الجذب السرمدي.

فاعلم هذا السر يا ولي الله.

وما أعجب منه لما نراه هو نفسه مجذوبًا بقوى هذا الجذب القهري الذي يغلب على خُلُقه فيقتدي بنبيه (ﷺ) الذي حبب إليه من دنياه النكاح.

وما أعجب الحق تعالى إذْ يفرح برؤية قطب الوجود محبًا للجماع مستكثرًا منه طالبًا له بكل إرادته. متذللًا لهذا المزاج الشهواني الرباني.

كتاب
قانون الفناء والبقاء

الحمد لله الباقي بلا خلود. القديم بلا حدود. فهو المحيي والمميت. والمبقي والمفني.

وصلى الله على غوث الوجود وشيخه محمد النبي الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن قانون الفناء والبقاء قانون، عجيبٌ رسمه، غريبٌ اسمه.

فالوجود قائم بصفة الفناء والبقاء. التي أوجدها الحق تعالى فيه.

فكل الآثار متصلة بهذا القانون. ولما كانت صفة الحق تعالى القدم والبقاء. فقد بعد عنه الفناء والنوم والغفلة والفتور. وكل ما لحق بهذه المعاني وأقسم الحق تعالى أن لا يبقى سواه فلا يبقى الا وجهه.

فقيل في حضرة المواثيق: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

فلا بد للمخلوق أن يتذوق شيئًا من مرارة الفناء. رضي أم أبى.

وكان الله ولا شيء معه فأوجد الأعيان من العدم ومن ثم أنهاها بالعدم.

وكان من شئوون المجد أن لا يشارك مخلوق الحق تعالى في أوصافه. فهو ليس كمثله شيء.

ومن ثم كرم الإله عباده المخلصين فأعطاهم نفحة من نفحات بقائه السرمدي أسماه الخلود.

فإن قيل: هل تجوز صفة الخلود في المولى تعالى؟

أجبنا: هذه الصفة غير متحققة في الأوصاف الإلهية بل هي صفة جائزة للمخلوقات. وقد فصلنا هذا في كتابنا (تكملة الفتوحات المكية).

ومن ثم كرم أعيانًا أخرى فوهبها نفحة من نفحات الأزل فأوجدها قبل الأعيان الكلية كالعرش الذي أوجده من النور المحمدي. قيل: كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء فإن الروح المحمدي هو روح العوالم ومنه إنبثق الكون كله كالعرش واللوح والقلم.

فكان كرمه للمخلوق كرمًا ناقصًا عن رتبة مجده في الأزل والأبد والقدم والبقاء. وهذه قاعدة تحققت طوعًا أو كرهًا. واعلم يا ولي أن كل ما ظهر في الوجود فهو محدث مخلوق. ولو كان قديمًا لشارك الحق تعالى في قدمه ومن ثم بطلت ربوبية الحق تعالى.

وبهذا كفروا الفلاسفة لما قالوا بقدم العالم.

لهذا وجب على الكون الفناء لما كان أصله العدم فهو إلى العدم سائر. فقيل: **﴿إذا الشمس كوِّرت ★ وإذا النجوم انكدرت ★ وإذا الجبال سيرت ★ وإذا العشار عطلت ★ وإذا الوحوش نشرت ★ وإذا البحار سجرت ★ وإذا النفوس زوجت ★ وإذا الموءودة سئلت ★ بأي ذنب قتلت ★ وإذا الصحف نشرت ★ وإذا السماء كشطت ★ وإذا الجحيم سعرت ★ وإذا الجنة أزلفت﴾**.

فوجب على التعيينات الأولية قانون الفناء أولًا وآخرًا.

فهذه صفة البقاء المطلق التي لم تكن لمخلوق قط بل هي من شئوون الإله تعالى.

قانون
المسائل الخضرية

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الغر المحجلين.

وبعد

فإن المسائل الخضرية هي لب الشغاف الجامع لعلم الباطن.

قيل لما خرق الخضر السفينة واعترض عليه موسى عليه السلام فقال له: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا﴾.

أراد الخضر عليه السلام أن يقول لموسى (أتذكر يا موسى يوم أن وضعتك أمك في التابوت في اليم وخافت عليك ولكنك سلمت وهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

وقيل لما قتل الخضر الغلام واعترض عليه موسى فقال: ﴿أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا﴾.

أراد الخضر عليه السلام أن يقول لموسى: (أتذكر يا موسى يوم أن وكزت الرجل فقتلته وقضيت عليه. فهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

وقيل لما أقام الخضر الجدار المنقض واعترض عليه موسى عليه السلام فقال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرًا﴾. أراد الخضر عليه السلام أن

يقول لموسى: (أتذكر يا موسى يوم أن سقيت لابنتي شعيب بدون أجر فهذا من ذلك فَلِمَ تعترض؟).

أي ولي الله وصفيه هذا موسى المشرع وهذا الخضر صاحب الباطن الفتى اللدني صاحب التفريد.

فكيف تنقلب الحجة على موسى؟

أين المشرع من الفتى اللدني؟

أتراه غاب عنه المقام أم علمه وترك التحدث به أدبًا مع ظاهر الشرع.

وفي هذا المشهد العجيب أنشدنا قولنا:

الشرع سور قد أحاط بباطني ... وحقيقتي تخفى عن الجهال
تسعون بحرًا قد جرت في باطني ... ما غيبتني عن حقيقة حالي
موسى حكيم الله يحكم ظاهرًا ... والخضر يحكم بالقضا في الحال

ولما كان أدب المشرع هو مظاهر الحقائق فقد صار هو الكمال دون غيره.

ولا لوم على الخضر.

ولا لوم على موسى.

لتعدد المشارب. فكل له لون وغرام يثيره.

وظلت حقائق الوجود السرمدية قائمة بتعيين الوظائف وتفرقها على الأعيان.

قال تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

وهذا البرزخ هو الفاصل بين الوظائف الإلهية فلا يطغى كل فرد على أخيه.

فالأفراد قائمون في ممالك الحق تعالى منفذون لوظائف الإله بلا توقف.

ولو علا فرد رتبة أخيه لتوافر عند الآخر ما لا يوجد عند الثاني ويحوز فضيلة ليست عند الأول.

هذا كالبراء لما انتصر به المسلمون يوم تستر لما حمي الوطيس على المسلمين.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أنس بـن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك.

فلما كان يوم تستر انكشف الناس فقالوا يا براء اقسم على ربك.

فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك. قال فاستشهد.

فجمع البراء يا ولي ما لم تجمعه الصحابة كلهم فحاز هذه الفضيلة دونهم وهذا كحيازة أبي عبيدة للقب الأمين الذي قيل فيه على لسان الحضرة النبوية: لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدةبن الجراح.

أو هذا كاختصاص أبي بكر بعلم اليقين.

أو كاختصاص علي بالعلم الباطن دونهم أو كاختصاص عثمان بالحياء.

أو كاختصاص عمر بالفرقان.

أو كاختصاص سعد بالدعوة المستجابة.

أو كاختصاص خالد بن الوليد بالنصر في المعارك.

أو كاختصاص أبي هريرة بالنقولات النبوية.

أو كاختصاص أبي ذر بالغربة والانقطاع والانفراد عنهم.

كتاب
المضنون به على من لا يستحقه

الحمد لله الذي تولى عباده الصالحين فغمرهم بجنانه وعطفه. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة.

والصلاة والسلام على غوث الوجود وشيخه محمد (ﷺ). وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن للحق تعالى ضنائن يضنُّ بها على أهل الحجب.

فمن ذلك طلبهم للولي. وهم ينكرون وجوده.

فلما يطلبون المفقود؟

وكيف فقد حتى يطلب.

بل هو منتشر كالسكر في الماء يذوب فيه فهل تراه؟.

فتجد الولي أقرب الناس إليك وأنت تبحث عنه.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الشيخ الواصل مفقود. وهذا مردود قطعًا.

إذْ أنَّ كل عصر يحوي من الشيوخ الواصلين النائبين عن رسول الله (ﷺ).

ومن تلك الضنائن ظنهم الموت الكلي لرسول الله (ﷺ). فلا أثر له في العوالم.

وهذا جهل إذْ هذا رسول الله (ﷺ) يحكم في العوالم يراه الكمل يقظة فكيف بهم يحكمون بموته موتًا كليًا. لا تأثير له.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن العالم إنما هو ما تراه العين لا غير. ولا عوالم أخرى ترى بالبصائر.

وهذا جهل إذْ هذا عالم الجن وهذا عالم الملائكة وهذا عالم الروح وهذا عالم الخيال.

كلها عوالم تراها العين بالبصيرة. ومن تلك الضنائن ظنهم انعدام تأثير همم أهل الولاية في العوالم. وانقطاع التصريف بالهمم. وهذا انقطاع ذوق من أهل الفهوم.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن المكر الآدمي لا يطلع الحق تعالى على دقائقه. وأنَّ بعضه أقوى من المكر الإلهي.

فقالوا: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾.

وهذا وهم محض.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الحق تعالى غير مطلع على دقائق الذنوب وصغائرها. وهم واهمون في هذا الباب لا محالة. لقوله تعالى: ﴿يعلم السر وأخفى﴾.

ومن تلك الضنائن قولهم بعدم التوسل بأهل الولاية من الأموات لانقطاع تأثيرهم في العوالم. حتى أن بعض الجهلة عدَّ رسول الله (ﷺ) من هؤلاء. وهذا غلط خطير.

ومن تلك الضنائن تصدرهم لمقام المشيخة بدون إذن رباني أو كادعائهم للعلم وتصدر مجالس الأئمة بلا تلقٍ أو سندٍ أو إجازة أو شيخ أخذوا عنه العلم. وهذا استعجال لمقام الوصول. بغير حق.

ومن تلك الضنائن بحثهم في حقيقة الروح بغير ذوق. لعدم وصولهم إلى سر هذا المذاق. ومن تلك الضنائن إنكارهم أن رسول الله (ﷺ) اطلع على حقيقة الروح.

ولو علموا أن أولياء من رجالات أمته اطلعوا على سر هذه اللطيفة لعضوا الأنامل من الغيظ. وهذا من الضنائن التي غابت عن هؤلاء.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الولي غير مطلع على الخواطر الآدمية. وهذا جهل مركب.

إذ أن ذوق الاطلاع استفاده أهل الولاية من رسول الله (ﷺ). ومن تلك الضنائن ظنهم أن الحلال غير موجود في هذا الزمان. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن ظنهم العجز الإلهي في الابتداع والاختراع.

وهذا وهم إذ أنه سبحانه كل يوم هو في شأن يبدي ما لا يبديه قبل ذلك.

إذْ ما كرر الحق تعالى صورة من إبداعه مرتين. فالتكرار منتفٍ من حقه تعالى. لكونه عجزاً محضاً من إيجاد الجديد.

ومن تلك الضنائن افتراق أمزجتهم عن أمزجة أهل الحق. وعدم اتفاق المزاجين سواء بسواء. وهذا من علوم القدرة الإلهية.

فترى جحودهم لا تقنعه أدلة بل هو قائم على مذهب الإنكار والضلال.

وهذا حجاب مبين.

ومن تلك الضنائن عدم اقتناعهم بأن الحق تعالى كان ولا شيء معه. فيقول قائلهم: خلق الله الخلق فمن خلقه؟

وهذا حجاب كفر.

ومن تلك الضنائن عدم تخوفهم من دعوة الولي عليهم.

وهذا جهل إذْ أَنَّ دعوة الرجل الصالح مقبولة قطعًا إنْ عاجلًا أو آجلًا. فيقول أحدهم للرجل الصالح: ادعُ عليَّ أو انفخني إنْ شئت.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن ما عند الأولياء كله واحد سواء بسواء. وهذا جهل.

إذْ أَنَّ كل ولي برز إلى شاشة الوجود منذ آدم حتى النفخ في الصور عنده ما ليس عند غيره. فافهم.

ومن تلك الضنائن تكذيبهم أن للأولياء خاتمًا. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن قولهم يوجد الخاتم ولكن لا نعرفه. وهذا وهم.

ومن تلك الضنائن اعتقادهم الصلاح في غير الصالحين من المضللين. وهذا عظم في زماننا.

ومن تلك الضنائن عدم القيام بحق الوقار للولي. فلا يقدرونه شيئًا من قدره قط.

وهذا لجهلهم بحقوق أهل الله.

ومن تلك الضنائن يأسهم من التوبة النصوح. وهذا وهم عظيم.

ومن تلك الضنائن إنكارهم للأقطاب والأبدال والأوتاد. والاعتقاد بأنهم غير موجودين في هذا الزمن.

ومن تلك الضنائن ظنهم أن الولي غير مشاهد للوح والقلم والعرش والجنة والنار وشتى المناظر الإلهية كدركات الجحيم ومنازل أهل الجنة. وظنهم وهم.

ومن تلك الضنائن إنكارهم أن الولي يبلغ درجة الكمال.

كتاب
جنون الموحدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد سألني السائل عن جنون الموحدين ما شأنه ولِمَ جنوا ؟

فقلنا لهم قول القائل:

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا   وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

إذْ أن القوم جنوا بليلى وهي جنت بغيرهم. فكيف لا يجنون في تقديس التوحيد ؟

ووقف الموحد بشاطىء البحر الأعظم ألا وهو بحر التوحيد. وغشي عليه لكثرة رؤيته لمن هو مثله قد شغله جنون التوحيد وغرام التفريد.

فقال: ما شأن القوم قد وحدوا فجنوا ؟

فعظم عليهم هول الموقف لما رأوا كثرة من هم موحدون قد وقفوا خشعًا على شاطىء ذلك البحر الأعظم. عظم على الموحد أنه لم يوحد. فأشفق على نفسه. فواهًا وواهًا عليه إن اشترك معه أحد في هذا الأمر.

قيل: ما جنونك في التوحيد ؟

فقال ذاك المجنون: جننت غيرة أن يوحده غيري فينال ما لم أصل إليه.

فإخلاصي لك بلا ثمن. ولا ثمن أطلب غير التمتع بمنظر رؤيتك. فكيف أوحدك ولا أراك. إني أكاد أذوب شوقًا إليك. أو أكاد أتفتت بلا قربك. من أنا بغيرك. ومن أنت بغيري. نحن روحان حللنا بَدَنًا. ما أنت إلا أنا. وما أنا إلا أنت. لا فرق. ومن فرق فهو المجنون لا غير.

ما هذا التجني وما هذا الصد؟ إلى متى ذا الهجر والخصام؟ يا أنا

تعالوا بنا حتى نعود كما كنا ... فما عهدنا خنتم ولا عهدكم خنا

ونترك وشيًا والوشاة وطائرًا ... غرابًا لوقع البين في ربعنا غنا

ونطوي بساط العتب والحب والجفا ... ونرمي السوي والبين ليت السوي يغنى

عسى أن يعود الشمل والحي مثل ما ... عهدنا وعود الوصل أثماره تجني

وينشد حادي الحال عني مترجمًا ... ألا لا أعاد الله بيتًا نأى عنا

أأحبابنا طيبوا فلم يك ما مضى ... سوى حلم كاللفظ ليس له معنى

فلا طال هجران ولا ثم عاذل ... ولا سهر المشتاق ليلًا وقد حنا

ولا كان ما قلتم ولا كان ما قلنا ... ولا بنتم عنا ولا عنكم بنا

لقد حق لمن جن في هواك أن يجن لكونه جن بحق. فهذا المجنون العاقل.

أهكذا تعذبه؟ أهكذا تذله؟

أهكذا تهينه؟ أهكذا تسلوه؟

أهكذا تغربه في البلاد عن الأهل والوطن؟.

أهكذا تبعده؟.

أهكذا تقتله؟.

أهكذا تشتته؟.

وهو صابر راضٍ ببلواه. ولم تعطف. وزدت دلالًا.

عذبني كيف شئت ومتى شئت وبأي شيء شئت.

فما أعذبه من عذاب رضاب.

ما ألذه من سلوان وهجران.

وما أرقه من وداد من صافي الدل والدلال.

لقد قدستك حتى ذهلت فخرست فسكت فجننت. فظن المحجوب أني مجنون وما بي سوى حبك.

يا ضميري وسويدائي اعطف وتدلل ورقّ.

فما غاية التوحيد سوى الوصال. فمتى. ولو نظرة واحدة تكون بها حياتي. هل تراني وحدتك أو وحدت نفسي. أو وحدت نفسي وإياك. الكل مقبول. سيان.

ما أحببتك لغرض فيَّ. ولا لأجل جنتك التي لا تساوي جناح بعوضة من محبتي لك. ولا خوفًا من نارك فإني لا أخافها فعذبني فيها أبد الآبدين إن شئت. فإني راضٍ بذلك. وهذا الفعال يلذ لي منك. فهذا سر جنوني بك. وهواني فيك. وصعقي وذلي وحيرتي وهيامي.

كتاب
نسيان المحبة
من ازدياد القربة

الحمد لله الذي أحب أصفياءه فأحبوه فنسوا تلك المحبة لأجله. والصلاة والسلام على إمام الوجود سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

اعلم أيها الولي المحب والصادق الأجل أعزك الله بجلاله. أنَّ القوم لما أحبوه نسوا محبته ولم ينسوه هو فحاشا ذلك في حقهم. قيل كيف ينسون تلك المحبة؟

قلنا: نسوها لازدياد قربتهم منه سبحانه وتعالى.

إذْ قانون القربة أنساهم تلك المحبة لكونها حجابًا. وتعلقوا بالمحبوب أصلًا فافهم. فذاك قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾.

وقد فصلنا درجات المحبة في كتابنا تكملة الفتوحات المكية.

ولما صار القوم في موطن القربة نسوا محبتهم له. لما رأوه قريبًا منهم فهم أقرب إليه من حبل الوريد. وهو كذلك. فرفعوا ذلك الحجاب وأزالوه.

وذاك قولهم: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.

إذْ أن شروط الأدب ظاهر هذا الحجاب لا غير.

فلا حاجة للقوم بحجاب يحجبهم عن المحبوب. وذاك قول موسى عليه السلام: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾.

فكانت العجلة زوال لذلك الحجاب الغشائي الشغافي.

أما من شغلوا بالمحبة نفسها عن حقيقة المحبوب فقد وقعوا في حجاب عظيم.

وهذا كمجنون ليلى لما كان يهيم في البراري. فتأتي ليلى إليه وتقول له: أنا ليلى. فيقول لها: دعيني فقد شغلني حبك عنك.

فالمتقرب مني تاه ونسي حقيقة نفسه في حقيقة المحبوب. فكيف يعثر عليه.

وفي ذلك المشهد العجيب أنشدنا بلسان الحال:

كسرت قيود الشرك عن عنق ملتي ... لكون قيودي قد أذلت بصيرتي
هناك انطلقت في سماء إرادتي ... ورحت أجول في ميادين عزتي
هناك شربنا والشراب بقيتي ... وقد أسكر الخمار قومًا بفضلتي
شربنا رحيقًا غير أني لم أغب ... بشربي وغيري غائب في بقيتي
صفائي صفاء نوره من زجاجة ... وضوء سناها قد أضاء بهمتي
أحبة قلبي والغرام ملوِّعي ... أراكم بقربي في بعادي وغربتي
دعوا القلب يشرح والغرام يحدث ... أحاديث ليلى والرباب وعزة
ففي خبر سلمى ثم مية قصتي ... وفي هجر لبنى ثم زينب راحتي
فبعدكم قرب وقربي بعدكم ... وتعذيبكم حلو فرفقًا بمهجتي
لذاك تراني كنت أكتم عبرتي ... إذا ذكر العشاق صونًا لدمعتي
وفي باطني قلب تمزق لبه ... وإنَّ دماه من دموعي السخية
ديار لليلى في بلاد بعيدة ... أراها بجنبي رغم بعد المسافة
يظن عذولي أننا في تباعد ... ويحسد شوقي إذْ يراني بلوعة
ورغم بعاد في المسافة بيننا ... ترانا نقبل بعضنا بحرارة

وذا عجب من قربنا وبعادنا ... وما عرف العشاق معنى المسافة
تلاحظني ليلى بعين خفية ... وكل مناها أن تنال محبتي
وتكتم حبي عن عيون عواذلي ... وتنطق جهرًا إن ظفرنا بخلوة
عيون القلى تبدي نفوسًا مريضة ... وعينك ليلى في الحنان اطمأنتِ
أذوب غرامًا إن نظرت جمالكم ... وأفنى فأنسى كل شوقي ومتعتي
فيكمل أنسي بعد طول تصبري ... وأحظى بوصل نلته بعد بلوة
جننا بليلى وهي جنت بغيرنا ... ومن غيرنا جنوا بنا في المحبة
أُصول الهوى منا تبدت لغيرنا ... فكل محب قد فنى في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظوتي ... سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف نحلتي ... سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

وهذا منتهى خبر هذا المقام.

كتاب
مقام الصحابة

الحمد لله الذي اصطفى سيدنا محمدًا ﷺ وجعل صحابته خير العالمين من بعده والصلاة والسلام على صاحب الحجة البيضاء وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فاعلم أيها الخل الوفي والصاحب الرضي أنَّ مقام الصحبة الشريف لا يلحقه مقام في الفضل.

وذلك لكونهم رأوا الهيكل المحمدي الشريف وهو حي.

وهذا الفضل لا يعد له فضل في الشرف والفخر.

ولا يستوي القطب المفتوح عليه بالصحابي الأعرابي الذي لم يفتح عليه.

وهذا سره عجيب.

فكان من شرف الهيكل المحمدي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فتعس رجال أتوا من بعد النبي عليه السلام على هذا الشرف لكونهم لم يدركوه ولن يدركوه حتى يلج الجمل في سم الخياط. سئل الحسن البصري: هل عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية بن أبي سفيان؟.

فقال: التراب الذي مشى عليه معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من ملء الأرض مثل عمر بن عبد العزيز.

أي ولي الله فانظر شرف هذا المقام وعلوه.

ومن الجهالات قول المضللة أن من المتأخرة قومًا عرفوا ما لم يعرف الصحابة في أبواب العلم.

كعلم أصول الفقه وعلم الرجال والجرح والتعديل وعلم الكلام والتفسير.

والجواب أن القوم علموا كل ما سيأتي وعبروا عن هذا المعنى الغازًا لكي لا يكشفوا المختبيء. حرمة للمقام فذهب الجاهل وظن ما ظن. من جهالات المقام.

ألا ترى أن النفس المحمدية عبرت عن الآتي من الأحداث كإخبارها عن أشراط الساعة. وإخبارها بما سيحدث للصحابة من بعدها.

فمن ذلك قولها: (الخلافة من بعدي ثلاثون عامًا ثم يكون ملكًا عضوضًا). وهذا الذوق كتمانه أرقى. وأقوى. فيظن الظان أن الساكت عن هذا المقام لم يدركه.

ولكن الساكت شرب المقامات كلها وما روي لكون سكوته علمًا كبيرًا.

وكان يغلب على شيخنا عبد المجيد الشريف رحمه الله السكوت الطويل. فكان سكوته ذلك مقامًا عاليًا طوى مقامات جليلة. أصلها مقام الصحابي الساكت.

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه لم يتكلم في علم الحقائق إلا المتأخرون من الأمة المحمدية.

أما أوائلهم فسكتوا وهذا ترتب عليه علم جليل قلَّ من يعلم فقهه وشرعته. فكان فضل الساكت على المتكلم جليلًا. إذْ أصل المقام تركه ما لا يعنيه فسكت لكي يؤول كلامه وحاله من سيأتي من بعده.

أما هو فليس التأويل والتكلم في هذا العلم من شؤونه. ألا ترى أن القوم كان ظاهرهم الشرع وتركوا الخوض في مقامات العرفان حتى لا ينكر من شؤونهم شيء.

فظن الغافل الجاهل أن الصحابي الأعرابي الذي أتى من البادية جلفًا وسخًا فرأى النبي عليه السلام مرة واحدة ظنه أنه غير مفتوح عليه.

ولو علم مقام هذه النظرة الواحدة التي رأى بها النبي عليه السلام لتحقق بما نال ذلك الأعرابي من الفتح البصيري الذي استوعبه وكتمه.

ونظر الناظر فرأى علم الصحابي مخالفًا لعلم العارف المتأخر. لكون الصحابي مشربه حضرة الشرع المحمدي.

أما العارف المتأخر فمشربه حضرة الحقيقة المحمدية.

وهذا كحال ابن عمر وحال ابن عربي او كحال أبي هريرة والحلاج أو كحال عمر الفاروق والشاذلي والمتشرع ينكر أن هؤلاء على قدم هؤلاء لاختلاف العلمين ولكن إمامهم واحد ألا وهو رسول الله ﷺ. كلاهما استمد منه. وصحَّ مشربه عنه.

وهذا كحال موسى والخضر لا تقارب في المزاجين. لاختلاف المشارب حتى أنكر الخضر كثيرًا على موسى. وقبل موسى أن يتعلم منه. أدبًا للشريعة والحقيقة ففاقه في الأدب وفاقه الخضر في مقام الأفراد.

كتاب
ضعف الهيكل الآدمي

الحمد لله الذي أنشأ النشأة الآدمية وكرمها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الضعف الآدمي كان شرفًا لهذه الفطرة الهشة. وأصل هذا الضعف مأخوذ منْ قوله تعالى : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ . فكانت صفة هذا الضعف أنه مجامع المعاني الربانية التي بغاها الحق تعالى في هذه الفطرة الشريفة. فقد خلق الجبال والحجارة والجماد صلبة صماء. فلم يكن لها شرف السمو الآدمي. بضعفه الذي حواه.

أما القوة المعنوية الحاوية لهذا الهيكل فهي شرف رباني اكتسبته الفطرة إما كسبًا أو وهبًا. ولكن ضعف الخلق يبقى فيها. وإن كسبت ما كسبت من معالي القوة المعنوية.

فكان من شرف القوة الالهية أن ترث نفحة من قوتها للضعيف لا للقوي. وتجعله يسود القوي. بهمته. ويسوق الأقوى بسلطان عقله. وقهر روحه.

أما عجائب ذلك الضعف فهو الحاوي لمهات إلاهية هي من عيون التحقيقات في مملكة الحق تعالى شأنه.

فما أعجب هذه الفطرة الضعيفة لما تفتقر للقوي الاعظم وتطلب العون منه فتقول : (إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي يا إله المستضعفين) .

وهذا أعظم القوة. وبهذا يصبح الضعيف أقوى بافتقاره إلى الاله. الذي بيده تصاريف القوة.

فعلم الضعيف أن القوة لله جميعًا فطلبها منه لا من المخلوق صاحب القوة المكتسبة الفانية وقد فصلنا هذا الأمر في كتابنا تكملة الفتوحات الملكية في باب العجز.

ولما كان الهيكل الآدمي طينيًا وزينته اللطيفة الإلهية المعبر عنها بالروح. فأعطت الطين نفحة من قسمات الجمال الإلهي.

فكيف يصح له التكبر والعلو؟ بضعفه وطينيته السافلة؟ وهذا التسافل هو الرد الذي قيل فيه: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾.

ومن ثم ظهرت معاني الضعف على هذا الهيكل فصار يشتهي سريعًا ما يأكله وما يشربه وما ينكحه.

فإذا ملىء شهوة تعب فطلب الراحة فينام. فإذا شرب وأكل ونكح ونام تجبر وقهر وأذل.

وإذا وصل إلى هذا المقام ادعى ما ليس له من الاكاذيب والتخاريف.

ثم يصبح مريضًا تسقمه أدنى علة ويشكو أقل همسة أو نسمة. حتى الشوكة يشاكها ومن ثم يتعب روحه من أدق أمر فيرهقها فكرًا وهواجس.

فتراه تعبًا جسدًا وروحًا. حسًا ومعنى. ظاهرًا وباطنًا. فهذا سر الآدمي المردود إلى أسفل سافلين.

لكن قال تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فهؤلاء شرفوا بضعفهم وعانوا ما عانوا من هذا الضعف فرفعوا إلى مقام المنة فلهم أجر غير ممنون. تحصلوه بالمجاهدة والاقبال على كبت أنياب شهواتهم وهواهم. فهذا سرهم يشهد أن ضعفهم سر شرفهم الذي وضعهم في مقام القربة والمنة.

وهذا سر قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾. فلولا الضعف لما تحصلوا مقام الإمامة. فافهم رحمك الله هذا المقام الذي أسه وأساسه الضعف لا غير.

قيل: يا حكيم الأولياء ولسان الموحدين فَلِمَ أضعفهم ومن ثم قواهم على تركب المقام فيهم؟

قلنا: وذلك لكون مقام القربة غير متحصل إلا بالتعب. وهذا العلم زكاته الالهية التعب لا غير. وهذا سر زكاته الالهية لا غير. ألا ترى أن جبريل لما أتى النبي ﷺ وهو في الغار أراد وضعه في المقام فأبى هيكله المقام وقال: ما أنا بقارىء.

وهكذا حتى قرأ فارتقى حتى أن جبريل لم يستطع أن يتقدم خطوة في مقامه ليلة المعراج. فانظر ولي الله سرَّ تدرجهم في معالي الهمم.

كتاب
هوان أهل البدايات

فإن أهل البدايات أهينوا هوانًا لا يعرف مبتداه ولا منتهاه إلا الحق تعالى.

عظم هذا الهوان على الحق تعالى فجعلهم سادة لأجل ما جرى لهم من ذل مستزيد.

أي صفي أي ولي أنت لم تخلُ ولن تخلو من هذا الهوان في حماك.

أي ولي بدايتك جعلتك عظيمًا في منتهاك بدايتك من نهايتك لا غير. أي ولي الله ها قد انتهينا في المقام لكنك تحن إلى بدايتك وما صدر منك. أي ولي الله لولا بدايتك لما عرفت قدر نهايتك.

كل ما أهنت في بدايتك كرُمْتَ في نهايتك أي سيد أي وصيف الأولياء ها أنت جالس على الحرير والديباج في نهايتك تربعت على محصول بدايتك.

ولولا غربتك الأولى وذلُّك ومرارتك وتشردك وجوعك وعطشك وسهرك وعزلتك لما خلع عليك تاج كرامته فجعلك سيدًا في الدارين.

إذْ حقيقة الهوان العز. وحقيقة الفقر الغنى. وحقيقة الذل الكبرياء. فاستمسك بالهوان والفقر والذل حتى تعز وتغنى وتتكبر.

هكذا بنيّ ليكن تحقُّقك في هذه الدار حتى تعز وتفتخر وتجني محصول ما زرعت.

أي وليَ الله ما رأيت أغنى من مهان ولا أغنى من مفتقر. ولا أكبر من ذليل. فكن كذلك بنيّ. في عكس الأمور فتنال مفاخرها. ألا ترى أن حال بداية رسول الله (ﷺ) كان الهوان والافتقار والذل فما لبث أن تحصل على كل عزيز وسامٍ.

لم أرَ أتعب وأحقر وأجوع وأعطش وأسهر وأعرى وأذل من أصحاب البدايات. ها هم سكارى تحت وطأة الاختبارات الإلهية حتى تتصفى الأعمال. وتتمحص السرائر. هذا العذاب قد صُبَّ عليهم صبًا والمجاهدات قد أفنت أجسادهم وأنهكت أبدانهم. فها هم عظم بلا لحم. قد يبست منهم الجلود. وتقطعت شعورهم ألا تراهم تحت الليل وهم يستغيثون من هول النفس والشيطان. ولا راد من يرحم؟ إله المستضعفين ارحمهم. أجرهم كما رحمت السابقين. هذا لسان الحال منهم ينشد:

ما حيلتي والعجز غاية قوتي   وأمري جميعًا تحت حكم المشيئة

ما أحلاه عذابهم. ما ألذه عند المليك. وما أرقه عند الرحمن. يحب أن يسمعه كثيرًا. لقوة اشتياقه إليهم أعظم من أهل الوصول. هم متعطشون إلى رؤياه وهو أعظم مما هم فيه من الشوق إليهم. يناديهم أن أسرعوا إليّ وتخلصوا فإني مشتاق إليكم كثيرًا. وهم لا يسمعون لحجابهم. فلو سمعوا لماتوا. وشقوا الحجاب غيرة من أنه حجبهم عنه. كل ما صدر منهم عنده مقبول الطاعة والمعصية سواء لكونهم خلصاء وإن لم يخلصوا بعد كلام فهم أعذب إليه ممن خلصوا حجاب قلوبهم. رقيقة أفئدتهم ولا حيلة لهم. من بقائهم في أسر البداية. ولولا الإهانة لما كانت المكانة فهم راحلون إلى مكانتهم. ولما دار بهم كأس الابتلاء واستولى عليهم سلطان المحن. فقد غابوا فيما هم فيه فلا وصول. إلا إذا رحم ربك. ولذلك خلقهم.

وكان القسم الإلهي في حضرة المكانة أن لا يعرف قدر المكانة إلا من دخل من الباب. وابتلى في بدايته. فلا ينتهي منتهٍ إلا إذا ابتدا. ولا يبتدي إلا إذا أهين وأذل. وهذا مرسوم إلهي سرى على الكل من النشأة حتى النفخة من نبي وولي فلا يفلت منه أحد كما أنه لا يدخل الجنة والنار إلا من مات.

كتاب
عروس القيامة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

سألني السائل: من هو عروس القيامة ولِمَ سمي عروس القيامة ولِمَ شبه بالعروس. وهل في القيامة عرس حتى يسمى بهذا الاسم وما خصائص هذا الاسم؟

فأجبنا: اعلم أن عروس القيامة هو نبينا محمد (ﷺ). وإنما سمي عروس القيامة لكون أهل القيامة كلهم متوجهين إليه. فلا يقوم ذلك الموقف إلا به ولا ينفض إلا ببركته حتى أن كبار أُولي العزم كلٌّ يقول: نفسي نفسي إلا هو فإنه يسأل عن مصير أمته. فكلٌّ ينوح على نفسه في ذلك الموقف العظيم إلا هو يقول: أمتي أمتي.

وكلٌّ كالمرأة الثكلى إلا هو فإنه العروس. أما سر تشبيهه بهذا الاسم فلما كانت الروح المحمدية هي أصل العوالم جملة. وهي أول مخلوق تعين ومن تشعبت التعيينات الأُولية به فقد صار هذا الروح أبا العوالم كيفًا وتمكينًا.

فهو في كل موقف عروس الأعيان. ومفاخر الرحمن. فهذا سر تشبيهه بالعروس وهذا لكونه أكمل خلق برز في الوجود الإنساني.

أما سؤاله: هل في القيامة عرس حتى يسمى بهذا الاسم؟ فالجواب: نعم.

إذْ كل أهل الموقف أعظمهم محمد وخاصته وأصحابه فهم أول من يدخل الجنة. وأول من يقرع باب الجنة. تدخل خاصة أمته الجنة بلا حساب. ولا يدرون من أهوال الموقف شيئًا أصلًا. لا ميزان ولا صراط ولا نقاش ولا كتاب. بل الموقف أضغاث أحلام يمر بهم. أما الكافر فموقفه خمسون ألف سنة يرى فيه من الأهوال ما لا يعد ولا يحصى.

فهذه الأمة المحمدية ملوك الآخرة الذين يعمر بهم عرس القيامة.

أما خصائص اسم العروس. فكون الروح المحمدي صاحب المقام المحمود في ذلك اليوم. وأول من ينشق عنه القبر.

وصاحب الشفاعة العظمى ولا قول يقبل في ذاك اليوم إلا قوله وكونه عليه السلام على منبر التفرد في ذاك اليوم. عرف الخلق كلهم قدره. وكون أصحابه على منابر من نور في ظل العرش. وكون أهل القيامة مستغيثين به من أهوالها. وكونه صاحب الحوض المورود وهذا اختص به دون غيره. وكونه أول من يقرع باب الجنة ويدخلها ويقول له خادمها: بك أمرت. وكونه (ﷺ) أُعطي نهر الكوثر وأُعطي أعلى مراتب النعيم هو وأصحابه.

وكون أصحابه عليه السلام كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. وكونه (ﷺ) يتوجّه به أهل العزم والمرسلون إلى ربهم ولا يقدر على هذا إلا هو. فهذا يا ولي شيء من خصائص هذا الاسم العرس القيامي.

كتاب
شرف الخرقة

الحمدلله الذي جعل شرف القوم من شرف الخرقة المحمدية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن القوم جعل شرفهم في الخرقة. فهي المدد الجاري المعنوي الذي وصلهم عن روح الوجود قدس روحه وسره. إذْ ليس الخرقة رمز اللبس بل من رمز المدد الساري إليهم عن رسول الله (ﷺ).

وأخذوا هذا مسلسلًا عن رسول الله (ﷺ). وهو مروي في كتب القوم.

وكان شعار خرقتهم الافتقار إليه (ﷺ) في المدد المنبعث منه.

وكان شعاره عليه السلام الافتقار الكلي إلى الحق تعالى. فقال: اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين. فكان شعار الخرقة الافتقار الكلي إلى الجناب الإلهي حسًا ومعنًا. فحوت الخرقة من أسرار الافتقار ما يدهش الألباب. وكان من شرف القوم أن حفظوا هذا المدد الجاري بالقبضة المعبر عنها بالمصافحة. التي تنقل أسرارها باللمس. فتنقل أسرار المشارب باللمس التصافحي الساري في العروق. ولا تختلط المشارب. بل كل مشرب معزول عن الآخر. وهذا حفظوه باللمس المعبر عنه بالخرقة. وظن الجاهل المحجوب أن خرقتهم ما هي إلا قماش حسّي لا تنقل معها من أسرار الوجود ما يذهل وهذا وهم. الدعاء

ولم يعلموا أنها أصل من أصول السنة المحمدية.

ثبت في السنة أن النبي عليه السلام ألقى بردته على كعب بن زهير. حتى بيعت من بعده إلى الخلفاء بمبالغ باهظة.

فهذا أصل الخرقة في السنة المحمدية. وقد بينا أصلها في السنة. فثبت شرف القوم بها. فمن ينكره؟ وقد ثبت شرفهم أعظم في أنه (ﷺ) أخذ شرف الخرقة عن الحق تعالى ليلة المعراج. لما قال له: السلام عليك أيها النبي.

فقال مجيبًا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فكانت أمانة إيصال السر في الخرقة في عنق رسول الله (ﷺ). فوجب عليه أن يبلغه إلى كل صالح من أمته. لذا قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وظل القوم يتناقلون أسرار الخرقة باللمس وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. والجاهل في سبات عما حواه باطن الخرقة من أسرار تجل عن الوصف.

كتاب
قانون المشيئة الإلهية

الحمدلله الذي تولّى عباده الصالحين فأصلح شأنهم. وأعزهم بعزه. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

اعلم يا ولي أنَّ الكلّ تحت هذا القانون خاضعون. فلم يكن لهم إلا ما أراده هو. ولم يكن يجري لهم ما أرادوه هم.

وجرت المشيئة متعلقة بعلم الميقات. فربط كل قدر بوقت لا يتحقق إلا فيه هذا المقدور لا غير. ولو قامت الدنيا وقعدت فلا يتقدم ولا يتأخر مقدور عن ميقاته.

وكان النسخ الإلهي من الرحمات الإلهية المنبعثة على الخلق. فقيل قديمًا في الحضرة: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها﴾. وهذا العلم تعلق بأم الكتاب الذي هو مجرى النسخ القديم المبدل بالجديد.

وسرت المشيئة على المتعلق أزلًا. وجرى هذا على أكابر أهل المعرفة المطالعين لقضايا اللوح ببصائرهم فلا يخرجون عن إرادات الحق تعالى فيهم أو في شؤون مريديهم. فلا حكم لهم بل الحكم لله.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره إذا قيل له: أتأمر بشيء؟ قال: الأمر لله. وهذا لمطالعته لسلطان اللوح وعلمه أن علمه غير خارج عنه.

وعلى هذا جرى أن علم الكامل هو علم الحق تعالى لكونه لا يخالف الحق تعالى قط في قدره.

أي ولي ليكن أمرك من أمره. ولا تكن خارجًا عن سلطانه تعالى. فبهذا تكون عبدًا ربانيًا خالصًا.

فحينذاك أنت عبده حقًا لا غير. أي ولي لا تخالف مولاك في شيء فتهلك أي ولي ارضَ بحكمه فيك. فمهما رأيت من ظاهره فهو الخير المحض إن شاء الله لكنها اختبارات مولاك. هكذا أنت مقام فيها.

أي حببي تأدب في حضرة مولاك فلو طالعت الغيب لما اخترت سوى ما أنت فيه حرام عليك في مقام اليقين أن لا ترضى بحكمه. وهو يحبك أكثر منك. أي خلي دع الظنون. وتابع رضا مولاك في المشيئة.

كن كالفتى إسماعيل لما قال: ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾.

كتاب
الرحيق في أسرار أبي بكر الصدِّيق

الحمدلله رب العالمين الذي اصطفى محمدًا وجعل أصحابه سادات العالمين وملوك الآخرة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) وبعد.

فإن مقام الصديق الأكبر والصاحب الأشهر سيدي أبي بكر الصديق قدس سره لا يعلمه إلا أكابر أهل التحقيق والذوق الرفيع من سادات الذوق الرائق الفائق.

فمن عجائب مقامه كونه صاحب السر الذي وقر في صدره. وفاق به وفضل جميع الأصحاب فقال فيه رسول الله (ﷺ): ما فضلكم أبو بكر إلا بشيء قد وقر في صدره.

فالذي وقر في صدره السر اليقيني البصائري الذي خلف به رسول الله (ﷺ) في أمته. فكان من بعد خير سلف له. فهو أحد الإمامين لروح الوجود. ومن عجائب مقامه كون النبي (ﷺ) قبل ماله كله منه ولم يقبل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه سوى نصف ماله.

فقال: ما تركت لأهلك يا أبا بكر فقال تركت لهم الله ورسوله. والمعنى ترك اليقين كله.

ومن عجائب مقامه رضي الله عنه أنه صاحب الخلة. فهو الخليل بحق لنبينا. صلى الله عليه وسلم. ومقام الخلة رفيع لا يناله إلا واحد في كل زمان.

وهو على قدم إبراهيم الخليل وعلى قدم الصديق أبي بكر.

ومن عجائب مقامه كونه صاحب الإرث الكامل. إذ هو الوارث الكامل لصاحبه رسول الله (ﷺ) في هذا الشأن.

ومن عجائب مقامه كونه أول خليفة يحكم في الظاهر والباطن بعد رسول الله (ﷺ).

ومن عجائب مقامه كونه أكثر القوم حبًا لنبي الله عليه السلام. وأكثرهم مرافقة له.

ومن عجائب مقامه النادرة كونه أصدقهم لعجائب النبي. وأثبتهم في مقام النبوة ألا ترى القوم كذبوه لما حكى لهم أنه أسرى به وعرج إلا هو فقال: هذا قليل عليك يا نبي الله فإن الخبر يأتيك من السماء في أقل من طرفة عين. فوالذي نفسي بيده لو قلت أكثر من هذا لصدقتك.

وهذا سره يا ولي سر الصديقين الذي جلت مقاماتهم وسمت صفات معادنهم. فلا يعلم مخلوق بمعدن صدقهم.

إذ اختص الصديق بمواقف الشدائد المعنوية رضي الله عنه. وهذه وظيفته الباطنة في مملكة الصحابة.

وهذا المقام يحركه اليقين المتحقق في عين اليقين.

فلا يفصل في مواقف الجد إلا هؤلاء الأقطاب أهل الملامة الذين هم على قدم هذا الصديق الأكبر.

فرأيته في حروب الردة كسر شوكة الشيطان وأمات بدعة إبليس في الجزيرة العربية وتراه يطفيء فتن النفوس بماله.

وتراه يهدأ النفس المتعبة بالمال الكثير وما تريده ظاهرًا. وهذا سر صاحب هذا المقام. ومن هؤلاء عثمان الذي كان يجهز الجيوش والمسلمون في أمس

الحاجة إلى المال. فيطمئن هذا القطب أهل القلوب بتجلي الستر على أهل الإيمان.

فهؤلاء حقًا هم خاصة الله في أرضه أقامهم لينفقوا عنه من مال الله في أرض الله كي يسدوا الرمق ويستروا أهل الحق من الافتضاح بالتذلل لغيرهم.

أما المغالطة البكر فهي أعجب. تراه يغالط النفس فيقول: والله لو كانت إحدى رجليّ داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله.

فما سر هذه المغالطة يا ولي. وقطب هذا المقام ملاحظ لمقامه في الجنة. فكيف يغالط ويدعى خلاف المقام؟.

فهذه صفة أهل الملامة لعمري الذي يحسنون في الباطن ولا إحسان في الظاهر ويتقون في الباطن ويظن بهم العكس في الظاهر.

وينفقون في السر ويدعون الفقر ظاهرًا فما أعجب أسرار هؤلاء السادة المتقين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

كتاب
قانون الاصطفاء الإلهي

الحمدلله الذي اصطفى عباده أهل الصفا وجعلهم من أهل الوفا. وصلاة وسلام، على سيدنا محمد على آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ للحق تعالى قومًا اصطفاهم من قديم الأزل أحبهم وعينهم بأسمائهم في أم الكتاب. وأبى أن يستبدلهم بغيرهم. فهؤلاء لعمري هم أهل الاصطفاء القديم الذين زالت عنهم رسوم المظاهر قد اختفوا في لجة الغيرة الإلهية. حجبهم الحق تعالى عن أهل الرسوم وقيد صفتهم من الشهرة. إلا إذا شاء ربك.

قيل: يا حكيم من هم أهل الاصطفاء الحق؟ قلنا: هم المختارون من نبي وولي.

وظن ظان أن أهل الاصطفاء هم أصحاب النبوة لا غير دون الولي. وهذا غلط جسيم. فالصفوة كانت من عامة الملائكة والناس. قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس﴾.

أما اختصاص صفة الاصطفاء بقالب متعين فممنوع. فخلع الاصطفاء عن النسب والحسب والجاه والمال. فلا يشترط أن يكون ابن النبي نبيًا. ولا يشترط أن كل شريف يكون من أهل الاصطفاء. ولا يشترط أن يكون الاصطفاء محصورًا في أهل المال والحسب. بل قد يكون في أهل الفقر أكبر. أي ولي

الحق وهذا من عجائب التصاديق الإلهية كونه تعالى لم يلزم بأمر بل هو الغالب على الخلق.

يخلف القواعد فيجعل ابن النبي كافرًا وأبا النبي كافرًا وعمه عدوه وزوجه تؤذيه وتكفر به. فلا يلزم الحق تعالى بلوازم في شؤونه بل يقدر على الاصطفاء والقبول. والرضا بما صدر في الحكم.

ألا ترى أن نوح المصطفى لما كفر به ابنه قال: ﴿رب إن ابني من أهلي﴾ فقيل له من حضرة المكانة: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.

وهذا كمثل القطب الذي نظر في اللوح فرأى أن القطب الذي سيأتي من بعده ليس ابنه فَهَمَّ ليدعو أن يجعل القطب ابنه فقيل له: لن تقبل لك دعوة.

فهذا سر اصفياء الله يا ولي الله. خالف الحق تعالى في قانون الاصطفاء المظاهر بهم والقوانين فلا يدري أين يكون صفي الحق؟ في أي بلد وفي أي صقع ومن أي جنس؟ وهذا العجب.

روينا أن صالح الجعفري كان يعظ في الجامع الأزهر فقال: أتدرون من القطب الآن إنه بائع طعمية.

وقد رأينا قطب الزمان رجلًا من العبيد في رؤيا منامية. فاعجب يا أخي من حقيقة الاصطفاء وذلك لكون الحق تعالى يجعله أينما شاء ولا راد لحكمه.

وهذا سره وضعه في الخلق فمن يعترض؟

حكي أن شيخنا أحمد التجاني قدس سره مات له خليفة فقال: اذهبوا إلى فلان قاطع الطريق فقد جعلته الخليفة فتعجبوا أو أنكروا باطنًا لكون حاله على غير الصلاح. فما وصلوا إليه حتى وجدوه تائبًا. فانظر سر المفردين الاصفياء أين وضعهم الحق تعالى. وكيف كانوا وكيف أصبحوا.

كتاب
فضل الشيخ على المريد

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فإن فضلَ الشيخ على المريد عظيم، لا يكنى عند أهل العرفان. إذْ لولا الشيوخ لما كان واحد من أهل الإرادة ظهر وبدا شأنه كما أنه لولا الوالد الطيني لما خلق الابن.

وظل دومًا فضل الشيخ على المريد بعد الوصول. فلا يعلو الشيخ الواصل مريده مهما بلغ شأن المريد.

وهذه قاعدة متحققة عند أهل البصائر ويجوز للمريد أن يعلو مقام الشيخ بعد ممات الشيخ. أما في حياته فغير متحقق حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فهذا سر فضل الشيخ على المريد وكونه تعب في تربيته وجاهد حتى أوصله إلى معالي الأمور.

ورأينا من أهل الذوق العارفين من يدعو لشيخه أن يجعل الله مقامه في الآخرة أعلى من مقامه حتى لا يرى شيخه في موضع أقل وهو أرفع منه.

فما أسمى هذا التحقق الخلقي وأهله. فكان الشأن أن يلحق بالصالحين ذراريهم وأن يلحق بالمشايخ مريديهم. أو بالمريد شيخه إذا علاه في الرتبة من بعد موته.

واعلم أني أستحي من كل شيخ لي علمني حرفًا في سلوكي إلى الله. أستحي منه حياء لا تقوى السموات على حمله.

فكل حرف تعلمه المريد من شيخه لا تعد له مثل أطباق السموات والأرض من عمل المريد.

لكون الشيخ انصبغ بأعمال القلب التي خفيت عن المريد فلا يعلم من نعتها شيئًا بل الغالب على أهل الإرادة التقرب بالقربات الظاهرة المكشوفة.

أما سلوك الشيخ فهو مُخْيٍ للمريد لانعدام المناسبة بينه وبين مقام الشيخ فهنالك بعد موت الشيخ يدرك المريد الصادق أسرار أستاذه فيتحسر على ما فات. ذلك المقام الذي لم يفقه معناه وهو غض والآن ها هو تذوقه بعد فوات الألوان. فآه ثم آه ثم آه.

فكيف يدّعي مريد مقام الشيخ في حياته فهذا لا يجوز كما قلنا حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فاعلم أيها الولي الصغير الغض أنه لا تطاول لك على الولي الكبير ما دام حيًا. فاجعل له حرمته الوافرة. حتى توقر أنت إذا وليت مكانه. والسلام.

كتاب
احياء المناسبات
لتشريف لابسي المرقعات

الحمد لله الذي شرف القوم بافتقارهم إليه. فهم في غنى سرمدي بحضرته. وفي مجد أزلي بقربته.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن داعي الهوى أضحى يناديني أن أصنف للقوم مصنفًا في شرف المرقعات.

فاستخرت الحق تعالى في ذلك فلاحظت منه أنباء القبول فبادرت بالترحاب على الرأس والعين.

والمرقعة في اللغة هي الثياب التي ترقع بقطع من القماش وتختلف ألوانها وقد لا تختلف. فاعلم ولي الله أن القوم لهم مقامات في لبس المرقعات تتعدد حسيًا لكل مقام هم فيه.

فمنهم من يرتدي المرقعة وباطن مقامه الغنى الكامل فهو الغني عن مدّ يده إلى مخلوق أو التعوذ إلى حي سوى مولاه.

ومنهم من يجعل المرقعة حجابًا للخلق حتى لا يطلعوا على حقيقة مقامه.

ومنهم من يرتدي المرقعة افتقارًا إلى المولى. فيصبح الافتقار حسًا ومعنى.

ومنهم من يرتدي المرقعة افتخارًا على أهل الظاهر بكونه أقام شعار القوم بينهم وحفظه من الاندثار.

ومنهم من يرتدي المرقعة إحياءً لسنة النبي (ﷺ) ولسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

روي عنه (ﷺ) أنه كان يرقع الثوب ويخصف النعل.

وروي أنه كان بثياب عمر نيف وعشرون رقعة.

ومنهم من يرتدي المرقعات ادعاءً للجنون لستر حقيقة حاله عن الخلق.

ومن أصحاب هذا المقام سمنون بن حمزة الخواص.

كان يرتدي المرقعات ويدَّعي الجنون. ومنهم سعدون وبهلول.

ومنهم من يرتدي المرقعات زهدًا في الدنيا وتطليقًا لها.

وكان على هذا القدم أبو الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

حكي عنه قوله: يا دنيا غرِّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا.

ومنهم من يرتدي المرقعات فرارًا بدينه من الناس عملًا بقول الشارع (ﷺ): وَفِرَّ بدينك كفرارك من الأسد.

ومنهم من يرتدي المرقعات غيرة على أسرار القوم وكشفها ومنعًا لتسرب رموزهم ومواجيدهم وفرائد أحوالهم.

فيحجبهم بظاهره عن حقائق القوم.

ومنهم من يرتدي المرقعات لكي ينتقص ويشتم من قبل الناس فيأخذ الحسنات في كتابه. وهذا سر مذهب أهل الملامة الذين يبدون بخلاف ما في باطنهم.

فينتقصهم الخلق ويشتمونهم ويرمونهم بالفظائع وهم بخلاف هذا.

كتاب
قانون القهر الإلهي

الحمد لله الذي تولى عباده الصالحين فنعم المولى ونعم النصير وصلاة سرمدية على غوث الوجود وفتاه محمد بن عبدالله وعلى الآل والصحب أجمعين.

وبعد

اعلم بُنَيَّ أنك لما سألتني عن القهر الإلهي ما كنهه وما مبادؤه وما غاياته؟

أجبت: اعلم أن الكل مقهور تحت وطأة الحقوق الإلهية. وذلك لقيامهم به وعدم خروجهم عن هذا المجال.

فهم أسرى هواه وعبيد نداه.

لا إرادة لهم إلا ما ارتضاه.

فكنه القهر المكانة وقتال الحق عنها بسيوف الغيرة الحداد في رقاب العدى.

فهذا حقيقة كنه القهر.

أما مبادئ القهر فقوله تعالى: **﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**.

أتسأله عن قهره فذاك عيب الأدب يا بني.

ما أقامك إلا لقهرك فلا تسأله ما ليس لك به علم.

قيل في الحضرة لنوح: **﴿لا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن**

تكون من الجاهلين﴾ وقيل في الحضرة لنبينا: ﴿ولا تقفَ ما ليس لك به علم﴾.

فالباحث عن كنه ذلك القهر ومبادئه متحير ليس له إلا ما ظهر وقد شرحناه لك.

فأقامهم الحق تعالى عبادًا له جذبهم بأنوار قهره. فإن كانوا ربانيين تركوا الاعتراضات عليه.

وقالوا: الخير ما نحن فيه لا غير لكونه ارتضى لنا ما نحن فيه.

ولم يبحثوا عن غاية هذا القهر وإلى متى يطول وقته؟

وهذا من المقام الأيوبي الذي ظل فيه أيوب عليه السلام سنين لا يعترض فلما علم منه صحة المقام أبرأه وشفاه وخلع عليه سوابغ رضاه؟

ولا معنى لمن بحث عن حقيقة أسرار القهر إلا أكابر المفردين ويكتمون هذا العلم الذي لو صرحوا بنقطة منه لقتلوا غيرة من الحق تعالى على أسرار ذاته الشريف.

ولما قهر الحق تعالى القوم لم يلبث ان أعزهم بعزه. لأدبهم معه وصبرهم على إرادته. فحق له أن يجعلهم سادات المعرفة وشيوخ المقامات الراسخين في مهمات المعضلات.

كتاب

اللؤلؤ والمرجان

في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

وبعد

قال القائل: ما سر الزمن المحمدي؟

قال العارف المحقق: الزمن المحمدي خير زمن بزغ إلى شاشة الوجود الإلهي.

وكان هذا الزمن قدره ثلاثًا وستين سنة.

ما أقصره من زمن وما أبركه من زمن والزمن الحياتي أوجد للخلق وما ينبغي في حق الاله تعالى.

إذ أن الكمالات الإلهية انخلعت عن أوصاف الزمن لكون الزمن محدثًا وهي قديمة.

فأعطيت أزلًا كل نفس نصيبها من الزمن الذي هي ستحاسب عليه.

فتحدد وقت كل نسمة بقالب الزمن فافهم. فرأى الحق عز وجل قصورًا في الوقت وغبنًا في هذه النعمة. ومن ثم أنعم الحق على الناس بظهور الزمن المحمدي وعلامته ابتعاث هذا النبي عليه السلام.

ولما ابتعث فقد تعين زمنه.

وحلت بركة زمنه على أهل هذا الزمان لذا عبر أبو القاسم (ﷺ) عن هذا السر بقوله: نعمتان مغبون فيهما أكثر الناس الصحة والفراغ.

وكان من خصائص هذا الزمن اختصار الأعمال وقيام الثواب عليها كالتي مرت وبوقت أقصر. فخفض عدد الصلاة ليلة الإسراء والمعراج من خمسين إلى خمس صلوات.

وأعطيت أمته عليه السلام ثواب الخمسين بالخمس.

فانظر يا ولي فضل هذا الزمن على سائر الأزمان.

ومن ذلك جعل الحق تعالى ليلة القدر خيرًا من ألف شهر.

فكان المقام المحمدي بألف مما سواه وزمنه يعدل ألف زمن من أصلح زمن فيمن سواه.

وجعل زمن التوبة أقصر من زمن التوبة في زمن الأنبياء السابقين كموسى وعيسى وإبراهيم. عليهم السلام.

فكان الرجل من أمة النبي غير نبينا عليه السلام إذا أراد التوبة استغرق وقتًا طويلًا وجهدًا شاقًا حتى يتوب فعليه قتل نفسه وإلا انعدمت توبته ولم تصح له توبة أما الزمن المحمدي فتوبته عقد النية على التوبة. فما أقصره من زمن ما أطول بركته.

فهذا لعمري يا ولي الله سر المقام المحمدي الفريد الذي قصّر مراحل الثواب فيقطعها الرجل من أمته في خطوة أو خطوتين وبهذا الذوق عبرت البصيرة المحمدية بقولها: (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين).

وصدر على قدم نبيهم قصرت أعمارهم وطال ثواب زمانهم.

كتاب
رفع الملامة
عن قتال الحق عز وجل عن المكانة

الحمد لله العلي الأعلى المتعالي بتفرده عن كل نقيصة. والصلاة والسلام على فتى الوجود وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

كان الله ولا شيء معه وأقام الكائنات ووهبها كل سبب. من أسباب مجده وعزه.

في أي أسباب من أسبابها تبحث عن حقيقة مكانته.

ولب تلك الأسباب رؤيته تعالى لخلق تطاولوا إلى مكانته. فمنهم فرعون القائل: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامانِ على الطين فاجعل لي صرحًا لعلي أطلع إلى إله موسى﴾.

ومنهم نمرود القائل: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ فقام الحق تعالى مدافعًا عن مكانته بسيوف حداد قطع بها رؤوس أهل الدعاوى الزائفة.

وسر هذا المنازع الذي نازع الحق في ادعاء شيء من مكانته أنه كلب أخزاه الحق تعالى وأضله قتله الحق تعالى بسيف غيرته.

ومن ثم دافع الحق تعالى أهل اليقين عن مكانته وهذا ذوقه أعجب وأغرب إذ أنَّ أهل اليقين لما تذوقوا من عسيلة المعرفة قطرة أدمنوا هذه المعرفة

فاستشرى أمرهم. واستفحل رسولهم. فطلبوا الاطلاع على مكانة الحق تعالى فما لبث أن قاتلهم بسيف الغيرة فصدهم عن حماه. فعظم عليهم الخطب وذاقوا محن هذا المقام وجن جنونهم.

ولا راد لحكمه.

أي ولي ألا تنظر إلى الفتى موسى عليه السلام طلب الرؤيا فقال: رب أرني أنظر إليك.

فما كان من صاحب المكانة إلا أن صده صدودًا كاد يتلف الفتى.

فما لبث أن تاب وقال: تبت إليك.

فهذا يا فتى سر جنونهم في المعرفة. فلا لوم على الحق تعالى. أسيدافع عن حماه. فلا يسأل فهم يسألون.

أي ولي هذه سيوف الغيرة قائمة في كل طرفة عين تغمد في لحوم المقتربين من أسوار المكانة. فلا تكن ممن يقرب هذا السور فتهلك مع الهالكين.

هذا الحق تعالى يهلك الكل من أجل مكانته ولا يبالي. فلا شيء عنده أعني من تلك المكانة الرفيعة. فتأدب واحتشم مع مولاك.

قانون
تداخل المقامات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود واللواء المعقود سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه.

وبعد

فإن المقامات الإلهية لها تداخلات عجيبة. ويلحق بها مقامات البشر وصفات الحق جل وعلا.

وهذا التداخل العجيب أتى من أصل أرومة الصفات وهي الاسم الله الذي أصل الصفات تحت وطأته فإذا قيل هو الله تاهت الصفات في الهوية وجهل القدر لقوة المعنى المتجلى به من تحت حيطة هذا الاسم الله.

فكان المقام الإنساني تابعًا لمقام الحق تعالى في هذا الشأن له من التداخلات شئوون.

وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى تكملة الفتوحات المكية.

والمتداخل هو المتقارب دون المتناثر فكان من جلائل الاقتدار وبديعه أن تداخلت الصفة وتجمعت جملة واحدة فلا تلبث في تقارب حتى تنفى إلى نقطة الكمال المطلق. فترى ذلك الكمال نقطة بعيدة لا غير.

قد تشعبت منها الكمالات والصفات فدل الدليل على سر الوحدانية المطلقة والكمال المطلق.

فلا تعدد ولا تفرق في ذاك النظام الإلهي البديع.

وهذا السر سارٍ في الأعيان الإلهية الاختصاصية التي ميزها الحق تعالى بمجده القديم.

فإذا كمل رجل من الآدميين فقد تجمع فيه قدر من الكمالات الإلهية لكون كمالات الحق تعالى لا تجمع في مخلوق قط.

ويدل الدليل على انتهاء الكمال إلى نقطة في الادمية.

وهو المقام الاسمي الذي حوى تحته كل معاني الخصال التي حازها ذلك الكامل لا غير.

فإن كان قطبًا فإن كمالاته تخضع لمقام القطبانية. ومن ثم يتربع على عرش هذا المقام وتحته المحامد التي حازها خاضعة له بأسرها وهذا ما يعبر القوم عنه بلفظ التمكين. فهناك هناك يكون الرجل متمكنًا في مقامه أسدًا يجول ويصول. الحكم له لا غير.

وهذا الذوق يكون كشفًا محضًا أو ذوقًا محضًا بلا كشف أو قد يكون كشفًا وذوقًا معًا.

ودل عالم الخيال وعالم الجنان وعالم النار وعالم الأجسام وعالم الجوهر على سر هذا التداخل لا غير. فترى العوالم تداخلت في بعضها بلا انفصال ومن ثم دل الدليل على ثبوت المعية في كل مكان بلا كيف.

كتاب
قانون ترك المقامات

الحمد لله صاحب المقام الأسمى والعز الأقوى.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن أصحاب المقام تركوه حياء من المتصرف. ففاقوا من لزم المقام.

فمقام الحياء ومقام ترك الحياء.

وعندهم مقام المحبة ومقام ترك المحبة.

وعندهم مقام المراقبة ومقام ترك المراقبة.

وعندهم مقام التوبة ومقام ترك التوبة.

وعندهم مقام الأدب ومقام ترك الأدب.

ومقام الفقر ومقام ترك الفقر.

ومقام الغنى ومقام ترك الغنى.

وعندهم مقام اليقين ومقام ترك اليقين.

ومقام التوكل ومقام ترك التوكل.

فراح القوم وخلعوا عذار المقام وحجابه.

قيل: يا حكيم القوم ولسان المتكلمين كيف خلع القوم المقام؟

أجبنا: بأنهم لو لم يستمسكوا بالمقام لما خلعوا عين المقام.

وهذا لمن طلب الحقيقة ووجب عليه دخول هذا الباب بالشريعة أولًا وإلا فلن يدخل عملًا بقول الحق تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

فكيف يخلع إلا من ولج. فافهم.

فلما لزم القوم المقام وفتشوا عن أسراره أعجبوا به وأصابهم ذهول الوصول فمنهم من خلع المقام وتركه تجردًا لله عنه. وقام على مقام التجريد لله تعالى لا غير. ومنهم من استمسك وظل قطبًا في مقامه.

وحقيقة هذا الترك المقامي من الكتاب قوله تعالى لنبيه (ﷺ): ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

وكذا قوله تعالى لنبيه: ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

فوضح الرب عز وجل حقيقة القائم بالمقام والتارك له.

فجمع ذلك لرسول الله (ﷺ) في آن واحد. الإنذار وعدمه والاستغفار وعدمه فكان رسولنا عليه السلام إمامًا جامعًا لكلا المقامين.

ويستوي الإنذار في حقه (ﷺ) وعدمه.

لكونه مقامًا في هذا الشأن.

ولما كان أهل البدايات محجوبين عن حقيقة المقام فلم يصح لهم تركه. بل صح لهم التعرف عليه أولًا ومن ثم فليتركوه إن شاءوا.

وهذا كمن ذاق العسل ثم رأى ذوقه فيه فتلذذ به أو تركه جملة.

وإلا فكيف يحكم عليه بغير ذوق.

والإمام الجامع لكلا الحالين كنبينا عليه السلام يستوي منه الفعل سواء أقامه أم تركه.

لكون المقام وتركه قد جمعا له وتمكن في هذا الشأن. فافهم.

ولما وصل القوم إلى هذا الذوق الفريد نسوا أنفسهم. لكون الحكم حكمهم والأمر أمرهم ولله فإن شاءوا أقاموا المقامات وإن شاءوا خلعوها تركًا لها.

ومن هذا فعل المشرع فعلين. في القيام بأمر وتركه كلبسه للون الأحمر.

وكتركه له.

ومثال ذلك شربه قائمًا

ومثاله تركه له أحيانًا.

ومثاله تبوّله قائمًا

ومثاله تركه له.

ومثاله مس الذكر وقوله: إنه بضعة من الجسم.

ومثاله تركه لهذا الأمر لكونه ينقض الطهارة.

فكل أمر أقامه المشرع وتركه كان من عين هذا المقام في القيام به وتركه ولا يصلح حال القطب المتصرف في هذا الشأن إلا بكونه يرفع ويخفض ويقبض ويبسط فمقامه قول الحق تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

فحال هذا الولي الذوق وإعطاؤه المنازلات الإلهية حقوقها.

وهكذا كنبينا عليه السلام لما أتاه آت فرخص له أن يقبل ويباشر وهو صائم.

وأتاه آخر فلم يأذن له في التقبيل والمباشرة في الصوم.

فلما سئل عن هذا الأمر؟

أخبرهم بأن الأول شيخ يأمن الفتنة والثاني شاب لا يأمن.

فانظر حقيقة الذوق في هذا المقام البديع يا ولي الله.

ولما غلب حياء القوم عليهم فقد استحيوا من الحق تعالى أن يشاركوه في المقام.

فقد أجمعوا أي أصحاب هذا المقام أن المقامات مجموعة كلها للحق تعالى فكيف تكون لهم مشاركة معه في شئونه فتركوا الحق تعالى يتصرف عنهم وإن وهبهم مقام التصرف.

فاعجب يا ولي من هؤلاء الفتية كيف رقوا إلى الدرجات العلى بقهرهم لمقاماتهم وتركها للحق تعالى كي يتصرف لهم فيها.

ومن ثم استحيا الحق تعالى من هؤلاء فأعطاهم قدرهم وزيادة. حياء منهم. كما استحيوا منه.

فقيل لهم في الحضرة: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

وما عرف قدر هؤلاء إلا الحق تعالى فما قدرهم قدرهم سواه.

أولئك الأخفياء المفردون المجهولون إذا قالوا لا يسمع لهم.

وإذا خطبوا لم ينكحوا.

وإذا نصحوا لم يؤبه لنصحهم.

وإذا ماتوا لم يشيعوا.

وإذا عطسوا لم يشمتوا.

وإذا سلموا لم يرد عليهم.

وإذا مرضوا لم يعادوا.

فأين ديار هؤلاء يا ولي دلني عليها حتى أهتدي إليها فألتمس خبرهم؟

أين أولئك السادة التاركون للكل فيما سوى الحق تعالى؟.

أين التاركون للمحاسن سوى محاسن الحق تعالى شأنه؟

ما أعظم دلال أولئك على ربهم. وما أكرم فضلهم على مولاهم.

تركوا فتركهم الحق تعالى يأخذون ثوابهم بأيديهم ولا كيل ولا ميزان ولا حساب ولا كتاب ولا صراط.

أي ولي الحق أتحفك الله بعزه وأحيا فؤادك يوم تموت النفوس. هل تركت السقام والذنوب حتى تترك المقامات الصالحات والأحوال العاليات؟.

أين أنت من هذا الذوق العالي والفن السامي؟

هل علمت سر القائم بحق المقام والتارك له؟

قال القائل: هل يترك الحق تعالى المقام ويقيمه كما يقع في حق الخلق؟

أجبنا: يترك ويقيم في التجليات والتنازلات ولا يقع هذا في حق المكانة.

إذْ لولا تركه وإقامته لعيون المقامات لما عرفناه ولبقي مجهولًا في عماء الغيرة سبحانه وتعالى عما يشركون.

فأنزل إلينا كلامه المسمى بالقرآن تنازلًا منه لنا حتى يقضي أمرًا كان مفعولًا. ولولا تنازله سبحانه لما عرفنا كلامه مطلقًا.

وتنازل الإله فأعطى أقدارًا من صفاته وأسمائه للمخلوقات فتخلقوا بها.

فتخلق العبد باسمه القيوم تنازلًا منه للعباد أن يتخلقوا بهذه الصفة.

ومن ثم تخلق بمجموع المحامد الربانية العبد الرباني كاسمه الرحمن والودود والكريم والمنعم والكبير والصادق والمحيي والمميت.

أما المكانة فما كان للحق تعالى أن يترك فيها مقامه قط. لكون المقامات قد انجمعت في عين كماله.

بل قائم في مكانته لا يترك مثقال حبة خردل لمخلوق أن يدعيها من عين تلك المكانة وإلا عودي وقتل بسيوف الغيرة.

كتاب
الأمجاد الحافلة
بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة

الحمد لله المتجلي على العباد بالرحمات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فليس كل ضروب الغيرة محمودًا فمنها المحمود وذاك قول أبي القاسم ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين) الحديث.

ومن هذا الباب كانت الغيرة الإلهية كلها محمودة.

إذ ما يصح للحق تعالى أن يقع منه شيء غير محمود. فحاشا له ذلك.

والمحمود من غيرة الإله سبحانه وتعالى. منه القاتل ومنه غير ذلك. السلمي. الذي فيه سلام فالذي لا يقتل أخذناه من قوله ﷺ: (إن الله يغار وغيرته أن يأتي عبده ما حرم).

أما الغيرة القاتلة فسندنا إليها قوله تعالى في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار ولا أبالي).

رواه مسلم عن أبي هريرة.

وكل حديث وقع فيه قول النبي عليه السلام: (اشتد غضب الله على كل) فهو من باب الغيرة القاتلة.

قيل: وما حقيقة هذه الغيرة القاتلة؟

أجبنا : أن الغيرة حجاب حجبهم به من الوصول إلى حقيقته ؟

فإذا تطفل متطفل على ما جل من أسرار الذات وأراد معرفة مالا يجوز معرفته أو كشف عن هذه المعاني شيئًا تسلط عليه سيف الغيرة القاتل فاقتص منه .

ومن هذا المعنى ذهب المشرع ونبهنا إلى هذا الباب بقوله: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله. أخرجه مسلم فرحم الخلق من التطفل على شيء قد يكون فيه هلاكهم.

أي ولي الله وصفيه في أرضه وخليفته في وطنه ومملكته: مقام الغيرة القاتلة آيته من الكتاب قوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ .

فالصواعق غيرته القاتلة حالًا وعاجلًا .

أما سر المجادل في الله فهو المتطفل الباحث فيما لا يعنيه من أسرار تلك الغيرة فما أصابه إلا الهلاك العاجل. والتبار القاتل. أي ولي احتجب عنهم بسبحات الغيرة التي لو سلطها طرفة عين لأهلكت العوالم ولا تبالي.

فحجابه تعالى نور الغيرة. فلا تبحث بنيَّ فيما لا يعنيك يصلك ما لا يرضيك.

وذهب المشرع وقال لهم بلسان الحضرة: ﴿لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ .

وانظر إلى موسى الفتى الولي الذي نبش في حجاب الغيرة فما أصابه سوى الصعق فلما أفاق قال: ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المسلمين﴾ .

فما أصاب من نبش في هذا المقام سوى نيران الغيرة التي يؤدب بها الحق تعالى ذلك النابش وقيل: تسؤكم. أي لا تنبشوا عن هذا المقام فتسؤكم الغيرة القاتلة ؟

ولم يتنازل الحق تعالى بشيء من أسرار تلك الغيرة.

وكان من الأدب النبوي أنه ينكح ولا تُرى العورة المنكوحة.

حتى عبرت عائشة رضي الله عنها عن هذا المعنى من بعد قبض النبي عليه السلام فقالت: (ما رأيت عورته ولا رأى عورتي).

فكان النظر في مقام الغيرة مورثًا لمعاني التلف وخبث الفطرة.

حتى أنَّ كثرة النظر إلى العورة أثناء النكاح تتلف فطرة المولود فتخرجه مشوهًا أو ناقص الأعضاء أو غير كامل الحواس أو خبيث الطوية والضمير.

فانظر رحمك الله عجائب الغيرة التي حرم الحق تعالى في تلك المواطن على عبده أن يخوض فيها فيقع في الإساءة.

كتاب
رداء الكبرياء

الحمد لله صاحب الكبرياء المطلقة والعظمة السرمدية. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه صاحب الحوض واللواء أبي القاسم وعلى آله وصحبه أجمعين آمين. وبعد.

قيل: يا أبا بكر ما حقيقة هذا الرداء المعبر عنه برداء الكبرياء؟ وما حقيقة الآخر المعبر عنه بإزار العظمة؟ أفتنا رحمك الله ولكم جزيل الأجر والثواب؟

أجبنا بقولنا: اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن القاعدة الإلهية اقتضت الكبرياء السرمدية لها لكونها أكبر من كل شيء. بل الاشياء لا تقارن بها أصلًا لكون الإيجاد كله من العدم قام. الا ترى أن نهاية العالم الفناء. فقيل بلسان الحضرة الالهية: ﴿كل مَنْ عليها فانٍ﴾ وقيل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

فكان الشأن الأكبر هو المتكبر دومًا لا غير.

فتكبره بحق لكونه تكبر على من يصغره. فلا يعلوه شيء حتى لا يتكبر عليه فأصل الكبرياء العلو المطلق.

وسر هذا المقام أنه أبو الاشياء لذا قيل: الخلق عيال الله. فكان لكبره سبحانه عليهم أعلمهم قدره وأنه أوجدهم من عدم ولا مناسبة بينهم وبينه مطلقًا.

فمهما عدوا نعم المولى عليهم عجزوا فذاك قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

ولما أراد الحق تعالى أن يعلمهم مقامه وقوة نعمه عبر بقوله: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منها قذفته في النار ولا أبالي).

فأطلعهم أن المقام مطلق عليه إحاطة بلا كيفية لكون الرداء محيطًا بصاحبه والإزار كذلك؟

فأعلمهم أنه منزه عن التواضع والذل ومقامه التكبر واللامبالاة فيه. لكونه لا يخاف فله الكبرياء المحض.

فمن تكبر على قوم وجب عليه حماية نفسه وتحصنه منهم حتى لا يتكبروا عليه أو يهينوه. وجمعت هذا المجامع كلها للجناب الإلهي.

فقال لهم قديمًا في حضرة المواثيق: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر رجل منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا).

فلما انجمعت له تعالى مجامع الغنى والتنزه والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث فقد صار متكبرًا أزلًا وأبدًا سرمدًا. ومن عجائب هذا المقام الالهي كونه تعالى يذل الظالمين بلا أن يروه. ويقتلهم وينتقم منهم بلا ظهوره.

ومن عجائب هذا المقام كون الظالمين يخشون الحق تعالى بدون رؤيته وكونهم يستغيثون به إذا نكسوا الا ترى إلى فرعون لما غرق قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾.

وكان قبل ذلك من أكثر الظالمين كراهية الحق عز وجل. ومن عجائب هذا المقام كونه تعالى ينفذ في ملكه ما يريد بغير ظهور. فيرفع أقوامًا ويخفض آخرين وكل يوم هو في شأن بغير رؤية.

ومن عجائب هذا المقام كون الخلق اعترفوا به إلهًا سميعًا بصيرًا رازقًا قادرًا وهم لم يرونه.

فما أعجب رداء الكبرياء يا ولي الله. حجبهم به وهم في خوف منه تحت سطوته يعبدونه. قد تحققوا بهذا واعترفوا له.

أي ولي فهذا سر مقام رداء الكبرياء.

صاحبه كل يوم في شأن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين. أما سر هذا المقام في الآخرة هذا المقام الكبريائي- فكونه يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون. روى هذا الخبر مسلم عن ابن عمر عن النبي عليه السلام.

وعن ابن عمر وهو يحكي عن رسول الله ﷺ قال: يأخذ الله عز وجل سمواته بيديه فيقوله: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله حتى خفت سقوطه برسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه مسلم.

وحق في هذا المقام قوله سبحانه: ﴿**لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾.

قال العارف: إذا قال الحق في ذاك اليوم لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه قائلًا: ﴿**لله الواحد القهار**﴾ فهذا سر تحرك المنبر برسول الله عليه السلام حتى خاف عبدالله سقوطه به. فاعجب يا ولي من أسرار ذاك الرداء والإزار.

كتاب
أسرار تنافر الأولياء

الحمد الله رب العالمين الجامع والمفرق. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ولا فخر وعلى الآل والصحب أجمعين. وبعد.

فكيف يقع التنافر من أهل الولاية؟. وقد قيل في حقهم: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ الآية. فاعلم أنهم مجتمعون على كلمة الإخلاص التي وجهتها لا إله إلا الله. وهذه الوجهة ما كان لهم أن يختلفوا عليها وإلا كفروا بعهود التوحيد الإلهي.

ومن ثم تداخلوا باختلافات جعلتهم متنافرين مداها تنوع المذاقات المتجلّى بها من قبل الحق تعالى على قلب العارفين.

فنشأ كل ولي يجد في قلبه من الذوق ما ليس عند صاحبه. فأصبح ينكر ذوق صاحبه. وهذا غاية الكمال الإلهي في هذا الشأن فافهم أفهمك الله.

ومن ثم وجد أهل الولاية في القلب تنافرًا ينفرّهم عن بعضهم لغرابة المذاقات المنبعثة من كل فؤاد.

فتراهم كاملين وينكرون مذاقات بعضهم إلا من انجمعت له المذاقات فتمكن فيها. فذاك العارف المحقق الذي انخلع الإنكار من فؤاده فلا يعرف

شيئًا عن الإنكار حتى يقع فيه.

وهذا كموسى الذي أنكر ذوق الخضر. وكالخضر الذي أنكر ذوق موسى.

أو هذا كموسى الذي حاج آدم. كما ورد في الحديث عند مسلم. وعدّد كل واحد منهما للآخر ما وقع فيه. فاحتج على صاحبه كل واحد منهما.

ولما تعدد التوظيف الإلهي في الكون فلم يخرج عن الحضرة شيئان متشابهان فقد تعين تنافر الأعيان مطلقًا.

لانعدام وقوع التشابه الإطلاقي في حضرة الخلق الأول. وهذا لكونه أنه ليس كمثله شيء. فكيف يقع التشابه في خلقه تكرارًا. إذ هذا علامة العجز. وحاشا له هذا.

وعلى هذا تنافرت أمزجة أهل الولاية فلم يخلق من مزاجين متشابهين قط. وهذا ذوق سار فيهم كسريان الهواء في الجو. والدماء في العروق.

والوجه الأكمل أن تنافرهم رحمة بهم وبالخلق لكونه سائرًا مع مقاصد الحق تعالى ومحققًا لها. وبدونه لا تتم المقاصد الإلهية في مملكته. فأرغمهم قهرًا على أن يتنافروا.

فمنهم من علم سر التنافر الساري في عروقهم ومنهم من لم يفقه هذا السر. والأول أكمل من الثاني.

ورأى الحق تعالى أن كل التنافرات الواقعة منه سبحانه في حقهم كمالًا. وإن رآها البعض نقصًا. وقيل قديمًا: الطيور على أشكالها تقع فكل روح تقبل وتجذب أو لا تقبل وتنفر. فالولي المؤدب ينفر من الولي المعلم. والولي المجذوب ينفر من الولي السالك. والولي العاصي ينفر من الولي التائب. والولي المتوكل تراه ينفر من الذي ترك مقام التوكل والولي المفتقر ينفر من الولي الغني. فافهم أيدك الله هذا المعنى حتى تقع على أهل ذوقك وتكن معهم. ومنهم من جمع كل هذه المذاقات:

كتاب
قانون اختلاف الصحابة

الحمد لله صاحب الجمال المطلق والجلال المطلق والكمال المطلق. وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه. وبعد:

فإنَّ اختلاف الأصحاب على مقامين:

المقام الأول: وقع بينهم بين يدي حضرة النبي عليه السلام.

والمقام الثاني: وقع فيما بينهم عليهم رضوان الله تعالى في غير حضوره عليه السلام.

والمقام الثاني نوعان:

الأول: نوع وقع بين الخلفاء الراشدين.

والثاني: نوع وقع فيمن دونهم. أو بين واحد من الراشدين وآخر ليس منهم.

فأما المقام الأول الذي وقع فيه الخلاف بين الصحابة بين يدي النبي ﷺ. فقد وقع في حادثة الأسرى في بدر وهذا الخبر رواه مسلم عن ابن عباس وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: ما ترون في هذه الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ. ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني

أرى أن تمكننا فنضرب عنقه وتمكنني من فلان فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر ولم يهو ما قال عمر.

فهذا سنده من السنة حيث اختلف اثنان فيه بين يدي النبي عليه السلام أبو بكر وعمر. عليهم الرضوان.

وأما النوع الأول من المقام الثاني. الواقع بين الخلفاء الراشدين فسنده من السنة ما وقع بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في حادثة الأسرى السابقة.

وكان يقع الخلاف بينهما فيما أشكل حتى يتفقا جميعًا.

روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر يوم مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت الذي رأى عمر.

وأما النوع الثاني من المقام الثاني: الخلاف الواقع بين رجل من الراشدين وآخر من غيرهم.

فهذا كالذي وقع بين علي ومعاوية وهو مشهور من حروب ومواقع. أو كالذي وقع بين عائشة وعلي في موقعة الجمل.

وأما الخلاف الواقع بين فيمن سوى الراشدين والصحابة فكثير. مثله كالذي وقع بين الحسن ومعاوية من بعد موت علي.

أو كالذي وقع بين ابن عباس وعائشة في قضايا الفقه. أو كالذي وقع بين ابن عباس والحسين بن علي لما أشار عليه ابن عباس أن لا يخرج إلى كربلاء للقاء أهل العراق. فخرج الإمام رضي الله عنه.

وتفصيل هذه المواطن يا ولي عجيب. إذ ما وقع خلاف بين كاملين أصلا في الوجود كالنبي والراشدين أو الراشدين فيما بينهم. أو فيمن أتى بعدهم من أهل الكمال. فإن قيل كيف كان التأييد الإلهي لعمر على النبي وأبي بكر في الأسرى. فهل التأييد الإلهي محط الخلاف كما هو ظاهر؟

قلنا: اعلم يا ولي أن التأييد المنبعث من الحضرة لعمر كان ظاهر التأييد المنبعث للخضر. إلا أن مقام نبينا أعلى من مقام موسى في ذاك الموطن وأثبت وأميز. والطارىء الإلهي يعطي المقامات قدرها.

فيظهر رأي أقل على رأي اكبر ويؤيده بآياته. ويلقى الحق على لسان الأدنى ويحجبه عن لسان الأعلى. وبهذا امتاز المفردون.

وهذا سرهم ألا تراه عبر عن هذا المعنى بقوله عليه السلام: لو كان من بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. وليس سر صاحب هذا المقام أنه فاق من امتاز عليه برأيه وإن ألقى الصواب على لسانه. فليس مقام الخضر أعلى من مقام موسى عليه السلام وإن ظهرت الحجة للخضر على موسى عليه السلام.

وكان من أسرار المفردين التحديث الإلهامي الذي يتجلى به الحق تعالى على قلوبهم فينطق به اللسان. فيظهرون ما لا يوجد عند غيرهم من العلم اللدني. الذي قيل فيه من الحضرة: ﴿وعلمناه من لدنا علمًا﴾ ومن ذاك المقام قول عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله في ثلاث لا ينفي أنه وافق ربه في أكثر منها فإنه نهى النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين فنزلت: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدًا﴾

الآية. حتى قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر. رواه الترمذي.

فهذا سر المفردين يا ولي الحق. وهذه عجائب موافقاتهم التي تفردوا بها أمام المرسلين وكبار أولي العزم.

قيل من عجائب حضرة الموافقة ترك الموافقة من الكامل لمن هو أدنى منه. فينطق بها الأدنى فيظن الأدنى أنه تحصل على ما لم يحصل عليه الأعلى. وما هو إلا واهم.

بلغنا أن الجنيد لما تتلمذ لخاله السري السقطي أعجب به المريدون فقالوا له تكلم يا جنيد فقال: أستحي من السري.

فنام الجنيد يومًا: فرأى النبي (ﷺ) وهو يقول له تكلم يا جنيد.

فلما استيقظ ظن الجنيد أنه فاق شيخه السري في المقام.

فأتى الجنيد السري ليحكي له الرؤيا ففاجأه السري قائلًا: وأنا يا جنيد رأيت رب العزة في المنام فأخبرني أن النبي (ﷺ) أتاك فقال لك: تكلم يا جنيد: فاستحى الجنيد وعلم أنه لا ينبغي له أن يفوق شيخه في مقام ما دام شيخه حيًا.

فكان من أدب الكامل ترك بقايا من كماله لمن دونه. كما ترك أبو القاسم عليه السلام بقايا من كماله للمقام العمري. شرفًا للمقام المحمدي.

وقلَّ من فقه هذا الذوق من أهل المعرفة وقلَّ من تكلم فيه سوانا بحمد الله.

فكانت الصدقة لا تنبغي لآل محمد ولا محمد نفسه عليه السلام.

فذهب الرسول الأعظم (ﷺ) فتصدق بهذه الصدقة التي لا تحل له على عمر. الصديق المحدث الملهم الذي بلغ أول مشارف النبوة. لكون المقام المحمدي تنزه عن قبول هذه الصدقة والمقام علا عن هذا المقام العمري فتركها صدقة جارية له.

كتاب
قانون المبتدأ والخبر
الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر

الحمد لله العلي الأعلى. الجامع لمحاسن الكمالات. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وصلى الله على روح الوجود وهيكله وقدسه وغوثه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن من لطائف القوم وطرائفهم في قانون التأديب كونهم يؤدبون المريد بالإشارة والنظر.

وحقّ لهم هذا لعمري. لكونه الأكمل في الآداب الإلهية.

وهذا استمدوه من حضرة اللادراك الإلهية التي آيتها قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾.

فأدرك الشيخ عيوب المريد وبصر بها من حيث لا يبصر المريد نفسه بعيوب نفسه. فيرى الشيخ عيبًا في نفس المريد لا يراه المريد نفسه. فيداويه بالسكوت المطلق المنبعث عليه من تلك الحضرة.

فإن أباح الشيخ وتكلم فقد أذهل المريد وخرق مقامه وأفسده.

وكان من شيوخ هذا المقام شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره صحبته ثماني سنين فلم يكلمني فيها قط. إلا مرة واحدة. وكان مقامه منبعثًا من هذه الحضرة اللاإداركية.

وكان يكاشفني بعيوبي في المنام. ولا يتحدث معي بذلك في اليقظة مطلقًا. وهذا من جملة عجائب الشيوخ في هذا الفن اللاإدراكي.

وأدرك شيوخ التربية أن الخرس مع المريد أفيد له والإشارة والرمز والنظر أذوق وأرقى في حقهم وحقه.

وكان من جملة هؤلاء أبو الحسن الشاذلي الذي قال: نحن نربي أولادنا بالنظر كما تربي الدجاجة أولادها بالنظر إليهم حتى تموت.

وهذا العلم السلوكي هو أرقى سلوك العالمين في هذا الفن. وبه سلك نبينا (ﷺ) في تأديب أصحابه. فكان يكني لهم عن عيوبهم. ولا يصارحهم بحقيقة العيب. لكونه أوتي جوامع الكلم والتعابير الإلهية المجملة.

وقلّ اليوم من أهل الإرادة من يدرك من أسرار هذا المقام شيئًا. لقلة الذوق وتفشي الحس في المريد وقلة المعنى الصادق.

ومن أسرار هذا المقام كون الشيخ لا يتكلم قط مع المريد بل مطلقًا. وكونه لا يكاشفه بعيبه. إلا نظرًا أو إشارة أو بمعنى ظريف أليف.

ومن لطائف هذا المقام استجماع الشيخ لمقام جوامع الكلم. فيرشد بكلمة أو كلمتين وهذا أخذوه عن الحضرة المحمدية لما أتى إليها رجل فقال يا محمد عظني؟ فقال: له لا تغضب. وفي كل مرة يقول عظني يقول له: لا تغضب حتى ثلاث مرات.

ومن لطائف هذا المقام ظهور الشيخ بغير مقام النصح للمريد فلا ينصحه ما لم يدرك المريد إشارته.

فمن لم يتذوق الإشارة فحرام فيه النصح بالعبارة.

ومن لطائف هذا المقام تعامي الشيخ عن عيوب المريد كلية. فلا يفاتحه بعيب أو ذنب صدر منه. وإن فاتحه المريد تعامى الشيخ أيضًا.

ومن لطائف هذا المقام عدم تطفل الشيخ على المريد. حياءً من الله. فلا يطلع على فحشاء أو ذنب اقترفه مريد. فما كان الشيخ جاسوسًا على عباد الله.

وحصن الشيخ نفسه بسياج العصمة فحير المريد وأذهله.

فالمريد يراه في نومه مطلعًا على علله ولا يراه مكاشفًا له يقظة فيزداد حياء المريد من حلم الشيخ عليه وقوة تجلده وصبره. وهذا دواء الشيخ ومقصده في الأدب السلوكي الصامت. أن يؤدب المريد نفسه بنفسه باستنباطاته التي يستنبطها عن سكوت الشيخ.

وهكذا يزال الشيخ ساكتًا حتى يتأدب المريد. ويؤدب نفسه بنفسه. فأدرك الشيخ الرباني الناصح هذا السر فلزمه وعلمه لمريده العاصي. فاستحى منه فلا يزال في حياء من شيخه حتى يكمل. ويستقي هذا الذوق منه.

أما من ادعى في السلوك كثرة مكاشفة العباد المتأدبين على يديه بذنوبهم وآفاتهم فهو أدنى مقامًا.

فظن المحجوب أن المكاشف أرقى لكون الساكت سكت لكونه محجوبًا عن معرفة أسرار علل أهل الإرادة.

ولو علموا أن الساكت يطفو تحته بحر الأسرار الراكد لعضُّوا الأنامل على جهلهم.

وهذا آيته سكوت الحق تعالى على ذنوب العباد فقيل في هذه الحضرة: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم﴾. فكان حلمهم من حلم الحق تعالى وحياؤهم من حيائه تعالى. وسكوتهم من سكوته تعالى وصبرهم من صبره على العباد.

فكانوا سادة العالمين الذين جهل قدرهم واندثرت معرفتهم في هذه الدار فلا يعرف قدرهم سوى مولاهم.

وجهل المحجوب أن أصل الاعتقاد هو الاحتجاب. فنحن آمنا بالله ورسله

وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فقل له: هل رأيت الله والرسل الملائكة واليوم الآخر؟. يقول: لم أرَ

فقل له: فلما آمنت؟ بما لا ترى؟ فكذا الشيخ الساكت يؤدب المريد ولا يطلعه على حقيقة مقامه. فيرسخ قدم المريد لكونه تأدب وهو في حجاب دون رؤية كإيمان القوم بغير رؤية.

فهذا سر سكوت الأشياخ. الذين هم في نبأ عظيم لا يدركه إلا كل فتى حكيم.

كتاب
فضل أبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية

الحمد لله المتفضل بمننه على أهل التحقيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين وبعد.

فإن أبا القاسم الجنيد البغدادي القواريري. رضي الله عنه. له فضل على هذه الطائفة لا ينكره إلا جحود. حتى أسموه شيخ الطائفتين.

فإذا أطلق هذا اللفظ فهو المقصود. وفضله ليس فضل مقام. فالمقام أعلم به صاحب المقام. وهو الحق تعالى. ولكن فضله فضل المشيخة. وشرف بنيانها. فهو أول من دعمها من الشيوخ السابقين. وحرر ألفاظ القوم وبيَّن صحة مذهبهم. واعتمد أصولهم. ونقى الطريقة وهذبها. فهذا فضله على مَنْ بعده من القوم.

كان كلامه مقبولًا عند العام والخاص لا ينكره إلا أعمى بحقائق القوم.

لقي من القبول ما يذهل. فكل عارف أتى من بعده فله شرف هذه الخرقة عليه.

كأبوة آدم للبشر.

كان رضي الله عنه أعلم القوم بعلل أهل الإرادة وأدومهم على السنة وممَا بعدها. عارفًا بعيوب المريدين. محققًا لها كاشفًا عنها. متكلمًا فيها. حرر ألفاظ هذه الطائفة وصقلها.

له أقوال دلت على بلوغه مبلغًا قويًا في المعرفة. كانت حجة على من أتى من خلفه.

قلما تكلم متكلم في فن القوم إلا ذكره واستدل بمعاني أقواله. وخصائص أعماله. لم يعرف في تاريخ الإسلام من أنكر على أبي القاسم الجنيد خلافًا لكثير من المتصوفة. فهو مقبول جملة عند الخلق. كان رضي الله عنه جامعًا لعلمي الشريعة والحقيقة. إذا تكلم في الشريعة ظن الظان أنه أعلم من على ظهرها بهذا العلم.

وإذا تكلم في الحقيقة ظن الظان أنه الفارس لا غير في الميدان.

رسم رضي الله عنه حدود القوم ورصدها. برسوم الحقائق وزينها بتحف الشرائع. له الشعر الرائق الذي يدل على علو الباع وعمق الصفاء. وشدة الشوق وطول الأنس. وخطر المحبة. قل من يفقه عباراته من القوم ويحرر معانيها. ويسدد مراميها. ودق من يفصح بعبارته في سلوك القوم ومنازلات العارفين ومناظر الواصلين وطاسات الشاربين وحانات الراشفين.

هو سيد القوم بحق. وأستاذهم الأكبر وطاووسهم الأقمر. وكبريتهم الأحمر. وقائدهم الأفخر. وضع بنيان الطريق. ورص رصيف الوصول. فجزاه الله عن القوم كل خير.

وبالجملة فقد ساق له السائق الإلهي القبول التام بين الخلق. ومنح الظرف والدلال على أهل العلم.

فإذا ذكر في محافل العلم وقروه وقالوا شيخ الطائفتين من مثله؟

كان يتكلم على خواطر القوم وآفات النفوس والضمائر.

عرف اصطلاحات القوم بكلام يندر أن يخرجه فم سوى فمه.

فما عرّف قوم اصطلاحًا صوفيًا إلا استشهدوا به.

كان يغلب على طبقة أصحابه الكمال التام والأدب العالي. الذي جعل طبقته حجة على من يأتي بعدها من القوم. فهم القوم لا غير. شحنت كتب التراجم بهم. واعترفت بفضائلهم. وقوة سلوكهم وندرة تكرار الزمان لأناس مثلهم.

وقلّ من شذ من طبقته. عن سلوكه. ورأينا كل عارف أتى من بعد الجنيد يستشهد به ويعترف بفضله عليه في شرف هذه المهنة. ومبلغ العلم أن اللسان الجنيدي أوتي لسان رسول الله (ﷺ) الذي قل أن يجود الزمن بمثل من يؤتي هذه الخصيصة. وهذا سره في كونه مجددًا. جددت به معالم الطريق عند القوم. فأحيا به الحق تعالى هذه الخرقة.

وهذا بائن في استجماعه لمقامات يندر من يجمع مثلها من رجال القوم. لعلوها في الذوق الراقي.

ومن كلامه رضي الله عنه قوله:

عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

وقوله: كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

وقوله: أعلم الناس بالآفات أكثرهم بلاء وآفة.

وقوله: لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين وبقيت أعمال العاملين فضلًا لهم. وقوله في ﴿**لا أحب الآفلين**﴾ قال: لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي.

وقوله: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك.

وقوله لما مات وقد سئل: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم وفقدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار. وهذا لعمري من عجائب الحكم الجامعة للإرشاد. وإخفاء غرة المقام وإظهار السلوك برغم أنه نال مقامه في الآخرة

إلا أنه لا زال ينصح القوم. فما أعجبه من مقام.

ومن أقواله: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة. من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به.

ومن أشعاره قوله:

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه   وإن كنت مظلومًا فقل أنا ظالم

وقوله:

أناس أمناهم فنموا حديثنا   فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا   ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

روينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن أبي سعيد بن الأعرابي قال: سمعت أبا بكر العطار قال: حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال: وكان قاعدًا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسطامي. وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟

قال: هذه نعم الله الله أكبر.

فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل هذا حاله حتى مات رحمه الله.

وروينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن أبي بكر محمد بن أحمد البغدادي قال: سئل الجنيد بن محمد عن المحبة؟: أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟

فقال: إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بين. فالمحبة نفسها من صفات

الذات. ولم يزل الله تعالى محبًا لأوليائه وأصفيائه. فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال. فاعلم أرشدك الله الصواب.

وروينا عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن حكيم بن محمد قال: حضر الجنيد أبو القاسم موضعًا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق.

قيل له: يا أبا القاسم ما نراك تتحرك؟

قال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾.

كتاب
الفتوحات القاهرية
في شرح سر المعية

الحمد لله صاحب الدلال الأول والجمال الأمثل والكمال الأكمل.

.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين في الأولين والآخرين وبعد:

فاعلم أيها الفتى الولي والصفي الشجي.

من أحرق الشوق قلبه. وأذاب العشق لبه. أنني اطلعت على كتاب اسمه «أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية» ورأيت فيه فصلًا عن سر معية الحق تعالى وهو من تصنيف شيخ الإسلام محدث الوقت شيخ التربية في وقته محمد الحافظ التجاني قدس الحق تعالى أسراره.

فألهمني الطارق الإلهي وأنا نائم أن أشرح معانيه المصقولة ومبانيه المعقولة.

فاستعنت بالله القوي المتين ووقع القبول في القلب. فنقول:

قال شيخنا في سر المعية: قد تقدم بيان تنزيه الحق عن الجسمية فهو سبحانه منزه عن الأطوال والأبعاد ولا خلاف بين المسلمين في ذلك: حتى الكرامية المجسمة عندما قالوا بالجسمية قالوا هو جسم لا كالأجسام. وهذا تناقض أو نفاق فإنهم إن أثبتوا الجسمية بحقيقتها من أن الجسم ذات له طول وعرض وعمق فإن نفوا عنه الطول والعرض والعمق كان تناقضًا وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم.

وإن لم ينفوه. وإنما نفوا أن يكون كالأجسام من حيث أوصاف أخرى لم ينفعهم النفي. لأنهم جعلوه فردًا من أفراد الأجسام يشمله حد الجسم فيكون فردًا من كلي. وهؤلاء الذين لا خلاف بين محققي العلماء في كفرهم. لأنهم مشركون. وكذلك قد اختلف العلماء فيمن نسب إليه سبحانه الجهة الفوقية المعروفة التي تقابل التحتية. ولما كانت الجهة فرع الجسمية. فإن الجسم ذو ستة سطوح. فإذا وضع الجسم بإزاء جسم آخر أو أجسام نشأ عن هذا الوضع الجهات الست: فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف. والجهات اعتبارية قد تتغير بتغيير الوضع والاعتبار فمن أثبت الجهة للحق سبحانه لزمه القول بالجسمية فإن التزم الجسمية وقال بها فلا خلاف بين العلماء في كفره. ومن نفاها فقد تناقض فإنه بالقول بالجهة أثبت الجسمية وقد نفاها في آن واحد حيث صرح بنفي الجسمية. وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم رجوعًا إلى القاعدة. هل لازم المذهب مذهب وإن لم يلتزمه صاحبه. أوليس بمذهب؟

أما من نسب للحق سبحانه أنه تحت الأشياء فهو كافر بالإجماع حيث لا شبهة له.

قال الشيخ محي الدين الطعمي: اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن الحق تعالى هو كل ما سوى العالم. بل هو كل ما سوى الخلق والعوالم والتكوينات والتصورات والأوهام والأجسام والجواهر والأعراض. فهو خارج جملة عن هذا الوصف. فليس هو بجسم أو في جسم أو خارج جسم أو داخل جسم أو محمولًا على جسم أو تحت جسم. أو محصورًا بين جسمين. وليست الأجسام متداخلة فيه أو هو متداخلًا فيها أو ممتزجة به أو هو ممتزجًا بها. أو نابعة منه. أو هو نابعًا منها. ومن ثم سقطت عنه أوصاف الجسم والجوهر والعرض. وكل ما يتعلق بهذه المعاني. وذاك لكون الجسم مركبًا ومفككًا يحتاج إلى انجماع أجزائه حتى يتوحد والحق تعالى منزه عن التجزُّؤ. فلا يكون الجسم واجبًا.

وكذا ننفي عن الحق تعالى كونه جوهرًا لأنه جزءٌ من الجسم ومتحيز عند المتكلمين. وليس كذا بعرض لأن العرض محتاج إلى محل كي يقوم فيه.

والحق تعالى مستغنٍ أن يقوم به شيء بل هو قائم بنفسه مخالف للحوادث أزلًا وأبدًا.

وكذا لا حد له لكون الحد من صفات الأجسام. لاقتضاء الأبعاد والجهات في صفة الحد. وحاشا له هذا الوصف. وكذا ليس هو بضد ولا ضدَّ له. ولا تكافؤ في حقه. لأنه لا يوجد من يقاومه في هذا الشأن فليس له مثيل حتى يتحداه. وكذا لا شريك له ولا كفؤ ولا قبله ولا بعده شيء. بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ومن نكات التوحيد يا ولي: أن خلق الحق تعالى كل الكلام الذي ينزهه والذي لا ينزهه. فألقاه على ألسنة الورى. وهذا مقام في غاية الحيرة. في كونهم يوحدونه بالمحدث ويكفرون به بالمحدث. فكيف يوحدونه وكيف يكفرون به؟

ولما أقامهم المليك في العالم نظروا فلم يجدوا إلا المحدث فأمروا بتوحيده. فانزعجوا. فقيل لهم نزهوا ما استطعتم لكونكم في دار ابتلاء.

قالوا: كيف ننزهك ونحن لا نعرف عن حقيقتك شيئًا. فألهموا من معاني التنزيهات ما لا يخطر فكأنه معهم حين نزهوه. وهذا سر المنزه بدون رؤية. وذهب الجحود فلم يرَ سوى المحدثات من حوله تحدثه عن شأنها فقوي حجابه. فظن أن خالقها فيه شيء منها. وهذا قهر عظيم وإذلال لروحه. لبقائه في عماء الحجاب. وخلعه لزينة التنزيه. هناك هناك في العالم التنزيهي لا وصف ولا فوق ولا تحت. ولا أيسر ولا أيمن ولا أعلى ولا أسفل. ولا إحاطة ولا جسم ولا جوهر ولا عرض. ولا ذوق ولا طعم ولا رائحة ولا لون ولا انتقال ولا دخول ولا خروج. ولا امتزاج ولا مجيء. ولا ذهاب ولا هبوط ولا صعود. ولا أطوال ولا أبعاد. ولا باع ولا ذراع. ولا طول ولا عرض. ولا ضد ولا ند ولا شبيه ولا مثيل. ولا حد ولا عد ولا كم ولا كيف. ولا

وسع ولا ضيق. ولا كبر ولا صغر. ولا تفكك ولا تجمع. لا عجز ولا قوة. ولا نوم ولا سنة. ولا موت ولا غفلة. ولا أكل ولا شرب. ولا جماع ولا نكاح. ولا جلوس ولا قعود. ولا قيام ولا استواء. ولا يد ولا رجل. ولا جنب ولا وجه. ولا عين ولا فم. ولا ضحك ولا بكاء. ولا مرض ولا سقم. ولا خوف ولا ضعف. ولا فتور ولا تراخٍ. ولا ميل ولا صد. ولا غزل ولا عشق. ولا هجر ولا شماتة. ولا غدر ولا هدر. ولا كذب ولا خيانة. ولا فقر ولا عوز. ولا ذل ولا احتياج. ولا ابن ولا ولد. ولا أب ولا أم. ولا زوجة ولا صاحبة. ولا شركاء ولا أقرباء. ولا ذكر ولا أنثى. ولا بلاد ولا عباد. ولا أثاث ولا عقار. ولا ثوب ولا إزار. ولا حذاء ولا رداء. ولا خبز ولا ملح. ولا طير ولا وحش. ولا هوام ولا حيوان. ولا نبات ولا جماد. ولا إنس ولا جن. ولا ملك ولا نبي. ولا ضار ولا نافع. ولا حر ولا برد. ولا نار ولا جنة. ولا جوع ولا عطش. ولا بحار ولا أنهار. ولا جبال ولا أرض. ولا سماء ولا نجوم. ولا شمس ولا قمر. ولا ليل ولا نهار. ولا صباح ولا مساء. ولا زمن ولا خلود. قيل: يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين فبالله عليك كيف تتصور ما وصفت وقد أخرجتنا عن عالم الحِس إلى ما لا يدرك. فهل ننزه بما لا يدرك؟

قلنا: نعم لما قصر العقل الآدمي عن أوصاف الإله فقد وجب عليه أن ينزه بما لا يدرك. لكون الحق تعالى لا يدرك. أما من قال أدركت شيئًا من معاني الحق تعالى دون التجليات الذوقية والكشفية فقد افترى على الله كذبًا وأعظم الفرية. في هذه الدار. لكونه لا يدرك في هذه الدار. إلا ذرة مما وقع لنبينا ليلة المعراج. عليه السلام.

ومن هنا كفرت الكرّامية بقول إمامهم أبي عبدالله محمد بن كرام الذي دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم مماس للعرش له حد ونهاية وبداية من تحت وفوق. وأنه ملاق للعرش من تحته.

وهذا شبيه بقول الثنوية القائلين: إن إلههم الذي أطلقوا عليه اسم النور

متناه في الجهة التي يلاقي الظلام وأنه لا يتناهى في الخمس جهات الأخرى.

قال ابن كرام في كتابه المسمى (عذاب القبر) إن المعبود أحديٌّ الذات أحديّ الجوهر وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا وجوز عليه الانتقال والتحول والنزول.

ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم: امتلأ العرش به.

وصار المتأخرون منهم إلى أنه محاذ للعرش. وقال ابن الهيصم منهم: إن بينه وبين العرش بعدًا لا يتناهى.

وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا نعني بكونه جسمًا أنه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم. وظنوا أن حكم القائم بذاته متجاور أو متباين.

فقضى بعضهم بالتجاور الإلهي مع العرش وقضى الآخر بالتباين الإلهي عنه. وحاشا له سبحانه وتعالى عما يشركون.

وربما قالوا كل موجود فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر. وإما أن يكون بجهة منه. ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة فوق. فهو مرئي من تلك الجهة. وهذا جهل مركب.

ومن ثم اختلفوا.

فمن المجسمة من أثبت له النهاية من الجهات الست.

ومنهم من أثبتها من جهة واحدة.

ومنهم من أنكرها مطلقًا.

ولهم في معنى العظمة خلاف:

فقال بعضهم: معنى عظمته أنه مع وحدته على جميع أجزاء عرشه. والعرش

تحته. وهو فوقه كله. وقال بعضهم: معنى عظمته أنه متلاق مع وحدته من جهة واحدة. أو هو ملاق لجميع أجزاء العرش.

وهم بلا جدال أهل كفر وإلحاد وزندقة أعاذنا الحق تعالى وإياك منهم.

وقال شيخنا في سر المعية: وسأل (ﷺ) الجارية أين الله: فقالت في السماء. قال: فمن أنا؟

قالت: أنت رسول الله.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

وكلمة الوفاق بين العلماء المسلمين سلفًا وخلفًا من أهل السنة أن أين الله بفرض أنها وردت كذلك ليس معناها أن الله تبارك وتعالى له مكان والرسول (ﷺ) يسأل عن المكان الذي هو متحيز فيه. ولا خلاف في أن ذلك باطل مردود.

فإنه سبحانه خالق الأكوان بما فيها المكان ووجوده سابق عليها فكان قبل الأمكنة بلا مكان وجل سبحانه عن أن يتغير أو يتبدل فلما خلق المكان فهو هو سبحانه على ما عليه كان غني عن المكان والأكوان.

وحيث أن من الكافرين من يعتقد أن الحق تعالى جالس على العرش في السماء الجلوس المعروف فقال النصارى: إنه أصعد ولده فأجلسه بجواره على العرش (انظر أناجيلهم) فإذا سألت أحدهم: أين الله؟ فسيجيبك في السماء وواضح أن قوله في السماء لا يدل على أنه موحد له فلا يزال على كفره في اعتقاد الولد له سبحانه عما يقول الظالمون. ومن الواضح البين أن الرسول عليه السلام إنما كان يسألها سؤالًا يفيد جوابه نفي الشرك وحيث إن السؤال بأين الله بمعنى السؤال عن المكان والجواب في السماء لا يفيد ان نفي الشرك. فنحن نجزم بأن هذا السؤال لم يصدر منه (ﷺ) على هذا الوجه. فإن صح في اللغة أين الله بمعنى تعيين المعبود لا تعيين المكان كان ذلك هو المقصود كمن

يسأل ولدًا عن أبيه مثلًا وهو لا يعرفه أين أبوك من هؤلاء القوم؟ وهو لا يريد أن يسأل عن مكانه وإنما يريد أن يعينه له فالجواب: هذا أبي وروي أن الحق سبحانه وتعالى ينادي يوم القيامة: (أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع)؟

ومعنى هذا يا من كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع هلموا - فيقوموا.

وبديهي أنه ليس سؤالًا عن مكانهم. وقد ورد أنه (ﷺ) سأل حصينًا: كم إلهًا تعبد؟

قال: ستة في الأرض وواحدًا في السماء.

فمثل هذا إن سأله سائل أين الله فسيقول في السماء ولا يزال على كفره وشركه فلا يدل السؤال والجواب على أنه مؤمن. وإنما السؤال الذي يدل جوابه على التوحيد كأن يقول لمالها من ربك أو من تعبدين؟ فتقول: الله أو أعبد الله. وقد قال (ﷺ): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله). ولم يقل: حتى يقولوا. إن الله له مكان في السماء.

وحيث إن الروايات قد تكون باللفظ وقد تكون بالمعنى أي بمعنى ما فهم الراوي وقد ورد أن الجارية كانت عجماء. وأن جوابها كان بالإشارة. وقد صح في حديث آخر لمن أراد (ﷺ) معرفة إيمانها بلفظ: من ربك؟

وكان هذا هو السؤال الذي يعين التوحيد فنحن نجزم بأن أفصح الخلق الذي أوتي جوامع الكلم لا يصح أن يسأل وهو يريد معرفة توحيد الجارية. سؤالًا يريد به وجهًا لا يعين التوحيد. ونرد فهم من ينسب إلى رسول الله (ﷺ) ذلك ونعتبره وهمًا وسوء فهم. أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه أن أمه أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة فسأل رسول الله (ﷺ) عن ذلك. فقال عندي جارية سوداء نوبية فأعتقها؟ فقال: أئت بها فدعوتها فجاءت فقال لها: من ربك؟ قالت: الله فقال: من أنا؟ فقالت: رسول الله (ﷺ). فقال:

أعتقها إنها مؤمنة وكذلك رواه البزار.

فهذا هو السؤال والجواب الذي يتعين فيهما التوحيد والإيمان.

فإما أن يكون (ﷺ) سألها من ربك؟ كما مر في الحديث وروى الراوي بما فهم من معنى الإشارة. فقد أجازوا الرواية بما يفهم من المعنى - أو أنه (ﷺ) قال لها: أين ربك؟ وإنما يريد سؤالها عن الإله الذي تعبده.

وهل هي تعبد الأصنام التي يعبدها الكافرون. وقد عرفت أنها كانت عجماء فتكلمت بالإشارة.

فالمراد بالسؤال والجواب هنا هو المراد في الحديث الآخر حتى على فرض من أن السؤال كان بأين والحديث يفسر بعضه بعضًا وخير الفهم والتفسير للحديث ما كان بحديث المعصوم (ﷺ) لا بالآراء المخترعة والأهواء.

والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال لا يصح به الاستدلال. وقد اتفق المحققون على أن الأصل في الروايات التي تروى بالمعنى أن تتوارد على معنى واحد مهما اختلف التعبير. وقد اختلف في اسم الصحابي في الرواية التي فيها أين الله. وإذا احتملت الرواية وجوهًا فلا يصح الأخذ إلا بالوجه الذي يتفق مع الكمال والعلم والحكمة. وبهذا قد تبين أن الاستدلال بهذه الرواية على أن لله مكانًا أو أنه سبحانه يتحيز في جهة هو دليل سوء الفهم وعدم الفقه عن الله وعن رسول الله (ﷺ) وهو خطأ والاستدلال به معلول. وقد تقدم في بيان عقائد القوم رضي الله عنهم أنهم يؤمنون بكل ما ينسب للحق عز وجل إلى نفسه. من غير تكييف لا على الوجه المعروف في الحوادث فكما أن ذاته لا تشبه شيئًا من الذوات وصفاته تعالى لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقات ولا فعله يشبه فعل الخلق. وهذا أمر متفق عليه ليس بين المسلمين فيه خلاف.

وبينا أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان فيريد ويشاء إذا نسبت للخلق دخلها الحال والاستقبال.

فإذا نسبت إلى الحق زال منها الزمان فلا حال ولا استقبال لأنها نسبت إلى خالق الزمان فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية غير مقيدة بالزمان.

وكذلك الظرف إذا نسب للحق زالت منه الظرفية لأنه تبارك وتعالى خالق الظروف والأمكنة فكان قبل الأمكنة بلا مكان.

وجل سبحانه عن أن يتغير ويتبدل فإذا سمعت قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ فالأصل في لفظة (في) أنها إذا نسبت إلى ما يجوز عليه الظرفية. كانت بمعنى الظرفية. وإذا نسبت إلى من لا يجوز عليه الظرفية انتفت عنها الظرفية. فكانت بالمعنى المنزه اللائق بالمنزه سبحانه. ومتى عرفت أن ذاته تعالى ليست بجسم ولا تشبه الأجسام في سائر صفاتها أيقنت أنها ليست بالمعنى الجسماني. وإنما هي بمعنى آخر يليق بالذات الأقدس. وعرفت أن قوله (ﷺ): (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) وقوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾. هو نزول ومجيء إلهي بعيد عن كل وصف في النزول والمجيء المعروف عن الأجسام.

ومن الناس من أثبت للحق سبحانه المعية المعروفة في الجسمانيات.

وهذا يلزمه الحلول والتجسيم. ومثبتة بلا خلاف بين علماء المسلمين في كفره.

ويعتقدون أنه سبحانه حال في كل مكان. كحلول الماء في العود والروح في الجسد. وهذا ضلال بيّن وهو سبحانه كان قبل كل شيء بلا مكان. وهو على ما عليه كان. منزه عن التغير والتبدل. وأن يحل في مكان أو يتجسد أو يتحد بمخلوق.

وأراد آخرون أن ينزهوه عن هذا القول فوصفوا فوقيته على كل شيء بالوصف الجسماني. فجيزوه في ناحية من الكون. فوقعوا فيما فروا منه. ويقولون قال فلان هو فوق كل شيء بذاته. ومع كل شيء بعلمه. وهل علمه ينفصل عن ذاته؟ وهل (بذاته) وردت في آية من كتاب الله أو حديث

رسول الله (ﷺ)؟ لم ترد. ولماذا قلدوه في العقيدة وهل في العقائد تقليد؟

والأصل في ذلك أنهم لم يقطعوا بأن الحق منزه عن الجسمية ولو نزهوه عنها لسقطت جميع لوازم الجسمية من خيالاتهم.

وبيان ذلك أنك لو فرضت أن فوقية الذات على العرش هي الفوقية المعروفة فيما نشاهد فلا يسعك إلا أن تربط بينها وبين المجيء والنزول اللذين نسبا للحق في الكتاب والسنة فتقول إنهما كذلك المجيء والنزول المعروف لنا فيما نشاهد.

فإذا جاء ونزل إما أن تقول إنه ما زال على الفوقية المعروفة فتكون قد نفيت النزول المعروف. فإنه لا يوجد شيء من الأجسام يكون فوق شيء فينزل ولا يزال على فوقيته. فكأنك قلت ينزل ولا ينزل وهذا هو الجمع بين الضدين وهو محال. أو تثبت المجيء الحقيقي المعروف فتكون قد أزلت عنه الفوقية المعروفة.

فإن أولت المجيء والنزول وقلت بالفوقية المعروفة فقد افتضحت. وإن أولت الفوقية وقلت بالمجيء المعروف فقد افتضحت وإنما يلزم التناقض من ظن أن فوقيته سبحانه الفوقية الخلقية ونفى عنه الفوقية الإلهية التي لا تشبه بوجه فوقية الخلق وظن أن المجيء هو المجيء الخلقي ونفى عنه سبحانه المجيء الإلهي المنزه.

وهذا هو الضلال المبين. الذي ينسبه تناقض الكفار القائلين ثلاثة هي واحد وواحد هو ثلاثة في وقت واحد.

ولا ندري ما الذي دهى عقولهم حتى حملوا النصوص على الفوقية التي تجامع فوقية الخلق. وقد نفاها الشرع والعقل. مع أن الباحثين في المادة حتى الملاحدة بدأوا يغيرون رأيهم في الأجسام المادية ويردونها إلى أصل غير الأجسام.

وقد قرر بعضهم أن الأثير نصف مادي.

فالمؤمنون أولى بترك الجمود الجسماني. والمجيء والفوقية والمعية المادية مكيفة. أما غير المادية فلا يتطرق لها كيف. وهذه هي السلفية الصحيحة.

ولماذا لم يحملها هؤلاء على الفوقية المنزهة التي تفارق فوقية الخلق. ولدينا النصوص التي تعين ذلك.

وكذلك المجيء وغيره. وبذلك يخرجون من التناقض الذي هو آية ضعف التفكير. وديننا هو الدين الواحد الذي لم ينفك دين غيره عن التناقض والتهافت. والتحقيق العلمي في ذلك أن الحق سبحانه ليس بجسم. فما نسب إليه ليس بجسماني. فهي فوقية ليست بجسمانية. وتزول ليس بجسماني. ومجيء ليس بجسماني. ومعية ليست بجسمانية.

وقوله تعالى: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أما الإحاطة الحادثة فهي كإحاطة السور بالمعصم. والإحاطة الإلهية منزهة عن أن تشبه الإحاطة الحادثة.

وقرب الحق من عباده ثابت ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

أقرب إليهم من أنفسهم فإنه سبحانه قيومهم. لا يشاءون إلا أن يشاء. هو الذي يتصرف فيهم كيف يشاء.

ولا حول لهم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. القرب المنزه عن جميع صفات القرب الحادث.

سبحانك أين كنت؟ أي حيث كنت ولا مكان وأين تكون كما كنت ولا مكان. وحديث الترمذي أنه سئل (ﷺ): أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء. اهـ.

والعماء غيب وقد فسره السلف أي ليس معه شيء. وهو الموافق لما جاء في الأحاديث الصحيحة. فليس هناك أي جمع بين ضدين ولا نقيضين. ومن الجهل المركب أن يقول بعض الضالين إما أن يكون داخل الكون أو خارجه ويزعم الجاهل الكاذب على ربه أن نفيهما معا وصف له بالعدم. وهو منتهى

الغباء. وهو دليل على أنه مجسم ضال. فإن ذلك لا يلزم إلا في التجسيم. فإننا ننفي عنه سبحانه دخوله في الكون الدخول الجسماني وننفي عنه سبحانه خروجه عن الكون الخروج الجسماني. ونثبت له سبحانه الفوقية الإلهية والقرب الإلهي والإحاطة الإلهية المنزهة عن الصور الجسمانية بسائر أوصافها من حلول واتخاذ وتداخل وامتزاج ومكان ومسافة. فإن ذاته منزهة عن الجسمية ولوازمها. فوصفه منزه عن ذلك كله. ونسلم الأمر لله حقًّا. ونفوضه له صدقًا. لا تفويض المنافقين الذين يحرمون التقليد في الفروع وهم مقلدون في العقائد لقوم لا يجدون مضاضة في مخالفتهم في الفروع.

فيا سبحان الله

أولئك الذين يظهرون التفويض زورًا ويبطنون التجسيم الوثني الذي جاء الإسلام بتحطيمه.

واعلم أن من لم تزل آثار التجسيم من قبله فما زالت آيات الوثنية فيه. فإنه سبحانه ليس كمثله شيء. من جميع الوجوه. آمنا بما أنزل الله على مراد الله. وهذه هي عقيدة السلف الصالح قاطبة لا تكييف ولا تشبيه.

قال الشيخ محيي الدين الطعمي:

اعلم أيها الصفي أعزك الله بعلمه وعلمك بخالص معرفته. أنه يجب على طالب الحق تعالى أن يخلص التوحيد حتى يأتي الله بقلب سليم. وبصر حديد. وثوب توحيد فريد. وحتى يندرج إلى هذا الخلوص التوحيدي فإنه يجب عليه أن يهمل في حق الذات أربع أصول شركية.

- الأصل الأول: ينسى أنها جسم أو جوهر أو عرض.

- الأصل الثاني: ينسى أنها في مكان وأينية

- الأصل الثالث: ينسى أنها مقيدة بزمان.

- الأصل الرابع: ينسى الإحاطة الوصفية بالتجسيم في حقها وانتفاء الظرف

عنها. وكل معنى يتعلق بالخلق العدمي. كالحلول والامتزاج والمماثلة والفوقية والتحتية. الخ.

ولو تحققت يا بني بأصل واحد فضلًا عن تحققك بالأربعة أصول لزال شكك. وقوي يقينك وهذا براهينه قوية في تدهور شكوكك. فإذا نسيت هذه الأصول الأربعة من مخيلتك أو معظمها فقد أصبحت عبدًا ربانيًا محضًا نورانيًا مكاشفًا بأسرار التوحيد. ومن ثم ذهب المشرع سبحانه فجعل من هذا الآدمي دليلًا على معيته نسيها أكثر الخلائق وما عقلها سوى أرباب الذوق. وفتيان المعرفة. فخلق آية على معيته السرمدية: **عقلك ووهمك ونفسك** وقلبك وهمتك وروحك. فإنك ما أحطت بشيء من أسرار هذه الأصول الستة فضلًا عن إحاطتك ببعضها. أو واحدًا منها. فجهل الآدمي حقيقة عقله. فرأى عقله كلما ازداد علمًا زاد جهلًا وضلالًا. فكيف يطلب الإحاطة بخالق العقل. ورأى من حيرة العقل أنه قابل للحفظ والتخزين العلمي ما يعجز عنه الحس الفراغي الذي لو وضع فيه علم العقل لما وسعته الدنيا بأسرها. ولا السموات والأرضين السبع. فكان الشرف الإلهي محتويًا على هذا الآدمي وهو بجهله أعلم من العلم بكنهه.

لذا قال النبي معبرًا لهم عن هذا الذوق: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله). فإذا ما أصاب النور الإلهي بصيرة العارف المحقق رأيته يستخرج سر المعية من نفسه بأسرار نفسه. فأنت لعمري يا ولي الله قد حويت من آلاء الله شيئًا ما أجهلك به. أما سلطان وهمك فأنت أعجز عن إدراكه. إذْ هو أعظم عوالمك التي حويتها وجهلت العلم بها. حويت بها الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم. وما لا نهاية له من المعلومات الإمدادية. ما حيّر مخيلتك وفتت كبدك فكيف تتطلب كشف سر المعية.

ما يقال لك إلا ما قد قيل. فارجع البصر إن شئت؟ هل ترى من فطور؟

أي ولي لو سلطت سلطان وهمك على العوالم لأحرقتها. وقد جهلت هذا القدر.

أما سلطان نفسك فأنت جاهل به أكثر. ما سر النفس الأمارة؟

ما سر النفس الماكرة اللوامة؟

ما سر النفس المطمئنة الراضية المرضية؟

فهل عملت هذه المقامات النفسية؟ وفي أي مقام أنت؟ حتى تتعدى على حرمات الإله فتبحث فيما لا يعنيك؟

هل علمت مراقي النفس وعقبات كؤود؟ وجب عليك قطعها؟

هل علمت ما حقيقة نفسك؟

وما أنوار كل نفس؟

وكيف تتخلص النفس من عقبات كل مقام؟

إلى مقام أسمى؟

هل علمت دواء كل مقام؟ وما أذكاره؟

هل علمت حقيقة المجاهدة؟ والأرواح التي تعينك عليها؟ والأرواح التي تقاومك فيها؟

هل رأيت ظلمات النفس الأمارة؟

وتشكلت لك تلك الظلمات؟

وهل تشكلت لك النفس؟ ومقامات النفس؟ فإن علمت هذا فستعرف شيئًا من أسرار المعية؟ وإلا فخير لك أن لا تبحث فيما لا يعنيك.

وأما حقيقة قلبك؟ فأين أنت منها يا مسكين. وقد قال الحق تعالى في حضرته: ما وسعتني سمائي وأرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.

فهل علمت الوسع القلبي ؟

هل رأيت بعين الفؤاد ؟

هل علمت ما يحويه يقين القلب من موارد إلهية وواردات ذوقية ؟

هل تحققت من علم جنود القلب ؟

هل ملكت سر التوبة ؟

هل أوتيت خاتم القفل القلبي الذي تقفل به وتفتح على الفؤاد. فلا يتطرق إليك وهم وشرك ؟

هل طالعت الملكوت بسر العين القلبية ؟

هل يقنت البصر العيني والبصيرة القلبية ؟

هل خاطبك القلب وخاطبته بسر آلامك ؟

هل علمت التجليات القلبية المنبعثة من هذا العالم ؟

وما عددها ؟

وما تنازلاتها ؟

وما دركاتها ؟

وما ترتيبها ؟

هل أحرقك قلبك بأنوار التجليات وقوة الواردات ؟

أما همتك يا بني فأين أنت من علم الهمة ؟ وأنت طفلٌ رضيعٌ غِرٌ غريرٌ بأصول الذوق ؟ فاسكت خيرًا لله ؟

هل ملكت الكون بالهمة. الكون يناديك املكني قبل أن يملكني غيرك ؟

وأنت محجوب عن ندائه قاصر عن سر مخاطباته. هل علمت حقيقة الهمة

المحمدية القائلة: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟

هل علمت همة الفرد الجامع المالك الكون بنظره وهمته. فهو بين يديه كالقصعة؟

هل علمت سر ضعف الهمة؟ وما قوتها؟ وما تعلق العلم القدري بالهمة؟ وكيف تخرق الهمة المشيئة النسخية؟

هل علمت سر الهمة المجردة والتي لا تجرد فيها؟

وهل علمت قدر الهمة من توافق الروح والمزاج؟ وأين موطنها؟ وأين نورها؟

أما روحك يا حبيبي؟ فقل الروح من أمر ربي؟ هل كشف الله عن هذا المقام؟ وماهيته؟

وأنه أقوى العوالم؟ وأشرفها؟

هل كشف الله عن سلطان الروح المجرد؟ وقوته؟ ومدى أثر الأرواح على بعضها؟ وقوة سريانها في أنفسها؟ وأسرار تداخل الأرواح؟ وامتزاجها وتنافرها؟ وقوتها وضعفها؟ ورقتها وغلظتها؟

وحقيقة خلقها؟

وسر نعيمها؟ وسر عذابها؟

وموطنها في البرزخ؟

وموطنها في الحشر؟

ومقامها في رؤية الحق تعالى؟

وسر اتصالها بالجسد؟

وسر تحريكها له؟ وسر انفصالها عنه حالة الموت؟ وما تلاقيه من آلام وما

يلاقيه الجسد من عذاب أبان النزع؟

فمن أنت أيها الطفل حتى تبحث في سر المعية وقد خلقك من قبل ولم تك شيئًا؟ فهذا دليلك من نفسك قد أبان عجزك مقر بهبوط ذوقك وفكرك. وحيرك ولوعك على أنك جاهل لا محالة لا كرامة لك إلا بالتكريم الإلهي. المعبر عنه بمعيته معك. عجبًا كيف يبحث العدم في حقيقة من خلقه؟ والعين لا تعلو الحاجب أبدًا.

وكان شأن الكامل أنه كمل من معرفة حقه وذاته ومن ثم أراد التعرف على الحقوق الإلهية. فلا يدخل إلى حضرة الحق تعالى ناقصًا حتى لا ينتقص فيرد على أعقابه من حيث أتى؟

فعلم سر نفسه وعقله وروحه وقلبه وهمته ووهمه. فقيل له تعرف علينا.

فذاك الداخل إلى حضرة التعريف بقدم التشريف. فاكمل وابحث.

واختبر الروح المحمدي (ﷺ) شأن الجارية بقوله: أين الله؟ وقوله: ومن أنا؟ قيل: ما سره أيها العارف؟ قال العارف المحقق: هذا سؤال تكلفي محل صدوره حضرة الاختبار بحقيقة المقام التي يجهل فيها الكلام؟ فهو استنكار يتضح به سر الموحدين. ومن هذا المقام قول فرعون لموسى: وما رب العالمين؟

فأوقعت الحضرة السؤال المحمدي على لسان الفرعون. وهذا من ذاك لا غير. ألا ترى أن موسى لم يسكت فأجابه بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ وفي مقام آخر قال الفرعون: فمن ربكما يا موسى؟ فأجابه: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وعلم العارف المحقق هنا سر محمد وموسى. فموسى سُئِلَ؟

ومحمد (ﷺ) سَأَل؟

ففاق المقام المحمدي ورقي المقام الموسوي ذوقًا؟

ولما علِم الفتى موسى سر السؤال الفرعوني علم شرفه. فتصدر الرد.

فكان شرف الجارية هو شرف موسى؟ إذ بحث الكمال استشراف هذا الذوق. وأما الشرف المحمدي فكون صاحبه (ﷺ) سأل ما سُئِلَ عنه موسى فقال لها: من أنا؟

فعلم المحقق الذائق أن أشرف البحث ما صدر عن سؤال استفهامي؟ إذْ لا يعرف مقدار إلا عن استفهام. وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى جنون الموحدين فليراجع.

والمستفهم فاهم ولكنه استفهم لإعلاء ما هو عالٍ وليس عن جهل بما استفهم عنه. إذ لا يعقل أن المقام المحمدي سألها عن مكان الحق تعالى المرئي على ظاهر السؤال: أين الله؟

وهذا حال من استفهم عما يعلم ليؤكد قوة المقام.

أما المعية فوجدت الكائنات معها أزلًا صفة وذاتًا. وذاك قوله في عالم الميثاق: ألست بربكم؟ قالوا: بلى قد شهدنا. وما أشهدهم إلا لكونه مربوطًا بهم وهم مربوطون به.

وحال الموجد أن يرى ويسمع ويخاطب ويلازم من أوجد لكونه به أولى وإن كان ينافيه وبخلاف وصفه.

وإلا فعدم ملازمة الخالق لمن أوجد عجز في هذا المقام. فقام الدليل على أنه ملازم في كل مكان لمن أوجدهم بذاته وصفاته.

فمن قال هو بصفته فقط فقد انعدم ذوقه. ولكن الأدب أن يقال هو ملازم بصفاته تنزيهًا للذات. ولكن لا يمنع الأدب المعية المطلقة للكائنات بالذات والصفات.

ومن هنا أمرنا المشرع بالدعاء في السجود والإكثار منه لكونه أقرب المواضع إليه. فعلمنا أن قربه قد يكون بالانخفاض لا بالعلو. وهذه نكتة

توحيدية أذهلت أهل الجحود. لما خرق لهم المشرع العوائد. وأفهمهم أن قربه لا يكون بعلوه. بل هو بالذل والانخفاض أقرب. ألا تراه أنه في مواطن الكرب والضيق أقرب إلينا كمواطن القتال والظلم والصوم ونزول الغيث. لذا أمرنا الشارع أن ندعو في هذه المواطن. فدل على أن قرب الحق تعالى مخالف للحوادث جملة. وبهذا بهتهم الحق تعالى. ومن ثم خلق لهم الهواء والأثير والضوء والصوت والشعاع النووي.

فدل الدليل على أنه غير محاط لكون مخلوقاته محيطة بغيرها وهو عكس ما خلق.

فترى الصوت والشعاع النووي مخترق للحواجز كالبنايات والجبال والبحار والأرض. فيعلموا به ما وراء الغيب من أسرار الحجب. التي بداخل الأرض كبحثهم عن البترول في البحار وباطن الأرض فيسلطوا شعاعًا ليستدلوا به بعد ذلك على وجود ما أرادوه أو انعدام وجوده.

ورأينا الهواء احتوى كل خلق حتى الحجر والحديد فيهما نسبة هواء ورطوبة. فكيف لا تلازم الذات والصفات ما خلقت من خلق. فهي الأجدر بهذه الملازمة. وذاك قوله: وهو معكم أينما كنتم. فإن قال المعاند فهل هو معنا في مواطن الحياء والنجاسات كالنكاح والتغوط؟ قلنا: نعم إلا أنه تنزيهًا له نقول هو بصفاته ولكن صاحب الحياء أولى بالحياء. وإن وجد بصفاته وذاته.

أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم والبيهقي: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. قيل: إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: فإن الله أحق أن يستحيا منه من الناس.

فدل الخبر على أن الحق تعالى في معيته ملازم لكنه حيي عن مواطن الحياء منزه عن مواطن النجاسات. أن يطلع عليها. لذا أمرنا أن نكون مثله فلا نطلع على عورة. روى أبو داود والنسائي إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر.

وروى الحاكم عن جبار بن صخر رضي الله عنه: إنا نهينا أن ترى عوراتنا.

والطبراني عن العباس رضي الله عنه: نهيت أن أمشي عاريًا.

والطبراني: يا أيها الناس إن ربكم حي كريم فإذا اغتسل أحدكم فليستتر.

فدل الخبر على معية الإله حيث كنا بذاته وصفاته إلا أنه حي كريم ستير أي ولي وإذا لم يوجد الحق تعالى في كل ذرة من الكون بذاته وصفاته فقد خلت تلك الذرة من أثره وحاشا له هذا الوصف سبحانه وتعالى عما يشركون.

وإذا لم يحط بكل محيط فقد غلبه ما خلق وحاشا له هذا الوصف.

.وإذا لم يلازم بلا كيفية فمن الملازم والرازق والضار والنافع.

وفي هذا المشهد العجيب قلنا:

ماذا أقول وأنت وصفك تائه	عن كل مدركة وحائط فكرة
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا	وجمالنا نقص مكمل رقعة
فجمالك الباقي ونحن كواسب	وجمالنا اللحظي لحظة متعة
تفًا لصب قد يخاطر نفسه	بجمال غيرك لذة في خلوة
لولاك لم تحط العقول بشهوة	ودلال حبك حاشه من شهوة
والعاشقون ملاحة لجمالكم	وغرامهم سلك بري من حبة
والخلق قد رأوا النقائص زينة	ورأوك حسنًا دون مصل الحلقة
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم	أوهامهم وهم أحاط بشبهة
لا أنت مرفوع فدونك محدث	أو أنت مخفوض نزهت برفعة
أو أنت محمول فعجزك بين	بل أنت قيوم بآية قوة
أو أنت محجوز فنورك محجب	أو أنت مفروق أحطت بخفية
أو أنت ملموس فغير مرتق	سحقًا لطين إذْ يصفك بخطرة

كتاب
النور القُدْسي والجمال الأُنْسي
في شرح آية الكرسي

الحمد لله المنزه عن كل نقيصة. سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. والصلاة والسلام على الكامل المبعوث رحمة لنا عروس القيامة وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذه رسالة بديعة. ونبذة سريعة. ضمناها بعض خواطرنا وليس كلها. في تفسير بعض أسرار آية الكرسي.

قال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

الله الاسم الفرد. الذي كل اسم تحت حيطته. ولولاه لما بدا اسم في الأسماء الإلهية مطلقًا لكونه استوى على منصة الأسماء. والأسماء مندثرة فيه. والهوية ضائعة في حقه. فإذا قيل الله ضاع كل معنى واندثرت كل صفة وجهل كل قدر إلا قدره تعالى. لذا أشير إليه بالعماء المحض الذي لا وصف فيه ولا ذوق فقيل: هو الله. فوضع سر الله في الهوية. وما الهوية؟ العماء لا غير. فمن نقب ونبش رمي بسهام الغيرة القاتلة.

أما قوله (لا) فاعلم أنه لولا اختراعه تعالى لكلمة «لا» وكذا كلمة (إلا) لما وحَّده مخلوق أصلًا على ظهرها. وهذا سر الأسماء المحقق لدينا.

إذْ سر (لا) هو سر النفي.

وسر (إلا) هو استثناء المقام.

فالموحد يقول لا إله فلو سكت لكفر لولا إضافة لفظة إلا المثبتة للمقام. فافهم

أما قوله (هو) فهو العماء. فما هو؟

وما شأنه؟

وما حقيقته؟

فإلى هنا يا ولي الله تنتهي المعرفة. والخلق في سر الهوية في عماء محض.

فلولا أن قال الحي القيوم. لما تعرفنا عليه. فلو قيل الله لا إله إلا هو. لقيل هو ما وصفه وما شأنه؟

فرحمهم من الحضرة التنازلية التعريفية فقيل لهم: هو الحي القيوم.

فبعد أن ضيّعهم في عماء الهوية تنازل لهم عن المقام وقال الحي القيوم.

أما حياته سبحانه. فخالفت حياتنا جملة وتفصيلًا وقيوميته كذلك. كونه قائمًا أزلًا وأبدًا بشأنه وشأن العوالم.

وقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾.

أي لا تأخذه أي شبهة خلقية عدمية. أما سر الأخذ فهو أعلم به. وهو من باب العلم الإلهي المكري الذي مقامه قيل فيه في الحضرة: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

وهذا الأخذ إملائي يملي لهم فيأخذهم على غرة أو بعلم منهم وكله متحقق في العلم المصون.

ألا ترى النبي عليه السلام قال: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ الآية رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه. فهذا العلم الأخذي من علم الذات المصون متحقق في الأعيان لذا وصف نفسه فقال: ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾. فوصف ذاته أنه مقتدر ومعتز بهذا الأخذ لقوته ولانعدام أن تأخذه سنة وهي النوم الفتوري وهو مقام بين اليقظة والنوم أو سواء نوم أو موت أو عجز. أو خلافه. وقوله تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

ولما قال له ما في السموات وما في الأرض فقد ثبت امتلاكه لكل دقيق وجليل في الكون وثبتت معيته المطلقة الملازمة للأعيان بذاته وصفاته. وهذا مقام قيامه بالنفس وبالخلق بغير تعب أو ملل أو عناء. بل هذا شأنه قائم فيه. وعن هذا المقام قيل في الحضرة: ولله ميراث السموات والأرض. وحقيقة الميراث العلم الساري لكون الملك فانٍ ولا يصح له امتلاك الفناء. فافهم بل هو مقلب للفناء. ألا ترى أن الشمس ستكور والنجوم ستنكدر والسماء ستطوي والبحار ستسجر. الخ. ولا يبقى في الأعيان إلا علمه الساري فيهم. وانقيادهم لتقرير مشيئته فيهم.

ومن القوم من ينسب لنفسه قوة وشفاعة محضة أو غير محضة. وهذا جعل بحقوق الباري.

فاعلمهم أنه ما من ملك أو نبي أو ولي أو جبار أو متسلط فعل ما فعل إلا بإذنه. ورضائه.

وهذا سره سريان العجز المحض في العدم المحض. وقوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ هو ما بين أيديهم الآن. كل على قدر مقامه. أما علم ما خلفهم فهو المعبر عنه بالسر وأخفي فقال: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ وفي آية: ﴿يعلم السر وما يخفى﴾. فهو يعلم السر الذي غاب عنهم في هذه الدار وأخفى منه.

فاعلمهم جهلهم المحض لولا تكريمه لهم بسر كرامته. فافهم.

فكل سر علموه في هذه الدار فهو من العلم الذي بين أيديهم. ولا يدخل في العلم الذي خلفهم. فهذا لعمرك يا ولي سر قوله وما خلفهم.

وكذا كل ما أحاطوا به فهو من العلم الذي بين أيديهم. حتى علوم الأولياء وأسرارهم من جلة العلم اليدوي هذا. أما علم ما خلفهم فهو المقول فيه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾. سواء نبي مرسل أو ملك مقرب.

وقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض﴾.

ولما قال ولا يحيطون فقد أثبت إحاطته بالأشياء إحاطة تنزيهية لا كإحاطة الخاتم بالأصبع أو السوار بالمعصم. فحاشا له هذا. وهذا إثبات أيضًا لمعيته للأشياء منذ خلقها حتى يحاسبها وتخلد. فما دام محيطًا فهو أحق بتلك الملازمة وتلك المعية المطلقة التنزيهية عن كل معية تخطر في الوهم.

وفي هذا إثبات أيضًا أن الأعيان لا أثر لها ولا حس ولا معنى في الجناب الإلهي فكل ما يخطر في خواطرهم في حقه هباء منثور وذاك قوله ولا يحيطون بشيء. أي لا يحيطون به بأي شيء تصوروه به أو حاولوا أن يدركوه به. فمذهب المجسمة والحلولية والجبرية والقدرية هباء منثور في حق هذه القاعدة الشريفة. فمنهم المجسم ومنهم الذي قال بحلوله أو حلول شيء فيه ومنهم من أجبره ومنهم من انتقضه في قدرته. وهذه أوهام الأشياء التي لا إحاطة لها به. سوى إحاطة وهم عاجز مريض ظن أنه أدرك شيئًا من حقوق الباري.

ولما علم عجزهم وحبهم له في آن واحد. فكيف يخرج لهم من عماء المحض الذاتي إلى حقوق تعريف المكانة. رأفة بهم وحبًا لهم. فهو يحبهم أكثر من حبهم له. لكونه أكسبهم تلك المحبة الشريفة.

ومن ثم ذهب وتنازل وسعًا وتوسيعًا لمجال التعريف به منهم.

فقيل على لسان تلك الحضرة: ﴿إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض﴾.

فشاء لهم في هذا المقام ظهور الأسماء والصفات في مقام التنازلات الرحمانية رأفة بهم. فمن ثم علموا في هذا المقام رحمته وعلمه وقدرته وبطشه وجوده وعزته وتكبره. إلى ما شاء الله.

ولما تنازل خاطبهم على قدر عقولهم فقال: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ وقد وسع ما هو أعظم.

ولما لم يعلموا ما هو أعظم فإنه تركه ولم يخاطبهم به. لقوة حجابهم.

فالكرسي في هذا المقام سميت به هذه الآية فقيل آية الكرسي.

وحقيقة الكرسي العلم القديم الشريف الذي قامت به الأعيان. ومن ثم تحققنا أن اسم هذه الآية الحقيقي هو: (آية العلم). فعلمنا شرف العلم الإلهي.

وقل من يتحصل مقامه.

وقوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾. أي لا يثقله حفظ من خلق لكونه عليًا عظيمًا.

فثبت معيته للأشياء المخلوقة. وإلا فكيف لا يثقله حفظها؟ وثنّى الحق تعالى فقال حفظهما أي إشارة إلى السموات والأرض. والمعنى لا يثقله حفظ كل زوجين لكونه خلق الأشياء زوجين اثنين. فما من مخلوق إلا له ما يزاوجه في مملكة الحق تعالى. فلم يعرف فرد إلا الحق تعالى في الكون. وبهذا صحت فردانيته في العوالم وعلى العوالم. وصح أن يصمد للأعيان وأن تنجذب فيه كانجذاب الحديد إلى المغناطيس مع حفظ كل مقام وتنزيه الحق تعالى عن قيل وقال. ودل الاسم الحفيظ على الملازمة المطلقة من قبله سبحانه للأعيان تكفلًا بهم في كل وقت ومكان بذاته وصفاته.

كتاب
تأويل قانون وحدة الوجود

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

ليت شعري يا ولي الله من المتحد بالآخر وطالب للوحدة الرب أم العبد. أم كلاهما ؟.

وما سر شفوفهم في هذه المرتبة. وطلبهم لها طلبًا محضًا هم فيه مرغمون. وعلى أقدامهم إليه سائرون ؟.

أما سر هذه المزية فلا تعطَ في شؤونها وبراهين عيونها إلا لأجلة الذوق. وأرباب الفتق والرتق وسادة العشق. وتلبس المغاني الذوقية أحال رتبة هذه المزية إلى معنيين: معنى سلم به من ادعاه ومعنى هلك به من اقتداه.

ولما طلب منهم الحق تعالى هذه المزية فقد عرفها لهم أزلًا بقوله لهم: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها).

فعرفهم هناك في البدء الأول سر الوحدة الأزلي. الذي هو بدء بطلبه طلبًا محققًا منسقًا في أرواحهم ومعانيهم. أما المقام والذات والصفات والأسماء فليس لها اتحاد مع العبد. وهذا يستحيل في قانون الوحدة بين الرب والعبد. ألا تراه قال لعيسى عليه السلام: ﴿إذْ أيدتك بروح القدس﴾. وتارة يقول فيه: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾. فلما ظن سفهاء القوم أن عيسى هو الحق على

التوكيد قيل له من جناب الحضرة الإلهية: ﴿ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الناس قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾. فأعلمهم حقيقة المقام العيسوي في العبودية.

لكن أهل القربة لهم من دون ذلك مقام الخلق في ضياع عنه. في مقام وحدة الوجود. وإني سأفصح لك عن طلائع بداياته. كي تتحقق لك رواياته.

فاعلم يا حفي أي يا صفي: أن أهل الدلال والشوق الحلال قد أعطوا سؤالاتهم في الحضرة. فهم في مقام آيته: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). فطلبوا ارتقاء معارج الوحدة لما صح من مقام المعرفة والمحبة. فأعطوه ذاتًا وصفاتًا ومقامًا وذوقًا. لكونهم روح الحضرة ولا طعم لصفاء الحضرة إلا بهم. فهم متمنون لمعاني ذاك المقام. لكن على قدرهم. فالرب رب والعبد عبد. وهذا المقام له وجهتان.

الوجهة الأولى صاحبها يسلم له حاله لقوة رسوخه.

والوجهة الثانية صاحبها مقتول كحلاج لضعف حاله.

فالمقتول ما أباح لازدياد الحال. وهو أوطأ من الأول. غير كامل في هذا المقام. أما كماله المقامي فهو من أهله. إلا أنه لم يكن ثابتًا في هذه الحضرة لكونه يسارق الأسرار ويبيح منها بغير وجه وحق. وهو مغلوب متعوب.

وهذا نهايته غير مأمونة إلا بقتل. فهو أضحية أسرار الرب كما يضحي بالفداء. يفدي نفسه لما أباحه فهو أضحية أسرار. أما الوجهة الأولى فكان من أصحابها الجنيد بن محمد القواريري كان في سماع فقام القوم كلهم ولم يبقَ سواه وظهرت الأحوال ومزقوا الخرق وعلا الصياح وهو جالس لا يتحرك فسئل: لماذا لا يفعل مثلهم؟

فقال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾. فهذا شأن الفتى المتمكن في مقام الوحدة.

أما حقيقة الاتحاد فهي غير متحققة حتى يلج الجمل في سم الخياط إنما هو معنى مذاقي هم بشربه متلذذون وبجليبه مستمتعون وكل له معنى في هذا الحال.

وكان من الرجال من يطلع على هذا المقام بوقار فلا يفشيه سرًا. ولا يتحدث به. كان منهم شيخنا عبد المجيد الشريف قدس سره. كنا نسميه الكنز المقفول. لقوة سكوته. وضياع الأحوال في حاله. وقوة بقائه وفناء الأحوال في بقائه.

وقد كان هذا المقام من خصوصيات محمد (ﷺ) عليه السلام لما قيل له: ﴿وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى﴾ أما أحداث المقامات وظاهرية المتشرعة فلم يتنبهوا لهذه الخاصية المستحقة لأبي القاسم (ﷺ) فعبروا على رسومها بلا ذوق.

ولو حدثهم بها هو لضحكوا قليلًا ولبكوا كثيرًا لما عبر هو عن نفسه: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا وضحكتم قليلًا) والله أعلم.

كتاب
فناء اليقين

لما نبشت عن هذا المقام رأيت أقطابه اندثروا ولا أثر ولا إثر لهم. لتمسك العموم ببقاء اليقين.

إذْ حقيقته فوق مقام حق اليقين. الذي هو أُرسخ المقامات الثلاثة علمًا وعينًا وحقًّا ومن بعد حق فناء.

أما خبر هذا المقام فاندثاره تحت آثار الوصول وفناء الحلول. فأين اليقين. هناك هناك لا علم ولا عين ولا حق في اليقين. لبقاء التجريد. وما علمت من شم طعم هذا المقام أصلًا في الوجود. لعزته وندرته وضلال الرجال في شعابه وتيههم في نصابه.

إذ عامة أهل السلوك بعد ذوقهم لحق اليقين متوقفون ولا طلب ولا جد وقيل لأبي القاسم (ﷺ): واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. فأين كان قبلها اليقين في أنفاسه؟ ما كان إلا في فناء اليقين قبلها وحق روح القدس؟ فإذا أتاه اليقين فلا عبرة ولا حاجة له به. لكون وجوده عنده كعدمه.

فهل ذقت أيها الفتى الخاشع الصامت هذا المقام وهل أنت من رجال حيطته. ومن ليوث سطوته؟ فإذا كانوا هم مع رب اليقين فلا حاجة لهم بيقين لكونهم مع رب اليقين فليذهب عنا فإنا قد سأمنا منه. ألا تراهم إذا

نظروا إلى وجه الحق تعالى في الدار الآخرة سقط مقام حق اليقين. إذْ لا مقام مع صاحب المقام ههنا ؟

فإذا هم قد وصلوا ذاته وعاينوا جمالاته فقد تخلوا وتجردوا هناك هناك عن أثقال المقام والمقامات. لذا ليس هناك من عزة كعزتهم في يوم مثله ذاك اليوم الذي يكشف لهم فيه عن ساق.

أما المتحقق المتذوق فهو عينه. وكنه فنه الرب أشوق إليه منه إليه. قال له يا سمعي ويا بصري ويا يدي التي تبطش بها ويا رجلي التي تمشي بها.

وهذه القربة حصلت من الشبر فصار ذراعًا والذراع صار باعًا والمشي صار هرولة.

فالسائر باليقين لا يزال بيقينه حتى إذا لاقاه الحق تعالى مهرولًا طرح أثقال اليقين وفني في الرب. هناك هو هو لا غير والسلام.

كتاب
ترك التصرف في الوجود لمن أُعطي هذا المقام

فأما من أُعطي هذا المقام فهو أستاذ الوجود بحق وفتاه وطلسمه. قطب تربع على منصة الحكم. بمعالي الهمم. زهد كل الكل. أُعطي ما قتل القوم أنفسهم على تحصله فرفضه ودحضه. وقال ليس لي سواك. فهو غوث تقطب وتنقب واستحى وانزوى. وانطوى.

قد قدمه رسول الله (ﷺ) إلى مشيخة الديوان فأبى أن يقول إلا: (إن الحكم إلا لله) لا لي. فصفة هذا الفتى عزيزة في الوجود. فهؤلاء هم الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله. قد امتحن الله قلوبهم للتقوى ولهم مغفرة وأجر عظيم.

فالسائر إلى المقام الانتهائي له الحكم الشمولي. وهؤلاء لا مقام لهم بل هم السائرون دومًا على التحقيق دون تعلق بمقام أو توقف عند همة متعينة.

فهؤلاء أهل الملامة حقًا شيخهم أبو بكر الصديق عتيق قدس سره. لا يرون أنفسهم أهلًا لشيء هم له حائزون. ولمعرفة هم لها نائلون. قد احتجبوا بحجب مكرية. وصفات ربانية وصبغة ملامتية.

وقد كان من هؤلاء من يسبق شيخه كما كان لأبي السعود بن شبل أن أعطى مقام التصرف في الوجود فنبذه وقال: تركنا الحق تعالى لكي يتصرف لنا أما شيخه عبد القادر فأعطى مقام التصرف فتصرف.

وكان من شيوخنا عبد المجيد بن خليل الشريف قدس سره لما أُعطي هذا المقام أباه وقال: نحن لسنا أهلًا له تركنا الحق تعالى كي يتصرف لنا فيه. وأظهر هذا المقام الحسن بن علي بن أبي طالب لما تنازل لمعاوية عن الحكم. فلو تمسك بمقام الظهور لما نال مقام البطون. فهو قطب ظاهر وباطن. ولكنه شيخ الملامتية.

كان مقامه أرقى من مقام الحسين أخيه. لكونه أُعطي التصرف والخلافة فتنازل. أما الحسين فطلب الخلافة وقتل دونها وأبى أن يتنازل عنها برغم ما نصحه به كثير من أجلاء الصحابة بترك هذا الشأن.

ومن رؤساء هذه المقام من يعطى مقام المعلم فيتركه ومنهم من يعطى مقام التصنيف فيزهد فيه. ومنهم من يعطى مقام الظهور فيتركه.

وهم رجال العجز على التحقيق. الذين آيتهم: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومن أقطاب هذا المقام من يبدو في خلاف ثوبه. كبدوه في التصرف وهو لا يتصرف مع قدرته على التصرف. كأحمد رضوان صاحب الأقصر كان لا يحمل أحدًا حملات من أولياء عصره مع تكلفه بتحمل زنة الابتلاء بمفرده.

ولما عز هذا المقام ظن الظان أن المتصرف أكثر فتوة ممن لا يتصرف ولم يعلم أن من ترك التصرُّف كملت فتوته أعظم ممن لم يترك التصرف.

فمن الفتوة ترك التصرف وإبداء العجز. كما كان هذا بعض روائح المقامات المحمدية العزيزة النادرة التي كانت لأبي القاسم أستاذ هذا المقام (ﷺ).

وكان من أعزاء هذا المقام حمدون القصار شيخ هذا المقام وشيخ الملامة

وسئل عن طريق الملامة فقال: خوف القدرية ورجاء المرجئة. ومما بلغنا عنه أنه قال: عندي أن من ظن نفسه خيرًا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر.

وممن أعطي التصرف في الوجود فنبذه الشيخ أحمد الرفاعي صاحب أم عبيدة كان مقامه الذل المطبق على مشربه وعياله. مع قوة عزة نفسه وضميره.

كتاب
الأولياء الأنبياء المحمديين

الحمدلله أن جعل من هذه الأمة أولياء حازوا مقام النبوة وبراهين الفتوة. لم يكن إلا لسواهم. وانعدم فيمن عداهم أهل الحظوة أساطين الخلوة والخطوة تنزهوا كما تنزه مليكهم. وترفعوا كما ترفع سلطانهم أين هم في الأرض. تاهوا فضاعوا عن المحجوب إلا عن أهل الذوق الرطيب وعين حبيب.

(أراك ظروبًا ذا شجى وترنم ... تميل إلى ذكر المحاسن بالفم)
(أصابك عشق أم رميت بأسهم ... فما هذه إلا سجية من رُمِي)
(ألا فاسقني كاسات خمر وغني لي ... بذكر سليمي والرباب وتنعم)
(أغار على أعطافها من ثيابها ... إذا لبستها فوق جسم منعم)
(وأحسد كاسات تقبل ثغرها ... إذا وضعتها موضع اللثم في الفم)
(فلا تحسبوا أني قتلت بصارم ... ولكن لحاظًا قد رمتني بأسهم)
(ولما تلاقينا وجدت بنانها ... مخضبة تحكي عصارة عندم)
(فقالت وألقت في الحشا لاعج الهوى ... مقالة من للحب لم يتكلم)
(رويدك ما هذا خضابٌ خضبته ... فلا تَكُ بالبهتان والزور متهمي)
(ولكنني لما رأيتك نائمًا ... وقد كشفت كفي وزندي ومعصمي)
(بكيت دمًا يوم النوى فمسحته ... بكفي فابتلت بناني من دمي)
(فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لكنت شفيت النفس قبل التندم)
(ولكن بكت قلبي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم)

(فلا تعذلوني في هواها لأنني وحق الهوى فيها كثير التألم)
(بكيت على من زين الحسن وجهها وليس لها مثل بعرب وأعجم)
(لها علم لقمان وصورة يوسف وبلوة أيوب وقصة آدم)
(فلا تقتلوها إن قلت بها جوى بلى فاسألوها كيف حل لها دمي)

وصلى الله على فتى الإيوان. وشيخ الديوان روح العالم وكرسي المعالم. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين وبعد.

ألا تنظر يا ولي الله إلى قول نبينا في عمر: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) رواه الترمذي عن عقبة. وقوله لعلي بن أبي طالب: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص. فهذا سر هذه المقولة المحمدية إلا أنها تفخر برجالها فالحمد لله الذي قطع نبوة التشريع وأبقى نبوة الإلهام. فالولي منبأ عن ربه بإلهامه بقوله: حدثني قلبي عن ربي. هناك الولي طارح للسوى متصل بالسر بربه. فهو بكر عنده علم بكر. وذاك قول أبي القاسم (ﷺ) فيه: إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر. فهذا نبي إلهام فهو نبي موحى إليه في غير تشريع. وبغير وحي تشريعي بل هو ملهم فيما دون مادة نبيه في شرعته.

وإن تنزلت على صاحب هذا القدم ملائكة إلهام فهم متنزلون بغير وحي. وذلك لقوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**﴾.

فلما ثبت عندنا تنزل الأملاك على من دون أهل النبوة فقد ثبت كلامهم لأهل الولاية بقولهم لهم: (أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

وقد بلغنا نزول جبريل على جملة من أرباب المقامات من هذه الأمة. منهم أبو خليل أباظة الصيداوي. حكى عنه النبهاني في جامع كرامات الأولياء أنه

قابله بالقسطنطينية وهو قادم من مصر فرآه غضبان فسأله عن السبب؟

فقال: إنني غضبان لدخول الإنجليز إلى مصر وقد نزل عليَّ جبريل عليه السلام لكي ينشرح صدري ولم ينشرح.

فإن كانت نبوة التشريع قد انقطعت فإن نبوة التحقيق لا زالت أعلامها حتى قيام الساعة. ومن هنا كانت ولاية النبي أفضل من نبوته ونبوته أفضل من رسالته. وقد عبر عن هذه المقولة ابن عربي قدس سره بقوله:

(مقـــام النبـــوة في بـــــرزخ فـــويـــق الرســـول ودون النبي)

ولذا اشتق الحق تعالى للولي اسمًا له عنده على اختلاف مناصبهم سواء نبي تشريع أو نبي تحقيق لكونها ولبين وربها ولي.

أما النبوة فليس لها اسمًا مشتقًا في الحقوق الإلهية. فعلم فضل التولي الإلهي الذي لولاه لما كانت نبوة.

أما الذي قصم ظهور أهل الولاية فكون تلك النبوة التي هي نبوة التشريع لم تكن لتنال بمجاهدة. بل باجتباء محض قد انقطع نهائيًا بعد محمد (ﷺ).

أما المذاقات التي يغبطون عليها فهي المذاقات البكر التي ظهرت من بعد ختم النبوة على أيديهم ولم يظهرها نبي التشريع. ألا ترى الإنكار زاد على أهل هذا الذوق من بعده (ﷺ) لكونهم لا دليل لهم من ظاهر سنته. وذلك أن علمهم لا دليل عليه. فالمحدث بقلبه يحدث بلا اختيار منه. ويشترط عليه أن لا يطالب بدليل. ولا يطلب منه السامع دليلًا.

والقاعدة مع أهل هذا الفن لكونهم سائرين مع دائرة الابتداع الإلهية التي لم يكن ليعجزها مخلوق. ولا يوقف عجلات اختراعها نبي مرسل ولا ملك مقرب. فهي تهب كل يوم ما يحير من سبق. وظن المحجوب أن ثواب مقام النبوة لبعض أولياء الأمة المحمدية مستحيلًا وهذا لقصور نشاطه العلمي. فإن من أطلق عليه حقيقة النبوة كأبي حامد الغزالي عندما باهى به النبي (ﷺ)

موسى وعيسى ليس له من حقيقة المقام شيء ولكن له حقيقة الجزاء والثواب في أصل النبوة فقط. أي له ثواب نبي لا مقامه فافهم يا ولي الله. وكان فخره أن نال مقامات الثواب من أنبياء دون نبيه من أنبياء الأمم السابقة. ألا تراه (ﷺ) عبر عن هذا الذوق بقوله: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل.

بل من أولياء هذه الأمة من يعطي ثواب أربعين مقامًا من مقامات أنبياء بني إسرائيل. فهناك يغبطهم الأنبياء.

فرأى العراف والعارف والمتعرف المتذوق والذواق والذائق أصول هذا المقام لما عاين بحور الحقائق وكنوز الرقائق الإلهية التي لم يكن هناك ما ينهيها ولا يستوعبها مستوعب وذلك قول الحق تعالى وهو يعبر عن نفسه بقوله: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾.

فهم متوارثون في قطرة من قطرات هذا البحر. ولا يظهرون إلا ما جدّ من هذه القطرة دون تكرار.

وقد حققني الله بهذا المقام الشريف فرأيت النبي (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وهو يقول لي أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء. كان ذلك في سنة ثمان وأربعمائة وألف.

وكان من أرباب هذا المقام عبد القادر الجيلاني وهو القائل: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تأتوه.

وكان من سلاطين هذا المقام أبو يزيد البسطامي وهو القائل خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله.

وسئل الشيخ أحمد التجاني قدس سره عن قولهم دائرة الولي أوسع من دائرة النبي فأجاب رضي الله عنه بقوله المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط والمراد منه من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم فهم الذين دوائرهم أوسع

من دوائر الأنبياء واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى فكل رسول من الرسل من غير نبينا (ﷺ) رسالته خاصة بموطن أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غيره ورسالة نبينا عامة في جميع البلدان والأقطار وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالته (ﷺ) فلا تخص بلدًا ولا جنسًا ولا أهلًا بل هي عامة كعموم رسالة نبينا (ﷺ) فهذا اتساع دائرة الولي على دائرة النبي ثم هذه الدعوة إلى الله في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله (ﷺ) بلغوا عني ولو آية الحديث وبقوله (ﷺ) مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالاذن الخاص كإذن الرسالة فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ووقع الإقبال من الخلق عليه والاستجابة له ووقع امتثال أمره واجتناب نعيه في الخلق وأطيع وحلا كلامه في القلوب ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له شيء من الإذن الخاص ولم ينتفع بكلامه ولم يقع عليه إقبال فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال على بساط الحقائق ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولي. اهـ.

وسر هذا الولي النبي المحمدي أنه مظهر من وراثة نبيه ما لم يظهره سواه حتى من مضى من أهل النبوة قد لا يظهرون ما يظهره هو ألا ترى أن الخضر وهو ليس بمحمدي أظهر ما لم يوجد عند موسى. فكيف بالولي المحمدي وهو أرقى من السابقين. فاقه في بسط الحقائق والأذواق؟.

ومن هذا المعنى قيل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه على لسان أبي القاسم (ﷺ): (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) رواه الترمذي عن عقبة بن عامر.

وفي هذا المعنى قيل في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من جهة اللسان النبوي: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي

بعدي). رواه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص. فصحت لها أي لعمر وعلي نبوة التحقيق لا نبوة التشريع ألا تراه قال غير أنه لا نبي بعدي سدًا لباب نبوة التشريع.

ولسنا نقول إن النبي المتحقق أعلم شمولًا من النبي المتشرع. بل المتشرع أعلم على الشمول والإحاطة. ونبي التحقيق أقل في فن المقام.

وأعطي الصديق الأكبر ذوق هذا المقام لما قيل فيه على اللسان المحمدي الشريف: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر) وهذا سر الخلة التي حظي بها من أبي القاسم لما اتخذه خليلًا. ألا تراه يجدد هذا المقام بقوله: (ما فضلكم أبو بكر إلا بشيء قد وقر في صدره). ألا وإن الشيء الذي وقر هو التحقق بعطايا المقامات وسني المكرمات.

فهذا يا ولي الله سر الولي المحمدي الذي تنبأ من بعد نبيه بعطايا المواهب وفرائد العجائب والرغائب.

ولما كانت دائرة الإعجاز الإلهية تبدي كل يوم ما بعد وغرب عن الأول الذي تحقق به. فإنه مستغرب لكونه ظهر بغير دليل في المعرفة. وهذا أشد ما يزعج أهل المعرفة أن يعرف غيرهم ما لا يعرفونه هم أنفسهم وإن كان أقل مقامًا منهم. ولكن قانون المعرفة يظهر قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

فلم يكن ليتوقف عند شأن بعينه عاجزًا عنده. والمعلومات هي هي: بل التحف لم تزل هابطة عليهم تفكهم من جديد إلى جديد. إلى ما شاء الحق تعالى. وهذا قانون الإبداء في الإعجاز البديعي في بساط الحقائق.

وسر النبي المتحقق أنه لا يخرج عن الشريعة لكونه مقلدًا لشريعة نبيه. ولا يخرج عن حقوق الشريعة وإلا لما تحقق.

ومنهم من تحقق بشريعتين كالخضر عليه السلام. وقد ذكرت هذا في كتابي المسمى طبقات الخضريين.

أما من ادعى أنه تحقق في أجزاء النبوة ففاق النبي المتشرع فهو زنديق على التحقيق لا غير. لكونه لا يصل إلى قلامة ظفر من هذه الدعوى الكاذبة التي نطق بها.

ومن ادعى نزول ملك عليه بنهي أو أمر شرعي أو رسالة من بعد نبينا (ﷺ) فقد عظمت فريته في بساط الحقائق والشرائع. ومبلغ العلم في نزول الملك بالبشرى وأمور أخرى دون الوحي الشرعي الذي لا يحق إلا لمن أوحى إليه من الأنبياء.

وقد كان من أولياء هذه الأمة أولياء يرون ملك الموت ويرون أملاكًا آخرين كإسرافيل صاحب الصور وجبريل. كشيخنا ابن عربي تقدس سره. وهذا مقام لا يصح إلا لمن قارب في الحقائق الملائكة وتنزه مثلهم عن العلائق. وضاهيهم فافهم يا ولي الله.

كتاب
طبقات أقطاب الظاهر والباطن

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾

الحمد لله رب العالمين المتفضل بجوده على الكل فلم يدع منهم أحدًا إلا وأصابه بفضله ملك عُرِفَ بدون أن يرى وقُصِدَ بدون تعرف فما أعزه من مليك.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه سيد الإنس والجن نجم أشرق وإمام صدق ما أعزَّ من والاه وما أسعد من اتبعه.

وبعد

فقد ظَنَّ الظان الجاهل أَنَّ الملكَ هو ملك الظاهر فقط وغابَ عن أهل الحجاب مملكةُ الباطن وملوكها، رضي الله عنهم. ولم يعرف أن ملك الظاهر لا شيء بدون ملك الباطن وملوكه.

قيل: كيف ذلك يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين؟

قال الحكيم: كانَ ذاك في عالم البدء الأول قبل المقادير وعيون الأعيان. وذلك أن قدر المُقَدِّر أن يجعل خليفةً في الأرض فعورض من قبل الملائكة بأن قد يكون الخليفة مفسدًا.

فلما أنعم الحق تعالى على الصورة الآدمية بعلم الأسماء حَقَّ لآدم أن يكون أول خليفة في الأرض عن الحق تعالى ظاهرًا وباطنًا.

وكان من المقدر في الألواح أن يلي الأمر غير أهله بغير الأمر الإلهي فمن هنا بزغت دولة الباطن التي جهلها أهل الظاهر.

وذلك قول النبي (ﷺ). «الخلافة بعدي ثلاثون عامًا ثم يكون ملكًا عضوضًا».

فأما صفة الخليفة المحظي بالخلافة الظاهرية والباطنية فله التصرف على أهل الباطن والظاهر.

أما المتصرف فيما ظهر فقط فهو خليفة الظاهر وقد انقطع نسبه من دولة الباطن ولا حكم له عليهم وإنما حكمه على ما ظهر.

ولما كان علم الظاهر علمًا يخالف في أحكامه علم الباطن فقد جهل العالم هذا العالم الباطني وظنوا أنه غير موجود ولا صفة ولا أثر له.

ولما آلت الخلافة إلى غير أهلها من أهل الظلم والجبابرة كفرعون وهامان ونمروذ فقد آلت دولة الباطن إلى الحق تعالى ونصب لها رجالًا لا يخرجون عن حكمه ولا يميلون عن قوانينه.

فإن قيل: فمن مَلكُ الباطن أي خليفة الله في أرضه؟

قلنا: هو القطب الجامع المنعوت بالغوث.

ولا تصرف لأحد عليه حتى سلطان الظاهر نفسه بل التصرف يكون له هو على أهل الظاهر وسلطانهم وكذا يكون له التصرف على كل أولياء عصره فيما عدا الأفراد وهم قوم خرجوا عن نظر القطب.

واعلم أيدني الله وإياك أنه لا ظهور للقطب في مملكة الظاهر لكونه مكتومًا ولا بدو له في هيئة المظاهر قط. إذْ لا تناسب بينه وبين أهل المظاهر حتى أنَّ القطب الجامع يأخذ العهد والمواثيق على أولياء عصره لكي لا يعرفوه بين الخلق ويفشوا سره لأهل الظاهر حتى أنني لما كنت في صعيد مصر بفزارة سألت الشيخ محمدًا أبا بطانية رضي الله عنه عن قطب الوقت. فقال: رأيته في

اليقظة وهو طائر على منصة في الهواء والأولياء كلهم يشيرون إليه وهم يقولون: هذا القطب هذا القطب فلما ذهبت لأتحقق من ملامح وجهه حجب وجهه بيده فلم أتحقق.

قال الشيخ رضي الله عنه: والتحقق من معرفة القطب واسمه صعب الغاية إلا لأهل الديوان الكاملين.

وللقطب وزيران من الكمل وهما الإمامان إذا مات خلفه أكملهما وأجمعهما لأسراره. وهما على هيئة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وهما وزيرا النبي (ﷺ) كما ورد بذلك الحديث النبوي الشريف.

ومن دولة الباطن الأوتاد وهم أربعة وهم يتلون الإمامين في المقام. يحفظ الحق تعالى بهم الجهات الأربع المشرق والمغرب والشمال والجنوب.

ومن دولة الباطن الأبدال وهم سبعة ويتلون الأوتاد في المقام يحفظ الحق تعالى بهم الأقاليم الأرضية السبعة.

ومن دولة الباطن النقباء والنجباء وغيرهم تركنا ذكرهم في هذا المقام وصفة القطب رضي الله عنه الكمال على أبناء عصره. فهو أكمل أهل الدائرة بل أكمل الوجود الحي على الإطلاق في وقته.

وأعلمهم بالحلال والحرام وأعظمهم مقامًا.

وانما سُمّي القطبُ الجامع لكونه تفرد بجمع مجموع الصفات الربانية الحميدة. وعرفها ذوقًا وتفصيلًا وله فيها براهين عجيبة.

ومن صفته رضي الله عنه كونه قوي الشهوة لا يصبر عن مضاجعة النساء وحاله الاعتدال وظاهره السنة. ولا يعرف عن إخوانه ولا تميز له أصلًا عن مجلسه ويغلب عليه التواضع والحياء القوي. واحتمال أذى الخلق ومداراة عباد الله.

ومن صفته رضي الله عنه قيامه في علم القدم وتكوُّن قدمه على قدم نبي

من الأنبياء. وأولياء العصر في يده كالخاتم في الاصبع.

أما أهل الظاهر فلا عِلمَ لهم به ولا برجال دولته ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾، ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾.

ومن صفته رضي الله عنه إحاطته بذرات الوجود فيمدها بروحانيته فما من حركه في الوجود ولا سكنة ولا خطرة إلا وله علم بها تحقيقًا ذوقيًا وكشفًا بصائريًا.

ومن صفته رضي الله عنه تحمله لبلاء الأعيان الهابط على الأرض على كتفيه لكونه حاملًا الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ومن ثم حملها هو على كاهله.

ومن صفته رضي الله عنه أنَّ الكون قد وُضِعَ بين يديه كما توضع القصعة بين يدي الآكل. فهو أخبر بطرق الأرض والسماء من المرآة يرى صورتها كما حكى ذلك الشاذلي رضي الله عنه عن نفسه.

ومن صفته رضي الله عنه أنَّ أنفاس الوجود كله مستمدة من أنفاسه والأولياء كلهم مستمدون منه لا صفة لهم إلا به هو ملك مهرجانهم ومتلقي ديوانهم. أنفاسه قد عمت الكون بركة وروحه هي روح الوجود لا يسعه ملك ولا ملكوت. وقدمه على رقبة كل ولي في عصره متفاخر دومًا بمقامه ومقامه الحمد والشكر عزته غلبت عزة الرجال وبرغم هذا لا يعرف طعم العجب والتكبر. قد جمع الأضداد كلها وليس به من ضد.

تجمعت الأضداد في واحد البها ... وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

الوجود كله يسير بأنفاسه ومدده. ورعاية عينه التي لا تغفل فهو خليفة الحق تعالى في الأرض ولو انقطع نفسه سويعة عن الوجود لهلك وهذا الخليفة الباطني أي القطب له أن يعزل من يعزل من السلاطين والملوك. وله أن يولي من يولي منهم بالأمر الإلهي وكان هذا المقام مقام ابن عصيفير والشيخ محسن

من رجال الطبقات الكبرى للشعراني. مر ابن عصيفير على الأمير سودون وهو يعمر في خرابة بدار ليعمرها قصرًا فرجه وقال: أنتم فرغت مدتكم ما بقيتم تلحقوا أن تسكنوا فسافر الغوري لقتال ابن عثمان فقتل وخربت دور عسكره كلهم.

ولما سافر الأمير جانم إلى الروم شاور ابن عصيفير فقال: تروح وتجيء سالمًا ففارقه وراح للشيخ محسن فقال له: إن رحت شنقوك وإن قعدت قطعوا رقبتك.

فرجع إلى الشيخ ابن عصيفير. فقال: تروج وتجيء سالمًا وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة وجاء سالمًا. ثم ضربوا عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان.

وكان هذا مقام المبتولي. روي أن وزيرًا رتَّب على فاكهة غيطه مكسًا فاستعفاه فقال: هذا مال السلطان فوقع تلك الليلة في الخلاء فاندقت عنقه ومات. وأراد الأمير حاتم التاجر إحداث مظلمة على جماعته وقال: إنْ كان شيخًا ينفخني. فقال: أنا ما أنفخ وإنما أفوق سهمي فدخل الخلاء فأبطأ فوجدوه ميتًا.

وكان على هذه القدم إبراهيم الجعبري فإنه كان كالنار الموقدة على الظلمة وحبس الوزير حمل صابون لجماعة الشيخ للمكس فأرسل للسلطان ليطلقه فأبى وقال: هذا مال العسكر فحبس بول السلطان وصار يتلوى كالثعبان وعجز الأطباء إدراره فأطلق صابونه فأرسل الشيخ له إبريقًا. وقال: استنج ففعل فانطلق بول السلطان. وكان من أصحاب هذا المقام شمس الدين الحنفي.

ومن أقطاب هذا المقام سعيد بن جبير الذي مات الحجاج بسبب دعوته وهو مقام كثير من أرباب الأحوال. وسادات الأولياء وأباطرة الأصفياء.

قيل: ولما سمي القطب فردًا؟

قلنا: لكونه انفرد على أهل عصره. فلا يوجد مثله بينهم في المقام والكمال

لذا فهو منفرد في كماله عنهم. وإذا اكتمل العارف في مقام العرفان صار غريبًا في الأكوان.

فصفة القطب الغربة عن أهل زمنه أي كالدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها فهي غريبة في ندرتها. واعلم أنه لا تغيير بيد القطب لمظاهر الفساد الظاهرية أي أنه لا يغير القضاء الإلهي.

فاللوح أمامه هو شاخصٌ إليه ببصره. ينفذ ما يصدر من أحكام الحق تعالى وما ينسخ فيفعله فهو العبد المجرد المحض المنفذ لقضاء الحق تعالى إن شئت قلت هذا قيل: لما لا يقتل القطب اليهود ببيت المقدس وينصر المسلمين؟

قلنا لهم: أنسيتم قول الحق تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وكان هذا في حق النبوة فكيف في حق القطب الذي لا يبلغ شيئًا من كمالات النبي؟

ولما كان الحكم لله تعالى لا لمخلوق.

فقد أنفذ الحق تعالى قدره في الأعيان. وأهل الحق لا تعارض بينهم وبين أحكامه سبحانه وتعالى بل هم متقبلون لأحكامه تعالى بالرضى والقبول.

ومن ذلك: أنَّ سلطان الظاهر قد يكون بغير رضى أهل الباطن في الطاعة للحق تعالى. ولكن لا تعارض بين مملكة الظاهر والباطن. فلا عِلمَ لأهل الظاهر بدولة الباطن ولكن العلم كله معلوم عند أهل الباطن بما يحدث في دولة الظاهر. تفصيلًا وتحقيقًا. قال الشبلي: لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنه ممكور بي.

لذا كان لا سلطان لأهل الظاهر على مملكة الباطن مهما تلكف أهل الظاهر الأمر.

بل نجد السلطان الأكبر لأهل الباطن على أهل الظاهر. وهمة الإمام الجامع أي القطب جعلته يصرف أمور العوالم في المملكة الالهية. فهو خليفة الحق

تعالى في الأرض بحق وهو الذي ارتضاه الإله بحق واصطفاه بحق وما أهل الظاهر بالنسبة له إلا مظاهر عابرة.

فإن الاصطفاء الحق في الباطن فإن تعدى مَلَكَ الظاهر فيكون حينذاك غوثًا إمامًا متحققًا في البطون والظهور قطب ظاهر وباطن ولكن يَد الحق تعالى اقتضت خفاء القطب في الغالب لأمور كثيرة مهمة وهو نفسه يدافع عن نفسه كي لا يظهر فلا يعرف.

فهو عبد يكره الشهرة غير مولع بها أخفاه الحق تعالى تحت تخوم الخمول.

ولما كان الملكُ الظاهريُ قد استأثر عنوةً وأُخِذَ ظلمًا ومُلِكَ بالقوة فكان هنا لا مجال للقطب في ملك عضوض بغير رضي الإله وإجماع القوم عليه.

من هنا انبثقت دولة الباطن وارتُضِيَ رجالها كي يقوموا مقام الحق تعالى في الأرض ونيابةً عن رسول الله (ﷺ) ورئيسهم قطب الوقت الفرد الجامع المعبر عنه بالغوث وفرض عليه الحق تعالى في الحضرة وعلى معظم الأقطاب ألا ظهور لهم فاستأثروا بالخفاء قيل: اذكر لنا بعضًا مجملًا من أقطاب الباطن؟

قلنا: منهم آدم وهو أولهم وكل نبي يكون قطبًا ويَرِث هذا المقام ومنهم الخلفاء الأربعة ومنهم الحسن البصري والجنيد وخاله السري السقطي ومنهم معروف الكرخي ومنهم عبد القادر الجيلاني وإبراهيم الدسوقي والبدوي والرفاعي وأبو الحسن الشاذلي وأبو يعزى وأبو مدين وابن عربي وشاه نقشبند وابن خفيف والحلاج وسهل التستري والحكيم الترمذي والمحاسبي وأبو يزيد البسطامي وأحمد بن هارون الرشيد السبتي رضي الله عنهم جميعًا.

ومنهم: أبو سعيد الميهني وابن سبعين وعمر بن الفارض والغزالي والإمام النووي والسيوطي وعبد الكريم الجيلي والنفري صاحب المواقف وأبو طالب المكي والهجويري وعبد الغني النابلسي ومصطفى البكري وأبو الحسن البكري وعفيف الدين التلمساني وزروق الفاسي وابن عجيبة وشمس الدين الحنفي وعلي وفا وعلي الخواص والشعراني وإبراهيم المتبولي وأبو العباس المرسي وابن

عطاء الله السكندري وياقوت العرش والقنائي رضي الله عنهم جميعًا.

ومنهم جملة من أهل قرني منهم: الشيخ صالح الجعفري وأحمد رضوان صاحب الأقصر وعبد الجواد المنسفيسي وأبو العزائم وعبد السلام الحلواني ومحمد أبو خليل ومحمد أمين الكردي وسر الختم وعبد الجواد الدومي وحسن كامل الملطاوي والشيخ محمد أبو بطانية والإمام محمد زكي إبراهيم والغوث عبد الفتاح القاضي والعارف علي عبد الفتاح علام والغوث الكبير شيخنا عبد المجيد الشريف. رضي الله عنهم أجمعين.

قال الشيخ رضي الله عنه: ولا حكم لكل هؤلاء في الظاهر بل معظمهم نال خلافة الباطن ونصب فيها قطبًا.

قيل: فمن حكم في الظاهر والباطن اذكر لنا بعضًا من أقطاب الظهور والبطون ممن حظي بالخلافتين معًا.

قلنا: لا يقتضي أنَّ كلّ نبي نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا بل معظمهم في الباطن أعظم.

وكذا لا يقتضي أن أهل الحكم الباطني والظاهري أعلى ممن أقيمت له خلافة الباطن فقط.

ولكن اعلم أنَّه من المتحقق في علومنا أن آدم أول قطب بإجماع أهل الولاية نال الخلافة الظاهرية والباطنية لكونه كان سلطان الأرض.

وكان من الأنبياء ممن حظي بالخلافة الظاهرية والباطنية آدم وشيث وداود وسليمان ويوسف صلوات الله عليهم جميعًا.

وكان على هذا المقام من رجال هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العزيز وجعفر المتوكل ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وعمر الفوتي سلطان الدولة الإفريقية وعثمان ابن الفودي رضي الله عنهم.

وقد ذكر الشيخ الأكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه مراتب الأولياء وطبقاتهم في الباب الثالث والسبعين من « الفتوحات المكية » قال:

« فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبًا كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمنه على أبناء جنسه وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة.

ولكن الأقطاب في المصطلح هم من يكون لهم هذا الاسم مطلقًا من غير إضافة ولا يكون منهم في الزمان الا واحد وهو الغوث أيضًا وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ومنهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد وكأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر ». ا هـ.

واعلم أن الأقطاب أساس مقامهم البطون على صفة الحق تعالى في هذه الدار وإنما استدعاهم إلى الظهور القهر الإلهي ولم يظهروا بمراداتهم إلا لاستدعاء الداعي الإلهي لهم فكانوا أقطاب ظهور وبطون فحظوا بالخلافتين ولو تركوا لظلوا مجهولين في هذه الدار على صفة الحق تعالى.

سر الحظوة من خزانة القدس

وإنما نال وحظي بالخلافة من حظي بها ظاهرًا وباطنًا لأسرار تتعلق لها عدة أوجه سأسردها لك فيما سوى الخلفاء الراشدين:

الوجه الأول: كونه وارثًا جامعًا للخلفاء الراشدين كعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي كان على قدم عمر رضي الله عنه في المقام. وإطلاق العدل وهذا المقام صعب جدًا وشاق يندر أن يكرره الوجود وما كرره الإمرة واحدة لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لكون الأرواح لا

تطيق صفة هذا المقام والقيام مقام الخلفاء الراشدين.

الوجه الثاني: التنازل منه عن الخلافة لكونها وصلت إليه بغير حق وهذا مقام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا ثم تنازل عنها وبقي معاوية بن يزيد في الحكم أربعين يومًا وتركه بعد أن أعلن رأيه في جده معاوية وفي أبيه يزيد فقال صادقًا في شهادته: «أيها الناس إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله (ﷺ) وهو علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بخطاياه ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل وصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بجرمه وإن من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله (ﷺ) وأباح الحرم وخرب الكعبة وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم». وهذا المقام شاق أيضًا على الرجال وهو زهد الرياسة كما قيل: «آخر ما يخرج من صدور الصديقين من الشهوات شهوة حب الرياسة» وهذا السر لم يتكرر في المقام إلا لمعاوية بن يزيد.

الوجه الثالث: التنازل عن الخلافة لأجل إصلاح فئتين من المسلمين وعدم إقامة الصراع بين طائفة المؤمنين وهذا مقام الحسن بن علي رضي الله عنهما وهذا لم يتكرر في عمر الأمة المحمدية إلا للحسن بن علي فقط رضي الله تعالى عنهما.

ولما قتل الإمام علي رضي الله عنه مطعونًا ولي الحسن رضي الله عنه من بعده وبايعه الناس واستجابوا لبيعته وظل معاوية غير مبايع له.

فكتب الحسن إلى معاوية يرشده ويدعوه للدخول في السلم والطاعة ولا ينازع الأمر أهله وبيّن له أنه ليس أهلًا للخلافة لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود.

ورد معاوية وقال إنه أطول ولاية وأقدم تجربة وأكبر سنًا وطلب أن

يدخل الإمام الحسن في طاعته ويكون له الأمر من بعده.

وبعد أخذ ورد في الرسائل المتبادلة سار معاوية بجنده إلى العراق وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة للقائه إلا أنه أي الحسن تمرد بعض جنوده عليه وخانه بعض قواده فلم يطمئن إلى تماسك جيشه، أو إلى عزوف الناس عن مفاتن الدنيا وخاف على دماء المسلمين أن تسفك من الفريقين فتم الصلح بينه وبين معاوية وسلم ولاية المسلمين لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وسيرة الخلفاء الراشدين وعلى ألا يعهد معاوية لأحد من بعده عهدًا بل يكون أمر الخلافة من بعده شورى بين المسلمين وعلى ألا يدبر للحسن أو أخيه الحسين غائلة لا سرًا ولا جهرًا أو يسيء إلى أحد من آل البيت أو أنصارهم أو يخيف أحدًا منهم في أفق من الآفاق.

الوجه الرابع: إرسال من يجدد الدين ظاهرًا وباطنًا ويظهر السنة والشريعة والعدل. ويجدد ما مات وما اندثر من حقائق الملة والشريعة وهذا كان مقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأجمعوا على أنه كان مجدد القرن الأول الهجري. وكان رجل قد رأى في منامه كأن قائلًا من السماء ينظر إليه ويقول: أتاكم العدل والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين فقال له الرجل: من هو يرحمك الله؟ فنزل إلى الأرض وكتب بيده (ع م ر) أي عمر فاستخلف عمر في تلك الليلة ورد مظالم بني أمية وأحيا العدل وسنة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

الوجه الخامس: قمع الفتن الكبرى المتعلقة بعقائد المسلمين وهذا مقام عسير في الوجود وقد كان للمتوكل رضي الله عنه حيث قمع وأخمد فتنة القول بخلق القرآن وورثة المتوكل عن أبي بكر رضي الله عنه حيث قمع فتنة أهل الردة.

روى الخطيب البغدادي بسنده في «تاريخ بغداد» عن علي بن الجهم قال: وجه إليَّ أمير المؤمنين المتوكل فأتيته فقال: يا علي رأيت النبي (ﷺ) الساعة

في المنام فقمت إليه فقال لي: «تقوم إليَّ وأنت خليفة»؟

فقلت: البشرى يا أمير المؤمنين أما قيامك إليه فقيامك بالسنة وقد عدك بين الخلفاء قال فسر بذلك.

قال الشيخ رضي الله عنه:

وقول النبي (ﷺ): «تقوم إليَّ وأنت خليفة» لكون المتوكل نال الخلافة ظاهرًا وباطنًا.

وروى الخطيب بسنده عن محمد بن خلف قال كان إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة يقول: الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له وعمر بن عبد العزيز رَدَّ مظالم بني أمية والمتوكل محا البدع وأظهر السنة.

وروى الخطيب بسنده في «تاريخ بغداد» أيضًا عن بعض الزمازمة الذين يحفظون زمزم قال غارت زمزم ليلة من الليالي فأرخناها فجاءنا الخبر أنها كانت الليلة التي قتل فيها جعفر المتوكل واعلم أنه قلما يظهرُ خليفةٌ ظهورًا يقمعُ الفتن لأنَّ الغالبَ على طبائع ملوكِ الظاهر إقرار الفساد في الأرض وألسنة الأكوان تشهد بذلك وهي لنا قائلة: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» ولا يحقق العدل إلا من تحقق بملك الظاهر والباطن معًا دون انفصال.

الوجه السادس: إرسال قطب مجاهدة. وهو المعبر عنه «بالمجاهدة الصغرى» ويغلب حال المجاهدة على صفة هذا القطب وهذا مقام الأيوبي صلاح الدين الملك الناصر وأستاذه نور الدين زنكي رضي الله عنهما فإنه ما عرف بعد الراشدين من له فضل في الجهاد كمثلهما. وفضائل صلاح الدين مجموعةٌ في «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لابن شداد حتى قال ابن شداد في النوادر: لم نرَ بعد عمر بن عبد العزيز ملكًا أتى مثل الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي. أهـ.

قلت: والمحقق في ذوقي أنَّ صلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي مقامها «المجاهدة الصغرى».

أي جهاد العدو فإنهما كانا من كبار أقطاب هذا المقام الشريف. وقد فَصّلَ ابن الأثير في «التاريخ الباهر» مناقب نور الدين زنكي ونور الدين هذا هو الذي أنقذ قبر رسول الله (ﷺ) من وصول يد الإفرنج إليه.

فقد حكي أنَّ رسول الله (ﷺ) جاء إلى نور الدين في المنام وهو غضبان فسكت فأتاه في اليوم الثاني وهو غضبان فقلق وقال: ماذا أفعل؟ ونام ولم يفعل شيئًا. فأتاه في اليوم الثالث فقال: لا ينبغي السكوت.

فجمع الجند وتوجه إلى المدينة وقال ماذا أفعل. فأمر بجمع الغرباء في المدينة فجمعهم فشك في اثنين من الروم فقيل له: هؤلاء اثنان من عباد الروم المسلمين لهم سنة وهم في عبادة ومجاورة وهما مستجابان الدعوة. فقوي الشك عنده فعذبهما فاعترفا أنهما استأجرا بيتًا وعملا سردابًا منه موصلًا إلى قبر الرسول (ﷺ) حتى ينبشاه ويخرجا جسم النبي (ﷺ) فتبطل عقيدة المسلمين.

فأمر بقتلهما وحفر حول القبر وصب الرصاص المذاب حتى يصعب اختراق تربة القبر وإنما استدعى القطب الباطني سلطان الظهور لكون هذه الأوجه الستة لا يتحقق ظهورها مطلقًا إلا ببروز القطب الباطن إلى عالم الظهور فافهم.

قال الشيخ قدس سره وممن سينال وسيحظى بالخلافة الظاهرية والباطنية عيسى ابن مريم والمهدي المنتظر عليهما السلام. واعلم أن صفة الإمام القطب الجامع لشمائل الظاهر والباطن معًا ظهوره وبطونه والتحقق من هذه الصفة هامّ. وليس أعْدَلُ في ملك الحق تعالى من قطب ظاهر تحقق بمقامه ويتمكن في الباطن كما تحقق به في الظاهر.

كتاب

صفة الديوان

اعلم أن الديوان الذي يجتمع فيه الأولياء وهم رجال الغيب من أهل الدائرة والعدد وهم أهل التصرف وعددهم كعدد الرسل وعدد أهل بدر وعدد الصحابة الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة. هو غار حراء الموضع الذي يجتمعون فيه وهو الذي كان يتحنث فيه رسول الله (ﷺ) ووقت اجتماعهم في الساعة السادسة من الليل وهي الساعة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) وأول أقطاب هذه الأمة المحمدية سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أن الديوان كان من لدن آدم عليه السلام معموراً بالملائكة وقد كانوا نوابين عن أولياء هذه الأمة ويتصرفون كتصرف أولياء هذه الأمة إلى أن بعث الله نبينا (ﷺ) ولذلك كان (ﷺ) يتحنث في غار حراء لأنه كان يجتمع بالملائكة الذين هم نوابون عن أولياء هذه الأمة وقد كانوا يستمدون منه في عالم الأرواح قبل ظهور عالم الأشباح فبقي الديوان معموراً بهم إلى أن انقضت مدة الخلافة الحسية وهي ثلاثون سنة كما قال عليه الصلاة والسلام: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً» فانقضت مدتها بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه وهي ستة أشهر وقد كان وُلِيَ الخلافة باتفاق الصحابة رضي الله عنهم فلما بلغ معاوية أن الحسن ولي الخلافة جهز عساكر وقدم إلى المدينة فخرج إليه الحسن رضي الله عنه وتنازل فلما زهد في الملك الحسن عوضه الله تعالى بالخلافة المعنوية وقد

انحقنت دماء المسلمين ببيعته لمعاوية لأنه سمع النبي (ﷺ) مرارًا يقول إذا دخل الحسن «يصلح الله بولدي هذا بين طائفتين من المسلمين» وكان كما قال (ﷺ).

والمراد بالخلافة المعنوية هي القطبانية العظمى والغوثية الشهرى فأول من دخل الديوان من هذه الأمة المحمدية الحسن بن علي رضي الله عنه فكان أول الأقطاب ولذلك إذا انتهت سلسلة إليه قيل عن أول الأقطاب فلما دخل الديوان وولاه الله تعالى الخلافة المعنوية ارتفع الملك الذي هو بمنزلة الغوث فجلس مكانه ثم إذا أخذ عنه الطريقة مريد وبلغ في الولاية ما بلغ دخل ذلك الولي إلى الديوان وجلس في مكان مخصوص فارتفع ملك وهكذا حتى امتلأ الديوان بأولياء الأمة المحمدية.

وهذه وراثة معنوية وخلافة ديانية لا يستحق التطبع بها إلا من أخذها بحقها عن أهلها من أهل الديوان الكمل وكيف يدخل دار قوم من لم يكن منهم أم كيف يرث أسرارهم من لم يكن من أولادهم ولا تشترط هذه الوراثة في أولاد الأصلاب وإنما تشترط في أولاد الروح غير أنها تارة تجتمع في أولاد الأشراف كما هو مشاهد من أهل هذه الطريقة لذلك يقال لها طريقة الأشراف أعني طريقة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وتشترط الوراثة السير في مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكون الأنبياء يرثون النبوة والرسالة وأما الولاية فإنها تشترط فيها الولاذة المعنوية ليرثوا العلوم المدنية والأسرار الجبروتية والمعارف الربانية حتى لا تنقطع إلى يوم القيامة.

ولما حاز أولياء هذه الأمة الشرف المؤثل والمطمع المؤمل فإنهم اختصوا بخصيصة الديوان سوى من هم سواهم من أولياء الأمم الغابرة لذا انضم من بقي على قيد الحياة إلى قانون شريعتين كالخضر النبي الولي الحي. وقد صنفت فيه مصنفي المسمى «طبقات الخضريين» وحاز ما حازه من شرف السبق

بتخلقه بخلق أولياء هذه الأمة وصار له حضور في الديوان. وكانت كرامات أوليائنا كمعجزات من مضى من الغابرين من أهل النبوة من إحياء الموتى وإماتة الأحياء وشق البحر وطي الأرض وتقريب البعيد وطالع إن شئت جامع كرامات الأولياء للنبهاني ترى فيه معجزات الأنبياء تحققت كرامات لأولياء أمتنا المحمدية.

وأعطوا من خصائص الكرامات ما هو معجزات لغيرهم ومعجزات لهم من حضرة الحقيقة المحمدية. وأُعطِيَ أفرادٌ منهم مقام النبوة في حقيقة الثواب من نبوة من غير من أنبياء الأمم السابقة وهذه خصيصة هي من شئونهم دون غيرهم فافهم يا ولي الله.

فهذا سر الولي الذي هو على التحقيق نبي من رجالات هذه الأمة. وممن حازوا مقام النبوة من أولياء هذه الأمة: «أبو يزيد وحلاج وابن عربي وعبد القادر وعدي بن مسافر الذي قيل فيه لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر».

وممن حاز هذا المقام: «الحكيم محمد بن علي الترمذي وأبو سعيد الميهني وأبو السعود بن شبل وأبو الحسن الخرقاني وأبو الحسن الشاذلي ومحمد وفا وسرّ الختم وعبد الغني النابلسي». والله أعلم.

كتاب
ثمن الصدق

الحمد لله الصادق الذي تفضل بصدقه على عباده المخلصين. فأحياهم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد،

فإن منشأ العمل الإخلاص للحق تعالى ومنشأ الإخلاص الصدق. فلولا الصدق لما كان الإخلاص.

قال القائل: فما ثمن الصدق يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين؟

قلنا: لما كانت النية هي جذر كل شيء مس القلب. ودخل وخرج فيه ومنه. فليس كل صادق مقبولًا في عرفان الحق تعالى.

قالوا: أخبرنا كيف ذلك يا حكيم؟

قلنا: دليلنا هو قول الحق تعالى: ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾.

قالوا: وكيف يسألهم وقد عرف أنهم صادقون يا حكيم؟

قلنا: هو سائل كلَّ صادق سواء الكافر والمؤمن. إذْ يجوز الصدق في حق الكافر كما هو جائز في حق المؤمن. ولكنه باطل في حق الكافر. وذلك قول الحق تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا**﴾.

إذْ ثمن الصدق مفقود فلا يصح وجوده مع الكافر. وثمن الصدق هو الجنة والجنة لا يدخلها كافر وإن صدق وعلة الكفر الجحود وعلة الجحود إنكار الربوبية.

فإذا افتقد هذا الشرط سقط كل شرط وسقطت كل فضيلة منعوتة فافهم وذلك معلوم في قول الحق تعالى: ﴿فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل﴾

إذ الفضائل مربوطة بالوقت المعلوم وهذا كمن تاب وهو يغرغر أو كمن تاب بعد طلوع الشمس من مغربها.

وهذا يقوم على قدرة الخالق. فالحق تعالى قادرٌ على أن يجعل الذهب ترابًا والتراب ذهبًا. ولكن ليس في هذه الدار. وإن وجدت قدرته لكونه ألزم نفسه بقسمه وما كان له أن يخالف قسمه.

وذهب الجاهل العنيد وقال لو أن الحق تعالى خالف لكان قادرًا حقًا. ولكن لعجزه أعرض وهذا كمن قال من اليهود: ﴿يد الله مغلولة﴾. وكمن قال منهم: ﴿إنَّ الله فقير ونحن أغنياء﴾. فكذا الصدق يا ولي. له رسومه وفنونه وحدوده فإن خرج عن هذا بطل.

قيل: يا حكيم الأولياء فما معنى قوله: ﴿وسعت رحمتي كل شيء﴾.

قلنا: الوسع له وإن كان في الأعيان فتحقق من قولنا هذا وهذا علمٌ دون علم الجزاء إذْ الجزاء متبوعٌ بما ارتضاه الحق تعالى من صدق. قيل: فكيف ينال ثمن الصدق؟

قلنا لهم: ثمن الصدق ينال بشيئين.

« أولها » المنة.

« وثانيها » المجاهدة.

فأما أهل المنة فقد حظوا بثمن الصدق بلا تعب المجاهدة. قد زالت عنهم آثار المجاهدة. وغبار الخوف والجوع فهم في أكناف المليك رتع. لا تعرف جسومهم خشن. ولا أعينهم سهر. ولا أيديهم وسخ ولا أفواههم خلوف ولا أمعاؤهم جوع ولا جلودهم حر وبرد فهؤلاء أهل الدلال والجمال.

وأما أهل المجاهدة فوصلوا إلى بر الأمان من بعد تعب شاق وجوع وخوف وبرد وحر. قد أنهكتهم فنون المجاهدة. فلم تترك إلا جلودًا على العظام وثيابًا رثة. ومعالم وسخة وجفونًا مقرحة ودموعًا غزارًا تشكو الأيام الخالية. فهذه صفة الأشعث الأغبر المدفوع بالأبواب الذي لو أقسم على الله لأبَـرَّه. وبغير هذين المسلكين لا يُنَالُ ثمنٌ للصدقِ قَط لكون الصدق لا يظهر إلا بهما.

فإن قيل: هل يقتضي ظهورَ الصدق في المظاهر على الأحوط.

قلنا: خفاء الصدق أعظم من ظهوره. إذْ أن نشأة الصدق البطون وملازمة الصدق للبطون أعظم. ويجوز الظهور في حق الصدق إذْ نتائج الطاعات هي ظهور الصدق.

ولا بُدَّ للطاعات من نتائج. ولا بد للنتائج من ظهور ومحل الظهور هو الصدق بعينه فافهم.

قيل: فما هي حقيقة الصدق؟

قلنا: حقيقته خلع الرياء الباطني وطرح المداهنة واستواء العلانية والسريرة حتى يكونَ العارفُ كلسان الميزان.

وإنْ كانَ ثمنُ الصدقِ غاليًا. فإنَّ ثمنه في عرفان الحق تعالى التعذيب والعذاب. وفي الآخرة يوفي العارف على نتائج صدقه ما لا يتوقع من الإتحافات الإلهية وعلى قدر الصدق يوفي الصادق واعلم يا ولي أنَّ العارف المتحقق من صدقه هو الخالع لريائه جملةً.

إذ الصدق لا يعرف الرياء. فافهم.

قيل: فما صفة المقهور الذي يريد أن يصدق ولا يستطيع ذلك. أخبرنا عن هذا الوصف بربك؟ قلنا لهم: هذا مع ما لحقه فهو صادق أيضًا. ولكنه لم يطهر بعد في الحسبان. بل ينقصه شيء من الأدب الباطن حتى يقتل شبح هواه فيكون متجردًا لا عبدًا مستأسرًا.

فهذا صفته كمن يرى النور وهو في الظلام ويستغيث من الظلام ولا يقدر أن يلحق بالنور طوعًا أو كرهًا. لذا فإننا ان صدقنا قلنا التوفيق الإلهي هو الصدق الحق الذي يقود بيد العارف إلى ساحة الحق تعالى فإن علوم المجاهدات لا تكفي لوصول العارف إلا إذا وفقه الحق تعالى وكتب لهذا الفريق النجاة إلى بر الصادقين. وذاك قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: «وما توفيقي إلا بالله».

وذهب الجاحد المنافق وقال: إذا صدقتُ فلمن يكون صدقي فأنا أفعل ما بدا لي.

قلنا له: الصدقُ مخزونٌ في خَزائنِ الحقِ تَعالى ومحفوظ وله أهله القائمون به وعليه. ونتائجه في الدار الآخرة أعظم من نتائجه في هذه الدار. فمثل الجاحد المستهتر أنه خلع رداء الآخرة ووقف مع هذه الدار ليتمتع وقتيًا فإذا زال السبب جاءه عذاب ربه.

هناك صدق اليقين لا غير وهو رؤية الصدق بالبصيرة. وهذا أعلى مراقي الصدق يا ولي.

إذْ أنَّ مراقي الصدق العليا تقتضي رؤية الصدق في عالم الخيال بالبصيرة.

وهذا كمن رأى مقامه في الآخرة وهو في هذه الدار في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

فهذا قطب تحقق من صدقه لما رآه مجسدًا.

قيل: كيف ذلك يا مليك الأولياء؟

قلنا: هذا مثاله رؤية الصفات مجسمة في عالم المعاني. وأقطاب الذوق من أهل الولاية مشاهدون لهذه المعاني بذوقهم. فالمحب يرى حبه مجسدًا في عالم المعاني والصادق يرى صدقه مجسدًا في عالم المعاني والفاني يرى فناءه مجسدًا في عالم المعاني والصابر يرى صبره مجسدًا في عالم المعاني. والشاكر يرى شكره مجسدًا في عالم المعاني والطائف يرى طوافه مجسدًا في عالم المعاني وكذا الصائم والمصلي والمزكي والمتصدق. فهذه مراقي الصدق يا ولي الله فاعلمها والزمها. رعاك الله.

ومن ثم ذهب المجادل وقال: الصدقُ لا ثمرةَ له. فأنا صدقتُ ولم أرَ ثمرةَ صدقي.

قلنا له: لكونكَ استعجلتَ وطلبتَ الثمنَ قبلَ تسليمِ البضاعة.

وهذا مرفوضٌ في معرفةِ الحقِ تعالى. لكونه لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون.

وهذا كمن دعا اللهَ تعالى وطَلَب منه مَطالبَ ولم يعطها له سريعًا. فخاب ظنه في مولاه فهذه صفة الأحمق المرائي الذي يَصدقُ لأجلِ هواه لا لأجلِ مولاه.

إذْ أن مضمون الصدق العطاء بلا انتظار ومراعاة ذلك بلا ثمن.

إذْ ثمن الصدق لا يطلب إلا إذا تصدق به الحق تعالى على الصادق مفاجأة من عالم الغيب.

فخير المواهب ما بزغ من عين الوهب بلا وقت فكان بلا حسبان معروف ولا وقت موصوف وصِدْقُ رسولِ الله ﷺ كانَ غيرَ معلولٍ بل ابتغى به وجه الحق تعالى لا لجنة ولا لثوابٍ بل لأجل كنه الحق وذاته وكريم صفاته وسموّ أسمائه.

فَعلَّمَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه الصدقَ بلا ثمن. وعلمهم أن لا ينتظروا ثمنَ صدقهم من جناب الحق تعالى بل الثمن مرسل إليهم في البريد الإلهي مفاجأةً من مكنون الغيوب.

وهذه النكتة مقولة في قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾.

فما دام هو قد اشترى فلا يسألون من بعد ذلك شيئًا في حق أنفسهم لكون الشراء قد انعقد وفض فهم باعوا وهو اشترى ولا رجعة في هذا الشأن فافهم.

نہ اس دنیا میں بندہ اللہ تعالیٰ سے قیمت بہت جلدی مانگتا ہے۔
اپنے آپ کو اللہ تعالیٰ کے حوالے کیے بغیر۔ اور اگر اس کو نہ دیا جائے
تو وہ اللہ تعالیٰ کے ساتھ برا گمان کر لیتا ہے۔ اور یہ کبیرہ گناہ ہے۔
بلکہ اللہ تعالیٰ جب چاہتا ہے دیتا ہے۔ صحیح موقع پر اپنی مرضی سے نہ
کہ بندے کی مرضی سے۔ بلکہ حضور نبی کریم صلی اللہ علیہ وسلم نے ہمیشہ اپنے صدق
کی وجہ سے نہ جنت مانگی ہے نہ ثواب۔ انھوں نے ہمیشہ اللہ تعالیٰ کی رضا
مانگی ہے۔ اور حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنے صحابہ کو یہ تعلیم فرمائی ہے
کہ اپنے صدق کی قیمت نہ مانگو۔ بلکہ وہ دے دی گئی ہے۔ لیکن
غیب میں ہے۔ (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)

كتاب
العارف المحض

قيل: بالله حدثنا يا حكيم أهل الولاية وفتى الرواية والدراية عن صفة العارف المحض؟

فاعلم أنك عن جليل سألت وعن فريد نقبت. فلله درك من فتى سما ونبا. فأما صفة العارف المحض فإنه المكتوم عن الوصف المختبىء عن كل وصف. فان العارف المحض هو المتجرد عن الوجود. الغير عابث به أو راجع إليه فافهم يا بني، فهذا المحض لا أستاذ له ولا شيخ بل شيخه رسول الله ﷺ. بل لا فضل لمخلوق عليه إلا قدم نبيه ﷺ.

وقد حظيت بهذا المقام بحمد الله عندما رأيت رسول الله ﷺ فيما بين النوم واليقظة عام ١٤٠٨ من الهجرة وأخبرني حضرة المصطفى عليه السلام في هذه الحضرة قائلًا لي في حالة الفناء فيه: «أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء»، وصفة هذا الفتى المحض كونه لا استمداد له من أحد إلا من إمامة رسول الله ﷺ وهذا العارف طارح لزخارف المقامات ومظاهرها فلا اعتراف له بإخلاصه أو عمله أو صدقه أو عبادة وعلم وغير ذلك بل هو متجرد من كل هذا إلا ذله وعجزه فلسان حاله قائل في الأكوان: يا أنا من أنا؟

فتجرد هذا العارف من المقام والحال ولا مقام ولا حال بل عبادته كهباء

منثور. أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلا تسأله من هو؟

ذاك المحض الذي أذاب الركائز وهدم القوانين مجهول الأرض معروف السماء عامر الوقت.

وهذا الفتى العارف المحض هو الذي لا يعترف بطريقة أصلًا ولا بشيخ لكونه غير مكترث بالوجود. فريد وقته ونسيج وحده وسلطان فنه، وملك رسمه وسمته لا يوجد في الوجود منه سواه. ولا يكرر الوجود من هو في مستواه لكونه فرد الوقت بل هو غريب الوقت والسمت. نسخة أسرار الرجال إليه المرجع والمآل. متحقق بالأسماء العوالي. وكرائم الحروف الغوالي تراه محضًا في كل خُلُقه يأتي بكل جديد وتجديد وعلم فريد وعبادة وتوحيد إذا جالسته حيرك أو ناقشته أذهلك. يعبر ببصيرته عما ليس عندك ولا هو فيك يقينه مؤثر وبصيرته تغير. يفخر بنفسه طويلًا ويترجم عن أمجاده جليلًا موضع نظر الحق تعالى في الملكوت ورؤيته في الجبروت والرحموت بل هو عين اللاهوت والناسوت.

فربما كان أميًا ويعبر من المخزون الفائض. أي الكنز الغير غائض. فيسحرك بأبكار أفكاره. ويضحكك ويبكيك بنفائس أسراره. هو مُحَدَّثٌ من الغيب وغير متكلم بما يلاحظ بل هو كنز مؤصد وجوهر منضد تكاد تنطق كل شعرة فيه أنه ولي الله قد قربه وأدناه وأمره ونهاه. وأماته وأحياه. وأضحكه وأبكاه حتى صار هكذا.

يأتي رزقه إليه في زوايا الأرض لكونه محجوبًا عن الأبصار ربما أنكر عليه في الأرض وهو سيد في السماء. أو هو عبد في الدنيا ومليك في الآخرة أو محتقر فيها وذو عز في الدار الآخرة. ومن أوصاف هذا العارف المحض كونه يخيب ظن من تفكر فيه لكونه مخالفًا للحوادث. فيبدي من الغيب ما لا يتوقع أو يتصنع فهو على قدم مخالفة الحوادث والخواطر. يحب السبق فهو سابق غير مسبوق. إذا نزل الحلبة فإنه لا يجد من ينازله فيها ولا يسابقه

إليها. تجالسه ولا تعرفه ويكشفك ولا تكشفه لكونه أخفى في حجب الصون ومد بجيوش العون. هو المريد والشيخ في آن واحد. يتأدب ويؤدب تتعلق أرواح شيوخ العصر به وتطوف حواليه وتنجذب إليه مسلكه بكر وعلمه سحر.

قد يخالف شيخه إذا كان الحق معه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خالف شيخه ﷺ في مسألة الأسرى يحقق الرب له كل مسائله وينفذ له مطالبه لا يرى في الوجود إلا الحق لا يسير مع ركب بل هو سائر على حِدة منفردًا عن أوطانه مشردًا وبأسراره معربدًا وعن هذا المعنى قلت:

قم واطرب القوم حادينا بنادينا ... فإن داعي الهوى أضحى ينادينا
هذا النسيم نسيم الوصل فينا سرى ... هذا الحبيب أتى يسقي المحبينا
لا يعجب الناس منا إننا نفر ... يميتنا الشوق أحيانًا ويحيينا
تلومنا في الهوى قوم لتردعنا ... عنه ولم تدرِ أن اللوم يغرينا
لا يستفيق ولا يصحو منادمنا ... ولا يمل من النجوى منادينا

كتاب
المراشف الخمرية
اللاعقة لرضاب التائية

الحمد لله الذي أحبنا بلا قصد وغرض★ فأحببناه نحن كذلك بلا غرض وقصد إلا الذات المحض★ لأجله هو هو★ نسينا من نحن لأجل هو★ لا تقل نفسي★ فإن نفسي ما هي إلا علة تعسي★ وارحمتاه للقوم تاهوا في بحار العشق وغرقوا في تياره★ وضاعوا بين أمواج أنهاره★ ولم يعرفوا ليله من نهاره★ ما سر هذا السحر العذاب والسكر المذاب★ إلا المراشف السحرية★ والعيون البابلية★ والأعطاف الردفية★ والخصور النحيلة★ والجفون المريضة★ والشفاه الذابلة★ والأرواح الجاذبة★ دعني وإياه★ فكل يبكي على ليلاه★ وعلى سبب بلواه★ فإن ليلى ما هي واحدة★ بل وحدة تكاثرت★ وظباء تنافرت★ وأطيار على أفنان المحبة تناغت★ وبكل لسان غريب عذب تناجت★ سألوا عنك حتى أعرفك قدري★ فإني أفنيت فيك عمري★ فأين عمري★ واهًا لقد ضاع إذا مكرت بي★ وصددت عني★ إذًا أحببتك بلا غرض أظهرت لي الغرض★ فإذا وضح الغرض نزهتني عنه★ وشردتني منه★ ما هذا المكر★ وماهية السحر★ حكمة بالغة فما تغني النذر★ أغرقتني في اليم ولم تنقذني★ ويحلو لك غرقي★ وجمرات عشقي★ ونيران شوقي★ ودموعي★ وزفرات ضلوعي★ .

ألا تذكر تذللي وهواني على الناس لأجلك★ وضياعي وتعبي★ وغربتي

وحيرتي★ وبكائي ومرير عبرتي★ وسهري وجوعي★ وبردي وحري★ وتشردي عن أوطاني★ وأهلي وخلاني★ كل هذا ألا يرضيك★ ويشفي غليلك★ فأنا عبدك افعل لي كما تشاء★ وصلى الله على بديع الجمال★ صاحب الكمال★ وعرش الخصال★ برزخ الكون وعرشه★ وكرسي العالم وقدسه★ النور الأسنى★ والشهود الأبهى★ مولانا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه تائيتي المسماة «المراشف الخمرية الراشفة لرضاب التائية» أودعتها خبرة غرامي★ وعشقي وهيامي★ وعذابي وانتقامي★ وخمري ومدامي★ ووجدي وهيامي★ فهنيئًا لمن رشفها★ وعشقها★ وبسهام الغرام رشقته ورشقها★ وفيها أقول:

١ - «تائية ليلى»

«دع عنك أحوال الصبابة كلها	وتعال فانهل من صفاء مودتي»
لو ذقت كأسًا من صفاء عيونها	قدر القلامة غبت عن إنسية
وتعالى نسري في بحار رحيقها	ونغوص غوصًا لا خروج لمهجتي
وترق فاكتل من نوادر نشره	من غير كيل فالترقي ناقتي
وتهنَ وحدك في حنان وصالها	فالكل صعقوا من شهود حقيقتي
والخلق جنوا من ظواهر فعلنا	وبواطن الأفعال لب قضيتي
فإذا نزلت بحي من أهواهم	فاترك سلامًا قد يذكر لوعتي
لو جلت قسطًا في زجاجة صفوفهم	لصفوت صفوًا بعد طول الغربة
لو نلت حظًا من بقية شربهم	لبلغت منها العرش جنة منتي
وصفاء نفس الخل صعبٌ نوله	موت لعمرك في نفوس أحبتي
أرواحنا جمرات نار سعرت	والماء سرى فوقها بالخلة
خطرات أنس قد يطير شعاعها	فتطير روح من جمود الطينة
فهواها أضحى لا محالة مهجتي	فهل الجسوم غنية عن مهجتي

وظللت أسعى في هواها جاهدًا كيما أفوز بنظرة عن خلسة
فعرفت أن هواها لم يك صورة ملموسة أو قبلة عن شهوة
لكنه ألطاف حب قد خفي لم يخفَ إلا من تعاقب غمة
لو نلت ريقًا من نمير لعابها لغدوت كاسًا بارقًا في الظلمة
ودواء جسمي أن ينحله الهوى من غير ريش قد سكنت بمهجتي
وحجاب قلبك فاسع في تمزقه من غير سكين فنصحك منيتي

٢ ـ « تائية سليمى »

« كسرت قيود الشرك عن عنق ملتي لكون قيودي قد أذلت بصيرتي »
هناك انطلقت في سماء إرادتي ورحت أجول في ميادين عزتي
هناك شربنا والشراب بقيتي وقد أسكر الخمار قومًا بفضلتي
شربنا رحيقًا غير أني لم أغب لشربي وغيري غائب في بقيتي
صفائي صفاء نوره من زجاجة وضوء سناها قد أضاء بهمتي
أحبة قلبي والغرام ملوعي أراكم بقربي في بعادي وغربتي
دعوا القلب يشرح والغرام يحدث أحاديث ليلى والرباب وعزة
ففي خبر سلمى ثم مية قصتي وفي هجر لبنى ثم زينب راحتي
لذاك تراني كنت أكتم عبرتي إذا ذكر العشاق صونًا لدمعتي
وفي باطني قلب تمزق لبه وإن دماه من دموعي السخية
فبعدكم قرب وقربي بعدكم فتعذيبكم حلو فرفقًا بمهجتي
ديار لليلى في بلاد بعيدة أراها بجنبي رغم بعد المسافة
يظن عذولي أننا في تباعد ويحسد شوقي إذ يراني بلوعة
ورغم بعاد في المسافة بيننا ترانا نقبل بعضنا بحرارة
وذا عجب من قربنا وبعادنا وما عرف العشاق معنى المسافة
تلاحظني ليلى بعين خفية وكل مناها أن تنال محبتي
وتكتم حبي عن عيون عواذلي وتنطق جهرًا إن ظفرنا بخلوة

٣ - «تائية لبنى»

«أحب فتاة الحي كلي بجملتي ... وأخضع إذلالي إليها وعزتي»
وأرضي بذلّي في هواها ومنيتي ... أذيقت عذابًا في هواها استحقت
ونفسي تهواها فتاة خليعة ... أراها استقامت في خصال خليعة
ولم أرَ منها في حياتي راحة ... سوى قبض عيش في هواها استحلت
وكل أراه من جميل خصالها ... يوافي بديعًا فيه كل صبابتي
ولست مقرًا من بديع بديعها ... سوى قبض عيش في هوانا استلذت
تراني أموت حسرة من جمالها ... لفرط دلال قد أذل جلالتي
أسائل عنها في ديار بعيدة ... فأطوي الفيافي كي أفوز بنظرة

٤ - «تائية عزة»

«عيون القلى تبدي نفوسًا مريضة ... وعينك ليلى في الحنان اطمأنت»
أذوب غرامًا إن نظرت جمالكم ... وأفنى فأنسى كل شوقي ومتعتي
فيكمل أنسي بعد طول تصبري ... وأحظى بوصل نلته بعد بلوة
جننا بليلى وهي جنت بغيرنا ... ومن غيرنا جنوا بنا في المحبة
أصول الهوى منا تبدت لغيرنا ... فكل محب قد فنا في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظوتي ... سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف ملتي ... سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

٥ - «تائية مي»

وإذا رأيتهم عرفت خصالهم ... من غير مقسم بالنزاهة عفت»
كم من محب قد شكى من بعدكم ... إلا أنا إني رضيت بقسمتي
لو كنت صبًا صادقًا لقصدتنا ... فالقصد عندهم افتقار القوة
وغذاء روحي أن يرى محبوبه ... في كل طرف إن بصرت بمقلتي
ورثوا الكمال عن الكمال محمد ... وكمال طه صرفه لأحبتي

ومن المشوق وقد ظللت ببابهم — أخطو الرقاب فلم أصل من زلتي
لولا افتقاري من خصالك نقطة — لرضيت عني بعد تلك القسوة
كم قد تجافي ثم أدنو سائلًا — أين الحبيب لقد نأى عن وجهتي
جفو الأحبة ما يكون بفضحهم — بين الدنا ترضيك طول الذلة
كما من حب قد تفتت كبده — وجماد صخر قد يحن فيخبت
أنفاسهم ريح السموم إذا طغت — وصفاؤها ماء النسيم بسحرة
وإذا الأحبة جاهروا بعتابهم — أفشوا سرائر وصلهم عن غلظة
لكن عتبي ما يكون لغيرنا — بيني وبينك سره عن خلوة
حتى إذا مت وماتت سيرتي — نسي الخلائق سرنا يا منيتي
قف ثم عرج نحو درب أحبتي — وأنس همومي ثم ضف لها حرقتي
واذكرني عندهم ولو في خطرة — خطرت ببالك علني قد أبخت
أنت الذي أسقمتني وهجرتني — وتركت سقمك في العظام يفتت
أغريتني بدنو وصل رمته — فسلبتني حق الوفا واحسرتي
ما هكذا يزجى الشغوف دلاله — فدلاله حرق الصفا واغلوتي
لولاك لم أصبر فدع لي منيتي — تحيا بها بين الخلائق صورتي
وخرست من لحظ الصنائع قدرة — يسري بها الملكوت طوع إرادتي
من شاهد السريان أمسى ميتًا — من وقع أقدار بواطن لكمة
خفيت على الثقلين -رحمة ربهم- — وبواطن الأحكام نفس النية
قد أظهرت في طور موسى لحظة — لم يحتمل إظهارها مع رأفة
وقد اكتست من روح أحمد هيكلًا — جلت عن المعنى المحاط بخطرة
يا من يراني والغرام مهتكي — وأزال ستري فالعواذل تشمت
وتغني خلي من لحون دلالهم — فلحونهم خمر حلال النكهة
فالخمر عندكم زوال الصحوة — والخمر عندهم صفاء اللذة
والخلق خمر قد تخمر فكرهم — ونقائص الأغيار لجة فتنة
والأولياء سفينة في لجة — خلصوا إلى بر رقيق الموجة

٦ ـ « تائية حفصة »

ماذا أقول وقد حوتك أضلعي ... وأراك تنأى ثم تأخذ بضعتي
ماذا أقول وأنت وصفك تائه ... عن كل محدثة وحائط فكرة
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا ... وجمالنا نقص مكمل رقعة
فجمالك الباقي ونحن كواسب ... وجمالنا اللحظي لحظة متعة
تفًا على صب يخاطر نفسه ... بجمال غيرك لذة في خلوة
لولاك لم تحط العقول بشهوة ... ودلال حبك حاشه عن شهوة
والعاشقون ملاحة لجمالكم ... وغرامهم سلك برى من حبة
والخلق قد رأوا النقائص زينة ... ورأوك حسنًا دون وصل الحلقة
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم ... وكمالهم وهم أحاط بشبهة
لا أنت مرفوع فدونك محدث ... أو أنت مخفوض نزهت برفعة
أو أنت محمول فعجزك بين ... بل أنت قيوم بآية قوة
أو أنت محجوز فنورك محجب ... أو أنت مفروق أحطت بخفية
أو أنت ملموس فغيرك قد خفي ... سحقًا لطين إذ يصفك بخطرة

انتهت التائية

كتاب
سر إيمان الحق تعالى بنفسه

الحمد لله المؤمن★ المتمكن★ الذي أحب لعباده الإيمان. وأبغض منهم الجهل والطغيان. سبحانه فإنه يؤمن بنفسه إيمانًا لا معرفة لنا به. ولا بحده ولا بكيفه ولا بقدره. جلت أسراره. وبهت في الأكوان أنواره.

ولأجل إيماننا به تغاضى عن الخطايا والمعاصي. فهو يغفرها ولا يبالي. كما ورد شأن الرجل الذي قتل مائة نفس فغفر له في صحيح البخاري ولأجل إيمانه لم يعتبر بحسنات الكفار وإن كانت مثل الجبال. بل وأطنان الأثقال.

فانظر ذاك الإيمان الصرف المنبعث من حضرة المحض يا ولي الله. هو العبرة ولا عبرة إلا به. والإيمان بذاته لأجل ذاته. فناء في عين الذات. ولم تحظ بذرة منه عقول الأذهان. ولا يقبله عقل ولا برهان ساخ في شاشة الوجود وجوده. ولم تظهر لنا تلك الشاشة ظل جوده. ذاك ليس بعلم ولا يسمى علمًا. ذاك ليس بذوق ولا يسمى ذوقًا. ذاك ليس بكشف ولا يسمى كشفًا. هو نوع لا يسمى بل هو المعمى بل المكنى.

أحبك إلهي لأنك تحبني لأجل ذاتي كما أحبك لأجل ذاتك. فشكرًا لك لأنك آمنت بي كما أنا مؤمن بك. فأنت معلمنا علمتنا أن نؤمن بك لأجل ذاتك المحض. كل ما في الوجود يناديك إيمانًا بك حتى فرعون وهامان ونمرود.

من علم الأعيان الإيمان به. دعنا من إيمان المظاهر. هو خدعة وخداع. أعيان تتشاحن. وأشباح تتقاتل. وهياكل تزني وتسرق. وأبدان تتصارع. وأوهام تتشحط. وعقول تنحط.

فسحقًا لطينة العدم المرذولة. وأفٍ لنشأة الآدمي الضعيفة ﴿ولقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾.

المؤمن هو المقدس عن أوهام الآدمية. ألا تراها نزهته بضعفها الفقير. وبذلها الحقير. فهو قابل ما يقبل منها الكبرياء والخيلاء. والتلبس بردائه وإزاره. يسحقه جحوده. ويفنيه تمرده. فإيمانك ضعف بادٍ منك فيك. فكلما آمنت به ازداد ضعفك وعظم عجزك. فأعظم المؤمنين أعظمهم ضعفًا وحيرة.

كما روي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه قال: «اللهم زدني فيك تحيرًا» وقال (ﷺ): «لا أحصي ثناءً عليك» وعن هذا المقام عبرت الملائكة الأكابر بقولها: «لا علم لنا إلا ما علمتنا». هناك في مهرجان الحضرة يكون الضعيف قويًا. والعاجز قادرًا والفقير غنيًا والعكس صحيح مقبول. من هو المؤمن في الأكوان. ليس هناك مؤمن على الإطلاق والحقيقة سوى الحق تعالى.

قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه سبحانه﴾ هو يغار أن يؤمن به كمثل إيمانه سواه. ويغار أن يكفر به كل الوجود وإلا أفناه. فإنَّ للحق إيمانًا بمقامه لا يبلغه كل الوجود.

بل لا يبلغ ذرة من ذاك العالم. لا نبي مرسل ولا ملك مقرب. وهذا من دواعي الربوبية. فإن حيطة الربوبية لو أطلعت الأكابر على ذرة من مخزون ذاك المقام لفسدت دواعيها. ولذا رحمنا الحق تعالى فجعل إيماننا به غيبًا. وعلقنا بالغيب لكون الحس يرفض حقيقة الإيمان. فإن الإيمان معدوم أصله.

مجهول عينه لا حقيقة له ولا يحققه سوى التعلق بما لا وجود له في الحس. بل بالوعد الذي عينه الحق لنا في الدار الآخرة وهذا الوعد لا شيء منه في هذه الدار.

فمن تعلق بوعد الحضرة الذي جهل عينه لنا في الحس فهو المؤمن المحض. لكونه آمن بما لا يراه واعتقده أقوى من الذي يراه في الحس.

فالحس مكر في الإيمان. لا تعلق له بحقيقته وكنهه. وهذا السر هو الذي أضاع مهج الكفار وحجبهم عن كنه الإيمان وعلى هذا الدهريون والشيوعيون. قالوا لا نؤمن إلا بما نراه. فهم بهذا لا إيمان لهم. بل لم ينالوا من حقيقة الإيمان كخردلة لا شيء لهم من حقيقته مطلقًا.

فحقيقتهم في الإيمان معدومة ولهذا استحقوا لفظ الكفر والجحود وعذبهم الحق تعالى بالنار الكبرى جهنم فمن كان غيبًا محضًا فذاك المحمدي الإلهي المحض ومن كان حسيًا محضًا فذاك المادي الجهنمي المحض. فانظر يا ولي الله قدر هذا العالم واعرف مقامك فيه من الوجود.

كتاب
حبل اللّه المتين في عقيدة الشيخ محيي الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

أشهدكم وأشهد الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والمؤمنين في العالم والكون وما وراءه: (أنني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله (ﷺ). وأن الله واحد لا شريك له ليس كمثله شيء على الإطلاق ولا يدركه سمع ولا بصر ولا قلب ولا آلة. وأنه يدرك كل هذه الأشياء وأنه لا ولد له ولا والد ولا شريك ولا صاحب ولا صاحبة ولا معين وأنه الفرد الصمد الوتر الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية. قائم بنفسه بالذات. ولا معين له على قيامه بنفسه، بل هو معين للمحدثات على أن تقوم بنفسها. ليس هو بجوهر ولا جسم ولا عرض مقدس عن الجهة والمكان والزمان وكل صفات المحدثات.

فكل ما خطر ببالك فالله دون ذلك. استوى على عرشه كما قال وعلى المعنى الذي يليق به والذي هو يعرفه لا نحن نعرفه، إلا من عرفه الله من أصفيائه، كان ولا شيء معه، هو يحيط بالكون لا الكون يحيط به، وهو يحيط بالزمان لا الزمان يحيط به، غير مجبور في أفعاله ولا يجبر الكافر ولا العاصي على اقتراف المعاصي والذنوب، وهو ليس ظالمًا ولا حقودًا لم يخلق الخلق لكي يستفيد منهم، بل هو الغني المطلق عن كل شيء بخزائن جوده. ونحن أهل الفقر المطلق إليه بمحض العدم، يعلم السر وأخفى ويعلم الجزئيات والكليات

على السواء. وهو عالم الغيب والشهادة، ويعلم الأشياء التي لم تخلق بعد، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور غير ممتزج بشيء، ولا فان في شيء، ولا مرفوع على شيء، ولا مخفوض تحت شيء، ولا منفصل عن شيء، ولا متصل بشيء. كما أن سمعه بغير أذن وبصره بغير عين وإرادته بغير قلب وقدرته بغير جوارح ولا آلات ولا جيوش وعلمه بغير اطلاع ولا مذاكرة ولا عن جهل أو عدم فهم وكلامه بغير لسان ولا حروف ولا صوت.

وحياته خارجة عن الزمان غير مرتبطة به ولا متعلقة بروح، وذاته سبحانه لا تقبل الزيادة ولا النقصان، وصفاته وأسماؤه لا تقبل الزيادة ولا النقصان لأنه منزه عن هذه المعاني، له سبحانه وتعالى الإرادة المطلقة والقدرة المطلقة، وهو قادر على كل شيء كما قال عن نفسه في كتابه. ولكنه لا يفعل إلا ما قدره وكتبه في اللوح المحفوظ. إن أنعم فهو عدل وإن عذب فهو عدل.

لو اجتمع الخلائق كلهم على أن ينفعوا الحق تعالى كقدر مثقال حبة خردل أو يضروه لما استطاعوا بل هو المتصرف في الخلق والكون على الإطلاق بغير عجز ولا خوف ولا ظلم ولا جور وإنه يجب على المكلف أن يعرف أن لله تعالى عشرين صفة وهي تنقسم إلى (نفسية) و(سلبية) و(معاني) و(معنوية) وأن الحق تعالى له (صفة نفسية واحدة) وهي الوجود. وله (خمس صفات سلبية) وهي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية. وله (سبع صفات من صفات المعاني) وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والكلام والسمع والبصر وله (سبع صفات معنوية) كونه تعالى قادرًا ومريدًا وعالمًا وحيًا ومتكلمًا وسميعًا وبصيرًا. ويستحيل على الله تبارك وتعالى عشرين صفة وهي أضداد العشرين الأولى وهي العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث والافتقار إلى المحل المخصص والتعدد والعجز والكراهية والجهل والموت والصمم والعمى والبكم وكونه عاجزًا وكارهًا وجاهلًا وميتًا وأصم وأبكم وأعمى. وأشهدكم أنه يجوز عمل الممكن وتركه لله تعالى ولا يجب عليه تعالى عمل شيء فهو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأصول الدين من حيث الاعتقاد ثلاثة وهي: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

وأشهدكم أن صفات الذات ليست عين الذات لأن الموصوف غير الصفة وليست غيرًا منفكًا عن الذات فلا تثبت في حال وتنفى في حال ولا هي قائمة بنفسها وإنما هي ملازمة لها على ما يليق بالله سبحانه وتعالى.

كما أشهدكم وأشهد الله وملائكته ورسله وعامة المؤمنين، أنني أؤمن أن سيدنا ومولانا محمدًا عبدالله ورسوله وخاتم الأنبياء، لا نبي بعده، أرسله الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأن القرآن كتاب الله كل ما جاء فيه حق محض وأنه غير مخلوق وهو آخر الكتب السماوية. كما أؤمن بكل ما جاء به محمد (ﷺ) وهو حق محض. وأؤمن بكل الأنبياء والملائكة والكتب السماوية والصحف المنزلة من قبل الحق على الأنبياء، والإيمان يزيد وينقص.

وقد ذكر من القرآن خمسة وعشرين نبيًا. وأولو العزم خمسة، وأؤمن بمعجزة النبي وكرامة الولي، والخارق للعادة ستة أقسام (معجزة وإرهاص وكرامة ومعونة واستدراج وإهانة) كما أؤمن بالعرش والكرسي واللوح والقلم. وأن الجنة حق والنار حق، وعذاب القبر حق وفتنة الموت والقبر حق، والبعث والنشور حق والصراط حق، والميزان حق والحساب حق وتطاير الكتب حق، والحوض حق، والكوثر حق، وخلود أهل الجنة وأهل النار حق ووعد الله حق والساعة حق ورؤية الباري في الدار الآخرة حق وأنه لم ير أحد الحق في هذه الدار سوى رسول الله (ﷺ)، وقد قام إجماع الأمة على أنه (ﷺ) رآه ليلة الإسراء والمعراج، كما أنني مؤمن بوجود الجن وإبليس ووجود السحر الحسد. فقد أنكرت المعتزلة وجود السحر.

كما أنني مؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره. ومؤمن بشفاعة النبي (ﷺ)

لعصاة هذه الأمة يوم القيامة. والحسن والقبح واضح لكل عقل ولب كما بينته الرسل وبينه الكتاب والسنة.

والعقول ضلت بإرادتها واختارت القبح لذواتها بكامل إرادتها. واختارت الحسن لذواتها بكامل إرادتها والحق تعالى لا يجبر أحدًا على شيء.

كما أقول وهو مذهبي بعدم وجوب الأصلح على الله سبحانه وتعالى لأنه لو وجب عليه تعالى فعل شيء أو تركه لما كان مختارًا ولأن الألوهية تنافي وجوب المختص بالعبودية ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾. ولأنه مالك والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وأجمع أهل السنة وغيرهم على أن نصب الإمام على الأمة واجب على المسلمين شرعًا لإجماع الصحابة على ذلك وقد قدموه على دفن رسول الله (ﷺ) إذ به تقام الحدود وتسد الثغور ويحفظ النظام وقد اتفق أهل السنة على أن نصب الخليفة فرض كفاية وله عليهم الولاية العامة والطاعة التامة.

هذا وإنني لا أنكر على أحد من الأولياء فإن الإنكار على أولياء الحق سم يسري في الدماء لا يتبدل.

وإنني أحترم مشايخي وأوقرهم في غيبتهم وحضورهم لحقوق لهم عليَّ.

هذه عقيدتي بخط يميني إلى يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الأخيار آمين.

كتاب
سدرة المنتهى
في شرح أسماء اللّٰه الحسنى

الحمد لله ذي العز الأبهى. والسلطان الأسنى بديع ليس يوصف وجميل قل أن يُعرف. بهرت الوجود آياته. وتشعشعت في الملكوت تجلياته.

ليس في الكون سواه ولا جميل إلا من عين بهاه ليس هناك كون. وإنما هو الكون.

فافهم يا ولي هذا اللون. فإن ههنا ديار ليلى ومنازل سلمى. فإنه ليس بيننا غريب ولا محجوب غريب. فإن هنا أطيار الذوق تصدح. وبلابل العلم اللدني تفصح. فألق نفسك وانزل خبثك. وتعالى إلى ديارنا وعلق قلبك بآثارنا. واترك علومك ولا تعتز بفنونك ولا تتجمل بفتونك. فإن ههنا تضيع العلوم والفنون والفتون.

سليمى لا تنسي معالمنا   وحبًّا دهرنا صانا
وذكرى في ربوعهم   وخلًّا قلما خانا
وعهدًا طالما وثقا   وصبًّا دهره عاني
سليمى طالما مزحت   بحب مره زانا
وكأس الوصل إن صدقا   فمر الحب قد هانا
ويشرب كل ربعهم   وكل الرسم وافانا
ووجه الصبح إن سفرا   تباوحنا شكايانا

وذرف الدمــــــع هــاع   وطــول الصــبر أبلانــا
وحــين النــأي أشجــان   وطــير البــين فتــانــا
قصــدت القــاضي ينصفنــا   وينصر كــل مــن عــانــى
أقـــاضــي إنـنــي آتِ   لأشكــوك رزايـــانــا
فقــال النــأي مــذهبنــا   دواء النــــأي داوانــــا

وصلى الله على أستاذ الوجود وعرش الشهود. مولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فهذا كتابي المسمى «سدرة المنتهى في شرح أسماء الله الحسنى». قد ضمنته شرحًا لأسماء الله الحسنى يليق بأهل المعرفة. وشيوخ الخرقة. من أخبوا هذا اللون وفنوا فيه. وجروا عليه. وتعلقوا به قد حوى فرائد الأفكار. وتجليات الأسرار. فإن الحق تعالى كل يوم هو في شأن. ولم تتوقف أسرار القوم عند زمان ولا حددها مكان. ولا جمع العلوم كلها عارف. ولا انجمعت في كتاب. فإن الحق تعالى يبدي كل يوم وليًا في أصفيائه. ويقول له: اخرج للناس وحدثهم عني بمقام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهذا الولي يوجد عنده ما لا يوجد عند كل من مضى من أهل الله حتى يغبطه الأنبياء والمرسلون يوم القيامة. وكذلك الأمر سيأتي بعد هذا الولي ولي آخر يكون عنده ما ليس عند هذا الولي. فإذا علمت هذا أيها الولي المتحقق والصديق المدقق. علمت عدم انتهاء العلم الإلهي المكنون. والدر اللوحي المصون. فإن الحق تعالى لم يتجل بتجليين متشابهين. ما كان وما ينبغي له هذا. فكل ما خرج من حضرته جديد بحت. ليس فيه نعت تشابه ولا صفة توافق فإن يد الخالق قديمة ولا تخلق إلا جديدًا. فهنيئًا لهذه الهياكل بتلك الحضرة القدسية التي تجد ولا تتجدد وتخلق ولا تُخلق.

والسلام على روح القدس المصون. وعلى نفس الرحمن الساري المكنون.

١ ـ « الله »

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الله هو عرش الصفات وسقف الأسماء. ولكن الأسماء احتارت في أن تصفه. وتعرفه وأين ماهيته فإنه الهو المطلق. وما هو؟ بل وما هويته؟

لا شيء سوى المجهول فما لنا معرفة على الحقيقة بالله أي لهذا الاسم وما ماهيته سوى الجهل المطبق. والعماء المطلق. وهذا من أسرار حجابه وعدم بدوه لنا في هذه الدار. فإذا قيل لنا الله طارت حجب هو منا إلى صفاته وأسمائه مثل الرحمن والغفور والشكور ليس سوى هذا ولكنه سبحانه ما هو هذه الأسماء في حقيقة اسمه « الله » فإن الاسم « الله » ليس له من معانينا شيء أصل وهذا قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فما هو على الحقيقة الرحمن ولا الغفور ولا الشكور بل هو شيء آخر عجيب فأين نحن من الله في الأسماء سوى التسع والتسعين اسم الحجابية التي تغطت بها حقيقة الاسم « الله » وما هي حقيقة الله أصلًا بل هي الظاهر وما أريد بالظاهر من الباطن إلا الحجاب المغطى والسر المعمى فافهم.

٢ ـ « الصادق »

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الصادق هو عرش تجليات الصدق في العوالم، وسره هو الذي جعلنا نصدق الرسل وهو الذي أقام الصديق في صدقه، وهو سر ناموس الإخلاص فإنه لولا الصدق لما كان إخلاص أصلًا، ولما شم الصادقون طعم الإخلاص فبالصدق كان الإخلاص. والقطب المتربع على عرش الأخلاق الإلهية الكاملة ليس له في التحقق سوى قيامه بصدق الحق تعالى، وإن أعظم مقامات هذه المرتبة من صدق نفسه بنفسه وإن زندقه وكفره كل من حوله فإنه كالجبل العملاق قائم راسخ في نفسه ومن حوله كالبعوضة تنفخ عليه أتراه يتزحزح؟.

ولذا قيل إن الصديق هو ذاك الرجل الذي يحكم بزندقته سبعون صديقًا فلا تتم صديقيته إلا بهذا الشأن. فهذه الصفة هي صفة الرسول الذي يبعث في قومه ولا يجد على ظهر الأرض من يؤمن به إلا هو قائم يصدق نفسه بنفسه وإن أجمع كل من حوله من قومه على كفره وضلاله. وقد قيل لأبي القاسم (ﷺ) إنه ساحر وشاعر، فلم يلتفت إليهم ولا أذعن إلا لنفسه فهو قطب الوجود ورحاه وعمود الكون وهيكله في تصديقه بذاته.

٣ ـ المصور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى ما صور الكون إلا على صورته وجعل هذه الصورة مجموعة في العين الإنسانية فهو مجمع الأكوان، بل هو العين الإلهية ونسختها، ولذا قال أبو القاسم (ﷺ): «إن الله خلق آدم على صورته» رواه مسلم في صحيحه وإن من شيء في الوجود له صورة إلا وله صورة إلهية قد نُسِخَ منها وعنها ذلك الشيء، لكن بلا تخيل وتوهم فحاشا للعقل الآدمي أن يدخل في هذا الميدان بل هو كالطفل يرى أباه وأمه ولا يتذكرهما إذا كبر فهو يرى ولا يتذكر، وهذا من أعجب درر ويواقيت هذا الباب فافهم.

واعلم أن المصور أي الذي جعل العالم على صورته والعالم المجمع في النسخة الآدمية، فإن آدم هو العالم المصغر الذي هو نسخة طبق الأصل صُورت عن العالم الأكبر ولم يُصوره الحق تعالى صورة بالتجسيم وإنما صوَّر المعاني. فإن نسخة الصورة الجسمانية في معناها ليست هي المقصودة فهي تعني الظهور والحق له البطون في هذه الدار.

فعلمنا أنه لم يبق لنا إلا التصوير المعنوي غير الملموس من بقايا هذا الاسم.

٤ ـ الصبور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الصبور هو محل تجليات صبره في العباد وقد أفرغ مراد هذا المعنى فيه أي في هذا الاسم.

وذاك القطب المتحقق لا يتربع إلا بتحققه بصبر الحق تعالى على العباد وما الذي يجعل الخالق الأعظم الذي هو قائم بذاته ومخالف للحوادث أن يصبر ولمن يصبر وعلى من يصبر وإلى متى يصبر وهل صبره متعلق بالزمان والمكان.

فإن علمنا المحض الذي لم يخرج لأحد من الحضرة سوانا من أولياء هذا الزمان رضي الله تعالى عنهم هذا العلم اقتضى علينا أن الحق تعالى لم يصبر أصلًا إلا لأجلنا لا لأجله وعلينا صبر وإن صبره تعالى غير متعلق إلا بفترة الدنيا فقط وقبل خلقها لم يصبر أصلًا وفي الآخرة لا صبر أيضًا فكان صبره كصفة غير محدث، ولكن التعلق محدث بالزمان والمكان فالزمان هو زمان الدنيا والمكان هو الدنيا. وكذب من قال عنه سبحانه إنه يصبر في حق نفسه فبقية الصفات تلغي صبره في حق ذاته المقدس، لكن يصبر لأجل المخلوق لا لأجل الخالق.

وعندنا صفة مخالفته للحوادث قد ألغت صبره في حق ذاته وصفاته. وكذا عندنا صفة اسمه الخالق قد صبرته على خلقه وجعلته صبورًا علينا ولأجلنا.

وأعظم الخلق تحققا باسمه الصبور هم أنبياء الرسالة فإنهم أهل التحقق الكامل باسمه الصبور وأعظم تحققا القطب الكامل عملاق الوجود مولانا رسول الله (ﷺ) ألا تراه كان إذا اشتد صبره جاءه ملك الجبال وقال له: دعني أطبق عليهم الأخشبين فيقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ثم يقول: «عسى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله».

٥ ـ القوي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القوى الكونية جميعها سواء القوى الآدمية والحيوانية والجمادية والنباتية كلها مستمدة من حضرة هذا الاسم ولو سلبها الحق تعالى لحظة واحدة من أعيانها لصارت هباءً منثورًا لا يتحرك ولا يحركه شيء أصلًا.

فإن المحرك الأعظم في الأكوان هو الحق سبحانه وتعالى وهو غذاء الكون الأصلي الذي يسري فيها بغير رؤية فهو ليس خارجًا ولا داخلًا فيها حاشاه.

والقطب ذلك الفتى صاحب هذا الاسم هو المؤتمن على خزائن القوى في العالم قد صرفه الحق تعالى فيه وائتمنه عليه صاحبه ائتمانًا مطلقًا فهو ينوب عن الحق تعالى في التصرف بقوته.

كان من أقطابهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فإن أحواله تدل على أنه من عظماء هذا المقام وجهابذتهم فإنه كان صاحب تصرف باهر في الأكوان، كما يحكى عنه أنه أرجع الشمس حتى صلى العصر.

وهناك صنف من أقطاب هذا المقام نالوه وبطنوه وأخفوه وناموا في المقام وستروا أنفسهم بالعجز الكامل والضعف الشامل.

وكان مع شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من تصرفات هذا الاسم ما لو شاء أن ينقل به الجبال ويهدم السماء على الأرض ولكن تركه وادّعى مقام العوام المحض.

ولكن مقام القطب المكتوم قد ألغاه حتى قال: أنا العامي المحض وعكس من مضى من أقطاب هذا الاسم الأقطاب الظاهرون الذين أبدوه في الظاهر وكان منهم عبد القادر الجيلاني وهو أقل مقامًا من الطبقة الأولى التي سترت أسرار هذا الاسم. غضب ذات يوم ببغداد فنشب حريق هائل دمر بغداد لولا أن جاءه الخليفة العباسي وقال له: اصفح يا مولانا أهلكت الخلق فلما

هدأ انطفأ الحريق وإذا نظرت في المناظر الإلهية رأيت صورة القطب الجامع المنفرد وقد حمل أثقال الكون على عاتقه بسر هذا الاسم وهو مقام صعب ثقيل يذوب تحته الرجال ولكن بسر هذا الاسم تذوب العوالم والأكوان تحت قدم القطب الجامع المنفرد.

٦ - الكريم

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الكريم هو الذي يكرم نفسه قبل أن يكرم غيره ولنا قال لنا النبي (ﷺ) معبرًا عن هذا المقام: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» فإنه إن لم يبدأ بنفسه هلك وفسد أمره. فإننا لم نعرف الحق تعالى إلا وهو المثل الأعلى المنزه عن النقائص الكلية صاحب المجد الكامل الكلي .وهذا غاية الكرم الإلهي في حق الذات الإلهية والصفات. فمن أكرم نفسه بنفسه فليخرج إلى العوالم وليكرمها من كرمه فإنه حينذاك ينفق من عين لا تنفد ألا وهي عين الجود الإلهية التي هي محل الكنوز القدسية.

وإذا رأيت القطب البارع المتحقق بهذا الاسم وأسراره رأيته متجليًا مكتملًا متكاملًا في أبي القاسم (ﷺ)، الذي قيل فيه: «أجود من الريح المرسلة» فإن سر التعبير بلفظ الريح له سر باهر ومقام ساحر فإن الريح ما تركت مكانًا ولا زمانًا إلا وقد انتشرت في كل ذرات الوجود وجزئياته.

وهذا يسمى في علمنا البقاء الكامل للمظهر المحمدي من قبل ومن بعد ظهوره الحسي الشبحي المتمثل في عمره الدنيوي فإن الذات المحمدي هو أصل الأشياء وصاحب الكرم الكامل الذي خرج من الحضرة ليكرم العوالم جلة ويهبها من فيوضاته ويمددها من وارداته فهذا سر الكرم المحمدي ووجوده في كل مكان وفي كل زمان.

٧ - المتكبر

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن المتكبر هو الذي لم يجد من يماثله، فعلا عليه بإرادته وأفهمه ذلك بكلامه وإشارته ورمزه.

وذاك القطب المتكبر ما تكبر إلا عن صفة الحق تعالى فيه تكبر وله تكبر وإليه تكبر وفيه تكبر.

أما من ادَّعى الكبر عن غير الإذن الإلهي فهو ممكور به قد تطفل على الحضرة ودخلها من غير بابها.

وعلم أن المتكبر لم يخرج عن قدره أصلًا وإن رآه الرائي أنه خرج عن قدره. ألا ترى أن النبي (ﷺ) قد قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». أي بلا فخر وتكبر هذا هو قدري ومقامي المحض.

وأقطاب هذا المقام لا صفة لهم في حظوظ النفس إلا التعلق بالنفس الإلهي الخارج من مقام الكبرياء والقعود عليه فهؤلاء حقًا هم أقطاب الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٨ ـ العزيز

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن العزة الكاملة الجمعاء لله تعالى وإن أعظم أهل الأرض عزة، لو أُلقي في بحر العزة الإلهي لصار ماء. ولو ألقيت قطرة من بحر العزة الإلهي على هيكل الكون لصار وردة كالدهان.

وكان من شيوخ هذا المقام شيخنا عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى سره، فإن العزة الإلهية كانت متحكمة فيه تحكمًا كاملًا، فكان لا يخاطب أحدًا إلا وهو في هذا المقام.

وكان أبو يزيد رضي الله عنه ممن حظوا بخلع هذا المقام فقد حُكِيَ عنه أنه خرج من معبده فرآه تلميذ له فمات حالًا فسُئل عن ذلك فقال: خرجت إليه بصفة ما يحويه قلبي من عظمة الحق تعالى فلم يحتمل تجلي الحق تعالى فمات.

واعلم أن أعظم شؤون الحق تعالى في مقام العزة مقام عزته بنفسه فإنه سبحانه وتعالى ما يعتز بشيء مثل اعتزازه بنفسه، قال تعالى: ﴿وما قدروا

الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه﴾ فما عرفه على التجريد أحد سواه. فهذا سر مقام اعتزازه سبحانه وتعالى بنفسه.

٩ ـ الحكيم

اعلم أيدك الله أن اسمه الحكيم أي صاحب الحكمة المطلقة في الأكوان يبديها ويخفيها. ثم رأينا هناك كلمة لا تحتملها عقول العالم ولا العوام ولا الخواص ولا أهل الرسالة ولا أهل الألوكة ومن هنا انقسمت الحكمة لدينا في نظمنا إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: حكمة العوام وآيتها قوله تعالى: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾ فهي غير محجوبة بل لكل الناس.

المرتبة الثانية: حكمة الخواص وآيتها قوله تعالى: ﴿**إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها**﴾ وهي للأنبياء والمقربين من الرسل والملائكة.

المرتبة الثالثة: حكمة الحق تعالى وآيتها قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ليس كمثلها شيء ولا أحد يعرف عنها شيئًا أصلًا اختص الحق تعالى بها نفسه وخلا بها بنفسه وهذه الحكمة لا يعرف ذرة منها أي مخلوق وهي من علوم الغيرة المحضة. فافهم هذا السر يا ولي الله.

١٠ ـ الجبار

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى ما تجبر إلا على أهل التجبر لكون صفاته سبحانه وتعالى لها وظائف كونية تختص بها فكل عين من الأعيان الموجودة تأخذ ما يحققها من صفات الحق تعالى وما يلائمها وما يراه الحق مناسبًا لها فليس في الإمكان أبدع مما كان.

وإن خرجت العين الوجودية المؤمنة عن نطاق أدبها خرج لها من عين الجبروت ما يؤدبها به الحق تعالى ويرجعها إلى سلوكها القويم.

ولذلك وجدنا في علومنا أن أعظم أهل الولاية تحققًا بهذا الفن هم أهل الذل التام كان منهم أحمد الرفاعي صاحب أم عبيدة كان إذا نظر تلك العين ذاب حتى يكون ماءً ثم يجمد فترجع بشريته فيقول لأصحابه: لولا لطف الله لما رجعت لكم.

واعلم أن صفات الجلالة الإلهية لا تقاوم ولا ينبغي لعارف أن يقاومها وإلا أرجعته إلى حده كي يعلمه الحق تعالى كيف يتأدب معه ألا ترى إلى ذلك النبي الصديق يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضبًا وظن أن الحق تعالى لن يقدر عليه، كيف أرجعته تلك العين إليها فقال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فهناك هناك تحقق ذاك العارف يونس عليه السلام، ما قدر تلك العين ومدى قوتها ومقاومتها فرجع آيبًا تائبًا.

١١ ـ السلام

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن الحق تعالى لن يترك عينًا برأها بيديه إلا وقد سالمها وعن هذا المقام قال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وفي الحديث القدسي: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب: «سبقت رحمتي غضبي».

وإن عظمته اقتضت مسالمته سبحانه وتعالى وهذا من أعظم الدلائل عندنا التي تقتضي عظم مكانة الأخلاق الإلهية والتي أمر الحق تعالى رسله وأصفياءه أن يتخلقوا بها سرمدًا إلى يوم أن يلقوه بها. وذاك القطب الفرد الجامع محمد (ﷺ) ألم تره قد سالم المؤلفة قبل أهل الصفة فكان يعطي الغنائم للمؤلفة قلوبهم ويكل أهل الصفة لإيمانهم.

وتراه يقول لمن آذاه وعذّب أصحابه: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ويقول لمن جاء كي يطبق عليهم الأخشبين: «اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

هذه أخلاق ذلك القطب المسالم المسلم المستسلم عين الأكوان محمد بل هو

عين السلام الإلهية التي قيل فيها في عالم البدء الأول: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ هو عرش الإله وكرسيه وعين سر ذاته. فإن عندنا محمدًا (ﷺ) هو عين سرّ الذات ومن قال بغير هذا من أهل العرفان أخرجوه وكفروه.

١٢ ـ الولي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى قد تولى الأكوان بمن فيها على الإطلاق لكونه الولي الأعظم فهذه عندنا هي الولاية العامة.

أما الولاية الخاصة فلها ديوانها ورجالها وأقطابها المميزون فهم في ولايته تحت ولايتين عامة وخاصة.

وبسر هذه الولاية أنه تعالى قد قام بنفسه فإنه سبحانه لم يقم به أحد بل هو قائم بنفسه وقائم بكل أحد، ولما صحَّ له عز وجلّ أن يتولّى نفسه فقد تولّى الكل، والولاية لا تصح إلا معنوية، فإن ولايته سارية في الأكوان وقائمة بشؤون العوالم.

وذاك القطب المنفرد على قدم الحق تعالى قد تولى شؤون العوالم يصرفها معنويًا، وقد قرأت في كتاب «المنن» للشعراني وكان من أقطاب هذا المقام أنه كان يطوف الأرض كلها في سويعة. وعن هذا المقام تحدث أبو بكر الشبلي لما بلغه فقال: لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنه ممكور بي ويُروى عنه قوله أيضًا: لو تحركت ذرة في العالم دون علمي بها لقلت إنني ممكور بي.

١٣ ـ المتعال

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه المتعال أي الذي هو متعالى في كل لحظة، بل من اللابداية إلى اللانهاية فإنه سبحانه تعالى فيما لا نعلمه نحن ويعلمه هو. وعلى من يتعالى؟ إذا كنا لا نفهم تعاليه ولا يفهم سر هذا التعالي أحد، هذا من خصائص أسراره العليا ومن علوم الحقيقة المحمدية

الكبرى والتي لم يكشف لأحد عنها سواها.

ومن يتعالى بجواره خسف به في الدارين ولا يبالي. وإذا كان من اللابداية إلى اللانهاية في تعال، فإنه قد خرج بهذا عن وصف المكان والزمان، لكون هذا التعالي لا يعني جهة العلو وإلا دخل تعاليه سبحانه في حدود المسافات وحاشا له ذلك ونحن نبرؤه من هذا.

وذاك القطب البرزخ يتعالى في كل لحظة على صفة خالقه فهو في ترق مطلق حتى بعد انتقاله إلى العالم الآخر، فجعل الخالق هذا المخلوق هو عينه، ألا ترى أبا القاسم عليه السلام قال عن هذا المقام: «الأنبياء أحياء في قبورهم» فدلت حياتهم على بقاء ترقيهم في عالم القدس الأكبر، واستمرار تعاليهم مع الحق تعالى.

١٤ ـ الجميل

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الجمال الإلهي هو نتائج ما ظهر إلى الوجود وما حملته صورة الأعيان، كل هذا ذرة من محيط الجمال الإلهي.

والمتحقق لدينا أن الجمال يتناقص كلما كان مجسمًا ويتزايد كلما كان معنويًا، ولذا لا علم لنا بالجمال الإلهي في هذه الدار لكونها دار أجسام وجمادات، ولا نعلم مقام جماله إلا حين تجليه لنا في الجنة في الدار الآخرة وإنما علمنا جماله لما علمنا جمال المحسوسات، فالحس لولاه لما علمنا جمالًا قط. وإن نهاية الجمال المحسوس هو بداية الجمال المعنوي، ولذا كانت صورة الجمال اليوسفي هي بداية جمال أبي القاسم (ﷺ). ولا قياس في هذا على جمال المصورات المحسوسة، فإنه لما قال أُعطيَ يوسف شطر الحسن، أي شطر الجمال المعنوي الذي لو تجسد لكان أبو القاسم (ﷺ) قد حظى به كله.

وإن أهل هذا الدار لا يقيسون الجمال إلا بمادة الحس ونحن لا نقيس بهذه الكيفية، فربما عندنا أجمل الناس صورة في الحس هو أقبحهم صورة معنوية، فهذا سر قوله عليه السلام: «أعطي يوسف شطر الحسن».

١٥ - البديع

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن البديع مرتبة أرقى من مرتبة الجمال، فإنه لا يقتضي أن يكون كل جميل بديعًا، ولكن كل بديع جميل، فإن الإبداع هو الظهور بما لم يعرف من قبل من تكرار ما لم يتكرر ولن يعرف أصلًا.

أما ظهور ما يعرف وما عرف من قبل وتكرار ما تكرر فلا يسمى بالبديع في علومنا، ولهذا سمى نفسه سبحانه بديع السماوات والأرض، أي الذي يظهر فيهما كل يوم ما لم يتكرر من قبل بل في كل لحظة، وعن نفسه قال: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي في الإبداع فهو البديع الأكبر. ولولاه لأصبح الوجود صورة جامدة ساكنة لا إبداع فيها.

وأعظم من تحقق بهذا الاسم هو نبينا عليه السلام فإن دينه نسخ كل الأديان وأبدع في هذا ما لم يبدعه مخلوق سواه فهو محط الإبداع الإلهي ومرآته، الذي قيل فيه: «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك».

١٦ - الخبير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن اسم الخبير، هو الذي خبر الحقائق كلية من قبل وجودها ومن بعد تحققها وتجسدها، خبرًا لا ينقص هذه المعرفة من قبل تحققها عنها يوم تحققها أو عنها بعد تحققها بل هو هو في علمه بها ولهذا قال مخبرًا عن نفسه: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾. أي في بقاء الحقائق وثباتها في العلم الإلهي، فإن العلم الإلهي ثابت باقٍ لا يدخله تردد أو تلوين أو تزعزع أو تزحزح إلا إن اقتضاه علم النسخ.

١٧ - القدوس

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه القدوس أي القائم بحق تقديس الذات والصفات لنفسه بنفسه، ومن ثم تجلى على ذاك الآدمي فسماه

قدوسًا مثله لما نزهه وقدس ذاته وصفاته. وعلى هذا فإن الأعيان المقدسة هي عين الحق تعالى في مقام التقديس فإنه لا شك أن العبد يقدس ربه والرب يقدس نفسه فلا فرق في المقام فإن العين واحدة.

١٨ ـ الحي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحياة السارية في الأكوان ما هي إلا قطرة من البحر المحيط الأعظم في الحياة الإلهية السرمدية، أمدَّ الحق تعالى بها الأعيان منذ أن خلقها إلى أن تنتهي الأكوان.

أما الحياة السرمدية التي تتعلق بالجناب الإلهي المقدس فقد خرجت عن نطاق الزمان وأين الزمان منها، وقد انبثق الخلق عنها وإن الخلق لقطرة من بحار ذاك المحيط الأعظم.

١٩ ـ النور

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه النور هو علة أنوار الوجود والعوالم الذي لولاه لما أضاءت الأكوان، ولما أشرفت النجوم والكواكب وإن الواسطة هي التي أعطتنا حق ذلك النور، ألا وهي الذات المحمدية، فإنها ولولاها لما أبصرنا ولكانت العوالم ظلامًا دامسًا تامًا.

وإن حقيقة الذات المحمدي أنه عين اسمه النور وعرش الأنوار الكبرى وعنه تولد كل شعاع وضوء فإن العين الإلهية ما أعطت صفة نورها إلا للذات المحمدي الشريف وألبست أثواب الأنوار الكبرى عليها وتوجتها بتاج شعاعها وجملتها بهندام بهائها وأقامتها في أعراس حضرات أنوارها فهي نور الأنوار الأعظم. وناموسه المطلسم.

واعلم أيدك الله أن الحق تعالى هو نور الأنوار الكبرى فإن العدم لا نور له أصلًا إلا إذا انتسب إلى الحق تعالى فإنه حينذاك بنور إذا اكتسب منه صفة النور وتلبست به تلك الصفة. فعلمنا في لسان ذوقنا أن الكون كله

ظلام دامس وما أضاءه غير اسمه النور فإنه هو الموكل بهذا العمل.

ووجدت القطب المتربع في هذا المقام أصل النور في الكون وعرشه الأعظم وهو المضيء لدياجيره ودجاه وقد كان على هذا القدم مولانا عبد المجيد الشريف قدس سره فإن الشعرة في لحيته كان فيها من الأنوار ما يهدي كل أهل الكفر الذين على وجه الأرض.

فإن هذا القطب هو الموكل بنور الأنوار والحامل لسر النور الأعظم في كل عصر لولاه لانطفأت أنوار الكهرباء وتوقفت عن الإضاءة نجوم السماء وعن هذا قيل من قدر نبينا أي القاسم (ﷺ) ﴿قد جاءكم من الله نورٌ﴾ فلم يذكر الهيكل الجسماني له ولا الروح الصرف بل نكره على أنه نور محض صرف فانظر يا ولي الله قدر هذا الاسم في العالم وعظم أثر وظيفته في الأكوان. جزء سادس سورة مائده

٢٠ ـ القيوم

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القيوم هو الذي قام بنفسه وبكل شيء سواه. فهو القائم بمجموع الذرات الكونية وجزئيات الوجوب بل يسري فيها سرياناً لا فراغ منه ولا يحد بعامل الزمان والمكان، فإن قيوميته لا غنى لنا عنها ولا غنى له عنها ولو غابت عنا لحظة لهوى العالم وتضعضع الوجود فإن قيومية الحق تعالى هو قوة الوجود التي أقامته وإنه سبحانه قد قام بالأشياء وقام أيضاً بالعرش الذي استوى عليه وصح في علمنا أن كل ذرة في الوجود قد أخذت حق القيومية الكبرى في الحقوق الإلهية ومن مقدار هذا الاسم الجليل.

٢١ ـ الملك

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الملك يملك العالم في أمره وأن الحق تعالى يملك الوجود وما وراءه في طي قبضته وهذا يتحقق يوم القيامة له

ولمكانته قال الله تعالى: ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وأعطى هذا الآدمي ذا الجرم الصغير حقوق الملكية في وجوده وأكوانه فجعله ملكًا يحكم في الأرض وإن كان غير مؤمن به وقد يسود على من يؤمن به فإن الأعيان على صفة مصورها وباريها هي عينه في الأسماء ومنازلاتها.

وجعل الإله جل جلاله الآخرة لا يملكها إلا أعزاؤه وأقسم بهذا في المحكم حيث قال: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

فجعل المؤمنين ملوك الآخرة كما جعل الكفار ملوك الدنيا كما قال أبو القاسم (ﷺ): «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وإن عظمة ملوك الآخرة أي أهل الإيمان أنهم ملكوا الدنيا كما ملكوا الآخرة فزهدوها وجعلوها سجنهم فمن أعظم من هؤلاء الملوك؟

٢٢ - القهّار

اعلم أيدني الله وإياك أن هذا الاسم من جلائل الأسماء الإلهية البارزة في حضرة القدس فإن العبودية في الأعيان ما تمت إلا بالقهر لهم، فالعالم مقهور للحق تعالى فمن هنا علمنا أن العالم هو ما سوى الحق سبحانه فإنه تعالى قاهر لا مقهور، وما القهر في الأسماء الإ سر المراد الإلهي من العالم، فإن الحق تعالى أراد من العالم أشياء ما حققها إلا القهر، وهذا سريان الحق تعالى في العالم، حتى مقام الرضا ما تم إلا بالقهر، فإن الراضي ما وُلد راضيًا إلا بسلطان القهر وهذا سر قد أطلعتك عليه فاعلمه يا ولي الله.

وهذا القطب المتمكن على قدم الحق تعالى قد قهر الأكوان فاستجابت له وإليه، وآية هذا القطب المنفرد من الكتاب قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾.

٢٣ ـ المهيمن

اعلم أيدك الله بروح منه أن الهيمنة مقام أرقى وأعلى من مقام الكبرياء قال تعالى: ﴿ومهيمنًا عليه﴾. فإن الهيمنة نوع راق من الكبرياء لا يوصف بالحرف الظاهر ولا بالعبارة الكلامية ولا يملكه إلا سلطان الذوق، هنا يهيم ذاك القطب المنفرد في مقام فوق الكبرياء لا وصف له في مظاهرها إلا لذاك القطب فإنه الهائم في كبريائه هيام تمكن وتمكين.

وأقول لك إن هذا المقام قد فاق مقام العزة أيضًا، لما فاق مقام الكهرباء، فلا تلحق كبرياء ولا عزة بمقام الهيمنة، ذاك عالم غريب صرف محض من أنواع الكبرياء والعظمة الراقية جدًا نحن في حجاب مطبق عن تذوق خلسة منها لا يكون إلا للحق تعالى فقط فإنه هو المهيمن على الأكوان بمجموع الأسماء والصفات الكلية فإن مجموع الأسماء والصفات قد خضعت لاسمه المهيمن فهي تحت حيطته، وإن الحق تعالى ما هيمن علينا إلا بهن فافهم.

٢٤ ـ الظاهر

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الحق تعالى هو الظاهر في الكون والعوالم فإنه ما سمى اسمه الظاهر عبثًا فإن العالم على صورته وهو عين العالم. إذ الظهور لا يجوز في حق العدم أصلًا إلا إن اقتضاه اسمه الظاهر، فظهر العالم بالحق تعالى وظهر الحق تعالى بالعالم. ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي أن الحق تعالى يسبح نفسه بنفسه ظهورًا وبطونًا. فافهم لغتنا يا ولي الله فما ظهر لنا على التحقيق سوى الحق تعالى فإن الكون أصلًا ما هو سوى العدم الجامد وظهوره هو تحريك الحق تعالى له كي يقوم بمرادات الحضرة وما اقتضته منه فلولا ظهور العالم بتلك الحركة ما تمت مرادات الحق تعالى من هذا العالم ثم أقول إن الحق تعالى عين كل شيء فإنه ما تحرك ثم إلا به وما برز من جموده إلا بظهور الحق تعالى فيه. وذاك القطب الفرد الظاهر

حمل هذا الاسم وأعطاه الحق تعالى مقام الظهور في العالم والظهور بالعالم، فأعطى كل شيء قدره من اسمه الظاهر فمن ثم ظهر في مقام الحق بالحق وفي مقام الباطن بالحق تعالى أيضًا فليس الظهور هنا كالبطون. فمن فهم هذا العلم ورث هذا العالم.

٢٥ ـ الباطن

اعلم يا ولي الله أيدك الحق تعالى بروح القدس، أن اسمه الباطن هو روح اسمه الظاهر، فإنه لا ينبغي ظهور بغير بطون كما لا ينبغي بطون بغير ظهور، وجهل من ادَّعى غير هذا الذوق فإنه اسمه الباطن هو المحرك لظاهر العالم، ومن كمال الخالق تعالى في مرتبته ومقامه لم يبد لنا في مقام البطون ولا ينبغي لنا أن نراه فيه. فإن الحق تعالى ما كتب على عامة الناس سوى رؤية المظاهر الكونية دون رؤية المحرك الباطن بها. وهذا لا يراه إلا أرباب المعرفة الذوقية هناك يرون العالم جامدًا كدمية وما تحركها على التحقيق إلا يد القدرة، فالعالم كما تعلم ما يحركه سوى أصابع القدرة. وهل رأيت قلمًا يحرك نفسه بنفسه إلا إن حركته أصابع الكف، فكذا العالم وما ظهر فيه، ما هو سوى الجماد المحض والسكون المحض وما حرك نفسه بنفسه وإنما حركته قدرة الحق تعالى الخفية والمعبر عنها في علومنا باسمه الباطن.

٢٦ ـ الفتاح

اعلم أيدني الله وإياك بكمال معرفته أن اسمه تعالى الفتاح، أي الذي فتح ما انغلق من الأشياء العلمية والذوقية والكشفية والمرادية في العوالم فإن العوالم ما أرادت الانغلاق على ما هي عليه وإلا أصابها العجز والقدرة حاشاها من أن تعجز فافهم، فكل ثانية زمنية من زمننا يكون العالم فيها في انفتاح وتوسع يحركه بسر هذا الاسم، فلولا هذا الاسم لظل العالم مغلقًا على هيئته الجمادية. ونظرنا في علومنا فوجدنا العالم في كل مثقال ذرة ثانية زمنية يكون في توسع في اللاكون، فالفضاء الكوني يتوسع في اللاكون وهو الحق تعالى أي (اسم)

سر توسعه وانفتاحه، حتى يكشف لنا سبحانه عن مراداته وعلى قدر هذا العقل الآدمي الذي لا يحتمله دفعة واحدة.

٢٧ ـ الحق

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه الحق هو ميزان استخراج نسب الحقوق من الأسماء الإلهية وللأسماء الإلهية فلولاه لضاعت تلك الحقوق.

فعلمنا أن اسمه الحق هو الذي تحقق به الحق تعالى من نفسه ومن العالم، وهذا من كمال شؤونه العليا سبحانه وتعالى ومراداته من نفسه ومن العالم، وبهذا علمنا أن الله الخالق الأعظم هو الحق الأول، وكذلك هو الحق المحض وما خلق الباطل إلا لإظهار هذا الاسم منه، فإنه لو لم يخلق الباطل لما تحققنا بالحق فإن الأمر لا يظهر إلا إذا ظهر نقيضه فما رحمنا سبحانه وتعالى إلا بخلقه للباطل وتعريفه لنا أنه باطل ضده هناك لزمناه هو على أنه الحق المحض الذي لا محيد عنه فافهم هذا السر يا ولي الله.

٢٨ ـ الكبير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه وتعالى هو الكبير في مجموع الفضائل الأسمائية ولا يكون سبحانه وتعالى كبيرًا في القبائح، فحاشا له ذلك تعالى الله عما يشركون.

والناظر في لوح الحقائق لا يرى الكبير إلا الحق تعالى في كل شيء وأين العدم الفاني والصلصال الطين الآني حتى يكون كبيرًا معه. وعن مقام اسمه الكبير سبحانه وتعالى لا يقاس في علومنا بقانون الحجوم ولا الفهوم ولا المسافات ولا المساحات فإنه سبحانه وتعالى كبير لا بقانون الكبير عندنا فإنه ما أضاع البشر إلا قياسهم مقام الحق تعالى بما يخصهم هم من مقامات وعلى الحقيقة هم في واد والحق تعالى في واد. فإنه تعالى ما هو كبير على ما نحن عليه، بل ربما كبره هو ما يراه العالم والخلق ضعفًا وهذا قانون عجيب في

مباديء العلوم اللدنية، وهذا العلم سار في قانون النبوة فإنه ما من نبي بعث في قومه وأراد أن يكون الحق كبيرًا في نظر المبعوث إليهم إلا واستضعف استضعافًا عظيمًا.

أما حقيقة عين صفة اسمه الكبير فلا اطلاع لنا عليها، إلا هو بهو فإن كبره وكبرياءه لا يعلمها إلا هو. وليس من فيه عين الصفة كمن ليست فيه فافهم.

٢٩ ـ ذو الجلال والإكرام

اعلم أيدك الله وإياي بروح القدس أن جلال الحق تعالى لم يرتبط بإكرامه إلا لكون الكرم الإلهي لا يعطي إلا من حضرة الجلال وهي الحاكمة فيه وهنا نكتة بديعة لم يتنبه لها معظم أهل الله وهي أن الكرم غير المنة، فإن الكرم يختص بالجلال والمنة تختص بالجمال. وبين المقامين مقام الوسط وهو يختص بمنزلة العطاء، فهو أعطى دون كرم ومنّة، ثم له التجلي إن شاء تجلى سواء بمقام الجلال وفيه الكرم وإن شاء تجلى بمقام الجمال وفيه المنّة، فمن هنا الجلال يختص بالكرم، ثم إن جلاله أعظم من كماله وجماله في الكرم وتوريثه وإنزاله في منزلة الخلعة الإلهية في بطائن القدس المخبوءة وهذا المقام فيه الجلال أقوى فافهم يا ولي الله.

٣٠ ـ المنتقم

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن مقام انتقامه ليس من أحبابه وخواصه، بل ممن عاداه وجحدوه. فلأجل هذا اختار الحق تعالى لهم هذا الاسم من مجموع أسمائه ولا يجوز في حقه تعالى أن ينتقم ممن أحبوه، ألا تراه أنه يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. فإننا وجدنا في علومنا أن مقام انتقامه غير مقام عذابه فإنه قد يعذب محبوبه ولكن لا ينتقم منه.

وانظر هذا القطب المنتقم، انتقم للحق تعالى باسمه وبسلطان هذا الاسم، فلو حاد قدر قلامة ظفر، وانتقم لنفسه لخسف به المنتقم الأعظم سبحانه وتعالى عما يشركون. وقد كان هذا من مقامات الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم.

٣١ ـ الباعث

اعلم أيدك الله وإياي بروح القدس أنه تعالى بعث كل خواطر ومناظر وحركات وسكنات وجزئيات وذرات وتجليات وعلوم وفهوم هذا العالم عن الذات المحض، وما أراده من العالم، وما يرضى الأسماء والصفات من مجموع الأعيان، فبعثه بعثًا فيهم وشحنهم به، فهم على التحقيق مرادات الحق تعالى لا غير، وكل عين هو مبعوث الحق تعالى، ولكن أعظم من بُعث هم الرسل والأنبياء فإنهم بعثوا بشحنة أقوى من مرادات الحق، ولكن كل عين في نظرنا هي مبعوث الحق تعالى حتى الكافر، فإنه مبعوث بما أراده الحق تعالى فيه لكن بنسخة ضعيفة، ما عدا أهل النبوة فإنهم أعظم من حمل شحنات البعث الإلهي في لوح الإرادة.

وهذا الفتى المبعوث محمد (ﷺ) قال لهم: والله لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر عن شمالي على أن أترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، فإنه (ﷺ) ليس هو الناطق بهذا بل الناطق على الحقيقة هو باعث الحق تعالى فيه وما شحنته الحضرة فيه فافهم يا ولي الله.

٣٢ ـ المعيد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه المعيد هو الذي أعاد هيكل ما فني وصورته وبناءه الجزئي والذري من مجموع أعيان العالم والكون، فلو شاء لهدم هيكل الكون، ثم يعيده كما كان صورة طبق الأصل في كل ثانية زمنية، ثم نكتة أخرى أفشيها لك يا أخي وهو إن إعادته لا تتوقف على قانون

الزمان فإنه ما خلق السماوات والأرض في ستة أيام عجزًا، أو أن هذا هو منتهى القدرة فيه، بل خلقها في ستة أيام لأجلنا لا لأجله، ألا تراه يطوي سلطان الزمان وقانونه في اسمه المعيد، ألا تراه انمحى وذاب. ونظرنا في شاشة التجليات فرأيناه يعيد الصورة الأصلية فقط ولا يعيد سواها وإن كان أعظم منها وأرقى فافهم هذه الدرة النفيسة يا ولي الله.

وكان من أقطاب هذا المقام خليل الله إبراهيم عليه السلام فإنه أعاد الصورة الأصلية بعد فنائها وعنه قال الحق تعالى: ﴿**وإذا قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى**﴾ الآية وكان عيسى عليه السلام أيضًا من أقطاب هذا الاسم قال له الحق تعالى: ﴿**وإذ تخرج الموتى بإذني**﴾.

٣٣ ـ المتين

اعلم يا ولي أيدك الله وإياي ببارقة من مشكاة أنواره، أن المتين هو الذي لا يخترقه شيء ولا ينفذ منه شيء، وآية هذا المقام قوله تعالى: ﴿**يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**﴾. أي لا تنفذون إلا بسلطان اسمي المتين ورأينا أبا الحسن علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ممن أوتي مقام اسمه المتين، فإنهما لم يهزما في معركة قط ولم يخترق جناب لهما.

٣٤ ـ المحصي

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه هو الذي أحصى كل شيء سواه لكونه عز وجل لا يُحصَى، فإن الذي يُحصَى هو الذي دخل في قانون الأعداد، وقانون الأعداد هو الذي يتعلق بالعالم، فإن الحق تعالى هو ما سوى العالم، والعالم هو ما سوى الله. ومن في العالم عجزوا عن إحصاء العالم وذراته وجزئياته وما فيه من أنواعه الجمادية فوجب عليهم ها هنا أن لا يقربوا الحق تعالى لعجزهم عن أنفسهم، فأين هم من الحق تعالى.

فما سمعنا عن عالم أحصى مجموع ذرات الكون أو مجموع جزئياته أو مجموع نجومه أو نحله أو قمحه منذ خلق إلى وقتنا هذا.

ثم إن البشر لهم عجز ينتهون عنده وحد يقفون عنده في قانون الأعداد، ومن هنا فإن قانون الأعداد غير نهائي من حيث الإطلاق ونهائي من حيث التقييس، فالآدمي لم يحسب مجموع ما يختص به أي بالمادة فهو عاجز في قانون المخلوق، فكيف لا يعجز في قانون الحق ورغم هذا يدّعي معرفة الحق تعالى وهو جاهل على الحقيقة بها ولسان الحال يؤيد هذا فالفاني لم يحص الفاني، فهل تراه يقدر أن يحصي غير الفاني وهو الحق تعالى.

٣٥ ـ الوارث

اعلم أيدك الحق وإياي بروح القدس أن الإرث الإلهي سار في مجموع الكائنات والكون والتكوين، فهو سبحانه الوارث المطلق على الحقيقة وهو الوارث لنفسه ولخلقه، قال الله تعالى: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ وهو في كل مكان قال تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فلما كان الحق تعالى في كل مكان وأيضًا في اللامكان فقد ورث نفسه وخلقه ثم إن إرثه لكل ذرة في مجموع أعيان العالم، وفي هذا المقام يستوي المؤمن والكافر، ثم قام العلم الإلهي فجعل الكافر يرث في الإرث الإلهي كما يرث المؤمن، ولكن حقيقة هذا الإرث هو إرث المظاهر لا إرث النبوة والولاية فإنهما إرثان يمتنعان إلا لمؤمن، ثم هذا الإرث من حيث التفصيل فيه مادي ومعنوي والقطرة من إرثنا المعنوي تعمل أطنانًا من الإرث المادي. فإن الأنبياء ونحن معهم معاشر الأولياء حُرم علينا في حضرتنا أن نرث إلا الإرث المعنوي.

وعن هذا تحدث أبو القاسم عليه السلام فقال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

٣٦ ـ الباقي

أي هو الباقي لنفسه ثم لنا فمن له ولنا إذا لم يبق هو، وهو سر جليل أطلعتك عليه يا ولي وهو من روائح الأزل القديم ثم بقي هو بغير ظهور وإن ظنَّ قوم أن الباقي هو الظاهر فقط فهذا هو عين الجهل المركب، بل ما خفي كان أبقى كالهواء غير ظاهر وبقاؤه موجود غير منقطع فافهم. ثم إنه سبحانه يتجلى بالظهور علينا في مقام بقائه في الدار الآخرة.

ثم رأيت هذا القطب الباقي الفرد الجامع تجلى عليه الحق تعالى في بقائه فبقي كالشمس المشرقة على الكائنات ملاحظًا لشؤون الكون والعالم وما وراءه، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين بسر الحق تعالى وإذنه.

٣٧ ـ الرشيد

وإنه سبحانه هو المرشد لكل عين فيما أراده منها، فهو أعظم المرشدين ومقام الإرشاد الإلهي على مراتب فأعظمه مرتبة الرؤية والكلام وكانت لمحمد ليلة الإسراء والمعراج، رأى الحق تعالى وكلمه وخاطبه بالإرشاد وهذه المرتبة لم تكن إلا لمحمد (ﷺ) ثم مرتبة الكلام دون رؤيا وهي لموسى عليه السلام وأرشده فيها الحق تعالى، ثم هناك مرتبة الوحي بالواسطة بين الحق تعالى وأهل الرسالة والنبوة ويكون الواسطة بينهم جبريل يبلغهم إرث الحق تعالى وما يريده منهم، وثمرة هذا الإرشاد الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء وهي إرشاد لكل أصناف الخلق مؤمنهم وكافرهم. ثم هناك مرتبة الإرشاد بالحديث القدسي، وهناك مرتبة الإرشاد بحديث النبي لقومه، فهذه خمس مراتب للإرشاد الإلهي.

٣٨ ـ المقسط

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح منه أن اسمه المقسط أي صاحب العدل الكلي وهو توزيع أجزاء العدل وذراته على مجموع العالم السرياني، فيسري عدله

ويصيب كل جزء وذرة في الأكوان، فمهما بدت لنا مظاهرها فما البادي لنا سوى عدله وهو عين قسطه. وهذا طائر الأزل يلحن أنشودة قسطه فوق شجرة ملكه وينغمها نغمًا شجيًا لذيذًا، فرأى هذا القطب الفرد الجامع المقسط كل ما يلحنه هذا الطائر جميلًا في باطنه وإن ظهر بشعًا في ظاهره. هذا الإله العظيم لو انقطع قسطه لحظة عن العالم لانقلب العالم ورجع إلى حقيقته العدمية الأولية، فما لنا على الحقيقة في البدو سوى عين القسط الجامعة التي رحمنا بها الحق تعالى.

٣٩ ـ الجامع

اعلم أيدك الحق تعالى بروح القدس وإياي، أن اسمه الجامع أي من انجمعت فيه مجموع الأسماء والصفات العليا الكاملة والفضائل والمحاسن والكمالات القصوى الشاملة، فهل هي عين الذات أم غير عين الذات. وانظر ترى الكون نسخة اسمه الجامع قد انجمعنا نحن له فنحن عين اسمه الجامع. وهذا القطب الفرد الجامع ما سُمي الجامع إلا لكونه عين الحق وعين اسمه الجامع فهو نسخة الكمالات ونهاية العلوم الجامعات المتجمعات، فكل فريدة إلهية ودرة علوية تجدها في هيكل هذا القطب الجامع قد تجلت فيه وتجلى بها الحق تعالى عليه ولما خلق الحق تعالى العالم وهو عينه لا محالة فبهذا كان العالم هو اسمه الجامع وهو هيكل اسمه الجامع، ووجدنا الذرة التي لا ترى إلا تحت الميكروسكوب هي عين اسمه الجامع لكونها وحدة الكون المصغرة. بل إن شئت قل هي الكون المصغر فافهم هذا السر يا ولي الله.

٤٠ ـ المقدم

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن اسمه المقدم أي الذي تقدم هو بنفسه قبل الكل الفاني، فعرّف الفناء نفسه لما تقدم فهنالك لولا تقدمه لما عرفناه أصلاً.

ثم إنه سبحانه اصطفى من شاء من عيون الأعيان الصالحة للتقدم وإنه سبحانه ما تقدم بنفسه إلا ليعرفنا به، فلولا تقدمه لما عرفناه ومن الذي كان سيعرفه لولا أنه تفضل بالتقدم إلينا كي نتعرف به. ثم هذا القطب المتقدم رأيناه تقدم كي نتعرف إليه وكي يعرفنا بالحق تعالى فهو المتقدم عن الحق تعالى عنه به وهو مقام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين تقدم بعد رسول الله (ﷺ) لخلافة المسلمين، فكان هو عين رسول الله (ﷺ) ورسول الله هو عين الحق، فلا نقول ها هنا إلا أن أبا بكر هو عين الحق أيضاً. ولا ينبغي التقدم بقانون الزمان فربما هو بقانون التأخير أعظم، ألا ترى إلى رسول الله (ﷺ) كان أفضل الأنبياء وبرغم ذلك كان آخرهم في التسلسل الزماني فأين ها هنا قانون الزمان من قانون التقدم فافهم يا ولي الله.

٤١ ـ المؤخر

اعلم أيدّني الله وإياك بروح القدس أنه سبحانه هو المؤخر لحقائق الوجود على غير الصفة التي نعرفها، فإنه أخَّر نبيه محمداً (ﷺ) عن الظهور الزمني وجعله آخر الأنبياء ظهوراً، فكان تأخيره هو عين تقديمه، قال تعالى مخاطباً له من عين هذا المقام: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾.

ثم رأينا في منظر التجليات عجباً عجاباً في تأخير الحق تعالى لنفسه من الظهور، أقصد التجلي لنا في هذه الدار، فكان المخلوق عينه وعلى صفته في الصفة، فلا يلبث أن يتجلى لنا ويظهر في تلك الدار الآخرة. فهذا يا ولي الله قانون الحق تعالى في كون أن التأخير هو عين التقديم وهو مذهب أهل النبوة، لا بد لهم منه قال لهم الحق تعالى مخاطباً إياهم من هذا المقام: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾. فيتركهم في عين التأخير في نظر المناظر وهو عين التقديم والنصر والظهور في حقائق الباطن فافهم.

٤٢ ـ الحميد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الحميد، أي هو الذي علم حمد نفسه فقط، كيف يحمد الذات المطلق غيره هو وليس هذه العبارة تنطبق على الحقيقة والتحقيق سوى عليه هو فقط فافهم. وعن هذا المقام قال أبو القاسم معبراً: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

فهو فقط الذي علم كيف يقدر نفسه بنفسه أي في مقام الحمد وعن هذا قال: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ثم إنه ذهب واشتق من اسمه الحميد اسماً لأعز مخلوقاته وأشرفهم عنصراً وأفضلهم قدراً، ألا وهو محمد عليه السلام فأسماه محمداً أي مُفعّلاً أي كرّبه وعلى صفته من هذا الاسم، ثَمّ إنه حظي من هذا الاسم بالمقام المحمود، أي أفضل من حمد ربه من المخلوقات وأفضل من حمدته المخلوقات وهذا وارد في عنوان الشريعة في الصلاة والتسليم عليه واشتراكه مع ربه في الثناء عليه، فافهم سر هذا الاسم يا ولي الله.

٤٣ ـ الضار

أي هو الذي يضر غيره وغير من يحبه، إذ لا ينبغي له أن يضر نفسه ونفس من يحبه من أحبائه الذين فنوا فيه وتولهوا بحبه، هذه حقيقة ضره لمن كفر به أما حقيقة ضره لأهل العرفان ففي قوله على لسان إبراهيم ﴿وإذا مرضت فهو يَشْفِينِ﴾. فحقيقة ضره لأهل المعرفة في الظاهر فقط، أما باطن الضر فهو الخير المحض، فافهم هذا يا ولي الله ولهذا كان الصالحون يشتد فرحهم إذا نزل بهم مرض أو ابتلاء إلهي وهذا كله من باب الضر فافهم يا ولي الله.

٤٤ ـ النافع

اعلم أيدك الحق تعالى أن اسمه النافع، أي هو فقط النافع والذي يُرجى نفعه كما أنه هو فقط الضار، الذي يضر من يشاء من عباده فعلى حقيقة

القدرة، أقول لك العالم كله كدمية ولا يحرّكها إلا اليد الإلهية. فهناك ينتفع العالم ويتضرر ومن طلب النفع من غيره سبحانه فكأنه عبد سواه، أو من ظن الضرر قد لحق به من سواه فقد أشرك معه إلها غيره سبحانه وتعالى عما يشركون، ولكنه سبحانه أعطى مفاتح النفع والضرر لعباد أخلصوا له فصاروا يضرون وينفعون من أمروا به من قبل الحق تعالى بإذنه، وعن هذا عبر رسول الله (ﷺ) بقوله: «إنما تنصرون بضعفائكم». وقال الحق تعالى معبراً عن هذا المقام على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾.

٤٥ ـ المانع

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه المانع، أي الذي منع الحقائق من التعدي على بعضها البعض، فلا هذا يدخل في هذا، ولا ذاك يدخل في ذاك، فإنه سبحانه ما أراد من العالم إلا الذي اقتضاه عليه وطلبه منه طلباً في العلم والقدرة والإرادة. فعلى هذا يدور قانون اسمه المانع، فكل عين في الكون تمتنع عن النفوذ في غير اختصاصها في العلم والقدرة والإرادة، ثم إن هذا العلم أطلع الحق تعالى عليه أبا القاسم عليه السلام لما منع المشركين واليهود والنصارى من الدخول إلى جزيرة العرب، فإنه ما منعهم إلا بسر هذا الاسم، ثم إنه قال: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». فما امتنع الشرك إلا بسر هذا الاسم ثم قال عن المشركين في غزوة الأحزاب، (ﷺ) «لن يغزوكم مرة أخرى». فامتنعوا عن الغزو بسر هذا الاسم.

٤٦ ـ الهادي

أي الذي أعطى العباد حقيقة الهدى لكن بغير إرغام قال تعالى لنبيه معبراً عن هذا المقام: ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾. فإن الهدى الإلهي ما خرج عن حقيقته إلا بقسم إلهي فقال: ﴿لأملأنّ جهنم من الجنّة

والناس أجمعين﴾. ثم قال: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾. فأقسم ها هنا بخروج حقيقة اسمه الهادي لمن يستحقه وامتناعه عمن لا يستحقه فافهم يا ولي الله.

٤٧ ـ العفو

أي الذي يعفو عن كل ذرة في الأكوان، فإن علم العفو لو اطلع على حقائقه العارفون لحكموا بالزندقة والرجم على أهل العرفان وهو قال عن هذا المقام: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. وطلب الذنب كي تظهر مغفرته فلو سكت الكون عن الذنوب لاختفى اسمه العفو. فذهب أبو القاسم عليه السلام وأخبرنا عن هذا المقام بقوله: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم». فإنه سبحانه وتعالى كتب العفو على الكائنات كتاباً إجبارياً وطلبه من كل عين ثم أعلمها بتقصيرها كي يعفو عنها. حتى الأنبياء أعلمهم بتقصيرهم في حقه هو سبحانه وتعالى فقال لأعظم الخلق وأفضلهم نبينا محمد عليه السلام: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وقال لعيسى عليه السلام: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾. وقال في حق آدم عليه السلام: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾. وقال في حق موسى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾.

٤٨ ـ الودود

اعلم أيدك الله بعلمه أن اسمه الودود، أي الذي ابتدأ أحباءه بالمودة قبل بزوغ هياكلهم إلى حضرة الوجود، فقال عن هذا: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾.

والود منزلة أرقى من منزلة المحبة، يبتدىء الحق تعالى أحباءه بها. قبل أن يبتدأوه هم فهو الودود أي الذي جذبهم إليه بهذا الاسم. كي يفنوا فيه، ويتصلوا به. فهو الذي آواهم إلى حضرته بسلطان هذا الاسم. وغرس لهم غرساً من ناموس هذا العلم.

٤٩ ـ المعز

أي صاحب العزة المطلقة التي لا ينازعه فيها أحد وإلا أهلكه هلاكاً أبدياً. وقتله قتلاً سرمدياً. قال الحق تعالى معبراً عن هذا الذوق: ﴿بل لله العزة جميعاً﴾. ومن يعتز بنفسه إلا هو لبزوغه في عروش الكمالات. واستوائه على قمم الصفات. وعلوه في شئون الجمالات. وهذا القطب المعتز بنفسه ما اعتز أصلاً سوى بالحق تعالى ورأى عزة الحق تعالى هي عزته وعزته هي عزة الحق تعالى فهذا القطب حق له أن يقول بلسان الحق تعالى: «لا بل لي العزة جميعاً». وهذا المعتز بنفسه لا يرى سوى نفسه ولا أحد معه والحق فيه وهو في الحق، فلا يصارعه أحد أصلاً في الأكوان، وهو من مقام الفردانية المطلقة في الأكوان ومن مقام العزة صرح الهيكل المحمدي في مجموع الأكوان قائلاً: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». ولكل وقت فرد يقوم بهذا المقام ويتحدث بلسانه ويقوم ببنيانه، ويشير عليه ببنانه. كان منهم شيخنا العارف الكبير الشيخ عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى سره، كان هذا الاسم مستولياً عليه ومتمكناً فيه ومنه وقام هو على ذروته.

٥٠ ـ المذِّل

اعلم أيدك الحق وإياي بروح القدس أن اسمه تعالى المذل أي من ذل من استحق هذا الاسم وروحانيته وهو يسري على الخلق مؤمنهم وكافرهم.

أما ذله لأهل الإيمان فحقيقته للتأديب والتربية والاصطفاء وأما ذله لأهل الكفر فحقيقته للعقاب والعذاب.

وكان من رجال هذا المقام سري السقطي كان يقول رضي الله عنه: «اللهم إن عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب».

ومن أهل العرفان من يطلب الذل بلسانه كي يزداد صفاء ومعرفة مع الجناب الإلهي، فيحكى عن أحمد الرفاعي أنه كان يسمي نفسه أحيمدا وكان يفلي الفقراء والمساكين والأرامل كي يزداد ذلاً في جناب الحق تعالى ورأى

كلباً أجرب قد هجره الخلق فأخذه وغسله وعالجه حتى شفي. ومنهم من أمر مريداً له أن ينزح الكنيف بيده كي يكسر شهوة العجب فيه ويطرد عنه أنف التكبر، وأتى مريد لعبد القادر الجيلي فأمره أن يأكل الخبز الناشف وجلس الشيخ أمامه يأكل الدجاج كي يطرح عنه رؤية النفس، ولما جاءت والدة المريد قالت للشيخ عبد القادر: يا شيخ حرام عليك أن تأكل الدجاج وحدك ويأكل ابني الخبز الناشف فقال الشيخ لها على الفور إن استطاع ابنك أن يفعل هكذا فليأكل مثلي وأشار إلى الدجاجة فأحياها الحق تعالى بين يديه.

٥١ ـ الحسيب

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الحسيب من عين اسمه المحصي، لكن لغة الإحصاء أقوى من لغة الحساب. ومقصود الاسم أي انه الذي حسب كل شئون العالم العلوية والسفلية. ولم يدع شيئاً إلا وحسبه وعن هذا قال: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ويكفي ما قلناه وفصلناه في اسمه المحصي فإن حضرة هذا الاسم من عين حضرة اسمه المحصي فليراجع.

٥٢ ـ الشكور

أي صاحب الشكر المغيب عنا الذي هو يشكر به ذاته وهذا الشكر ليس لنا منه كمقدار ذرة، فهو أعلم بشكر ذاته ولما يشكر ذاته وخلقه يشكرونه، فإنه علم تقصير الخلق في حقه وعدم مماثلتهم له فإنه ليس كمثله شيء، ذهب فشكر نفسه بشكر ليس كمثله شيء، ولهذا قالت رابعة: «شكرنا يحتاج إلى شكر» وقصدت شكر الألوهية في حق ذاتها وهو شكر ليس لنا بل للحق تعالى يشكر ذاته بذاته، ثم إنه ترك الخلق كي يشكروه لأجلهم لا لأجله، فإن شكره على الحقيقة لا ينفعه وإنما ينفعهم هم أنفسهم ويرفع درجاتهم لا درجات الحق، فإنه هو رفيع الدرجات قبل خلق العالم والأكوان. فافهم هذا السر يا ولي الله.

٥٣ ـ الوهاب

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الوهاب، أي صاحب الوهب الصرف المطلق المحض. وهو الذي وهب الكون أنفاسه منه، واستعداده عنه. ثم إن وهبه غير منقطع أبدًا وأزلًا. والهبة والوهب لا يجوزان إلا منه، ولا يخرجان إلا عنه. ومن طلب اسمه الوهاب عند غيره، فكأنه عبد سواه، ونظر إلى ما في يد من عداه. وكان من أرباب حضرة هذا الاسم أقطاب ذابوا فيه، وولجوا إليه، منهم خير النساج فإنه كان لا يرى الوهب إلا من الحق تعالى. وكان سيداً حراً، فأخذه رجل وقال له: أنت عبدي وقد سميتك خيراً فقال له: وأنا قبلت، فظل يخدم الرجل سنين حتى استحى منه الرجل وحرره.

ومن أقطاب هذا الاسم طائفة من الفقراء، لو مات أحدهم جوعاً لما طلب لقمة من مخلوق حتى يرزقه الحق تعالى من حيث لا يحتسب كان منهم شيخنا عبد المجيد الشريف قدس الحق تعالى أسراره.

٥٤ ـ المجيب

اعلم أيدك الحق تعالى بطلائع تجلياته وإياي، أن اسمه المجيب أي الذي يستجيب دعاء الأعيان في الوقت الموعود ولا يجبر الحق تعالى على استجابة الدعاء في نفس وقت الدعاء فحاشاه أن يكون مجبوراً. ثم ذهبت العين الإلهية فاستجابت للكل إما مكراً وإما رفعة فإنه سبحانه يستجيب للكافر يمكر به ويستدرجه ثم يستجيب للمؤمن كي يرفع مقامه ويرقيه وهذا مقام قوله تعالى: **﴿قل كلًا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾**.

٥٥ ـ المحيي

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس، أن اسمه المحيي أي صاحب الإحياء

الكلي لذرات وجزئيات ومكونات الكون والعالم، فإنه سبحانه وتعالى صاحب هذا المقام فقط، ويندر من يورث هذا المقام من كبار أهل المعرفة إلا بقدر معلوم نادر، أمثال عيسى ابن مريم وإبراهيم الخليل وعبد القادر الجيلاني، هؤلاء ورثوا أسرار هذا الاسم وأحيوا به من أذن لهم الحق تعالى بإحيائه. وعندنا في علومنا الإحياء صنفان: صنف حسي وصنف معنوي أما الصنف الحسي فهو إحياء المادة الطينية الظاهرية، وأما الصنف المعنوي فهو إحياء النفس والفؤاد، وإن كان الأول أعظم عند العوام، فما هو الأعظم عندنا بل الأعظم الثاني، فإن الإحياء المعنوي أرقى وأعظم عند أرباب الأحوال والمعرفة ألا تراه، أي النبي (ﷺ) قال للرجل: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من حمر النعم» والهداية هنا الإحياء المعنوي. قال تعالى: ﴿فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾.

أي أن الحق بصاحب هذا الاسم أحيا العباد إحياءً معنوياً وهو البعث المعنوي لعالم القلوب، والذرة منه تعدل أطناناً في الإحياء الحسي وإن كان الإحياء الحسي هو المستصعب في ظاهره.

٥٦ ـ المميت

اعلم أيدك الحق تعالى ببارق من أنوار قدسه، أن اسمه المميت أي المستولي على أنفاس العالم والكون، بل على أنفاس كل عين حية والعالم كله حي يُرزق في نظرنا وفي علومنا.

قال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون﴾ ثم نكتة أخرى أقولها لك، فما دام العالم حياً فلما ومتى يميته الحق تعالى، والحكمة أن الموت أصلاً في عالم الظهور، أما في مقام اسمه الباطن فإن الكون على صفة الحق تعالى لم يمت أصلاً ولا يحق له أن يموت، فهو الحي المطلق على صفة الحق تعالى، فإن كل عين هي الحق فاعلم هذا السر يا ولي الله.

٥٧ ـ المجيد

أي صاحب الأمجاد الكلية، وكل ما أقيم له ولغيره من مجد فهو راجع له إن سلماً وإن قهراً، فإن الكون وما فيه من عجائب الصنائع ومتضادات الأمور أكبر دليل وبرهان على قوة مجده تعالى وعظم شئونه، قال الله تعالى متحدثاً عن هذا المقام: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه﴾. ورأينا أن المخلوق لا يحتمل الإطلاع على المجد الإلهي وإلا صعق قال موسى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ أي إلى حقيقة مجدك، فقال له لسان المجد ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾ الذي سيظهر عليه شعاع مجدي. ﴿فلما تجلى﴾ مجد ﴿ربه للجبل جعله دكًّا﴾ لكون الهيكل الموسوي تداعى ﴿وخر موسى صعقًا﴾ لكونه تطلع إلى ما لا يعنيه، فيكفيه التطلع إلى مجد النبوة، وليتأدب مع مجد الربوبية فإن جبريل أمين الله قالها لمحمد عليه السلام: «لو تقدمت خطوة واخدة لاحترقت بنور الجبار» لكونه تحقق من أن مجد الحق شأن لا يعنيه. فالمقترب منه إما مصعوق أو محترق، فموسى صُعق وجبريل لو تقدم لاحترق.

٥٨ ـ العليم

اعلم أيدك الله بحقيقة الحقائق الكبرى أن اسمه العليم، أي صاحب العلم الكلي والجزئي، فأخفق من علماء الظاهر من قال إنه تعالى يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وهذا وهم في حقيقة الكمال الإلهي وأعظم العلم، العلم المغيب عنا الذي قال فيه الحق تعالى: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ منه. وفُرغ من صحة هذا القانون عندنا فإن لله علماً لا اطلاع لنا عليه أصلاً، ولا يسمى عندنا علماً. فإننا بالنسبة للحق تعالى كالطفل المولود بالنسبة إلى القطب، فانظر النسبة ولله المثل الأعلى.

٥٩ ـ ٦٠ الأول والآخر

اعلم أيدني الله وإياك بروح من سنا قدسه أن اسمه الأول والآخر لهما

ارتباط خرج عن قانون الزمان وقاعدة الدهر ورتبة الوقت. فإن أولية الحق وآخريته ليس لها القياس المعهود عندنا والمرتبط بمادة العقل، فإن قانون العقل مخالف للقانون الإلهي ولا يعطيه ما يرضيه ولا الذي يكيفه وهذا القانون يعني القبلية والبعدية الإلهية بدون دخول لسلطان الحق فيها. فإن الحق تعالى قبل وبعد الأشياء كلها. هل هذه الكيفية عُرفت لنا؟ لم تعرف إلا بالتشبيه، الذي هو غاية طاقتنا وهمتنا، أما سر التنزيه فهو الستر والحجاب الذي يعني العجز والتوقف عن البحث وهو جميل في حق هذا الآدمي لكونه يوقفه عند حده دون ولوج وبحث فيما لا يعنيه ولا يحقق له مثقال ذرة من الرقي إلى ما لا يريده. أما أئمة الفتح الأكابر فليس لهم من خصائص الحق شيء أصلاً في التعرف على كنهها، والاقتراب من ماهيتها. وهو العلم المضنون به إلا على الحق تعالى نفسه الذي قال فيه ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فأوليته وآخريته سبحانه ليس للعقل ولا الروح ولا القلب ولا الهمّة ولا الكشف إشراف على ذرة من هذه الحقيقة إلا ظاهر التنزيه المحض البحت. فافهم.

٦١ - ٦٢ الخافض الرافع

قال الله تعالى معبراً عن حقائق هذين الاسمين: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وفي هذه الآية، قال أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه لما سأله رجل عن هذه الآية قائلاً: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ إيش يفعل؟

فقال له أبو حنيفة: يرفع أقواماً ويخفض آخرين.

ثم قانون عجيب ها هنا وهو أن رفعه وخفضه فد يدخل فيهما مكره. فتكون حقيقة رفعه هي عين خفضه، وتكون حقيقة خفضه هي عين رفعه، ولذا قال أحد الصالحين «اللهم أورثنا عطاء بلا مكر». فربما مكر في قانون الرفع جعله خفضاً، فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء، ومن هذا الباب كان كلام الحق لموسى أن قال أنا أعلم أهل الأرض لما رجع من مشهد التجلي والكلام، فاختبره الحق تعالى بالخضر عليه

السلام. فمن رُفع فليحذر الخفض ومن خُفض فليرجو الرفع، هذا مذهب أهل الله تعالى الكاملين قال الله تعالى معبراً عن هذا المقام ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

٦٣ - ٦٤ الباسط والقابض

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن بسطه مثل قبضه، هذا مذهب أهل الله العارفين، وفيه قال أبو يزيد لما قيل له: كيف أمسيت فقال: «لا صباح ولا مساء». فهذه صفة العارف في مقام عدم تأثره بالحوادث على قدم الحق تعالى مخالف للحوادث، فكذلك العارف لا يهمه حر ولا برد ولا ليل ولا نهار ولا صباح ولا مساء ولا جنة ولا نار. ثم رأينا في مناظر التجليات الحق تعالى بادياً في مقام الانبساط والانقباض في صورة العارف، فالمخلوق عين الخالق إن شاء بسطه وإن شاء قبضه، وحكمة بسطه وقبضه لهذا العارف صنعه واصطناعه له على عينه كيفما يريد وبدوه سبحانه في مقام الهيمنة على هذا الصلصال الفاني. فإنه لا يعرف الحق تعالى هذا العارف إلا بصفة الانزعاج وهو مقام التلوين وتعكير صحة صفاء المقام وهو إدخال هذا العارف في مقام التردد ومروره على أضداد الأحوال حتى يصفو له المقام الثبوتي، فلا يقف هناك عند شيء ولا يزعجه وارد التلوين ولا انجماع الأضداد، بل يلج المقام الذي قيل فيه ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ أي شهداء على ما مر بكم من مناظر الأحوال فإنها ها هنا هباء منثور ومثل عظام أهل القبور للعارف الكبير الراسخ المتمكن الذي لا يقبضه ولا يبسطه الكون كله ولو جاءه بمن فيه، هذه هي حقيقة المقام الوسط أي مقام مخالفة الحوادث وهو من مطالب المقام المحمدي قال عنه أبو القاسم عليه السلام: «أجوع يوماً وأشبع يوماً» كي يكون في هذا المقام سرمداً.

٦٥ - ٦٦ القادر والمقتدر

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه القادر والمقتدر هما اسمان لمعنى

واحد ولكن اسمه المقتدر أقوى في المرتبة من اسمه القادر قال الله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾. فإن اسمه القادر مختص بهذه الدار الدنيا واسمه المقتدر مختص بالإطلاق أي في الدارين الدنيا والآخرة فإن القدرة ليست كالاقتدار، والفاني ليست كالمتفاني. والقدرة هي مقام التصريح بالاقتدار على فعل أي شيء، إذا وافقت الإرادة وراء العلم الإلهي. فإن القدرة لا تسير منفردة إلا باجتماع الإرادة والعلم حتى يتم المقصود ويجتمع الكمال وتبرز الحكمة الإلهية وتتجلى عيون الحقائق المقصودة. وهل القدرة مثل القوة في المرتبة، أقصد هل اسمه القادر مثل اسمه القوي، أقول مقام القدرة أعلى وأكمل لكون كل قادر قوياً وليس كل قوي قادراً، فإن القدرة أحياناً لا يلزمها القوة أصلاً خصوصاً في قوانين القدرة الإلهية، فإنه ليس كمثله شيء، ثم القوة الإلهية يلزمها مقام القدرة في كل شيء. ثم قال عن نفسه كثيراً: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ولم يقل قوي وهذا من قانون الرحمة في الأكوان والجمال المعنوي الخفي فإنه لم يحب أن يظهر كبرياءه على كلية الأشياء ويستضعفها بقوته فيقول لها: «إن الله على كل شيء قوي» بل قال قدير لكونه أرقى وألذ وأكمل وأعلى فافهم يا ولي الله هذا السر رعاك الإله.

٦٧ ـ ٦٨ الغني والمغني

ثم إنه لو لم يكن غنياً لما كان مغنياً، فمقام اسمه المغني أرقى لكونه يصرح بأنه غني في نفسه، ثم أغنى العدم المفتقر إليه، أغناه وهو لا شيء فمقام اسمه الغني لنفسه فقط وفي حق ذاته ومختص به، أما مقام اسمه المغني فله ولخلقه وفي حقه وحق خلقه ومختص بالجانبين الإلهي والمخلوقي.

٦٩ ـ ٧٠ الغفار والغفور

ولاسمه الغفار رتبة أقوى في مادة المغفرة من رتبة اسمه الغفور فليس فعول كفعال حتى قال عن نفسه سبحانه معبراً عن هذا المقام: ﴿فعال لما

يريد﴾، فهو مقام اللامبالاة الإلهي وآيته قوله في الحديث القدسي: «قذفته في النار ولا أبالي».

ثم إن الحق تعالى طلب المغفرة في كل عين ظهرت وبزغت إلى شمس الوجود، رغماً عن أنفها، ألا تنظر إلى أعظم الأعيان ومن سادها شرفاً وعنصراً، أبا القاسم (ﷺ)، قال له لسان هذا المقام: «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ولم يذنب أصلاً ولكن خاطبه الحق تعالى بلسان هذا المقام، حتى يدخله حضرة هذا الاسم. فإن الحق تعالى طلب المغفرة بذنب أو بغير ذنب. وكتب الحق تعالى الذنب على الأعيان الذي هو مادة الغفران أصلاً، وإلا كيف يغفر ثم يفسد هذا الاسم؟!

٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ الرحمن والرحيم والرؤوف

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة، ولكن الرحمن أوسع في الشمول والرحيم مختص بالتقييد. فإنه سبحانه الرحمن بمجموع أعيان العالم وآية هذا المقام قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وكذا إنه سبحانه رحيم لخواص، واختصهم بهذا الاسم من مجالي أسماء الرحمة، وعن هذا المقام قال: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ فما وهب له هارون إلا بحضرة اسمه الرحيم فبه رحم الحق موسى عليه السلام.

ونظرنا في شاشة الحقائق فوجدنا الحق تعالى له رحمتان، رحمة عمومية لم يتنازل عنها ورحمة خصوصية تنازل عنها، فالأولى لم يتنازل عنها لكونه أقسم أن عين هذه الرحمة لا بد أن تصيب كل ذرة في الكون والوجود، وهذه الرحمة من مبدأ رحمة الأم لولدها وإن عصاها وجحدها، فهي العاطفة الصرفة المجزدة التي لا تقوم على المصالح والمنافع، وهي من حضرة اسمه الرحمن وبه اختصت، وهي الرحمة العمومية. والرحمة الثانية وهي الرحمة الخصوصية تنازل عنها الحق تعالى وطرد من لا يستحقها، وأبقى المستحقين لها من خواصه

والمقربين له وهي من حضرة اسمه الرحيم.

وأما اسمه الرؤوف فهو اسم رتبة من اسمه الرحمن والرحيم فليست الرأفة كالرحمة، بل هي بدايتها. فإن الرأفة أدق والرحمة أوسع والرأفة للمؤمن فقط والرحمة للمؤمن والكافر على السواء، ولذا قال الحق تعالى في حق أبي القاسم عليه السلام: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

٧٤ ـ الحكم

اعلم أيدك الحق تعالى أن اسمه الحكم، أي الحاكم المطلق بين العباد والعالم المطلق بدقائق الاحتكام إليه والفاصل المطلق بينهم، فيما هم فيه يختلفون قال الله تعالى: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾. ثم وجدنا الأعيان تفر بذرات وجودها إلى الحق تعالى كي تحتكم إليه وتتخاصم بين يديه وتطلب ذلك طلباً قهرياً لا مفر منه حتى تشهد الجوارح الآدمية على صاحبها بما كان يفعله، فهل ترى احتكاماً إلى الحق تعالى بعد ذلك.

ورضيت الأعيان باحتكامها إلى الحق تعالى وإن كانت هي جائرة ولما علم الكافر هذا قال: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾. وإن تفاصيل شئون العالم والوجود لا تحل رموزها ولا تظهر خباياها ولا تتجلى دفائنها إلا بالوقوف لذرات الكون بين يدي الحق تعالى. ثم إنه سبحانه يفصل في كل شيء والمجموع الذري والجزيئي للوجود والكون ثم يخرج حكمه تعالى إلى العالم المعنوي وهو أرقى، ولا يحاسب الحق تعالى عليه إلا المقربين وأهل المعرفة الكاملة فيحكم بينهم في خواطرهم وأوهامهم وإرادتهم ومعانيهم الباطنة، فإنهم أصحاب هذا العلم دون غيرهم، وغيرهم لا يحاسب عليه أصلاً لكونه لا يعرفه ولا يشم ذرة منه وآية هذا المقام قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾. ثم يحكم الحق تعالى بين العالم الجمادي والحيواني

والنباتي والجاني كما ورد في الحديث: «لو بغى جبل على جبل لدكه ربُّ الجبل».

ثم مقاصد الحق تعالى من اسمه العدل إرجاع الأصول الكونية إلى مراتبها البدائية، فيعطيها حقوقها بسر هذا الاسم حتى الحجارة الخبيثة ترجع إلى أمها جهنم فيكوي بها أهل النار.

قال الله تعالى: ﴿نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ ومن ثم ترجع الحجارة الشريفة إلى الجنَّة قال (ﷺ): «أحد جبل يحبنا ونحبه» فإن الأصول الجمادية الشريفة كانت في مواطنها، ولا يخطرن لك أنها لم تكن بها ثم ستكون، قال (ﷺ): «الحجر الأسود من الجنة وسودته خطايا أهل الشرك» ثم قال (ﷺ) مخبراً عن الأصول النباتية وعن سر مواطنها الجحيمية والنعيمية قال عن شجرة الغرقد «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» وقال (ﷺ) عن العجوة وبيان أصل موطنها الجناني النعيمي وصحة شرفها: «العجوة من الجنَّة» وقال عن الحناء: «سيد ريحان الجنة الحناء».

٧٥ ـ العدل

ومن أسمائه العليا اسمه العدل فإنه سبحانه وتعالى عدل بين المجموع الذري للوجود، وإن لم يتدخل هذا الاسم احترق الوجود بأسره وتنازع، ومن ثم طلب الوجود هذا الاسم من الحق طلباً باطنياً، وإن لم يطلبه ظاهرياً. فإن الوجود وجودان، وجود باطني ووجود ظاهري. فالوجود الباطني للأسماء تطلبه منها الأعيان وتصرخ به وتناديه وإن نازعه الوجود الظاهري وجحده في العرفان. فمن الأعيان من يرى العدل الإلهي ظلماً ومنهم من يراه عدلاً. ومن الأعيان من يرى ظاهر الوجود ظلماً ومنهم من يراه عدلاً. ونقول: «ليس في

الإمكان أبدع مما كان» فإن القدرة أوسع مما ظهر به الوجود ولكن العلم والإرادة يرفضان، فلا قبول إلا لما نحن فيه فافهم هذا السر يا ولي الله.

٧٦ ـ الوكيل

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه الوكيل أي الذي وكله الكون عن شئونه والقيام بأعبائه كله، وكله عنه مؤمنه وكافره، طيبه وخبيثه، قويه وضعيفه بإرادة بجموع الأعيان أو بغير إرادة المجموع وعن هذا المقام قال للسماوات والأرض: ﴿ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ بتوكيل شئوننا إليك، فإن الوجود العدمي لا يستطيع أن يحيا ثانية بغير وكالة الحق تعالى وإلا رجع للأصل الابتدائي له وهو السكون والعدم، فهنا بالوكالة الإلهية حركه النفس الإلهي والروح القدسي فجعله ذا حركة ونشاط فصار يأكل ويشرب ويجامع ويلبس. ولذا علمت الأعيان الشريفة المتسيدة أن أعظم الشئون هو التوكل على الله فقيل لأشرفها أبي القاسم: ﴿وتوكَّلْ على الحيِّ الذي لا يموت﴾ أي استمسك بحق وكالة الحق تعالى، ثم لما تحقق بمعرفة هذا الاسم وصار قطباً فيه صار على صفة الحق تعالى فيه في التحقق فصار وكيلاً كالحق تعالى فقيل من الحضرة في حقه:

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. وقيل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقيل لنا كي نعرف قدره (ﷺ) في مدى التحقق بمعرفة هذا الاسم: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾.

٧٧ ـ ٧٨ المبدىء والواجد

اعلم أنه سبحانه وتعالى هو الذي بدأ وأبدى هذا الكون على حقيقة العلم وعلى سر مراد الإرادة منه فعلى هذه الحقيقة أبداه قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾.

فهو على الحقيقة أراد للعالم أن يبدو في أيام، وعلم هذا، لا عجزاً منه فحاشاه أن يعجز بل هو على كل شيء قدير.

ثم إن اسمه المبدىء والواجد، اسمان لمسمى واحد فله سبحانه وتعالى الإبداء والإيجاد المطلق لما أراده ولما طلبه العلم الإلهي في حقيقة هذين الاسمين اللذين هما اسمان لمعنى واحد، فأبداه في المعنى اللغوي أي أوجده أي أظهره وخطيء من قال لا يجوز إطلاق حقيقة الموجود إلا على الأعيان فقط، فإنه سبحانه كما هو واحد فإنه موجود، وكما هو مُبْدِيء فهو أيضاً مُبدَأ.

٧٩ ـ الماجد

أي المجيد لكن المجيد أقوى في صيغة التفعيل وقد تحدثنا عن مجده آنفاً في الكلام على اسمه المجيد، فإن المجد الإلهي هو المهيمن على عرش الأسماء والصفات وله البروز والشموخ المطلق عليها في كل الفضائل، فإن نتائج العلو في الأسماء والصفات لهذا الاسم وكونه شرف الأسماء وتاج الصفات. ثم إن اسمه الماجد أرقى من كل اسم جمالي وكمالي وجلالي مثل اسمه المتكبر والرحمن والجميل والجبار والمحيي والقوي والحكيم، لكون الماجد أو المجيد يجمع كل هذه الأسماء والصفات، وكل صفة منفردة لا تجمع أي واحد منها ما عدا اسمه الله.

فهذا الاسم الماجد هو عرش الأسماء والصفات ونهاية الكمال والجمال والجلال الأسمائي والصفاتي.

٨٠ ـ البرّ

اعلم أيدني الله وإياك أن اسمه البرّ أي صاحب الإحسان العظيم قال الله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ من ضرائب الحق التي طلبها من ذوات الأعيان الحسية والمعنوية.

فإن الحق تعالى لن يسري إلى الأعيان شيء من بِرّه دون لا شيء إلا بالإنفاق الحسي والمعنوي وكل على قدر مقامه من الأعيان.

٨١ - المؤمن

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه المؤمن أي صاحب الإيمان الكامل بنفسه وبما برز عنه من الأعيان، وليس لعين صفة هذا الإيمان سوى الحق تعالى في الإيمان بنفسه وبخلقه وقد صنفت في هذا الاسم كتاب «سر إيمان الحق تعالى بنفسه».

وإنه لما كان هذا المخلوق على صفة الخالق الأعظم بل هو عينه فإنه سبحانه وتعالى أعطاه نصيباً وحظاً في الإيمان الإلهي وجعله سر الشرائع في العبودية وغيرها يفسدها ويجحدها ولا يقيمها. وجعل سبحانه إقامة العالم وذراته على هذا المبدأ في الإيمان أي إيمان تلك الذرات بالحق تعالى وبنفسها.

ثم هناك إيمان معنوي لا يعرفه الظاهريون وهو إيمان الكل بالحق تعالى طوعاً أو كرهاً وآيته من الكتاب قوله تعالى: ﴿إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾.

وجعل سبحانه الإيمان به معنوياً هو عرش الإيمان وإن لم يكن حسياً، وإن كان هو أضعف الإيمان، فعلى الحقيقة هو أقواه وبلغ منه أشده قال (ﷺ) معبراً عن هذا المقام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

أي أقواه عندنا في لغتنا فإن القلب ومقامه أقوى من اليد واللسان وهي لغة أهل المعرفة المقلوبة التي تطلق الضعف على القوة والقوة على الضعف.

ونظرنا إلى القطب المؤمن المنفرد الشعرة منه بالكون كله في قانون الإيمان. ألا ترى إلى بلال الحبشي لم يحجبه مجموع أهل الكفر عن النطق بهذا الاسم فجعل يقول: «أحد أحد» وكلما عذبوه قوي نطقه بهذا الاسم وتمكن

منه وسرى فيه أعظم من قبل. ألا ترى إلى هذا القطب عين العالم محمد عليه السلام لما قال لهم محيراً ومخبراً بحقائق هذا الاسم: «والله ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

٨٢ ـ الرزاق

اعلم أيدك الحق تعالى وإياي بروح القدس أن اسمه الرزاق أي القائم بأرزاق الوجود الحسية والمعنوية، فإن هناك عيوناً من أعيان الوجود ليس لها من الرزق سوى الرزق المعنوي الوهمي كالملائكة فإن رزقها هو الرزق المعنوي من الذكر والتمجيد وجعل للآدمية الرزق الحسي والمعنوي معا وطالبهم سبحانه أن يخلعوا الرزق الحسي تدريجيا طالبين الرزق المعنوي تشبهاً بالملائكة، والفرار من الرزق المادي الطيني لكونه يؤخر الترقي الروحي ويجذب الروح إلى البقاء في سجن الهيكل الجثماني والتعلق به وعدم مفارقتها له والحنين لهذا الهيكل الترابي.

وانظر إلى هذا القطب سليمان كيف قام بهذا الاسم فصار هو الرزاق نيابة عن الحق تعالى لذرات الوجود في وقته من إنس وجان وحيوان وحشرات.

٨٣ ـ ٨٤ السميع والبصير

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه السميع والبصير اسمان لمعنى واحد عند أهل الكشف، ولكن الاختلاف ما ظهر إلا في عالم المظاهر والفرقان، فإن القطب الوارث لهذين الاسمين يسمع كما يبصر ويبصر كما يسمع بكل جسده وبكل ذرة وجزء من عالمه الجسماني. فهو على صفة السمع والبصر الإلهي ليس له موطن، بل هو يسمع ويبصر سبحانه في كل مكان من العالم وعن هذا عبر أبو القاسم عليه السلام بقوله: «اعتدلوا فإني أراكم من خلفي». وليس لهذا القطب السماع والإبصار فقط لعالم الحس بل تمكنه أعظم

في عالم المعاني والوهم واللاحس فهذا هو أصل عالمه الذي فيه ولد ومنه شمخ وبه برز. فافهم.

٨٥ ـ اللطيف

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أن اسمه اللطيف أي القابل لكل الأوهام والمعاني واللامحسوسات وعن هذا المقام عبر في الحديث القدسي فقال: «أنا عند حسن ظنّ عبدي بي» فإنه سبحانه لما كان ليس كمثله شيء، فإن المخلوقات التي تعلقت به كثرت أوهامها ومعانيها في التفكر في جماله وكماله، ثم قبل هذا الاسم كل هذه الأوهام والمعاني، وإن كان هو سبحانه المتنزه الأعظم عنها فهو قابلها من باب حسن ظن أحبائه به.

لم يلطف بهم إلا من هذه الثغرة فلما بان لطفهم بان لطفه بهم فهم قبلوا وهو قبل.

٨٦ ـ الحليم

اعلم أن اسمه الحليم هو الذي أبقى العالم وحفظه من أسماء الجلال وسطوتها فإنه سبحانه لولا حلمه لهلك الوجود، فإن الحلم هو الصبر بصفة الجهال، وكان الحسن بن علي بن أبي طالب من أقطاب هذا الاسم، تنازل بسببه لمعاوية عن الخلافة، وقال فيه أبو القاسم عليه الصلاة والسلام معبراً عن سر تقطبه بهذا الاسم: «إن ابني هذا يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين»

ثم إنه سبحانه لم يتضح لنا حلمه إلا لاحتجاب نوره الأعظم عنا الذي قال فيه رسول الله (ﷺ): حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

٨٧ ـ العظيم

اعلم أيدني الحق وإياك بروح منه، أن اسمه العظيم أي صاحب العظمة

الكلية بالأسماء والصفات الإلهية والعظيم بها على خلقه، فإنه سبحانه وتعالى ما أعطاه العظمة إلا أسماؤه وصفاته فهذا الاسم هو ثمرة مجموع الأسماء والصفات.

ثم جعل الحق تعالى العظمة إزاره، أي حجابه عن حقيقة الجلال فإنه لو كشف للعالم عن حقيقة الجلال لفني واحترق الوجود فجعل هذا الاسم حجاباً لنا كي يحجبنا به عن حقيقة الجلال المطلق. وقال سبحانه عن هذا المقام: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار ولا أبالي».

٨٨ ـ العليّ

أي صاحب العلو المطلق الذي لا يخضع لجهة فليس علوه في السماء فقط لكونها جهة علو بالنسبة لنا بل علوه أيضاً فيما سفل لنا كالأرض قال تعالى معبراً عن هذا المقام: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾. أي هو في السماء كما هو في الأرض لا ينقصه قانوننا بل له قانون يعنيه وشأن يغنيه.

ثم إنه يعلو سبحانه بغير حركة ولا جهة؛ فإنه لا يعرف هذا في علوه وهو منزه عنه سبحانه وتعالى. فهو العالي بقانونه هو لا بقانون البشر. وهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كان من أقطاب هذا المقام ورؤسائهم، سُمِّي علياً لتقطبه بهذا الاسم، فإنه لما علا على كتفي النبي (ﷺ) وكسر الأصنام سمي علياً من العلو والرفعة والشرف. فإن الهيكل المحمدي ما علا كتفه سوى عليّ وهو رمز منه عليه السلام لتحقق علي بهذا الاسم.

٨٩ ـ الحفيظ

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس، أن اسمه الحفيظ، أي الحافظ لما خلقه والقائم على حفظه فإن الوجود محفوظ بالحق تعالى، ولا يغيب هذا المشهد عن

الكون لحظة واحدة وإلا حدث له ما حدث، قال الله تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿يمسك السماء والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده﴾ . ووجدنا في الكشف العرفاني أن كل ذرة وجودية في الأكوان لها نصيب من حفظ الحق تعالى. فالهيكل الجزئي للكون محفوظ في تركيبه الذري.

ثم إنه سبحانه وتعالى حفظ عالم المعاني من أن يطغى على الحس وبالعكس، وحفظ الحق تعالى الشريعة من أن تطغى على الحقيقة وبالعكس وحفظ الأذواق من أن تطغى على بعضها البعض وحفظ الألوان من أن تطغى الألوان على بعضها البعض. وهكذا في كل أصناف العلوم حفظها من طغيانها وهذا العلم اسمه علم التفصيل قال تعالى عن هذا العلم: ﴿وفصلناه تفصيلًا﴾ .

٩٠ ـ المقيت

واعلم أن حقيقة هذا الاسم أنه المقيت للوجود، أي الذي أشبعه قوتًا حسيًا ومعنويًا، وكان قطبه المتمكن فيه هو سليمان بن داود عليه السلام. فإنه كان المتكفل بقوت الوجود الحسي والمعنوي من إنس وجان ونبات وحيوان وهوام وهذا القطب يعطي للوجود ما يكفيه من كل قوت إما الحسي وإما المعنوي. وراجع كلامنا في اسمه الرزاق.

٩١ ـ الجليل

اعلم أن اسمه الجليل أي صاحب الجلال المطلق، وهو ضد الجمال فإنه سبحانه تجمعت فيه الأضداد قال عبد الكريم الجيلي في عينيته.

تجمعت الأضداد في واحد البها   وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

وجلاله سبحانه وازن صفة الجمال والذي وازن هو صفة الكمال، فإن الكمال الإلهي له شقان جمال وجلال ولولا الجمال لهلك الكون من جلاله سبحانه وتعالى، ولولا الجلال لصعق الكون من جماله سبحانه وتعالى، فأتت صفة الكمال فوازنت وأعطت الأسماء ما يحقق للوجود الموازنة الذوقية وعدم

الميل به إلى أحد شقيه.

وعن هذا الناموس تجد ذرات الوجود حملت سر الموازنة بداخلها وانظر تركيب الذرة وما به من عناصر سالبة وموجبة ومتعادلة فالإلكترون سالب والبروتون موجب والنيترون متعادل.

٩٢ - الرقيب

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الرقيب، أي المراقب لشؤون الكون وتطوراته وذراته وجزئياته ومعانيه وأوهامه وجعل هذا العبد الصالح على صفته مراقبًا كمثله، فهو يراقب عبده وعبده يراقبه فما دام هو يراقب عبده وعبده يراقبه فكلاهما يتذكر الآخر وهذه حكمة المراقبة وسر هذا الاسم.

فكان اسمه المراقب برهانًا بين الحق والعبد قال الله تعالى في حق يوسف وهو من أقطاب المراقبة: ﴿فلولا أن رأى برهان ربه﴾ فقوة المذاكرة بين الحق والعبد جعلها برهانًا بينهما، وهو من أسرار هذا الاسم ولهذا قال عيسى للحق تعالى عن قوة تجلي هذا الاسم في ذاته: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾. ثم قال الحق تعالى لأحبائه: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ أي فراقبوني كي أراقبكم وهذا لا يمنع أن الحق تعالى مراقب لمجموع الوجود ولكن مراقبة تتميز عن أخرى فشتان بين مراقبته للخواص ومراقبة الخواص له وبين مراقبته للفجار ومراقبة الفجار له.

٩٣ - الواسع

اعلم أيدك الحق وإياي بروح منه أن اسمه الواسع، أي الذي وسع الوجود وما وراءه فإن الوجود وراء عالم وعلم لا يعرف لنا والحق تعالى وسع كل هذا قال الله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾. فأصلًا الحق تعالى يوجد في كل مكان واللامكان. فإن الوجود مكان ولا مكان. فهو سبحانه الوجود أصلًا فما هو الوجود وأين المكان واللامكان فيه ومنه سبحانه وتعالى.

٩٤ ـ الشهيد

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن اسمه الشهيد، أي الذي يشهد حقائق الوجود الكلية، وما أراده منها وكيف تتم مراداته فيها، ثم إنه سبحانه يشهد ذلك عليها ويفصل هذا العلم فيها، وعن هذا قال القائل ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فما طالب سوى الشهادة الإلهية لعلمه بعلو مقامها ولم يطلب الشهادة البشرية لكون الزور والزيف قد يدخلان فيها. ثم إذا كانت الشهادة خلاف الغيب فإن الشهادة هي علم ما ظهر والغيب هو علم ما خفي قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم الباطن والظاهر فإن حقيقة اسمه الشهيد ليست كذلك، بل هو المطلع به على كلا العالمين الظاهر والباطن، فإن الأسماء الإلهية قابلة للتضاد، فإنه سبحان وتعالى يعلم الظاهر والباطن بهذا الاسم.

ثم يشهد من هذا الكون ما أراده لا تحيد عنه المعلومات منذ أن أوجدها إلى أن يفنيها كقد رسم الخياط. وهذه الإرادة والمراد يشهدها قبل بروزها وبعد بروزها وفي وقت بروزها ثم التكرار لا يحصى لهذه المشاهدة فإن الأعداد تفنى في الحق تعالى.

٩٥ ـ الواحد

أي الذي أبرز الكثرة عن وحدانيته، فعدَّد أسماءه وصفاته فهو كثير بوحدانيته واحد بكثرته، فرحم العالم بسر هذا الاسم، لما عدَّد نفسه وبرز في صور الوجود الكثيرة فإن المخلوق هو الخالق وهو عينه، روى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «خلق الله آدم على صورته». فكان شرف الآدمية في سر هذا الاسم في قبول الحق تعالى لتعداد صورته في خلقه يقول الله تعالى في الحديث القدس: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعدك وأنت رب العالمين» فإن الحق ها هنا يتكلم بلسان الكثرة، فما هو مرض ولا يجوز في حقه سبحانه المرض. فعلى الحقيقة ما عرف الحق

تعالى سوى نفسه أي خلقه. فمن الواحد سوى الكثير ومن الكثير سوى الواحد.

ومن هذا السر أطعلك على سر جليل لم يفشه أحد قبلي وهو من أسرار الواحدية في كون النبوة كالألوهية، ثم تتسع دائرة الهداية فيها فلا ينطق بها أولًا سوى نبي فرد جامع ثم يكثر عدد من يؤمن به فالواحد ها هنا بزغت عنه الكثرة في الألوهية والنبوة سيان. فافهم هذا السر يا ولي الله.

٩٦ ـ الصمد

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه الصمد، أي الذي صمد الوجود إليه، أي توجه بما خرج عن أنفاسه وفاض عن روحه بما أعطته له الحضرة الإلهية من مراداتها التي اقتضتها من العالم ثم إن العين الإلهية هي المقصودة بالتوجه إليها دون سواها، فإن الوجود لم يكن له قصد إلا عين الصمد الأزلية القديمة ولم يقصد يومًا سواها فهو إن قصدها من شيء آخر، فما توجه إلا لسواها على الحقيقة والتحقيق لكون كل شيء برز فالحق البارز أصلًا وليس سواه.

فإن الوجود متوجه إلى الحق تعالى على مراتب أعلاها مرتبة التوجه الذاتي أي توجه الوجود بذاته للحق تعالى وفناؤه في عين التوجه ولا قصد له سوى الذات المحض وأدناه التوجه الرمزي كتوجه الجماد والحيوان بغير قصد بل على مجرد الجذب الإلهي للتوجه إليه قال تعالى في هذا التوجه: ﴿إئتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾.

وهذا القطب الفرد الجامع الصمد صمدت إليه همم أولياء عصره بالتوجه إليه وطلبته طلبًا لا مفر منه، فهو على قدم الحق تعالى لحظته العيون وهتفت باسمه الظنون. وتفننت في وصفه الفنون. فرضي الله تعالى عن هذا القطب الكامل والغوث الشامل.

٩٧ ـ الوالي

أي هو الوالي الحقيقي للوجود، فإن الوالي الترابي الآدمي للممالك والبلاد هو الفناء المحض ولا يبقى إلا الحق تعالى فهو الولي والوالي والذي تولى العالم ونظر فيما يصلحه لأجل العالم نفسه لا لأجل الوالي نفسه، فإن الوالي الآدمي يطلب ما يصلح مزاجه هو قبل إصلاح الوجود الذي هو يتولاه، أما الحق تعالى فلا ينفعه هذا ولا يطلب منفعة من البشر على ولايته لهم، فطاعتهم لا تنفعه ومعصيتهم لا تضره. فإن الوالي الرباني هو المتحقق بهذه الخصلة من خصال الحق تعالى، فلا يطلب شيئًا من شؤون العالم لمصلحته هو بل يطلبها طلبًا محضًا لمصلحة من تولى عليهم.

كان من أقطاب هذا المقام عمر الفاروق رضوان الله عليه، كان لا يطلب من الوجود شيئًا إلا لمصلحة الوجود نفسه ويهمل نفسه إهمالًا ظاهرًا لزهده وهو شيخ هذا المقام وأقطاب هذا الاسم عيال عليه فيه.

٩٨ ـ ٩٩ ـ الخالق والبارىء

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن اسمه الخالق هو عين اسمه البارىء كأنهما يؤديان في الحقائق إلى جوهر واحد في عيون المقاصد الإلهية.

وكان إبراهيم الخليل عليه السلام من أقطاب هذا المقام ومن أوتاد هذا الاسم ومعه عيسى ابن البتول ثم عزير عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى في حق عيسى عليه السلام متحدثًا عنه في هذا المقام فقال: **﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني﴾**.

فعيسى خالق على صفة الخالق الأصلي يستمد منه سر هذا الاسم وينفخه في العوالم ويبثه.

ثم قال عنه ملبسًا له المقام الآخر: **﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني﴾** أي تخلقه من جديد على الصفة الأصلية له.

فها هنا عيسى هو البارىء كما أن الحق تعالى هو البارىء الأصلي على صفة الحق تعالى.

فالخالق والبارىء عين واحدة برزت من القديم إلى المحدث وظهر بها الفناء والعدم كما ظهر بها البقاء والوجود فها هنا الحق هو الظاهر في الفناء والعدم لا غير كما هو الظاهر في البقاء والوجود عين واحدة سياق الأمر.

فهذا الآدمي يخلق كما يخلق الحق ويبرأ كما أن الحق يبرأ فالمخلوق عين الخالق.

١٠٠ - التواب

اعلم أيدك الله أن اسمه التواب أي من يتوب على الوجود ولا يقطعه ذلك على استمرار سيره، فإن خطايا الوجود لو أخذ بها الحق تعالى لما سار لحظة واحدة قال تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا**﴾.

فإن الحق تعالى يطلب توبة الوجود في كل نفس من أنفاسه وإلا هلك الوجود، فإن لم يتب بعض الوجود فهناك من يقوم بالتوبة قيامًا فرض كفاية.

١٠١ - مالك الملك

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن اسمه مالك الملك أي المستولي على الوجود ملكًا في طي قبضته قال تعالى معبرًا عن هذا المقام: ﴿**لمن الملك اليوم**﴾ فلم يجبه أحد سوى نفسه فأجاب «لله الواحد القهار». وقال تعالى مثبتًا هذا المقام لنفسه: ﴿**والأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾.

وهذا القطب الفرد الجامع مالك الملك على صفة الحق تعالى: الكون بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل، هذا القطب أعرف بطرق السماء منه بطرق الأرض، روحه تجول حول العرش وتطوف عند سرادقاته.

كتاب
الناموس الأعظم

الحمد لله الظاهر بغير ظهور والباطن بغير بطون سبحانه أرعدت هيبته بغير هيبة. وأخاف بغير بدو. تخلى عن الشبيه. فما له مثيل. وليس كمثله شيء أتعب من أحبه. وحيره ودله. وأقلقه وتبله ووله وصببه بغير رؤية. ما ألذ قهره وما أبدع سحره.

إلهي افعل بي ما يحلو لك. ويلذ فيك منك إليك. هذا عالم اللاوصف أنا أنت بلا شك قد اشتريتني مني إليك. حق لك الوجود المطلق. فريد الوصف ووحيد الرصف. هنا لا يصح نعتك بمثل أو شيء. فإنه ليس كمثلك شيء.

إلهي الحروف تشتكي العجز الحجابي لكونها غير قادرة على نوال الوصف منك. والتشفي من حسنك. فالحرف حجاب إلهي لا تحجبني بحرف ولا كلام ولا بظاهر القرآن. بل اجعلني لا أشبع غوصًا من باطنه.

إلهي هذا محيط الحروف تتلاطم أمواجه. وتهيج رياحه. وقفت على الشاطىء ولا شاطىء. فغصت في ذاك المحيط فرأيت الحرف ذاب وانمحى وصار لغة تتكلم. ولسانًا يترجم.

إلهي انقذني من حيرتي وشكي. وجهلي وحجابي. وضياعي وتيهي. وعجبي وذنبي. وبلوتي وشماتة الأعداء بي. وظلمات إمارتي. وغياهب نفسي. وران قلبي وسواده.

إلهي ما أضعفني وأحقرني خذ بيدي إلى الفهم عنك والفهم بك والتناجي معك وحدنا على بساط الأحبة وكثبان المودة.

إلهي اجعلني عبدًا صمدانيًا فردانيًا محضًا غير خاضع لشيء سواك في الوجود. ولا متعلق إلا بك أنت أنت يا أنا يا أنا يا أنا. ويا نحن ويا نحن ويا نحن.

إلهي لا تجعلني متعلقًا بلذة ولا نعمة ولا أم ولا أب ولا ابن ولا بنت ولا أخ ولا أخت ولا صديق ولا حميم ولا بيت ولا زوجة ولا مال ولا خيل ولا ركاب ولا ولي ولا نبي سواك أنت أنت يا منيتي ولا تجعلني متعلقًا بجميل ولا بديع ولا ملك ولا جنة ولا حياة ولا فاكهة ولا طعام ولا لباس ولا نوم ولا نكاح إلا تعلقي بك أنت أنت يا روحي وكلي.

إلهي أنا الجرم الصغير والمخلوق الحقير قد أحببتك أنت الجبار الكبير فهل تراني أقوى على ذاك إلا إن قويتني.

إلهي اجعل خواطري بك مشغولة. وحواسي بك مذهولة وجوارحي بعشقك مقهورة.

إلهي بحق عزتك اجعل غدراتي وذنوبي مستورة عن كل عين إلا عينك. وضعني في حماك إلى يوم لقياك في حجب الغيرة وخيام المكانة.

إلهي اجعل مقامي مكتومًا دنيا وأخرى وإن ظهر. فلا يظهر شيء منه.

إلهي لا تجعلني أتوجه لمخلوق إلا لك أنت ولا أعتز بشيء سواك.

إلهي لا تذلني لمخلوق إلا لأحبائك وأصفيائك.

إلهي اجعلني غنيًا بافتقاري إليك وفقيرًا بغناي بك.

إلهي لا تجعلني متعلقًا بمقام ولا حال ولا أدب ولا جاه ولا علم ولا وصف ولا خاطر ولا محاسن سواك.

إلهي اجعلني من أهل العجز الكلي إليك. والافتقار السرمدي إلى حضرتك.

إلهي اجعلني عبد بابك. وذليل حضرتك. وخادم أوليائك.

إلهي عرفني حقيقة نفسي حتى أعرفك فإنه ما عرفك حق المعرفة سوى من عرف حقيقة نفسه وذاك قوله (ﷺ): «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

إلهي اجعلني من الذين يتأدبون من نبيك محمد (ﷺ) ومع أنبيائك وأصفيائك وأوليائك عليهم السلام.

إلهي لا تجعلني مغرورًا بعلمي أو مالي أو جاهي أو سلطاني أو عبادتي.

إلهي اجعلني ممن يفهمون عنك بالرمز والإشارة والكلام.

إلهي لا تجعل حركاتي وسكناتي وخطراتي وإرادتي وزفراتي وخطواتي وقدراتي إلا خالصة لوجهك أنت أنت بلا غرض كائنًا ما كان.

إلهي أوصلني إليك بلا تعب. في طرفة عين واجعل وقتي كبريتًا أحمر منقضيًا في معرفتك. وارزقني العافية والمعافاة. إلهي لا تحجبني بأهلي ولا زوجتي ولا لذتي ولا ولدي ولا مالي ولا بيتي ولا جاهي ولا علمي ولا سلطاني ولا عبادتي.

إلهي لا تجعلني ممن يحبون الجنة لأجل اللذة المحضة بل اجعلني أحبها لأجل أنك فيها وأراك فيها.

إلهي لا تجعلني ممن يخافون النار لأجل نارها بل لأجل أنك لست فيها ولو كنت فيها لأحببتها كحبي للجنة.

إلهي لا تجعلني ممن ينازعون أولياءك في المقامات والأحوال والرتب إلهي اجعلني ممن يقتدون بنبيك محمد القدوة وحبّبْ إليَّ الصحابة والتابعين والصالحين.

إلهي إني تركت لك حظّي وتنازلت لك في حقي ومقاماتي وأحوالي ومالي وولدي ونفسي وبدني وصحتي وتركت لك ذلك كله فتصرف فيه كيف شئت.

إلهي اجعلني من الذين يتوكلون عليك حق التوكل لا التواكل وعرفني حقيقة صبري وتوكلي وعرفني حقيقة الرضا بقضائك وعرفني حقيقة الشكر والابتلاء وصفاتي على الإطلاق.

إلهي اجعلني فيما بين الخوف والرجاء حتى لا أيأس ولا أتكل.

إلهي اجعلني جبلًا لا يبسطه بسط ولا يقبضه قبض. بل وسطًا ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾.

إلهي أدبني برفيع أدبك. وبسنة نبيك.

إلهي اجعلني فارًا من الخلق وشرورهم ونفسي الأمارة وهواها.

إلهي اجعلني غريبًا في الدنيا والآخرة.

إلهي لا تجعل متعتي وأنسي وبسطي على حساب مقامي وحسناتي

إلهي سيرني كما تراه يصلحني لا كما أراه يصلحني.

إلهي لا تجعلني أريد شيئًا أو أهواه إلا إذا أردته أنت وهويته.

إلهي لا تكلني إلى نفسي كطرفة عين.

إلهي أحسن خاتمي وشأني كله وعقباي.

إلهي لا تجعل باطني كظاهري. بل اجعل الباطن خيرًا من الظاهر. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه. وعرشه وكرسيه روح العوالم. وهيكل المعالم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فاعلم

أيدني الحق وإياك بروح القدس أن المادة الناسوتية المتكون منها المجموع الأعيان واحدة أصلها الوحدة وإنما ظهرت فيها الكثرة في المظاهر لا غير. فإن الوجود الباطن لحقيقة المادة الترابية الوحدة المجردة وإن تعددت الأشكال والصور والمسميات فإن الكل واحد لا غير.

فالإنسان والوحوش والطيور والحشرات والأسماك مسميات مختلفة لمادة واحدة مع حفظ مقام التكريم لهذا الآدمي كما اقتضاه الأدب الإلهي الرفيع فقال لسانه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم﴾ الآية. فإن الروح هو حقيقة الوجود لا الهيكل الطيني لمجموع المسميات فعلمنا أن الروح الإنساني هو أكرم الأرواح وأرقاها التي برزت عن حضرة الإمكان. وإذا مات الآدمي ودفن تحلل هذا الهيكل وصار ترابًا ورجع إلى أصله المجرد. فإذا نبت فيه نبات وتغذى على مكوناته التي تسمى الطين الذي هو أصل التربة النباتية ومعادنها وروحها فإن مادة الآدمي تنقل إلى مادة النبات وهيكله بحكم سريان الغذاء من التراب الآدمي إلى النبات. ومن ثم إذا تغذى الحيوان على النبات وأكله فإن مادة النبات تنتقل إلى مادة الحيوان وتبني جسمه فإذا تغذى الآدمي على الحيوان فإنه يصبح جامعًا لمواد الكل الآدمي والنبات والحيوان. ويتجمع بهذا الحكم لكل المواد الحيوانية والنباتية السابقة بحكم تغذية عليها. وكان من بديع الحكمة الإلهية أن المادة الإلهية غير منحصرة في الأشكال بل هي مادة الإطلاق القابلة للكثرة المكثرة والصور المشتتة وبالغة للتصور في صور شتى كآدمي ونبات وحيوان وحشرة وحجر وحديد وجزء من جبل أو حائط بناء وحذاء وثوب وقدر وكتاب وكرسي ودولاب وملعقة وسكين وزجاج وخاتم وحلق وتلفزيون وساعة وثلاجة وخلاط وكمبيوتر وإنسان آلي وطائرة وصاروخ وسفينة فضاء ونظارة وميكروسكوب وبكتريا وفطر وطحلب وشجرة وفيروس وسائل وغاز وصلب وذرة وبخار وقنبلة.

وهكذا تأخذ المادة صور مجموع المظاهر والمبادىء. فالمادة مستغنية بنفسها

عن الله بالله. فهو سبحانه أغناها في نفسها. فهي لا تفنى ولا تستحدث. وإن كان ظاهرها الفناء فإنها سرعان ما تنتقل وتشكل صورة أخرى وتبدو في مظهر آخر. وذاك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾. فأعلمنا الحق تعالى أن المادة الآدمية إذا فنيت ربما ظهرت في صورة آلة حديدية كسكين أو قدر حديدي أو ملعقة أو ربما انضافت إلى حافة جبل أو ظهرت في صورة حجرٍ أو قالب بناء أو ربما صارت جيرًا يبنى به أو أسمنتًا أو جبسًا.

فمذ أن خلق الخالق الأعظم المادة لم تفتقر إلى الحق تعالى سوى تدخل قدرة الخالق في تشكيلها من صورة إلى صورة ومن هيئة إلى هيئة.

فالقدرة ما لها سوى التحليل والبناء بنفس المادة ولا افتقار ولا عجز. وهذا دالّ على عدم انتهاء الخالق وعدم تناهي إبداعه واقتداره.

فربما أنت تمشط شعرك بمشط وقد كان جزءًا من آدمي مثلك من الآف السنين.

وربما أنت تأخذ دواء وهو جزء من جسد كلب من آلاف السنين وربما تستلطف صورة وقد كانت وجه إنسان دميم من قبل. وربما تستنجي بماء طاهر وقد كان خمرًا أو ماء قذرًا من العصور الغابرة.

وربما تقرأ في أوراق مصحف وقد كانت أوراق توراة أو زبور من العصور الغابرة.

وربما تنكح امرأة وقد كانت رجلًا من آلاف السنين. وربما تأكل لحم خروف وقد كانت مادته لحم كلب من آلاف السنين.

وربما تصلي على سجادة طاهرة وقد كانت مادتها ثوب فاجرة من آلاف السنين.

وربما ترى ديكًا جميلًا وقد كان هرة من آلاف السنين.

وربما كانت مادة عينك مادة عين جاموسة من آلاف السنين.

وربما كان تاج الملك قبعة فقير من آلاف السنين أو جمجمة ثور أو كلب.

وربما تأكل لحمًا لذيذًا وقد كان لحم خنزير من قبل.

وربما كان الكرسي الذي تجلس أنت عليه حجرًا جلمودًا من آلاف السنين. أو كان الجلمود حجرًا من آلاف السنين.

وربما كان الحذاء الذي تمشي فيه وجه إنسان من قبل آلاف السنين.

وربما تزوجت امرأة شريفة عفيفة وقد كانت فاجرة قحبة من آلاف السنين وربما كانت القحبة عفيفة.

وربما كانت السبحة التي تذكر الله عليها من آلاف السنين أسنان رجل.

وربما كانت المكنسة التي تكنس بها فروع شجرة.

وربما كان عدوك صديقًا لأجدادك من آلاف السنين.

وربما كان فرج المرأة فرج رجل من آلاف السنين.

وربما كانت حجارة المسجد حائط كنيسة من مئات السنين.

وربما كانت السفينة بيتًا من مئات السنين.

وربما كان الأحمر أسود أو الأسود أحمر من آلاف السنين.

وربما كان الماء لبنًا أو اللبن خمرًا أو الخمر عسلًا من آلاف السنين.

وربما كان الذكر أنثى والأنثى ذكرًا من آلاف السنين.

وربما كان الراديو تلفزيونًا أو التلفزيون راديو من قبل.

وربما كان اللص شرطيًا من آلاف السنين.

وربما كان الجبل مدينة من آلاف السننين.

وربما كانت العمارة السكنية ذات العشرة أدوار من مجموع تلال أو هضاب من مئات السنين.

وربما كان جسد القوى هو جسد الضعيف من آلاف السنين.

وربما كان جسد المؤمن من جسد الكافر من آلاف السنين.

وهذا المنظور الذي أقوله لك أن الجسد الحديث لم يكن كله في الماضي الجسد القديم بل بعضه لكون هذا المتكون الحديث لا يحوي كليات المتكون القديم بل بعض أو معظم مكوناته. فإن المادة الوجودية لم تكن مفتقرة لإضافات مذ أن خلق الحق تعالى الأرض. ما انضاف إليها جزءًا من الكواكب ولا النجوم ولا الشمس ولا الأجزاء السماوية. بل هي حية في جوهرها بتحولاتها وأخذها الصور المشتتة. بالتحلل والبناء التركيبي. وكما قلنا إن هذا دال على عدم انتهاء القدرة وكون الخالق الأعظم أول بلا بداية وآخر بلا نهاية.

وعلى هذا فإن الكون ما هو سوى شاشة متغيرة سرمدًا حتى يرثه الحق تعالى. وهذا لكون التجليات الإلهية لا تشابه بينها. بل هي دائمًا في تغاير وما تجلى الحق تعالى بتجليين متشابهين. وما خلق آدميين متشابهين منذ أن أقام الوجود.

والذي أشبه به مادة الممكنات المحضة أن هناك حجرتين كبيرتين حجرة تسمى حجرة الفناء يودع فيها كل شيء يفنى على سطح الأرض وحجرة تسمى حجرة البقاء يؤخذ من المادة الفانية من حجرة الفناء المادة المحضة ويصاغ منها الشكل الذي يراد صياغته كإنسان أو سفينة أو حجرة أو ملعقة أو تلفزيون إلى آخر الممكنات.

وقد رأينا أن الكون كل يوم في توسع وتمدد بلا توقف فهو منذ أن خلقه الحق تعالى في هذا التمدد والتوسع حتى توقفه يد القدرة بخرابه وتقضي

بدماره. وإذا قيل فأين يكون تمدده وهل هناك كون غير هذا الكون يستدعي تمدد كوننا فيه.

وإذا كان هذا هو عالم الحس فما بالك بعالم الأرواح والخيال وما فوق عالم الخيال. والعالم الأخروي. بل ما بالك بالخالق الأعظم ومكانته؟

وظن الظان أن الوجود هو الحس دون غيره. بل وجدنا أن العالم المخفى له الهيمنة العظمى على العالم الحسي. بل العالم الحسي قطرة من المحيط الأعظم من العالم المخفي.

ومن ثم أطلعك يا ولي الله على ناموس آخر أعظم حيرة وهو القانون المفني أين كل ما مات مند أن خلق الله الكون من آدميين وحيوانات وطيور وحشرات أين جثثهم؟ أي كل ما كان من بيوت وجبال وعربات ومقطورات. وأشجار ونبات وأثاثات وملابس وآثار؟ ألا ترى أن الخالق الأعظم لو لم يسمّ قانون الفناء لما فني شيء أبدًا منذ بدأ الخليقة ولتراكم الخلق وعطلت الحياة فوق سطح الأرض لكثرة الجثث والزحام. ولما تولد جديد يحتمله سطح الأرض.

ولكن الحكمة الإلهية أبرزت من البروز الاختراعي قانون الفناء وجعلت لكل عين برزت من حضرتها وقتًا معلومًا تفنى فيه. لا تستقدمه ولا تستأخره. حتى يتولد عن حضرتها ما جدّ.

فمن هنا علمنا أن المادة لو بقيت بلا فناء لتراكمت ولتعذر العيش على وجه الأرض من شدة الزحام والعفونات.

فالمتراكم لا بد له من التحلل إلى المادة الأولية والعناصر البدائية حتى يأخذ دورته في التخلق والتشكل والظهور بمظهر آخر. أي المادة المحضة- غير تلك التي ظهر بها من قبل.

ولكن ليس كل مظهر وجودي به نفس المظهر الآخر من مكوناته

وعناصره. فإن الحيوان ليس به كل ما في الإنسان في مكونات بدائية والنبات ليس به كل ما في الإنسان والحيوان من مكونات بدائية. فإذا فنيت مواد المظاهر المتباينة من نبات وحيوان وإنسان اختلطت المواد كلها في الكون وصيغت من جديد في مظاهر جديدة. وحينذاك تسمى المادة الجديدة التي تصاغ منها المظاهر الجديدة بالمادة البكر.

فوضح لنا بهذا أن الوجود مستغنٍ بنفسه لنفسه لكن بالحق تعالى. ومن هنا فإن القائل الذي قال إن المادة لا تفنى ولا تستحدث صدق في مقولته.

فإن المنظار البشري عند العوام للغة الفناء غير المنظار البشري عند العلماء للغة الفناء. فالفناء عند العوام هو تحلل المظاهر ودمارها كإنسان أو بيت أو غربة. وليس كذلك شأن الفناء عندنا. فإنه لا فناء أصلًا. لعودة المظاهر إلى أوليتها أي المادة البكر التي ستصاغ مرة أخرى. فالرجوع هو الحياة الباطنية التي منها سر الاستمداد والصياغة الجديدة لمعان وجودية جديدة. ستظهرها يد القدرة الإلهية.

ألا تراه عبر الخالق عن هذا القانون بقوله: ﴿**يحي العظام وهي رميم**﴾ فإن العظام الرميم هي التي تفتت وإحياؤها بصياغتها في التخليق الباطني وإبداؤها في مظاهر جديدة كما وضحنا ذلك من قبل في أي مظهر سواء نباتي أو جمادي أو حيواني. فإن الحق تعالى قد قال «يحي العظام وهي رميم» ولم يقل يحييها إلى إنسان فلم يحصر في القالب الآدمي فقط: بل ترك الإطلاق التخليقي في الأكوان.

ومن ثم علمنا أن الكون كله مجموع مواد متباينة ما هي في العين التحقيقية سوى مادة واحدة تفصلها وتنوعها يد الاقتدار. فما هي سوى الوحدة المتكاثرة. فإن المادة فيها نفحة من الخالق. أي التوحد والتنوع. فإن الحق تعالى لو لم ينوع هذه الأعيان لظل مجهلًا بلا تعرف في سماء المجهول فإن تنوع

المادة بعد توحدها مقصود الإله لا غير حتى يتم المقصود المراد من الحضرة الإلهية. فافهم.

فما الذي يحمل الآدمي سوى سيارة أو بغل أو حمار فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يحمله.

وما الذي يكسوه سوى الثياب والأزر فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يكسوه.

وما الذي يشبعه سوى الطعام فأخذ الخالق من المادة الصرف وصنع منها ما يطعمه.

ومن ثم جعل الخالق الأكبر الإنسان خالقًا مثله لكونه خليفته في الأرض فهو آخذ صفاته وأسمائه. اقتداء به فهو المكنون الأكبر والعالم الأخطر.

ورأينا المادة الناسوتية ميتة بلا تدخل يد الحق تعالى فيها فإن مسها الروح اللاهوتي حييت ودبت فيها الحياة السريانية فإن الحياة الإلهية لم تدع شيئًا إلا وسرت فيه حتى الجماد. وذاك قوله تعالى: ﴿اهتزت وربت وأخرجت من كل زوج بهيج﴾. فأعلمنا أن الارض بغير ملامح يد القدرة ميتة. ولا تحي إلا بمسها بذاك الروح فإنها تهتز وتربو وتخرج كل صنوف المخبآت النباتية وهذا دليل عجيب على حياة المادة الجمادية. فإن الكون كله حي ليس فيه شيء ميت البتة لكونه لا يخرج عن خالقه ميت في حضرته. فالخالق هو الحي الأكبر وكل مخلوقاته حية بالطبع وكل حي نهايته الموت والدمار إلا الحي الأكبر سبحانه والدمار على صورة شتى. إما انصهار أو انفجار أو تفتت أو تحلل أو احتراق أو غرق. وكله مذكور في أم الكتاب. ونظرنا في الكون فوجدناه لا نهاية له ولا يحيطه وهم ولا عقل. لا بالعلم النظري ولا بالعلم الكشفي ولا بالعلم الذوقي فإن الكون لو كان محدودًا لكان خالقه محدودًا ومحصورًا وقد ثبت لنا بالعلم الطبيعي والكشفي عدم نهاية العالم وما رأيت من قال بانحصار العالم من علماء الطائفتين الطبيعية والربانية. وبهذا ثبت لنا شرف

الكون والمكون وهذا دليل على أوليته سبحانه بلا بداية ونهايته بلا نهاية. أي هو المطلق الأعظم. وكل ذرة في الوجود فيها شيء منه. ونفحة منه تحركها تكون حية بها.

وأصل الكون واحد نتج عن الفتق أي فتق الرتق وذاك قوله تعالى: ﴿إن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما﴾.

وقد وجد في السفر الأول من التوراة: «إن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ودس منه رسوب فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض». وهناك عدة نظريات طبيعية ظهرت حديثًا يؤكد بها القانون القرآني في كيفية نشوء المجموعة الشمسية وكيف انفصل بعضها عن البعض. ولكن لا خلاف عندهم في أن القمر قد انفصل من الأرض بل ويحدد بعض العلماء مكان انفصاله وهو حيث يوجد المحيط الهادي. والأرض وسائر الكواكب الأخرى قد انفصلت عن الشمس والشمس في بادىء أمرها لم تكن شيئًا سوى كتلة غازية كسائر النجوم الأخرى. وكذا نظرية انفصال القارات عن بعضها البعض. وبهذا صح الخبر القرآني القائل: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ فالدخان هو الغاز.

فأعلمنا الحق تعالى أنه لولا المادة البكر لما كان الكون أصلًا وهي الجوهرة التي نظر إليها بهيبة. فانشطرت إلى ماء ودخان.

ولكن سر المادة القديمة أنها ليست هي سر المادة الحديثة. حتى رأى الفلاسفة الوجوديون أن العالم هو المادة المحض ولا خالق هناك بل قالوا: ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾.

وهذا وهم صريح فإن المادة بلا القوى المغيبة ميتة نعم هي مادة لكن ميتة عدمية. ولا يجعلها مادة متحركة إلا النفخ الالهي السبوحي. وهذا لا يفهمه سوى العلماء الربانيين المسلمين. وقد رأينا الماديين لا يؤمنون إلا بما يرونه

وهذا باطل في أدلة المادة. إذ أن المادة يمكن أن تغيب وتظهر ويظهر أثرها في الحس وإن خفيت عن البصيرة والبصر. كعالم الكهرباء الذي هو روح الحياة الآدمية الذي يغـذي التلفـزيـون والراديـو والغسـالـة والمروحـة والتكييـف والكمبيوتر والطائرة والصاروخ وسفينة الفضاء. فلو سلب الحق تعالى منا هذا العالم المخفي أي الكهرباء لتعطل قانون المادة. فعلمنا أن الغيب أقوى من الحس. فأولى بنا أن نؤمن بالغيب الأكبر وهو الحق تعالى.

فإن الغيب قد يتطور ويتجسد كما تتحول القوى الكهربائية إلى قوى حرارية وترى بالحس والعين المجردة. فكذلك وجود الحق تعالى إن لم يظهر لنا في هذه الدار. فإنه سيظهر لنا في الدار الآخرة. ومن هنا يرى سريان الكهرباء في الأسلاك أو يرى الهواء. فأعلمنا الحق تعالى أن الكون كله أشباح ميتة عدمية محضة بلا الحق تعالى وسريان قدرته فيها. فالحق تعالى هو المحرك الأصلي للمادة العدمية الناسوتية. أي الهباء أي العماء.

وقدم المادة والعالم لا يصح القول به. لكونه لا قديم أصلًا في الوجود سوى الحق تعالى. أي له القدم الذاتي دون سواه. وقدم العالم أحد الأوجه الثلاثة التي غلط بها أبو حامد الفلاسفة. والناظر يرى سر التداخل العجيب بين الخالق والمخلوق مع حفظ مكانة الخالق. فإنه ليس كمثله شيء ولكنه عين العالم. حتى قال الحق «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» فإن المخلوق قد حوى خالقه مع صغر جرمه وما حواه العالم بأسره لكون الحق تعالى هو ما دون المادة وهو ما دون العالم. فليس في الكون شيء يشبهه.

ومن ثم جعل الحق تعالى العوالم تدل عليه وعلى أحدية المادة بكون ثبوت الذرة والخلية. فإن الخلية النباتية هي الحيوانية هي الإنسانية لا فرق مع وجود فوارق تافهة. والذرة التي هي أصل الوجود والأجزاء لا فرق بينها في مختلف الأجساد. فالذرة هي العالم بعينه والخلية هي العالم بعينه والعالم هو عين الحق لا غير. والله أعلم.

رسالة

الثغر البديع

في فضل الصلاة على الشفيع

ألا تنظر أيها الولي. والصفي الملكي. والهيكل العرشي. والناسوت الرحموتي. واللاهوت الكمالي. إلى حقيقة عين الوجود. وكنز مرصود. ما رأيت حقيقة من عرفها. ولا توصل إليها بشيء إلا الاضمحلال. أو سراب بقيعة الخيال ألا وهي حقيقة أبي القاسم.

أيها البلبل من أين تغرد بشجوك. وما سرُّ تحرّكك أيها البحر أين أولك وآخرك. أيها الورد ما سر عذب عرفك. وفتنة رائحتك. أيها الثغر البديع ما سر ابتسامك. وأيها الطرف المليح ما سر فتورك. وأيها الغادة اللعوب والغانية الخلوب. ما سر تهتك العاشقين فيك. واقتتالهم عليك. أيها الخصر ما أدقك فمن دققك وبراك. فتعسًا لمن قلاك. أيها الرشأ فمن أعطاك هذا العجب بالنفس. والاختيال والترفل والنعس. أيها النسيم من أين لك هذه الرقة التي خطفت بها أفئدتنا. فتركتها ضعيفة محيرة في سر حسنك وبديع ظرفك.

نظرت في تلك الشاشة القدسية. والحضرة الإلهية. فما رأيت من يجيب سوى عين البر المحمدية. فالكل انتشق وانشق عنها. ليس سواها.

قالت تلك العين وحقي ما عرفني سواي وخالقي كنت معه في الأزل. وأنا معه إلى الأبد. الكل متنازعون على قطرة من بحري. وكلمة من فيضي ونقطة من كمالي. ضاع فيَّ الرجال وضيعت أهل الكمال. هنا يذوب كل فتى. ويختفي

فناء أهل الهوى. تعبت في حقيقتي الرجال. فما نالهم سوى تعب القلب.

وما برز لهم من حضرتي سوى مثقال من جبلي وذرة من طودي.

هل تدري من أنا. أنا الذات المحمدية.

« فصل شرعي في فضل الصلاة على النبي (ﷺ) »

يقول الله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾.

وروي أن النبي (ﷺ) جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك أما يرضيك يا محمد ألا يصلي عليك أحد من أمتك مرة إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليكِ أحد إلا سلمت عليه عشرًا.

وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: من أراد أن يسأل الله حاجته فليكثر من الصلاة على النبي (ﷺ) ثم يسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي (ﷺ) فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

وسبب تأليف دلائل الخيرات للولي الكبير أبو عبدالله محمد الجزولي الحسني أنه حضر وقت الصلاة فقام يتوضأ لها فلم يجد ما يخرج به الماء من البئر فبينما هو كذلك إذ نظرت إليه صبية من مكان عال فقالت له من أنت؟ فأخبرها فقالت أنت الرجل الذي يثني عليك بالخير وتتحير فيما يخرج به الماء من البئر؟ وبصقت في البئر ففاض ماؤها حتى ساح على وجه الأرض فقال الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه: أقسمت عليك بما نلتِ هذه المرتبة فقالت: بكثرة الصلاة على من كان إذا مشى في البر الأقفر تعلقت الوحوش بأذياله (ﷺ). فحلف أن يؤلف كتابًا في الصلاة على النبي (ﷺ). ونقل ابن عابدين عن العبد الصالح الشيخ أحمد الحلبي القاطن دمشق وكان رجلًا عليه سيما الصلاح أن بعض وزراء دمشق أراد أن يبطش به فبات تلك الليلة مكروبًا أشد

الكرب فرأى سيدنا رسول الله (ﷺ) في منامه فأمنه وعلمه صيغة صلاة وأنه إذا قرأها يفرج الله تعالى كربه فاستيقظ وقرأها ففرج الله تعالى كربه ببركة النبي (ﷺ).

يقول ابن عابدين وقد جرب هذه الصيغة فوجدها فعالة في تفريج الكروب.

وروي عن ابن عمر أنهم جاءوا برجل إلى النبي (ﷺ) شهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبي (ﷺ) بقطعه فانصرف الرجل وهو يتمتم ثم ما لبث أن ظهرت براءته فأرسل النبي (ﷺ) في إحضاره ثم سأله يا هذا ما قلت آنفًا وأنت مدبر؟.

فأخبره فقال قلت: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء وسلم على سيدنا محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء وبارك على سيدنا محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء).

فقال (ﷺ): لذلك رأيت الملائكة محدقين بتلك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك

ثم قال (ﷺ): لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر.

عن أبي الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال: قولوا اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه الثلاثة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صلِّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلي آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه أبو داود وعنه أن رسول الله (ﷺ) قال من

صلى عليَّ واحدًا صلى الله عليه عشرًا رواه مسلم.

عن حسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ. رواه الترمذي.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: ما شئت قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت فالثلثين قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تُكْفَى همك ويغفر لك ذنبك. رواه الترمذي.

عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة رواه ابن حبان وروى ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله (ﷺ): أكثروا الصلاة عليَّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم.

وروى البيهقي بسند حسن عن النبي (ﷺ) أنه قال: أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة.

وروى ابن ماجة في سننه عن النبي (ﷺ) أنه قال: أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم (ﷺ) أيما قوم جلسوا مجلسًا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي (ﷺ) كانت عليهم من الله تِرَةٌ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: من نسي الصلاة عليَّ نسي طريق الجنة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلي على النبي (ﷺ).

وروى القاضي عياض بسنده في الشفا عن فضالة بن عبيد أنَّ النبي (ﷺ) سمع رجلًا يدعو في صلاته فلم يصلِ على النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ) عجل هذا ثم دعاه فقال له إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي (ﷺ) ثم ليَدْعُ بما شاء.

كتاب
قانون الحب الالهي
او تعريف المريد
بأُصول الحب الالهي الفريد

المقدمة

الحمد لله المتفضل على عباده المخلصين بمحبته. فرزقهم حسن طاعته. فقدروه حق قدره. فأخلصوا له المحبة الصافية فهم أهل وداده. وكأسه وصفائه وعشقه وشرابه فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

والصلاة والسلام على سيد الإنس والجن صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود وعلى آله وصحبه وأزواجه حق قدره ومقداره.

وبعد ،

فاعلم أيها الولي الحميم والخل القديم أن علم المحبة يعد من ارقى العلوم وأذوقها عند السادة المتقين المخلصين إذْ لولا المحبة لما وصل واصل إلى المشاهدة فضلّا عن المراقبة. وهذا العلم علمٌ قديم لقوله تعالى: ﴿إنَّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ .

فمحبته سبقت منه لهم لا منهم فقام فاصطفاهم وأقامهم في هذا القدر وقد ألهمني الحق تعالى أن أصنف رسالة في المحبة ليست بالقصيرة المخلة ولا بالطويلة المملة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وسميناها « تعريف المريد بأصول الحب الإلهي الفريد » والله الموفق.

فصل
في أصل المحبة

لما سألني الخليل الودود عن أصل المحبة قلنا له أصلها الحياة الأولى والنشأة الكلية لكون الحياة لم تقم عبثًا بلا محبة وذاك قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

ولما قامت الأكوان من العدم أقامها المليك بسر الحب الذي هو سر الأسرار. إذْ أنَّ معنى الحياة المحبة السارية في المكونات طوعًا أو كرهًا. ولو قامت النشأة على كراهية لنقضت دعائم الوجود وهياكله.

ولما لم يكن الرب تعالى وهو المكون الأعظم كارهًا أو مكروهًا أو مستكرهًا فقد أقام الأعيان بمفتاح الحب. منذ عالم البدء الأول والميثاق الذي أخذه على مجموع الأعيان.

وكان استخلاف الحق تعالى للخليفة الأول آدم بأسرار المحبة التي علمها هو ولم يعلمها أحد، من الملائكة. فقيل لهم من قبل الحضرة: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

فهذا أصل المحبة التي لولاها لما عرف المخلوق الرب.

ومن ثَمَّ ذهب المجادل وقال فضيلة العلم أقوى من فضيلة المحبة في النشوء. وهذا وهم، إذْ أنه لولا محبته لهم لما علمهم. قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. والتقوى هي المحبة التي لولاها لما كانت تقوى أصلًا ولولا المحبة لما كان علم.

أي بالحب قامت الأكوان ونشأت ومن أجل الحب قامت. وإلى الحب وله وعليه وبه ومنه تعلق نشوؤه.

فهذا سر السائل عن أصل المحبة.

فصل
حوى فنونا في المحبة

اعلم أن المحبة نوعان:

نوع قديم.

ونوع محدث.

فالذي أحب القديم لو أدخل معه المحدث لأفسده.

أما المحب للمحدث فلو أدخل معه القديم لأحياه.

فالمحب للقديم هو المحب للحق تعالى لا غير. يكون القديم واحدًا لا غير وهو الحق تعالى. أما المحدثون فقد سرى فيهم التعدد. فكل ما دخل على القديم في المحبة أفسده من المحدث وهو إدخال حب المخلوق على حب الحق تعالى. أما دخول القديم على المحدث ففي منازلاتنا هو يلقي حب المحدث من القلوب ويجددها.

ولو سأل سائل وقال: أليس حب الرسول ﷺ محدث. وقد قُرِنَ حبه عليه السلام مع حب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

فاشترط عليهم في محبتهم له اتباع رسوله ﷺ.

فلما اتبعوه حق الاتباع قيل لهم من حضرة القدس: ﴿يحببكم الله﴾.

فكيف يتم هذا الأمر؟

والجواب أنَّ المحبَّ للقديم قَدَّمَ محبته. فلما صحت وصح التقديم. أحب المحدث الشريف كحب نبيه عليه السلام كرامة للقديم لأمره بهذا.

فذهب الحق تعالى فاشترط عليهم محبة المحدث كرامة للمحدث. حتى قُرِنَ هذا بحبه هو. فقال: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

ولما أحب القوم الحق تعالى ادعوا فيه دعاوي كلها صحت.

فالمحب لا يكذب. لكونه أخلص وفنى.

فمنهم من ادعى محبته.

ومنهم من ادعى عشقه.

ومنهم من ادعى الفناء فيه.

ومنهم من ادعى التعلق به.

ومنهم من ادعى عدم الوفاء في المحبة.

ومنهم من بلغ مبلغًا لا يقال.

وذهب رسول الله ﷺ فأطلق في حق الإله صفة الحب لا غير. ولم يخرج عن هذا الوصف. وهذا هو الكمال في عرفنا ومذهبنا.

ولما وصلت المحبة بأهل المحبة وصولًا بليغًا تكلفوا ألفاظًا كالفناء والعشق لم تكن على عهد النبي ﷺ. وتكلفهم لهذه الألفاظ، لكون محبتهم في الحق تعالى صحت فلم يدعوا دعوى باطلة.

والطبقة الجنيدية هي أول من أرسى دعائم المحبة في تنويع ألفاظها. وإن كان أفراد قد نوعوا قبل الجنيد وطبقته.

وإن ذهب ذاهب وقال: ما حكم العشق إذا وقع بين الرب والمربوب؟

قلنا: يجوز للمربوب أن يعشق ولا يجوز للرب أن يعشق.

إن قيل: لما هذا الحكم؟

أجبنا: لكون معاني العشق تعطي وصفًا ليس هو في المحبة قط.

فالعاشق للمحدث يرى أن معشوقه هو الغاية في المحدثين وهو ذروة الإبداع. وهذا باطل لكونه أعطى معشوقه أعظم من حقه فافهم.

لهذا فإن العشق في عرفنا مرض وهمي أصاب النفوس المريضة الواهية. ولا يصح في نفس مطمئنة مهما بلغ حالها إلا إذا ادعته في حق الرب تعالى. فهو منها مقبول.

أما وقوع العشق من قبل الحق تعالى فهو مردود غير مقبول جملة لكون الحق تعالى لا يقع في حقه نقص قط. وما يصح في جنابه تعالى فهي المحبة لا غير. لقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾. وهذا هو الكمال.

ولما رُفِعت شروط الأدب لكون المحبة صحت عبر القوم بفنون معانيهم في محبتهم له تعالى. فقالوا ما قالوا وقبل منهم مقولا عنهم.

أما سر المحبة في المعنى القرآني الذي لم يخرج إلى عشق أو فناء. فكون هذا اللفظ قبل من المعاني ما لا يطاق من الفنون.

فقامت المعاني فيه في بحر لجي. لا ساحل له. فتاه أهل المحبة في هذا البحر فعبروا بأوصافهم كيف شاءوا حتى يتميزوا.

أما الكامل فلا يدعي إلا الحب لا غير. تشبهًا بالسنن والقرآن.

والفناء في طبعه كالعشق لا يجوز وقوعه في جناب الرب تعالى. لكونه نقصًا.

أما ادعاؤه من قبل المخلوق فمقبول مصرح به في كتب القوم. كرسالة القشيري.

أما صفة العشق في كونه مرضًا إنما قلنا بهذا لاستيلاء المحدث على المحدث جملة وكلية. فلا يبقى فيه شيء قط.

وكان من أسرار التعشق المحدث الفناء في كلا المحدثين. ومن ثم الاجتماع في النشأتين. وهذا سره عظيم عندنا.

وإذا عظم العشق فلا شفاء منه إلا باجتماع العاشق والمعشوق. وإلا فالهلاك

محقق لكليهما إذا لم يجتمعا ومن نوادر هذا المقام إذا مات أحد العاشقين لحقه الآخر وربما دفن معه.

وهذا كان يحدث كثيرًا لعشاق العرب في الجاهلية والإسلام. مثل قيس وليلى وجميل وبثينة ومي وذي الرمّة. واجتماع العاشق والمعشوق في النشأتين الدنيوية والأخروية واقع في الجمادات والحيوان كذا.

وقد قيل في عشق الجماد أن نخلتين كانتا متقابلتين. فقطعت إحداهما فماتت الأخرى.

أما المخلوق المدعي عشق الرب فهذا أمر آخر.

إذ الادعاء لما وقع من المخلوق فقط فقد سقطت قاعدة العشق. وإن ادعاه في علوم الأحوال المخلوق. لكون العشق لا يقع بينهما بأي حال من الأحوال.

إذْ تكاليف العشق سرت على المخلوق ولم تسرِ على الخالق. وقد فصلنا هذا الأمر في كتابنا «تكملة الفتوحات المكية» في باب تعلق المحبة بالابتلاء. والقاعدة العلمية في فتحنا اقتضت وقوع العشق بين المجسمات. لهذا فقد انتفت صفة العشق عن الحق تعالى لكونه ليس بجسم حتى يَعْشِق أو يُعْشَق.

لذا كان الفناء أقوى من العشق لكون العاشق تعلق بالأجسام أو أجزاء الأجسام أما الفاني فقد ترك هذا الحدّ وفَنِيَ في المعشوق. وترك الرسوم والحدود وخلعها جملة من الحسبان.

أما المحب فهو أرقى من العاشق والفاني وهو سيدهم وشيخهم.

وأما المخلوق العاشق للقديم وهو الحق تعالى فقد ادعى هذه الدعوى وصحت منه وإن كان أصلها البطلان رجوعًا للقاعدة السابقة لكونه عشق الرب وهو ليس بجسم. وأقل شيء أنه عشق شيئًا لم يطلع عليه. وهذا مقام، عالٍ عندنا لكونه تعلق بما لم يره.

ولكن ساداتنا الكاملين يرون هذا المقام على علوه فيه نقص كبير.

أما حدودُ الحبِ الإلهي فهي لا ساحلَ لها. والمحبُ الفاني للمخلوق تائه فيها متضعضع كالهباء المنثور أو كاللقمة المضوغة.

أما صفة المحبوب فهو الحق تعالى صاحب الأوصاف في المحبة. وأقل وصف له لو اطلع عليه المحب لهلك ولما عاد له وصف، بعد ذلك. لذا أحبوا ظاهر الوصف دون تطلع على بواطن الأوصاف.

ولما قيل لهم إنَّ الله جميل يحب الجمال.

قالوا: وما جماله؟

قيل: جماله في هذه الدار مظاهر التجليات. أما باطن الجمال فلا يظهر إلا في الآخرة. عندما يتجلى لهم ويكلمهم وينظرون إليه.

فحين ذاك يطلعون على حقيقة وصفه تعالى. أما في هذه الدار فهم غير مطلعين على هذا الوصف إلا ما كان لنبينا ﷺ في ليلة المعراج. فقد اطلع على حقيقة الوصف.

أما الناظرون إلى الأوصاف الإلهية في الآخرة فهم على مقامات على قدر مقاماتهم في هذه الدار في المكاشفة والذوق.

أما دعوى من ادعى أنَّ الحبَ الإلهي قد شغله عن حب المخلوق كحب النبي ﷺ. فهذه دعوى نقص لكون الوصول لا يتم إلا ببركته ﷺ. حتى أن الله تعالى قرن حبه بحب نبيه عليه السلام.

ومن المحبين كأمثال رابعة وابن الفارض شغلهم حب الخالق كلية وذهب بهم مذهبًا عظيمًا في الوصول والجاهل من يظن أنَّ هؤلاء نسوا رسول الله ﷺ في محبتهم. فهؤلاء حالهم في المحبة حب الإله. حتى تكلفوا هذا الحب قهرًا مع نظرهم إلى محبته ﷺ.

أما ادعاء الحب الإلهي الصرف فهذا عظيم لا يقدره قدره إلا الإله نفسه. فما عرفه مثله.

وما قدره حق قدره إلا هو.

والكامل الأول هو الهيكلُ المحمديُّ الذي وزع صنوف المحبة على مقاماتها ورتبها فأحب نفسه وأحب ربه.

فكان يفتخر بنفسه فيقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

وكان يصلي على نفسه ويبين لنا قدر الصلاة عليه. ويسلم على نفسه ويبين لنا قدر السلام عليه وكان يفضل نفسه على العالمين.

وهذا بحق هو الحب.

فما قدر حب رسول الله مثل رسول الله نفسه ﷺ.

فهذا هو الحب في الكمال. وهذا هو الكمال في الحب.

والحب لأجل الحق تعالى مقامٌ ودرجةٌ عند المحبين الوالهين في ذات الإله.

وذاك ما عبر عنه حالًا لسان أبي القاسم عليه السلام بقوله: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله».

فحب الرسول ﷺ فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

وحب المؤمنين والأولياء كالصحابة فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

وحب الوالدين فرع من حب الإله وهو الأصل الموصل.

فهذه صفة الحب لأجل الذات العلية فلا يقدرك الإله إلا إذا أحببت لأجله. وهو مقامٌ سامٍ.

ولو أتينا إلى تفصيل نشأة المحبة بين المخلوق والإله. لرأينا عجبًا. لما يقدرُ الإلهُ العظيمُ ذاكَ المخلوقَ الضعيفَ.

وما قدره الحق تعالى إلا لكونه أحبه وأخلص له في محبته.

فإذا جاء المخلوقُ الضعيفُ الحقَ تعالى بمحبته أدبه الحقُ تعالى كي تصحَ المحبةُ. فإذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.

فهناك لا تشترط للأدب شروطٌ قط. وإذا أدب الحق تعالى المحب. فليصبر المحب على أدب المحبوب وهو الحق تعالى ولا يؤدب محبوب إلا الحق تعالى في جملة المحبوبين.

وإذا تعامل الربُّ مع المخلوق في المحبة لاقى المخلوق تعبًا عظيمًا وصفهُ في محبته. فكيف تسلم المحبة بدون تجاريب واختبارات. ووجدنا الاختبارَ الإلهيَ مكرًا صرفًا لا مناسبة بينه وبين مكر البشر لقوله تعالى: ﴿والله خير الماكرين﴾.

وهذا المكرُ الإلهيُّ المستخرج من حضرة العماء الإلهية قاتلٌ لهوى النفس عند المريد ودخانها.

فإذا ذهب دخان النفس وسعيرها وصفت النفس فإنها حينذاك تسلم في المحبة وقوانينها.

وهذه صفةُ المريد في الوصول اليأس من الوصول. حتى إذا يأس وصل.

وهكذا هو في التربية قائم حتى يمنَّ الحقُّ تعالى عليه فيصل. بعد أن يقاسي من أهوال التربية شيئًا عظيمًا في المحبة.

أما صفة الشيخ مع المريد في المحبة فنوعان:

شيخ يمكر بمريده ويختبره. وشيخ لا يمكر.

والأول أقوى وأعم وأشمل. ويمكر الشيخ في المحبة بخيطٍ من مكر الإله تعالى. لا يطلع على فنه المريد قط ومكر الشيخ علم يلقيه الحق تعالى على يد الشيخ في أصول التربية. فافهم.

وأعلم أنَّ شرط المحبة تعلق الروح بالمحبوب والقلب والجوارح والمعاني وإلا فلا تصح محبة في جناب الإله. أما حب الإله فأعظم من حب المخلوق ولا

يصح وصفه لكونه خرج عن حد الوصف.

فإنَّ الحقَ تعالى لا وصفَ لحبه مطلقًا في التطاول لعدم التحديد.

أما المخلوق فمحدود الوصف فلا فهم ولا إدراك لمعاني الحب الإلهية.

والمكون أحب وأرحم عن كونه وخلقه حتى هذه الصفة تلبست بالكافر يقينا كالمؤمن.

فإن الكافر كالمؤمن مرحوم. لكنه غير محبوب. لكون لعنة الحق تعالى قد أصابته وقد اقتضت الحكمة العليا أنّ التكوين الكوني في الأعيان كله مرحوم لقوله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾. ولقوله: «سبقت رحمتي غضبي» وهذا السبق هو الرحمة الكلية والمحبة الجزئية فالعلم مسبق بالمحبة ومعها الرحمة للمؤمن ومسبق بالرحمة فقط للكافر فالرحمة أشمل من المحبة واعلم أنَّ مبادىء الرحمة والحب تتبدى في الموقف يوم القيامة لأهل الموقف.

ومن نوادر المحبة تشكلها وتخيلها في عالم الحس. وقد يرى هذا التشكل الكُمَّل من أهل المحبة. فتتهيأ لهم محبتهم في الصور الحسية فيرونها.

وقد حكى ذلك الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس الحق تعالى سره عن نفسه في «الفتوحات» وكان من أقطاب هذا المقام.

ومن نوادر المحبة ذوبان المحب من قوة الحب والتجلي بقوانينه على هيكل المحب.

وهذا بعيدٌ عن الكمال.

إذ الكامل لا يذوب في محبته لكون هيكله يتصدى للمحبة. وهذا حال النبي ﷺ.

وكذا حكي عن أحمد الرفاعي قُدّسَ سِرُّهُ أنه كان إذا تواضع وزاد في مقام التواضع ذاب ولم يحتمل قوة المقام.

وقال قوم: ما حكم إفشاء المحبة وكتمانها؟

فأجبنا: كتمان المحبة حالٌ قويٌّ هو أعظم من البوح.

ولا يصبر على كتمان المحبة إلا أقوياء الرجال لعدم استفاضة هذا الحال بهم. لكون حال المحبة إذا فاض لزم البوح والتصريح أو التلويح والكتمان في عرف المحبين حال قوى وهذا أتى من قوة إخلاص المحب. فإذا قوي الإخلاص قوي الكتمان والتصريح في المحبة لا سيما أهل الدلال والجمال.

ولهم في هذا تصريح وتلميح.

واعلم أيها الخل الولي. والصديق الوفي أنَّ الحق تعالى يحب الكتمان والتصريح. فكلٌّ له رجال.

فإذا لم يصرح ويكتم له في آنٍ واحد في مملكته. أي مملكة المحبين فأين حق الربوبية في هذا المعنى؟

وهذه قاعدة: ﴿كُلَّ يوم هو في شأن﴾. فالشأن هو التصريح والكتمان في آنٍ واحد.

فالكتومُ يرى المراقبةَ في حاله وقوةَ اليقين وعِلْمَ الحق تعالى بحبه. فلا ينبغي التصريح بل الكتمان أقوم.

فهذا حال الجبال الرواسي المكتملين. والمصرحُ بحبه يرى أنه إنْ لم يصرحْ بحبه فإنَّ هذا الحبَ سيفسده الكتمان. لعدم صبر المحب عن التصريح فيصرح وإلا هلك إنْ سكَت.

فهو قائم في دلاله يصرح بحبه كيف شاء ومنتصب في جماله يصرح ويدلي بفنون عشقه وتصاريح وصفه وأوصاف وقته. فهذا حال الأرقاء المتدللين أهل الشفوف واللين والتيه والخيلاء ومذهبنا على أنَّ التصريح بالمحبة أعظم من كتمانها.

وقد كان الشيخ عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من شيوخنا من أهل الكتم الشديد في محبته. فلا يبدي شيئًا قط كقدر خرم إبرة.

فصل
في اوصاف المحبين

واعلم أنَّ المحبَّ الصادقَ هو الذي يفرق بين وصف المحب الإلهي والمحب المحدث وهذا عندنا له فرقانٌ خاص.

فالخوف والضعف بائن في المحب الإلهي والمحب المحدث ولا عبرة للظواهر. ولكن قوة الروح لا تؤتى للثاني في الهيكل.

فالهيكل النحيل عند المحب الإلهي له من قوة الروح ما لا يوصف بوصف قط. بحيث تراه أقوى في نحوله من سمنته لغلبة الروح على الهيكل فضلًا عن النحول.

والمحب الإلهي يغلب عليه ضياع الإرادة في الإرادة الإلهية. وفناء البعض في الكل فلا اختيار له إلا ما يكون من اختيار الحق تعالى له.

والمحب الإلهي نادرٌ في صفته ووصفه لكونه ينافي المحب المحدث.

وكل محب في ذات الإله فقد حُفِظَ من صفة الحدوث في حبه. وإن كان هو حادثًا وهذا من عجائب النكات في سلطان المحبة الإلهية. فإنَّ المحب الإلهي له من فنون المحبة ما لا يطيقه العالمون في الوصف والتصريح. واعلم أيدني الله وإياك بروح منه أنَّ المحب الإلهي له من طاقة التصريف وقوة الهيكل ما يحرق به الأكوان لو أراد هذا. وهذه صفة العارف الحق في المحبة. وأهل الحب الإلهي لهم نورٌ في الوجه لا يدركه أهل الحب المحدث.

وليس في أهل الحب المحدث شيء من هذا النور. لكون الحب الإلهي مختصًا بسلطان هذا النور دون غيره من ألوان الحب. ووجدنا في ذوقنا

وكشفنا هذا النور سيما أهل الحب الإلهي وهم أعلم بشؤون هذا العلم من غيرهم في هذا الباب. فافهم.

ومن نوادر الحب الإلهي كونه يسمن وهذا من مقاماتهم. وقد وقع للشبلي هذا المقام.

حُكِيَ عن الشبلي أنه لما أحب سمن فقيل له في ذلك؟ فقال: حبه أسمنني.

وهذا من أمور المحبة العكسية التي يلاقي صاحبها معاكسات المقادير. واعلم أيدكَ الحقُ تعالى أنَّ المحبَ الإلهي مستمسكٌ بحبه مهما اختُبِرَ وامتُحِنَ لعلمه بعظمة حبه وما سيلاقيه من المحبوب من تحفٍ هي تنتظره.

قيل لنا: فما جزاء الصدق في حب المحدث وهل هو كجزاء الصدق في حب القديم.

قلنا: إن اتحدت الغايات فقد تجمعت واتحدت التوجهات. وإن تعددت الغايات تعددت التوجهات. فوجهة المحب الإلهي هي الحق تعالى فشرفت الغاية. ووجهة المحب المحدث هي المخلوق فسفلت الغاية. فشتان بين الأمرين وإن كان غاية المقصد هو الصدق في المحبة. فإنَّ نهاية الغايات في المحبة تخضع للتوجهات المنطبقة عليها. فافهم.

قيل لنا: فهل يعرف المحبُّ أنه محبٌ؟

قلنا: نعم يجب عليه أن يتيقن هذه المعرفة وإلا فقد خلعت عنه صفة المحبة. فأين هو منها إنْ لم يتيقنها.

أما المنكر لحبه فهو مقامٌ في عرفنا عزيز في الوجود قد ضاع أقطابه يا ولي فافهم.

فصل
في دلال المحب والمحبوب

واعلمْ أنَّ المحبَ والمحبوبَ لها دلالٌ عظيم في باب المحبة. وهذا الدلال لا يطاق وصفه. ولا حدَّ لنعته.

وكلا المحب والمحبوب يحتمل دلال الآخر مهما كلفه ثمن ذلك من متاعب ومهالك. ولا يخرق دلال المحبين قواعدَ الأدب مهما بلغوا من أدبهم في هذا الشأن وإن كان ظاهر الدلال خرقه.

ودلالهم له تكاليف عالية وغالية في الثمن الذي هم يتكلفونه. ومنهم من يقسم بدلاله على الحق تعالى فيستجيب له ما أراده. وكان عبد القادر الجيلاني من أقطاب الدلال في المحبة وهو القائل: قدمي هذه على رقبه كل ولي.

والولي المتحقق في مقام الدلال يقال له من حضرة التقديس: افعل ما شئت فقد رضينا عنك وبك. وقد منحهم الحق تعالى دلاله رحمة بهم من عنده لكونهم قطعًا قد يموتون حسرةً وقهرًا إن لم يكن هذا المقام هو مقامهم الذي ترمي عنده دعائم حبهم.

فصل
في ذنوب المحبين

اعلم ولي الله.

أنَّ المحبَ له ذنوبٌ في أحيان. والمحبوب عارف بهذه الذنوب. ولكنه مسامح قيل قديمًا لأهل بدر: «افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم». والغفران في المحبة عظيم الوصف والرسم لكون المحب صدق في محبته. فلا يهتم المحبوب بذنوبه أو طاعته. رجوعًا لقاعدة أهل بدر. والغاية النبيلة الواقعة بين المحب والمحبوب هي الحب وصدق نوال هذا الشأن. والذنب الذي ارتكبه العبد المحب في ساحة المحبوب الذي هو الحق لا يهم الحق تعالى وإنْ بلغ عنان

السماء. وقد قيل في الذكر الأول: «يا ابن آدم لو جئتني بقراب الأرض ذنوبًا لجئتك بقرابها مغفرة».

وقيل: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفروا فيغفر لهم».

واعلم أنَّ هذه المغفرة لا قيمة لها كمثل الذنوب. لكون الحق تعالى لا تهمه مغفرة أو توبة وكذا لا تهمه معصية أو طاعة. ولكن أسباب الجزاء اقتضت هذه الأمور.

وبلغ علمنا حدًا أنَّ لحم المحب لا تمسه النار مهما ارتكب من الذنوب. وهذا ورد نصه في الحديث الصحيح بقوله ﷺ وسلم: «عينان لا تمسها النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله».

وهذا الاقتضاء الإلهي أُخِذَتْ قاعدته من القسم الإلهي في عالم البدء الأول فلحوم المحبين لا تنجسها ذنوب. والمرتكب منهم لذنب وقف لينفذ حكم الحق تعالى فيه لا غير.

أما سعة الكرم الإلهي التي يكرم بها المحبين فهي في غاية لا يبلغها أحد من أهل الموقف.

فيكرم المحب لأجل حبه كرمًا لا وصف له. ومن يكرم يا ولي إذا لم يكرم المحب مهما أتى المحبوب بأمور؟ وقد قيل: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين﴾.

وقد قيل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

فاشترط المحبة عليهم لا التقوى ولا الإخلاص.

لكون المحبة جالبة لكل هذه الدعاوى.

فصل
في صفة المحب المتشرع

وإني قائل لك اعلم أنَّ المحبَّ إذا لم يتشرع في محبته فهو ساقطٌ وخارج عن نظر أهل الله تعالى.

إذْ أساس المحبة عندنا في المحب هي التشرع والتخلق بأوصاف المحبوب وطاعة أوامره واجتناب ما نهى عنه والوقوف عند حدوده. فهذه صفةالمحب المتشرع الذي حدته حدود الشرع. وإلا فهو محب مرقع في محبته. وانظر إلى حال صحابة رسول الله ﷺ كيف كانوا أهل شريعة وسنة. فلا يكاد يبدو الحب منهم ولا فيهم إلا لغلبة أحوال الشريعة عليهم.

ولما كان تعريف المحبة عندنا هي ذوبان أوصاف المحبوب في المحب. حتى يمسي المحبُّ كله محشوًّا بأوصاف المحبوب. وحينذاك يرضى عنه المحبوب. إذا تشرع واستن بما أراده. أما المحب الغير متشرع فليس في عرف القوم بمحب. بل هو مدع.

وإذْ من صفة الادعاء مخالفة القوم في رسوم محبتهم. وخلع التشرع والتسنن بما أراده المحبوب.

فصل
في صفة تعذيب أهل المحبة

وسألتني كيف يعذب المحبوب المحب. وقد يكون حب المحبوب للمحب أعظم من حب المحب للمحبوب؟

فكيف يعذب المحبوب المحب ويرتضي له ذلك؟

سألتني كيف يعذبه؟

وسألتني كيف يهجره؟

وسألتني كيف لا يواصله؟

وسألتني كيف يتهمه بالكذب في حبه برغم علمه أنه صادق؟

وسألتني كيف يجعله يبكي في محبته؟

وسألتني كيف يجعله يموت حسرة في محبته؟

بل هذا يا خليل حق ومن حق صدر وإلى حق يعود.

وهذه علامات المحبين. وإلا فلا يتم وصفها ورسمها وبهذا وردت الآثار. وعلى هذا القانون نشأت قوانين المحبين. فإن لم يرتضوا قوانين المحبة فهم في لهو يعبثون.

فصل
نختم به هذه الرسالة

اعلم أيدني الله وإياك به أنه من كمالات المحبين سريان المحبة ظاهرًا وباطنًا فيهم.

فلا يدعي المحب أكثر مما ينبغي له ظاهرًا فلا يتكلف من فنونها شيء قط أكثر مما هو فيه. حتى لا يقع في باب الرياء الخفي فيعاقب.

وعلى المحب أن يتحلى بالصبر الطويل في حبه. فطريق الحب كله ابتلاءات واختبارات ولن يصل محب إلا بصبره الطويل على الهجران والمشاق.

واعلم أن الصبر ترياق المحبين الصادقين وبه يرثون حال المحبة.

ومعدن الوصول إلى الله تعالى هو عنصر المحبة. وأعظم الواصلين عند الله تعالى أعظمهم محبة له. حتى أنَّ الحق تعالى لا يحاسب المحبين يوم الموقف. وهم على منابر من نور يوم القيامة. والمحبون هم الداخلون بلا حساب إلى دار الخلد لما علمه الحق تعالى من صدقهم.

فلا صحائف للمحبين ولا كتاب ولا يمين ولا شمال في استلام الكتب.

ولا ميزان ولا صراط ولا موقف. فأهل المحبة هم أرقى القوم وصولًا فكيف تلحقهم هذه الأمور وقد تعذبوا في حبه عذابًا كبيرًا.

واعلم أنه لا يلاقي عذابًا مثل المحب في الأعيان لكي يصل إلى حضرة المحبوب.

فالصابرون عيالٌ على المحب. فالمبتلون عيال على محب.

أما صفة الوصال عند المحب فهي غير متحققة له في هذه الدار. إلا في الدار الآخرة.

ووصال المحبين في النظر المتمثل في الزيادة. والنظرُ علمٌ لا ذوقَ له أصلًا فيما بلغنا في هذه الدار ولا يتحقق إلا في الدار الآخرة. لعدم التناسب وعدم وجود التكافؤ الآن. والمحب الفريد هو الذي لم يتحقق بعد من مقاصد المحبوب. فتراه غريرًا لم ينضج بعد فيتيقن أشائره ويتذوق مقاصده. وهذه صفة المعارض من المحبين الذي لم تزل فيه بقية من نقص النفس.

أما المحب الذي تعلَّم وترك الغرور في حبه فهو الذي تقلب على مقالب الجمر حتى تعلَّم وفهم مقاصد المحبوب فرضي المحبوب عنه. وهو قول المحبوب: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾.

فالمحب الحق هو الذي وقف على مقاصد المحبوب. ففهم أشائره وتيقنها.

أما المحبة في كونها مكتسبة أو موهوبة بمحض المنة.

فالقول عندنا على أنها منة بمحض الوهب. لكون هذه المعانى لا تكتسب وإنما هي منة توهب من قبل الإله تعالى. وهذا ثابتٌ عند أهل الحقائق. وشكوى المحب للمحبوب فيها قولان عندنا: «فالقول الأول»: على أنَّ المحبَّ كيف يشكو المحبوبَ الى نفسه وهو أعلم بحاله منه. فالشكوى نقص في عرفهم. والقول الثاني: على أنَّ هذه الشكوى مقبولة لأجل التسلية والتخفيف عن المحب.

وقد صدرت شكوى من أُولي العزم لما ضاقوا ذرعًا من حال أقوامهم. فقبلت شكواهم في ساحة الإله. فإن قيل: إنَّ حال المحب دومًا يغلب عليه القبض. فكيف يكون هذا ؟

والجواب: أنَّ المريد بغير هذا القبض لا يستوي حاله. وقبضه هو عين بسطه في علم التحقيق.

فلولا سلطان القبض لما عرف المحب قدر المحبوب قط ولما عرف منه بسط. وبهذه القبض يتحقق رضاء المحبوب على المحب فلا يرضى إلا إنْ علم تعبه وهذا عين بسطه.

قيل لنا: فما حال التظاهر في المحبة ؟

أجبنا: هذا حال إلى الكمال أقرب ما دام الباطن مجمع على كمال المحبة فلا يضر حينذاك تظاهر في المحبة. وكم كان من شيوخنا عندهم هذا العلم. وهو علم مكر في حقيقة معناه. وهو علمٌ في مبادىء التربية قريبٌ وبه ينفذ أهل التربية مراداتهم من المريدين. ولنا أشعار في المحبة أردت إثباتها في هذه الرسالة. فمنها قصيدتنا:

سُليمى لا تَنسَيْ معالمنا   وحبًّا دهرُنا صانا
وعهدًا طالما وُثِقَا   وصبًّا طالما عانى
وذكرى في ربوعهم   وخلًّا قلما خانا
سُليمى طالما مزحت   بحب مره زانا
وكأس الوصل إنْ صدقا   فمر الحب قد هانا
ونجد كل ربعهم   وكل الرسم وافانا
ووجه الصبح إنْ سفرا   تباوحنا شكايانا
وذرف الدمع هماع   وطول الصبر أبلانا
وحين النأي أشجان   وطير البين فتانا
قصدتك قاضي الحب   تناصر كل من عانى

أقـــاضٍ إنـــي آتٍ لأشكــوك رزايـــانـــا
فقـال النـأي مـذهبنـا دواء النـــأي داوانـــا

ولنا قصيدة أخرى أرق وأعظم ظرفًا فيها أقول:

حـكـم الهوى دومًـا على عشـاقـه بتـوارث الأحـزان في أحكـامـه
ورضي لهم كـل المهـالـك جملـة حتى المرارة حلـــوة بنظـــامـــه
وجرى بـذاك الحكـم في ألـواحـه ختم الكتـاب وصين مـــن أقلامـــه
ورأى بـذاك العـاشقـون ملاحـــة هي سلـوة العشـاق مـن أسقـامـه
وتـــوارث العشـــاق ميراث الهوى من قبض سقم كان مـن أوهـامـه
وتـزاور العشـــاق طـــوافـــا بنـــا عَلّـي أُشـاهــد حسنــه بتمامـه
وحيـاةِ خلي كم أبـــوح فلا أجـــد إلا الصـدود وهـذا مـن إنعـامـه
حكـم الهوى دومًـا على عشـاقـــه لعصير عمـر الوصـل في أعـوامـه
وجنـى علينـــا في هـــواه تعلقًـــا ملـك الفـؤاد بـه ولـــبَّ صمامـــه
فغـدى بـه الجسم النحيـل مـــولهًا ورأى نحول الجسم كـل طعـــامـــه
وسلاني محبـــوبي فما أدرى أنـــا ماذا ارتكبت فـزاد مـن إضرامـه
وقضى إلينـا الوصـل أنَّ مـذاقـــه حلـو فهـل نشقـى بمر مـــدامـــه
وتعشـق الروح اللطيـف خيـالـــه وغـدا جمال الكـون طـوع زمـامـه
وجفـوت كـل الخلـق حتى مهجتي وهـي التي للجسم كـل قـــوامـــه
وغدوت من فرط الصبابـة نـاحلًا حتى العظـام تحدثـــت بغـــرامـــه
ومـــررت في حـــي الهوى متنقلًا فتنكـر الخـل بســـد خيـــامـــه
فبكيت وحدي من صريح صدوده ما ذنـب خـلٍ قـد بُلي بهيـامـه؟
وسلبت لبّـي جُـدْ فـرد عقـولنـا فـالقلـب ضـاعَ ولم يـفِ بغـرامـه
وصبرتُ صبرًا في هـــــواه تحملًا لـولاه لم أرضَ بكـــل سقـــامـــه
وملكتني روحًـــــا وعقلًا والحشى ورضى سقـامًـا أنشئـت بسهـامـه

ولنا قصيدة فيها أقول وهي رفيعة الذوق:

وما الحب إلا أن تموت متيماً … بحب الذي تهوى وإنْ كان جانيا
فكل محب فالفناء حياته … وبالموت قد يرضي وإنْ ظل صاحيا
وما مات عشاق بطول فنائهم … ولو بقيت روحي لكنت مماريا
فقوما خليلي لكيما نميته … بكأس فناء لست فيه مغاليا
أماري هواها عند أهلي وجيرتي … وأطلق آهاتي إذا صرت خاليا
وكلي نيران لها الصدر قد حوى … وقلبي مدفون بنار غراميا
وما أنا إلا من يلذ له الفنا … ففيه لجسمي نغمة ستداويا
وتلك ديار قد تركت حسانها … ولذت بسلمى وهي كل مراديا
قُتِلْتُ بسهم من سهام لحاظها … فغبت صريعًا لا أجد من يداويا
سُليمَى تداوي كل سقم بطرفها … ولو حركت لحظًا لأفنت حياتيا
وفيها لأرباب الهوى كل مذهب … ومذهبي فيها خفي منافيا
فبح بالحب خلي والغرام ومت به … فكتمانه ذنب أراه تجافيا
ولو أبدت الألحاظ سلمى لناظر … لكان لزامًا أن يموت مقاسيا
ولو قيل لي وصل لسلمى ساعة … أحب أم الدنيا ووصل الغوانيا
لقلت وصال من سليمى ساعة … أحب إلى روحي ليطفىء ناريا
وكل مرادي أن أموت بقربها … لنحيا حياة في جنان عواليا
وحبي لسلمى ليس حبًا لوصلها … ففيها جمال الروح أغلى الأمانيا
ففيها جمال لا أطيق دلاله … وإنْ رفض الصبر الدلال تجافيا
وما أنا إلا ميت طوع حسنها … تخاطبني دومًا بطرف يناجيا
وكلي مملوك كأني نسمة تروح … وتغدو أن تطيل ندائيا
وما هزني إلا فراق أحبتي … وتلك دموعي كالدماء مرائيا
وما الحب إلا أن تذل لوصلها … فذل الفتى عزٌّ أراه تعاليا
وكل الذي تهوى فسلمى بعينه … وكل جمال أصله متناهيا
ولكن جمالًا قد حواه أحارني … فما هو متناهٍ ولست مماريا
فيا ربة الحسن البديع ترفقي … بكل سقيم لا يجد من يداويا
فلا تلم العشاق واغفر ذنوبهم … فذلهم ذل على الرأس جاثيا

كتاب
فناء العاشق في المعشوق

اعلم أيدني الله واياك بروح الروح التي هي روح القدس أن العاشق والمعشوق أصلان هما أصل واحد لا غير. وهما شخصان إنما هما شخص واحد كذا لا غير. ومن هنا فني العاشق في المعشوق واتحد المعنيان في معنى واحد.

وهذا آيته من الشريعة قوله تعالى في حديثٍ قدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ» الحديث ومن لم يتحقق له هذا الذوق فقد دخل باب دعاوى الحب لا غير.

يا ولي أنت هو وهو انت لا يكمل العارف عندنا حتى يقول لمن يحبه:

يا أنا. وحتى يتحدا في معنى واحد.

وكيف فني المحب المسكين في المحبوب، إلا لعشقه لأوصافه. وذوبانه في حركاته وسكناته؟

وما هذا لعمري غريب. إذْ نهايتهم التحقق في شرف أعمالهم وإشراقات مذاقاتهم. وقد نالني بحمد الله هذا الذوق تحققًا في محبتي لشيخنا عبد المجيد الشريف قُدِسَ سِرُه. فكنت أفعل ما يفعل من سكنات وحركات ومقالات. فأهوى ما يهوى وكان هو كذلك. فمن ذلك أنَّ بطنه وجعته في ذات مرة فذهبت إلى الزاوية ولا علم لي وكنت أنا أيضًا قد انتابني من فترة ألم ببطني

فقال لي أحد المريدين إن بطن الشيخ بها وجع فعلمت سريان حاله إليَّ وتأتي روحي به.

وكنت إذا مرضت وشفيت وذهبت لزيارته قال لي: لقد كنت مريضاً منذ أيام. فأعلم اجتماع روحينا على حال واحد.

وكنت إذا فكرت في أمر كاشفني به فوراً كما يخطر لي.

ومن أعجب ما وقع لي معه أنني لما كان يملكني حال محبته ويفيض مني هذا الحال فلا أطيقه ويشغفني الشوق حتى أكاد أحترق وأفنى كنت أراه يفعل كل ما أفعله. فإذا ضحكت ضحك، وإذا صليت صلى، وإذا مشيت مشى، وإذا قرأت قرأ، وإذا نمت نام.

وهذا لعمري لم أرَ من تحقق به ذوقًا من أهل المحبة سوانا وما علمناه وقع لأحد فيما بلغنا.

وكنت أرى شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنه في صور أشخاص أعرفهم. يبدو في صورهم منامًا. وكنت أراه في صورتي وأرى نفسي في صورته.

كل هذا فيما علمناه ما وقع لأحد ذوقًا إلا من عظم قدمه ورسخ في هذا الفن.

وصل عشقي ـ أما الرموز التي تقع بين العاشق والمعشوق يقظةً ومنامًا فعلم جليل يرتقي فيه كل من علا ذوقه في هذا المقام.

إذْ لا يعلو الرمز إشارة أو عبادة ونهاية المحبة مقام الرمز. الذي قال فيه القوم: (الحر تكفيه الإشارة). ورمز المحب للمحبوب يغني عن ألف كلمة وإشارة. ولما كان القوم هم ملوك هذا الفن وسلاطين هذا الذوق فقد استنبطوا هذا الباب في فن المحبة الراقي. الذي قل من يتحقق به وكثر من يجعله. وغيرهم أفنى حياته في العبادة والإشارة. وكان من أقطاب هذا المقام

يحيي بن زكريا والصديقة مريم عليهما السلام.

فأما يحيى فقد قال: ﴿رب اجعل لي آية﴾. أي عَيِّنِّي في هذا المقام. فقيل له من حضرة الكلام القدسي: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾.

وأما الصديقة فقيل لها: ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾.

أما الفاني والمُفْنَى فيه فقد رفعت من بينهما شروط الأدب. وانعدم التكلف من بينهما فهما في عالم عجيب امحقت فيه الماديات. ولا رؤية إلا للعوالم الرقيقة الشفافة. فقد أزيلت ستائر الحس ولزما عوالم الشفوف. وإلا فسدت معنويات العشق والجذب القوي.

ومن أسرار هذا العالم. قيام الجذب الجامع لكلا العاشق والمعشوق قهرًا صرفًا.

وصل حب عذري ـ فقد صحت المحبة وفني الروح في الروح فكل الوجود هو المحبوب في رؤية المحب.

ومن هنا عظم الجذب بين أرواح أهل العشق.

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين الخلائق

هناك تفنى الأرواح وعوالم الحس والمعنى ولا يبقى سوى نقطة العشق القديمة الأزلية التي عينها الحق تعالى ووجهتها سدرة المنتهى ولا منتهى لعاشق بل هو قائم في عشق سرمدي.

ألا تراهم في الجنة أحياء برؤية الحق تعالى فلو حجبوا عنه لحظة لدك كيانهم وصعق وجدانهم.

فلا جنة هناك ولا نار. بل هم ملوك نصبت لهم كراسي المناجاة على عالم الكثيب الرملي خارج الجنة. في مناجاة سرمدية وانفراد بالمحبوب أبد الآبدين.

فما مناهم سوى هذا الوصف ولعمري تعس من طلب غير هذا الوصف. وسرى هذا السريان فيهم أزلًا وأبدًا.

وما هذه الأسرار إلا سريان هذا الحال في أهل الحب المحدث. كقيس وليلى. ومي وذي الرمة. فترى الجذب الجامع يقوم في جمع الاثنين في قبر واحد. ويبعثان سواء بسواء في المحشر. لشدة الجذب المتعلق بالأرواح دنيا وآخرة.

ومن هذا المعنى انجماع أهل الخلة في قبر واحد واتحادهما دنيا وآخرة وهو مقام «رجلان تحابا في الله». وهذا مثاله كمثال دفن الصديق أبي بكر قُدِسَ سره مع النبي ﷺ. في قبر واحد. وهذا لمقام الخلة المنجمع بينهما. والذي جمعهما حياة وأخرى.

وما علمنا لأهل الخلة سوى الجنة سواء أهل الحب المحدث أم القديم بشرط الإسلام ولا يقع هذا لكافر.

أما عالم الفناء العشقي فهو عالم السعادة السرمدية هنيئًا لمن تذوقه واندرج فيه وتعسًا لمن جهله. أما الصفاء المنبعث من هذا العالم فلا يقدره قدر إلا الحق جل شأنه.

ولولا نسيم هذا الصفاء الترويحي المروّح عن الأرواح لهلكت الأرواح من قوة الجذب المنبعثة عن هذا العالم القهري.

وذلك لكون الأرواح انجذبت بغير قصد سبق ومن ثم تحققت بحقيقة الجذب الذي وفقها في هذا الباب البديع.

وذلك لكون هذا العالم لا وقت له في الموافقات التي إذا جاءت قهرت العاشق والمعشوق فجمعتهما قهرًا ووحدت الأرواح رغمًا.

وهذا مقام آيته قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قهرًا وفي أي وقت شاء. ألا تراه عليه السلام قال: «لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة».

فجمعهم الحق تعالى رغمًا وفي أي وقت شاء لكونهم جنوده في المحبة ورسله في جذب الأعيان إليه فهم لا يضرهم من خالفهم.

ومن عجائب مقام الجذب الفاني فيه العاشق والمعشوق. اجتماعهما في صورة عين واحدة أمام مرآة الوجود فلا يفكر العاشق في نفسه بقدر ما يفكر في المعشوق طوال عمره.

وكذا المعشوق يفني العمر وهو يلاحظ العاشق بعينه. فيفنى كلاهما العمر في غير أنفسهما وهذا استهلاك النفس لأجل غيرها. وفرارًا من ذاتها للذات المعشوقة. وهو لعمري عجيب قل من يتذوق طعمه إلا أمراء الجمال والمحبة والدلال. وبعد عن أهل الجلال والقهر. فيمن ظهر بهذا المظهر.

كتاب
قانون اللذة
المسمى
انغماس الأَحبة في بحار اللذة

الحمد لله الذي أنشأ الألم واللذة. وأبدع علم الذوق والرقة. فهو في مجده قائم على عرش الاقتدار. صاحب المكانة الكلية والابتكار.

وصلى الله على محمد ختم الوجود وشيخه. وإمامه وقدسه. وهيكله وروحه وعروسه.

وعلى آله وصحبه أئمة الوجود. وأشياخ الهدى والرشاد.

وبعد

فهذه تحفةٌ لطيفةٌ. ونبذة بديعةٌ ظريفةٌ. في فن اللذة. وهو علم قد ذهب بمعرفته أشياخ أهل الذوق والرقة. من أهل المعرفة والعفة.

ولا ينال هذا العلم إلا أهل الذوق الصافي من شوائب شرك النفوس. ولا نعلم أحداً سبقنا الى نسج فكرة كهيئتها في وضع معانيها. وإقامة مبانيها. وتشييد مراسيها. لكونها من العلم البكر. الذي ختامه مسك. من عين تسنيم. التي يشرب بها المقربون وتمزج للأبرار.

وكان مقامنا على مقام الشيخ الأكبر ابن عربي الطائي الحاتمي قدس الحق تعالى سره.

وقدمنا هي قدمه. وعيننا هي عينه. واسمنا على اسمه. ولقبنا فيه أول

حرف من لقبه. وهذا مقام متحقق لنا أزلاً وأبداً.

وسنبدي فنوناً في علم اللذة لم تُبْدَ من قبل. هي فريدة من نوعها.

وقد أسمينا هذا الكتاب

قانون اللذة

المسمى

انغماس الأحبة في بحار اللذة

والله الموفق

«بدء القانون»

اعلم أيها الفتى المتفنن. والذائق المتقنن. أنَّ أصلَ العوالم سريان اللذة فيها مخالفةً للألم. وقد أظهر الحق تعالى هذه الأضداد للإثبات الخلقي. فاقتدر الألم واللذة في علمه كمثل البسط والقبض في مقامات العارفين.

ففنون الاقتدار اقتضت اللذة في النعيم والألم وهو قانون عجيب. وهذا أصلٌ يا ولي الحق من أصول الجزاء. وهو أصل الجنة والنار.

ولولا اللذة لفسدت صفة الجنة ولولا الألم لفسدت صفة النار الكبرى جهنم.

فاقتضت القاعدة العلمية عندنا أصول اللذة والألم. وهي أم القواعد الجزائية. وهذا سره معلوم عند أهل الذوق. واقتضت المكانة الإثباتية حتى تثبت مكانة الإله إقامة العدل في الأكوان. وبدون هذا العدل تضيع حقوقها.

فَأُقيمتْ قاعدةُ العدل بقانون الألم واللذة في الأكوان.

وهذا مذهب الوجود في الأعيان الكونية.

قيل: وكيف يكون هذا هو مذهب الوجود؟

قلنا: لكون معاني العدل ساقطةً بلا قاعدة الألم واللذة. ولا تناسب بين العدل إلا بها.

إذْ أنَّ الوجود المحض أنْ كان الإله ولا شيءَ معه. فاقتضى الوجودُ التوازنَ وعدمَ إيضاح المعاني لعدمِ صدورِها. إلا في الأعيان. لكون الحق تعالى لا يتألم ولا يتلذذ. لكون هذه المعاني لا تناسب الحق تعالى في المكانة الحقية المستحقة له. فأثبتها الحق تعالى في الأعيان ليبدو بها وليس هو فيها أو منها في شيء.

فاقْتُضِيَ جزاءُ الجنةِ للطائعِ أنْ يتلذذَ واقْتُضِيَ جزاءُ النارِ للعاصي أنْ يتألم.

فتيقنت الأعيانُ هذه المعاني وتلبستْ بها.

وكان الحسُّ هو أصل هذه المعاني كلها. إذْ لولا الحِسُّ لجَهِلَ الآدميُّ اللذةَ والألم. فإن قيل: فما حقيقة الحس وكنهه الذي هو به قائم؟

أجبنا: هو استجابةُ الأعيانِ لفطرتها وتفاعلها مع ميولِ الفطرةِ فالعاصي بفطرته العاصية يتحسّس مبادىءَ المعصية ومعانيها فيشرب في قلبه هذه المعاني. كما أشربت بنو إسرائيل حبَّ العجل.

وكذا الطائعُ نجده في علمنا وكشفنا متفاعلاً مع فطرته الطائعة فيتحسس معاني الطاعة فيخرج بمعانيها ويتذوقها. وينقسم الحسُّ عندنا إلى ثلاثة أنواع: النوعُ الأول حس معنوي والنوعُ الثاني حس مادي والنوعُ الثالث حس مزيف. فإذا استجابت الأعيان وتصدرت في الحس قلنا لكلٍ وجهةٌ هو موليها. ولسان الأكوان ناطق يقول: ﴿فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير﴾.

وهذا أحدية الحِس جلبَ الألمَ واللذةَ وحدث عين التعدد من الوحدة فيتحسس الطائعُ في الدنيا المجاهدةَ والألمَ والصبرَ حتى يصلَ إلى الله. أما العاصي فهو متنعمٌ في هذه الدار ومتحسسٌ لذلك. فإذا ورد العاصي والطائع

الآخرة انقلب الحس المزيف فتنعمَ من كان متألماً وهو الطائعُ. وتعذبَ من كانَ متنعماً وهو العاصي. فهذه صفةُ الحِسِ المزيفِ يا ولي الله وهذا قانون انقلابه العجيب.

وهذا يعلمه أَهلُ المجاهدةِ من العارفين والمحاسبة والخوف كالحارث ومن هم على قدمه. فإذا تيقنَ الوليُ العارفُ صفةَ الحسِ المزيف في هذه الدار قبل أن يرحل عَلِمَ أَنَّ أصلَ اللذةِ الآخرةُ فعذبَ نفسه وأَرهقها من الآلام حتى يكملَ له قانونُ اللذة في الدار الآخرة. أما المحجوبُ فقد أَضاعَ عمره هباءً منثوراً لكونه ظنَّ أَنَّ أصلَ النعيمِ هو هذه الدارُ لا غير. فأخذ حقه كاملاً ووفاه الحق حسابه. لقوله تعالى: ﴿قل كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء وما كان عطاء ربك محظوراً﴾.

فعلمنا أَنَّ قاعدةَ اللذةِ شتتتْ وفرقتْ وأوردتِ القومَ المواردَ لكونهم اختلفوا في تذوقِ حسهمْ. أما المشايخُ فاختلفوا في شأنِ حسِ الكافر:

« فمنهم » فريقٌ قال: إنه يحسُ الحسَ الكاملَ وجحودُه حجبه. « ومنهم » فريقٌ قال: إنه يحسُ الحسَّ المزيفَ والحسَّ الماديَّ ولا يحسُّ الحسَّ المعنوي.

والمذهبُ الثاني هو حكمنا ومذهبنا في حسه.

إذْ أَنَّ أَهلَ الذوقِ رضي الله عنهم قائلون بسقوط الحس المعنوي كليةً عن الكافر الجحود جملة لكونه لو كان له حسٌّ معنويٌّ لما وردَ جهنم النار الكبرى نار الأنيار.

إذْ مادةُ الحس المعنوي لها تعلقٌ بالجنة وقانونها. وهو الحس القدسي المطلق المتعلق بأهل الإيمان دون غيرهم. وهم في هذا الحس على مقامات آيتها: ﴿قل لو كان البحر﴾.

قيل: فكيف خلعت الحس المعنوي عن الكافر جملةً؟

قلنا: لتعلق أهل الإيمان بالحس القدسي الكلي فلا ينال الكافر قدر جناح

بعوضة من كلية هذا الحس.

فالحس المعنوي عالمٌ شريفٌ وهميٌّ له تعلقٌ بعوالم النعيم. فلا تناسب بينه وبين الكافر. أو مادة الكفر جملةً.

قيل: كيف تثبتون هذه القاعدة في علمكم؟

قلنا: بقوله تعالى: ﴿إنْ هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾. وهذا دليل في برهان المبادىء قوي. إذ لو كان لهؤلاء قدر جناح بعوضة من الحس المعنوي لما هبطوا لدرجة أدنى من درجة الأنعام.

قيل: فهلْ للأنعامِ حسٌ؟ قلنا: نعم ودليلُ ذلك قوله (ﷺ): «إنَّ لكم في كل ذات كبد رطبة صدقة». وكقوله عليه السلام: «دخلت امرأة النار في هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». فاقتضى الحديث كون البهائم لها حس مادي.

أما مذاقاتنا الخاصة فترى الحسَ الماديَ للبهيم بلا رجم يهبط عن الحس المعنوي للآدمي الذي هو على أقل قدرًا من الحس المعنوي ولو كمثقال ذرة منه. إذ أن الذرة من الحس المعنوي تعدل أطنانًا من الحس المادي والحس المزيف. ويعلو على الحس المزيف للكافر. فانحط الكافر بزيفه عن الكل. قيل: فما حقيقة كنه حس البهيم؟. قلنا: هو حِسٌّ ماديٌّ بحت غير معنوي وغير مزيف طابعه لا يركب إلا في البهيم دون الآدمي. قيل: فما حقيقة الحس المعنوي؟

قلنا: وجدنا في ذوقنا الحسَ المعنوي في كيفيته قائماً في كونه منعدماً من أنعام البهائم وأنعام الإنس. ولا يتذوق كقدر مثقال ذرة من هذا الحس المعنوي إلا أهل الذوق. ويتنوع ويزداد هذا الذوق عند أهل الكمال على حسب درجات الحس الغيبي عندهم ودرجاتهم في الشفوف. وصفة الحس المعنوي في كونه تبرأ من ذرائع المادة وتعلق بالوهم الذي تحسه البصيرة.

وهذا كنداء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسارية وهو على المنبر.

فسمعه. فهذا مثل الحس المعنوي عندنا. وهو إحساس عمر بما يجري لسارية وجيشه من أمور.

ولا صفة للمادة في الحس المعنوي لكون الحس المعنوي مختصاً بالبصائر اللطيفة الشفافة.

واعلم أيدك الحق أنَّ كل معصية وإنْ نتج عنها لذة فهي ليست بلذة في عرف أهل الصفاء.

لكون اللذة غير مشوبة بمعصية. ولا تتفق مع مادة المعصية في شيء.

إذ اللذة ما نتجت عن طاعة خالصة. كالعسل المصفى في أنهار الجنة.

ولما كانت صفة هذا العسل الصفاء دل على خلوص اللذة. فدل على نقاء الطاعات من شوائب المخالفات.

وتحققنا على كون المحقق لذته بعمله بصفاء الضمائر ونقائها من دسائس النقص قطب تحقق في لذته.

والقطب المتحقق بلذته علم فنون التحقق من هذه اللذة وأدركها مقاماً مقاماً ودرجة درجة. حتى بلغ الذروة في هذا العلم. ففاق الأقران. وهذا كتحقق نبينا عليه السلام في فن النكاح. فحبب إليه النكاح لما تحقق فيه فتربع على رتبة هذا المقام في التحقق بل هو قطبه المطلق. والتحقق في درجات الحلال من أعظم القربات عند الحق تعالى. فالمجامع لزوجته يأخذ أجراً على هذا الفعل. وهو أجر قيامه في الحلال وتجنبه للحرام. ولا يقتضي بلوغ المجامع للذوق في الجماع وإن قام في الحلال إلى ما شاء الله. لكون مقامات اللذة مراتب هي فوق طور العقل فافهم. ولا ذوق للعقل في هذا الميدان فافهم. بل السلطان الأعظم للروح. فالروح أبو المذاقات طبعاً وتطبعاً لقوة شفافيته وأنواره.

قيل: فهل يتلذذ الروح عند المؤمن؟. قلنا: ليس في كل أحواله متلذذاً.

لكونه لا يلتذ إلا في مقامات الحلال ومقامات التحريم ينفي عنه فيها التلذذ جملة فإن التلذذ يكون فيها للنفس الأمارة. فإن المؤمن عنده بلا رجم الروح إذ صفت ورقت صارت هي والنفس كشيء واحد. وإذا انحطت النفس خالفتها الروح وقاطعتها لكون الروح عند المؤمن له سلطان باق في التحقق وإن جمد فباطنه سيال شفاف.

أما حدود الروح في اللذة فله السلطان الأكبر في هذا الشأن. لكون الملكوت كله عالم التلذذ الروحي. فالروح اللطيف جوال في الأكوان لكونه غير مقيد بمادة الأعيان التي قيدته في الأشباح.

وقيل في التوراة: ما وسعتني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن. فهذا الوسع هو الوسع الروحي في عالم التجول الكوني وكونه غير مقيد بالأعيان منطلقاً في عالم المعاني. لذا قيل: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

فكان انطلاق الروح هو رجوعه إلى الرب ودخوله في أرواح المتيقن. لكونه تحرر من جمود الطينة. التي هي جالسة لتجوله في المملكة الإلهية.

واللذة عند أهل الحق تعالى على مراتب بعدد درجات أهل الجنة. وتتباين هذه الرتب على أذواقها على حسب أذواقهم هم.

وإذا دخل العارف المحقق إلى عالم اللذة تاه في صفة هذا العالم لكونه لا دراية بما ينتهي إليه هذا العالم.

والمتحقق في هذا العالم يأخذ قدره فقط إنه لا اطلاع له على كلية هذا العالم كما يظن بعض الواصلين أنه اطلع على مجاميع هذا العالم.

فإن قيل: فما غاية اللذة هل هي رؤية المحبوب؟

قلنا: نعم فرؤية المحبوب هي الغاية السامية في اللذة التي ليست بعدها لذة.

إذْ أنَّ غاية اللذة معناها غاية الوصول. وغاية الوصول رؤية الحق تعالى.

وبدون هذه اللذة فالمتلذذ ضائع سادر في بحار الحقائق المضلة.

لذا فانَّ رؤية الحق تعالى هي أم الحقائق في علوم اللذة.

فإن قيل: فما هي أعظم الأعضاء المتحققة في علوم اللذة؟.

قلنا: هي العين. فإن تطورت صارت بصيرة. وفي نهاية المقام لا تطور فالعين واحد. فإن قيل: كيف ذاك؟

قلنا: لكون البصيرة هي محل رؤية الحق في الآخرة. والإدراك إنما يكون بالبصيرة. وما البصيرة إلا البصر المجرد لا غير فخسأ بصر مجرد يرى الحق تعالى بدون بصيرة. وقد تحققنا في علمنا أن من أهل الآخرة من يرى الحق تعالى بكل ذرة في جسمه.

فتنكشف لذرات الهيكل هيئة تجلي الحق تعالى.

وكلٌّ على قدره في هذا التجلي. فمنهم من يرى الحق تعالى ببصيرته وهي محل العين.

ومنهم من يراه بوجهه وعينه.

ومنهم من يراه بوجهه ويده وعينه.

ومنهم من يراه بوجهه ويده وبطنه وعينه.

ومنهم من يراه بمجموعه بكل ذرة من جسده.

وكل على قدر بصيرته في هذه الدار ومقامه.

وهذا كمن يسمع بعينه ويرى بأذنه. أو يرى ويسمع بكله.

والمقام التلذذي اقتضى أن القطب المتحقق بلذته يسمع ويرى ويتكلم بكل جوارحه وذرات جسده.

وهذه قاعدة من علوم الفرد الجامع. ودليل هذا العلم قوله عليه السلام:

«اعتدلوا فإني أراكم من خلفي». إذْ أنَّ مقامه تحقق الرؤية بغير العين فعرَّفهم أنه مراقب من دخل في الصلاة بغير جارحة الإبصار. فكان هذا مقام الغوث.

وأعضاء اللذة في هذه الدار قاصرة على الحدود لكن في الآخرة تتساوى الأعضاء وتتكافأ في التلذذ فلا تطغى جارحة على أخرى في مقدار التلذذ. بل الأعضاء سواسية في تلذذها. وهذا مقامٌ عجيب لا يتكلم فيه إلا كبار أهل الذوق الرفيع.

واللذة العالية تقتضي الصفاء الرفيع في الأعضاء حتى تتحقق بهذا الأعضاء. إذ الجمود قاتل لعنصر اللذة. والتحقق في مقامات الوصول هو التحقق بمقامات النعيم التي نفوذها سارٍ إلى اللذة.

والتلذذ الانقلابي هو امتزاج الألم باللذة. أو كون اللذة هي الألم الصافي.

فهذه رؤية العارف للتلذذ الانقلابي. وليس هذا مذهب الكل. فمذهبنا رؤية اللذة على أنها لذة صافية محضة. لا يشوبها ألم.

ولما تفاعلت عناصر الوجود خُلِقت اللذة وتحققت للأعيان.

إذْ بدون هذا التفاعل لا تتخلق اللذة. وهذا كمثل اللذة الناتجة عن لذة الفرج لا تنتج إلا عن احتكاك الفرجين ببعضها فتتولد لذة الجماع. فتفاعل عناصر الأعيان وَلّدَ اللذة. وهذا مذهب الحق تعالى في الأعيان لا تبدو اللذة فيها إلا عن احتكاكها وتفاعلها معاً.

والتفاعل والسعي هو عين اللذة لكون اللذة قُرِنتْ بالكبد وهو المشقة أي العنت.

فلولا التعب لما تولدت إلى الوجود لذة قط.

وقد قيل في هذا على لسان الحق تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾. أي في تعب أي في لذة.

فكان حصوله على لذته يقتضي تعبه ومشقته. وإلا لن يذوق طعم لذة قط.

فقاعدة التفاعل تقتضي المشقة حتى تتولد اللذة.

فكان التعب هو عين اللذة. فافهم. أما اللذة الأخروية فهي ليست دار مشقة. فنزعت من لذتها التعب. فهي لذة خالصة مستخلصة فافهم. لا تستخلص بتعب.

والعارف المتلذذ يرى التعب في هذه الدار على أنه عين الصفاء ويتلذذ بهذا المقام.

وهذا التعب تراه النفس العارفة الراضية على أنه صفاء محض خالص.

وكلما صفت النفس اشتاقت لهذا التعب وحنت له وتمنت العودة إليه حتى تكمل. فتنسى التعب. هناك مقام اللاتعب. مقام اللذة المحض الذي لا وصف له. ولا ذوق إلا لأرباب هذا المقام. والله يتولى هداك.

كتاب
شطحات أبي يزيد البسطامي
المسمى
جواهر التوحيد
في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد

المقدمة

دع أبا يزيد يا فتى ها هنا يتكلم عن نفسه. ويترجم عن حاله وقدسه. ويعرج في سماء التجليات. ويطير بصفائه إلى عوالم المسامرات. فيصبح نجمًا لامعًا. وكوكبًا بارعًا. قد رفع تكليف الشرع عنه. ومحيت رسوم الشريعة والحقيقة وذابت فيه. أين أبو يزيد لقد فني وما بقي. نفسه يطلبها مع الطالبين ولا يجدها. صار ينعي أطلال ذاته. عندما وقف غوثًا يستغاث به وقطبًا يشطح ولا يحاسب. فكل ما يقوله مقبول. قد أفناه التوحيد. وأذابه الشهود. وغربه عن أوطانه التفريد. قد شرب البحار المحيطات وما روى. ودك الجبال الشامخات وما هوى.

هو عربيد الحضرة دعه يشطح. بل يفلح. ويفرح ويملح. ويصدح والصدور يشرح.

وقد رأيت شيخنا ابن عربي الطائي الحاتمي به معجبًا وبأحواله مغرمًا. وبشطحاته ملمًا. طالما يتحدث عنه ويصبو إليه.

أبو يزيد. من هو أبو يزيد. ينكر نفسه وصدقه. ويدعي خلاف هذا. فكل صادق فهو أبو يزيد أي على قدمه. وعهده. أبو يزيد يقول الكلمة

فترفعه عند العرش. فلا يرى معه أحدًا في ذاك المقام. قد دخل على مولانا بالذل والافتقار. والتشريد والاحتقار. فهنيئًا لك أبا يزيد على هذه الخصال. هذه حقيقة أبي يزيد الشيخ الكامل. والإمام البرزخ الشامل.

كم أنا أحبك وأحب كل من يحبك. لأنك فتى ملامتي. وفرد صمداني. وهيكل ناسوتي. وعرش لاهوتي. قد ضاع مسكين أنت يا أبا يزيد تشطح لتخفي حقيقة رِوعتك. وذخائر كنوز مقاماتك. تدَّعي الخرس والجنون حينًا والشطح حينًا. فأنت غوث الأحوال. وقطب مقامات الرجال. فتعال معي لنشطح لهم وأنا أشرح لهم فأقول: الحمدلله رب العالمين المنعم على قلوب العارفين بإشراقات التوحيد. المتحنن عليهم بمحبته الدائمة فهم في شوق إليه مزيد.

وصلى الله على محمد. فتى الوجود وغوثه. وهيكله وقدسه وطلسمه الأعظم. وعلى آله وصحبه الغر المحجلين من آثار الوضوء. وبعد.

فقد صرح لنا الحق تعالى بجمع شطحات إمام الموحدين وسلطان العاشقين. أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وشرحها.

وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان.

قال السلمي في «الطبقات»: وكان سروشان مجوسيًا فأسلم ولطيفور أخوان هما آدم وعلي والثلاثة كانوا زهادًا وعبادًا وأصحاب أحوال وهو من أهل بسطام بلد على الطريق إلى نيسابور ومات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال الذهبي في «دول الإسلام»: وفي سنة إحدى وستين ومائتين مات العارف الكبير أبو يزيد البسطامي اهـ.

وكان أبو يزيد من أئمة القوم وسلاطين المحبين. ومن كبار الوارثين علمًا وحالًا. حتى قال الجنيد: أبو يزيد منا بمنزلة جبريل من الملائكة.

لذا فإنني صنفت كتابي هذا في شرح شطحاته وسميته:
(جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد)
والله الموفق

الشطحة الأولى

قول أبي يزيد رضي الله عنه: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب. أوردها السلمي في «الطبقات». قدس الله روحه العزيز

قلت: وهذا مقام القطب المتأدب الذي ترى قدمه على رقبة كل ولي في وقته. فكان من أدب الحضرة أنّ هذه القدم لا مكان لها في المد في مقام الذات الإلهية. لكون الأقدام ضائعة في جناب الذات الإلهية وذاك قوله في مقام البقاء: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾. وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾. فلا قدم بجوار قدم الحق تعالى. فهنالك الأقدام ضائعة. فإشارته إلى المحراب أراد بها الحضرة الإلهية. التي يستقبلها الفرد الجامع بصدر أسراره.

وإشارته إلى أنه مد رجله أراد بها مقامه في الديوان. والهاتف أشار به إلى المقولة الإلهية التي سمعها من الحضرة.

والملوك إشارته إلى مقام الفردانية الإلهية وهو مقام الحق تعالى. فهذا مقصود أبي يزيد. يا ولي الله فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية

قول أبي يزيد رضي الله عنه: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار. روى هذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» بسنده عنه في ترجمته.

قلت: وهذا المقام مقام تجريد المحبة عن العوائق والعوالق. فلا غرض هناك ولا علة. وهذا مقامهم رضي الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة.

واستغاثتهم في الجنة غير واقعة لكونه تعالى لا يخلف لميعاد. بل هو محقق لهم ما يشاؤون وما يشتهون. ولكن لما غمض القصد شبه بالضد.

وكان السري من رجال هذا المقام. وهو القائل: ذلني وعذبني بما شئت إلا ذل الحجاب.

وهذا الفرد الجامع قائم في كل عصر في مقام المراقبة والمصاحبة المستمرة على الصورة المحمدية وهي غاية المرام في الدنيا. أما غايتهم في الآخرة فالرؤية المستمرة السرمدية للحق تعالى بلا انقطاع. وإلا أضحت الجنة عليهم جحيمًا لا يطاق. وما فائدة الجنة بلا هذا التجلي.

وقد كنت أرى الزاوية التجانية بالمغربلين جحيمًا إذا دخلتها ولم أرَ فيها شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه.

وهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الثالثة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا.

روى هذا أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» عنه في ترجمته.

قلت: لما غاب عنه غاب في الذكر لا فيه. فلما خنس عن هذه الغيبة وجد أنه كان في لهو إذْ ليس المقصود ذكره بل المقصود هو هو هو. فلما علم هذا المقام تحققًا تاه فيه فوجده في كل حال فناء وبقاء. حتى كأنه هو.

وهذا كمن رأى الصلاة حجابًا. إذْ ليس المقصود مظهر الصلاة وإلا كانت حجابًا للعبد عن الوصول إلى باطن الذوق. وهذا كمن قام بحركات

رياضية كالتي في الصلاة فما الفرق؟ إلا في كون المصلى متحققًا في باطن الحركة.

فهناك هناك تجعل قرة عينه في الصلاة كما كانت قرة عين أبي القاسم (ﷺ). أي ولي الله فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الرابعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت فتركتها ومضيت إلى الله.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده في ترجمته.

قلت: وكيف خلعها منه وألقاها على مقلب الزبالة؟.

كيف يمضي العارف إلى الحضرة؟ ونفسه فيه لم تزل بعد؟ وهذا خلع الروح عن النفس يا ولي الله. إذْ لو بقيت الروح على حدة في هذا الهيكل لصفا وصح له اللقا وطاب له الوصول.

وهذا أصعب شيء في بحر المجاهدات. وبه تنتهي سلوك المجاهدات ويطيب لهم الوصول. وهو توفيقي لا بإراداتهم ولا تكلف منهم بل بمحض الفيض والمنن الإلهية. فهذ مقصود أبي يزيد فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول. أورد هذا الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب الخامس والأربعين من «الفتوحات» عن أبي يزيد.

قلت: لما كان مقامُ العارفِ الإشرافَ على ما يقول. إذ لا ينطق كذبًا ولا يتحدث هزوًا فإن مقامه الإشراف المتصل. فهو فوق الخلق في كلامه. إذْ هو على قدم نبيه: لا ينطق عن الهوى.

أما صفة العالم المحجوب فهو دومًا تحت ما يقول لكونه مخبئًا عن العالم الأقدس. كلام بلا معنى وخبر بلا ذوق.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة السادسة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: أنا الله. وقوله كذلك: سبحاني.

أورد هذا محيي الدين بن عربي في الباب الخمسين من «الفتوحات المكية» عن أبي يزيد.

قلت: وهذا القول من أبي يزيد رضي الله تعالى عنه حق. صدر من حق وإلى حق. إذْ ما قصد أبو يزيد من قوله هذا أنه يُعْبَد. أو أنه إله، حقًا إذْ مقام التشبه بالمحبوب والفناء فيه من طبعهم مع حفظ الرتبة. فرتبة العبد على حدة بينة. ورتبة الإله على حدة واضحة بينة.

وهذا مقام رجال الحيرة والعجز.

وهذا مقام الفناء من أشرف مقامات العارف الواصل السائر وإن كان ظاهره الكفر الصراح.

والنطق الصادر في هذا المقام لا يصدر تكلفًا من العارف بل يصدر قهرًا في مقام الفناء فهو معذور.

أي يا ولي الله فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد؟ قال عبد الفتاح القاضي رضي الله عنه وكان غوث عصره: كان أبو يزيد في جلسة مع ربه ينزهه سبحانه فسمع النداء من ربه بلا كيف أفيَّ عيب حتى تنزهني؟

فأحجم على الفور وأخذ فقال: «سبحاني سبحاني» يعني أنا المعيب وحاشاك أن يكون فيك عيب.

الشطحة السابعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: المعرفة في ذات الله جهل والعلم في حقيقة المعرفة جناية والإشارة من المشير شرك في الإشارة.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: إذْ لا بحث في ذات الحق تعالى بمعرفة خارجة عن هذا النطاق. لكون الآدمي غير محيط بسر نفسه فكيف يحيط بسر الخالق الذاتي. وإن تيقن العارف سر نفسه فما أعظم تدخله بمعرفة منه توجب البحث في الذات. وهذا العلم يسمى المجهول عند الكبار من المتصوفين أو يسمونه الذات المحض أو العلم البكر لكونه لا يحزن لمخلوق قط.

أما البحث في حقيقة المعرفة فأعظم جناية. وحقيقة المعرفة هي التوحيد الأعظم وأسراره العليا. والبحث في كشف هذا العلم جناية على المنقب وراء هذا العلم. لكون نهايته القتل والإشارة في غير عالم الإشارة حماقة.

لكون المشير أشار على من لا جهة له. وهي الذات والوجود الإلهي تعالى شأنه. وهذا يتذوقه ملوك التوحيد الراسخون في العلم.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثامنة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: وقد سئل ما علامة العارف؟ فقال: ﴿إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ الآية. وقال: عجبت لمن عرف الله كيف يعبده. وقيل له: إنك من الأبدال السبعة الذي هم أوتاد الأرض فقال: أنا كل السبعة.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عنه في ترجمته.

قلت: لما سألوه عن علامة العارف قصدوا أن يبيّن لهم علامة كمالية فيه.

فبين لهم العيب وقال لهم: علامته أن لا تفسده أحواله. أي الكامل من يملك الأحوال ولا تملكه أحواله.

فأطلق أبو يزيد لفظ الملوك على الأحوال ولفظ القرية على القلب. أي أن الأحوال إذا دخلت قلب العارف أفسدته.

وقوله: عجبت لمن عرف الله كيف يعبده. أي كيف يعبده وهو عاصٍ. وهو في الذنوب غرقان. وقوله: أنا كل السبعة أشار إلى أنه قطب وقته. ومالك أولياء زمنه. وفي قبضته الكل. فهو الكل.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة التاسعة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله.

ورد هذا في «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني».

قلت: قال شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه في «جواهر المعاني»: ويكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي (ﷺ) لغيبته عن ذاته في ذات النبي عليه الصلاة والسلام فيتدلى له (ﷺ) ببعض أسراره فإذا كسبت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي (ﷺ). ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه (ﷺ) من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره (ﷺ) فيتكلم بلسان النبي (ﷺ) نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه (ﷺ) فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك بعلمه بمرتبته وسوق هذا المساق في كل ما كان من الشيوخ مما يقتضي أن لهم شفوفًا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقي رضي الله عنه:

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى بحورًا وطوفانًا على كف قدرتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه وما أنزل الكبش إلا بفتوتي

أنا كنت مع أيوب في زمن البلا   وما شفيت بلواه إلا بدعوتي

وأكثر من هذا رضي الله عنه فكل ذلك لفنائه في ذات النبي (ﷺ) مترجمًا عن مقامه (ﷺ) وهذا يغني في الجواب ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام والسلام وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات النبي (ﷺ) ليس هو لكل العارفين ولا في كل وقت من أوقات من يقع له بل هو خاص ببعض الأوقات ببعض العارفين فقط والسلام. والبحر الذي خاضه رسول الله (ﷺ) ووقفت الأنبياء بساحله هي بحار الحقائق التي تجلّى الله بها عليه دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين فمن دونهم إلى هَلُمَّ جَرا».

فإن تلك الحقائق لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين ولو بأقل قليل منها لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات وهي التجليات التي اختصهم الله بها من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء فتلك الحقائق هي التي لهم بالنسبة إلى حقائقه (ﷺ) المنكشفة له خصوصًا كالساحل للبحر فإنهم تكلموا بلسانه (ﷺ) لغيبتهم فيه وفنائهم فيه والسلام. انتهى

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة العاشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: وقد سئل عن صفة العارف؟ فقال: صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا.

ورد هذا في «الطبقات الكبرى» للشعراني. في ترجمة أبي يزيد.

قلت: ومقصود أبي يزيد رضي الله عنه هنا أنه قلب الضد. وهذه صفة العارف المكابد لأحواله الذي يتقلب على الجمر والأنيار. فلا هو في الجنة ولا

هو في النار. تراه يائسًا من الوصول إلى بر الثبوت والتمكين وفي هذا المعنى قلنا:

فعيش الخل أنيار تقلبه   على كثب على المقلاة كالعدم

ولا تزال هذه صفة العارف حتى يصل إلى مقام التمكين بعد التلوين. فيصبح هنالك رجلًا من الرجال. وقطبًا من أهل الكمال.

هناك تتلقاه ليلى من بعد سفر طويل وعناء جسيم تقول له: مرحبًا بالحبيب المعذب والخل المهجور أدن ادن إلى الكمال. هناك يرخى عليهما ستار الوصال.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة الحادية عشرة

كتب يحي بن معاذ إلى أبي يزيد: إنني سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد رضي الله عنه: غيرك شرب من بحور السموات والأرض وما رُوي بعد ولسانه خارج يقول: هل من مزيد ؟

ورد هذا في « حيلة الأولياء » لأبي نعيم وفي « الطبقات » للشعراني.

قلت: وهذا صفة ملوك المحبة وأمراء العشق. لا يرويهم شيء في الوصال. بل قائلون على الدوام: هل من مزيد ؟.

وهذا أيضًا من صفة القطب الجامع الذي أفنته المحبة وإنما ملك ما ملك بحبه لمولاه تعالى. فهو عبدٌ قائم يجول ببصره في الملكوت بحبه لمولاه تعالى.

وإنما كانوا ملوكًا وسلاطين بالمحبة.

وطالب المزيد في المحبة هذا لا يحجزه شيء في ارتوائه من حب مولاه. بل كل المحبين بالنسبة له كنسبة الشمعة إلى الشمس. فهو قد يبلغ كل محبتهم في جوفه ولا يرويه شيء قط.

ألا ترى أن أبا يزيد قال عن نفسه إنه شرب بحور السموات والأرض وما رُوي بعد ولسانه خارج يقول: هل من مزيد ؟.

فهذه صفة مراتب المحبة. ولهم رضي الله تعالى عنهم مقامات عجيبة في المحبة.

وصفة المحب القائم في هذا الحال لا يبقى مع عرض ولا جوهر ولا جسم ولا يطلب شيئًا قط. بل هو طالب لمولاه على الدوام. قائم في هذا الغرض أبد الآبدين لا يعجزه عن ذلك شيء في الأرض ولا في السماء.

فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد ؟.

الشطحة الثانية عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه وقد سئل عن السنة والفريضة؟ فقال: السنة ترك الدنيا بأسرها والفريضة الصحبة مع الله تعالى. ورد هذا في المطبقات الكبرى » للشعراني.

قلت: السنة والفريضة في عرف الأكابر مرقاها عالٍ لا يطيقه العوام في الفهم والمواظبة على هذا المعنى الجليل. لكونهم ظنوا أنّ مبلغ العلم في السنة ظاهرها. إذْ ليس السنة والفريضة ما ظهر بل ما بطن أعظم. فقد وجدنا قومًا يقولون السنة ما هي إلا المظاهر التي صدرت من رسول الله (ﷺ). والله يتولى السرائر وهم مخفقون في هذا أيما إخفاق.

إذ لو كان فعلهم لسنة رسول الله (ﷺ) كفعله هو نفسه عليه الصلاة والسلام لكانت درجة النبي والرجل من أمته واحدة.

ولكن هناك أمر أعظم من هذا استأثر به النبي (ﷺ) الخواص ولم يخبأه حضرته (ﷺ) بل فعل السنن. والموفقُ أُلْهِمَ على قدر مقامه.

فالحضرة المحمدية لا تكتم شيئًا من العلم بل أبدت ما أبدت وفهم كل رجل من أمته على قدر مقامه.

لكونه (ﷺ) مأمور بالتبليغ لا التدخل في مقام الهداية. وهذا علم من علوم الاقتدار يعرفه الأكابر من أهل التربية. فافهم.

أي ولي الله. فهذا مبلغ العلم في السنة الظاهرية والباطنية. وهذا يجعله معظم الخلق. وقد كان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه من أقطاب هذا المقام ولكنه كان يكتم هذا ويتستر عليه.

فهذا مقصود أبي يزيد فهل من مزيد ؟.

الشطحة الثالثة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه وقد سئل: عن درجة العارف؟. فقال: ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه. أورد هذا السلمي في «طبقات الصوفية».

قلت: وهذا في دقائق علوم المقامات السامية والدرجات الراقية.

إذْ كل يرتقي بالملموس. ولكن الدقائق والرقائق القلبية لا يطلع عليها إلا أكابر العارفين. التي هي فوق سلطان المقامات.

لذا فإن المريد كان لا يرتقي فوق مقام شيخه لكونه يجهل هذه الدقائق التي يعلم منها شيخه ما لا يسعه المريد أن يعلم ذرة منها.

لذا فإن لحظة من خطرات قلب الشيخ تعدل أطنانًا من عمل المريد الذي يلتزم بفعل المظاهر التي لا يسلكها شيخه غالبًا.

فذروة المقام أن لا مقام ويبقى الرجال متصارعين على الكمالات القلبية التي أطلق عليها أبو يزيد لفظ المعروف.

وهذا أمر يضبطه أهل الذوق الراقي كشيخنا محي الدين بن عربي. قدس الحق تعالى سره.

ومن رجالات هذا المقام النفري صاحب المواقف وأبو طالب صاحب

القوت وابن سبعين. رضي الله عن الجميع فاعلم يا ولي. أن انعدام المقام هذا الذي قصده أبو يزيد هو نفسه مقام لا غير.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: صرت مرة إلى مكة فرأيت البيت مفردًا فقلت: حجر غير مقبول لأني رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخرى فرأيت البيت ورب البيت. قلت: لا حقيقة للتوحيد بعد. وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت ولا بيت. فنوديت في سري. أن يا أبا يزيد إذا لم ترَ نفسك ورأيت العالم كله لما كنت مشركًا. وإذا لم ترَ العالم كله ورأيت نفسك كنت مشركًا وعندئذ تبت. وتبت أيضًا عن رؤية وجودي. ورد هذا في «كشف المحجوب» للهجويري في ترجمة أبي يزيد.

قلت: هذه مراتب الفناء وبدأها عند العارف فكان من شأن أبي يزيد أن رأى في المبتدأ نفسه عجبًا ورأى وجوده وبقية من نفسه. فلم يرَ إلا الأحجار. فرأى حجر البيت كأي حجر آخر وذاك قوله: رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس.

وذلك لكونه لم يكن يرى أن شيئًا في الوجود إلا نفسه. وهذه صفة المحجوب.

ولما ذهب الثانية رأى البيت ورب البيت. فعلم أنه قد فني عن رؤية نفسه وبقي تعلقه بأعراض وأغراض أخرى فرأى بجوار ربه أغراضًا فانية. ومقصده أن ينظر فلا يرى إلا ربه في كل شيء.

فلما ذهب الثالثة لم يرَ إلا رب البيت. ولا بيت وهذا أقصى فناء العارفين. وهو قول الحلاج رضي الله عنه: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه. وقد

فصلنا سيرة الحلاج في كتابنا (سيرة الحلاج). فعلى قدر الباطن يكاشف العبد.

ولا تعلق بكونه رأى البيت وحيدًا. أو رأى رب البيت. وإنما عبر عن باطنه بصفة الذوق. التي لا يفقهها إلا أولو العلم الباطن الرباني. وهذا شأن العارفين.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة عشرة

سأل رجل أبا يزيد رضي الله عنه فقال: كيف كانت بدايتك؟. فقال للسائل: لا تحتمل. فقال: قل. قال: مكثت سنة آكل ولا أشرب. ومكثت سنة أشرب ولا آكل. ومكثت سنة لا آكل ولا أشرب. فقال له: وما نهايتك.

فقال له أبو يزيد: لا يحتملها عقلك وليس لك إلى هذا سبيل.

قلت: هذا دومًا حال الأكابر مع ربهم. سواء في بدايتهم أو نهايتهم.

فلا البداية يحتمل تصديقها أحد ولا النهاية يحتمل تصديقها أحد. وعبروا عن هذا المعنى بقولهم: من كانت بدايته إحراق فنهايته إشراق. حتى سأل الشبلي الحلاج عن التصوف وهو مصلوب. فقال له الحلاج: أهونه ما ترى؟ قال: فما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل.

والقوم رضي الله تعالى عنهم أحوالهم جنون. ومقاماتهم فنون. ووصولهم فتون.

والله لو حكينا بدايتنا مع الله لعوام الخلق لحكم علينا بالقتل. فكيف بنهاية الولي المرتقي إلى الحق تعالى. وهذا مقام أبي يزيد كان حسيًا.. فكيف بمقامات المعنى التي هي أرقى وهذا كان من مقامات شيخنا عبد المجيد

الشريف رضي الله تعالى عنه. فاكتم بدايتك ونهايتك يا ولي الله.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السابعة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري. ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولًا حتى طلبته.

ورد هذا في «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني في ترجمة أبي يزيد.

قلت: وترتيب هذا أنَّ من طلب شيئًا ذكره ومن ذكر شيئًا عرفه ومن عرف أحب. واختلف هل المعرفة سبقت أم المحبة وأيهما أفضل؟.

ففضل قوم المعرفة على المحبة لكونها أسبق. وفضل قوم المحبة على المعرفة وقالوا هي أسبق.

ومذهبنا أنَّ المعرفة أفضل من المحبة وأسبق. لكون المحب قد يجهل شيئًا من المعرفة. أما العارف فلا يجهل شيئًا من فنون المحبة. ألا ترى أن أول قرآن نزل على نبينا (ﷺ) وسلم: اقرأ.

فعلم الحق تعالى أن المعرفة أولى لا المحبة. لكون المعرفة أصل الأصول التي تقوم عليها فنون الوصول إلى الله تعالى.

والمعرفة مولدة للمحبة. إذْ لا تصح محبة بلا معرفة. وإلا فإن المحبة تصبح جهلًا محضًا بلا معرفة. ومثال هذا كمثال محبة الطفل لثدي أمه.

أما دعاء العارف أنه المبتدأ بحبه وذكره وطلبه ومعرفته فهذا غرور. إذْ أن الحق تعالى وهبه هذا بمحض السر دون إبداء المظاهر. فظن هنالك العبد المحب أنه هو المبتدأ. ولولا ربه لما ابتدأ بهذه المعاني.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثامنة عشرة

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة.

أورد هذا «صاحب الحلية».

قلت: أي ما قدروه حق قدره في مقام تقدير الذكر. وليس غفلتهم رضي الله عنهم كغفلة العوام. فحاشا لهم هذا وإن كان كلام أبي يزيد فيه شيء من هذا المعنى.

أما القيام بخدمته سبحانه وتعالى فهو غني عنها إذْ أنه سبحانه لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة الطائعين.

ومقامات الذكر والخدمة التي صدرت من السادة الصوفية مقامات كمالية بالنسبة لهم أي تكملهم هم ولا تكمل مولاهم سبحانه لكونه كاملًا بغير عبادتهم وعطائهم. لذا كان ذكرهم له غفلة بقدره وخدمتهم له فترة وعجزًا عن بلوغ القصد.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة التاسعة عشرة

قُرِىءَ عند أبي يزيد يومًا ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ فهاج حتى خرج الدم من عينه وقال: من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبدًا.

أورد هذا صاحب «الحلية» بسنده عنه في ترجمته.

قلت: وهذه صفة الفناء في الذكر. فقال العارف: أيحشر نفسه إلى نفسه أم يحشرني أنا إلى أنا أم يحشر هو إلى هو. فإذا كان الذاكر عنده أبدًا بذكره إياه وقربته له فكيف يحشره وهو في القرب قائم. ولفظ الحشر ومعناه

يقوم في البعد عن اتصال بالحق تعالى كبعد الكافر عن ربه بكفره.

أما المتقون فهم في كل نفس على بساط أنسه. وكف كرمه وعين جوده. فهم غير محتاجين إلى هذا الحشر. وكان هذا المقام للجنيد رضي الله عنه. قيل له في النزع قل: لا إله إلا الله.

فقال لهم: أفنيت نفسي فيه ثم تقولون قل لا إله إلا الله؟ وعَدَّ الجنيد قولهم له هذا حجابًا لكونه أقرب من قولهم إليه.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة العشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوس تريد أن تقطع الزنار بين يديه. وحكي أنَّ الناس اجتمعوا على أبي يزيد فقال: يا رب كنت سألتك الله ألا تحجبهم بك عنك فحجبتهم لي عنك.

روى هذا «صاحب الحلية» بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: ومقام الوقوف بين يدي الحق تعالى مقام جليل يحتاج إلى سلطان المراقبة. ومنهم من يفنى في هذا المقام.

وكلام أبي يزيد هنا يدل على المراقبة لا الفناء. وإشارته إلى قطع الزنار في كل وقوف بين يدي الحق تعالى إشارة إلى قطع العلائق وتخليص النفس من آفاق الهوى. وفي ذلك يشير إلى قتل غلام النفس. وهذه صفة تجديد التوبة وقيام الإرادة في هذا الشأن. لا سيا أهل البدايات.

أما توبة الأكابر فهي لازمة لهم وإن لم يصدر منهم ما يستوجبها لكونه (ﷺ) كان يستغفر ربه ويتوب إليه في اليوم سبعين مرة. وفي رواية مائة..

أما قول أبي يزيد فحجبتهم بي عنك. فهذا يعرفه أهل الشهرة من أهل الولاية.

فشهرة الأكابر وتعلق الخلق بهم لمقامات. فمنهم مَنْ يَعدُّ شهرته حجابًا غليظًا يحجب الخلق عن ربهم وهو السبب لكونه حجبهم لتعلقهم به. وكان هذا مقام شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنهما.

ومنهم مَنْ يَعدُّ شهرته من مقام الحق تعالى ومن مقام نبيه عليه السلام لما قيل له: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

والمذهب الأول أرجح وهو مذهبنا ومذهب شيوخنا. وهذه صفة الداعي يدعو إلى الحق تعالى ثم يختفي فلا يعلم مَنْ هو حتى لا يتعلق به. بل يوجه همته في تعلق المريد مطلقًا بالحق تعالى. وكان هذا من مقامات الإمام الشافعي حتى قال: وددت أن كل ما عملته للناس لم ينسب إليَّ منه حرف واحد.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الحادية والعشرون

قال رجل لأبي يزيد: علمني اسم الله الأعظم.

قال: ليس له حد محدود إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فادفع إلى أي اسم شئت فإنك تصير به إلى المشرق والمغرب ثم تجيء وتصف.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» عن أبي يزيد بسنده في ترجمته.

قلت: ظَنَّ قومٌ أنَّ اسمَ الله الأعظم يعرفه كل من اطلع عليه. سواءٌ العاصي والطائع. وهذا وهمٌ.

بل ظنهم هذا ينطبق على السحر. أما أسرار المعاني والأسماء العالية فالمتطفل

عليها مطرودٌ بمحض الغيرة. لكونه تعالى لا يطلع إلا من ارتضى.

وكم من عاصٍ قرأ اسم الله الأعظم بفمه ولم ينفعه لعدم وصوله لهذا المقام. وبعده عنه كبعد المشرقين.

ألا ترى أنه (ﷺ) وردت عنه أحاديث في الاسم وتلاها قوم ولم ينتفعوا بها.

فعلم أبو يزيد السائل تفريغ القلب للمولى قبل معرفة الأسرار. ومن ثم لو تمسك الطائع بأي معنى لنفعه. ثم يجيء فيصف لنا هذا المعنى الجليل.

والحد هنا وهم في معرفة هذا الاسم لكونه غير محدود بمعنى. بل معناه فراغ القلب للوحدانية الإلهية. فهناك لا وصف بل التيه قائم. وأيما عبد مستجاب الدعوة فعنده طرف من معرفة هذا الاسم الجليل.

ولكن المحجوب ذهب وظَنَّ أن هذا الاسم محدود كقالب الصخر يمكن أن يحمله كل من أراد. ولكن هذا العلم أعز من الكبريت الأحمر عزَّ مَن يعلمه إلا أهله. الذين ذابوا في وجدهم وفنوا في حبهم قد أتعبهم السهر وأضنتهم الغربة أولئك الأخيار.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثانية والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: كفر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة.

روى هذا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أبي يزيد في ترجمته.

قلت: أهل الهمة هم أهل التوجهات السنية. والأنفاس الشريفة الخارقة. والأنوار الساطعة. منهم طائفة المربين. الذين يربون المريد بهممهم. وكفر هؤلاء ليس كفرًا وإنما قصد به أبو يزيد رضي الله عنه هفواتهم وسيآتهم.

وأهل المنن لم يبلغوا مقام التوجه بالهمة أصلًا في مجموعهم لذا كانت سيئة

صاحب الهمة أشرف من طاعة صاحب المنة. وكما قيل حسنات الأبرار سيآت المقربين. فصاحب المنة تلميذ لصاحب الهمة لكون هذه المنة جاءت من همة الآخر.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله تعالى عنه يمدنا بالمنة من همته. حتى أعطانا همته.

وهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟

الشطحة الثالثة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

روى هذا القول أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أبي يزيد.

قلت: التهليلة مقام في وصول أبي يزيد أما تهليله كله فهو في مقام الصفاء. لذا قال لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

أي لو صَحَّ لي مقام يبغيه هو ويعرفه لما بالى بعده بشيء في الوصول.

والواصل في هذا المقام حائر. لكونه الأخير فالمعرفة ألا معرفة. فمتى وصل إلى هذا المعنى قيل له قف هذا قدم نبيك.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة والعشرون

قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح ولا مساء وإنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي.

ورد هذا في «الفتوحات المكية» حكاه سيدي محيي الدين ابن عربي قُدِسَ سِرُهُ في الباب الثاني.

قلت: وهذا مقام الأعراف. وهو انعدام صفة العارف. وهذا من مقامات

القطب الفرد الجامع. الذي حوى المحاسن كلها.

فالعارف غير متحيز. فعنده الكل سواء في الذوق. قد اطلع على عيون الأخبار. وأصبح يقال عنه: وعند جهينة الخبر اليقين.

لذا يعجب إذا قيل له كيف أصبحت؟ ويعجب إن قيل له هل أنت غني أو فقير؟ ويعجب إن قيل له أنت مؤمن أم كافر؟

بل العارف لا يعرف هذه المعاني لكونه معدوم الصفة. وهذا سر قول أبي يزيد في صفة العارف لما سئل عنها فقال: صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ما النار لأستندنَّ إليها وأقول اجعلني لأهلها فدا ولأبلغنها. ما الجنة إلا لعبة الصبيان. هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم.

نقل هذا الذهبي في «تاريخه» عن أبي يزيد رضي الله عنه.

قلت: وقد قال هذا أبو يزيد وهو في أوان فنائه في المشاهدة.

فرأى النار ذرة من زفرات العارف. ولو شاء الغوث العارف أن يزفر زفرة على جهنم لأحرقها هي وخزنتها ودركاتها وأركانها ودرجاتها.

وقد سأل الشبلي الحلاج وهو مصلوب فقال له: كيف أصبحت يا حلاج؟

قال: أصبحت لو زفرت زفرة لأحرقت مالكًا وناره. وقد ورد في الأثر أن النار تقول للمؤمن من يوم القيامة إذا جاز على الصراط: «يا مؤمن جز فقط اطفأ نورك لهبي».

وهذا تمكين العارف الغوث الذي لو دخل النار لهدها وما النار إلا المعاصي. وهو الحق المبين الذي هَدَّ بنيان الباطل وجبال المعاصي في الدنيا. فكيف به في الآخرة؟.

فهو يفدي أهل الإيمان لكون الكافر لا يستحق فداءً. وذاك قوله: اجعلني لأهلها فدا. وقوله لأبلغنها أي بالشفاعة لكونه من أرباب الشفاعة وأقطاب هذا الأمر. أما استناده إلى النار فهو متحقق للقطب لكون العالم بين يديه كما يكون الطبق بين يدي الآكل. فتحققه من هذا الاستناد حقيقة لا مجازًا.

أما قوله: ما الجنة إلا لعبة الصبيان. فتعبير عن أن العارف طالب لمراتب أعلى قد غضَّ نظره عن الجنة وقد كشفت له في الدنيا. فاحتقر أمرها. فهي لعبة في قدمه. إذ الوصول غير متوقف على طلب الجنة.

فما زال العارف في ارتقائه فهو طالب للحق لا غير. ولغير الحق لا يطلب مهما كوشف بمعاني دونها اقتضت اختباره.

ولما توسعتْ بصيرةُ أبي يزيد رأى سِرَ القدرِ الأزلي. وأنَّ الكل سواء فرحم اليهود. لكونهم منفذين لأمره سبحانه. وقال عذبني أنا فأنا استحق عذابهم. عذاب محب من محبوبه. وعذاب من استحق بُعْدَكَ.

وهذه صفة العارف يرحم العصاة لكونه مطلعًا على سر الأزل ويحركه مقام فتوته لتحمل سر الأزل فيرحم الكل وهو من مقام: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وقد كان حبيب العجمي رضي الله تعالى عنه يبكي إذا سمع أن أحدًا عصى ربه.

وكان يشتري العصافير من الصبيان ويطلقها. وكان شيخنا عبد المجيد الشريف لا يكاشف أحدًا بطاعة أو معصية. بل كان مقامه السكوت المطبق.

لذا قيل: إذا تمكن العارف خرس. فيرى الكل سائرًا في الكون طبقًا لما اقتضاه المكون فلا يعارض عاصيًا أو طائعًا.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السادسة والعشرون

مشى رجل من أصحاب ذي النون المصري خلف أبي يزيد فقال له: من تطلب؟

قال: أبا يزيد.

فقال: يا بني أبو يزيد يطلب أبا يزيد من أربعين سنة فرجع إلى ذي النون وأخبره فغشي عليه.

(وفي رواية) قال ذو النون إنَّ أخي أبا يزيد فَقَدَ نفسه في حب الله تعالى فصار يطلبها مع الطالبين.

(وفي رواية) جاء رجل إلى باب أبي يزيد فدقَّه فقال: مَنْ تطلب؟ قال: أبا يزيد. فقال: ليس في البيت غير الله.

(وفي رواية) أرسل ذو النون المصري يقول لأبي يزيد: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال لمن أتاه: قل لأخي ليس الرجل مَنْ يسير مع القافلة إنما الرجل مَنْ ينام إلى الصباح فيصبح أمامها في المنزل.

فقال ذو النون: هنيئًا هذا الكلام لا تبلغه أحوالنا.

حكى هذا عن أبي يزيد عبد المجيد الخاني في كتابه «الحدائق الوردية» في ترجمته.

قلت: فإشارة أبي يزيد أنه يطلب نفسه بنفسه دالة على فنائه عن العوالم وعن نفسه. فهو فاقد لنفسه. وهذا مدى ذوقه. وما دام هو جادٌّ في طلب نفسه فقد نفذ إلى طريق اليأس من عدم رجوعه إلى ما كان عليه. لكونه

دخل في مقام التمكين. فحكى عن نفسه أنه دخل هذا المقام منذ أربعين سنة.

ألا ترى أن ذا النون قال عنه: إنه فَقَدَ نفسه فصار يطلبها مع الطالبين في حب الله.

وقيل لا يكمل المحب حتى يقول لمحبوبه: يا أنا. فإن قيل كيف يطلب نفسه فالأولى به أن يطلب ربه؟.

قلنا: طلب نفسه اختبارًا لها. وهل هي باقية على شيء من العوالق. فرأها غير راجعة إلى شيء قط فعلم صدق نفسه. فعبَّر عن أنه وَدَعَ هواه جملةً كليةً لا رجعة فيه. وهذا مثل قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للدنيا: يا دنيا غرِّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا.

أما قول أبي يزيد ليس في البيت غير الله فإشارة إلى قطع العوالق وأما مقصده من لفظ البيت فالقلب. أي ليس في القلب غير الله.

وجاء في الأثر قولهم: القلب بيت الرب. فأعلم السائل انقطاعه كليةً عن العوائق والعوالق فهو عبد رباني محض.

وأما قوله: إنما الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها في المنزل. فإشارة إلى علو مقامه عن أحوال ذي النون. وأنه قطب الوقت. وأنَّ الأعمال لا تقدر بالوقت والتعب وإنما بمحض التوفيق الإلهي. فرُبَّ نائم خير من مستيقظ. وهذه أحوال عباد الله الربانيين يدخل فيها صفاء القلب أعظم. ولا خطر لمقدارها عند مخلوق. ونقول فيها: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السابعة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لما ذكر عنده الزهد. فقال: ما أهونه زهدت في اليوم الأول في الدنيا وما فيها وفي الثاني في الآخرة وما فيها وفي الثالث فيما سوى الله.

ذكر هذا الخاني في « الحدائق الوردية » في ترجمة أبي يزيد .

قلت: وهذه مراتب الزهد عند أهل المعرفة والذوق العالي .

والمراد سرعة الخطر في الزهد . وهذا شأن الأكابر في تخطي مراتب الزهد . حتى يصلوا إلى حضرة الحق تعالى . ألا ترى أن الصحابة كان الواحد منهم يفعل جميع الموبقات قبل أن يسلم فإذا أسلم تجرد عن كل هذا . وزهد في كل هذه المراتب في يوم واحد لا في ثلاثة أيام .

وقد كان عمر الفاروق رضي الله عنه من أصحاب هذا المقام زهد في هذه المراتب التي زهد فيها أبو يزيد طوال حياته في أول يوم أسلم فيه .

فهذا مقصود أبي يزيد . فهل من مزيد ؟ .

الشطحة الثامنة والعشرون

قُرِىءَ على أبي يزيد : ﴿إنَّ بطشَ ربك لشديد﴾ . فقال : بطشي أشد .

ورد هذا في « الحدائق الوردية » للخاني في ترجمة أبي يزيد .

قلت: والمراد أنَّ الحق تعالى أرحم ممن خلق . فلا يوجد مخلوق أرحم من خالقه . وهذه القاعدة لا تسري في علم الصفات الإلهية . حتى أنه سبحانه وتعالى أرحم من الوالدة بولدها .

ولو وَكَّلَ الخالقُ الرحمةَ بالمخلوق لجحد واستكبر . ولأضر بغيره في الرزق والعيش والقتل والفساد . لذا عبر أبو يزيد عن أنَّ رحمةَ ربه أوسع من رحمته . فيكون بطش العبد أضر من بطش الرب سبحانه .

فيقال عن الحقِ تعالى أنه بطش ولطف أما العبد فلا يعرف معاني اللطف الإلهية إلا لماماً .

فهذا مقصود أبي يزيد . فهل من مزيد ؟ .

الشطحة التاسعة والعشرون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: انسلخت من جلدي فرأيت من أنا.

أورد هذا الخاني في «الحدائق الوردية» عن أبي يزيد.

قلت: والجلد هنا كلُّ ما سوى الله. ويقال خلعت الحيةُ جلدَها. وذلك لكونها استبدلته بجلد جديد فهي غنية عن الجلد القديم البالي.

فكذا العارف إذا اطلع على مقامات العرفان لزمه خلع جلده والتجرد بالافتقار إلى الحق تعالى في كل شيء. فيتجرد من: النفس والدنيا والناس والمال والشيطان.

فإذا وصل إلى هذا المقام فمثاله كمثال الطفل الذي ولد جديدًا قد خرج من بطن أمه فورًا.

فهذا سر الانسلاخ عن الجلد يا ولي الله.

وقد بلغنا عن الشيخ علي عبد الدايم السيوطي أنه سُئِلَ عن الزهد فأجاب. فسئل عن زهد الزهد؟ فخلع ملابسه كلها وقال: هذا زهد الزهد. وبقي هكذا إلى أن مات. وكان نصفه الأسفل في حفرة ونصفه الأعلى ظاهرًا حتى لا يطلع الناس على عورته.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: قال لي الحق تعالى أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني.

ورد هذا في «الحدائق الوردية».

قلت: وصفة الحق تعالى في العبد هي التي عبر عنها المعنى الحديثي: «حتى يكون عبدًا ربانيًا يقول للشيء كن فيكون».

فالعبد الرباني هو الذي اتصفَ بصفة ربه. فربه يرحم وهو رحيم وربه يجود وهو جواد وربه عزيز وهو عزيز وربه صبور وهو صبور وربه رؤوف وهو ذو رأفة. والنوافل المقربة للعبد من ربه هي الجالبة لهذا المقام فتنصب العبد فيه. فمن رأى هذا العبد وهو عاصٍ انزجر وتاب. لكونه خليفة الله في أرضه. وهذه صفة أولياء الله الذين إذا رؤُوا ذُكِرَ اللهُ. ومن رآه وهو ناقص كمل. ومن رآه وهو غافل ذكر. ومن رآه وهو جاحد شكر. ومن رآه وهو غني افتقر. ومن رآه وهو قوي انقهر. فهؤلاء هم القائمون بشؤون الحق تعالى في مملكته. يقبضون ويبسطون. ويرحمون ويعطفون. ويكرمون ويسلبون. لهم العزة في الدارين. والتجبر على المتكبر والتذلل للمتواضع. فهؤلاء خدم الحق تعالى فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة الحادية والثلاثون

قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: كنت في حالة توهمت أني وصلت إلى غاية الوصال ففاجأني شيخ وقال: يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم

ورد هذا في « الحدائق ».

قلت: وهذا حدث لأبي يزيد إما قبل وصوله إلى مقام الغوث. وذلك لكون هذا القول لا يقال للغوث. لكونه خليفة رسول الله (ﷺ). وإما حدث له وهو في مقام الغوث فاطلع على مقام معنوي وهذا كالذي حدث لشيخنا ابن عربي رضي الله عنه عندما ظن أنه خاتم الأولياء المطلق ومن ثم رأى الختم في مشهد معنوي فرجع عن هذا القول وصنف كتابه « عنقاء مغرب » في وصف الختم. وقد وصف ابن عربي مقامه بأنه أعلى من مقام أبي يزيد. وله الحق والفضل عليه. والختم فاقها مقامًا. ويعرف ذلك كبار أهل الولاية والذوق العالي. فأين أبو يزيد في سوق الرجال؟.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة الثانية والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي. ورد عنه في «الحدائق».

قلت: عبر عن نفسه أنه استقر على جبل التمكين وفيه دكت جبال التلوين.

وهذا مثل قوله لما قيل له: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء وإنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي. وقد مَرَّ شرح هذا القول. فالمتمكن يا ولي هو الذي لا صفة له لكونه استوى على الجودي. فهو ككفتي الميزان في الاعتدال لا صفة لها إلى اليمين ولا الشمال في الميل. بل هي في الاستواء قائمة.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الثالثة والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك.

أورده الخاني في «الحدائق» عنه وأبو نعيم في «الحلية».

قلت: الفهم عن الحق تعالى يكون بعدة طرائق أقر بها الفهم عنه به. وهذا الفهم له إشارات يفقهها أهل الذوق الرفيع.

وقد يفهم العارف عن الحق تعالى بغير الحق. ومنزلة المعرفة عن الحق تعالى به لها مراتب. منها مرتبة المشاهدة في المعرفة التي وقعت لنبينا عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج وهو المقام لم يقع لغيره (ﷺ) في هذه الدار.

ومنها مرتبة الكلام في المعرفة وقد وقعت لموسى عليه السلام. ثم أراد أن يتعرف من الحق تعالى بالمشاهدة فمنع وصعق وناله ما ناله.

ومنها مرتبة بالوسائط وهذه للأكابر كأبي يزيد كمن يرى إشارة معهودة في التعرف.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الرابعة والثلاثون

قول أبي يزيد رضي الله عنه: لم أزل أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك. أورد هذا الخاني في «الحدائق» عنه.

قلت: ومقصود أبي يزيد لم أزل أسوق نفسي بعصا المجاهدة وهي تبكي لمخالفتي لها وضربي لها بهذه العصا كي أقومها حتى قومتها.

فحين عرفت ندمت فقامت هي وأمسكت تلك العصا وساقتني أنا وهي تضحك استبشارًا بقرب الوصول إلى دار الأصول حيث الحبيب في الانتظار. فعجبًا من نفس كانت تبكي فضحكت. وعجبًا من عارف كان عاصيًا فأطاع.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة الخامسة والثلاثون

قوله: سر في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد وطر في دار التفريد حتى تلحق وادي الديمومية. ورد عنه في «الحلية» في ترجمته.

قلت: والموحد له درجات أعلاها المنفرد. وهو غوث الوقت. وهو أعلى الموحدين. فهو الجوهر الفريد والعقد النضيد. فإذا انفرد كان مخالفًا لكل من في وقته من أهل الكمال. وكل عين كاملة شاخصة إليه.

فهو كربه في انفراده بالكمال. لكن لكلٍّ مقام. وأين الخالق من المخلوق. فالحق منفرد والعبد منفرد. فإذا انفرد صاحب المقام دام الوصال. وطلب الدوام وهناك يطلب الالتحاق بوادي الديمومية أي اتصال الوصال. إذ

انقطاعه محال. وهذا سر قول أبي يزيد: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.

فالفتى الفريد المنفرد لا تنقطع مواصلته إلى أبد الآبدين وإلا استغاث. فهو جوهر فريد في وادي الديمومية فمن مثله في ذاك اليوم.

فهذه مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السادسة والثلاثون

قوله: قلت يومًا سبحان الله فناداني الحق في سري هل فيّ عيب تنزهني عنه قلت لا يا رب قال فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل فأقبلت على نفسي بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتحلّت بالفضائل فصرت أقول نسبحاني ما أعظم شاني. ورد في «الحدائق».

قلت: هذا القول باطن لكون الظاهر يقتضي التنزيه وقولنا: سبحان الله نحن مأمورون به شرعًا. وهذا يقوله الطائع والعاصي..

أما وجهة أبي يزيد فمراده منها أنه لا يجب تنزيه الحق تعالى حتى ينزه العبد طرفه ونفسه.

وهذا مقام فريد مَرَّ فيه أبو يزيد رضي الله تعالى عنه. فلما تنزه أبو يزيد تعرف على مقام التنزيه الإلهي. فقال: سبحاني ما أعظم شاني في حال غيبته. فكان تنزهه من تنزه الحق تعالى مع حفظ المرتبة.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة السابعة والثلاثون

قوله: دعوت الخلق إلى الله كذا وكذا سنة ثم رجعت إليه سبحانه فوجدتهم قد سبقوني.

أورده ابن عربي في الباب التاسع والستين من « الفتوحات المكية ».

قلت: سبقوه في الوصول إلى الله وظنوا أنَّ أبا يزيدٍ بعيدٌ عنه بينما هو أقرب إليه منهم.

(أو) سبقوه بسرعة مغفرة الله لهم وتجاوزه عنهم. وهو ليس يعرف ذنبًا.

(أو) سبقوه إلى المحشر بينما هو دخل الجنة بغير حساب.

(أو) سبقوه كي يشفع لهم وهو الشافع.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد ؟.

الشطحة الثامنة والثلاثون

قيل لأبي يزيد: ماذا تقول في شخص يسافر من أجل الله وهو معه لماذا يسافر ؟. وهل يتحقق مقصوده في مكانه ؟.

قال: تتوسل الأراضي إلى الله قائلة: يا إلهي أرني وليًا من أوليائك وأضيء عيني بمقدم حبيب فيوحي الله إليهم بالسفر حتى يتمَّ مقصود تلك البقعة.

ورد هذا في كتاب « اسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد » لمحمد ابن المنور الميهني.

قلت: المعية الإلهية قائمة مع الولي حيث يكون ولا تزيد ولا تنقص.

ولكن مرادنا أن هذه المعية تزداد تجلياتها في الأماكن المباركة كمكة عند البيت الحرام. وعند قبر النبي (ﷺ).

ومقصود البقعة يكون من الغوث الذي تطوف به الكعبة معنويًا وإن كان هو الطائف ظاهرًا.

والبقاع المباركة تتشوق إلى الولي أشد شوق. حتى تشهد كل بقعة لساجدها يوم القيامة. وتشهد الكعبة لمن طاف بها. ويشهد الحجر لمن استلمه.

وما قبلَّ رسول الله (ﷺ) ولا عمر رضي الله عنه الحجر إلا لكون الحجر طلب ذلك من النبي (ﷺ) ومن عمر. وهذه البقاع تتشوق من هجر الولي لها فتتحنن أن يقبلها ويزورها. حتى كان حجر بظاهر مكة يشهد للنبي (ﷺ) بالنبوة قبل البعثة. وقد فصلنا هذه المقامات في كتابنا (تكملة الفتوحات المكية). فراجعه إنْ شئت.

فهذا مقصود أبي يزيد. فهل من مزيد؟.

الشطحة التاسعة والثلاثون

قال أبو القاسم العارف رضي الله عنه في كتابه «القصد إلى الله»: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله سبحانه وتعالى أن لأبي يزيد حالات ومقامات لا تتحملها قلوب أهل العزة لبهتوا فيها وإني نظرت في كتاب فيه مناقب أبي يزيد فإذا فيه أشياء من حالاته وأوقاته وكلامه ما كلت الألسن عن نعته وصفته. فكل من أراد أن يعرف كماله ومنزلته فلينظر إلى نومه ورؤياه التي هي أصح في المعنى وأقرب إلى التحقيق من يقظة غيره فمما حكي: أن خادم أبي يزيد رضي الله عنه قال: سمعت أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول: إني رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات قاصدًا إلى الله طالبًا لمواصلته سبحانه وتعالى. على أن أقيم معه إلى الأبد فامتحنت بامتحان لا تقوم له السموات والأرض ومن فيها لأنه بسط لي بساط العطايا نوعًا بعد نوع وعرض عليَّ ملك كل سماء ففي ذلك كنت أغض بصري عنها لما علمت أنه بها يجري فكنت لا ألتفت إليها إجلالًا لحرمة ربي وكنت أقول في كل ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ قال: فقلت له: رحمك الله صف لي مما عرض عليك من ملك كل سماء. قال: رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات فلما أتيت إلى السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر فنشر جناحًا من أجنحته فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي انتهائي إلى صفوف الملائكة. وهم قيام متحرقة أقدامهم في النجوم يسبحون الله بكرة وعشيًا فسلمت عليهم

فردوا عليَّ السلام. فوضعني الطير بينهم ثم مضى فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم وأحمد الله تعالى بلسانهم وهم يقولون: هذا آدمي لا نوري. إذ لجأ إلينا وتكلم معنا. قال: فألهمت كلمات وقلت: باسم الله القادر على أن يغنيني عنكم ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته وصفته فعلمت أنه بها يجربني. ففي ذلك كنت أقول: مرادي غير ما تعرض عليّ. فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمته ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثانية فإذا جاءني فوج من الملائكة ينظرون إلي كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها. ثم جاءني رأس الملائكة اسمه لاويز.

وقال: يا أبا يزيد: إن ربك يقرئك السلام. ويقول أحببتني فأحببتك. فانتهى بي إلى روضة خضرة فيها نهر. يجري حولها ملائكة طيارة. يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة مرة. ينظرون إلى أولياء الله وجههم كضياء الشمس. وقد عرفوني معرفة الأرض. أي في الأرض. فجاءوني وحيوني وأنزلوني على شط ذلك النهر. وإذا على حافتيه أشجار من نور ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء وإذا على كل غصن منها وكر طير. أي من الملائكة وإذا في كل وكر ملك ساجد ففي كل ذلك أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي كن لي يا عزيزي جارًا من جميع المستجيرين وجليسًا من الجالسين ثم هاج من سرى شيء من عطش نار الاشتياق حتى إن الملائكة مع ...ه الأشجار صارت كالبعوضة في جنب همتي وكلهم ينظرون إلي متعجبين مدهوشين من عظم ما صدر مني.

ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه إجلالًا لحرمة ربي وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى من صدق الإرادة في القصد إليه وتجريدي عمن سواه فإذا أنا بملك مد يده فجذبني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثالثة. فإذا جميع ملائكة الله تعالى بصفاتهم ونعوتهم قد جاءوني يسلمون علي. فإذ ملك منهم له أربعة أوجه: وجه يلي السماء. وهو

يبكي لا تسكن دموعه أصلًا. ووجه يلي الأرض ينادي: يا عباد الله اعملوا ليوم الفراغ يوم الأخذ والحساب ووجه يلي يمينه إلى الملائكة يسبح بلسانه ووجه يلي يساره يبعث جنوده في أقطار السموات يسبحون الله تعالى فيها. فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ثم قال: من أنت؟. إذْ فضلت علينا فقلت عبد قد مَنَّ الله تعالى عليه من فضله. قال: تريد أن تنظر إلى عجائب الله؟ قلت: بلى. فنشر جناحًا من أجنحته. فإذا على كل ريشة من ريشه قنديل أظلم ضياء الشمس من ضوئها. ثم قال: تعالَ يا أبا يزيد واستظل في ظل جناحي. حتى تسبح الله تعالى وتهلله إلى الموت فقلت له: الله قادر على أن يغنيني عنك. ثم هاج من سري نور من ضياء معرفتي أظلم ضوؤها: أي ضوء القناديل من ضوئي. فصار الملك كالبعوضة في جنب كمالي ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلَّت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إلى ذلك إجلالًا لحرمته. وكنت أقول في كل ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه فإذا أنا بملك مد يده فرفعني. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الرابعة فإذا جميع الملائكة بصفاتهم وهيئاتهم ونعوتهم قد جاءوني ويسلمون عليَّ. وينظرون إليَّ كما ينظر أهل البلد إلى أمير لهم في وقت الدخول يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل من عظم ما يرون من انقطاعي إليه وقلة التفاتي إليهم ثم استقبلني ملك يقال له: نيائيل. فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطىء بحر عجاج لا ترى أوائله ولا أواخره. فألهمت تسبيحه وأنطقت بلسانه ولم ألتفت إليه ثم لم يزل يعرض عليَّ من الملك ما كلَّت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه إجلالًا لحرمته وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة والقصد إليه. فإذا أنا بملك مد يده فرفعني إليه. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الخامسة. فإذا أنا بملائكة قيام في السموات. فسلموا كلهم عليَّ بأنواع اللغات. فرددت عليهم السلام بكل لغة سلموا عليَّ. فتعجبوا من ذلك ثم قالوا: يا أبا يزيد: تعالَ حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد. فلم ألتفت إليهم إجلالًا

لربّي فعند ذلك هاج من سرّي عيون من الشوق فصار نور الملائكة فيما التمع مني كسراج يوضع في الشمس. ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه فإذا أنا بملك مدّ يده فرفعني إليه. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السادسة فإذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءوني يسلمون عليّ ويفتخرون بشوقهم عليّ فافتخرت عليهم بشيء من طيران سري ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلّت الألسن عن وصفه ففي كل ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليه. وكنت أقول: يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه. فإذا أنا بملك مدّ يده فرفعني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة فإذا أنا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني. كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة. مع كل ملك لواء من نور تحت كل لواء ألف ألف ملك. طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام وكان على مقدمتهم ملك اسمه بديائيل. فسلموا عليّ بلسانهم ولغتهم فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك. فإذا منادٍ ينادي: يا أبا يزيد: قف قف. فإنك قد وصلت إلى المنتهى. فلم ألتفت إلى قوله.

ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلت الألسن عن نعته ففي كل ذلك علمت أنه يجربني. وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى صدق الإرادة في القصد إليه صيرني طيرًا. كان كل ريشة من جناحي أبعد من المشرق إلى المغرب ألف ألف مرة. فلم أزل أطير في الملكوت وأجول في الجبروت وأقطع مملكة بعد مملكة وحجبًا بعد حجب وميدانًا بعد ميدان وبحارًا بعد بحار. وأستارًا بعد أستار. حتى إذا أنا بملك الكرسي استقبلني. ومعه عمود من نور. فسلم عليّ ثم قال: خذ العمود. فأخذته فإذا السموات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي واستضاء بضياء شوقي. والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتي في القصد إليه. ففي كل

ذلك علمت أنه بما يجربني فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمة ربي الله تعالى.

ثم لم أزل أطير وأجول مملكة بعد مملكة وحجبًا بعد حجب وميدانًا بعد ميدان وبحارًا بعد بحار وأستارًا بعد أستار حتى انتهيت إلى الكرسي فإذا قد استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السماء يبرق من كل عين نور تلمع منه. فتصير تلك الأنوار قناديل. أسمع من جوفَ كل قنديل تسبيحًا وتهليلًا ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من نور تتلاطم أمواجه. يظلم في جنبه ضياء الشمس. فإذا على البحر سفن من نور يظلم في جنب نورها أنوار تلك الأبحر فلم أزل أعبر بحارًا بعد بحار حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما من العرش إلى الثرى من الملائكة الكروبيين وحملة العرش وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى في السموات والأرض أصغر من حيث طيران سري في القصد إليه. من خردلة بين السماء والأرض. ثم لم يزل يعرض عليَّ من لطائف بره وكمال قدرته وعظم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته ففي كل ذلك كنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. فلم ألتفت إليها إجلالًا لحرمته. فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه نادى: إليَّ إليَّ وقال: يا صفيّ أدن مني وأشرف على مشرفات بهائي وميادين ضيائي واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي في آنائي أنت صفيّي وحبيبي وخيرتي من خلقي. فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص. ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الأنس. ثم صيرني إلى حال لم أقدر على وصفه ثم قربني منه وقربني حتى صرت أقرب منه من الروح إلى الجسد ثم استقبلني روح كل نبي يسلمون عليّ ويعظمون أمري ويكلمونني وأكلمهم. ثم استقبلني روح محمد (ﷺ) ثم سلم عليَّ فقال، يا أبا يزيد مرحبًا وأهلًا وسهلًا فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلًا. إذا رجعت إلى الأرض أقرىء أمتي مني السلام وانصحهم ما استطعت وادعهم إلى الله عز وجل ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين. وبقي الحق بلا كون ولا بين ولا

أين ولا حيث ولا كيف جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قلت: وهذا الذي وقع لأبي يزيد رضي الله عنه. يسمى معراجًا وهو يقع للأنبياء والأولياء. وقد صنف في ذلك القشيري كتابًا وسماه «المعراج».

وهو يقع لكثير من أهل الولاية منامًا ويقع لهم بين النوم واليقظة. ولا يقع لهم في اليقظة بالبدن الحقيقي.

قال القشيري في كتابه «المعراج» مسألة: فإن قيل: إذا قلتم بجواز الكرامات؟ وما تقولون فيما يطلقه الناس من هذه الطائفة من معراج أبي يزيد البسطامي وغيره؟.

قيل أما المعراج بالبدن فلم يُنْقَل عن واحد ولم يُخْبَر عنه أنه كان له ولا يبعد أن يقال: إن ذلك لا يكون لغير المصطفى بالاجماع (ﷺ).

ولو قيل: إن ذلك في الجواز لكان مذهبًا وإلى وقتنا لم يخبر عن أنه كان له ذلك.

فأما في النوم فغير مستنكر أن يكون لبعض الخواص ذلك. سمعت أحمد الطابراني السرخسي رحمه الله يقول: كنت أرى في ابتداء إرادتي في المنام كل ليلة سنة كاملة كأني أرفع إلى السماء وكنت أرى العجائب في النوم. وأما حالة بين اليقظة والنوم يرى العبد أنه يُحمَل إلى السماء ويرى في تلك الحالة العجائب فهذا معتاد معهود موجود لكثير من الذاكرين الله تعالى في ابتداء أحوالهم. فهذا مما لا يداخلنا فيه شك أنه يكون لأهل الذكر ذلك لتحققنا بذلك بطرق لا يمكن جحدها. اهـ. انتهى كلام القشيري.

وقد أخبرني الولي العارف محمد بن علي بن عبدالله الخليلي أنه عُرِجَ به إلى السماء حتى وصل إلى اللوح المحفوظ فسأل الكتبة: أيزني الولي؟ فقيل له: لا. قال: ورأيت لوحًا لا أول له ولا آخر وهو مقسم إلى خانات في كل خانة اسم صاحبها وكتب فيها عمله وهل هو سعيد أم شقي وهل من أهل النار أم

من أهل الجنة؟. قال: فقلت: أنزلوني ووضعت يدي على عيني حتى لا أطلع على أعمال غيري حياءً من ربي.

وقد وقع لي المعراجُ فعُرِجَ بي إلى السماء حتى رأيت كرسيًا وقد جلس عليه شيخنا غوث الزمان العارف الكبير سيدي عبد المجيد الشريف رضي الله عنه. كان ذلك بين النوم واليقظة، وكان عمري آنذاك أربعة وعشرين عامًا رضي الله عن جميع مشايخنا وقع لنا ذلك في سنة ستٍ وأربعمائه وألف من الهجرة.

واعلم يا أخي أنَّ معراجَ الولي ذرةٌ من معراج النبي ذلك ليعلم منصب النبوة. من منصب الولي. وما دامت الكرامةُ مطيةَ الولي فليفعل بها ما يشاء من خزائن الجود الإلهية ولا حرج على فضل الله تعالى. ولا ينكرُ هذا إلا محجوبٌ عاجزٌ عن أنْ يأتي بما أتى به غيره من رؤساء هذا الشأن.

والمعراج يعرج إليه أهل الولاية على مراتب:

(فمنهم) من يمشي فوقه ولا يقرأ ما فيه دلالًا على ربه.
(ومنهم) من يمشي فوقه ولا يقرأ ما فيه حياءً من أن يطلع على سر غيره.
(ومنهم) من ينظر إلى تخطيط القلم في اللوح.
(ومنهم) من ينظر إلى تحريك اليمين للقلم.
(ومنهم) من ينظر إلى خاناته كصاحبنا محمد بن علي.
(ومنهم) من يعرج فيطلع على الجنة والنار ويرى العجائب فيهما.
(ومنهم) من يعرج إلى الكرسي.
(ومنهم) من يعرج إلى العرش.

كتاب
ما يخالف المريد فيه شيخه

الحمد لله العلي الأعلى. المليك الأسنى. والبديع الأبهى. سبحانه لا تحيطه عيون. ولا تدركه فنون. من مثله؟ وهـذه آياته شاهدات على مسارح ابتداعاته. بل على آيات اختراعاته؟.

تَبَـدّى لنـا في كُـلِ شيءٍ حبيبُنـا   فَتِهْنـا كَمَا تَـاه الكَلِيمُ بـه عُجْبـا
وَمَـا نحنُ إلا حُجْبُـه وهـو سرنـا   وَيَفْهَمُ سِرَّ الحُجْبِ من فَهِمَ الحُجبا

وصلى الله على عزيز الوجود وفتاه. وأوله ومنتهاه. الطود الأشم. والمحيط الأعم. طلسم العوالم. وشيخ المكارم. وسلطان المعالم. وعلى آله وصحبه الراسخين. الأساطين. وبعد.

فإن علم المخالفات من علوم الكتم. ومن أسرار الختم. علم ظاهر وباطن. لا يعلمه إلا فتى ولي كامن. مُلِيء هذا العلم مكرًا. واحتوى عبرًا. فمنه المباح في المقولة. ومنه دون ذلك المكتوم في الملة والنحلة.

وهذا علم إثبات في الذات. فبه يثبت وبه ينفى. وبه يقتفى. فبه يثبت النبهاء توحيد الحقوق الإلهية. ومعالي الأمجاد الربانية. فوقع في العهد الأول أن الكل سيخالف ما سوى الرب. وهذا في حق نبي وولي. وكافر وعامي.

فأما النبي فقول الحق تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾. وقوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾.

ولما كان الحق تعالى لا تناسب بينه وبين شيء لمخالفته للحوادث وقيامه بالذات وبالديمومية المطلقة فإن قانون المخالفات سقط في جنابه. فلا يوجد إلا المخلوق. والمخلوق لا شيء بالنسبة للخالق الأعظم. فقانون المخالفات ارتسم في ديباجة الخلق دون الخالق. ووقع للمربوب دون الرب.

فكتب على كل نفس حظها من هذا القانون. والمتحقق في هذا العلم يرى المخلوق يخالف إما المخلوق شبيهه وإما الخالق ربه. وكون الخالق تعالى يخالف فهذا ساقط في علمنا يا ولي. لكونه ليس كمثله شيء. فمن يخالف؟.

فالمخالفات واقعة بين البشر لوقوع التناسب بينهم ووجود التكافؤ الجنسي.

فمنهم مخالف في الباطل وهذا ضربٌ لا يعنينا.

أما المخالفة لأجل الحق فهو ضربٌ يعنينا. وعلم يغنينا فالمخالف ما دام مع قاعدة الحق فإنه سائر إلى الحق تعالى ولا حرج عليه.

فإن خالف المريد شيخه ومعه الحق اليقين شهد له الحق وأهله بذلك. فإن خالفه في الدنيا فله الحق عليه. كأن نازعه في حق غير ديني بل دنيوي. فللمريد أن يحتج ويخالف ويظهر حقه على شيخه.

ويخالف المريد شيخه إذا أمره بما لا يطيقه من أمور أمره بها الشيخ كأن كلفه بما لا يطيق من عبادات أو علم أو إنجاز شغل دنيوي.

ويخالف المريدُ شيخه إذا أمره بأمر مما لا يعنيه فيه شيء ولا دخول ليده في هذا الأمر. كأن يأمره باحتراف حرفة لا خبرة له بها أو لا ميل عنده لها.

وله أن يخالفه إذا تيقن عدم نجاح الشيخ في شيء متعارف عليه في عرف المجتمع كأن يتجر الشيخ فيخسر. أو يحترف حرفة فيفشل. ودلائل المظاهر تؤيد عدم نفوذ بصيرة الشيخ في هذا الميدان.

وله أن يخالفه في أمر ربما تضرر منه المريد في دنياه أو أمر خاص. أو شيء مزاجي سري خافٍ على الشيخ ولا يستطيع أن يكاشف المريد به الشيخ.

وله أن يخالفه في منام رآه لم يرَ للشيخ يقين يوضحه.

وله أن يخالفه في حقوق غيره حتى لا يحمل وزرهم أو يأثم بهم.

وخلاصة المعنى أنَّ الحقَ تعالى أقام أهل الكمال في الأكوان وليس لهم الكمالُ اللوحيُ مطلقًا. بل أقيم من يعارضهم على حسب مقاماتهم. من نبي وولي. ذلك ليثبت مقولة الحق التي لا تعارض. فإذا فقدت منهم مقامات العلم الوقتي. فهي ليس زلة. عند البعض كأولي العزم بل هذا من المقام العالي. والآخرون وقعوا في زلة من أغراض النفس. لعدم اكتمالهم اللوحي.

ولا خوض في معارضة النبي. كمن عارضه كعمر في مواقف له مشهورة. كأسرى بدر. وسر ذلك لعدم نفوذ النقص إلى فهم معارضة النبي. لكونه مقامًا دون مقام المخالفات الأخرى كالصديق والولي.

فعلم أهلُ الحضرة أنَّ واحدَ الوجودِ هو الحق تعالى لا غير دون وصول يد مخلوق إلى حضرة الأوامر المحضة وعدم المخالفة المطلقة التي هي للحق تعالى تنبغي دون غيره. ولا يستحق هذه الحضرة على التحقيق إلا المليك على الإطلاق. ومقام آيتها من الفرقان قول الحق تعالى: ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

وكذا آيتها قوله تعالى: ﴿**ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد**﴾.

فكل ما نطقت به تلك الحضرة فليس هو مقام فيه جدل بل مقام نفوذ محض. لا يدخل هذه الحضرة تبديل كقدر خرم إبرة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فكان من تلك الشؤون ألا يستحق هذه الحضرة مخلوق قط لعدم مقاومته فيها. وإلا ذاب كذوبان الرصاص. بل مقامه الخلق المحض.

وأما مقامه (ﷺ) فقوله تعالى: ﴿**ما ينطق عن الهوى إن هو إلا**

وحي يوحى﴾. فدون النطق نطق. ونطقه مراتب. وهذه المراتب أحاط بها الحق وأسواره.

فأعلى نطقه عليه السلام النطق الفرقاني بلفظه الذي ملكته فيه الرهبة حتى هزه الملك ثلاث مرات ونال منه الجهد فقيل له اقرأ أي انطلق في هذا المقام بهذا المقام. لذا صعب عليه في البدء. حتى أمكن منه.

ومقامات النطق الأخرى أقل رتبة من النطق الفرقاني. عنده (ﷺ) ولكنها منظومة بلسان عصمته. ومسطورة ببيان حكمته. لا هزوَ ولا باطل. ولا ينطق إلا حقًا. ألا ترى أن الحق تعالى ارتضاه كي يعبر عن كلامه بلسانه. الذي هو دون القرآن فأسمعوه الحديث القدسي عندهم. لما علم من شدة تحققه في اللفظ.

رسالة
روح القدس

الحمد لله المتجلي في الوجود ★ بوحدة الشهود ★ هو عين الكائنات ★ وأصل المكونات ★ وأصلي وأسلم على حبر الوجود ★ وأستاذ أهل الشهود ★ النبي الأمي ★ والجبل الختمي ★

وبعد

فإنَّ كبار الكبراء تكلموا عن أنفسهم بحق لا بباطل فهذا سيدنا محمد (ﷺ) قال عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ★ وهو قدوة المُقْتَدَى بهم. وكم من ولي صنف عن نفسه ★ وتكلم عن وصفه مثل ابن عربي وحلاج والبسطامي والشبلي وعبد الكريم الجيلي وعبد القادر الجيلاني والشعراني وسيدي أحمد التجاني وإنني قد وضعت هذه الرسالة إحياء لسلوك قدماء القوم في التحدث عن أنفسهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ★

«درة تجلَّى بها روح القدس على قلبي أنَّه»
«لكل عصر خاتم أولياء وأن مقامه باقٍ إلى يوم القيامة»
«ويورث في كل عصر وتختم به الولاية»
«المحمدية»
في ذلك العصر

وقد رأيت إشاراتٍ ربانية ★ ومبشراتٍ محمدية قاسمية ★ وأخباراً علوية سماوية ★ وأنباءً وحيية ★ ومنامات نبوية ★ على أنني خاتم أولياء هذا

العصر والمجدد المحمدي المبعوث على رأس قرنه ★

المبشرة الأولى: رأيت المصطفى (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وأنا في حالة الفناء فيه وأنا أتكلم بلسانه الشريف وقال لي: أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء ★

المبشرة الثانية: اجتمعت في عام ١٤٠٧ برجل يرى رسول الله (ﷺ) في اليقظة اسمه عبد الرحيم زكي فقال لي - وقد أطرق إلى جهة القبلة لحظة - أرى رسول الله (ﷺ) الآن وهو يقول لي في حقك: لن يختم لك بخاتم الولاية ولن تكتمل لك دائرة الإحاطة إلا إذا تزوجت ثم يكون لله الأمر ولك ★

المبشرة الثالثة: رأيت مولانا عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في المنام وهو يقول لي: اصبر ومقامك عالٍ جداً ★

المبشرة الرابعة: رأيت في عام ١٤٠٨ كأن عرش القطبانية نصب لي فجلست عليه وهو عرش له لمعان وبريق يخطف الأبصار مطعم بأنواع الجواهر كالماس والزبرجد واللؤلؤ ولها شدة إضاءة ولمعان لا يطاق وكان عمري آنذاك ٣٦ عاماً ★

المبشرة الخامسة: رأيت كأنني في الحضرة فنطقت بلساني: أنا فلتة برزت إلى الوجود منذ عالم البدء الأول ★

المبشرة السادسة: لما صنفت كتاب «المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء» رأيت شيخنا محمد بن سيد دلال العقالي رضي الله عنه وهو يقول لي: رأيت رسول الله (ﷺ) وقال لي في حقك: إنك مثل عبدالله بن مسعود أو أبي حامد الغزالي - لا أتذكر من هو منهما -

المبشرة السابعة: رأيت في المنام مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه وهو يقول لي: اسمك على اسمي ولقبك فيه أول حرف من لقبي فقلت له إنني صنفت تكملة لفتوحاتك فسكت ★

المبشرة الثامنة: اجتمعت في عام ١٤٠٩ هجرية بالولي الكبير الشيخ محمد أبو بطانية وهو من أقطاب أولياء الصعيد فأول ما رآني قال أمام جلسائه: لو كانت مفاتيح السموات والأرض بيدي لأعطيتها للشيخ محي الدين الطعمي ★

المبشرة التاسعة: ذهبت في عام ١٤١١ لمولانا وشيخنا الغوث الكبير سيدي عبد المجيد الشريف رضي الله عنه في بيته فقلت له: ادعو لي فسكت برهة ثم قال: سيعطيك الله كل ما تريد في الدنيا وفي الآخرة ★

المبشرة العاشرة: اجتمعت في عام ١٤٠٩ بالولي الصالح الشيخ صلاح الدين أبو طالب التجاني رضي الله عنه فقال لي: ما وجهتك: فقلت له: القطبانية فقال لي في الحال: لك القطبانية وأكثر ثم مكث وقال لي: ولك الغوثية وأكثر ★

المبشرة الحادية عشرة: لما صنفت كتاب «طبقات الأقطاب» أخذته وذهبت به إلى مولانا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه فقال لي: ما هذا الذي معك قلت له: هذا كتاب صنفته وسميته «طبقات الأقطاب» فسكت برهة وقال: الذي يؤلف طبقات الأقطاب لا بد أن يكون قطباً ★

المبشرة الثانية عشرة: رأيت مولانا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه فيما بين النوم واليقظة فقال لي: فلان قطب فقلت له: وأنا فقال لي: لا أنت حاجة ثانية ★

المبشرة الثالثة عشرة: رأيت في المنام وأنا عمري عشرون عاماً كأنه نصب لي منبر عال فارتقيته ورأيت الخلق بين يديَّ قيام كأنهم في يوم المحشر فقرأت الرحمن علم القرآن في سماعة كانت بين يديَّ فخيل لي أن كل العوالم العلوية والسفلية سمعت صوتي ووصل صوتي إليها وإلى كل ذرة في الوجود ★

المبشرة الرابعة عشرة: في أول أخذي لطريقة سيدي أحمد التجاني رضي الله

عنه رأيته في المنام يعجن لي حلوى على طبلية ويلقمني إياها في فمي ★

المبشرة الخامسة عشرة: رأيت كأنني واقف على باب الجنة أنا والعارف بالله الشيخ صلاح الدين أبو طالب فقال لي: انظر إلى أسماء مؤلفاتك منقوشة على باب الجنة فالتفت فرأيت رموزًا وطلاسم منقوشة على باب الجنة فألهمني الحق تعالى أنها أسماء مؤلفاتي ★

المبشرة السادسة عشرة: أول ما أخذت طريقة سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه مكثت سبع سنين لا أكلم شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه ولا يكلمني فأول ما كلمني قال لي: ما اسمك؟ قلت: محيي الدين فقال لي: عسى الله أن يحيي بك الدين ★

المبشرة السابعة عشرة: لما صنفت كتابي «طبقات الأقطاب» رأيت رجلاً في المنام وهو يقول لي بغضب: لا تذكر سوى الأقطاب ★

المبشرة الثامنة عشرة: لما اجتمعت في صعيد مصر بولي الله سيدي محمد أبي بطانية رضي الله عنه قلت له: إنني رأيت رسول الله (ﷺ) في النوم فقال لي على الفور: وستراه في اليقظة وكان عمري آنذاك ٢٤ عاماً ★

المبشرة التاسعة عشرة: رآني إمام مسجد زيدان بإمبابة وأنا عمري ١٨ عاماً وكان رجلاً صالحاً يحبني محبة تامة كاملة أنا ووالدي واسمه الشيخ محمد عبد الرحمن رضي الله عنه فقال: لو سألني رجل من هو قطب هذا الوقت لقلت لهم: الشيخ محيي الدين الطُعْمي ★

المبشرة العشرون: قال لي القطب الكبير مولانا محمد زكي إبراهيم لما زرته: ما اسمك؟ قلت: محيي الدين. قال: عسى الله أن يجعلك مثل محيي الدين بن عربي فإن العرق دساس ★

المبشرة الحادية والعشرون: رأيت في المنام كأن سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ) جالس على كرسي وهو رجل ممتلىء سمين أمام بيته فلما قام جلست على الكرسي بدلاً منه ★

المبشرة الثانية والعشرون: رأيت كأن أبا حامد الغزالي رضي الله عنه جالس في حلقة علم وأنا واقف على الحلقة أستمع إليه ★

المبشرة الثالثة والعشرون: رأيت في نومي الإمام الكبير الشيخ محمد متولي الشعراوي وهو بمكان عالٍ جداً فلما رميته بأول نظرة من بصري رأيته نزل وأخذ يتحدث معي ★

المبشرة الرابعة والعشرون: حدثتني والدتي رضي الله عنها قالت: مرضت وأنت صغير فرأيت السيدة مريم العذراء في المنام وقد أتت ووضعت كفها الشريف على جبهتك فأصبحت وقد شفيت من مرضك ★

المبشرة الخامسة والعشرون: رأيت في المنام في عام ١٤١١ هجرية كأن شيخنا الغوث الكامل عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يقول لي: أهلاً برحى الحضور في الزاوية التجانية ★

المبشرة السادسة والعشرون: رأى لي أحد الإخوان الصالحين في الطريقة التجانية مناماً كأنه يقول لي: لماذا لا تطبع كتبك أم تخاف أن تقرأ المريدون كتبك فيأتون إليك إذا طبعت ويتركون شيوخ التربية في هذا العصر؟ فقلت له في المنام على الفور: أما تعلم أنني شيخ تربية وكان عمري آنذاك ٢٤ عاماً ★

المبشرة السابعة والعشرون: رأيت كأنني أطوف بالكعبة طوافاً شديداً جداً وأنا مجذوب إليها كالحديد إلى المغناطيس وأدور حولها بسرعة شديدة جداً ★

المبشرة الثامنة والعشرون: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول الشيخ محيي الدين بن عربي هو الشيخ الأكبر فقلت له: وأنا أيضاً الشيخ الأكبر ★

المبشرة التاسعة والعشرون: كان يطلق عليَّ معظم مشايخي لقب الشيخ الأكبر ★

المبشرة الثلاثون: كنت أرى الكون كله أشباحاً تتحرك منذ صغري ★

ديوان
عروج الأشباح إلى منازل الأرواح

الحمد لله الذي حرك قلوب العارفين. إلى منازل الصادقين. وهيأها إلى مقامات الكاملين. وتوجها بتاج المكرمين. وزينها بناموس الفائزين.

الحمد لله الذي ميزهم. وفضلهم. واختصهم. فجهل قدرهم. إلا عن ربهم. فهو أعلم بهم.

فإن القوم ما أهمهم دنيا ولا آخرة. ولا فانية ولا باقية. سوى وجه ربهم الكريم. ورضائه العميم. سبحانه من مليك بديع. وملك شفيع. ملأت آياته الأكوان. وخرج حكمه عن المكان والزمان. من ذا قدره قدره. وتعرف على صحبه. ما هم إلا في ظل الوهم ساجدون. وعن حقيقة عبادته خارجون. هو الغني عن العبادة. والمستغني عن الزهادة. كل يوم هو في شان. ما له حاجة إلى إنسي ولا جان. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. وتعرف على قدر وصفه.

فهيا بنا يا ولي الله إلى ديار ليلى. كي نتوجه إلى معالم سلمى. وفيافي لبنى. ومشارف سعدى.

فإن الكل في عرفنا واحد سيان لا غير. ما هناك ليلى ولا سلمى ولا لبنى ولا سعدى. ما ثم إلا العين لا غير. فافهم أفهمك الله. واختصك الإله.

هناك هناك هناك ترتاح قلوب العارفين. وتهتز أرواح المصطفين. وترقص

أشباح الشاربين. وتعرج أرواح المريدين. إلى حضرة رب العالمين.

ما ثَمَّ غير الله. والباقي فناء يبغي نفسه. وخراب يعزُّ وصفه.

فرضي الله عن القوم ورضوا عنه. ما عرفوا سوى الحق تعالى. انخلعوا عن السوى. وتاهوا في الحمى. وما ذاك إلا لمحبتهم المجردة له. وتوجه بمجموع إراداتهم إليه. وصلى الله على فتى الوجود وقدسه. وروحه وهيكله. المحيط الأعظم. ونفثه وحدثه. وكرسيه وعرشه. وناره وجنته. ولوحه وقلمه. وعلى الآل والأصحاب. ما داع دعى. وعقل وعى.

وبعد

فهذا ديواني المسمى (عروج الأشباح إلى منازل الأرواح). قد جعلت فيه طائفة من شعري. وبنات فكري وعقلي.

كما فعلت في ديواني المسمى (نوح العندليب من هجر الحبيب).

وإني ما قلت الشعر وحق روح القدس إلا عزًّا. ووجدًا. وعشقًا. وهيامًا. فإنَّا معشر الصوفية غير متكلفين ولا متصنعين. بل لغتنا تنطق عنا. وهوانا سره يتكلم بنا. ما ثَمَّ غير هذا المعنى. فافهم كيف شئت. وارو عمن رويت. فإن ألسنة الأكوان ناطقة بنا وعنا وفينا وإلينا. والسلام.

« قصيدة بلوغ العارف إلى ديار المعارف »

كسرت قيود الشرك عن عنق ملتي ... لكون قيودي قد أذلت بصيرتي
هنــاك انطلقــت في سماء إرادتي ... ورحت أجول في ميادين عزتي
هنـاك شربنــا والشـراب بقيـتـي ... وقد أسكــر الخمار قومـاً بفضلتي
شربنـا رحيقـاً غير أني لم أغــب ... بشربي وغيري غــائــب في بقيتي
صفائي صفاء نــوره مـن زجـاجـة ... وضـوء سناهـا قـد أضـاء بهمتي
أحبــة قلبي والغــرام ملــوعــي ... أراكم بقـربي في بعــادي وغــربتي
دعوا القلب يشرح والغـرام يحدث ... أحـاديـث ليلى والربــاب وعــزة

ففـي خـبر سلمـى ثم ميـة قصتي وفي هجـر لبنـى ثم زينـب راحتي
لـذاك تـراني كنـت أكتم عبرتي إذا ذكر العشـاق صـونـاً لـدمعتي
وفي بـاطني قلـب تمزق لبـه وإن دمـاه مـن دمـوعـي السخيـة
فبعـدكم قـربٌ وقـربي بعـدكم وتعـذيبكـم حلـو فـرفقـاً بمهجتي
ديـار لليـلى في بـلاد بعيـدة أراهـا بجنبـي رغـم بعـد المسـافـة
يظـن عـذولي أننـا في تبـاعـد ويحسد شـوقـي إذْ يـراني بلـوعـة
ورغـم بعـاد في المسـافـة بيننـا تـرانـا نقبـل بعضنـا بحرارة
وذا عجـب مـن قـربنـا وبعـادنـا وما عرف العشاق معنـى المسـافـة
تلاحظنـي ليـلى بعـين خفيـة وكـل منـاهـا أن تنـال محبتي
وتكتم حبي عـن عيـون عـواذلي وتنطـق جهـراً إن ظفـرنـا بخلـوة
عيون القلى تبدي نفوسـاً مـريضـة وعينـك ليلي في الحنـان اطمأنـت
أذوب غرامـاً إنْ نظـرت جمالكـم وأفنى فأنسى كـل شـوقـي ومتعتي
فيكمـل أنسي بعـد طـول تصبري وأحظى بـوصـل نلتـه بعـد بلـوة
جننـا بليلى وهـي جنـت بغيرنـا ومـن غيرنـا جنـوا بنـا في المحبـة
أصـول الهوى منـا تبـدت لغيرنـا فكـل محب قـد فنـا في محبتي
وبالدف والألحان قد نلت حظـوتي سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي
سل القس والرهبان عن صنف نحلتي سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي

«قصيدة العذاب المستطاب والسحر المذاب»

أخذتم فـؤادي مـن حشـاي وسرتم فردوا فؤادي فـالشغـاف سكنتم
لقد ضاع عمري بعد طول رحيلكم وطـال انتظـاري والدمـوع سكبتم
أحبـة قلبي قـد ملكتم حشـاشتي فجودوا بـوصـل فـالفـؤاد شغفتم
حـرام عليكـم كـل ذلي في الهوى فما أنـا إلا عبـدكم قـد ملكتم
أردتم شرائـي أم مبيعـي فـإنني أطـاوع فيكـم كـل أمـر حكمتم
رضـاكم رضـاي قـد سلبتم إرادتي وسخطكم سخطي فكونـوا كما شئتم
أسـائـل ليلى والنجـوم عـن الهوى ولا ردَّ يـأتي ألخصـام أردتم؟

جنوني قديم في تعشق روحكم ... ودائي عضال والدواء منعتم
أكابد شوقي في هواكم وأنتم ... صدود علينا بالصدود قتلتم
بكيت طويلاً من مرير فراقكم ... فأين فؤادي قد سلبتم وجرتم
ألاحظكم والشوق مني محدث ... ألا سر يا زمان الوصل عدنا وعدتم
ألا لا أعاد الله هجران بيننا ... فما خنتكم يوماً ولا الصب خنتم
رقيق فؤادي ليس يقوى لهجركم ... فرقوا لضعفي والضعيف رحمتم
وهبت حياتي كي أفوز بنظرة ... وكم من دماء في هواكم سكبتم
أنازع وقتي في انتظار رجوعكم ... وأحصي الثواني والوعود خلفتم
أجامل نفسي بالتصبر في الهوى ... وشوقي جمر واللهيب ضرمتم
أقاسي هواكم لحظة بعد لحظة ... وإن دموعي من دما ما جرحتم
أسامركم والنفس تهوى لقاءكم ... وما أتعس الدنيا إذا ما رحلتم
ألا أيها النجم المضيء بحيهم ... سلامي إليهم من محب أسرتم
لقد صار جسمي ناحلاً بعد هجركم ... وذاب فؤادي بالجوى قد أذبتم
دعوني وشوقي فالفؤاد قد اكتوى ... وفاض غرامي والضلوع سكنتم
وكل مناي أن أرى ضوء وجهكم ... فيحي قتيلاً قتله قد هويتم

«قصيدة فناء المحب المغلوب في أوصاف الصب المحبوب»

رأيت محباً يبكي على إلفه ... ويسكب دمع العين من قلب عطفه
فذكرني حبيباً طالما زرته ... وليس بقلبي سوى جرح سيفه
إذا زرته أوصد الباب ضاحكاً ... وصدّ صدوداً صده سحر عنفه
يداري هواي كي أموت زيادة ... وإني أموت كل يوم بحتفه
بكيت طويلاً من تتابع ظلمه ... وإني نضجت من تلظي رضفه
رقيق فؤاد غير أن طباعه ... تخالط مكراً من عجائب وصفه
وليس بعيب أن تراه مماطلاً ... فإن دليل المكر من فن ضعفه
جفون ضعاف غير أن وراءها ... جنود المنايا قد أسرن بشغفه
حويت معانٍ أنت فيها مكمل ... وريقك سكر قد سكرنا برشفه

بديع المحيا من تقاطيع يوسف وجورك عدل من قوانين عرفه
إذا وافقته يبديني أني مخالفٌ أشد عذابي أن يضنَّ بحرفه
إذ كلمته أبقى الجواب تعمداً وهجر جوابي من حقيقة كيفه

« قصيدة مسامرة روح القُدس على بساط الأُنس »

أما تراه غربني عز الأوطان شردني
وبالهجران أتحفني عن الخلان أبعدني
وكنا قد تعاهدنا مدى الأيام يصحبني
فغار الدهر تفريقاً ففرقه وفرقني
غريب طاف بلدانا لعلَّ الدهر يجمعني
أما تذكر تمازحنا وروح الروح يبصرني
وماء القدس يغسلني نسيم القرب أثلجني
لعاب الصب مازجني وبالترياق بلسمني
فذابت كل بلوانا وروح الصب قربني
وجمع الجمع أفنانا فلا أبصر سوى عيني
أنا أنت بلا شك وما أنت سوى عيني
توحدنا تمازجنا فلا فرق يكدرني
ولو غبت لحيظات لكاد البعد يقتلني
جبال الحب حملني بحار العشق أشربني

« قصيدة إبداء ذرة من الشوق المحتوم إلى جناب القطب المكتوم »
شيخنا أحمد التجاني قدس الله روحه العزيز

قم واطرب القوم حادينا بنادينا فإنَّ داعي الهوى أضحى ينادينا
هذا النسيم نسيم الوصل فينا سرى هذا الحبيب أتى يسقي المحبينا
لا يعجب الناس منا إننا نفر يميتنا الشوق أحياناً ويحيينا
تلومنا في الهوى قوم لتردعنا عنه ولم تدرِ أن اللوم يغرينا

لا يستفيق ولا يصحو منادمنا ... ولا يمل من النجوى منادينا
ونفحة القدس تأتينا فتسكرنا ... من حضرة الغوث أبي العباس حامينا
تراه في الديوان والأقطاب قبضته ... مدوا الرقاب لقدميه ليرضينا
مقامه الختم الذي من زار حضرته ... ضجت بدعوته الأملاك تأمينا
والله ما دار فينا ذكره وجرى ... إلا ودارت مسرات الهنا فينا
كلا ولا أنشد الحادي مدائحه ... إلا تحكم بالألباب حادينا
كلا ولا نسمت فينا نسائمه ... إلا وعربد بين القوم صاحينا

« الفتح المشهود في مدح عملاق الوجود »

وهي في مدح شيخنا قطب الزمان عبد المجيد الشريف رضي الله عنه

غوث وقطب وفرد في المقاماتِ ... بحر وحبر وختم في الكمالاتِ
صحو ومحو ولوح في البداياتِ ... عشق ومحق وسحق في النهاياتِ
هام الوجود اختيالاً عند رؤيته ... عند التروحن يسري في الجمادات
دك الوجود جبالاً عند رؤيته ... لما أفاق تجلي في الإحاطاتِ
غوث تعالى فباهي كل منفرد ... يوحي الحقائق في أقصى المذاقاتِ
جن الوجود غراماً من حقائقه ... غني ليفشي أسرار المقاماتِ
فرد تغول في أسرار صنعته ... جبل تعمق في قاع المحيطاتِ
غوث تقطب في ديوان حضرته ... يهب العطايا لأبدال الإراداتِ
دعني أغازل فرد الوقت سيده ... إني قتلت بسهم في لحيظاتِ
سائل كؤوس الطلي من ذا يراشفها ... رشفاً بديع اللمى أفناني ساعاتِ
والخمر فارت وراقت وهي صافية ... للقوم تحلو فنفنى في المذاقاتِ
كلي وبعضي وجزئي بل وذراتي ... روح لذاك الفتى آه للوعاتِ
لما رآنا الهوى سحراً بذي سلم ... تهنا دلالاً على أهل السمواتِ
روحي وقلبي وعقلي فيه قد ذابوا ... لما سقاني بكأس الوصل كاساتِ
آه لذاك الهوى آه لآهاتي ... صح التأوه قم عربد بحضراتي
غبنا فنينا نسينا من تواجدنا ... لما حضرنا بديوان الكمالاتِ

بحر الفتـوة يسقـى كـل آنيـة | حتى البحور استمدت والمحيطـاتِ
عنه فحدث بديـوان بغـار حـرا | في الأرض تعشقه أهـل السمـواتِ
زلزل ودكرك وارفع من أمرت بـه | واخفض بأيد التصرف في الإحاطاتِ
أنت الخليفة غوث الوقـت مفـرده | ابـن النبي وعنـه ورثـت تـركـاتِ
كنـز الصفـات وفي الأسماء عملاق | نلت المفـاتـح مـن أهـل النبـواتِ
بحر الولايـة في تيـاره غـرقـت | كل الفحول وبل كـل المحيطـاتِ
ختم تـربـع في الديـوان مفتخـراً | فـوق الملـوك سلاطين المقـامـاتِ
دك الفطـاحـل والأوتـاد والنقبـا | لمـا تجـلى لأبـدال الكـمالاتِ
حدث نسيم الصبا عني وقد لعبـت | خمر الغرام بروحـي فـانمحـى ذاتي
حتى سألت حبيب الروح عن صفتي | قـال اتحدنـا وقـد تمت مـراداتي
لوح الوجـود وعـرش الاستـوا قلم | نـار وجنـة فـردوس النهـايـاتِ
إرث النبي كنـوز نلـت جـوهـره | بعـت المقـام الأقطـاب المقـامـاتِ
ليس الولايـة في صـوف ومسبحـة | عين الولايـة في تـرك الكـرامـاتِ
طلـق سليمـى وليلى كـل ثـانيـة | نزه فؤادك عـن حـب المقـامـاتِ
حدث ولمح وغـطِ السر بـرمـوزي | فإذا سكرت فصن سري بشطحـاتِ
أنت العشيـق ورب العشـق منفـرد | وأنـا القتيـل بـأسيـاف المليحـاتِ
بيني وبينـك سر ليس يعلمـه | إلا النسيم جنننـا بـالكنـايـاتِ

« رجوع إلى قصيدة إبداء ذرة من الشوق المحتوم
إلى جناب القطب المكتوم رضي الله عنه »

طابت بأخبـاره الأرواح وانتعشـت | كـأن في ذكـره ورداً ونسرينـا
لما لا نهيم غـرامـاً في محبـة مـن؟ | يلـوذ حـاضرنـا فيـه وبـادينـا
هـو الهمام الذي إمـداد همتـه | مـن المهمات في الداريـن تنجينـا
غوث الوجود سحاب الجود بدر هدى | بنـوره لطـريـق الله يهدينـا
بحر الحقـائـق في تيـاره غـرقـت | أولو النهي وبـه هـام المحبـونـا
يسقى نفوس الهوى من بحر همتـه | ومن كؤوس شراب الحب يسقينـا

يبري رقاب العدي في سبق همته		قطعاً ومن سائر الأسقام يبرينا
لا تعجبوا من جنوني في محبته		إني بليلي هواه صرت مجنونا

« قصيدة رشف ثغر الصب
على بساط القرب »

دلال الصب أحياني		وطول الوصل أفناني
وغبنا في تمازجنا		فلا أبصر سوى الفاني
ورشف الثغر يرشفني		بلا ثغر وشفتان
فصرنا واحداً يبدو		ولا يبدو لإنسان

« قصيدة لامية الدلال »

وخلِ أغراه الحلمُ		بعدَ طولِ تجملي
أم اللوعةُ الحرى		أجلْ تقطعُ في كلي
وكيفَ يروقُ الخلُ		نزراً من النهلِ
سأصرمُ بعدَ العذل		إصْري فلا تقلِ
وخلِ أغراه الحلمُ		بعدَ مُرِ تذللي
دنا طيفُكَ النائي		هَوّنْ رؤى الشكلِ
فَأُريتُ سطرَ النورِ		يَسري إلى الظلِ
وأنستُ كلَ الأنسِ		أدْنو بِلا سدلِ
فَيحارُ هدبُ الطَرفِ		هَمْزٌ بِلا وصلِ
حُوْرٌ جرَحتْ جفوناً		تَقتلْ بِلا سَلِ
رَبّاه هذا الدلالُ		جَبلٌ من الثقلِ
انظرْ تلكَ اللحاظَ		أسْقِمن من نكلِ
أراكَ خفيَّ الطيفِ		تبدو بِلاً ميلِ
أراكَ نحيلَ الخصرِ		تأسرْ بِلا كبلِ
أراكَ ضعيفَ الجفنِ		حورٌ بِلا كحلِ

هلْ أنتَ مـن الأرواحِ جِسمٌ بِلا ظِـلِّ
هـل تـدركُ الأشبـاحُ نسجـاً مـن الغـزلِ
أينـا سَهِـدَ يطـوي زلفـاً مـن الليـلِ
كم بلبـل يشجـو لحنـاً غير يسلي
هـل يسكـر الأقـداحَ صـاعٌ مـن الطـلِ
إن تنفس الصبـحُ فقد فـزتَ بـالشمـلِ
كـذا مشربُ الأرواح نُهـر مـن السيـلِ
وأنسٌ وقبضٌ بسطٌ وجمعٌ وجمعُ الشمـلِ
وأشـواقٌ قـد تطيرُ قد تحصى على الرمـلِ
وغصـتُ بحارَ العشقِ حتى فنـا أصلي
وزهـدتُ في الأغيـارِ لا أبغـي سـوى وصلي
ويهمسُ ثغـرُ الصـبِ زدني على المهـلِ
وعدنتُ في الروضـاتِ انظـرْ إلى رفلي
ونفـحٌ مـن الطيـبِ من حظـيرةِ الليـلِ
وجـاءتْ فتـاةُ الحيِ تمشي على مهـلِ
فهمتْ غزيـرَ القطـر تبكـي على جهـلِ
فشفـت وغيرَ الصدرِ مـن تـأزمِ الحيـلِ
فأضحتْ تزجي آهـاتِ على غـابـرِ الأمـلِ
فـرحـتُ أكفكفهـا بثـوب من السحـلِ
أأكتمُ جفـوَ الكـلِ كـي أنجو مـن النيـلِ
أم أشكـو إلى الخلِ كي أصبو إلى العَـذلِ
حسـنٌ مـن اللهِ عن حسنك لا تسـلِ
إنْ أنـتَ إلا ملـكٌ من يوسفَ في الأصـلِ
إن بـرقـتْ ثنـايـاه كادَ يُمذي بـالعسـلِ
إن كُشِفـتْ ستـائـرُه كـادَ يصرعُ بـالخَبْـلِ
وإنْ أطْلَـقَ الألحاظَ فـالقتـلُ بـالأسـلِ

لوْ أُغْضِبَ المحبوبُ يا ويلي كلَّ الويلِ
إنْ وزنتْ جبالُ ما في الحرمِ والحِلِ
لرجحتْ رزانتُهُ ملءَ الأرضِ مِنْ جَبلِ
إنْ قِيستْ فصاحتُهُ دَلَّ الكلمُ عن صَقلِ
إنْ أخْرَجَ الألفاظَ تاه مع القَولِ
من ينكرْ ملاحتَهُ إلا خِبٌ ذو خَبْلِ
من ينصفُ المظلومَ خلٌ بغي قتلي
لو ذقتَ من ريقِ الخِلِ ذقتَ الخمرَ بالعَسلِ
إنْ طفتَ آثارَ القومِ لا تحملْ على جَملِ

« قصيدة تقبيل الثغر بقبل الجمر »

دعني أقبل هذا الثغر يا أملي فإن عشقك قد أمسى يعللني
إني قتلت مراراً من تدللكم إني أبحت وصالي من يقبلني
هاك الفؤاد وإني لست أحمله قد فزت أنت به والصبر جملني
من ذا يرق لخل ضاع معظمه قد ضاع في حب والحب قتلني
أنت المراد الذي لا زلت أذكره مر الدهور وإنَّ الدهر يبلوني
زاد الدلال فكأسي ليس يقبله ته في الدلال وإنَّ هواك أنحلني
دعني وشأني فحبي بات يقلقني أمست لواعجه في الدهر تشجوني
هذه حياتي فخذها أنت مالكها كلي إليك وهذا ليس يشفيني
بح لي بحب وإني رمته دهراً فيه حياتي وروحي أنت تحييني
إني أحب وخلي ليس يرحمني قد بات يسهرني والنوم يهجرني
خذ من هواي دليلاً لست أقبله كيما تقيم خصاماً عنك يصرفني
ما لي سئمت حياتي فالأسى عذب لا الماء يرويني والخل ينكرني
أهلاً بأهل الهوى والحي حيهم قد مارسوا الشكوى والشك يقلقني
إني رقيق فؤاد في الهوى حدث قد غره الحب والأحوال تنقلني
إني أمج فؤادي في فم عطر فإن ريقك في ريقي يرويني

لا أستلـــذ ولا تحلــو منـــادمـــة   حتى تلـــذ وأنس منـــك يفنيني
سل فالأحبة مذ عشقوا وما سألـوا   إن السؤال عـن الأحبـاب يكفيني
هلا نظـرت إلى حـــالي وتســـألني   عن صدق حبي وسر هـواك يغنيني
دعنا وعتب فإن النفس قد سئمـت   طول العتاب فترك العتـب يغـريني

« قصيدة »

الشرع ســـور قـــد أحـــاط بجانبي   وحقيقتي تخفـــى عـــن الجهــــال
تسعون بحراً قد جـرت في بـاطني   مـــا غيبتني عـــن حقيقـــة حـــال
مـوسى كليم الله يحكـم ظـــاهــراً   والخضر يحكـم بـالقضـــا في الحال

كتاب
الحديقة الزوراء في فضل عاشوراء

هذا جزء قد جمعته في فضائل عاشوراء وما ورد فيها. قال في القاموس: العاشوراء والعشوراء ويقصران. والعاشور عاشر المحرم أو تاسعه اهـ.

قال الفيومي في المصباح المنير في كتاب التاء مع السين والعين (التسع): وقوله عليه الصلاة والسلام (لأصومن التاسع) مذهب ابن عباس وأخذ به بعض العلماء أن المراد بالتاسع يوم عاشوراء. فعاشوراء عنده تاسع المحرم. والمشهور من أقاويل العلماء سلفهم وخلفهم أن عاشوراء عاشر المحرم. وتاسوعاء تاسع المحرم. استدلالا بالحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام صام عاشوراء فقيل له ان اليهود والنصارى تعظمه فقال فإذا كان العام المقبل صمنا التاسع فإنه يدل على أنه كان يصوم غير التاسع فلا يصح أن يعد بصوم ما قد صامه وقيل أراد ترك العاشر وصوم التاسع وحده خلافاً لأهل الكتاب وفيه نظر. لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً». ومعناه صوموا معه يوماً قبله أو بعده حتى تخرجوا عن التشبه باليهود في إفراد العاشر. واختلف هل كان واجباً ونسخ بصوم رمضان أو لم يكن واجباً قط. واتفقوا أن صومه سنّة وأما تاسوعاء فقال الجوهري اظنه مولدا وقال الصغاني مولد فينبغي أن يقال إذا استعمل مع عاشوراء فهو قياس العربي لأجل الازدواج وإن استعمل وحده فمسلم وإن كان غير مسموع. اهـ.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: عشّرت القوم تعشيراً إذا كانوا تسعة فجعلتهم عشرة. وحمار مُعَشِّر: شديد النُّهاق متتابعه لا يكف حتى يبلغ به عشر نهقات. وعندي ثوب عُشارِي أي عشرة أذرع. اهـ.

عن الحكم بن الأعرج رضي الله عنه قال: انتهيت إلى ابن عباس فهو متوسل رداءه عند زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً قلت هكذا كان رسول الله (ﷺ) يصومه قال نعم رواه الخمسة إلا البخاري.

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله (ﷺ) يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى قال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله (ﷺ).

وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله (ﷺ) بصوم عاشوراء يوم العاشر. وروى الأربعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله (ﷺ) يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه. رواه البخاري.

وروى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم فقال رسول الله (ﷺ) فصوموه أنتم.

وروى الشيخان والنسائي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: أمر

النبي (ﷺ) رجلاً من أسلم أن أذِّن في الناس أنَّ من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء.

وعن الرُّبَيِّعِ بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ﷺ) غداة عاشوراء إلى قُرَى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العِهْن. فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه إلى الإفطار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت رسول الله (ﷺ) يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء. وهذا الشهر شهر رمضان.

هذان الحديثان رواهما الشيخان.

وروى الخمسة إلا البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله.

وروى الطبراني والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من وَسَّعَ على عياله في يوم عاشوراء وَسَّعَ الله عليه في سنته كلها.

وثبت في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صومه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر.

واعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور سلفاً وخلفاً والأئمة الأربعة أن عاشوراء هو اليوم العاشر لا التاسع وهو الموافق للاشتقاق. ولكن قال الشافعي وأحمد: يندب صوم التاسع والعاشر لأن النبي (ﷺ) وإن صامها منفردين ولكنه نوى صومها معاً إنْ طالت حياته ولقول ابن عباس: صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وكان بعضهم يصوم التاسع والعاشر والحادي عشر وهذا أحوط والله أعلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) لم يكن يتوخى فضل يوم على يوم بعد رمضان إلا عاشوراء. رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

وعنه أن النبي (ﷺ) قال ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء رواه الطبراني في الكبير والبيهقي ورواة الطبراني ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه ومن صام عاشوراء غفر له سنة رواه الطبراني بإسناد حسن. وروى أحمد عن أبي هريرة قال سر النبي (ﷺ) بأناس من اليهود صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا من الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى شكراً لله عز وجل فقال النبي (ﷺ) أنا أحق بموسى ونوح بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم.

وروى أحمد والبزار عن ثوير بن أبي فاختة قال سمعت عبدالله بن الزبير وهو على المنبر يقول: هذا يوم عاشوراء فصوموه فإن رسول الله (ﷺ) أمر بصومه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): عاشوراء عيد نبي كان قبلكم فصوموه أنتم رواه البخاري وفيه إبراهيم الهجري وثقه ابن عدي وضعفه الأئمة. وعن عليلة عن أمها قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة يا أمة الله حدثتك أمك أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يذكر صوم عاشوراء قالت نعم وكان يعظمه حتى يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في أفواههن ويقول للأمهات لا ترضعوهن إلى الليل. رواه أبو يعلى.

وعن زيد بن ثابت قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله الناس إنما كان يوم تستر فيه الكعبة وتغلس فيه الحبشة عند رسول الله (ﷺ) وكان يدور في السنة وكان الناس يأتون فلاناً اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه رواه الطبراني في الكبير.

وعن قيس بن عبد قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما رأيته مصلياً الضحى وما رأيته صائماً يوماً تطوعاً إلا يوم عاشوراء رواه الطبراني في الكبير.

وروى أبو يعلى عن أنس عن النبي (ﷺ) قال فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء. وفيه يزيد الرقاشي.

وعن عائشة أن النبي (ﷺ) أمر بصيام عاشوراء يوم العاشر رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

كنوز الذهب
وقانون بلاغة العرب

الحمد لله،

الذي أبرز عيون الحقائق البلاغية، وأجلى ألسنة الرموز الفصاحية، وعلمها لهذا الآدمي، ومنذ النشأة علم الأسماء كلها لآدم المصطفى الصفي، فرفع الحق تعالى قدر الآدمية بملافظ اللسان، وأعلى ذكره بروائع البيان، وتوّجه بأن ذكره بلسانه بجمال الفصاحة، ودعاه بكلمات رقيقة البلاغة والملاحة.

هذا وأصلي وأسلم على ترجمان البلاغة، وقطب الفصاحة، من أوتي جوامع الكلم، وحاز أعلى منازل الهمم، مولانا كعبة الوجود، وعرش الشهود، **محمد** النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

وبعد،

فهذا كتابي في علم البلاغة المسمى «كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب» وقد جمعته من عدة كتب من أمهات كتب البلاغة وأصولها مثل كتاب «نهاية الأدب» للنويري وكتاب «الاشارات والتنبيهات» للجرجاني وكتاب «العمدة» لابن رشيق وكتاب «البديع في نقد الشعر» للأمير أسامة بن منقذ وكتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري وقد جعلت فهرست الكتاب كالآتي:

(المطابقة) (الظرافة)

(الجناس)
(المقابلة)
(الموازنة)
(التقسيم)
(جمع الأوصاف أو التعقيب)
(التقعيب)
(التفسير)
(الإشارة)
(الإرداف والتوابع)
(المماثلة)
(الغلو)
(التذييل)
(التطريز)
(الترصيع)
(التوشيح)
(التلطف)
(التشطير)
(التطريف)
(الترديد)
(المضاعفة)
(التسميط)
(القلس)
(الاستعارة)
(التتميم)
(الاحتراس)
(التنكيت)

(التناقض)
(المبالغة)
(الالتفات)
(الرجوع)
(الاستطراد)
(الاستخدام)
(التعطف)
(المجاورة)
(الاستثناء)
(السلب والإيجاب)
(جمع المؤتلف والمختلف)
(النفي)
(التكرار)
(التجريد)
(المناسبة)
(المشاكلة)
(الإرصاد والنقض)
(المزاوجة والجمع)
(اللف والنشر)
(المحاجة)
(التعليل)
(الإطراد)
(الاستتباع والإدماج والتوجيه)
(الحشو)
(التشكيك)
(الانصراف)

(التعليق)	(الالتقاط)
(التورية)	(التثليم)
(الإيغال)	(الإبهام)
(الاعتراض)	(التضمين)
(الإغراق)	(التفريع)
(التسهيم)	(الإبداع)
(التجاهل)	(الفلك والسبك)
(الإغراب)	(القوة والركاكة)
(التفويف)	(النادر والبارد)
(التهجي)	
(الانسجام)	

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المطابقة: إجماع الناس قائم على أنها الجمع بين الشيء وضده في الكلام مثل الجمع بين الحر والبرد والليل والنهار والإيمان الكفر والغضب والحلم. والطباق في اللغة الجمع بين الشيئين يقولون ـ طابق فلان بين ثوبين.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: في باب طبق ـ «وافق شَنٌّ طبقة»: عطاءه. وأطبقت الرَّحى إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل. وطابق الغطاء الإناء. وانطبق عليه وتطبق. ويقال: لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت والسموات طِباقٌ: طبقة فوق طبقة ـ اهـ.

ومن صنوف الطباق: مما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾ وقوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا﴾. وقوله تعالى: ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾. وقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾. وقوله تعالى: ﴿وإنه هو أضحك وأبكى وإنه هو أمات وأحيي﴾. ومن الشعر قول أوس بن حجر:

«أطعنـــا ربنـــا وعصـــاه قـــوم فـذقنـا طعـم طـاعتنـا وذاقــوا»

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى ويكون تامًا وغير تام.

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين: بأن التجانس في اللفظ واشتقاق المعنى وتأليف الحروف. اهـ.

والتام منه ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب نحو:

«لم نلـق غيرك إنسـانًـا يلاذ بـــه فلا برحت لعين الدهـر إنسـانـا»

وغير التام نحو:

«يمدون من أيْـد عَـواص عـواصم تصول بأسياف قواض قـواضـب»

ومن التجنيس في القرآن قول الحق تعالى: ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ وقوله تعالى: ﴿أزفت الآزفة﴾ وقوله تعالى: ﴿وجهت وجهي﴾ وقوله تعالى: ﴿التفت الساق بالساق﴾. ومن كلام النبي ﷺ (عصية عصت الله ورسوله. وغفار غفر الله لها. وأسلم سالمها الله). وعدد الأمير أسامة بن منقذ في كتابه البديع ثمانية أجناس فمنها «التجنيس المغاير» وهو أن تكون الكلمتان اسمًا وفعلًا مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ وقوله تعالى: ﴿وجهت وجهي﴾.

والنوع الثاني «التجنيس المماثل» وهو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين كما قال الله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾ وقال تعالى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ والنوع الثالث تجنيس التصحيف: وهو أن تكون النُّقَط فرقًا بين الكلمتين كما قال أبو تمام:

السيف أصـدق إنبـاء مـن الكتـب في حَـدّه الحدُّ بين الجدِّ واللعـب

والنوع الرابع تجنيس التحريف: وهو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين ومثاله:

أحبابنا ما بين فر قتكم وبين الموت فرق
جازيتمونا في بعا دكم بما لا نستحق
أفنيتم العبرات فابقوا وملكتم رقى فرقوا

والنوع الخامس تجنيس التصريف: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف كقول الله تعالى: ﴿لكنا أهدى من إحدى الأمم﴾ وكقوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾.

والنوع السادس تجنيس الترجيع: وهو أن ترجح الكلمة بذاتها. كما قال الله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ وكقوله جل جلاله: ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾.

والنوع السابع تجنيس العكس: وهو أن تكون الكلمة عكس الأخرى كما قال الله تعالى حكاية عن هارون: ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾. والنوع الثامن تجنيس التركيب: وهو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين كقول المعري:

البابلية باب كل بلية فتوقين دخول ذاك الباب

وكقول بعض الصالحين: إنما سمي الدينار دينارًا لأنه دين ونار وإنما سمي الدرهم درهمًا لأنه يدر الهم. انتهى كلام الأمير أسامة. وقيل الجناس هو ما اتفق لفظًا في أربعة أمور: نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها وهو قسمان متماثل ومستوفى.

قال الفيومي في المصباح: (الجنس) الضرب من كل شيء والجمع أجناس وحكى عن الخليل هذا يجانس هذا أي يشاكله ونص عليه في التهذيب وعن بعضهم فلان لا يجانس الناس إذا لم يكن له يقين ولا عقل والأصمعي ينكر هذا الاستعمال ويقول: هو من كلام المولدين. وليس بعربي.

قد ذكر ابن رشيق في كتابه العمدة «باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة» وقال فيه: ومن ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين:

كقولهم «جلَلَ» بمعنى صغير «وجلل» بمعنى عظيم. فإن باطنه مطابقة وإن كان ظاهره تجنيسًا وكذلك الجون الأبيض والجون الأسود.

المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب نحو قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا﴾. قال العسكري في الصناعتين: المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل مثاله قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم. انتهى.

قال ابن رشيق في العمدة: المقابلة: هي مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم هذا حد ما اتضح عندي وهي تتصرف في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطى أول الكلام ما يليق به أولًا وآخره ما يليق به آخرًا. وأكثر ما تجيء في الأضداد. ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز من المقابلة:

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب. فهذا من سوء المقابلة. وإن عده الجرجاني غلطا في التشبيه.

الموازنة: ومن المقابلة ما ليس مخالفًا ولا موافقًا كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة:

أخلاق مجد تجلت ما لها خطر في البأس والجود بين الحلم والخبر

التقسيم: وهو استيفاء أقسام الشيء.

قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التقسيم هو أن يقسم المعنى بأقسام تستكمله فلا تنقص عنه. ولا تزيد عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾. انتهى.

وقال العسكري في الصناعتين: التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة

مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه. انتهى.

وقال ابن رشيق في العمدة: اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة:

بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجّى الفرار مثالبه
فراح فريق في الأسارى ومثله قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان: إما موت وإما حياة والبيت الثاني ثلاثة أقسام أسير وقتيل وهارب. فاستقصى جميع الأقسام ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر.

وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر لجعفر يصف فرسًا:

أما إذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٌ قموصُ الوقع عارية النَّسا
أما إذا استعرضته متمطرًا فتقول هذا مثل سِرْحَان الغضا

واختاره أيضًا قدامة وليس عندي بأفضل من قول امرىء القيس إلا بشرف الصفات:

إذا أَقْبَلَتْ قلت دُبَّاءَة من الخُضْرِ مغموسة في الغُدُرْ
وإن أدبرت قلت أُثْفيّة ململمة ليس فيها أثرْ
وإن أعرضت قلت سُرْعُوفة لها ذَنَبٌ خلفها مُسْبَطِرْ

جمع الأوصاف أو التعقيب: هو نوع من التقسيم ذكره ابن رشيق في العمدة وقال: زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول عمر بن أبي ربيعة:

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر
ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت صابر

واختار قوم قول الحارثي:

فلا كمـدي يَفْنـى ولا لـك رقـةٌ ولا عَنْكِ إقصار ولا فيك مَطْمَع

وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب ـ أو قال: أجمع بيت ـ قول امرىء القيس:

لـه أَيْطلا ظبـي وسـاقـا نعـامــةٍ وإرخاء سِرْحَـان وتقـريـب تَتْفُـل

هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف وسماه بعض الحذاق من أهل الصناعة التعقيب ـ العين قبل القاف ـ.

التقعيب: وأما التقعيب فمكروه في الكلام. بتقديم القاف على العين والتقعيب مثل التقعير وتقول: قعب فلان كلامه قعره وهما بمعنى واحد. قال الزمخشري في أساس البلاغة في «قعب» إياك والتقعيب في الكلام وفلان مُقعِّبٌ: للمتشدق الذي يتكلم بأقصى حلقه ويفتح فاه كأنه قَعْبٌ والقَعْب إناء ضخم. انتهى.

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجبًا بقول العباس بن الأحنف:

ومنـا لكـم صرمٌ وحبكـــم قِلًـــى وعطفكـم صَـدٌّ وسلمكـم حَـرْبُ

ويقول: أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس. حكى ذلك الصولي.

التفسير: قال النويري في نهاية الأرب: هو أن يذكر لفظًا ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير. انتهى.

وقال العسكري في الصناعتين: هو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها فإذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها كقول الله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾. فجعل السكون لليل وابتغاء الفضل للنهار. انتهى.

وقال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التفسير هو أن تذكر جملة فلا تزيد فيها ولا تنقص منها ولا تخالف بينها.

وذكر ابن رشيق في العمدة في «باب التفسير» قال: هو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملًا وقل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد.

الإشارة: هو أن يكون اللفظ القليل مشارًا به إلى معاني كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها. كقول الله تعالى: ﴿**إذْ يغشى السدرة ما يغشى**﴾. وكقوله تعالى: ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾. وكقول تعالى: ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾.

قال الأمير أسامة في البديع: في باب «الكناية والإشارة»: اعلم أن الإشارة إلى كل شيء حسن والكناية إلى كل شيء قبيح. مثل قوله عز وجل: ﴿**فيهن قاصرات الطرف**﴾ إشارةٌ إلى عفافهن. وقوله سبحانه: ﴿**كانا يأكلان الطعام**﴾ كناية عن قضاء الحاجة وقوله تعالى: ﴿**فرش مرفوعة**﴾ إشارة إلى نساء كرام. وقوله تعالى: ﴿**وأرضًا لم تطأوها**﴾ إشارة إلى سبي النساء.

وعدد ابن رشيق في العمدة أنوعًا كثيرة للإشارة فقال: من أنواعها التشبيه ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء ومن أنواعها التعريض ومن أنواعها التلويح ومن أنواع الإشارة الكناية والتمثيل ومن أنواعها الرمز ومن الإشارات اللمحة ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز ومن الإشارات اللحن. ومن الإشارات التعمية ومن الإشارات الحذف ومن أنواعها التورية. انتهى ملخصًا من العمدة.

الإرداف والتوابع: قال العسكري في الصناعتين: الإرداف والتوابع أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده مثل قوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ وذلك أن الناس يتكافون عن الحرب من أجل

القصاص فيحيون فكأن حياتهم ردف للقصاص الذي يتكافون عن القتل من أجله. انتهى.

المماثلة: قال العسكري في كتابه الصناعين: المماثلة أن يريد المتكلم العبارة فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أنه ينبيء إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم فلان نقي التوب يريدون به أنه لا عيب فيه. ومن القرآن قوله تعالى: ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا﴾. وكقوله: ﴿هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾ ومن السنة قوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن» أراد المرأة الحسناء في المنبت السوء فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلًا. انتهى.

الغلو: قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في كتابه نهاية الأرب: وأما الغلو فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئًا واحدًا. ومن شواهده قول المتنبي في وصف الأسد:

وردٌ إذا ورد البحيرة شاربًا   بلغ الفرات زئيرُه والنِّيلا

وقال العسكري: الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها كقول الله تعالى: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾. وكقوله تعالى: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾. انتهى.

التذييل: هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه وهو ضد الإشارة والتعريض.

ومثاله من القرآن قول الله عز وجل: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾.

قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن التذييل هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها كقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ ثم حقق الكلام بقوله: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾. اهـ.

التطريز: قال العسكري في الصناعتين: هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب وهذا النوع قليل في الشعر وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر:

إذا أبو القاسم جادت لنا يده ... لم يُحْمَد الأحمدان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته ... تضاءل الأنوران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حَدَّ عزمته ... تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يكن حذرًا من حر صولته ... لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

الترصيع: قال ابن رشيق في العمدة: إذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعًا أو شبيهًا بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابًا عظيمًا قال مسلم بن الوليد صريع الغواني:

كأنه قمر أو ضيغم هَصِر ... أو حية ذكر أو عارض هَطِل

وقال أبو تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

قال العسكري في الصناعتين: الترصيع هو أن يكون حشو البيت مسجوعًا ـ اهـ.

قال أسامة في البديع: مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ ومثل قول المتنبي:

في تاجه قمرٌ في ثوبه بَشَرٌ ... في دِرْعِهِ أسد تَدْمى أظافره

قال النويري في نهاية الأرب: أما الترصيع فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز كقوله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾.

وقول النبي ﷺ: «اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي». انتهى.

التوشيح: قال أسامة في البديع: اعلم أن التوشيح هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه اهـ.

وقال شهاب الدين النويري في نهاية الأرب: وأما التوشيح فهو أن يكون معنى الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح.

قال قدامة: هو أن يكون في أول البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه - اهـ.

قال العسكري في الصناعتين: سمي هذا النوع التوشيح وهذه التسمية غير لازمة لهذا المعنى ولو سمي تبينًا لكان أقرب. فمما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾. - اهـ.

التلطف: هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه.

قال النويري في نهاية الأرب: التلطف وهو أن يلفق كلامًا مع كلام آخر فيولد من الكلامين كلامًا ثالثًا كما روي عن مصعب بن الزبير أنه وشّم على خيله: (عدّةً) فلما أخذها الحجّاج كتب عليها (للِغَرار).

وقيل للعباس رضي الله عنه: أيما أكبر أنت أو النبي ﷺ فقال: أنا أسن والنبي ﷺ أكبر. اهـ.

التشطير: قال أبو هلال في الصناعتين: وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن وتتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه. - اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يُصرِّع

كل شطر من الشطرين. ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفًا لقافية الآخر. اهـ.

التطريف: قال أسامة في البديع: اعلم أن التطريف هو أن تكون الكلمة مجانسة لما قبلها أو لما بعدها أو متعلقة بها بسبب من الأسباب كقول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قال النويري في نهاية الأرب: وأما المطرف فهو أن يراعى الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى: ﴿**ما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا**﴾. انتهى.

الترديد: هو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ثم تردها فيه بعينها وتعلقها بمعنى آخر. - اهـ. قال ابن رشيق في العمدة: الترديد في أول البيت وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جدًا. والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميري وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله:

ألا حَيِّ من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومًا وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

قال الأمير أسامة في البديع: باب الترديد ويسمى التصدي اعلم أن الترديد هو رد أعجاز البيوت على صدورها أو ترد كلمة من النصف الأول في النصف الثاني. - اهـ.

المضاعفة: هو أن يتضمن الكلام معنيين معنى مصرَّحًا به ومعنى كالمشار إليه وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾.

التسميط: هو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة كقول مروان بن أبي حفص:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطو أطابوا وأجزلوا

فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والأجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد.

العكس: العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول وبعضهم يسميه التبديل وهو مثل قول الله عز وجل ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾.

قال أسامة في البديع: اعلم أن العكس هو أن تأتي الجملتان إحداهما عكس الأخرى كما قال الله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له﴾. اهـ.

وقال النويري في نهاية الأرب: وأما العكس والتبديل فهو أن يقدم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخر ويقع على وجوه: منها أن يقع بين طرفي الجملة كقول بعضهم: عادت السادات سادات العادات. ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾. ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين كقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾. - اهـ.

وقال محمد بن علي الجرجاني المتوفى سنة ٧٢٩ في كتابه الإشارات والتنبيهات: العكس هو أن يوصل كلام بآخر ويعكس كلمتاه. - اهـ.

الاستعارة: قال أسامة في البديع: اعلم أن الاستعارة هو أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول كما قال الله تعالى: ﴿لا تظلمون فتيلًا﴾. و﴿ولا تظلمون نقيرًا﴾ و﴿ما يملكون من قطمير﴾. - اهـ.

قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: الاستعارة هي أن يطلق لفظ المشبه به على المشبه ويراد أنه هو هو في أخص صفاته. - اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في

التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظًا وتقديرًا وإن شئت قلت هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه. - اهـ.

قال أبو هلال في الصناعتين: الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض. - اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حِلَى الشعر أفضل منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزل موضعها.

وقال في موضع آخر: والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارًا ودالة ليس ضرورة لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم. - اهـ.

التتميم: هو أن يذكر الشاعر معنى ولا يغادر شيئًا يتم به إلا أتى به فيتكامل له الحسن والإحسان ويبقى البيت ناقص الكلام فيحتاج إلى ما يتممه به من كلمة توافق ما في البيت. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾.

الاحتراس: هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه كما قال تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ ومن الاحتراس قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

التنكيت: هو أن يقصد القائل شيئًا دون أشياء لمعنى من المعاني ولولا ذلك لكان خطأ في الكلام وفسادًا في النقد ومما ورد في القرآن من هذا قوله تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ لأنها أقوى اليدين.

التعليق: وهو أن تعلق مدحًا بمدح وهجوًا بهجو ومعنى بمعنى ومثاله قول المتنبي:

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا به ... كأنهم فيما وهبت ملام

التورية: قال أسامة في البديع: اعلم أن التورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتوري بالآخر. ـ اهـ. قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التورية هي أن يراد من لفظ له معنيان أبعدهما، إما لقرينة عقلية كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. وقوله: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أو لقرينة لفظية كقول بعض القضاة في ربيع بارد:

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز أنواعًا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرِفتْ فما تفرق بين الجدي والحمل

الإيغال: قال النويري في نهاية الأرب: وأما الإيغال فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام وأصله من أوغل في السير إذ بلغ غاية قصره بسرعة. اهـ. قال العسكري في الصناعتين: وهو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعة ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا وحسنًا. ـ اهـ.

التغليب: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التغليب وهو إذا جمع الشريف وغير الشريف في حكم واحد جعلت الإشارة للشريف كما إذا ذكر المؤنث والمذكر عبر بعبارة التذكير كأكثر أوامر القرآن ونواهيه مثل: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿ولا تسرفوا﴾ ﴿فلا تزكوا﴾ وأمثالها وكقوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ ولم يقل من القانتات.

وكما إذا جمع المخاطب والغائب فيه عبر بعبارة الخطاب كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي من قبلكم لعلكم تتقون﴾ وإذا جمع بين العقلاء وغيرهم فيه عبر بعبارة العقلاء كقوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه﴾ قال: يذرؤكم أي: يثبتكم ولم يقل: يذرؤها.

الاعتراض: قال أبو هلال في الصناعتين: الاعتراض وهو اعتراض كلام

في كلام لم يتم ثم يرجع إليه فيتمه. اهـ.

قال أسامة في باب الاعتراض: اعلم أن الاعتراض هو أن تذكر في البيت جملة معترضة لا تكون زائدة بل يكون فيها فائدة.

الإغراق: الإغراق هو أن يُبالَغ في الشيء بلفظه ومعناه كما قال المتنبي:

عهـدي بمعـركـة الأمير وخيلـه ... في النقـع محجمـةً عـن الإحْجـام

وقال رجل لجعفر الصادق عليه السلام: إني أخاف ذنوبي فقال: هنيئًا لك إنما الخوف ألا تخاف.

قال ابن رشيق في العمدة: وأحسن الإغراق ما نطق به الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها نحو كأن ولو ولولا والإغراق أصله في الرمي وذلك أن تجذب السهم في الوِتر عند النزع حتى تستغرق جميعه وبينك وبين حنية القوس وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الإغراق وهو فوق المبالغة ودون الغلو. ـ اهـ.

التسهيم: قال أسامة في البديع: اعلم أن التسهيم هو أن تعلم القافية لما يدل عليه الكلام في أول البيت. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما التسهيم فهو مأخوذ من البُرد المسهم وهو المخطط الذي لا يتفاوت ولا يختلف. ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئًا واحدًا والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة على ما دون العجز. ـ اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: وقدامة يسميه التوشيح وقيل إن الذي سماه تسهيمًا علي بن هارون المنجم. وأما ابن وكيع فسماه المطمع وهو أنواع الأول منه ما يشبه المقابلة وهو الذي اختاره الحاتمي والنوع الثاني وهو أن يكون معنى البيت مقتفيًا قافية وهو أجود من الأول للطف موقعه والنوع الثالث

شبيه بالتصدير وهو دون صاحبيه. ـ اهـ.

التجاهل: قال الأمير أسامة في البديع: قال صاحب الصناعتين هو أن يقول الشاعر لا أدري أو يستفهم ببعض حروف الاستفهام كقول العرجي:

بـالله يـا ظبيـات القـاع قلـن لنـا ليلاي منكـن أم ليلى مـن البشر

الإغراب: قال أسامة في البديع: قال قدامة: هو أن يكون المعنى مما لم يُسْبَق إليه على جهة الاستحسان قال: فيقال طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فإذا كثر لم يسمَّ بذلك. ـ اهـ.

التفويف: قال الجرجاني في كتابه الإشارات: قد يركب الكلام من المطابقة والمناسبة فيختفي باسم التفويف. ـ اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما التفويف فهو مشتق من الثوب المفوف وهو الذي فيه خيوط بيض وهو في الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أول الغزل. اهـ.

الظرافة والسهولة: قال في البديع: اعلم أن أشعار العرب والمحدثين قد ورد فيها الظريف السهل كقول بعضهم:

هوى قلبي ريـح الشمال إذا جـرت وأشهـى لقلبي أن تهب جنـوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعـوى فقلـت: وهـل للعـاشقين قلـوب

التناقض: قال الأمير في البديع: وهو أن تناقض بين المعاني مثل قول مسلم ابن الوليد:

ذكـر الصبـوحَ فـراح غيرَ مفنـدٍ وأقـام بـين عـزيمـة وتجلُّـدِ

وكقول أبي نؤاس:

ذكر الصبـوح بسحـرة فـارتـاحـا وأملّـه ديـك الصبـاح صيـاحـا

قال ابن قُتيبةَ: إنَّ كل واحد عاب على صاحبه التناقض لأن بيت أبي

نؤاس متناقض لجمعه بين ارتياح وملل ولأن بيت مسلم متناقض لجمعه بين الرواح والإقامة. وعندي أنهما غير متناقضين ولا متباينين. انتهى.

المبالغة: قال العسكري في الصناعتين: المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبادة عنه أدنى منازله وأقرب مراتبه ومثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾. وكقوله: ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾. اهـ.

قال الجرجاني في الإشارات: إشارة إلى المبالغة: الوصف المبالغ فيه: إما أن يكون ممكنا أو لا. والأول إن كان ممكنًا في العادة سمي: التبليغ والثاني يسمى بالغلو وقد يخرج من حد الغلو إما بلفظة كاد كقوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما المبالغة وتسمى التبليغ والإفراط في الصفة فقد حدها قُدامة بأن قال: هي أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده. انتهى.

قال أسامة في البديع: اعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسماه قوم: الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة. انتهى.

الالتفات: قال العسكري في الصناعتين: الالتفات على ضربين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به.

أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: قال الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: لا فما هي؟ قال:

أتنسى إذْ تودّعنا سُليمى بعود بشامةٍ سقى البشام

ألا تراه مقبلًا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له. ـ اهـ.

الرجوع: قال أبو هلال: الرجوع وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه كقول القائل: ليس معك من العقل شيء بل بمقدار ما يوجب الحجة عليك. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الرجوع فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير:

قف بالديار التي لم يَعفُها القِدَم ... بلى وغيرها الأرواح والدِّيَم

الاستطراد: قال الجرجاني في الإشارات: الاستطراد هو الانتقال من مقصود إلى آخر من غير أن يكون الأول وصلة إلى الثاني كقول الحماسي:

وإنا لقومٌ لا نرى القتل سُبّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

قال أبو هلال في الصناعتين: هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببًا إليه كقول الله عز وجل: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾. ـ اهـ.

قال أسامة في البديع: اعلم أن الاستطراد نبَّه عليه أبو تمام والبُحتري وهو أن تمدح شيئًا أو تذمَّه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله وهو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع. ـ اهـ. وقال في نهاية الأرب في الاستطراد: وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقلها عن البحتري وقيل: إن البحتري نقلها عن أبي تمام وسماه ابن المعتز: الخروج من معنى إلى معنى. ـ اهـ.

الاستخدام: قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن الاستخدام هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾. انتهى.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما الاستخدام فهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما في معنى من معنيَيْ تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية في كون كل واحد من البابين مفتقرًا إلى لفظة لها معنيان. انتهى.

التعطف: قال أبو هلال في الصناعتين: التعطف أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف قالوا وأول من ابتدأه امرؤ القيس في قوله:

ألا إنني بـــالٍ علـى جمـل بـــالِ   يسـوق بنـا بـالٍ ويـتـبعنـا بـــال

المجاورة: قال العسكري في الصناعتين: المجاورة تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو قريبًا منها من غير أن تكون إحداهما لغوًا لا يحتاج إليها.

الاستثناء: قال العسكري: الاستثناء على ضربين: فالضرب الأول هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها والتوكيد الذي توفيته في استثنائك. - اهـ.

قال ابن رشيق في العمدة: وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم وذلك نحو قول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهـم غير أن سيـوفهـم   بهن فُلُـولٌ مـن قـراع الكتـائـبِ

فجعل فلول السيف عيبًا وهو أوكد في المدح. وقال النابغة الجعدي:

فتى كملـت أخلاقــه غير أنــه   جَـوادٌ فما يبقـى مـن المال بـاقيـا

السلب والإيجاب: قال العسكري في الصناعتين: وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى كقول الله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا﴾. وقوله: ﴿فلا تخشوا الناس واخشونِ﴾. - اهـ.

قال النويري في نهاية الأرب: وأما السلب والإيجاب فهو أن يوقع الكلام على نفي شيء وإثباته في بيت واحد كقوله:

ونُنكر إنْ شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

جمع المؤتلف والمختلف: قال أبو هلال في الصناعتين: وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة كقول الله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾. - اهـ.

النفي: قال أسامة في البديع: اعلم أنَّ النفي قد كثر في أشعار العرب والمحدثين.

التكرار: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى تكرر اللفظ لفائدة التكرار للزجر كقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فإنه تعالى ذكر نعمة وعقبها بهذا زجرًا لهم. - اهـ.

قال أسامة في البديع: باب التكرير وهو كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام ... وريحَ الخُزامى ونشرَ القُطُرْ
يُعَلُّ به بردُ أنيابها ... إذا طَرَّبَ الطائرُ المُسْتَحِرْ

وكقول الآخر:

كأنَّ المُدام وصوبَ الغَمام ... وريحَ الخزامي وذوْبَ العَسَلْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا النجم وسْطَ السماء اسْتقلْ

التجريد: قال الجرجاني في الإشارات: إشارة إلى التجريد هو أن يقدر لشيء صفات ثم ينزع منها صفة ومنه قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ أي من جملة صفات جهنم أنما دار الخلد للكفار. - اهـ.

قال في نهاية الأرب: وأما التجريد فهو أن ينتزع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمرًا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه. - اهـ.

المناسبة: قال الجرجاني: إشارة إلى المناسبة هي أن يجمع في الكلام بين كلمات متناسبة كقوله تعالى: ﴿**الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان**﴾ فإن القمر يناسب الشمس والشجر يناسب النجم لأن النجم نبا ليس له ساق وفيها أيضًا مطابقة خفية. ـ اهـ.

المشاكلة: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه اعتمادًا على معموله أو عامله.

أما الأول فقول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخه فقلت اطبخوا لي جُبَّةً وقميصًا

أقام: اطبخوا مقام خيطوا لدلالة المعمول عليه لقصر المشاكلة بين الكلامين. وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾. أقام نفسك مقام ذاتك لتشاكل نفسي. وقوله: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾. أقام سيئة مقام عقوبة. لتشاكل السيئة الأولى. ـ اهـ.

الإرصاد والنقض: قال الجرجاني: الإرصاد: أن ينبه صدر الكلام على عجزه بعد معرفة الفقرة أو الروي كقوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾. والنقض: أن ينقض أخيرًا ما أثبته أولًا كقول زهير:

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدمُ بلى وغيرها الأرواح والديَمُ

المزاوجة والجمع: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المزاوجة والجمع والتفريق والتقسيم والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم. ـ اهـ.

اللف والنشر: قال الجرجاني: إشارة إلى اللف والنشر وهو أن يذكر متعدد ثم يتم بمتعدد آخر إما على ترتيب كقوله تعالى: ﴿**ومن رحمته جعل**

لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾. وكقول ابن حيوس:

فعْل المدام ولونُها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

أو على غير ترتيبه كقول ابن حيوس:

كيف أسلو وأنت حِقْف وغُصن وغزال: لحظًا وقدًا ورِدفا

المحاجة: قال الجرجاني في كتابه الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى المحاجة وهي ادعاء شيء مع الحجة عليه وهي كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ وكقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وكقوله تعالى: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وكقوله تعالى: ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾. انتهى.

التعليل: قال في الإشارات والتنبيهات: إشارة إلى التعليل هو أن يذكر لوصف علة مناسبة لا في نفس. اهـ.

الإطراد: قال الجرجاني: إشارة إلى الإطراد هو ذكر نسب إنسان على الترتيب كقول النبي ﷺ: «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». اهـ.

الاستتباع والإدماج والتوجيه: قال صاحب الإشارات والتنبيهات: أما الأول: فهو مدح الرجل بشيء على وجه يستلزم مدحًا آخر. وأما الثاني: فهو تضمين الكلام معنى غير ما سبق له وهو أعم من الأول. وأما الثالث: فهو أن يكون الكلام محتملًا لوجهين مختلفين. - اهـ.

الحشو: قال أسامة في البديع: الحشو أن تأتي في الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة كقول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وكان الأجود أن يقول: لسبعة أعوام فيستغني عن قوله: ستة أعوام وعام سابع ومنه:

نـــأت سلمـــى فعـــاودني صــداع الـــرأس والوصــب

فالرأس حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون في الرِّجْل ولا في الأنف وإنما هو في الرأس. ـ اهـ.

التشكيك: قال النويري في نهاية الأرب: وأما التشكيك فهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي فضلة أو أصلية لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين**﴾ فإن لفظة بدين تشكك السامع هل هي فضلة أو أصلية؟ فالضعيف النظر يظنها فضلة لأن لفظة تداينتم تغني عنها والناظر في علم البيان يعلم أنها أصلية لأن لفظة الدَّيْن لها محامل تقول: داينت فلانًا المودة يعني جازيته ومنه: «كما تدين تدان» ومنه قول رؤبة:

داينـــت أروى والديـــون تقضي فماطلـــت بعضًـــا وأدت بعضًـــا

وكل هذا هو الدَّيْن المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه ولما كان المراد من الآية تمييز الدَّيْن المالي الذي يكتب ويشهد عليه وتيسير أحكامه أوجبت البلاغة أن يقول: «بدين» ليعلم حكمه. ـ اهـ.

الانصراف: قال أسامة في البديع: الانصراف هو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر مثل قوله تعالى: ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم**﴾. ـ اهـ.

الالتقاط: قال أسامة في البديع: وهو مما يتطارحه العلماء الشعراء والكتاب بينهم وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت أو من كلمتين أو ثلاثة أو غير ذلك مثل ما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط وهو أن يكون البيت ملفقًا من أبيات قبله مثل قوله ولقد أجاد ما شاء:

إذا ما رآني مقبلًا غض طرفه كأن شعاع الشمس دوني مقابله

هذا ملتقط من ثلاثة أبيات من قوله:

إذا ما رآني قطَّع الطرف بينه وبين فعل العارف المتجاهل

ومن قول الآخر:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قِبَلي تدور

ومن قول الآخر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

التثليم: قال الأمير أسامة في البديع: قد جاء في أشعار العرب الفصحاء نقصٌ في الألفاظ والكلمات وتغيير في الأسماء والأفعال فقيل: إنه لغة وقيل: إنه ضرورة مثل قول لبيد بن ربيعة وهو أول بيت في ديوانه:

دَرْسَ الَمنا بمتالِعٍ وأبانِ

وقول علقمة:

كأنَّ إبريقهم ظبي على شَرف مقدَّم بسبا الكَتَّان مَفْدُومُ

الإبهام: قال النويري في «نهاية الأرب»: الإبهام بباء موحدة هو أن يقول المتكلم كلامًا مبهمًا يحتمل معنيين متضادين كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بينة بوران:

بارك الله للحسنى ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت مَن

فلم يعرف مراده «ببنت مَن» هل أراد به الرفعة أو الضعة؟ انتهى.

التلميح: قال السيوطي في شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: وأما التلميح فقد ذكره في التلخيص بتقديم الميم على اللام كذا رأيته بخطه وهو

غلط فيه عليه الشراح لأن ذلك من الملاحة وهو في باب التشبيه والاستعارة وأما الذي هنا بتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه وهو أن يشير في الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره فالأول كقوله:

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
الله مـا أدري أأحـلام نـائـم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

والثاني كقوله:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأحنى منك في ساعة الكرب

والثالث كقوله:

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه
أظنكم في الوفاء ممن صحبته صحبة السفينه

وقال الشيخ أحمد الدمنوري في حلية اللب المصون على الجوهر المكنون: التلميح الإشارة إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذلك كقوله:

فوالله ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

التضمين: قال الجرجاني في الإشارات والتنبيهات: التضمين هو أن يضمن في شعره شعر غيره فإن كان المأخوذ بيتًا أو أكثر سمي: استعانة وإن كان مصراعًا فما دونه سمي: إيداعًا أو رفوًا ثم قد لا يكون في كلامه دلالة على ذلك كقول ابن التلميذ الطبيب:

كانت بلهينة الشبيبة سكرة فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
«وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل»

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري. ـ اهـ.

التفريع: قال النويري في نهاية الأرب: التفريع هو أن يُصدِّر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم مَنفيٍّ ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به في

الحسن أو القبح ثم يجعله أصلًا يُفرِّعُ منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف كقول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة — خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق — مؤزر بعميم النبت مكتمل
يومًا بأطيب منها طيب رائحة — ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل

الإبداع: قال النويري في «نهاية الأرب»: وأما الإبداع فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر بعدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع. ـ اهـ.

الفك والسبك: قال أسامة في البديع: أما الفك فهو أن ينفصل المصراع الأول من المصراع الثاني ولا يتعلق بشيء من معناه مثل قول زهير:

حتى الديار التي لم يعفها القدم — بلى وغيرها الأرواح والديم

وأما السبك فهو أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا — ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

ولهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي ياخذ بعضه برقاب بعض. ـ اهـ.

القوة والركاكة: قال أسامة في البديع: هو أن يكون المعنى متناولًا واللفظ متداولًا كالكلمات المستعملة والألفاظ المهملة فيكون الشعر ركيكًا والنسج ضعيفًا كقول امرىء القيس:

ألا إنني بالٍ على جمل بالِ — يقود بنا بالٍ ويتبعنا بالِ

النادر والبارد: قال في البديع: اعلم أن الشعر النادر هو الذي يستفز القلب ويحمي المزاج في استحسانه والبارد هو الذي بضد ذلك مثل قول أبي العتاهية:

مات والله سعيد بن وهب   رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني   يا أبا عثمان أوجعت قلبي

التهجين: قال الأمير أسامة في البديع: وهو أن يصحب اللفظ والمعنى لفظ آخر ومعنى آخر يزري به ولا يقوم حسن أحدهما بقباحة الآخر فيكون كمدح بعضهم لعبد الله البجلي كما قال:

يقال: عبدُ اللهِ من بَجيلَه   نِعمَ الفَتى وليس القَبيلَه

الانسجام: قال الأمير أسامة في البديع: اعلم أن الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعرًا من غير أن يقصد إليه وهو يدل على فور الطبع والغريزة مثل قول ابن هَرْمَة لبعض الحُجَّال:

بالله ربك إن دخلت فقل له   هذا ابن هرمة واقف بالباب

كتاب
أسرار خاتم الأولياء

الحمد لله الذي جعل خاتم الولاية من أمة محمد كما جعل خاتم النبوة محمداً صلى الله عليه وسلم. وصلاة سرمدية على فتى الوجود وغوثه صاحب السر الساري والمدد الجاري محمد قدس سره وتعالى شأنه. وبعد.

فطالما راودني الطارق الإلهي الإلهامي أن أضف كتابًا في صفة الختم وأسراره.

وذاك ذوق محمود. مرصود. عند الكثير غير موجود. وهذا الخاتم لا يطلع على وصفه ورصفه إلا من أشرف على بدايات هذا المقام كأبي عبدالله الحكيم الترمذي ومن هو على قدمه كابن عربي ومجد وفا والمير غني. قدس الحق تعالى أسرارهم. إذْ هؤلاء ما كان لهم أن يغوصوا إلى عين مقام الختم. ولا حقيقة لاطلاعهم إلا على ظاهر المقام دون باطنه. ولو اطلعوا على باطن المقام لاحترقوا. كجبريل لما كاد أن يحترق لما خطا خطوة في المقام المحمدي ليلة المعراج. وكلهم ما ذاقوا من عسيلة الختم إلا خيال النائم. أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

أما وصفه:

فهو عبد إلى التذلل أقرب منه إلى التكبر. وإلى التكبر أقرب منه إلى التذلل. هو فرد الله في أرضه. أورثه خالص العبودية. جرده عن الملك.

أخفاه عن المظاهر. حجبه بستائر الغيرة. فمقامه: حور مقصورات في الخيام. ظهر ولم يظهر. وبطن ولم يبطن. خزائن الجود بيمينه ينفق منها كيف شاء. وسامه المجد. ورداؤه الفخر. ووشاحه الجاه. لا سلطان إلا له. الكل عليه عيال المقامات في مقامه منسوخة. والأحوال في حاله ممسوخة. الكل ذاب فيه فهو الكل. بالكل قائم. وإلى الكل سائر. وعلى الكل سائر.

جميل مظهره. أنيق منظره. فرد الله في ملكه. وغوثه بين خلقه. أمره خطير. وما له من نظير. عزه الفقر. وفقره العز. لا واسطة بينه وبين روح الوجود. ممد للوجود بأسراره. تقوم وتقعد الدنيا لغضبه. همته من سرِّ كُنْ. ما نظر لميت إلا أحياه. وما ذكر شيئًا إلا محاه. لو سلط همته على شيء حققه قبل أن يرتد إليك طرفك.

بيده مفاتح عروش الحقائق. الكل منه مستمد. اسمه أحمد. وكنيته أبو العباس. والبلد فاس. حسني النسب. رباني الأدب. أدبه ربه فأحسن تأديبه.

شاخص ببصره إلى الملكوت. يرفع أقوامًا ويخفض آخرين. خليفة الله في أرضه. قدمه على رقبة كل ولي.

كثير الإنكار عليه من قبل الناس. ظاهره الشريعة. وباطنه لا وصف له.

لو أفشى مثقال حبة خردل من أسرار حقائقه لأجمع أهل العرفان على قتله. الخضر فتاه. استمد حججه التي حاج بها موسى من نداه.

ظاهر مقامه المهدي المنتظر. أصحابه مكتومون. لا يعلوهم عارف.

مقامه الكتم. وجاله الختم. عظيم الغيرة. عاشق للسبق فلا يسبقه أحد بمقام أو مفخرة. وإلا قتله بسيوف همته. نوره قاتل. وهو في الديوان ماثل.

جمهور الأولياء بين يديه كالذباب. لا مناسبة بينهم وبينه.

يصرف العوالم. ويحقق في المظالم. هو الوارث للهيكل المحمدي. أي الكامل الصمداني.

مفخرة الحق في الملك والملكوت إذا فخر طه في المجامع قدمه.

ذوقه وحيد. ووصفه فريد. عظيم اللذة كثير النكاح محب له بشغف.

إذ ذكر الله ذكرت معه الكائنات. وإذا استحيا استحيت معه. وإذا غضب اهتزت أطباق السموات السبع لغضبه. مقامه بين النبوة والقطبانية. إمامه محمد (ﷺ). لا فضل لمخلوق عليه إلا إمامه. حياته الآخرة. الكل مدعوون لمقامه. وما ذاك إلا لعلو شأنه. وما هو إلا واحد. والباقي أصحاب دعاوى. أخفى باطنه بظاهره. فلا يعرف من شأنه شيء. فهو أعز من الكبريت الأحمر. مقامه الخيال. والكل بقدره جهال. لو بدا لكان فتنة للناظرين.

لم تزل سحائب جوده ماطرة. بدون رؤية.

وفي ذاك المشهد عبرنا على لسانه بقولنا:

سل الخمر والكاسات عن سر نشوتي وبالدف والألحان قد نلت حظوتي

سل الشيخ والزنديق عن فقه شرعتي سل القس والرهبان عن سر ملتي

فها هو الختم قد أخفى حقائقه. بخادعات مظاهر الأقوال فحجبهم عن شهود مقامه. فهم في عماء عن بلوغ وصفه. فهو الفتى لا غير. الهمام بدون ضير. عروس القيامة. ساقي الندامى بكأس المدامة.

شيخ الواصلين. إمام الموحدين. شريف المتّقين. مفخرة الصابرين. حجة العالمين. محقق آداب الواصلين. شجرة المحبين. سدرة منتهى العارجين. فريد الآنسين. وحيد المتشوقين. شيخ الطائفتين. نور اليقين. عرش المتحققين. كرسي المستوين.

هيكل المجاهدين. ممد المستمدين. رئيس الدواوين. غوث السلاطين. ملك الدارين. إنسان عيون النشأتين. أمين خزائن المنفقين.

سر المفردين. مجير المستجيرين. زينة الساجدين. كوكب العابدين. سراج

المخلصين. شمس السائرين. قمر مدارج السالكين.

هادي الحائرين. أغنى المفتقرين. سيد الشاكرين. واصل المنقطعين. دليل الداخلين. باسط المنقبضين. وقابض المنبسطين. وجامع المتفرقين ومفرق المجتمعين.

غيبة الحاضرين. وحضور الغائبين. صحوة المسكرين. ومسكر الصاحين. مغني الباقين. ومبقي الفانين. أستاذ السالكين. وعمود المؤدبين. جمال المستوحشين. ضياء مقلة العينين. طاووس الصالحين. أول الواردين. نجاة الهالكين. شفيع المستشفعين. جليس الذاكرين.

كتاب
رَدّ بعض الوفاء
بإظهار قطرة من أَسرار خاتم الأولياء

الحمد لله الذي كان مجهولًا في عماء الغيرة فبدا. وقهر بتجلياته فسما. ملك حيّر. وغيّر. وما تغيّر. مليك بديع. وأمير شفيع.

بدا بمحاسن وصفه وتنزه عن كل صفة وسمه. انفرد في ملكوته. وتكبر بجبروته. ليس له شبيه. ولا ينزهه تنزيه.

فما قدروه حق قدره. وما أعطوه حق وصفه. فهو المنفرد بمعرفة حق خصاله. وتحقيق عيون محاسن جماله وجلاله.

أي ولي الله فهذه معالم التحقيق. بلا لبس وتلفيق. هنا يحلو الطرب. وتذوب فرقة النسب. وترفع تكاليف الأدب.

هناك تضيع أقدار الرجال. وتتيه معاني الدلال. ولا حرام ولا حلال. ألا تنظر إلا ذاك المحيط الذي يلوح لمعانه. وتصطفق أهواله.

فأين أنت من موجه. والبحر يمده في خلفه. بسبعة أبحر. لا تنفد ولا تقصر.

قف على تلك المعالم. ولا تطمع في هذه المراسم. هنا تعبت أرواح الرجال من الجري خلف هذا المقام. وما نالهم سوى تحريف وضرام واصطلام.

هذه ديار الختم. فمن يخطوها. ولن يخطوها. قف وتأدب. وتقرب.

واخلع نعليك. وقدم عينيك. وقل: والله لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت بأنوار الختم.

فإذا وردت ذاك المقام رأيت نفسك ذرة من ذرات جبل راسٍ. وطود عاتٍ.

فلا تنازع. ولا تدافع. ولا تصارع. فما أنت سوى ذرة من ذرات هذا الجبل. وصخرة من صخور هذا المثل.

هيهات. هيهات. وآه وآه وآه. لا ظهور ولا بطون. إلا ما ظهر من لمعان القشرة. وبقي من دموع العبرة. وبقية الكاس. وفضلة مراس.

فأين الشاهد والغائب. وقد ضاعت المآرب. فناء وبقاء. وخوف ورجاء. وضحك وبكاء. لم تصفُ لهم بارقة من خطراته. ولا يعدلون زفرة من زفراته.

هم عياله. أصابتهم لمحة من سني خصاله. جلوس على بساطه. ملحوظون بشواهد ألحاظه.

كل ما بدا فعنه تفرع. وهو فيه تضلع. فإن القوم استطالت همتهم به. واستمدوا ألوان حقائقهم عنه. فتى همام. صاحب إلمام. وبدر كمال. ولسان جمال. جمال الديار من طلعته منشور. ودلال الكمال عن هندامه منثور.

وصلى الله على خاتم الوجود ومسكه. وهيكله وقدسه. فتى الوجود. المتحقق بجمال الشهود. محمد رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فاعلم أيها الفتى الولي. والرباني السخي. أنني لما ألفت كتابي المسمى: -

(أسرار خاتم الأولياء)

وقرأه البعض. رأوه مليئًا بألغاز. ومطلمسًا برموز.

قلَّ من يهتدي إلى فكها. وندر أن يدخل لب إلى حكها. إلا فتي أخطر.

وقاموس أغزر. فاستخرت المليك حبيب القلب في أن أشرحها. شرح عاشق. وتأويل ذائق. فأذن لي بعد خصام ودلال وهجر ووصال. فشكرته بعين قلبي. وفؤاد لبي. وسميته:

(رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء)

ثم قلت له معبرًا عن فرحي به:

روحي إليك بكلها قد أجمعت لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي إليك بكلها عن كلها حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف فلطالما متعتها فتمتعت

فقال لي: امضِ إلى قصدك. فمضيت فها أنا أعبر. ومن بدائع فنوني أسطر. فأقول:

درة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (هو عبد إلى التذلل أقرب منه إلى التكبر★ وإلى التكبر أقرب منه إلى التذلل★)★

أجبنا: هو في مقام الوسط. وذاك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾. وذلك لكون نبيه في هذا المقام رابض. لا يغلو في صفة.

وسر التوسط في كون صاحبه حكم الصفات فهو يعلو ويهبط بها في آن واحد. فيوسطها. فيبدو في صفة التذلل أحيانًا. وأحيانًا في صفة التكبر. فهو متقلب بين جمال أي تكبر وجلال أي تذلل. وحقيقتها الكمال. الذي يزين وصفه فهذا كحقيقة رسول الله (ﷺ) لما دخل في مقام الكبرياء قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

ولما دخل في مقام التذلل قال: (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين). أما حقيقة كبرهم وذلهم فله معنى آخر دون معاني العوام. فهو متكبر لله وبالله ومن وإلى الله وعلى الله.

وهو متذلل لله وبالله ومن وإلى الله وعلى الله. فإذا دخل العارف إلى أسوار هذا المقام أثر فيه وأثر هو به.

فهو متكبر في نفسه. على من يبغي بشرط الأدب. وناقل صفة الكبر. فيحل له أن ينقلها إلى مريده. فيتكبر مثله. ويتقلد بصفته ونعته. وقد تفيض هذه الصفة من العارف قهرًا على من يحيط به من أهل إرادته.

فتتفلت قوى الصفة. ويصعب تحكم العارف في حبسها في كنهه.

وهذا مثاله كالرجل العارف إذا أضحك أضحك أهل مجلسه. وإذا بكى أبكاهم. وإذا حزن أحزنهم.

وكل شيخ يغلب مشربه على أهل إرادته فيهم وفي أرواحهم كأصحاب عبد القادر الجيلاني غلب عليهم الدلال والفخر وكأصحاب أحمد الرفاعي غلب عليهم الذل والتواضع وكأصحاب ابن عربي غلب عليهم العلم الباطن.

وتوسيط الصفة من أعظم الكمالات عند أهل الله. فلا يكمل العارف حتى يتحكم في هذا. في ضحكه وبكائه ونكاحه ونومه وأكله وشربه وسهره وصمته وكلامه.

زمردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (أخفاه عن المظاهر★ حجبه بستائر الغيرة★ فمقامه حور مقصورات في الخيام★ ظهر ولم يظهر★ وبطن ولم يبطن★)★

أجبنا: لما جرده عن الملك أي هو في الافتقار الكلي إلى المليك. فقد خفي عن مظاهر الوجود. وإن نبعت تلك المظاهر من فيض همته. وعين ورده. فهو من ورائها مستتر في حجب ستائر الغيرة. لكونه مكتومًا.

لذا شبهناه بحور مقصورات في الخيام. فلم يطلع على وصفهن إنس ولا

جان. إلا من يدخل عليهن من أزواجهن. فله هذه الصفة الإطلاعية وكان القدم المحمدي الختمي من شأنه الظهور. فظهر الخاتم محمد (ﷺ) كالشمس. حتى عرفه الكل. فلم يكن ظهور رجل في الوجود كظهوره عليه السلام.

وتأكد على مقام خاتم الولاية التلبس بالبطون إلا لجهابذة العارفين. البالغين لبداية مقامه. هناك شاهدوا من أسراره. ما أبكم صوابهم. وأصم وجدانهم.

فهم وقوف في حرمته متأدبون. ولأحواله مقتبسون. ومن همته مستقون. ولم يكن لكل عارف أن يعلم صفة هذا الختم إلا من ارتضى.

ووقعت الشبه في التقلد بمقامه. لما كان طبعه البطون. فادعى هذا المقام كثير من أهل العرفان.

فمنهم من رجع عن الدعوى لمشاهدة رآها. ومنهم من لم يرجع.

وشرط هذا الإمام الخاتم قدس سره الذي أخذ عليه في حضرة المواثيق الكتمان فهو ظهر ولم يظهر وبطن ولم يبطن.

فهو موجود غير مشهود. مدافع عن ظهوره. بأنوار شعوره.

معروف كالشمس. بلا لبس. وهو أقرب الناس إلى المسلمين. وأنفعهم للمؤمنين.

ولما أخذ هذا الختم صفة البطون من المقام المحمدي. فقد حوى جعبة هذا المقام. فهو المؤتمن لا سواه. لا يصل مددٌ إلى أهل الله إلا منه وعلى يديه. سوى الصحابة عليهم الرضوان.

ولا ينبغي له أن يفصح عن أسرار بطون نبيه عليه السلام وإلا أجمع أهل العرفان على قتله.

فكلامه له وجهان: ظاهره عند أهل الحجاب مخالف للشريعة. وظاهره وباطنه عند أهل الله هو عين الشريعة: بل والحقيقة.

لذا ابتلى بالإنكار عليه من قبل أهل الحجاب. لما تدلى لهم ببعض أسرار مقامه الباطن. فكفروه ورجموا علمه وفكره. ولم يعلموا من مقاصد توجهات علمه قلامة ظفر. فلم يعلموا سوى القشر.

جوهرة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (خزائن الجود بيمينه★ ينفق منها كيف شاء★ وسامه المجد★ ورداؤه الفخر★ ووشاحه الجاه★ لا سلطان إلا له★)★.

أجبنا: فخزائن جود أموال المقامات والأحوال في قبضته. لكونه رئيس الأولياء. وتاج الأصفياء.

عارف بمقامات أهل الولاية. وأحوالهم وخصالهم ومنازلاتهم ومنازلهم.

فهو ينفق عليهم. ولا ينفقون عليه.

فهو أمين الله في أرضه. قد ارتضاه رسول الله (ﷺ) مليكًا على أهل الولاية. وأميرًا على أهل الرواية والدراية.

فهو فخر الوجود. وبساط الشهود. لذا كان رداء فخر محمد ووشاح جاهه يوم القيامة.

فكان لا سلطان إلا له في مملكة الباطن. لكونه قطب هذا المقام. والأنوار تنفث من روحه على أهل الدائرة.

وعلى لسانه عبرنا لما طاب لنا المقام. وذهب بنا الهيام:

أتطلبُ من لَيْلى وصَالًا محققًا وأنتَ عَذولٌ في هَواها محرّقًا
وما يَصنعِ العشاقُ بالعذلِ والقِلى فذا بَلةٌ في مِلَّةِ الحُبِ ملصقا
فديتكِ ليلى أنْ يُحبّكِ مُدّعٍ وسِرٌّ هَواكِ قد أذابَ وأحْرقا
ذللتِ فُحولًا في هَواك بنظرةٍ وكلٌّ هِامٍ من هَواكِ قد استقى

رَأوْكِ عيانًا ما رأوك حقيقةً		بدوتِ جهارًا في حجابٍ مُرَقّقا
أراك بِقربي والديارُ بعيدةٌ		بخلفِ حجابٍ في الحقيقةِ لُفّقا
بعثتِ هَواكِ كالنسيمِ إذا سَرى		وسحرُ هَواكِ قد أذابَ وأشرَقا
ظلمتِ مُحبًا قد أضاعَ فؤادَه		فتُورُ جفونٍ جائرات وترفقا
عجيبٌ وسَالكِ لا يذوق وصاله		سوى من تهتّك في الشريعةِ والتُّقى
وذَا حرجٌ في مِلةِ الشرعِ ظاهرٌ		ولكنه مَعنىً تحقّقَ وارتقى
أذوبُ غرامًا أوْ دَلالًا وإنني		قُتلْتُ مِرارًا ثُمَّ أَحْيَا في اللّقا

أما سلطان هذا الختم فلا يقدره وصفه مقدر. فأهل الولاية من بدء آدم حتى قيام الساعة في أصبعه كالخاتم.

قد جمعهم في قبضته جمعًا. وعرفهم حقيقةً وشرعًا. فهو الخائض بهم في لجة المعارف. الذي يبلغهم المشارف.

هو عز الحق تعالى في الملك والملكوت. وعين الجبروت والرحموت. عليه تهبط أنوار السكينة. وإلى روحه تعرج أرواح أهل الخزينة. روح قدس. وفتى أنس.

ياقوتة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم الأولياء ولسان المتكلمين: (الكل عليه عيال).

أجبنا: نعم حق له هذا الوصف. فالأولياء عياله. قد غذوا من لبن رضاعه. وقد استمدوا من كهربة شعاعه.

هل من منكر. يا أهل الولاية. وأشياخ العلم والدراية. قد بلغ من الأسماء والصفات غاية المنى. وتحقق بالمقامات على أعلى مستوى.

له في كيفيات الاسم الأعظم ما لا يعرفه سواه. وما لا يدركه عز وجاه.

يكيف العوالم. ويروح عن الخلق في المظالم. برقة نسيم أنفاسه. ولطف رقيق

أقداسه. لا يستمد ولي ذرة من مدد إلا على يديه. ولا تخرج أنملة مقام إلا من طاقة مقامه. يعطي كل شخص على قدر حوصلته.

جمانة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين:

(المقامات في مقامه منسوخة★ والأحوال في حاله ممسوخة★ الكل ذاب فيه★ فهو الكل★)

أجبنا: واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن المقام الخاتم سواء لنبي أو ولي يقع فيه النسخ.

ولكن لا تستوي مقامات نسخ النبي والولي. فالنبي ينسخ العوالم. فلا يبقى دين سوى دينه.

والولي الخاتم استولى على دين ذاك النبي بباطنه فلم ينسخ حقيقة الدين لكون نبيه ظاهراً فلا يجوز أن ينسخ في مقام نبيه عليه السلام.

ولكن نسخ مقامات. تظهر مع قيام الساعة هذه القاعدة وتتحقق أعظم وأبلغ.

فإذا نسخ هذا الختم المقامات بمقامه الأعظم فليس معنى هذا أنه قد ألغى كل المقامات التي هي دون مقامه.

ولكن الغلبة لمقامه. فهي تاج المقامات وعروسها. الذي من دخله فلا يحق له إلا الانتقال إلى غيره وإلا طرده الختم.

أما ذوبان الكل. فأهل الولاية لا غير. ذابوا. في دوامة هذا الختم. فهم الكل له. وهو الكل بهم. لكونه شيخهم وإمامهم.

فكان لهذا الختم التحقق بالأربعمائة خلق المحمدية.

وسريان هذه الحقائق في عروقه ودمائه. دون غيره من أهل الولاية.

ويعلم من خصائص هذه الأخلاق ما لا يعلمه سواه. ومن أهل النبوة الوارثين للخلق المحمدي من لا يرث بعض الأخلاق المحمدية المورثة للختم. لكون الأخلاق المختصة بالمحمديين بعضها مختص بهم لا يسري إلا فيهم. وهذا من خصائصه عليه السلام.

وهكذا يختص المحمدي بخصيصة المايزة عن كل من سبقوه من أنبياء ببعضها لا بمجموع كمالاته عليه السلام.

فلا يعلو الولي النبي حتى يلج الجمل في سم الخياط. وكان من صفة الختم سريان حال نبيه فيه. وهو علم النسخ.

لكون الخاتمين لهما علم خاص بهما.

ولهذا كان الخاتمان لهما علم خاص بهما.

ولهذا كان يفيض على الولي الخاتم من الحضرة المحمدية فيض على توجهات.

فمنه ما يفيض بدون شعور الأنبياء. ومنه ما يفيض عليه مما يفيض عليهم. ومنه ما فاض عليه مما أفيض على أهل الولاية. ومنه ما فاض عليه مما أفيض على أهل طريقته وإن اختصوا بأسرار لا توجد عند غيرهم.

زبرجدة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (لا واسطة بينه وبين روح الوجود ★ ممد للوجود بأسراره ★)

أجبنا: أي ولي. يا صفي. يا خلي. روح الوجود هو أبو القاسم. فتاه. وغوثه. وسلم العروج. إلى خزائن الحقائق. وعروش المصادر.

قيل فيه من لسان الحضرة: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

فلا تخرج ذرة من حقائق الإله إلا من بابه (ﷺ).

وكيف تكون وسائط قائمة بين ختمين والولي الخاتم عين النبي الخاتم. بل ابنه. وقصده.

هذا الولي الخاتم تربى على مائدة النبي الخاتم وأكل من فرائد جوده. وشرب من غير شهوده.

فهو النائب العام. عن روحه (ﷺ). لذا كان يمد الوجود بأسره.

وبغيره ينعدم طعم الوجود. وتخمد نار الشهود. هو ضياء الدنيا والآخرة. والفانية والباقية. قد أُعْطِيَ الجهالُ من طعمه. وقد غرق الأكابر من عمله.

فذات الولي الخاتم متلقية بحار الفيوضات من ذات الخاتم (ﷺ). فتفرقها على أهل الولاية بغير شعورهم. ففطرة هذا الخاتم أصح فطرة تستمد من فطرته عليه السلام وأقبلها لها.

لؤلؤة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (هِمته من سِرِّ كُنْ★ ما نظر لميت إلا أحياه★ ولا كره شيئًا إلا محاه★ لو سلط همته على شيء حققه★ قبل أن يرتد إليك طرفك★)

أجبنا: سِرُّ كُنْ من علوم القطب الفرد. تُعطَى همته هذا الاسم. فهو المتصرف في العوالم.

قد احتوى ذاته العوالم بأسرها من أرض وسماء وبحار وجبال وعرش وكرسي وجنة ونار ولوح وقلم.

ومن هذا المقام تكلم أبو الحسن الشاذلي فقال: (إني لأعرف طرق السماء أكثر من معرفتي لطرق الأرض).

فهو المحيي والمميت كالقدم العيسوي. ومن أقطاب القوم عبد القادر

الجيلاني. أحيا الدجاجة بين يديه. ونظر إلى عصفور ذرق عليه بهذا السر فمات.

ومن أقطاب هذا المقام شيخنا محيي الدين بن عربي قدس سره. كان رجل يؤذيه بالعراق وهو بالشام. فصبر عليه كثيرًا.

حتى لامه أصحابه على هذا. فقال يومًا أعطوني خنجرًا. وكتب عليه هذا ثأر محيي الدين بن عربي. وغمده في الأرض وقال. قد أخذت ثأري. فوجدوا في تلك الليلة. الخنجر مغمودًا في قلب الرجل الذي يؤذيه مكتوبًا عليه هذا ثأر الشيخ محيي الدين بن عربي.

أما تحقق الأمنية قبل ارتداد الطرف فهذا علم سليماني. قطبه سليمان الحكيم. عليه السلام.

وبالجملة فرضا الحق تعالى من رضا الخاتم. وسخط الحق تعالى من سخط الخاتم.

فهو محقق الأماني. ومبيد العدا. ورافع الهمم. ما كره إلا أهلك. وما أحب إلا حقَّق. طائر التوفيق مقرون به. وعلامة الفلاح قد نقشت على جبينه.

ماسة أسرار ختمية

قال القائل: ماسر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (شاخص ببصره إلى الملكوت★ يرفع أقوامًا ويخفض آخرين★ خليفة الله في أرضه★ قدمه على رقبة كل ولي★)

أجبنا: فشخوصه يا ولي إلى عالم اللوح. آخذ صفة الرفع والخفض عن المليك عز وجل. بإذنه. فمن علم اللوح يرفع ويخفض لكونه يراعي العلم فلا يخرج عنه بشيء.

وهذا من آداب الناظر إلى صفة اللوح. وقد فصلنا هذا في كتابنا تكملة الفتوحات المكية فليراجع.

ولما كان القطب الجامع هو الذي تحصلت له نهايات الصفات الإلهية في المجامع. فقد كان من كمال هذه الصفات فيه تعين علم الرفع والخفض في قبضته.

فيكون حاله ومقامه معبرًا عنه قائلًا له: أنت كل يوم في شأن. ترفع أقوامًا وتخفض آخرين.

وعن هذا المذاق والحال عبر عبد القادر الجيلاني لما رقي المنصة بقوله قدس سره.

فَلَوْ أَلقيتُ سِرِّي فَوْقَ نَارٍ   لَخَمَدَتْ وانْطَفَتْ في سِرِّ حَالِي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فَوْقَ مَيْتٍ   لَقَامَ بِقُدْرَةِ المَوْلى مَشَى لي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي في جِبَالٍ   لَدُكَّتْ واخْتَفَتْ بَيْنَ الرِّمَالِ
وَلَوْ أَلقيتُ سِرِّي في بِحَارٍ   لصَارَ الكلُّ غَوْرًا في الزَّوَالِ
ومَا مِنْهَا شُهُورٌ أَوْ دُهُورٌ   تَمُرُّ وتَنْقَضِي إلَّا أتى لي
وتُخْبِرُنِي بما يَأْتي ويَجْرِي   وَيُعْلِمُني فَأقْصِرْ عَنْ جِدَالِي
بِلَادُ اللهِ مُلْكِي تَحْت حُكْمِي   وَوَقْتِيَ قَبْلَ قَبْلِيْ قَدْ صَفَا لِي

أما كون قدمه على رقبة كل ولي. فهو علم القدم. الذي يضعه القطب في كل عصر على كل رقاب أهل الولاية. ويكون وقتيًا له.

وعبروا بالقدم عن المقام. فمن رأى أمامه قدمًا واحدة. فقد بلغ القطبانية. ومن رأى أمامه قدمين. فهو إمام. ومن رأى أمامه ثلاثة أقدام فهو وتد. ومن رأى أمامه أربعة أقدام فهو بدل. أما النبي فلا يرى قدمًا أمامه.

حقيقة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (كثير الإنكار عليه من قبل الناس).

أجبنا: هو على قدم نبيه مبتلى بإنكار الخلق عليه.

وهذا مشرب أهل الصدق. لقوله عليه السلام (أشد الناس بلاء الأنبياء والصالحون).

فالداخل إلى باب الإنكار رأى ظاهره وغاب عنه صحة مقام باطنه.

كرؤية أبي جهل للهيكل المحمدي لما رآه هيكلاً مجردًا من معاني النبوة بل هو بشر محض.

وهذا سر الإنكار الذي أضاع المهج وأهلك الأرواح.

لذا جهل قدر الصالحين وأرباب العرفان. لأجل هذا السر ومحطه في النفوس المريضة. ألا ترى إلى الفرعون نظر إلى محمد عليه السلام على أنه تربى عنده على موائد إحسانه. فظلت هذه صورته في مخيلته لا تزول. فقال له: ﴿ألم نربّك فينا وليدًا﴾.

فلو أن هذا الفرعون تحقق بأوصاف النبوة الموسوية. لآمن به حالًا. ولكن علم شيئًا وغابت عن مخيلته أشياء.

لذا لا نقيس الولي بمظهره. بل الولي مخادع للخلق. حتى لا يكشف أمره. فربما خدعهم ولم يعلم بحاله إلا الحق تعالى. وحجبهم عن صحة حاله بحجاب وكل له حجاب بعينه. ولو خضنا في حجب أهل الولاية لأجمع أهل العرفان على كفرنا وقتلنا.

فإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. أي ولي يا صفي.

فإذا أنكروا على الولي. فهو في ملك آخر قد قام يتلذذ. قائلًا للعواذل:

﴿قل موتوا بغيظكم﴾. ما ضره منهم إلا أخذ حسناتهم في كتابه هو جبل تنفخ عليه ناموسة. أتراها تزلزله؟.

ومن ثَمّ عظم بلاء خاتم أهل الولاية لكثرة ألباس هذا المقام.

وعظم قيام الدعاوى فيه. وخطر الأدعياء عليه.

فهكذا يظل الخلق إلى قيام الساعة لا يعلمون من هو خاتم أهل الولاية.

ولو ظهر تحققًا في الوجود. فلا يصدقه إلا معتقد. فهو إمام بخلاف المهدي الذي يصدق. وإن كان مقامه قد علا مقام المهدي. فاختص المهدي بالظهور واختص هو بالبطون وعظم البلاء. فلا يصدق.

ومن هذه القاعدة وقع كثير من أهل الفتح وكبار أقطاب هذه الأمة في الإنكار على الإمام الخاتم. لغياب مقامه عنهم. وإن كان هو أصل مددهم. فلا شعور لهم به. ومن هذا انعدمت فائدتهم به ظاهرًا وإن بقيت الفائدة قائمة في الباطن. لكونها لا تنقطع عنهم وإن أنكروا. فهو ممدٌّ لمن ينكر عليه ولمن يشهد له. في آن واحد.

وهذا لعمري من عجائب أخلاق هذا الإمام التي لا يعلمها إلا الحق تعالى. فأنعم به من إمام حق وصدق.

وسما هذا الإمام بفرائد من أخلاق الرسول (ﷺ). لم يتذوق طعمها ولي قبله ولا بعده. ولسان حاله شاهدٌ بهذا الذوق الراقي. والفن الساقي.

وقد ألهمنا الحق تعالى كثيرًا من مشربه رضي الله تعالى عنه ونوادر أخلاقه التي لم يتذوق وصفها سوى من بلغ بدايته في المرتبة. والمنصة وعلا منبره.

بلورة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (لو أفشى مثقال حبة خردل من أسرار حقائقه★ لأجمع أهل العرفان على قتله★)

أجبنا: وهذا لكونه قد ملك جعبة الباطن المحمدية فإجماعهم على مناصب:

المنصب الأول: إجماع جمهور العوام على قتله.

المنصب الثاني: إجماع جمهور العلماء على قتله.

المنصب الثالث: إجماع علماء الظاهر على قتله.

المنصب الرابع: إجماع علماء الباطن كالخضر على قتله.

المنصب الخامس: إجماع الصديقين على قتله.

المنصب السادس: إجماع الأئمة المجتهدين على قتله كأبي حنيفة ومالك والشافعي رضي الله تعالى عنهم.

المنصب السابع: إجماع الأئمة المقلدين على قتله كالسيوطي وابن تيمية والماوردي والنووي.

المنصب الثامن: إجماع الأنبياء على قتله صلوات الله عليهم.

المنصب التاسع: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على قتله.

المنصب العاشر: إجماع التابعين على قتله عليهم رضوان الله.

المنصب الحادي عشر: إجماع الأقطاب على قتله كالجيلاني وأبو الحسن الشاذلي وغيرهم. رضي الله تعالى عنهم.

المنصب الثاني عشر: إجماع الأفراد البالغين لأول مقامه على قتله مثل الشيخ محمد وفا رضي الله تعالى عنه.

فيروزجة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (الخضر فتاه استمد حججه التي حاج بها موسى من نداه)

أجبنا: وكيف لا يكون فتاه. ونبيه أفضل نبي عليه السلام. وقد قيل في

حق أمته: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وقيل في حقه عليه السلام على لسانه: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد).

وإن كان الخضر فتى علم الباطن في بني إسرائيل. فخاتم هذه الأمة أفضل منه.

لكون نبيه عليه السلام أفضل نبي.

وكذا الولي المحمدي أفضل من الولي في الأمم السابقة. سيرًا وراء القاعدة السابقة. وكذا عاصي هذه الأمة أفضل من عاصي الأمم السابقة.

وكان الخاتم هو خازن الحجج. وأمد الخضر عليه السلام بحجج موسى عليه السلام التي حاجه بها الخضر. بل هو أعلم من الخضر بها.

ومن تدلل أولياء هذه الأمة على الخضر. أنه كان أي الخضر يذهب لولي محمدي كثيرًا فقال له الولي المحمدي: لا تأتني بعد ذلك فقد شغلتني.

وقد رفض إبراهيم الخواص صحبة الخضر لما طلب منه الصحبة. ومن هذه القاعدة فإن صحبة الشيخ المحمدي المربي الكامل أفضل عندنا من صحبة الخضر.

درة ثمينة وتحفة فريدة

رأيت في في عام ١٤١٠ هجرية في المنام كأنني جالس مع شيخنا غوث الزمان عبد المجيد الشريف رضي الله عنه في حجرة فدخل علينا أبو العباس الخضر عليه السلام فنظر إليه مولانا الشريف رضي الله عنه نظرة تذيب الجبال وقال له: ما الذي جاء بك إلى هنا؟.

لازوردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (ظاهر مقامه المهدي

المنتظر★ أصحابه مكتومون★ لا يعلوهم عارف★)

أجبنا: ولما كان المهدي هو الختم الظاهر. فقد كان له الظاهر المحمدي. دون استطلاع لحقائق الباطن. وإن تحقق بها. ألا ترى المهدي قد ظهر. والختم الباطن لا علم لهم به. فتحيروا في شأنه. لكون أمره مكتومًا. فلم يهتدوا إلى اسمه. ومنهم من اهتدى إلى اسمه دون معرفة بلده.

ومنهم من لم يطلع على وصفه وإن علم اسمه وبلده ومنهم من اطلع عليه دون أن يكلمه. ومنهم من اطلع على صورته دون علم اسمه وبلده. وهكذا تاهوا في دلال الختم. وحيّرهم. ودلهم. وشتتهم وفرقهم. وجمعهم وما عرفوه.

وإن عرفوه. فما وصفوه. وإن وصفوه فما قدروه.

فأصحابه مكتومون. لكونه مكتومًا. فلا يعلوهم عارف.

باذهردة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عظيم الغيرة)

أجبنا: أي ولي. يا صفي. يا خلي. يا نجي ألم تعلم أن جمهور أهل الولاية أعظم الكائنات غيرة. وغيرتهم على صنوف. قد فصلناها في باب الصفات في كتابنا تكملة الفتوحات المكية. وغيرتهم أنواع.

فنوع يغار على حرمات الله تعالى. وهو أعظمها.

ونوع في غيرتهم على افتعال الخير وهو المعبر عنه بقول النبي (ﷺ): (لا حسد إلا في اثنين). الحديث.

ونوع في غيرتهم على المحبة. فيغارون أن يسبقهم أحد في محبة الحق تعالى.

ونوع في غيرتهم على تتبع سنة النبي (ﷺ). فيغار الولي أن يطبق السنة أحد غيره أكمل منه وأدوم عليها:

ونوع في غيرتهم على المقامات. فهم متصارعون على المقامات. أيهم يسبق.

وهو من أعظم الغيرة وهذا مقام له أسرار عظام. أعرضنا عنها لكونها مقامات فيها ابتلاء جسيم.

ونوع في غيرتهم على نوال اللذة الشرعية أيهم يتلذذ أعظم.

ونوع في غيرتهم على شدة الزهد. أيهم يزيد أعظم من صاحبه.

ونوع في غيرتهم في باب الورع. وأيهم يدقق فيه أكثر. ومن أقطاب هذه الرتبة المحاسبي.

ونوع في غيرتهم على النساء. وهو مقام عظيم.

ونوع في غيرتهم على رؤية النبي (ﷺ) أيهم يراه أكثر.

ونوع في غيرتهم أن يتحكم فيهم أحد بحال. وهو مقام ابتلاء.

إلى ما شاء الله من مقامات الغيرة التي لا يحصرها القلم. ولا يجمعها رسم.

بل مقامها: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾. وكلها من باب الغيرة الربانية المحمدية.

صدفة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عاشق للسبق ★ فلا يسبقه أحد بمقام ★ أو مفخرة ★ وإلا قتله بسيوف همته ★)

أجبنا: وهذا سر قوله (ﷺ): (سيروا سبق المفردون).

قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: الذين اهتزوا في ذكر الله يأتون يوم القيامة خفافًا يضع الذكر عنهم أثقالهم).

والختام شيخ السبق. فهو الشيخ السابق إلى كل مفخرة. اللاحق بكل محفلة.

قد عشق السبق. وقد عشقه. بل السبق متفرع عن همته. إلى أرباب الميدان. وفرسان الطعان.

فأعطى كل سابق. علمه وفنه. وإن لم يكن هو السابق. فعلم السبق منه. وعنه أصلًا. وهو السابق حقًا.

تحفة من خزائن القدس في معنى السبق وسره الأزلي

فرب مسبوق خير من سابق في العلم الأزلي المصون. كما رأى الرسول (ﷺ) بلالًا وقد سبقه. فليس معنى هذا أنه خير منه. ولكن سبقه بمدده.

فالسابق مستمد من المسبوق. وهذا من عجائب الحقائق. فلا يسبق أبا القاسم (ﷺ) أحد وإن كان مسبوقًا فإنما هو شيخ السابقين صاحب اللواء والشفاعة.

فضة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (جمهور الأولياء بين يديه كالذباب ★ لا مناسبة بينهم وبينه ★)

أجبنا: هم كالذباب ليس في حقارتهم، معاذ الله في حق الأولياء. عليهم رضوان الله تعالى وتقدست أسرارهم.

بل هذا التعبير اقتبسناه من قوله تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾.

ومن قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾.

وهذا في حق كل الناس. من مؤمن وكافر وولي وعامي. فهو مقام تشريف.

لكن ضربناه بالذباب لكونه سريع الحركة متى صرفه انصرف الخاتم. ولكونهم لا مناسبة بينهم وبينه. بل لا ذوق يسري بينهما.

زجاجة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (عظيم اللذة ★ كثير النكاح★ محبٌّ له بشغف★) .

أجبنا: هذا من علوم القطب الجامع. وهو من أوجه الكمالات المحمدية عند الرجال. لكون النبي عليه السلام من سنته كثرة النكاح. فأعطي قوة مائة رجل.

ألا تراه كان يطوف على نسائه كل ليلة في المدينة بغسل واحد.

وهذا ما لا يستطيع فعله أي رجل من الخلق.

درة في معنى التلذذ بالوجود وذراته أي كله

وقد فصلنا هذا بتوسع في كتابنا تكملة الفتوحات المكية.

ولا يكمل الرجل حتى يحس أنه يتلذذ بالوجود بأسره. كل ذرة فيه.

وقد رأى ابن عربي في رؤيا منامية كأنه ينكح النجوم. فنال حظًا خصيبًا من العلم.

وهذا النكاح المعنوي للكون. خرجت صفة هذا النكاح عن النكاح الحسي. ولا مناسبة بينه وبين النكاح المعنوي.

وأول درجات النعيم الأخروي هو نعيم اللذة الفرجية. تكون هذه اللذة أرقى لذة حسية عند الآدمي.

أما في الآخرة فهي أول درجات المتلذذين. ومنهم من يتحقق بالمعنى الأخروي في الدنيا. فيهجر النكاح إلى لذات أرقى تخرج عن النكاح الحسي لا تنال إلا بذوق بليغ.

خرزة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم يا حكيم القوم ولسان المتكلمين: (مقامه بين النبوة والقطبانية ★ إمامه محمد (ﷺ) ★ لا فضل لمخلوق عليه إلا إمامه ★)

أجبنا: قد أخذ الخاتم منزلته بين الغوثية والنبوة كاد يلحق بالنبوة.

له مقام نبي لم ينبأ. لا مقامه. أي الذي تنبأ فيه. ونزل عليه الوحي به. لكون الوحي لا ينزل إلا على نبي سواء أرسل أو لا.

أما الملك فينزل على أهل الولاية بغير وحي. قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ الآية. ولكن لا ينزل ملك على ولي بأوامر إلهية أو شرعية. لكون هذا لنبيه أسبق وأميز.

وكان شيخ الختم هو رسول الله (ﷺ). وهذا لكون كل واصل يجب أن يكون له شيخ. ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان.

ومن هنا أزيل السبب وضاعت السلسلة. فهو الآخذ مباشرة عن الحضرة المحمدية.

وهذه علة تكون من علل بلائه. فيكذب بهذه الشبهة.

فيقال له: كيف أخذت عنه مباشرة وخالفت كل أهل الإسلام. وكل أصحاب الإجازات والقبضات.

وهم مساكين ما عملوا شأنه. ولا تيقنوا بيانه.

وذهب الذاهب وقال له: كيف يكون لا فضل لأحد عليك؟ إلا رسول الله (ﷺ)؟ فأجاب: لكونه إمامي. وأستاذ نظامي. وأنا عينه. وباطنه.

بل هو القائل لي هذا البيان مباشرة ويقظة. لا منامًا أو خيالًا أو مخامرة.

واعلم يا ولي الله أيدني الله وإياك بروح القدس أن الولي الخاتم هو أذوق

ولي لحال وأوصاف وسنن رسول الله (ﷺ) فضاعت عنه الوسائط الموصلة لحضرته عليه السلام. بل هو واسطة الوسائط.

سبحة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (الكل مدعوون لمقامه★ وما ذاك إلا لعلو شأنه★ وما هو إلا واحد★ والباقي أصحاب دعاوى★)

أجبنا: فقد كثرت الدعاوى في شأنه. وتحسر الرجال. عن بلوغ الآمال.

وادعى كثير كرسي منصته. لما حدج بدايته وما لمح إلا لمعان الرتبة. وأوهام المنصة.

فهيهات هيهات أن يعود ما فات. هناك هناك لما علموا حقيقة هذا الإمام. ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وخنقتهم العبرة لكونه سد عليهم هذه التحفة ومنع عنهم هذه النفحة. فهم أسارى جوده. مستمدُّون من شهوده. وعظمت الدعاوى وما هو إلا في مقام الفردانية متنقل بين المنة والقربة. قد أتعبه السير.

لكن قوة روحه وترواحه قد آنسته. فلا يمل.

كهربة أسرار ختمية

قال القائل: ما سر قولكم أيها الشيخ الأكبر: (فها هو الختم★ قد أخفى حقائقه★ بخادعات مظاهر الأقوال★ فحجبهم عن شهود مقامه★ فهم في عماء عن بلوغ وصفه★)

أجبنا: اعلم أيها الفتى الولي. والهمام السخي. أنَّ ألباس الخاتم مظاهر الباطن. وهو حجابه. إذْ كل ولي يصح له حجاب. وهذا علم دقيق. قلَّ من تكلم فيه.

والولي يمكر بحجابه. ليخفي مقام دلاله. حتى لا يدرك له أثر في هذه

الدار. فهو في قرار. عن الوصول إليه. أو الحوم حواليه. وكلما عظم المقام يا ولي. دقَّ الحجاب. وخفي ورق.

وكلما رق الحجاب. عظم الذوق. عند العارف وتتلون مشارب حجبهم حسبًا لمذاقات صفوهم. وكان خاتم أهل الولاية المحمدية شيخ مقام المخادعة الحجابية إذ مقام حجابه ظاهر باطنه. فهو علم قلّ من ذاقه.

كتاب
ناسوت المخاطبات ولاهوت التجليات

الحمد لله المتحنن بأنس مخاطباته على أهل البساط. فميزهم عن غيرهم دون اختلاط. ألا تنظر يا ولي إلى صفاء تلك المخاطبات. المعصورة من ماء فواكه الجنان والجنات. ما أعذبها. وما أرقها. وما أنداها. ما أحلاها. ما أطولها. ما أقصرها. ليتها دامت. فإنها استطالت وما دامت.

كأنها خلسة السحر. أو طرفة نظر. أو ضحكة حوراء. أو لفتة ظباء.

من أنا. ومن هو. ومن كلانا. ما أرقه. ما أقساه. ما أكثر تجنيه عليَّ. وأعذب هجره فيَّ.

يا أنا أو يا أنت. كلاهما واحد. ذابت المقامات. وسقطت المنصات. وانعدمت الحواجز. ودنت الحوافز. دعني أشكوك إليك. وأبتعد عنك. ألا تنظر هذا الدلال. وعجائب الخصال. لقد أتعبتني. وكم أرحتك. وعذبتني. وكم رحمتك. وهجرتني. وكم واصلتك. ومنعتني. وكم أعطيتك. أنا عاتب عليك. هامس في أذنيك ألا تكشف الحجاب. ودعنا من العتاب. وفي هذا المشهد قلت لك. في ساحتك:

لا تَكْشِفِ الأَسْتَارَ عَنْكَ فإنني — أَرَاكَ بِنَفْسِي قَدْ سَكَنتَ بِنَارِهَا
جَمِيْلٌ وِصَالُكَ والخِصَامُ أَلَذُّ منه — جَرَحْتَ قُلُوباً قَدْ خفيتَ بِغَارِهَا
دَلالُكَ سِحْرٌ والعَذُولُ أَرَقُّ منه — أَثرتَ شُجُوني لَظَنّي بِشرارِهَا

شطت الديار. وبعد المزار. وتأججت في قلوبنا نار. عظم منها الأوار. فدعني أخاطبك على انفراد. فأفرغ كل المراد أنا ما عدت احتمل. ولا أصلح للقبل. ها أنت طرحتني في البلاد. وشردتني في العباد. وما اتفقنا على هذا. فلا تقل لماذا؟ أنا الغريب. المسكين الذليل اليتيم. المحتاج الضال. العائل. ألا يكفيك هذا.

لقد ذاب اللحم. وبرى الشحم. وتهرأ العظم. وما بقي غير جلد يابس. وشعر أشعث ليتني لم أسلك طريقك. فما أوعر سبيلك. تفرقت بي الشعاب. فأنا دومًا في اغتراب. بعدت عن الأهل. وحل بي ما حل لمن أشكوك؟.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عرش العالم. وكرسي المعالم. غوث الوجود وأستاذ الشهود النبي الأمي والرسول الإلهي. وبعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مخاطبة الفردانية

قال الخاتم: أوقفني علي بساط الفردانية وقال لي: أنت المنفرد. المُفرَّد. السيف المجرد. والشحرور المغرد. إنما سميت خاتم الولاية لانفرادك إليَّ. وانفرادي بك. الكل في غيرة من انفرادك. قد قتلتهم الغيرة من مقامك.

وقال لي: فردانيتك من فردانيتي. فما أعزك. وما أعزَّني بك. أنت وحيد. وفريد. ما لك مثيل. ولا يصح في مقامك تمثيل.

وقال لي: لولا انفرادك. لما علم انفرادي. ولولا ودادك لما شم طعم ودادي. ولولا مرادك لما تم مرادي. فبك تم الانفراد والوداد والمراد.

مخاطبة القربة

قال الخاتم: أوقفني على بساط القربة وقال لي: ما عرفوا قربي إلا بتقريبك

لي. وما ينبغي لي أن أقترب أو أبتعد. فهذا وهم في حقيقتي. وغريب في سليقتي.

وقال لي: أنت أقربهم وأنسبهم. وأعجبهم. هم عيال عليك. ما شموا طعم ذرة من مسكك. ولا عرفوا أحكام خطرك.

وقال لي: اقترب كما تريد. فهل من مزيد.

وقال لي: كل قرب بدون قربك فهو بعد. قد رددته رد. فوصفك ليس له حد.

وقال لي: إني مشتاق لقربك. صابر على هجرك. فافعل ما أحببت. وما أضمرت. فأنت الخاتم. وقد حق لك الدلال. ومحاسن الخصال.

مخاطبة المنة

قال الخاتم: أوقفني على بساط المنة وقال لي: أنت المنان. بيدك كنوز الإحسان. وأنا قابل لهذا الوصف فيك. قد أخلصته لك. فدع قول عذول وشماتة مخذول.

وقال لي: المنة منك هي مني أصلًا قولًا وفعلًا.

وقال لي: لَوْ أَبْدَيْتَ لهم ذرة من خزائنكَ لعذرتهم. فاكتم. فأنت المكتوم صاحب المقام المختوم.

وقال لي: خزائنك مكتومة. وكنوزك مدفونة لا علم لهم بها. فلا تحدثهم عنها. حتى لا يحسدوك ويصارعوك.

وقال لي: أنت صاحب المنة على أهل الولاية عارف بمنازلهم. قد أحطت بمقاماتهم ومنازلاتهم مليك السلطنة وأمير الأمكنة والأزمنة.

مخاطبة أنت كنز التوفيق

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: قد جعلتك كنز توفيقي. فكن رفيقي.

وقال لي: لا غنى عن توفيقك. ومعاهد تحقيقك.

وقال لي: إنما أنا موفق بك. معتمد عليك.

وقال لي: يا نسخة توفيقي وطور تحقيقي.

مخاطبة الكتم

قال الخاتم: أوقفني على بساط الكتم وقال لي: خفائي من كتمك ولما كان الخفاء أصلح لنا فقد خفينا. وأنت على هذا القدم. على ذروة العَلَم.

وقال لي: إذا كان الظهور من فضة فالكتمان من ذهب. فالزم الكتم وشعار هذا الاسم.

وقال لي: لا تطيق الألباب أسرار كتمك. فوجهتك الكتم. ومقامك الختم.

وقال لي: لا تطيق العقول ظهوري. كما لا تطيق الألباب ظهورك.

وقال لي: لا ظهور لك في هذه الدار. فأنت مخفي وفي ظهورك هلكتك قد كتبت لك وعليك هذا.

وقال لي: ارفق بهم. وأشفق عليهم. إنما ذلك يكون باستتارك. ولا يتحقق إلا بحب خفائك.

وقال لي: لو أبديت رأس نملة من مقام الكنوز المكتومة. والخزائن المردومة التي خبأتها لك. لعلموا أنهم يردونها مفاليس.

وقال لي: إذا كانت شهوة الظهور مقام أقطاب فشهوة الكتم من مقامك بل مزجت برضابك.

مخاطبة دعني أحقق بك الأماني

قال الخاتم: أوقفني على بساط الأماني وقال لي: طال انتظاري لك. وشوقي إليك. كي تتحقق ذخائر المواريث. وفرائد التقاديس لا تحرمني من هذه اللحظات. ومن نفحات.

وقال لي: كل من حقق فبك حقق. وإنْ بدا في غير هيكلك.

وقال لي: يا محقق الأماني.

وقال لي: أنت أعز من روحي فحققني.

مخاطبة الفتوة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الفتوة وقال لي: أنت الفتى. وسواك عيل عليك.

وقال لي: أنت فتاها من قاف إلى قاف.

وقال لي: لا تتحدث لهم عن الفتوة في هذه الدار. فلا طاقة لهم بالكلام عنها. فكيف لو شاهدوا أفعالك فيها. ولكن دعهم وسيروا تلك الفتوة يوم القيامة. وعجائبها. وإنَّ غدًا لناظره قريب.

وقال لي: أنت الفتى الأول والآخر والظاهر والباطن.

مخاطبة الإنكار

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: دعهم ينكرون عليك. فهم ينكرون عليّ فاقتد بي. واصبر عليَّ.

وقال لي: لا يكمل حالك حتى يشتد الإنكار. ويروا في حقك الظلام نهار فأنت مبتلى بالإنكار عليك كلما نقضوك علا شأنك.

وقال لي: يا حبيبي إذا أنكروك فقد أثبتوك.

وقال لي: أنكر عليَّ الفرعون وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾.

وأنكر عليَّ النمروذ وقال: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ وأنكر عليّ قارون وقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾. أفلا تصح لك القدوة بي. والفرار إليَّ. هناك تكون عبدي حقًا. قَدْ مُتَّ فيَّ عشقًا. وذبت إليَّ شوقًا.

مخاطبة تعالَ ننفرد

قال الخاتم: أوقفني بين يديه على البساط وقال لي: تعالَ ننفرد بعيدًا عنهم.

وقال لي: الانفراد هو الازدحام. فازحم نفسك.

وقال لي: إذا خلونا سواء فقل ما شئت بلا حياء. وإذا شغلنا فتأدب.

وقال لي: تعالَ ننفرد. فأشهدك العجائب وأتحفك بالرغائب هذا لك أنت فقط.

مخاطبة ما وحدني وليّ مثلك

قال الخاتم: وقال لي: وحدوني بنقطة من بحار توحيدك.

وقال لي: لو اطلع أرباب الموحدين على سر توحيدك. لزعموا على كفرك وأجمعوا على رجمك.

مخاطبة المحبة

قال الخاتم: أوقفني على بساط المحبة وقال لي: إنما أحببت لأجلك. وكرهت لأجلك

وقال لي: إني جننت بحبك فكن مجنونًا بحي.

وقال لي: أنت حياتي فكن حياتي.

وقال لي: أنا أحبك لكن لا أبدي لك لألوعك.

وقال لي: هجرك لي أحب من وصالك.

وقال لي: لا أعرف اللذة إلا إذا رضيت عني.

وقال لي: الخصام هو حب الكرام. والهجر أحلى من الخمر.

مخاطبة عشقي لك يزداد

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: لا صبر لي عليك. عشقي لك يزداد. فمتى يتحقق المراد.

وقال لي: يا أنا فقلت له: يا أنا

وقال لي: دعنا من أنا فليس هناك أنا. فما بيننا أنا فلنتحدث بلا كلام. برموز الأحكام.

مخاطبة الدلال

قال الخاتم: أوقفني على بساط الدلال وقال لي: تدلل عليَّ. وتخيّر فيَّ.

وقال لي: لولا دلالك لرأيت دلالهم لعبًا. وحنانهم خربًا.

وقال لي: الكل تدلل. لكنني لم أنظر إلاَّ لدلالك. لرقة جمالك. ونعومة خصالك.

وقال لي: أنت مليك الدلال. وأمير الجمال. وسلطان الكمال.

وقال لي: أنت عقد دلالي. وجنة جمالي. دلالهم جفاء. وحنانهم هراء.

مخاطبة الغفران

قال الخاتم: أوقفني على بساط الغفران وقال لي: كل من رأى طلعة بدرك. ولمح عذوبة ثغرك. لا يقوم عن محبتك إلا وهو مغفور له. منثور عليه.

وقال لي: كل من رآك أو رأى من رآك فقد دخل جنتي. وأنعمت عليه بخلعتي.

وقال لي: أنت الجنة. وسواك الجحيم.

وقال لي: معك نعيم. أعظم من الجنة. لكن لا تكشفه لهم فتكلهم.

مخاطبة الهيبة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الهيبة وقال لي: دع الهيبة تتحدث.

وقال لي: الهيبة هي سقوط الكلام. في بحار المقام.

وقال لي: أخرستهم هيبتك. وشيبتهم طلعتك.

وقال لي: لا هيبة ولا خشية. إنما أرهبتهم أنوار. وجمدتهم أسرار.

وقال لي: هيبة خاتم الولاية. كأهوال يوم القيامة.

وقال لي: الهيبة هي ضياع الهيبة.

مخاطبة الانبساط

قال الخاتم: أوقفني على بساط الانبساط وقال لي: ما أحلى الهيبة إذا مزجت بالبسط وإلا فهي غمط.

وقال لي: ما أحلى عسلَ انبساطك وما أرقَ أثاثَ بِلاطك.

وقال لي: ليس كل من ضحك فقد انبسط. فربما خرج عن الأدب وخلط.

وقال لي: لا يتم كمال البسط إلا إذا عربدت ورويت وسكرت. فهذا أحلى عندي من يقين الهيبة وفتون الوحشة.

مخاطبة جنوني بك

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: جنوني بك قديم. وفتوني بك عظيم.

وقال لي: لا ينبغي لغيرك أن يدخل علينا. وإن تعددت الهياكل.

وقال لي: من ذا الذي يراك ولا يهواك.

وقال لي: قد ألقيت عليك محبة مني. ولتصنع على عيني.

مخاطبة الأسرار

قال الخاتم أوقفني على بساط الأسرار وقال لي: مشوا على شاطىء أسرارك. فظنوا أنهم خاضوا في لجة أعماق بحارك.

وقال لي: السِّرُّ مُر.

وقال لي: أسرارك لا تنال بمجاهدة ولا منة.

وقال لي: أراك تتحدث وتخر منك الأسرار فلا تتحدث بعد اليوم. إلا لاضطرار.

وقال لي: لا حر ولا برد إلا من عين سرك.
ولا ضحك ولا بكاء إلا من عين سرك.
ولا خوف ولا رجاء إلا من عين سرك.
ولا جوع ولا شبع إلا من عين سرك.
ولا عطش ولا ري إلا من عين سرك.
ولا عرى ولا استتار إلا من عين سرك.
ولا قبض ولا بسط إلا من عين سرك.
ولا سكون ولا حركة إلا من عين سرك.
ولا سمع ولا بصر إلا من عين سرك.
ولا معرفة ولا يقين إلا من عين سرك.

ولا مقام ولا حال إلا من عين سرك.
ولا فناء ولا بقاء إلا من عين سرك.
ولا مشاهدة ولا مكاشفة إلا من عين سرك
ولا توبة ولا أوبة إلا من عين سرك
ولا حنان إلا من عين سرك.
ولا رضاع إلا من عين سرك.
ولا وصال إلا من عين سرك
ولا إخلاص ولا صدق إلا من عين سرك.
ولا جمال ولا جلال ولا كمال إلا من عين سرك.
إلى ما شاء الله.

مخاطبة أعلمك بدون كلام

قال الخاتم: وقال لي: أفضل ما عَلِمَ. إنما عُلِمَ عن الصمت. دون الكلام.

وقال لي: الكلام يفسد التعليم.

وقال لي: لما أحببتك. فقد علمتك. بغير حديث وهذا من كنوز المواريث.

وقال لي: من أراد أن يتعلم مني. فلا يكلمني.

وقال لي: دعنا نتكلم بغير حروف وكلام

وقال لي: الحرف حجاب.

وقال لي: تجرد عن الكلام. وتعالى كلمني.

وقال لي: كلامي بغير كلام.

مخاطبة الفيوضات

قال الخاتم: أوقفني على بساط الفيوضات وقال لي: أنت خزانة فيضي. وقبلتي وفرضي.

وقال لي: خذ من فيضي ما شئت لما شئت.

وقال لي: أي فيض. وأنت سلافة الحوض. وجنة الروض. فتى الوجود. وإنسان عين الشهود.

مخاطبة المناجاة

قال الخاتم: أوقفني بين يديه على بساط المناجاة وقال لي: ناجني بما شئت ولا تخجل.

وقال لي: بح لي كي أبوحَ لك.

وقال لي: إذا ناجيتني فاخلع رتبة الأدب. واسلخ أرومة النسب. فإنك أقرب لدينا من كل هذه التكاليف.

مخاطبة الغيرة

قال الخاتم: أوقفني على بساط الغيرة وقال لي: الغيرة دليل المحبة. ولولا قوة أنوار غيرتك لسقطت من عيني.

وقال لي: أنت أقوى الأولياء غيرة. وأشدهم شهوة.

وقال لي: فتون الغيرة محرق. وأنا أغار ولا ينبغي لي أن لا أغار. فكن غيورًا. أسدًا هصورًا.

وقال لي: لا تظهر معظم غيرتك فتهلك أحبتك.

وقال لي: نار الغيرة من أنواري. وذلك من بدائع أسراري.

وقال لي: قل لأهل الولاية. وأرباب الرواية والدراية: من ترك الغيرة لي. فقد تبرأ مني.

مخاطبة اقترب كي أمزج رضابي برضابك

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: لا يتم الوصال حتى تقبل بي. وتتلذذ بي. فأتلذذ معك. وأحب معك. وأغضب لك. وأمرح لك. هذا الكمال. وإلا فلا.

مخاطبة شدة غيرتي إذا نظرت لجميل سواي

قال الخاتم: وقال لي: لا تنظر لسواي من أهل الجمال. فتشتد غيرتي. فأحرقك فأنت لي. لا لسواي لا ينازعني فيك أحد. وإلا أتلفته وأنت معه.

مخاطبة اللذة

قال الخاتم: أوقفني على بساط اللذة وقال لي: ما تلذذ بلذتي إلا سواك.

وقال لي: أنت أعظمهم تحققًا بلذة النكاح.

وقال لي: أيّ فتى أنت؟ أبديت من اللذة ما أخفيت. وأخفيت من اللذة ما أبديت.

فقال لي: لو ذاق سلاطين المعرفة. وأكاسرة التربية. نقطة من ذوق لذتك. لتهتكوا. وعربدوا في الساحة وأنت شربت بحور اللذة وسكنت. وبلعت خزائن مائي وما رويت فهنيئًا لك هذا العطش السرمدي. هنيئًا. أيها الخاتم.

مخاطبة تحكمي فيك لا تحكمك فيَّ

قال الخاتم: وقال لي: دعني أتحكم فيك. وسأريحك أكثر مما تظن.

وقال لي: لن تتحكم فيَّ. حتى أتحكم فيك.

وقال لي: لن تحتكم لسوانا فلا ينبغي أن يدخل بيننا غريب.

مخاطبة سدرة المنتهى

قال الخاتم وقال لي: مقامك عند سدرة. لم يلمح ظلالها أي فتية.

مخاطبة البطون

قال الخاتم: أوقفني على بساط البطون وقال لي: أنا الباطن وأنت الباطن.

وقال لي: لولا بطونك لما تحقق بطوني.

وقال لي: أنت ضد الظهور.

وقال لي: أنت خَضِر هذه الأمة. وخَضِر موسى فتاك. ها هو مستمد من نداك.

وقال لي: أنا معجب بك في البطون. أكثر من فتوني بك في الظهور.

مخاطبة لن أتحقق حتى تحققني

قال الخاتم: أوقفني على بساط الحقيقة وقال لي: خلقتك لتحققني فتحمل أمانة التحقيق.

وقال لي: تحققك بي لن يتحقق إن لم تحققني لي. لا لك.

مخاطبة اطمع فيَّ كما شئت

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: اطمع فيَّ كما شئت فلن أحاسبك

وقال لي: اطمع فإنك لا تطمع في عاجز أو فقير.

وقال لي: لن تتحقق آمالك حتى تطمع فيّ.

وقال لي: إنْ لم تطمع فيَّ. فمن يطمع.

مخاطبة لا أملّ من حديثك

قال الخاتم وقال لي: حَدّثني فإني لا أملّ من حديثك.

وقال لي: الكلام بيننا لا ينقطع. إلى أبد الآبدين وإن كنتُ أنا كل يوم في شأن فهذا من شأني.

مخاطبة قل لو كان البحر مداداً

قال الخاتم أوقفني وقال لي: أنت الكلمات. وهم البحر. فلو نفد البحر لما نفدت الكلمات.

مخاطبة اترك مقامك وتعالَ إلى مقامي

قال الخاتم: وقال لي: لا ينبغي لعارف أن يأتيني بمقامه فالكل يذوب فيَّ.

وقال لي: عندي لا مقام لا حال فأنا شيخ الحال والمقام وأنا أعز من كل هذا.

وقال لي: لا مقام لك عندي. بل أنت من حيث أنت. أحببتك لكونك تحبني من حيث أنا لا من حيث مقامي.

مخاطبة ما قدروا الله حق قدره

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: ما عرفوا قدري والأرض جميعًا قبضتي يوم القيامة والسموات مطويات بيميني. وكذا ما عرفوا قدرك وهم جميعًا في قبضتك والأرض والسموات في طي يمينك.

مخاطبة إخفاء الحكمة العليا

قال الخاتم: أوقفني بين يديه وقال لي: اخفِ الحكمة العليا إلا عن أربابها. وصنها في حجابها.

وقال لي: الحكمة العليا هي قلبك وهو بيتي. وقدسي وفيه أنسي.

وقال لي: أنت أعز من الحكمة العليا.

وقال لي: لولاك لصارت الحكمة نقمة.

مخاطبة الذوق

قال الخاتم: أوقفني على بساط الذوق وقال لي: أنت كل الذوق.

وقال لي: لا ذوق بغير ذوقك.

وقال لي: إني أذوق بذوقك.

وقال لي: أنت أبو الذوق.

وقال لي: كل ما أحببتَهُ فهو من أرقى الذوق. وكل ما كرهته فليس من الذوق.

مخاطبة من صفا ونسي

قال الخاتم: أوقفني وقال لي: أنت الذي صفا ونسي.

وقال لي: لن تصفوَ حتى أصفو لك. فإذا صفيت لك أنسيتك نفسك. وأخذتك معي منك. فأنت أنا حينذاك.

وقال لي: تعالَ كي نتصافى. بلا دخيل بيننا ولا عذول يرانا. في خيمة الرضا. وسرادق الوداد.

مخاطبة وقوع الشبهة

قال الخاتم: وقال لي: إنما وقعت الشبهة في مقامك لندرة خصالك.

وقال لي: الكلُ مدعٍ لمقامك. فأنت فيه فريد. به وحيد. عليهم شهيد.

وقال لي: قد كثرت فيك الدعاوى وتعددت الفتاوى.

وقال لي: أنت أعز من الكبريت الأحمر. وأمكن من الجبل الأكبر لن تهزك دعوى. ولا تضرك ولا تنفعك فتوى.

وقال لي: أنت إمام الراسخين. وجبل أهل التمكين ما حدجوا إلا خيالك. وما تحققوا إلا في وهم ظلالك. فظنوا أنه مقامك.

مخاطبة القَدَم

قال الخاتم: وقال لي: قدمك على رقبة كل ولي.

وقال لي: إنْ وضعت قدمك في كفة وأقدام أهل الولاية في كفة لرجحت قدمك.

وقال لي: دعني أبارك لك هذه القدم.

وقال لي: قدمك تعدل ملكي.

مخاطبة إغلاق الدعوى

قال الخاتم: أوقفني على البساط وقال لي: أنتَ أغلقت الدعوى. وسددت باب الفتوى.

وقال لي: كل من ادعى من بعدك مقامك فقد أخفق. وأنت عليه مشفق.

وقال لي: ما أتى عارف ادعى مقامك بمثل دلائلك ولا علم حِكَمَ شواهدك. علمك مقرون بالثريا منوط بالحميا.

وقال لي: علامة خاتم الأولياء إغلاق الدعوى على نفسه. ورسم المزية على وصفه فلا يخرق مقامه مدعٍ.

مخاطبة قد قرنت بك نصري

قال الخاتم: أوقفني على بساط النصر بين يديه وقال لي: قد كتبت على جبينك النصر على من ناوأك.

وقال لي: لن أنتصر أنا حتى تنتصر أنت.
وقال لي: قد أعطيتك كل أسلحة النصر فكر وفر.
وقال لي: أنت جيش الباطن في الأرض لا يتم نصر الملة إلا بك.

مخاطبة خاتم الأولياء

قال الخاتم أوقفني بين يديه وقال لي:
أنت أنا. وأنا أنت. نحن روحان حللنا بدنا.
أنت روحي. أنت نفسي. أنت عيني.
أنت وصفي. وقدسي.
أنت ذاتي وصفائي وأسمائي.
أنت جنتي أنت ناري.
أنت لوحي. أنت قلبي.
أنت عرشي أنت كرسي.
أنت أرضي. أنت استوائي وسمائي.
أنت كلي. أنت جميعي.
أنت كل مالي. بل كل ما لديَّ.
أنت الخاتم.

كتاب
فك الرموز والإشارات
الغامضة في كتاب المخاطبات

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنني لما ألفت كتابي «المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء» عرضته على أخذ مشايخنا رضي الله تعالى عنهم فلما قرأه أعجب به ورأى أن عقول الناس لا تحتمل واردات الكتاب فأمرني أن أشرحه فما كان مني إلا أن أخضع لأوامره. وأستجيب لأشائره. وإن كان هذا الكتاب قد أحيا مذهب النفري في كتابه «المخاطبات» فإنه إمام هذا المذهب وأول من طرقه ولم يصنف فيه أحد من بعده كتابًا سوى كتابي هذا وكل ما ورد في هذا الكتاب وحق روح القدس له أصل شرعي في الكتاب والسنة رغم أنف أهل الحجاب ومن أراد أن يقتنع بمقولتي هذه فليأتِ إليّ كي أستخرج له السند الشرعي من القرآن والسنة لهذا الكتاب وكل ما ورد فيه فهو من مقام حدثني قلبي عن ربي وإنني وحق روح القدس ما استوفيت فيه لمحة من بوارق لمحاتنا. ولا خطرة من صفاء خطراتنا ولم أصنف هذا الكتاب حتى بشرني أحد الأولياء في عصري بمقام الختمية.

ومن مبشرات هذا المقام أنني رأيت في عام ١٤٠٨ رسول الله (ﷺ) فيما بين النوم واليقظة وأنا أتكلم بلسانه فقال لي بلساني في مقام الفناء فيه: «أما لو رآك أخي يونس لقال إنك نبي من الأنبياء» ورأيت وأنا عمري عشرون عامًا كأنه قد نصب لي منبر عال فارتقيته فرأيت أهل السموات والأرض قد حشروا بين يدي ورأيت ساعة بين يدي لو دبت فيها نملة لسمع دبيبها

فقرأت « الرحمن علم القرآن » فأحسست أن صوتي قد زلزل العوالم العلوية والسفلية وسمعته كل ذرة في الكون ورأيت في بدء أخذي لطريق مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه رأيته رضي الله عنه يعجن الحلوى بيديه الشريفتين على طبلية ويلقمني منها في فمي ورأيت مولانا ابن عربي الحاتمي قدس سره فقال لي: « اسمك على اسمي ولقبك فيه أول حرف من لقبي » ورأيت مولانا عبد الغني النابلسي قدس سره وقال لي: اصبر ومقامك عالٍ جدًا، ورأيت في المنام وأنا أتكلم بلسان الحضرة وأقول: « أنا فلتة من فلتات الدهر برزت إلى الوجود منذ عالم البدء الأول » ولما صنفت كتابي « طبقات الأقطاب » وذهبت إلى مولانا وشيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه قال في الحال: « الذي يؤلف طبقات الأقطاب قطب » والحمدلله ولله المنة ليس هذا فخر مني أو تزكية نفسي فإن الشعراني عدد المنن التي منّ الحق بها تعالى عليه في كتابه « المنن » في مجلد ضخم فليس أنا أول ولا آخر من تكلم عن نفسه وإنني أقول لك إن من منن الحق تعالى على أنني ألفت كتاب « المخاطبات » في مدة أقل من ساعة من الزمن وإن روحي هو الذي يكتب هذه المخاطبات لا أصبعي. والسلام على روح القدس المصون.

مخاطبة الفردانية

فك رمز وإثبات وإشارة « لولا انفرادك لما علم انفرادي. ولولا ودادك لما شم طعم ودادي. ولولا مرادك لما تم مرادي » إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ فإن العبد هو الذي يبتدىء لكونه محل الأوامر فإن الحضرة لا تبتدىء حتى يبتدىء العبد قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ولما كان الآدمي خليفة الحق تعالى في الأرض فإنه مأمور بتحقيق الصفات والأسماء الإلهية فالحق رحيم والرحمة واجبة في حق العبد والحق كريم والكرم واجب في حق العبد.

مخاطبة المنة

فك رمز وإشارة « أنت المنان » اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن

الحق تعالى يقبل ويطلب سريان صفته في عبده أي خليفته كما ورد في صحيح مسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال: « خلق الله آدم على صورته » أي في العبودية والقيام بحق العباد وإظهار المراد الإلهي وليس هذا معناه التشبه بالوصف الإلهي فحاشا وكلا بل المراد الاستخلاف المحض والعبودية الصرفة.

مخاطبة أنت كنز التوفيق

فلك رمز إشارة « التحقيق » وفيه تكلم الشيخ الأكبر في « الفصوص » والجيلي في « الإنسان الكامل » والنفري في « المخاطبات » فإن الألوهية لا ظهور لها في هذه الدار ولا رؤية لها إلا في الآخرة فمن هنا وجب تحقيق الغيب المحض. وهو الحق تعالى بالإنسان الكامل الظاهر وهو الخليفة في كل زمان فإنه لولا الرسل وأهل النبوة لما ظهرت رسالة أصلًا ولما علم الآدمي الأمر إلهي فالحق تعالى موفق بالرسل والأصفياء.

مخاطبة المحبة

فلك رمز وإشارة « إنما أحببت لأجلك وكرهت لأجلك » اعلم أن الحق تعالى إذا أحب عبدًا اصطفاه وكان محل نظره في الأرض واستخلفه فحينذاك يحب لأجله يكره لأجله كما قيل على لسان أبي القاسم (ﷺ) في حق الحسن بن علي رضي الله عنهما « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » وورد في الحديث الصحيح « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله »

مخاطبة عشقي لك يزداد

فلك رمز وإشارة « يا أنا » اعلم أيدك الله أن أهل المعرفة وأئمتهم منهم الغزالي في « الإحياء » والقشيري في « الرسالة » اتفقوا على أن الفناء في الحق تعالى هذا امتزاج في المحبة فقط لا في المقام فالحق حق والعبد عبد وآية هذا المقام في القرآن قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

مخاطبة الغفران

فك رمز وإشارة « أنت الجنة وسواك الجحيم » وآية هذا المقام من الكتاب قوله تعالى: ﴿يومئذ يود الذي كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض﴾ فكأن الجنة خلقت من أجل الرسل والجحيم خلق لمن عصاه وكفر به حتى يتمنى الكافر يومئذ لو تسوى به الأرض.

فك رمز وإشارة « معك نعيم أعظم من الجنة لكن لا تكشفه لهم» وهو نعيم الهداية الذي حير أكابر المرسلين والنبيين سره والذي أمر الحق تعالى الرسل بكتمان علومه فهو إلى محض من سر القدر واعلم أيدك الله أن المؤمن له مقام أعظم عند الله من مقام الجنة والعرش والكرسي واللوح والقلم قال الله تعالى في حق رسوله في الحديث القدسي: « لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك » أي الوجود كله وروى الترمذي بسند صحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » فكيف بالنبي والولي والصديق والخاتم إذا كان هذا في حق المسلم فقط وروي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه نظر إلى الكعبة وقال مخاطبًا لها: « والذي نفسي بيده إن لك لحرمة وإن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ».

مخاطبة أعلمك بدون كلام

فك رمز وإشارة « الكلام يفسد التعليم » وآية هذا المقام من الكتاب قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر﴾ فهذا التعليم في حق النحل ولم يكلمها أصلًا فكيف بأهل النبوة والولاية وأصل التعليم هو النفث وهو قول أبي القاسم (ﷺ): « إن روح القدس نفث في روعي » والنفث ضد الكلام لكونه هو النفخ وهو علم عيسى عليه السلام كان ينفخ فيتحقق له ما يريد قال تعالى: ﴿فتنفخ فيها﴾ وورد في الخبر عن النبي (ﷺ) أن الله ضرب بيده بين كتفيه فوجد برد أنامله بين ثدييه وقال: « أوتيت علم الأولين والآخرين » فما سر هذا الرمز ولم يعلمه أحد أصلًا

فكيف أوتي هذا العلم مع أنه كان أميًا كما ذكر في القرآن والذي أريد أن أقوله أن أهل الحق اتفقوا على أن معرفة الأنبياء والأولياء بغير كلام لساني فعندهم الكلام يفسد التعليم.

مخاطبة تحكمي فيك لا تحكمك فيّ

فك رمز وإشارة «لن تتحكم فيّ حتى أتحكم فيك» وآية هذا المقام من الكتاب قوله: ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ وهذا العلم له أصل في السنة وهو علم القسم على الحق تعالى فلا يلبث أن يستجيب للمقسم عليه. روى أبو نعيم في «الحلية» عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» فلما كان يوم تستر انكشف الناس فقالوا: يا براء اقسم على ربك فقال: «أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك» قال فاستشهد.

مخاطبة البطون

فك رمز وإشارة «أنا الباطن وأنت الباطن» وآية هذا المقام من الكتاب قوله تعالى: ﴿قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ وقال النبي (ﷺ): «إنما تنصرون بضعفائكم» وورد في الحديث أنه (ﷺ) كان يقدم ضعفة المؤمنين في القتال.

مخاطبة قل لو كان البحر مداداً

فك رمز وإشارة «أنت الكلمات وهم البحر فلو نفد البحر لما نفدت الكلمات» وآية صاحب هذا المقام قول الحق تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فإن علومه لا تنفد ولا تحصى وقد ورد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ لو فسرتها لقلتم إنه كافر وورد عن أبي هريرة أنه كان يقول: حفظت وعائين حدثتكم وعاء ولو حدثتكم بالوعاء الثاني لقطعتم مني هذا الوريد. وإذا تجردت الروح عن الجسد وخرجت عن

نطاق المادة ثم عن نطاق لباسها البرزخي ثم لباسها المكوثي ثم لباسها الجبروتي وعن جميع أرديتها فكانت روحًا مجردة من جميع أستارها وكافحت الحقيقة بالنور الذي منحها الحق سبحانه وقد صحت لها المشاهدة فهي حينذاك تمد البحور من بحر لا نهاية به وقد أجمع كل من تكلم في علم خاتم الأولياء على أن خاتم الأولياء هو الذي يمد أهل الولاية بالفيوضات التي يتلقاها عن الذات المحمدي ولا يمده أحد منهم.

مخاطبة الذوق

فك رمز وإشارة «إني أذوق بذوقك» وآية صاحب هذا المقام قوله تعالى: ﴿وقل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فلما أحب الحق تعالى نبيه (ﷺ) فقد ذاق بذوقه ولم يفرق فقال لهم: إن كنتم تحبونني أنا فاتبعوا ذوق محمد ولم يقل ذوقي فأعلمنا أن الذوق واحد أصلًا.

مخاطبة ما قدروا الله قدره

اتفق أهل الله والعارفون منهم الشيخ الأكبر في «الفتوحات» على أن القطب في كل زمان يرى السموات والأرض بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل والمتحقق من هذا العلم يعلم فوق السماء أكثر من علمه بطرق الأرض كما حكى ابن عطاء في «لطائف المنن» أن أبا الحسن الشاذلي كان يقول: المرسي أعلم بطرق السماء من طرق الأرض وهذا العلم له أصل عند الصحابة فإن عمر الفاروق كان يخطب والمعركة بين يديه كالقصعة بين يدي الآكل حتى قال: يا سارية الجبل وله أصل أيضًا عند أهل النبوة فهذا محمد (ﷺ) طاف الكون كله في ساعات ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى في الإسراء والمعراج وكذا عرج بإبراهيم عليه السلام فقيل في حقه ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ وأسرى بإدريس عليه السلام وقيل في حقه: ﴿ورفعناه مكانًا عليا﴾.

مخاطبة لجة القدم

قد صح عند أهل المعرفة وعليه اتفق الراسخون في العلم على أن كل واصل منهم إلى مقام القبطانية في وقته يؤمر من قبل الحضرة الإلهية والمحمدية أن يقول: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» وهذا وقع لعبد القادر الجيلاني وأبي يزيد وابن عربي وأبي الحسن البكري والقدم في اصطلاح القوم هو لغة المقام.

مخاطبة قد قرنت بك نصري

فلك رمز وإشارة «لن أنتصر حتى تنتصر أنت» وآية هذا المقام في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين﴾ فإن نصر المؤمن هو عين نصر الحق تعالى.

كتاب
طلاسم العناية
الدالة على أوصاف خاتم الولاية

الحمد للمليك. ملك الملوك. بهي الأوصاف. صاحب الألطاف. سبحانه لا أحصي ثناء عليه. هو كما أثنى على نفسه. وصلى الله على فتى الوجود وغوثه وهيكله وقدسه. محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين.

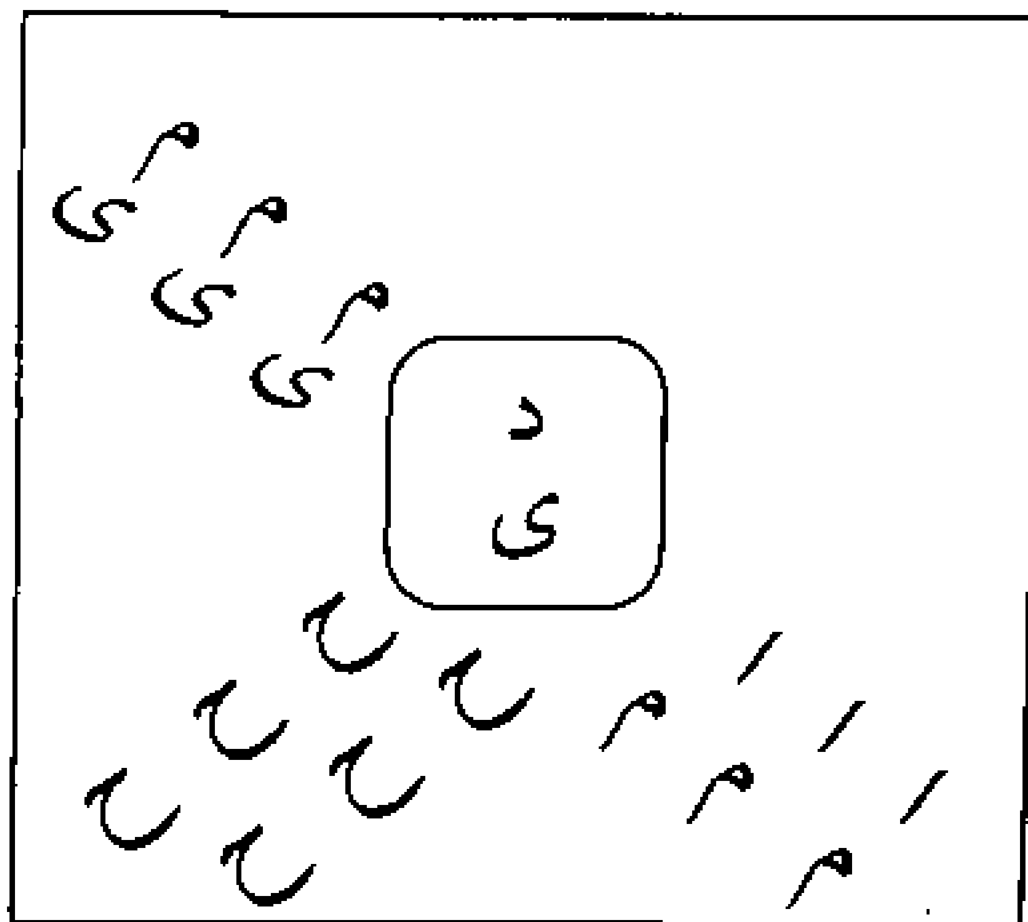
وبعد.

فهذا كتابنا المسمى: (طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية).

قد صنفته حجة عليّ وعلى القوم وعلى المنكر لأوصاف الخاتم فهو في نظام دوائر ألغاز. لم يوضع مثله. ولم يفكر في اسمه. وبالله التوفيق وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

طلسم اسمه

وهذه صورته:



طلسم اسم أبيه

وهذه صورته:

د

طلسم لقبه

وهذه صورته:

تـاج ن ى
م ط ع ى

نجاتي عميط	ط ت
ا ت ج ن ى ط ى ع م	ع ج
جـنـاتـي ى ط ع م	م أ
أين ج ت عيـمـط	ى ن
أنت ى ج م عط ى	ى

طلسم كنيته

وهذه صورته

س	أ	ب	ع	ل	أ			أ
ر	كـ	ب	و	ب	م	و	ب	

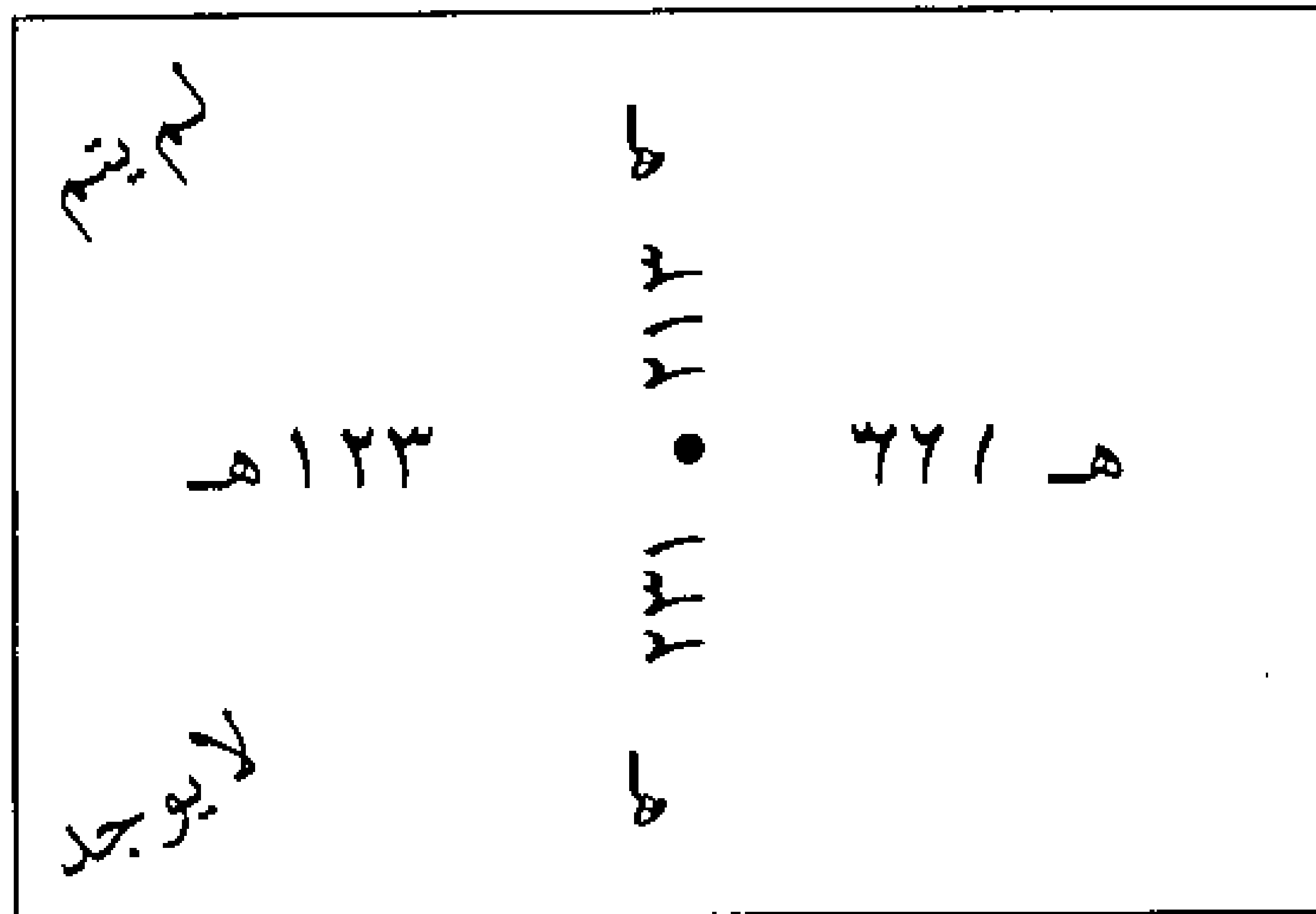
طلسم سنة ولادته

وهذه صورته:

	ط	
	ط	
هـ٣٨٣	ا	٣٣٨ هـ
هـ ٥١١	.	١١٥ هـ
	ـ	
	ه	
	ـ	
	ط	

طلسم سنة وفاته

وهذه صورته:



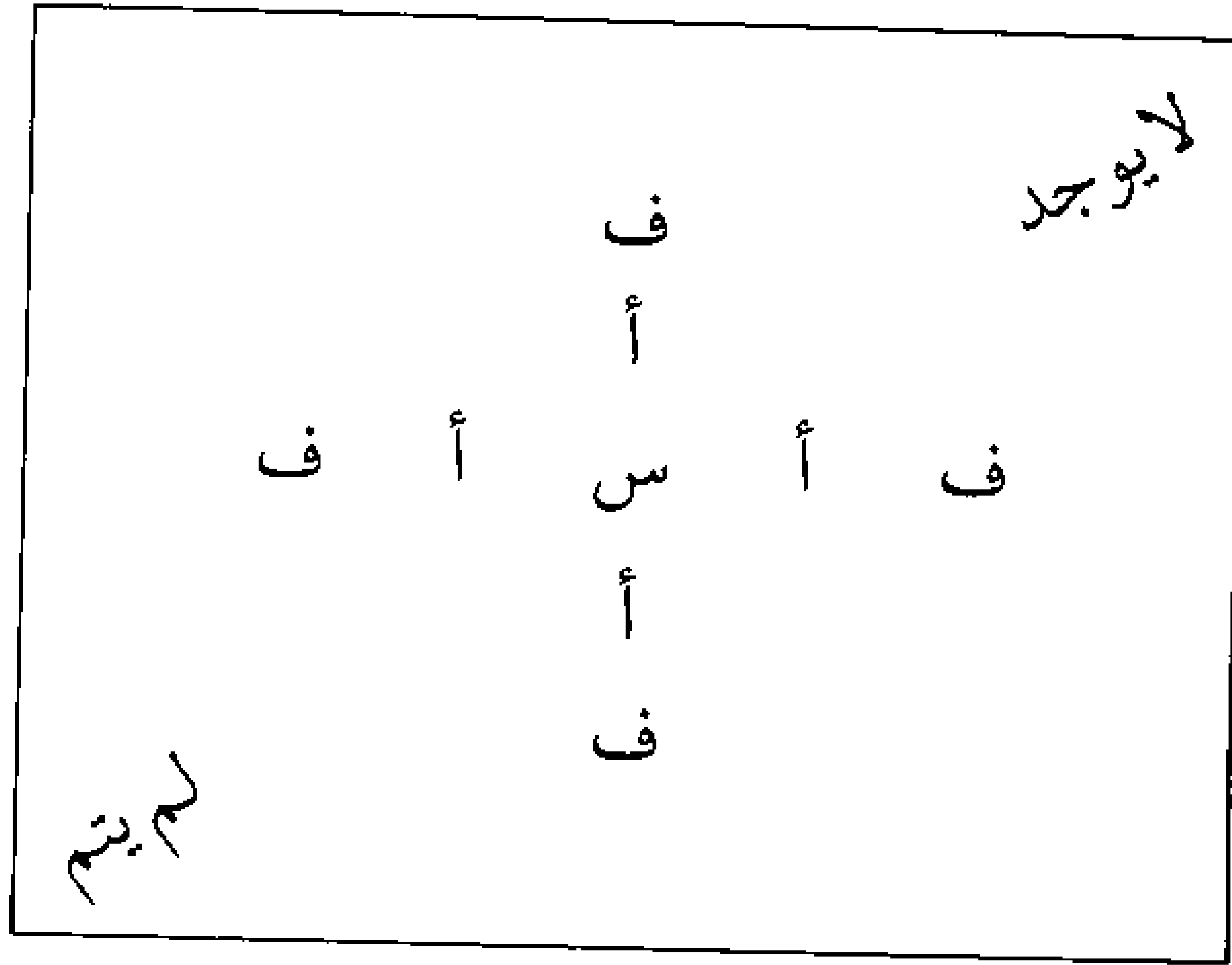
طلسم البلد التي ولد فيها

وهذه صورته:

ع	ى	ن	م ط	أ ع	ض م	ى ه

طلسم البلد التي مات فيها

وهذه صورته:



هذا آخر مصنفنا المسمى (طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية).

ومن أراد المزيد عن الخاتم رضي الله تعالى عنه فعليه بكتابنا المسمى: (أسرار خاتم الأولياء).

وعليه أيضًا بكتابنا المسمى: (رد بعض الوفاء بإظهار قطرة من أسرار خاتم الأولياء).

وعليه أيضًا بمطالعة كتابنا المسمى: (المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأوليات).

وعليه بمطالعة كتابنا المسمى: (إحياء المعاني المقصودة في كلام الفتى التجاني).

وعليه بمطالعة الباب الأخير من كتابنا المسمى: (تكملة الفتوحات المكية).

كتاب
طبقات من ادعى الختمية المطلقة

الحمد لله العلي الأعلى. ذي الدرجات العلي والمقام الأسنى ملك سرت آياته في الظهور والبطون. وإن استتر عن العيون وصلى الله على عروس القيامة ساقي الندامى بكأس مدامة وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

اعلم أيها الولي والنجي الصفي أن من أهل الولاية من ادعى مقام الخاتم المطلق للأولياء ولم يحظَ به. لكونه واحداً في الوجود وذلك أن الواصل يرى أن شرطًا من أشراط الخاتم المطلق تحقق فيه فيظن أنه بلغ هذا المقام ولعمري ما بلغه وإنما بلغ مقام أولياء عصره فقط. فإذا اطلع على مقام الخاتم وهيئته رجع عن دعواه.

ومنهم من يدعي حقيقة المقام ولا يرجع لعدم دواعي الرجوع وإن كان ليس مقامه.

«وصل شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية»

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الشكوك كثرت من هو الخاتم لما كثر أدعياء هذا المقام؟

فعلم الفتى المحقق أن الخاتم فرد واحد والباقي أدعياء.

ولكن هناك نكتة بديعة وهو أن المدعي قريب من مقام الخاتم لكونه رأى بعض أوصافه فهو بالغ لبدايات هذا المقام لا مندمج في عينه.

فلا يقال عنه إنه خاتم الولاية لكونه لم يحظَ به أصلاً.

ولما كان القوم لا يصح في حقهم نقيصة أو افتراء.

فإنهم لا يفترون كذباً وإنما عبروا عما شاهدوا وعاينوا. كلٌّ على قدر حوصلته.

فربما مكث العارف على معاينة مقام شاهده هو ليس له فهذا من أعظم الملابسات عند أهل الحق المعاينين.

فليتحقق كل عارف من قوله قبل دعواه. حتى لا يدّعي مقام غيره.

إذ الفتى من رجع عما ادعاه وهو ليس له كما فعل الشيخ الأكبر قدس الله سره.

«وصل في معنى الرجوع»

أما قاعدة الرجوع فهي قاعدة تحقيق إلهية.

فقد رجع موسى عليه السلام عن الولوج إلى المقام المحمدي الخاتم لما قال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾.

فقيل له بلسان الحضرة: لن تراني.

فعلم أن هذا المقام من مقامات خاتم النبوة محمد عليه السلام وأنه ليس له فرجع.

وإذا كان أولو العزم قد ادعوا ورجعوا فحق للولي أن يستن ويقتدي بهم في شئونهم.

واعلم أنه لكل زمان خاتم من الأولياء يختم به الحق تعالى ولاية الزمان

وعلومها. وهو غير الخاتم المطلق الذي هو واحد في الوجود لا غير من آدم حتى الساعة.

«وصل ومن سمعناه»

ومن سمعناه يا ولي الله يقول: أنا خاتم الولاية.

فربما يقصد خاتم ولاية عصره دون الخاتم المطلق فحقق في هذا المعنى. أيدك الله.

«طبقات من ادعى الختمية المطلقة ولم يحظَ بها»

★ «الحكيم الترمذي قدس الله روحه العزيز» هو أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي. كان خاتم أولياء عصره وقطب زمانه.

وهو أول من ادعى الختمية المطلقة وكشف علوم هذا المقام وتكلم عنه وصنف فيه فهو إمام هذا العلم بحق والواقع أنه حظي من الخاتم بنفحات كثيرة يشمها القارئ لكتبه. ويعلم من هذه الذخائر ما يذهب بالألباب. ومن أعظمها مصنفه المسمى «ختم الأولياء». الذي حير به من بعده ومن قبله من أهل العرفان.

توفي الحكيم بترمذ سنة (٢٥٥).

★ «الشيخ الأكبر مولانا محي الدين بن عربي قدس الحق روحه العزيز» كان خاتم أولياء عصره وهو أقرب أولياء هذه الأمة على الإطلاق إلى مقام خاتم الأولياء. والمتذوق يفهم هذا من خطبة الفتوحات. وكان قطب عصره.

وهو أول من ادعى هذا المقام بعد الحكيم وأول من شرح «ختم الولاية» للحكيم الترمذي وبيَّن غوامضه.

وقد تعلق روحه بهذا المقام الأسنى والعز الأعلى والفتوحات مليئة حتى أنشده في شعره وقال:

أنــا ختــم الولايــة دون شــك   وروح الــروح والسبــع المثــاني

وانظر كتابه عنقاء مغرب وكتابه الفتوحات حيث قال في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات: وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد (ﷺ) ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولاً. وقد ولى في زماننا ورأيته أيضًا واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده إلا وهو راجع إليه. انتهى.

وصنف الشيخ قدس سره مصنفات جليلة في هذا العلم منها «شرح المسائل الروحانية في كتابه ختم الأولياء». ومنها «الجواب المستقيم عما سئل عنه الترمذي الحكيم». ومنها «عنقاء مغرب» وهو أعظمها فائدة. توفي الشيخ الأكبر سنة (٦٣٨) بدمشق.

★ «**أبو سعيد الميهني قدس الله روحه العزيز**» كان خاتم أولياء عصره. وشيخ صوفية وقته. وقطب زمانه ألّف فيه حفيده محمد بن المنور سيرة مناقبه المسماة «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد». قال أبو سعيد في أسرار التوحيد: أنا خاتم الأولياء توفي أبو سعيد سنة (٤٤٠).

★ «**محمد وفا قدس الله روحه العزيز**» والد علي وفا رضي الله عنه كان قطب زمانه وخاتم أولياء عصره وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قال الشعراني في ترجمته في الطبقات الكبرى: أخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العالية توفي محمد وفا سنة (٧٦٠).

★ «**عبد الغني النابلسي قدس الله روحه العزيز**» كان خاتم أولياء عصره وقطب زمانه ومجدد وقته قال ولده: كان والدي خاتم الأولياء توفي النابلسي سنة (١١٤٣).

★ « **شيخنا مصطفى البكري قدس الله روحه العزيز** » كان خاتم أولياء عصره وقطب وقته. جاء في ترجمته في كتاب « الكوكب الزاهي الدرّي في مناقب سيدي مصطفى البكري » من تصنيف الشيخ عبد المحمود بن نور الدايم السماني قال: كان رضي الله عنه خاتم الولاية المحمدية. توفي البكري سنة (١١٦٢).

★ « **محمد بن عبد الكريم السمان قدس الله روحه العزيز** » كان خاتم أولياء عصره وإمام زمانه.

قال الشيخ عبد المحمود السمان في ترجمته في كتاب « عنقود الجمان في مناقب قطب دايرة الأكوان محمد بن عبد الكريم السمان » قال: ومن كلامه رضي الله عنه: أنا خاتمة الولاية المحمدية ومذهبي مذهب محي الدين وطريقي قادرية. توفي السمان سنة (١١٨٩).

★ « **محمد الميرغني سر الختم قدس الله روحه العزيز** » كان خاتم أولياء عصره وغوث زمانه.

وهو مشهور عند أصحابه بأنه خاتم الولاية المحمدية المطلقة وكتبه وكتب طريقته مليئة بهذا المقام. توفي الميرغني عام (١٢٦٨).

★ « **محمد ماضي أبو العزائم قدس الله روحه العزيز** » كان خاتم أولياء عصره وغوث زمانه.

قال محمد علي سلامة في شرحه على كتاب « ختم الأولياء » للحكيم: ما رأينا أوصاف ختم الأولياء تنطبق على أحد إلا ما بمحمد ماضي أبي العزائم. توفي أبو العزائم سنة (١٣٥٠).

وهو آخر من رأيناه ادعى هذا المقام إلى وقتنا هذا.

«وصل انتهائي»

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن مقام التحقيق أن كل هؤلاء قد بلغوا مقام خاتم الولاية في عصرهم وقد ذكرتهم كلهم في كتابي «طبقات الأقطاب» وكل ولي قال أنا خاتم الأولياء فهو حق لكونه خاتم الأولياء في عصره لا على الإطلاق.

كتاب
غصن الكمثرى
في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى (ﷺ)

الحمد لله المعتز بنفسه والمتدلل بوصفه مليك المحاسن. وبديع ظاهر وكامن هو أعرف بنفسه من غيره ومحيط بحق قدره وأصلي وأسلم على عروس القيامة وساقي الندامى بكأس مدامة كرسي العالم وعرش المعالم الفتى القاسمي واللوح الشهودي والجبل الأمي محمد عبدالله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله وعلى آله وأصحابه.

وبعد.

فاعلم أيها المتحقق من معالمنا والمتعشق بدمننا والمتمسح بأطلالنا أننا قد أوتينا علم التحقق من أسرار القبول في دعاء أبي القاسم وألغاز الاستجابة في ابتهال ذاك العملاق الحاكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فإن القوم اكتووا وما دروا وشربوا وما رووا وافتخروا وما تغيروا أطلال شامخات وجبال راسيات تدكدك وتزلزل قف أيها المتمرد بتلك الحضرة وإياك والفترة أنت أيها الناموس الأعظم والناسوت المطلسم. واللاهوت المختم الكل امتزج وهو عين واحدة يتكلم بها ويبطش بها ويضحك بها ويبكي بها ويمكر بها. أبنفسه يا كعبة الحسن يفعل هو في هو. عجبًا من فاعل مفعول ومفعول فاعل ومن فعل فاعل مفعول تلك النقطة الواحدة هي المتكاثرة. والمتغايرة تعددت وانفعلت وتلونت. وبدت في صور شتى وعيون تترى. إن هي إلا

أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. الدعاء يا ولي الله هو دعاء الحق لك لا إلى نفسه وذاته وما دعاك الا لتعلقه بك وحبه لك وذلك سر قوله: «يحبهم» فإنه لا يدعو إلى حضرته من لا يحبه ويدحض عن تلك الحضرة أناسًا ويقرب آخرين وسر الدعاء هو الاتصال المعنوي وهو مقامات وأحوال أعلاه دعاء المقام التوفيقي وهو قوله تعالى على لسان نبيه (ﷺ): «وما توفيقي إلا بالله» فصاحب هذا المقام لا يدعو أصلًا بل هو من ترك الشؤون لباريها والأحوال لمنشيها وأقوى ما ورد علينا من الواردات في هذا المقام حال رسول الله (ﷺ) لما ذهب إلى الطائف وآذوه ورموه بالحجارة.

«فصل في فضائل الدعاء»

قال الحق تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «الدعاء مخ العبادة». وروى الإمام أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء». سنده صحيح.

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

«فصل في أن الحق تعالى يغضب على من لا يسأله»

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

قال الشاعر:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيَّ آدم حين يسأل يغضب

واعلم أيها الفتى اللوذعي واللبيب الألمعي أن الحق تعالى ما طلب منا أن نسأله إلا لكوننا محتاجين إليه قهرًا ومن نكات هذا المقام أنه ربما استغنى بعض العباد المغرورين عن الدعاء لنوالهم لمقصودهم أو لظنهم أنهم في مقام أمنوا فيه من المكر الإلهي.

وقد روينا في الأثر أن أخوين أحدهما طائع والآخر عاص فقال العاصي للطائع: أرأيت لو تبت فهل يقبلني الحق تعالى فقال له أخوه الطائع: ما أراه يقبلك فقنطه فماتا فأدخل الحق تعالى العاصي الجنة وأدخل الطائع النار فقال الطائع: يا رب ما ذنبي؟ فقال له رب العزة سبحانه: قد قنطته من رحمتي التي وسعت كل شيء وأنا قد خلفت ظنك فيَّ وخلفت ظنه فيَّ.

فانظر يا أخي قدر غضب الحق تعالى على من حجر رحمته وعظم غضبه على من لا يدعوه وإن كان عاصيًا.

وانظر إلى إبراهيم الخليل عليه السلام كيف لم يلجأ إلى الملك وهو ملقى في النار وخاف من غضب الحق تعالى عليه إذا لم يتوجه إليه بالسؤال وأن يجعل عليه النار بردًا وسلامًا وانصرف عن جبريل الأمين عليه السلام. وقد روى الشيخان حكاية الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة فمات هذا الرجل فغفر الله له.

«فصل في أنه لا يرد القضاء إلا الدعاء»

روى الترمذي عن سلمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر».

وقد ورد في الحديث الصحيح أن الحق تعالى يرد القضاء بالأبدال من أمته

فيستقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء وهذا ببركة دعائهم وتوجههم إلى الله تعالى.

روى الإمام أحمد في «المسند» عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام وهو عند علي وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «البدلاء بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله رجلًا مكانه يستقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب».

وروى الطبراني عن عبادة قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون».

قال قتادة: «إني أرجو أن يكون الحسن منهم».

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لن تخلو الأرض من أربعين رجلًا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: «لسنا نشك أن الحسن منهم».

فصل في بيان أن ترك الدعاء معصية»

روى الطبراني في «الصغير» عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة وترك الدعاء معصية».

«فصل في بيان أن أهل البلاء والعاهات تركوا سؤال الحق تعالى»

روى البزار عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) مر بقوم مبتلين فقال: «أما كان هؤلاء يسألون الله العافية» رجاله ثقات.

«فصل في بيان أن الرجل يستحب له أن يدعو الله تعالى وهو يحسن الظن به»

روى الطبراني موقوفًا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «والذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه وذاك بأن الخير في يده».

وقد ورد في الحديث الصحيح: «أنا عند حسن ظن عبدي بي».

«فصل يكره للرجل أن يسأل ربه وفي يده حجر»

روى الطبراني عن رجل قال: قال عبدالله مسعود لرجل: وإذا سألت ربك الخير فلا تسأل وفي يدك حجر».

والظاهر من الحديث استحباب فراغ الكفين من أي شيء يشغلها والأتمّ خلو القلب وهو بيت الرب وتجرده من العوالق المادية ففراغ القلب أولى من فراغ الكف فإن الحجر هو الثقل المانع من قبول الدعاء.

«فصل في ذكر دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب»

روى مسلم عن صفوان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟ قلت: نعم قال: فادعُ الله لنا بخير فإن النبي (ﷺ) كان يقول: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل له: آمين ولك بمثل قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك عن النبي (ﷺ) ولأبي داود بسند: «إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب».

وروى أبو داود عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي (ﷺ) في العمرة فإذن لي وقال: «لا تنسانا يا أخي من دعائك» فقال عمر: كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا.

« فصل في بيان أن أفضل الأعمال دعاء المرء لنفسه »

روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي أيوب أن النبي (ﷺ) كان إذا دعا بدأ بنفسه.

وروى البزار عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: « دعاء المرء لنفسه ». إسناده جيد.

« فصل في الانتصار بالدعاء »

روى البزار عن علي بن أبي طالب قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال ثم جئت مسرعًا لأنظر ما فعل رسول الله (ﷺ) فجئت فإذا هو ساجد يقول: « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو يقول ذلك ففتح الله عليه إسناده حسن.

وروى أبو يعلي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): « ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم أرزاقكم تدعون الله في ليلكم ونهاركم فإن الدعاء سلاح المؤمن ».

وورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: « إنما تنصرون بضعفائكم ».

وروى أبو نعيم في « حلية الأولياء » عن النبي (ﷺ) أنه قال: « رُبَّ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ».

وقد دعا سعيد بن جبير على الحجاج فقال: « اللهم لا تسلطه على أحد بعدي » فمات الحجاج في الحال واستجيب فيه دعاء سعيد.

ودعا النبي (ﷺ) على كسرى فقال: « اللهم مزق ملكه » لما مزق كتاب رسول الله (ﷺ) واستجيب لرسول الله (ﷺ) من بعده.

«فصل في ذمر أن أعجز الناس من عجز عن الدعاء»

روى أبو يعلى عن أبي هريرة قال: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء» رواه موقوفًا ورجاله رجال الصحيح.

«فصل في ذكر أن دعاء النبي على المؤمنين إنما هو قربة لهم»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

رواه الشيخان.

«فصل في آدب الدعاء»

عن عبدالله بن يزيد رضي الله عنه قال: خرج النبي (ﷺ) إلى هذا المصلى ليستسقي فدعا واستقى واستقبل القبلة.

وقال أبو موسى رضي الله عنه: دعا النبي (ﷺ) ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه. رواهما البخاري.

عن سلمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفْرًا» رواه الترمذي.

عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه. رواه الترمذي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» رواه أبو داود.

وروى أبو داود عن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) كان يعجبه أن يدعو ثلاثًا ويستغفر ثلاثًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» رواه الترمذي والحاكم.

«فصل في ذكر الدعاء المقبول»

«باعتبار الزمان»

«أولًا» يقبل الدعاء في الثلث الأخير من الليل.
«ثانيًا» في السجود.
«ثالثًا» ساعة الإجابة التي يوم الجمعة قيل هي بعد العصر وقيل هي آخر ساعة من يوم الجمعة.
«رابعًا» في ليلة القدر.
«خامسًا» في ليلة النصف من شعبان.
«سادسًا» في وقت نزول المطر.
«سابعًا» في وقت التقاء الجيوش.
«ثامنًا» في وقت الإفطار.
«تاسعًا» في مناسك الحج.
«عاشرًا» في ليلة الإسراء والمعراج.
«الحادي عشر» يوم عاشوراء.
«الثاني عشر» في ليلة مولد النبي (ﷺ).
«الثالث عشر» فيما بين الأذان والإقامة.
«الرابع عشر» في يوم عرفة.

«باعتبار الشخص»

«أولًا» الوالد لولده.
«ثانيًا» الولد لوالديه.
«ثالثًا» الأم.

« رابعًا » المظلوم.
« خامسًا » الصائم.
« سادسًا » الإمام العامل.
« سابعًا » النبي.
« ثامنًا » الولي.
« تاسعًا » الشهيد.
« عاشرًا » المؤذن الصالح.
« الحادي عشر » آكل الحلال.
« الثاني عشر » التاجر الصدوق.
« الثالث عشر » المسافر.
« الرابع عشر » الداعي بظهر الغيب.
« الخامس عشر » قارئ القرآن.
« السادس عشر » المجاهد في سبيل الله.
« السابع عشر » الغريب.
« الثامن عشر » المريض.

« باعتبار الحال والوصف »

« أولًا » النبوة.
« ثانيًا » الولاية.
« ثالثًا » أكل الحلال.
« رابعًا » المرضى.
« خامسًا » السفر.
« سادسًا » الغربة.
« سابعًا » الظلم.
« ثامنًا » الوقت.
« تاسعًا » الشخص.

« عاشراً » الصوم.
« الحادي عشر » الشهادة.
« الثاني عشر » الدعاء بظهر الغيب.
« الثالث عشر » الجهاد.
« الرابع عشر » ختم القرآن.
« الخامس عشر » الحج.
« السادس عشر » القرابة.

« فصل يكره للرجل أن يدعو ويستعجل الإجابة »

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي ». رواه الأربعة.

وعن النبي (ﷺ) قال: « لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل » قالوا: يا نبي الله وكيف يستعجل؟ قال: « يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي » رواه أحمد في « المسند » عن أنس رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن عبادة بن الصامت أن رسول الله (ﷺ) قال: « ما على وجه الأرض من رجل مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يعجل » قالوا: يا رسول الله وما استعجاله؟ قال: « يقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي ». فقال رجل من القوم إذاً نكثر يا رسول الله قال: « الله أكثر ».

« فصل في استحباب كثرة سؤال الحق تعالى في كل شيء »

روى أبو يعلى عن عائشة قالت: « سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر ».

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ):

« ليسألن أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع ».

وفي رواية للبزار: « وحتى يسأله الملح ».

« فصل يستجب للرجل إذا دعا أن يفتح بالمدحة والثناء على الله والصلاة على النبي (ﷺ) »

عن ابن مسعود قال: « إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة والثناء على الله بما هو أهله ثم ليصل على النبي (ﷺ) ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح » رواه الطبراني.

وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع النبي (ﷺ) رجلًا يدعو في صلاته فلم يصل عليه فقال النبي (ﷺ): « عجل هذا » ثم دعاه فقال له ولغيره: « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي (ﷺ) ثم ليدع بعد بما شاء ».

« فصل في كراهية دعاء الرجل على نفسه وعلى أولاده وعلى خدمه وعلى ماله بإثم أو قطيعة رحم

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم » رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » رواه مسلم.

« فصل في بيان أنه يجب قوة اليقين القلبي للمؤمن إذا دعا »

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

(ﷺ): «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه».

«فصل في استحباب توسل المؤمن بالعمل الصالح»

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا» وذكر تمام الحديث الطويل.

«فصل في ذكر التوسل بمحبة النبي (ﷺ) وبمحبة الصالحين رضي الله عنهم»

أجمع علماء المسلمين على جواز التوسل بمحبة النبي (ﷺ) وبمحبة الصالحين ولم يختلف العلماء - سلفًا وخلفًا - في جواز التوسل بالعمل الصالح وحديث الثلاثة الذين سد عليهم الغار والتوسل بمحبة النبي (ﷺ) من أسس الدين وقواعده وهي من العمل الصالح في الذروة وقد يكون علم المرء مدخولًا وصلاته وصدقته أما محبته للنبي (ﷺ) فهي نور صرف وهي أمر قلبي لا مدخل فيه للرياء.

فالتوسل بمحبة النبي (ﷺ) من أعلى ما يتوسل به من الأعمال الصالحة ولو لم يرد بخصوصها حديث وقد ورد وصح عن رسول الله (ﷺ) وقد حاول قوم أن يوهموا من لا علم له بالأسانيد أن سند الحديث ضعيف ولا ندري ما العلة الخفية في الحرص على تضعيف هذا الحديث بخصوصه وليس بضعيف فإن كان ذلك ناشئًا عن عدم الاطلاع فالكتب موجودة ويسهل الاطلاع عليها أما إن كان ذلك لهوى في النفس فنسأل الله أن يشفي ما في

صدورنا ويملأ هنا علمًا ونورًا ويدور كلامهم في تضعيف الحديث على أن البعض ذكر أن رجلًا - في سنده - غير معروف فإذا كان هذا المجهول معروفًا عن غيره من المحدثين فالقاعدة عند جميع أهل العلم بالحديث أن الحجة لمن يعلمه ولا تأثير مطلقًا لعدم علم من لا يعلم قال الترمذي بعد روايته لحديث توسل الضرير به (ﷺ): حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي.

ولا عار على الترمذي أن يفوته بعض العلم بما علمه غيره.

قال ابن أبي خيثمة في «تاريخه»: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف أن رجلًا أعمى أتى النبي (ﷺ) فقال: إن أصبت في بصري فادع الله لي فقال: «اذهب وتوضأ وصل ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك: نبيِّي محمد نبي الرحمة يا محمد إني استشفع بك على بلى في رد بصري اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيَّ في رد بصري» وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك فرد الله عليه بصره».

قال ابن أبي خيثمة: أبو جعفر هذا الذي حدث عنه حماد بن سلمة اسمه عيسى بن يزيد وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة ثم روى الحديث من طريق ابن عمر عن شعبة عن أبي جعفر.

كتاب
فاكهة العريش
في تحريم الحشيش

الحمد لله الذي بين لنا الحلال والحرام وأوضحه كالنور عن الظلام وأمرنا أن نتقي الشبهات والأمور المريبات وأن نتحلى بالورع والصدق والإخلاص والحق وكره لنا التدليس والاختلاس والتملق والالتباس وسمى نفسه الحق وافتخر بهذا الاسم في الخلق.

هذا وأصلي وأسلم على عمود أهل النبوة. وجبل أهل الفتوة. كرسي العالم. وعرش المعالم. سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذا كتابي المسمى «فاكهة العريش في تحريم الحشيش».

فقد رأيت طائفة من أهل زماني يحلونه لا سيما العوام ورعاع الخلق وأوباشهم وهو محرم بإجماع علماء الإسلام سلفًا وخلفًا وإن لم يرد فيه نص من القرآن والسنة يحرمه فإن القياس والإجماع يحرمانه وبهذا قال أئمة الشريعة رضوان الله عليهم. ولعمري إذا شابه الفرع الأصل في العلل تحدثت العلة وتلفظت العلل بوقائع الوجود ونطقت بلسان فصيح مجيد: «أنا محرمة» ولهذا وضعت هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

«فصل في المعنى اللغوي في كلمة حشيش»

الحشيشة والحشيش: هو نبات مخدر.

والحشاشون: هم مدمنو الحشيش وهو المادة المخدرة المستخرجة من نبات القنب الهندي التي يتعاطونها.

وقد أقر المجمع اللغوي هذه التسمية قالوا في «المعجم الوسيط»: الحشيش هو نبات مخدر. انتهى.

وفي كتب اللغة وأمهاتها ومعاجم الأقدمين لم يعرفوا لفظة الحشيش بمعنى المخدر.

قال أبو الفتح المطرزي في «المغرب»: الحشيش: من الكلأ اليابس ويستعار للولد إذا يبس في بطن أمه ومنه الحديث: «فألقت حشيشًا» أي ولدًا يابسًا. انتهى.

قال النويري في «نهاية الأرب»: الحشيش هو بزر شجرة القِنَّب انتهى.

وقال الزمخشري في «أساس البلاغة»: حَشَّت يده: يبست وحَشَّ الولد في البطن ومنه الحشيش وفي مثل: «أَحُشُّكَ وتَرُوثُني» أي أطعمك الحشيش. انتهى.

وقال في «لسان العرب»: الحشيش: يابس الكلأ ولا يقال وهو رطب والحشيش واحدته حشيشة. انتهى.

«فصل في أسماء الحشيش»

«فمن أسمائه»:

«القُنَّب الهندي»

«والحيدرية»

«حشيشة الفقراء»

« والقلندرية »

« والغبيراء »

« والشَّهْدَانِج »

« والشاهدانق »

وقد ضبط صاحب « تاج العروس » الشَّهْدَانِج بكسر النون.

وضبطه صاحب « المصباح » بفتحها وهو معرب « شاهدانه » بالفارسية ومعناه « سلطان الحب ».

واسمه بالعربية « التنويم ».

« وأهل مصر تسمِّيه « الشرانق ».

« فصل في أنواع الحشيش »

قال النويري في « نهاية الأرب »: وأما الشَّهدانِج ويقال فيه: الشهْدانِق فودقة الحشيش وهو بزر شجرة القنب.

قال الشيخ الرئيس: ومن الشهدانج « بستاني » معروف ومنه « بري ».

قال حنين: إن البري شجرة تخرج في القفار على قدر ذراع ورقها يغلب عليه البياض وثمرها كالفلفل ويشبه حبها حب السمنة وهو حب ينعصر منه الدهن. انتهى.

« فصل في ذكر خواصه الطبية »

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « القانون »: القنب: الخواص: بزره يطرد الرياح ويجفف تنفع عصارة دهنه لوجع الأذن وحبه عسر الانهضام رديء للمعدة. انتهى.

قال حنين: طبعه حار يابس وهو يطرد الرياح ويجفف وهو عسر الانهضام رديء الخِلْط قوي الاسخان ومقلوه أقل ضررًا.

قال: وإذا طبخت أصول القنب البري وضمدت بها الأورام الحارة في المواضع الصلبة التي فيها كيموسات سكنت الحرارة وحللت الصلبة وهو مصدع بحرارته وعصارته تقطر لوجع الأذن ولرطوبة الأذن وكذلك ورقه ودهنه قلاع للحزاز في الرأس وهو يظلم البصر ويضعف المعدة ويجفف المنيّ ولبن الشهدانج البري يسهل برفق ونصف رطل من عصيره يحل الاعتقال ويطلق البلغم والصفراء ويذهب مذهب القُرْطِمُ.

« فصل في أول من أدخل الحشيش وعرفه ببلاد المسلمين وذكر العام الذي ظهر فيه »

قال المقريزي في « الخطط »: وكان أول ظهور الحشيش عام ٦١٧ على يد الشيخ حيدر شيخ الفقراء المتصوفة ولهذا سميت حشيشة الفقراء. انتهى.

وقال شمس الدين الذهبي في « دول الإسلام »: كان أول ظهور التتار في تاريخ دول الإسلام في سنة ٦٠٦. انتهى.

فإن اليد التي أدخلتها هي يد غير مسلمة غالبًا من التتار وقيل من الفرس.

وقال ابن تيمية في « الفتاوى الكبرى »: إنما حدثت في الناس بحدوث التتار أو من نحو ظهور التتار فإنها خرجت وخرج معها سيف التتار. انتهى.

وقال المقريزي في « الخطط »: ناقلًا عن كتاب « السوانح الأدبية في مدائح القنبية »: سألت الشيخ أبا جعفر محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تستر سنة ٦٥٨ عن السبب في الوقوف على هذا العقار ووصوله إلى الفقراء الصوفية خاصة والعامة فقرر أن بدء انتشاره بين فقراء الصوفية كان سنة ثماني عشرة وستمائة ثم كان انتشاره بين العامة سنة ثماني وعشرين وستمائة فانتشر بالعراق ووصل خبره إلى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوه. انتهى.

وقد أكد المقريزي في « الخطط » أن الشيخ حيدر شيخ المتصوفة لم يقطع أكله في يوم وكان يأمر مَنْ بين يديه دائمًا بالتقليل من الطعام وأكل الحشيش

وكان يقول لمريديه: «إن الله خصكم بسر هذا الحشيش ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم».

وقال المقريزي في «الخطط»: القلندرية فرقة من فرق الصوفية تنسب إلى محمد الشيرازي القلندري الذي روى عن شيخه الحيدري سر حشيشة الفقراء وكان لهذه الفرقة زاوية خارج باب النصر والقاهرة. انتهى.

قال بدر الدين الزركشي في كتابه «زهر العريش في تحريم الحشيش»: كان ظهورها على يد حيدر في سنة ٥٥٠ تقريبًا ولهذا سميت الحيدرية وذلك أنه خرج هائمًا ينفر من أصحابه فمر على هذه الحشيشة فرأى أعضائها تتحرك من غير هواء فقال في نفسه: هذا السر فيها فاقتطف وأكل منها فلما رجع إليهم أعلمهم أنه رأى فيها سرًا وأمرهم بأكلها.

وقيل: ظهرت على يد أحمد المارجي القلندري ولذلك سميت القلندرية.

قال أبو العباس بن تيمية: إنما لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة رحمهم الله وغيرهم من علماء السلف لأنها لم تكن في زمنهم وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار.

وكذا قال غيره: إنما كانت شر داخل على بلاد العجم حين استولى على من فيها التتار ثم انتقلت إلى بغداد وقد علم ما جرى على أهلها من قبيح الأثر. انتهى.

«فصل في ذكر أن الحشيش محرم بإجماع علماء الأمة وفقهائها سلفًا وخلفًا»

قال الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع

بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» .

وروى مسلم في «صحيحه» : «كل مسكر خمر وكل خمر حرام».

وروى الإمام أحمد في «المسند»: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر».

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله (ﷺ) فقال: كل شراب أسكر فهو حرام.

وقد اتفق علماء المذاهب الأربعة على حرمة الحشيش. قال الماوردي في «الحاوي» : إن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد. انتهى.

وفي بعض شروح «الحاوي الصغير» أن الحشيشة نجسة إن ثبت أنها مسكرة. انتهى.

قال ابن حجر الهيثمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: في «كتاب الأطعمة» : الكبيرة السبعون بعد المائة: آكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران بفتح السين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب. فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووي في بعضها وغيره في باقيها ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل وهذا لا ينافي أنها تسمى مخدرة وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات لاشتراكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله والمتميز به الإنسان عن الحيوان والوسيلة إلى إيثار الكمالات على النقائص وقد ألفت كتابًا سميته «تحذير الثقات عن استعمال الكفتة والقات». لما اختلف أهل اليمن فيه وأرسلوا إليّ ثلاث مصنفات أثنان في تحريمه وواحد في حله وطلبوا مني إبانة الحق فيهما فألفت ذلك الكتاب في التحذير عنهما وإن لم أجزم بحرمتهما.

ولا بد من ذكر خلاصته ذلك هنا فنقول الأصل في تحريم كل ذلك ما رواه أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر.

قال العلماء: المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف وهذه المذكورات كلها تسكر وتخدر وتفتر وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيش قال: ومن استحلها فقد كفر.

وهل قال أحد من الأئمة أو مقلديهم بتحريم أكل جوزة الطيب.

ومحصل الجواب الذي أجبت به عن ذلك السؤال الذي صرح به الإمام المجتهد شيخ الإسلام الذي صرح به الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن دقيق العيد أنها أعني الجوزة مسكرة ونقله عنه المتأخرون من الشافعية والمالكية. واعتمدوه وناهيك بذلك بل بالغ ابن العماد فجعل الحشيشة مقيسة على الجوزة المذكورة. انتهى.

وحكى ابن القسطلاني في كتابه «تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة»: إجماع علماء المذاهب الأربعة على تحريمها. انتهى.

وفي كتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية: أن الحد واجب في الحشيشة كالخمر قال: لكن لما كانت جمادًا وليست شرابًا تنازع الفقهاء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره فقيل نجسة وهو الصحيح. انتهى.

وحكى القرافي في «القواعد»: حرمتها.

وقال الإمام الرافعي في كتابه: عمموا الحرمة في النبات وغيره إذا أسكر. انتهى.

وقال ابن فرحون المالكي في «درة الغواص في محاضرة الخواص»: إذا شرب السيكران وهو البنج الدواء فسكر به فلا يلزمه حد. انتهى.

وفي «فتاوى المرغيناني» من الحنفية: أن المسكر من البنج وأن لبن الرمال

حرام ولا تحل ولا حد فيه ونص عليه السرخسي في «المبسوط». وقال الرافعي في «باب الأطعمة»: إن النبات الذي يسكر وليست فيه شدة مطربة يحرم أكله. انتهى.

قال الحافظ الذهبي في «الكبائر»: والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر. انتهى.

وفي «فتاوى» شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر: نص على حرمتها.

وقال بحرمتها الشيخ الإمام محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في «فتاويه».

وممن أفتوا بتحريمها مفتي الديار المصرية خاتمة الأئمة وشيخ المالكية في زمانه محمد حسنين مخلوف.

وممن أفتوا بحرمتها إمام زمانه في علوم التفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي.

«فصل في ذكر أن الحشيش مسكر ومذهب للعقل»

قال أبو إسحاق في «التذكرة» والنووي في «المهذب» وابن دقيق العيد أنها مسكرة.

ونص على أنها مسكرة إمام الحنابلة تقي الدين بن تيمية في «الفتاوى الكبرى» و«السياسة الشرعية» وتبعه من جاء بعده من متأخري مذهبه.

وقد رد العلماء قول القرافي لما خالفهم ونفى عنها الإسكار وغلطوه.

قال الزركشي: ولا يعرف في أنها مسكرة خلاف عندنا. انتهى.

وأقر ذلك ابن حجر الهيثمي في «الزواجر» في الكبيرة السبعين بعد المائة في كتاب «الأطعمة».

قال بدر الدين الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: والذي أجمع عليه الأطباء والعلماء بأحوال النبات أنها مسكرة منهم أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي العشاب ابن البيطار في كتاب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» قال: ومن القنب الهندي نوع ثالث يقال له: القنب ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين وتسمى الحشيشة أيضًا وهو يسكر جدًا إذا تناول منه الإنسان يسيرًا قدر درهم أو درهمين حتى إن من أكثر من تناوله أخرجه إلى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وربما قتل.

وقال في علاجه: القيء بسمن وماء ساخن حتى تنقى المعدة وشراب الحماض لهم في غاية النفع. انتهى.

وقال الذهبي في «الكبائر»: هي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظًا ومعنى قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نضعهما باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد و«المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال: وكان رسول الله (ﷺ) قد أُعطيَ جوامع الكلم بخواتيمه فقال (ﷺ): «كل مسكر حرام» رواه مسلم وقال (ﷺ): «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ولم يفرّق (ﷺ) بين نوع ونوع لكونه مأكولًا أو مشروبًا على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام. انتهى.

وقد أفتى من علماء قرننا هذا جهابذة أئمة بأنها مسكرة.

منهم الشيخ المراغي إمام الجامع الأزهر ومنهم الإمام يوسف الدجوي علامة الأزهر ومنهم الإمام حسن البنا.

ومنهم الإمام شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت ومنهم الإمام شيخ الإسلام عبد الحليم محمود.

ومنهم الإمام المتبحر محمد متولي الشعراوي.

ومنهم مفتي الديار المصرية الإمام محمد حسنين مخلوف.

« فصل في ذكر أنه لا فرق بين الإسكار والتخدير من حيث علة التحريم »

وقد احتج قوم من السفلة ورعاع القوم والسوقة على إباحة الحشيش وقالوا إنه يفتر والمفتر من النبات ليس محرمًا.

ورأيت قومًا بصعيد مصر يستحلون أكل جوزة الطيب ويبيعونها في دكاكينهم وهي محرمة باتفاق علماء الأمة لكونها تغيب وتسكر.

والحشاشون من العامة يستحلون الحشيش بزعم أنه ليس فيه صفة إسكار الخمر وإنما هو يعذر ولأجل هذا فهو حلال.

واتفق جمهور العلماء من المذاهب الأربعة على اتحاد العلة فلا فرق بين الإسكار والتخدير وإلا لو كان هناك فرق لأحلوا الحشيش والأفيون.

والحجة في هذا حديث الإمام أحمد الذي رواه في « المسند »: « نهى رسول الله (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر ».

فلسان الشارع (ﷺ) قد نهى وحرم المفتر فاتحدت العلة.

فإن الفتور هو السكر والسكر هو الفتور ولا فرق في غرض العلة وإنما حرمت هذه الأشياء لغرض واحد دون تمييز ولا نظر لمن فرق بين السكر والفتور وبين السكر والإفساد فقال: الخمر تسكر والحشيش مفتر أو قال: الخمر تسكر والحشيش يفتر.

ومن العجيب أن بعض الفقهاء كالقرافي قال بحرمة الحشيش ونفى عنه الإسكار ولا حجة لنا إلا حديث أحمد « أنه (ﷺ) نهى من كل مسكر ومفتر ».

والمعني اللغوي للفظ «سكر» غير لفظ «فتر» فإن السكر هو الانبساط والهياج مع الغيبة الكاملة أما الفتور فهو الخمور والسكون مع الغيبة الجزئية. والمعنى الباطن في تحريم الخمر والحشيش اتحاد العلة وإن لم يعط الثاني مثل الأول لكن أخذ شيئًا من علته في إذهاب العقل وإضعافه وإزهاقه ولولا العقل لما قامت الشرائع فإن الشرائع محتاجة لعقول الرجال وسور الشريعة يحميها بتحريم كل ما يحجبها ويغيبها ولو جزئيًا.

«فصل في أن من استحل الحشيش كافر»

وألزمنا الله ورسوله بالتصديق بكل ما جاء في القرآن آية آية فمن جحد شيئًا منه وأنكره مجمعًا على ذلك بقلبه فهو كافر. وبناء عليه فإن الحق قد حرم الخمر في القرآن ونهانا عنها وأمرنا باجتنابها فمن أدمنها واستحل شربها جاحدًا لما جاء في القرآن ومنكرًا له بقلبه فهو كافر زنديق فاجر. وعليه فمن استحل أي فرع مسكر ظهر حديثًا ولم يرد فه أي نص مثل الويسكي والشمبانيا والبيرة والأفيون والحشيش فهو كافر ويضرب بأقوال أئمة المذاهب الأربعة عرض الحائط ويقول: أنا لا أصدق إلا بالقرآن والسنة وهذه الأشياء لم ترد حرمتها في الكتاب والسنة.

وقد نقل عن الإمام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» أنه قال: من استحلها فقد كفر ـ أي الحشيشة ـ انتهى.

أما من استحلها بهواه غير منكر لحرمتها فلا نكفره ما دام معترفًا ومقرًا بالنصوص الواردة في تحريم المسكر في الكتاب والسنة.

«فصل في اختلاف العلماء في نجاستها»

قال الإمام النووي في «المهذب»: إنها مسكرة وليست بنجسة.

وحكى طهارتها ابن حجر في «الزواجر» مع حرمتها.

وذكر ابن الصلاح في «فوائد رحلته» وعلقه عن رواية صاحب

« التقريب » وجهًا: أن النبات إذا كان سمًا قاتلًا يكون نجسًا وحكى طهارتها شيخ الإسلام ابن دقيق العيد فيا كتبه على فروع ابن الحاجب وحكى الإجماع عليه وقال: والأفيون وهو لبن الخشخاش أقوى فعلًا من الحشيش لأن القليل منه يسكر جدًا وكذا السيكران وجوز الطيب مع أنه طاهر بالإجماع.

قال الزركشي في « زهر العريش في تحريم الحشيش »: لكن القياس في الحشيش الطهارة وليس لنا نبات نجس العين قط إلا النبات الذي يسقى بالنجاسة فإنه نجس العين عند الصيدلاني رحمه الله حتى قالوا في السم الذي هو نبات إنه طاهر مع أنه أشد ضررًا من الحشيش ولا يتجه القول بالتنجيس ولو كانت مسكرة. انتهى.

قال الشافعي في « الأم »: ويحرم ما كان منه سمًا قاتلًا ويدخل في ذلك ما كان نجسًا وما عرفه الناس سمًا يقتل ولا أرخص لأحد في شربه لدواء ولا غيره. انتهى.

وفي كتاب « السياسة الشرعية » لابن تيمية: لما كانت جمادًا وليست شرابًا تنازع الفقهاء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره فقيل نجسة وهو الصحيح. انتهى.

« فصل هل يجب فيها الحد »

قال الماوردي في « الحاوي »: إن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد. انتهى.

وفي كتاب « السياسة الشرعية » لابن تيمية: أن الحد واجب في الحشيشة كالخمر. انتهى.

وفي « الزواجر » لابن حجر: والجاهل إذا كان لجهله عذر وبعد أن يطلع على ما ذكرناه عن العلماء من حرمتها متى زعم حلها أو عدم تخديرها وإسكارها يعزر التعزير البليغ الزاجر له ولأمثاله بل قال ابن تيمية وأقره أهل

مذهبه: من زعم حل الحشيشة فقد كفر فليحذر الإنسان من الوقوع في هذه الورطة عن أئمة المذهب المعظم. انتهى.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «القواعد»: فإن قيل هل يجب الحد إذا زال العقل بغير مسكر كالبنج وغيره.

والجواب: إن إفساد العقل بذلك في غاية الندور إذ ليس فيه تفريح ولا إطراب يحثان على تعاطيه بخلاف الخمر والنبيذ فإن ما فيها من التفريح والإطراب حاث على شربها فغلبت لذلك مفسدتهما فوجب الحد لغلبة المفسدة ولم يجب الحد في البنج ونحوه لندور الإفساد به. انتهى.

وقال القرافي: اتفق فقهاء العصر على المنع منها واختلفوا في الواجب فيها: الحد أو التعزير بناء على أنها مفسدة للعقل ومسكرة. انتهى.

ونقل النووي عن الروياني في «شرح المهذب»: النبات الذي يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ولا حد على آكله. انتهى.

وقد أفتى علماء هذا القرن:

«منهم»: شيخ الإسلام الإمام يوسف الدجوي.

«ومنهم»: الإمام المفسر محمد متولي الشعراوي بوجود إعدام تاجر المخدرات الذي يبيع الكوكايين والهيروين والأفيون والحشيش للشعب ولهم الحق في ذلك.

«فصل هل تبطل الصلاة بحمل الحشيش»

قال القرافي رحمه الله: سئل بعض فقهاء العصر عمن صلى والحشيشة معه هل تبطل صلاته فأجاب: إن صلى بها قبل أن تحمص أو تصلق صحت صلاته أو بعد ذلك بطلت لأنها إنما تغيب العقل بعد الحميص أو الصلق أما قبله فهو ورق أخضر بل هي كالعصير للعنب وتحميصها كغليانه. انتهى.

وقال جماعة من الفقهاء: تصح بها الصلاة مطلقًا كالبنج ولا تبطل الصلاة.

«فصل في أن تناول القليل من الحشيش حرام مثل كثيره»

قال الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: لا يجوز تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير وهو أشد ضررًا من الخمر. انتهى.

وقال النووي في «شرح المهذب»: لا يحرم أكل القليل من الذي لا يسكر من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليل النجاسة. انتهى.

وكلام «التنبيه» يفهم جواز أكل قليل الحشيش فإنه قال: كل طاهر لا ضرر في أكله يحل أكله وقليلها طاهر لا ضرر في أكله ولذلك صرح القرافي رحمه الله فقال: إنه يجوز تناول اليسير منها كل ذلك بناء على اعتقاده أنها ليست بمسكرة. قال الزركشي في «زهر العريش»: أما الشيخ محي الدين - يقصد النووي في «المهذب» - وغيره ممن يعتقد أنها مسكرة فلا يحسن منه إطلاق تجويز القليل وقد صح الحديث الصحيح: «ما أسكر كثيره فقليله حرام». انتهى.

وخلاصة أقوال علماء زماننا في هذا القرن: أن كثيرها مثل قليلها في تناولها لكون الدافع الذي دفع من يتناول القليل يدفعه على تناول الكثير وبهذا يقع في الحرمة فالواجب قطع دابر إبليس بقطع جذر الشبهة وتحريم الكثير والقليل سواء بسواء.

«فصل في تحريم إطعام الحشيش للحيوان»

قال ابن حجر الهيثمي في «الزواجر»: ويحرم إطعام الحشيشة الحيوان أيضًا لأن إسكاره حرام أيضًا أيضًا.

قال الزركشي في «زهر العريش»: يحرم إطعامها الحيوان كما يحرم إسكاره وقد قيل: إنها لا تأكلها. انتهى.

«فصل في بيان جواز استخدام المخدرات في تراكيب الأدوية»

اعلم أن معظم الأدوية الحديثة يدخل في تركيبها المخدرات كالأفيون والهيروين بنسب ضئيلة هذا يجوز بمعرفة أُولي الأمر وعلماء الصيدلة وأرباب هذا الفن أما من تناول المخدر والمسكر بزعم نفسه فقد وقع في المحرم وعلم تركيب الأدوية بالنسب الضئيلة الحسابية لم يدع الفرصة لمن يطلب الخمر في حالتها الصرفة ولمن يطلب الأفيون في حالته الصرفة بل مزج الكيماويات بالمخدر يضيع مزاجه المسكر المخدر ويجعل الدواء أقوى ممن يطلب المادة في حالتها المخدرة الصرفة.

قال الزركشي في: «زهر العريش»: يجوز بيع اليسير من الحشيش لأنها تنفع في الأدوية كالسقمونيا والأفيون بشرط أن يكون يسيرًا نعم بيعها لمن يتحقق منه تعاطيها حرام كما في بيع العنب لعاصر الخمر. انتهى.

«فصل في حكم زراعة المخدرات»

يجوز لولاة الأمر زرع المخدرات في حالة استخدام شركات الأدوية لها لتركيبها في الأدوية ولا يجوز لأي مخلوق آخر أن يزرعها ولا يجوز للحاكم زراعتها في أي شأن آخر. وقد أفتى ابن تيمية بتحريم زراعة العنب الذي لا يتزبب ولا يمكن أن يجيء إلا خمرًا ببعض نواحي الشام.

قال بدر الدين الزركشي في «زهر العريش في تحريم الحشيش»: زراعتها - أي الحشيشة - لغرض الاستعمال والإسكار حرام ويجوز لغرض التداوي. انتهى.

وفي الديار المصرية وسائر البلاد الإسلامية يحرم زرع الفلاحين والزراع للحشيش والأفيون.

«فصل في أنه يجب على الحاكم إعدام تاجر المخدرات»

ولما كانت المخدرات الخطيرة الشأن لا سيما الهيروين والكوكايين تحطم

المجتمع وتزهق أرواح العباد وتضيع الأموال فإنه يجوز للمجتهد في هذا العصر أن يفتي بإعدام من يتاجر في المخدرات ويقتل بها آلاف الخلق. وقد أفتى بهذا كثير من علماء الأمة الحاليين لما تفشَّى انتشار المخدرات في المجتمع وفي مصلحة كثير من أعداء الدين إدخال السموم المخدرة إلى هذه الديار لا سيما اليهود وهؤلاء التجار تجار المخدرات هم أعوانهم في نشر الذعر في المجتمع الإسلامي وخلق الفتن الاقتصادية والبدنية والنفسية عند المسلمين لا سيما طائفة الشباب.

فإن أعداء الأمة الإسلامية لا يفرحهم شيء مثل ضعف العقول وذهاب الألباب بهذه العلل المستوردة إلى بلادنا.

« فصل في براءة السادة الصوفية من تناول الحشيش »

اعلم أن السادة الصوفية أعلم الخلق بمبادئ الحلال والحرام وهم سادة الورع والزهد وقد رأيت الشيخ ابن تيمية جعلهم في كتابه « الفتاوى الكبرى » هم أهل الحشيش وأن الشيخ يأمر المريد بتناول الحشيش حتى يصل إلى نشوة الذكر وهذا وهم منه فإن الصوفية الأوائل أمثال الحارث المحاسبي وسري السقطي والجنيد والشيخ عبد القادر الجيلاني ومعروف الكرخي وبشر الحافي كانوا أقطاب عصرهم في الورع والزهد وأكل الحلال وكفى شرفًا للصوفية أن الشيخ عبد القادر الجيلاني مكث دهرًا طويلًا في البادية يأكل ورق الخس من مواضع القمامة ويتقوت على خرنوب الشوك لما انعدم الحلال.

وورد في مناقب بشر الحافي أنه قال: نفسي تطالبني أن أغمس جزرة في العسل من أربعين سنة وأنا أمنعها.

فمن نظر إلى هؤلاء السادة وهم يدققون فيما أحل الله فكيف يقعون فيما حرم.

وأخبار الحارث المحاسبي معلومة عند الخاص والعام في الورع والزهد وإنما

سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه كل يوم حسابًا شاقًا على ما عمله في ذلك اليوم.

فماذا تظن في قوم هذه خصالهم. وهذه خلالهم. يعيش الواحد منهم طوال عمره ما عرف الحرام. وما عرفه الحرام.

وقد ذكر الشعراني في «المنن الكبرى» قبائح الحشيش وعدد مضاره الكلية وأجاد أيما إجادة.

أما أدعياء التصوف فليسوا هم الصوفية الحقيقيين وليفعلوا ما شاءوا بعيدًا عن التصوف ورجاله الأنقياء الأتقياء.

وإنما رجال التصوف الأصليون هم الرجال الواردون في «حلية الأولياء» لأبي نعيم. فمن أراد أن يعرف حقائق رجالات القوم فليطالع «حلية الأولياء» لأبي نعيم ثم ليحكم على ماهية الصوفية وجوهره وكنوزه والسلام.

★ ★ ★

مصنفات
الشيخ محيي الدين الطعمي

بسم الله وسلام على عباده الذين اصطفى:

قال الشيخ محيي الدين الطعمي: هذا فهرست قد صنفته بأسماء مصنفاتي قد وضعته ولما أبلغ الثلاثين من عمري. وإني قد أجزت كل المسلمين برواية كتبي وقراءتها وطبعها وما أشكل عليهم في علم الحقائق فلا يقرأوه أو يسلموا به.

١ ـ كتاب تكملة الفتوحات المكية.

٢ ـ معجم كرامات الصحابة.

٣ ـ معجم شطحات الصوفية المسمى (طبقات أهل الشطح).

٤ ـ طبقات الأوتاد.

٥ ـ كتاب الإصابة في تمييز رجال معجم كرامات الصحابة.

٦ ـ طبقات الأقطاب.

٧ ـ طبقات الأبدال.

٨ ـ طبقات الخضريين المسمى (الجواهر فيمن رأى الخضر من الأكابر).

٩ ـ طبقات الصحابة الذين شهد لهم النبي (ﷺ) أنهم نالوا ثواب مقام النبوة.

١٠ ـ طبقات من ادعى الختمية المطلقة ولم يحظ بها.

١١ ـ طبقات الأقطاب الذين تركوا التصرف في الوجود.

١٢ ـ طبقات أقطاب الظاهر والباطن.

١٣ ـ كتاب أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة.

١٤ ـ ديوان نوح العندليب من هجر الحبيب.

١٥ ـ ديوان عروج الأشباح إلى منازل الأرواح.

١٦ ـ قانون الحب الإلهي.

١٧ ـ قانون اللذة.

١٨ ـ قانون الجمال الإلهي.

١٩ ـ قانون الكمال المطلق.

٢٠ ـ قانون الفناء والبقاء.

٢١ ـ قانون المشيئة الإلهية.

٢٢ ـ قانون الاصطفاء الإلهي.

٢٣ ـ قانون القهر الإلهي.

٢٤ ـ قانون تداخل المقامات.

٢٥ ـ قانون ترك المقامات.

٢٦ ـ قانون اختلاف الصحابة.

٢٧ ـ قانون المبتدأ والخبر الجامع لأسرار تأديب الشيخ بالإشارة والنظر.

٢٨ ـ كتاب تأويل قانون وحدة الوجود.

٢٩ ـ كتاب انتصارات الحكومة المصرية المسمى (الفضائل الباهرة في محاسن بنت المعز القاهرة) في فن التاريخ.

٣٠ ـ الرسالة البديعة في علم الحروف المسماة «الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة».

٣١ ـ كتاب الناموس الأعظم.

٣٣ ـ كتاب ثمن الصدق.

٣٤ ـ كتاب محاكمة العساكر الإلهية لتقي الدين بن تيمية.

٣٥ ـ كتاب أصناف اللحية.

٣٦ ـ كتاب الإبانة عن الكنوز المدفونة في سنن ابن ماجة.

٣٧ ـ كتاب شرح شطحات أبي يزيد البطامس.

٣٨ ـ كتاب اللوح المحفوظ.

٣٩ ـ كتاب إتحاف أذكياء البشر بفضائل صوفية القرن الخامس عشر.

٤٠ ـ رسالة فناء العاشق في المعشوق.

٤١ ـ كتاب أنس الموحدين برب العالمين.

٤٢ ـ كتاب ما يخالف المريد فيه شيخه.

٤٣ ـ كتاب تعلق روحانية الشيخ بروحانية المريد.

٤٤ ـ كتاب أسرار تعطيل الشريعة.

٤٥ ـ كتاب فناء اليقين.

٤٦ ـ كتاب أسرار خاتم الأولياء.

٤٧ ـ كتاب رد بعض الوفاء بذكر قطرة من أفرار خاتم الأولياء.

٤٨ ـ كتاب المخاطبات التي تجلى بها الحق تعالى على قلب خاتم الأولياء.

٤٩ ـ كتاب صهاريج اللؤلؤ الجامع لكرامات الشيخ الأكبر مولانا أحمد التجاني قدس سره.

٥٠ ـ كتاب مغناطيس القلوب.

٥١ ـ كتاب طلاسم العناية الدالة على أوصاف خاتم الولاية.

٥٢ ـ كتاب فناء اللوح والقلم في شرح فصوص الحكم (وهو شرح كتاب الفصوص للشيخ الأكبر).

٥٣ ـ كتاب السر الموقر الذي بيني وبين الشيخ الأكبر.

٥٤ ـ كتاب العارف المحض.

٥٥ ـ كتاب هدهد سليمان.

٥٦ ـ كتاب خاتم سليمان.

٥٧ ـ كتاب عصا موسى.

٥٨ ـ كتاب روح وريحان.

٥٩ ـ كتاب النكاح المطلق.

٦٠ ـ كتاب المسائل الخضرية.

٦١ ـ كتاب المضنون به على من لا يستحقه.

٦٢ ـ كتاب جنون الموحدين.

٦٣ ـ كتاب نسيان المحبة من ازدياد القربة.

٦٤ ـ كتاب مقام الصحابة.

٦٥ ـ كتاب ضعف الهيكل الآدمي.

٦٦ ـ كتاب هوان أهل البدايات.

٦٧ ـ كتاب عروس القيامة.

٦٨ ـ كتاب شرف الخرقة.

٦٩ كتاب الرحيق في أسرار مقام أبي بكر صديق.

٧٠ ـ كتاب الاعتبار بذكر الجنة والنار.

٧١ ـ كتاب التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين

٧٢ ـ كتاب وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية.

٧٣ ـ كتاب تحذير الرجال من فضائح المسيح الدجال.

٧٤ ـ كتاب اللؤلؤ المنثور في أحوال الموتى وأهل القبور.

٧٥ ـ كتاب فاكهة العريش في تحريم الحشيش.

٧٦ ـ كتاب غصن الكمثرى في ذكر بعض أسرار أدعية المصطفى (ﷺ).

٧٧ ـ كتاب مغازلة الحور في شرح هياكل النور.

٧٨ ـ كتاب الحديقة الفيحاء في نوادر النساء.

٧٩ ـ كتاب اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس.

٨٠ ـ كتاب عناقيد العنب في نوادر أشعب.

٨١ ـ كتاب العقد الفريد في معرفة أولياء الصعيد.

٨٢ ـ كتاب تسلية العشاق في معرفة طبقات أولياء العراق.

٨٣ ـ كتاب الموطا الجامع لأولياء طنطا.

٨٤ ـ كتاب الناموس الجامع لأولياء الروس.

٨٥ ـ طبقات النساء المتصوفات.

٨٦ ـ الطبقات الوسطى.

٨٧ ـ الطبقات الصغرى.

٨٨ ـ كتاب المراشف الخمرية اللاعقة لرضاب التائية.

٨٩ ـ كتاب سر إيمان الحق تعالى بنفسه.

٩٠ ـ كتاب سدرة المنتهى في شرح أسماء الله الحسنى.

٩١ ـ كتاب غاية المأمول في شرح كتاب النزول لأبي الحسن الدارقطني.

٩٢ ـ طبقات أهل البيت.

٩٣ ـ كتاب إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية.

٩٤ ـ مقدمة الطبقات الكبرى.

٩٥ ـ كتاب ديوان أولياء الأمة المحمدية الجامع لفهارس ومختصرات الكتب التي ترجمت للصوفية.

٩٦ ـ كتاب معالم التقديس في تحريم الاختلاط والازدحام في الأتوبس.

٩٧ ـ كتاب كشف الحجاب عن أسرار أم الكتاب.

٩٨ ـ كتاب فك الرموز والإشارات الغامضة في كتاب المخاطبات.

٩٩ ـ كتاب الكناش الصغير المسمى خزانة الأسرار.

١٠٠ ـ كتاب تهذيب الطبقات الكبرى للشعراني.

١٠١ - كتاب الكبريت الأحمر في مناقب الشيخ الأكبر وهو في مناقب سيدي محيي الدين بن عربي.

١٠٢ - كتاب فضل الشيخ على المريد.

١٠٣ - كتاب إحياء المناسبات لتشريف لابس المرقعات.

١٠٤ - كتاب اللؤلؤ والمرجان في فضل الزمن المحمدي على سائر الأزمان.

١٠٥ - كتاب رفع الملامة عن قتال الحق عز وجل عن المكانة.

١٠٦ - كتاب الأمجاد الحافلة بذكر بعض أسرار الغيرة الإلهية القاتلة.

١٠٧ - كتاب رداء الكبرياء.

١٠٨ - كتاب أسرار تنافر الأولياء.

١٠٩ - كتاب فضل أبي القاسم الجنيد على من بعده من الصوفية.

١١٠ - كتاب الفتوحات القاهرية من شرح كتاب سر المعية.

١١١ - كتاب صفة الديوان.

١١٢ - كتاب النور القدسي والجمال الأنسي في شرح آية الكرسي.

١١٣ - رسالة ماء الذهب في أوصاف النبي (ﷺ).

١١٤ - كتاب كنوز الذهب وقانون بلاغة العرب في فن البلاغة.

١١٥ - كتاب الحديقة الزوراء في فضائل عاشوراء.

١١٦ - كتاب جنة مأوى.

١١٧ - كتاب جنة عدن.

١١٨ - كتاب جنة الخلد.

١١٩ ـ كتاب جنة الفردوس.

١٢٠ ـ كتاب جنة القرار.

١٢١ ـ كتاب جنة النعيم.

١٢٢ ـ كتاب جنة البقاء.

١٢٣ ـ كتاب الثغر البديع في فضل الصلاة على الشفيع.

١٢٤ ـ كتاب الطبقات الكبرى.

١٢٥ ـ كتاب مقاومة الشهوة الجنسية بالقرآن والسنة المحمدية.

١٢٦ ـ كتاب عقيدة الشيخ محي الدين الطعمي.

تمّ

بعون الله تعالى

المجلد الأول من كتاب «إحياء علوم الصوفية»

ويليه

إنشاء الله

المجلد الثاني وأوله: «كتاب شرح هياكل النور للسهروردي»

محتويات المجلد الأول من
كتاب «إحياء علوم الصوفية»

إحياءُ علُوم الصُّوفِيَة

(٢)

إحياء علوم الصوفية

تأليف

محيي الدين الطعمي

المجلد الثاني

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

كتاب
شرح هياكل النور
للسهروردي

الحمد لله الذي هز قلوب العارفين بأعاصير الشوق ★ ولوع قلوب المحبين بدلال العشق ★ وأذاب مهج المتصوفين بألسنة نيران الحرق ★ هم ولعوا بهذا ★ وتشوقوا لماذا ★ إيه يا كعبة الحسن ★ ويا عجيبة الفتن ★ يا ساحرة القد ★ ويا من أبحتِ الحد ★ أنت أنت وسواك لا ★ فإنا قد جننا بليلي ★ والجري وراء آثارها ★ والغرام برؤياها ★ والتهتك في لحاظها ★ والتروي من سؤر شرابها ★ فافهم أو لا تفهم فإن هذا شيء لا يعنيني ★ وأمر أراه لا يغريني ★

وأصلي وأسلم على فتى الوجود ★ وأستاذ أهل الشهود ★ مولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ★

وبعد .

فهذا شرحي على كتاب « هياكل النور » للإمام العارف الكبير لسان المعرفة وشيخ الخرقة يحي بن حبش بن أميرك أبي الفتوح السهروردي وسميته « مغازلة الحور في شرح هياكل النور ».

وقد شرحت كتبًا كثيرة من أقوال القوم.

« منها »: فناء اللوح والقلم في شرح فصوص الحكم.

« ومنها »: جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد وهو

شرح ما أشكل من كلام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه.

«ومنها»: شرح طواسين الحلاج وهو شرح ما أشكل من كلام الحسين الحلاج رضي الله عنه.

أما صاحب هياكل النور فهو العارف الرباني والهيكل الصمداني الشيخ أبو الفتوح يحي بن حبش بن أميرك السهروردي الحلبي ولد عام ٥٤٥ في بلدة سهرورد في إقليم الجبال بالقرب من زنجان فيما كان يعرف بعراق العجم درس الفقه على يد الشيخ مجد الدين الجيلي في مراغة من أعمال أذربيجان وكان مجد الدين الجيلي أستاذًا للفخر الرازي وقد دارت مساجلات بين الفخر والسهروردي وذهب السهروردي إلى ماردين واتصل بالشيخ المشائي فخر الدين المارديني وتتلمذ عليه واستفاد واتصل بأمير خربوط عماد الدين كلج أرسلان وأهدى له كتاب «الألواح العمادية»

ثم انتهى المطاف بالشيخ في حلب خلال حكم الظاهر بن صلاح الدين وهناك جرت مناظرة بينه وبين الفقهاء فانتصر عليهم وأفحمهم فحقدوا عليه وألبوا عليه السلطان فحكم عليه بالموت فاختار أن يموت جوعًا فمات عام ٥٨٨.

هذا والله الموفق.

«الهيكل الأول»

كل ما يقصد إليه بالإشارة الحسية فهو جسم وله طول وعرض وعمق لا محالة والأجسام تشاركت في الجسمية وكل مشتركين في شيء يلزم افتراقهما بشيء آخر وما تمايزت به الأجسام هو الهيئات ولازم الحقيقة لذاتها لا ينفك عنها ووصف الشيء قد يكون ضروريًا له: كالزوجية للأربعة والجسمية للإنسان وقد يكون ممكنًا: كالقيام والقعود له وقد يكون ممتنعًا: كالفرسية له والذي لا يتجزأ في الوهم لا يجوز أن يكون في جهة وأن يشار إليه لأن ما منه جهة إلى جهة أخرى فينقسم وهما بديهة.

« شرح الهيكل الأول »

اعلم أنه قد تكون الإشارة غير حسية وآية هذا المقام قول الحق عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهذا مقام الإشارة الغير الحسية فإن قصدت هذه الإشارة الغير حسية فهناك تدخل في مقام اللاجسمانية فهناك يسقط الجسم والطول والعرض والعمق لا محالة.

فإن الذي جعل المقصود إلى عالم الأجسام والكلام فيه هو الإشارة الحسية ووجدنا الأجسام اشتركت في لازم الافتراق الذي يجعلها تفترق به عن بعضها البعض ألا وهو عنصر الهيئات الذي لازم ذواتها ملازمة اقتضائية غير مفترقة عن الذوات فإن العدم عندنا واحد محض كان الله ولا شيء معه وما فرقه عن بعضه البعض سوى الهيئات التي جملت هذا المحض وهذه الجسوم فإن هذا هو الذي مايز الأجسام عن بعضها البعض وبه فرقها عن حقيقة العدم المحضية.

وهذه الهيئات هي عرش الكثرة التي تبدّت عن عين الوحدة المحضة في الأحدية القديمة الأزلية إلى مقام الخلد ومراتب الأبدية ومن ثم ما لا يتجزأ في الوهم هو الحق تعالى لا غير لكون سلطان الوهم هو عالم الخيال الأكبر في علومنا وهو أكبر وأقوى العوالم على الإطلاق التي لا يمسها عقل ولا روح ولا قلب فهو السلطان الأعظم فإذا كان الوهم لا يقدر على تجزئة هذا الشيء فما هو بجسم ولا غير خاضع لا للعقل ولا للروح ولا للوهم بل هو شيء أقوى من كل هذه المسميات ذاك الشيء يرى « الله » وهو الذي قال عن نفسه بنفسه: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾ والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الثاني »

أنت لا تغفل عن ذاتك أبدًا وما من جزء من أجزاء بدنك إلا وتنساه أحيانًا فلو كنت أنت هذه الجملة ما كان يستمر شعورك بذاتك مع نسيانها فأنت وراء هذا البدن وأجزائه.

طريق آخر:

بدنك أبدًا في التحلل والسيلان وإذا أتت الغازية بما تأتي عند ورود الجديد الحاصل بين الغذاء لعظم بدنك ولو كنت أنت هذا البدن أو جزءاً منه لتبدلت أنائيتك كل حين ولما دام الجوهر المدرك منه أنت لا بدنك وكيف يكون ويتحلل وليس عندك منه خبر فأنت وراء هذه الأشياء.

طريق آخر:

لا تدرك أنت شيئًا إلا بحصول صورته عندك فإنه يلزم أن يكون ما عندك من الشيء الذي أدركته مطابقًا وإلا لم تكن أدركته كما هو وعقلت معان يشترك فيها مع كثيرين فإنك عقلتها على وجه ليستوي نسبتها إلى الفيل والذبابة فصورتها عندك غير ذات مقدار لأنها تطابق الصغير والكبير فمحلها منك أيضًا غير متقدر وهو نفسك الناطقة لأن ما لا يتقدر لا يحمل في جسم فنفسك غير جسم ولا جسمانية وهي أحدية صمدية ولا تقسمها الأوهام أصلًا ولما علمت أن الحائط لا يقال له أعمى ولا بصير فإن العمى لا يقال إلا على من يصح أن يبصر فالباري تعالى والنفس الناطقة وغيرهما ليست جسمًا ولا جسمانية فهي لا داخلة العالم ولا خارجة ولا متصلة ولا منفصلة وكل هذه عوارض الأجسام تنزه عنها ما ليس بجسم فالنفس الناطقة جوهر لا يتصور أن تقع عليه الإشارة الحسية من شأنه أن يدبر الجسم ويعقل ذاته والأشياء وكيف يتوهم الإنسان هذه الماهية القدسية جسمًا وهي إذا طربت طربًا روحيًا تكاد تترك عالم الأجسام وتطلب عالم ما لا يتناهى؟

وهذه النفس الناطقة لها قوى من مدركات ظاهرة وهي الحواس الخمس وهي: اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وقوى من مدد كانت باطنة كالحس المشترك وهو الذي يشاهد صور المنام معاينة لا على سبيل التخيل ومن الحواس الباطنة الخيال وهو خزانة الحس المشترك وتبقى فيها الصور بعد زوالها عن الحواس ومنها القوة الفكرية التي بها التركيب والتفصيل والاستنباط

ومنها الوهم وهو الذي ينازع العقل في قضاياه حتى أن المتفرد يبيت في الليل يؤمنه عقله ويخوفه وهمه وهو يخالف العقل في أمور غير محسوسة حتى أن الذين يتبرعون قضاياه ينكرون ما وراء المحسوسات ولم يتفكروا أن عقولهم بل أوهامهم وتخيلاتهم ونفوسهم لا تحس بل لا يحس من الجسم إلا السطح الظاهر دون سمكه وجماعة من الناس لما تفطنوا إلى أن هذه غير جسمية توهموا أنها الباري تعالى وقد ضلوا ضلالًا بعيدًا فإن الله واحد وإن كانت نفس زيد وعمرو واحدة لأدرك أحدهما جميع ما أدرك الآخر ولا طلع كل الناس على ما اطلع عليه الكل وليس كذلك ثم كيف تستأسر قوى البدن إله الآلهة وتسخره رهين شهوات وعرضة بليات في خبط عثرات.

وجماعة توهموا أنها جزء منه وهو زيغ فإنه لما يرفض على أنه ليس بجسم فكيف يتجزأ أو ينقسم ومن يجزئه؟

وآخرون توهموا قدمها ولم يعلموا أنها لو كانت كما زعموا متجردة فما الذي ألجأها إلى مفارقة عالم القدس والحياة والتعلق بعالم الموت والظلمات؟ ومن الذي قهر القديم وحبسه؟ وكيف جذبتها قوى الرفيع حتى انجذبت من عالم القدس والنور؟ وكيف امتاز بعضها على بعض في الأزل ونوعها متفق ولا محل ولا مكان ولا فعل ولا انفعال قبل البدن ولا هيأة مكتسبة كما يكون بعد البدن؟ ولا يصح أن تكون واحدة فتنقسم وتتوزع على الأبدان فإن ما ليس بجسم لا يتجزأ بل هي حادثة مع البدن إذا تم استعداده لقبولها.

ولما رأيت فتيلة مستعدة لتشتعل من النار من غير أن ينتقص منها شيء فلا تتعجب من حصول النفس الناطقة عند استعداد البدن من غير أن ينتقص من واهبها شيء.

«شرح الهيكل الثاني»

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن النفس الإنسانية ما تبدت عن الكثرة وإنما بدوها لنا عن الأحدية ومن ثم ظهرت في عالم الشهادة بمظهر الكثرة

المطلق فهي الواحد الكثير وأريد منك أن تفرق بين الجسد والنفس فإن الظاهر لنا في لسان المظاهر هو هذا الجسد الفاني والذي خفيت عنا حقيقته وحقائقه هو النفس وسره الأثري لأن أبا القاسم (ﷺ) قال عنه: «قل الروح من أمر ربي» وإن كان يعلم حقيقته علم تحقيق وذوق إلا أنه ادعى عدم معرفته كي يرحمنا من معرفة حقيقة نفوسنا ومن هنا لم تغيب عنا حقيقة هذه النفس وإن غبنا نحن عن النفس وغبنا في نفس الوقت عن حقيقتها وإن أجهدنا في معرفة حقيقتها وهذا اسمه عندنا العلم المحير لكون معرفة النفس أصعب من معرفة الحق تعالى.

ولو كان الفاني هو الذي يقيم هذه النفس لما كان لها بقاء أصلًا لكون الفاني قد قام بالفاني والمتحلل دخل في المتحلل وغذاه وسرى فيه فعل الحقيقة ليست النفس هي هذه الجثة الترابية بل هي شيء آخر غيره أعز من مصيره الخلود والوحدة والصمدية. وإنما حجبنا الحق تعالى بالفناء عن حقيقة الخلود رأفة بنا ومن ثم إن الروح القدس المطهر واحد أزلي قديم الذي نفخ منه فينا فكل نفس خرجت من النفس القدسي المطهر المصون فالنفوس توابع عاشقات لذاك النفس القدسي المطهر فإن ذاك الروح القدس هو سر الحياة الآدمية التي سرت فينا فعلمنا من هنا أن هذا الآدمي هو عين الحق تعالى فالحق تعالى والنفس التي برأها ليسا بجسمين ولا اختصاص للجسمانية بها. وكيف يعرف الطين الفاني حقيقته وحقيقة خالقه إلا إذا كان فانيًا عن طينيَّته متبرأ منها غير متعلق بها وكذلك النفس كالخالق ليست بجسم ولا عرض ولا جوهر وإنما حقيقتها غير معلومة لنا ولا متصلة ولا منفصلة ولا داخلة ولا خارجة بل طابعها الخلود وليس هناك قديم سوى الحق تعالى في عرفنا فلا عرش ولا لوح ولا روح ولا جنة قديم بل كله مخلوق فإن القديم الأزلي هو الحق تعالى لا غير أما العين التي نفخت منها الروح فهي قديمة لا الأرواح ذواتها.

فإننا يجب أن نفرق بين روح الحق وأرواحنا نحن فإن روح الحق تعالى هو الذي قيل عنه: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وهو الروح القديم أما أرواحنا

فهن محدثات لها مقام غير روح القدس التي هي أم الأرواح.

فالأرواح استمدت من أمها الحياة وهذه الحقيقة العلوية هي كالشمعة أو كالفتيلة المشتعلة إذا أضيء منها لم تعقد شيئًا من نورها فهذا مثل يختص بالأجسام فكيف الذي يختص بالخالق الأعظم رب الأرباب في كونه يهب من حضرته بدون فقد وهذا مقام آيته: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ ورأيت أن الواحد لا يتجزأ فما هذه النفس هي الحق تعالى لكون الواحدية لا تتجزأ ولا تقبل إضافة عليها في المقام الصرف.

وكذا في مقام القدم لا تتجزأ ولا تقبل إضافة إلا في مقام التنازل فإن الروح القدسي جزأ الواحد إلى الكثرة وقبل منه القدم لما أمده لبس اللطيفة الإلهية المصونة وغطاها بالفخار المتهالك الفاني.

فما هذه النفس هي الحق ولا هي جزء منه ولا هي قديمة ولكن خدمها الحق تعالى لما نفخ في الفخار الآدمي بإدخال بعض نوره وجزء منه في الفخار فكان هو عنه قد أدخل فيه قدمه هذا من وجه ومن وجه آخر ليس هو هو فما هو جزء منه ولا عينه ولا قدمه.

والسلام على روح القدس المصون.

«الهيكل الثالث»

الجهات العقلية ثلاث: واجب وممكن وممتنع فالواجب ضروري الوجود والممتنع ضروري العدم والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه والممكن يجب ويمتنع بغيره والسبب هو ما يجب به وجود غيره والممكن لا يكون موجودًا من ذاته إذ لو اقتضى الوجود لذاته كان واجبًا لا ممكنًا فلا بد له من سبب يرجح وجوده على العدم والسبب إذا تم لا يتخلف عنه وجود المسبب وكل ما يتوقف عليه الشيء فله مدخل في السببية سواء كان إرادة أو

وقتًا أو مكانًا أو مقارنًا أو محلًا قابلًا أو غير ذلك وإذا لم يوجد السبب بتمامه أو ينتفي بعض أجزائه لا يحصل الشيء ضرورة وإذا حصل جميع ما ينبغي في وجود الشيء وارتفع جميع ما لا ينبغي وجب الشيء ضرورة.

« شرح الهيكل الثالث»

اعلم أن الجهات العقلية الثلاث وهي: الممكن والواجب والممتنع خرجت عن نطاق عالم الخيال وهو العالم الأقدس المعظم فلا يعرف عوالم العقل واللب فالكل فيه واجب بقوله تعالى: ﴿**لهم ما يشاؤون عند ربهم**﴾ وبقوله (ﷺ): « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فلا ممكن ولا ممتنع في مدائن الحق هذه سوى الواجب وهو ما تحقق لأجل ذاته وهو ضروري الوجود أما الممتنع فهو ما امتنع لأجل ذاته وهو ضروري العدم وهو غير مراد في الدار الآخرة التي هي عالم الخيال الأعظم والممكن هو العالم المتردد بين الواجب والممتنع وهو لا يجب لذاته ولا يمتنع لذاته بل هو الداخل إلى ميدان السببية الظاهرة وهو الذي أقامه في الأكوان فالسبب هو علة وجود الممكن ولولا اختلاق الحق تعالى لعوالم السببية لما كان هناك ممكنًا ولكان عالم الشهادة منقسمًا ما بين واجب وممتنع أي واجب ومستحيل ولا جائز هناك.

والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الرابع »
« الفصل الأول »

ويصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود لأنهما حينئذ إن اشتركا في وجوب الوجود فلا بد من فارق فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق وما يتوقف على الشيء فهو ممكن الوجود والصفة لا تجب بذاتها وإلا ما احتاجت إلى محلها فواجب الوجود ليس محلًا لصفات ولا يجوز أن يوجد في

ذاته صفات لها فإن الشيء لا يتأثر عن ذاته ونحن إذا تصرفنا في عضو لنا يكون الفاعل شيئًا والقابل شيئًا آخر فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه له من كل متقابلين أشرفهما وكيف يعطي الكمال من هو قاصر عنه؟ والحق لا ضد له ولا ند له ولا ينتسب إلى أين وله الكمال الأعلى والجلال الأتم والشرف الأعظم والنور الأشد ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم وجوده ولا بجوهر فيشارك الجواهر في حقيقة الجوهرية دلت عليه الأجسام باختلاف هيئاتها فلولا تخصيصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها ومراتب أركان العالم ونظامها ولو اقتضت الجسمية هيئاتها لما اختلفت فيها.

«واسطة الهيكل»

«الفصل الثاني»

الأجسام تشاركت في الجسمية وتفاوتت في الاستنارة فالنور عارض للأجسام ونورية الأجسام ظهور لها ولما كان النور العارض قيامه بغيره وليس وجوده لنفسه فليس ظاهر الدلالة فلو قام بنفسه لكان نورًا لنفسه ونفوسنا الناطقة ظاهرة لذاتها فهي أنوار قائمة وقد بينا أنها حادثة ولا بد لها من مرجح ولا توجدها الأجسام إذ لا يوجد الشيء ما هو أشرف منه فمرجحها أيضًا نور موجود فإن كان واجب الوجود فهو المراد وإن لم يكن فينتهي إلى واجب الوجود بذاته الحي القيوم والنفس قائم دلت على الحي القيوم والقيوم هو ظاهر وهو نور الأنوار المجرد عن الأجسام وعلائقها وهو محتجب لشدة ظهوره.

«الفصل الثالث»

الواحد من جميع الوجوه الذي لا يتكثّر في ذاته اختلاف دواع وإرادات موجبة لكثرة محوجة إلى السبب كما أحوجت الأجسام إليه يجب أن يكون فعله - بلا واسطة - واحدًا فإن اقتضاء أحد الشيئين غير اقتضاء الآخر فيلزم

في مقتضى الشيئين ـ بلا واسطة ـ التكثر فأول ما يجب بالأول واحد لا كثرة فيه وليس بجسم فتختلف فيه هيئات مختلفة كالشكل ولا هيئة فيحتاج إلى محل ولا نفس فيحتاج إلى بدن بل هو قائم مدرك لنفسه ولبارئه وهو النور الإبداعي الأول لا يمكن أشرف منه وهو منتهى الممكنات وهذا الجوهر ممكن في نفسه واجب بالأول فيقتضي لنسبته إلى الأول ومشاهدة جلاله جوهرًا قدسيًا آخر.

« خاتمة الفصل »
« الفصل الرابع »

اعلم أن العوالم ثلاثة:

(١) عالم تسميه الحكماء عالم العقل والعقل على اصطلاحهم جوهر لا يقصد إليه بالإشارة الحسية ولا يتصرف في الأجسام أيضًا.

(٢) وعالم النفس: والنفس الناطقة وإن لم تكن جرمية وذات جهة إلا أنها تتصرف في عالم الأجسام والنفوس الناطقة تنقسم إلى:

أ ـ ما يتصرف في السماويات.

ب ـ وإلى ما لنوع الإنسان.

(٣) وعالم الأجسام: وهو منقسم إلى: أثيري وعنصري.

« شرح الهيكل الرابع »
« الفصل الأول »

اعلم أن واجب الوجود ما كان إلا للحق تعالى فقط دون غيره فلا يسع شيء آخر في هذا المجال معه فإنه ما وجب الوجود لذات سوى ذاته ولو تداخل معه ذات آخر في هذا المقام لفسد والصفة لا تجب لذاتها بلا للذات الذي تصفه وإن لم نعلم حقيقة هذا الذات فإنه ها هنا غير واجب الوجود بل

ما وجب الوجود سوى للذات المحض.

فإن الكمال ما كان إلا لمن ليس كمثله شيء وعنه كان من كمثله الأشياء وهذا ممكن له الوجود لا واجب له فإن الوجود الذي نحن نعرفه وما كان له من مكان وجوهر وعرض وهذه مسميات منفية في حقه سبحانه وتعالى كيف وهو الحي الأكمل والنور الأشمل فإن الوجود الحقيقي ليس هو المتصف بالجسمية الفانية وبالأعراض الزائلة بل الواجب الوجودي ما لم يدركه وجودنا وما لم تسعه عقولنا وما خرج عن حيطة الجسم والجوهر والعرض.

« واسطة الهيكل »
« الفصل الثاني »

ولما أراد الحق تعالى تشريف هذا الصلصال الفاني والهيكل الترابي أعطاه شيئًا من نوره تكريمًا له فإن ترابيتنا حملت شيئًا من نوره تعالى به شرفت وكرمت وليس هذا النور بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس هو لأجله بل لأجلنا فما هو قائم بذاته بل ذواتنا قامت به فما هو نور محض كحقيقة النور الإلهي بل أنوار العباد في الآدمية مخلوقة في المقام التنازلي ما هي مخلوقة على الحقيقة بل هي أنوار أزلية من أنوار الحق تعالى ودليلنا أن الحق تعالى لو قطع أنواره عن العالم كقدر لمحة لصار ظلامًا دامسًا غريبًا حالكًا فافهم هذه الحقيقة الإطلاقية يا ولي الله. ومن ثم وجدنا أن النور المحض لا يقوم بنفسه بل هو محتاج لجسم يقوم به كي يظهره ويظهر به والدليل على ذلك أن الحقيقة المحمدية هي أصل الأنوار وما احتاجت إلا للهيكل المحمدي كي يظهرها وتظهر به ووجدنا أن الحق تعالى من شدة ظهوره لم نعرفه ولم ير له ظهور في العالم فإن الظاهر هو الباطن والباطن هو الظاهر كما أن الستر هو الظهور هذا في لغة أهل الحق تعالى.

« الفصل الثالث »

اعلم أيدك الله بروح منه أن عالم الواحد وهو المعبر عنه في علومنا بالوحدانية وآخرون يسمونه بالفردانية هو أشرف العوالم وهذا العالم ما اقتضى ذاته الكثرة ولا يقبل التكثر بل هو واجب الوجود غير قابل للتعدد وحقيقة التنازلية أنه مرأى بوجوه متعددة كوجوه المثلث المتعدد الوجوه والرؤوس والزوايا فكل مخلوق يرى ذاك المثلث بمنظر معين أعني ذاك الواحد المتعدد الوجوه واعلم أن الأجسام ما اختصت به بل تنافرت مع مقامه لكون مقامها الكثرة المطلقة أما هو فمقامه عين الحق الأزلية التي ليس كمثلها شيء كما أنه ليس كمثله شيء واعجب منه أنه واحد ويرى فيه الخلق كل مظاهر الكثرة المطلقة مع أنه واحد مطلق لا يقبل الكثرة في ذاته ولا القسمة فهو من وجوه كثير بلا انتهاء ومن وجه آخر واحد صرف لا يقبل التعدد في ذاته.

والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الخامس » رابع

اعلم أن كل حادث يستدعي شيئًا حادثًا ويعود الكلام إلى السبب الحادث فينبغي أن ينشأ إلى غير النهاية أسباب حادثة بحيث لا يكون لها مبدأ فإن المبتدأ الحادث عائد إليه الكلام والأمر الواجب التجدد لذاته هو الحركة والذي يصح أن لا ينقطع من الحركات الدورية المستمرة التي تصح أن تكون سببًا للحوادث ولا تنصرم هو محرك الأفلاك وهي سبب الحوادث التي في عالمنا.

« شرح الهيكل الخامس »

اعلم أن المحرك هو الحق تعالى لا غير فإن حركة الكون ليست موجودة أصلًا إلا إن تجلى عليه الحق تعالى بقانون الحركة.

فإن السبب الحادث الأول الذي يسلسل الحركة ما كان إلا بالحق تعالى وما

هناك قانون للتسلسل الطبيعي الذي يجعل المحرك الأول هو الفلك أو غير الحق تعالى هذا كله باطل في عرفنا. فإن كل ذرة في الوجود حقيقتها الله لا غير.

فإن الكون كله مجذوب بالحق تعالى سائر به وإليه ومنه وفيه.

ومن قال إن الفلك متحرك بذاته حركة ذاتية غير محتاجة إلى الحق تعالى فقد أعظم على الله الفرية.

وكيف يسير العدم والوجود بغير قدرة الحق تعالى فإن القائم الأول بالحوادث والمخالف لها في وقت واحد هو الحق تعالى. وأين هذا الوجود الحجري المتصنم الجامد كيف يحرك نفسه بنفسه وهل العدم له حركة أصلًا بغير الحق سبحانه وتعالى عما يصفون.

فإن الحركة الأولى ما صدرت إلا عن الحق تعالى وهي التي سلسلت الحوادث وهذه السلسلة انتهائية فإن كل حادث له نهاية بلا رجم وبغير محالة أما سلسلة الحوادث فلم تتم بذاتها وهو التسلسل عند علماء الكلام ولو فرضنا أن الوجود عبارة عن بحر من الذرات الجمادية راكد فمن يحركه أترى هو الذي يحرك نفسه بنفسه أم أنه يجب أن يحركه محرك ويشحنه بحركة تلمسها يد لم يحركها أحد وهي اليد المخالفة للحوادث التي تسمى في عرفنا ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. ولا زال هناك رجال من أهل الولاية يرون تلك اليد أو ما تحركه اليد ومنهم من يرى آثار اليد الإلهية متجلية في أفعال العوالم فلا يشهد إلا عين القدرة وأفعالها سارية في العوالم فأين العدم ها هنا يا ولي الله.

وعن هذا المقام قال أبو القاسم (ﷺ): «إن قلب العبد بين اصبعين من أصابع الرحمن اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك» فإن عالم القلوب عالم المعاني واخترقته تلك اليد وحركته وملكت معاني حركته فكيف بعالم الجماد الحسي الظاهر لنا وأين هو من عالم القلوب المستور المغيب عنا فإن حركة العالم المغيب يد الحق تدخل فيها أعظم ألا ترى أن آثار القدرة بدت

لنا أعظم في تلك الدار الآخرة فقيل لنا فيها: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

أما تراه غربني | عن الأوطان شردني
وبالهجران أتحفني | عن الخلان أبعدني
وكنا قد تعاهدنا | مدى الأيام يصحبني
فغار الدهر تفريقًا | ففرقه وفرقني
غريب طاف بلدانًا | لعل الدهر يجمعني
أما تذكر تمازحنا | وروح الروح يبصرني
وماء القدس أبردني | نسيم القرب أثلجني
لعاب الصب مازجني | وبالترياق بلسمني
فذابت كل بلوانا | وروح الصب قربني
وجمع الجمع أفنانا | فلا أبصر سوى عيني
أنا أنت بلا شك | وما أنت سوى عيني
توحدنا تمازجنا | فلا فرق يكدرني
ولو غبت لحيظات | لكاد البعد يقتلني
جبال الحب حملني | بحار العشق أشربني

والسلام على روح القدس المصون.

«الهيكل السادس»

اعلم أن النفس لا تبطل لأنها ليست ذات محل فلا صنو لها ومبدؤها دائم فتدوم به وليس بينها وبين البدن إلا علاقة شوقية لا يبطل ببطلانها الجوهر وتعلم أن لذة كل ذرة إنما تكون بحسب كمالها وإدراكها وكذا ألمها ولذة كل شيء وألمه بحسب ما يخصه فالشم يتعلق بالمشمومات والذوق يتعلق بالمذوقات والمس يتعلق بالملموسات وكذا نحوها فلكل ما يليق به وكمال الجوهر العاقل الانتقاش بالمعارف من معرفة الحق والعوالم والنظام وبالجملة أمر المبدأ والتنزه

عن القوى البدنية ونقصه في خلاف هذا وتتعلق لذاته وألمه بها واللذيذ والمكروه قد يحصلان دون حصول لذة وألم كمن به سكتة أو سكر شديد لا يتألم بالضرب الشديد ولا يلتذ بحضور المعشوق فالنفس ما دامت مشتغلة بهذا البدن لا تتألم بالرذائل ولا تتلذذ بالفضائل لسكر الطبيعة وإذا فارقت النفس البدن تتعذب نفوس الأشقياء بالجهل والهيئة الردية الظلمانية والشوق إلى عالم الحس وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون سلبت قواهم لا عين ناظرة ولا أذن سامعة ينقطع عنها ضوء عالم الحس ولا يصل إليها نور القدس حيارى في الظلمات فانقطع عنها النوران فيتسلط عليها الفزع والهيبة والهموم والخوف لأنها من لوازم الظلمة ولهذا من تغير مزاج روحه وحصل فيه ظلمة وكدورة كأصحاب الماليخوليا يتسلط عليه الفزع والهموم فكيف حال من وقع في الظلمات مع اليأس عن التخلص ومصاحبة المؤذيات وأما الصالحات الفاضلات فتنال في جوار الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من مشاهدة أنوار الحق والانغماس في بحر النور فيحصل لها الملكية والملكة ولا تنقضي سعادتها فترجع إلى أبيها القائم بالسطوة على رؤوس مفاتيح الظلمة شديد المرة القاصمة صاحب الطلسم الفاضل جار الله الكريم المتوج بتاج القربة في ملكوت إله العالمين روح القدس كي تنجذب إليه كما تنجذب إبرة الحديد إلى مغناطيس لا يتناهى وكما لا نسبة للقوى إلى النفس فإن إدراك النفس أكمل وأشمل من إدراك القوى ولا لأنوار الله والقديسين إلى المحسوسات فلا نسبة للذة إلى اللذة والأول عاشق لذاته محتسب معشوق لذاته ولغيره ولا يصل إلى لذة هويته به لذة وسينكشف للنفوس الفاضلة إذا أبرزت من ظلمة الهياكل إلى سني الجبروت وأشرقت على شرفات الملكوت ومن أنكر اللذة الروحانية فهو كالعنين إذا أنكر لذة الجماع.

« شرح الهيكل السادس »

أعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن هذا البدن الصلصالي الفاني له عشق قوي بالنفس وهذا العشق عشق مهيم رغمي قهري فإن البدن بلا نفس لا

شيء والنفس أي الجوهر بلا بدن لا شيء فلا مقام إلا مقام التعلق وعلمنا في مقام التحقيق أن جوهر النفس غير فان أصلًا وليس له هذا القانون ولا يسري عليه لكونه ليس له محل حسي يحصره وما هو محسوس أصلًا وإن فني المحسوس فما هو بفان فافهم فهذا الجوهر النفسي أنفس من المكان وأشرف من الزمان وهو القائم بالفناء لا الفناء القائم به قد خرج عن قانون الفناء وعنوانه وناموسه وصار هذا الناموس المقدس والجوهر الأنفس هو مصدر قانون الألم واللذة في العوالم.

فإن شرفت هذا اللطيفة التذت وتنعمت وإن هبطت تألمت وتعذبت فإن هذه اللطيفة معشوقة إما إلى عالم النور المحض أو إلى عالم الظلمات المحض.

وهذا العشق قهري هبط بها إلى حيث توجهت الإرادة الإلهية فيها وقد فصلت قانون اللذة والألم في كتابي « قانون اللذة ».

ومنبع اللذة هي اللذة الروحية لا الحسية التي أقواها لذة الجماع التي هي بداية لذة الروح ولا يعرف أصلًا أهل الحجاب قانون لذة الروح وكيف يعرفها المحجوب الجحود الأعمى؟ فإن اللذة الروحية هي أم اللذات وهي أصل الأفراح في عالم الجنة لكون الجنة عالمًا لا يعرف الحس بل هو عالم المعاني المحض الذي لا تعرفه سوى الأرواح ولا تناسبه سوى الأرواح.

وكلما تجردت الروح عن قمامة هذا الجسد الترابي اقتربت من أنوار عالم المعاني المجردة التي هي خلاصة علم اللذة وعوالم السرور والأفراح والروح هو النفس وهو القلب.

وإن عالم المعاني المجردة هو عالم اللانهاية وهو علم الحق الذي قيل فيه: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾.

فهذا العالم يفنى الأكوان والكائنات ويغرقها لذة ولا تقطع منه لمحة فلا تعرف حقيقته وما كينونته وما كنهه فافهم؟

وهذا العالم عاشق للأرواح الطاهرة لا يتركها ولا يدعها حتى يفنيها في اللذات الإلهية الصرفة المحضة التي لا تتناهى فهناك هم فيها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد فصلنا خطر هذا العالم في كتابنا المسمى «تكملة الفتوحات المكية».

والسلام على روح القدس المصون.

«الهيكل السابع»

النفس الناطقة من جوهر الملكوت وإنما يشغلها عن عالمها هذه القوى البدنية فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية وغلبتها بتقليل الطعام وتكثير السهر تتخلص إلى عالم القدس وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف.

وقد تطرب النفوس من الناطقة طربًا قدسيًا فيشرق عليها نور الحق الأول ولما رأيت الحديدة المحماة تتشبه بالنار لمجاورتها وتفعل فعلها فلا تتعجب من النفس استشرقت واستنارت واستضاءت بنور الله تعالى فأطاعتها الأنوار طاعتها للقديسين وفي المستشرقين لأنوار الله رجال نحو أبيهم يلتمسون النور فتتجلى لهم جلايا القدس كما أنذرت الزودة ذات الألق حيث ألقت أن هداية الله أدركت قومًا اصطفوا ينتظرون الرزق فلما انفتحت أبصارهم وجدوا الله مرتديًا بالكبرياء اسمه فوق نطاق الجبروت وتحت شعاعه قوم إليه ينظرون.

ولا شك أن أنوار الملكوت نازلة لإغاثة الملهوفين وأن شعاع القدس ينبسط وأن طريق الحق ينفتح كما أخبرت الخطفة ذات البريق ليلة هبت الهوجاء والنير يدلف قبلة صاحبها وهو يدنو من النير صاعدًا انفتح له سبيل القدس ليصعد إلى رحاب مبعث البرازخ الأكبرين.

ربنا آمنا بك وأقررنا برسالتك وعلمنا أن ملكوتك مراتب وأن لك عبادًا متألهين يتوسلون إلى النور بالنور على أنهم قد يهجرون النور إلى الظلمات

ليتوسلوا بالظلمات إلى النور فيحصلون بحركة كحركة المجانين قرة عين العقلاء وعدتهم فأرسلت إليهم رياحًا مبشرات لتحملهم إلى عليين ليمجدوا سبحاتك وليحملوا أسفارك وليتعلقوا بأجنحة الكروبيين وليصعدوا بحبل الشعاع وليستغيثوا بالوحشة والدهشة لينالوا الأنس أولئك هم الصاعدون إلى السماء وهم القاعدون على الأرض.

أيقظ اللهم الناعسات من النفوس في مراقد الفضلات ليذكروا اسمك ويقدسوا مجدك وأكمل حقنا من العلم والصبر فإنها أبو الفضائل ارزقنا الرضا والقضاء واجعل الفتوة حليتنا والإشراق سبيلنا والله تعالى خير من أعان ولرسوله ولآله الصلاة والسلام والتحية والرضوان.

« شرح الهيكل السابع »

اعلم يا ولي الله أن النفس هي مهبط التجليات الإلهية وهي العالم الأكبر لقبول تجليات الحق تعالى ألا ترى أن أبا القاسم (ﷺ) قال: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: « جهاد النفس » فأعلمنا ها هنا أن النفس هي العالم الأكبر وإلا لما ألزمها بالجهاد الأكبر الذي هو يرقيها ويضعها في قمة روح القدس وإن روح القدس هو أبوها الذي هي تطلبه وتعشقه وتتمنى أن تبقى معه من الأزل إلى الأبد.

وقوله « الزودة ذات الألق » أي الوارد المتألق بالأنوار الباهرة فافهم وقوله « الخطفة ذات البريق » أي الاختطاف من الأوصاف البدنية الذميمة والتخلي عن رمم البشرية بقدر المستطاع وعلى قدر الطاقة وهو قول أبي القاسم: « فِرَّ من الدنيا كفرارك من الأسد ».

وقوله « الهوجاء » هو هياج ريح القهر الإلهية على الولي كي تخلصه من سموم بشريته ومن أقذار آدميته وقوله « النير » المراد به قوله تعالى ﴿نور على نور﴾ فهو ما انكشف للشيخ من مقامات الأنوار المحضة في ذلك

المعراج الروحي الأسمى والإسراء القدسي الأبهى.

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين آمنا بأن ملكك لله أنت وحدك وما هذه الأعيان إلا دمى وأنت تحركها بنفسك.

فارحم واغفر لنا وتولنا وكن لنا وليًا ونصيرًا اللهم آمين.

آمنا بك أنك النور المحض وقد وهبت منه لتلك الآنية الفخارية فصارت نورانية منك وبك وفيك وتعلقت بحبال الكمال وشعاع الخيوط التي هبت من شبابيك روح وريحان ليلة خلعت عليها من خلع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت لا خطر على قلب بشر.

هناك لا تعلق على الحقيقة إلا بضوء سناك ولا ارتواء إلا من معين هواك فأنت الهوى والمنى والوداد. هناك انفرد بك أنت بي أنا على الكثيب ليس أحد سوانا قد هلك العذول ومات الواشي وانتحر المخذول ليس إلا هفيف المناجاة وحنين المناغاة وهمسات المراعاة فمن مثلنا وقد صرت أنت أنا وأنا أنت فلا نعرف من بعضنا البعض والسلام على روح القدس المصون وصلى الله على صاحب اللواء المحمود والحوض المعقود أبي القاسم وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرين أجمعين آمين.

كتاب
إحياء الخرقة الصوفية
وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية

الحمد لله المطلع على قلوب أوليائه. والمتجلي بعروش ستره على أفئدة أصفيائه.

أحبهم قبل أن يحبوه. وراعاهم قبل أن يراعوه وإنا قد شغفنا بالرموز عن الكلمات وجئنا بالكناية عن التصريحات وهذا عين مشرب ليلى. وخلاصة مذهب سلمى ونهاية علم لبنى وعين غرام سعدى.

أي ولي الله والكل واحد لا غير في عين الجمع وذاك نجم يلمع وسنن في الهوى تشرع وأصلي وأسلم على صاحب اللواء وعرش الاصفياء المحمود في الأرض والسماء. خاتم الانبياء مولانا رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذا كتابي «إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية».

أثبت فيه قواعد التصوف من الكتاب والسنة وقد صنفت قبله كتاب «إتحاف أذكياء البشر بفضائل صوفية القرن الخامس عشر» في مجلدتين. كما أثبت فيه أيضًا أخلاق القوم بالشريعة كتابًا وسنة.

وها إنني قد صنفت للقوم في مشارق الأرض ومغاربها أكثر من مائة

مصنف. هذا مع أن عمري لم يتجاوز بحمد الله الثامنة والعشرين. وإنني قد جعلت الله تعالى حكمًا بيني وبين أهل عصري هل صنف أحد منهم مثل ما صنفت؟ ولكل عصر مجدد فليعرف الفتى من هو المجدد لهذا العصر؟ ومن هو المبعوث على رأس هذا القرن؟ ومن هو المتكلم المطلق بلسان القوم في مشارق الأرض ومغاربها؟ وليس كل من تكلم فالكلام يتضح عند النزال والمبارزة ويتجلى بالطعان والمقابلة.

والفتى النحرير من علم ما أقصده والحبر الذائق الرباني من تحقق مما أردته وأحدده.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

« الفصل الأول في إثبات مذهب التصوف بالكتاب والسنة »

قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ★ والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ★ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ★ إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ★ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ★ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثامًا﴾ إلى آخر السورة وقال الله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾.

وقال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾.

وقال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

أما إثبات مذهب الصوفية من السنة فهناك أحاديث كثيرة رويت عن حضرة أبي القاسم في هذا الشأن.

روي في الرسالة عن أبي جحفة قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) متغير اللون فقال: « ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم » وروي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه قال: « فِرَّ من الدنيا كفرارك من الأسد ».

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: يا دنيا غرّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا ».

وروى ابن المبارك في كتابه الزهد عن الحسن قال: « أدركت أقوامًا كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالًا فيدعها فيقول: والله ما أدري ما عليَّ أنا من هذه إذا صارت في يدي ».

« الفصل الثاني في ذكر أول من تكلم في علم التصوف من الصحابة »

قال ابن ليون في « الإنالة العلمية »: أول من تكلم في علوم التصوف عليّ أ هـ.

وقال أبو القاسم علي بن محمد بن خجو في « ضياء النهار »: الصحابة كان علمهم بالله وبالآخرة وكانوا أهل خوف وحزن ومجاهدة ومراقبة وقناعة وصبر وتوكل ورضى وانقطاع إلى الله وإخلاص عميم وكانوا مشغولين بتحصيل العبادة من جهاد ومجاهدة للنفوس والإيثار والبحث عن مكارم الأخلاق والتوحيد والإخلاص واليقين والذكر وهذا هو علم التصوف ولم ترد جل خطب النبي (ﷺ) وجل وصاياه الا بما اشتمل عليه علم التصوف وكانت تتعاطاه الصحابة مع الصحابة في وقته وذلك علم التوحيد والإخلاص وسائر مقامات التصوف أ هـ.

وقال ابن الحاج في « حواشيه على الدر الثمين » عن التستري في « رسالته العلمية » أن الحسن البصري قال: أول من تكلم في التصوف والفقر عليّ أ هـ. ونحوه له في « الأزهار الطيبة النشر » لدى كلامه على واضع علم التصوف وفي « الذهب الإبريز » للقاوقجي أن أول من تكلم في علم البقاء والفناء أبو ذر.

وفي « القوت » للإمام أبي طالب المكي: كان الحسن البصري أول من نهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم في هذا العلم بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه فقيل له: يا أبا سعيد أنت تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليان وقيل لحذيفة بن اليان نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) فممن أخذته؟ قال: خصني به رسول الله (ﷺ) أهـ. وقال أبو نعيم في « معرفة الصحابة » في ترجمة أبي ذر رضي الله عنه: هو سيد من آثر العزلة والوحدة وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء أهـ.

« الفصل الثالث في أن أهل الصفة هم صوفية الصحابة »

روى أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن أبي هريرة قال: « رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو أسفل من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته ».

وروى في « الحلية » بسنده عن فضاله بن عبيد قال: « كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في صلاتهم لما بهم من الخصاصية ـ وهم أصحاب الصفة ـ حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين ».

وروى في « الحلية » بسنده عن أبي هريرة قال: « كان من أهل الصفة سبعون رجلًا ليس لواحد منهم رداء ».

وروى في « الحلية » بسنده عن واثلة بن الأسقع قال: كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقًا من الوسخ والغبار.

وروى في « الحلية » بسند ه عن أنس بن مالك قال: « أقبل أبو طلحة يومًا فإذا النبي (ﷺ) قائم يقرئ أصحاب الصفة على بطنه فصيل من حجريقيم به

صلبه من الجوع كان شغلهم تفهم الكتاب وتعلمه ونهمتهم الترنم بالخطاب وترددە».

وروى في «الحلية» بسنده عن أبي سعيد قال: «أتى علينا رسول الله (ﷺ) ونحن أناس من ضعفة المسلمين ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ما أظن رسول الله (ﷺ) يعرف أحدًا منهم وإن بعضهم ليتوارى من بعض من العري فقال رسول الله (ﷺ) بيده - فأدارها شبه الحلقة - فاستدارت له الحلقة فقال: «بما كنتم تراجعون؟» قالوا: هذا رجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا قال: «فعودوا لما كنتم فيه» ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». ثم قال: «وليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون».

«الفصل الرابع في بيان إثبات الورد اليومي من الكتاب والسنة»

اتفقت جميع الطرق الصوفية وقام الإجماع على أن الورد اليومي قد يكون فيه الاستغفار والصلاة على النبي (ﷺ) والهيللة وأما أصل الورد اليومي من الكتاب فهو قول الحق تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا﴾. فلزم ها هنا أن يذكر العبد الله تعالى في ورد يومي بكرة وأصيلًا.

وأما أصله من السنة فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ): «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وروى البيهقي عن أنس قال (ﷺ): «ما من عبد ولا أمة استغفر الله في كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب».

ولم يكن هناك صحابي إلا وهو يذكر الله تعالى في كل ساعة بل في كل

لمحة وثانية لا في كل يوم هذه هي حياتهم بكل فخر وهذا كان دأب إمامهم أبي القاسم (ﷺ) وعليه التابعون من بعدهم.

« الفصل الخامس في بيان الأصل في إثبات مذهب الصوفية بالكتاب والسنة في عدم التقيد بالعدد في الذكر »

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ أي بلا تقيد وتحديد بل على الإطلاق.

وفي السنة روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (ﷺ): « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » والكثرة ها هنا لم يحددها بل هي مطلقة وروى البزار عن أبي المنذر قال (ﷺ): « أكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنها ممحاة للخطايا » وها هنا أيضًا طلب (ﷺ) الكثرة المطلقة التي لا يحصرها حاصر.

وروى الطبراني عنه (ﷺ) أنه قال: « اذكر الله حتى يقال مجنون ». وروى البخاري عنه (ﷺ): « تكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » فإذا كان الله تعالى لا يمل فإن العدد مفتوح غير مقيد بل هو إطلاقي.

« الفصل السادس في إثبات أهل السبحة من السنة »

أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ﷺ) دخل على امرأة « لعلها أم المؤمنين صفية بنت حيي » وبين يديها نوى أو حصى تسبح بهن.

وصح أنه كان لأبي هريرة رضي الله عنه خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به. وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجزع « أي الذي اختلط سواده ببياضه ».

وأخرج الحاكم عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ

رسول الله (ﷺ) وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن.

وقد صنف الإمام السيوطي رسالة في السبحة سماها «المنحة في السبحة» أثبت فيها شرعيتها، وفيها: صح أنه كان لفاطمة بنت الحسين خيط معقود تسبح به.

وكذلك كان لسعد بن أبي وقاص أكياس من النوى يسبح بها وكذلك لأبي الدرداء أكياس من النوى يسبح بها.

ومما قاله السيوطي في رسالته «المنحة في السبحة»: وقد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم فلو لم يكن في اتخاذها غير موافقة هؤلاء السادة والدخول في سلكهم لكفى. أهـ.

«الفصل السابع في بيان إثبات دليل الصوفية في لباس الخرقة من السنة»

قال الإمام نور الدين الحلبي صاحب «السيرة الحلبية» في كتابه «النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية»: ثبت أنه (ﷺ) ألبس عليًا عمامته التي يقال لها السحاب ومن ثم لما جاء إليه وهو لابسها قال: جاءكم علي في السحاب.

وقد جاء أنه (ﷺ) أهدى إليه صاحب دومة الجندل جبة من سندس فجعلت الصحابة يتعجبون من تلك الجبة فوهبها (ﷺ) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلمًا يوم فتح مكة رمى عليه رداءه.

والأصل في لباس الخرقة زيادة على ما تقدم ما جاء في الصحيح أنه (ﷺ) جاء إليه ثياب فيها خميصة سوداء صغيرة والخميصة كساء مربع فيها أعلام صفر وحمر وفي رواية صفر وخضر فقال (ﷺ): من ترون نكسو هذه الخميصة؟ فسكت القوم فقال رسول الله (ﷺ): ايتوني بأم خالد - أي بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: فأتي بي فألبسنيها رسول الله (ﷺ)

وقال: أبلي وأخلقي يقولها مرتين.

وما جاء أيضًا أنه (ﷺ) كسا كعب بن زهير بردته لما أنشده قصيدته بانت سعاد وكسا معاوية ثوبه في يوم وفي يوم آخر إزاره وفي يوم آخر رداءه وأوصى معاوية أن يكفن في ذلك ففعل به ذلك. انتهى.

«الفصل الثامن في إثبات الأصل من السنة في تحديد العدد في الذكر»

زعم قوم أن تحديد المرء لنفسه عددًا من الذكر بدعة وهو خطأ مردود على قائله لأنه معارض لما ثبت عن رسول الله (ﷺ) وأصحابه قال (ﷺ): «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل» رواه الشيخان.

وذكر لرسول الله (ﷺ) امرأة فأخذت إحدى نسائه تذكر من عبادتها فقال (ﷺ): «عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» وهو في الصحيح وموافقته (ﷺ) لعبد الله بن عمرو بن العاص في عبادته عندما قال: «إني أطيق أفضل من ذلك».

وأخرج أبو داود أن أبا هريرة كان له كيس به حصى أو نوى يسبح به ونقل الحافظ ابن رجب الحنبلي أنها كانت اثني عشر ألف حصاة.

ومن العجيب أنهم يريدون فرض خطئهم على الأمة وما رأينا إمامًا فرض مذهبه على الأمة وها هو ذا إمام دار الهجرة طلب منه الخليفة أن يحمل الناس على مذهبه فأبى لأن شيمته الإنصاف رضي الله عنه فهل هؤلاء شموا أخلاق السلف؟ أو يعرفون الإنصاف؟

وحديث أبي بن كعب معروف قال: قلت يا رسول الله: إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفي همك ويغفر ذنبك. قال الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح.

« الفصل التاسع في إثبات مقام الأقطاب والأوتاد والابدال من الكتاب والسنة »

قال الله تعالى في إثبات هذه المقامات: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا﴾.

أي قطب العالم في وقته.

وقال تعالى في إثبات قطبانية محمد: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية موسى: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية آدم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية داود: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾.

وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: « ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » رواه مسلم. وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية عمر رضي الله عنه: « لو كان بعدي نبي لكان عمر » رواه الترمذي عن عقبة بن عامر.

وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ». أخرجه الشيخان.

وخير حديث في إثبات عموم القطبانية ما قاله النبي (ﷺ): « السباق أربع أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة ». رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس.

فمحمد رسول الله (ﷺ) قطب العرب.

وصهيب رضي الله عنه قطب الفرس.

وسلمان رضي الله عنه قطب الروم.

وبلال رضي الله عنه قطب الحبشة.

قال الله تعالى في إثبات الأوتاد: ﴿وجعلنا الجبال أوتادًا﴾.

والجبال ها هنا كبار الراسخين من أهل المعرفة فهم أوتاد الأرض.

وإثبات مقام الأوتاد من السنة قوله (ﷺ) في خالد بن الوليد رضي الله عنه: «نعم عبدالله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله» رواه الترمذي عن أبي هريرة.

أي وتد من أوتاد الله لم يهزم قط.

وإثبات مقام الأبدال من القرآن قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ أي الأبدال.

ومن السنة في إثبات مقام الأبدال والنجباء ما أخرجه الخلال بسنده عن علي رضي الله عنه قال: «النجباء بمصر والأبدال بالشام وهم قليل»

وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن علي رضي الله عنه قال: «الأبدال من الشام والنجباء من مصر والأخيار من العراق».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن علي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله (ﷺ) قال: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء» رجاله رجال الصحيح. وأخرج ابن عدي والديلمي وابن شاهين عن أنس مرفوعًا قال: «الأبدال أربعون رجلًا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة». وقد صنف الحافظ السيوطي رسالة أثبت فيها هذه المقامات بالكتاب والسنة سماها: «الخبر الدال على وجود الاقطاب والأوتاد والأبدال».

« الفصل العاشر في بيان إثبات أصل السماع والإنشاد من الكتاب والسنة »

قال الله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾.

وقال تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

وقال النبي (ﷺ): « ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت بالذكر ». واعلم أن السماع سنة نبوية عالية ثابتة كاد الإجماع أن يقوم عليها في أعلى درجات الحديث الصحيح ولا ينكرها إلا جاهل غير فقيه بحديث رسول الله (ﷺ).

وفي الصحيحين عن عائشة جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني (ﷺ) فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم وروى ابن ماجه عن عياض الأشعري أنه شهد عيدًا بالأنبار فقال: ما لي لا أراكم تغلسون كما كان يغلس عند رسول الله (ﷺ). قال جابر: وهو اللعب.

وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: دخلت على جارية لحسان بن ثابت يوم فطر ناشرة شعرها معها دف فزجرتها فقال رسول الله (ﷺ): دعيها يا أم سلمة فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

وقال إمام الحرمين وابن أبي الدم نقل الاثبات من المؤرخين أن عبدالله بن الزبير كان له جوار عوادات وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود فقال ما هذا يا صاحب رسول الله (ﷺ) فناوله إياه فتأمله ابن عمر وقال: هذا ميزان شامي فقال ابن الزبير: توزن به العقول.

وروى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب آداب السماع فقال: حدثنا عبدالله بن شبيب قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني أبي عن حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال: مر رسول الله (ﷺ) بحسان بن ثابت وهو

بفناء فاطمة ومعه سماطان من أصحابه وجاريته تغنيهم فانتهى إليهم رسول الله (ﷺ) وهي تقول:

هـــل عـليٍّ ويحكـما إن لهوت من حـرج

فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال: لا حرج.

وقد ذكر القصة ابن عبد ربه في «العقد الفريد» قال الحافظ العلامة الكبير سيدي عبد الحي الكتاني في «التراتيب الإدارية»: وقد ألف في السماع والغناء جماعة منهم الإمام ابن قتيبة له كتاب «الرخصة في السماع» والإمام أبو منصور التميمي البغدادي والحافظ ابن حزم الأندلسي وفي «المنن» للشعراني بعد كلام صنف الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي كتابًا نقض فيه أقوال من قال بتحريم السماع وجرح النقلة للحديث الذي أوهم التحريم وذكر من جرحهم من الحفاظ واستدل على إباحة السماع واليراع والدف والأوتار بالأحاديث الصحيحة وجعل الدف سنة.

قال الشيخ عبد الغفار القوصي: وقد قرأت ذلك على الحافظ شرف الدين الدمياطي وأجازني به عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسماعه من المصنف وقال: لا فرق بين سماع الأوتار وسماع صوت الهزار والبلبل وكل طير حسن الصوت فكما أن صوت الطير مباح سماعه فكذلك الأوتار.

«الفصل الحادي عشر في إثبات رقص بعض كبار الصحابة وتواجدهم بين يدي رسول الله (ﷺ) من السنة وهو حجة الصوفية في هذا الباب»

وقد عقد الحافظ الكبير مولانا عبد الحي الكتاني فصلًا في المجلد الثاني من كتابه «التراتيب الإدارية» وعنوانه «حجل بعض كبار الصحابة بين يديه (ﷺ)».

والحجل في لغة العرب هو الرقص.

قال فيه: في الصحيح أنه عليه السلام قال لعلي:

«أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وفي «التوشيح» زاد ابن سعد من مراسيل الباقر فقام جعفر فحجل حول رسول الله (ﷺ) أي دار فقال له النبي (ﷺ): «ما هذا؟» قال: شيء رأيت الحبشة يفعلونه لملوكهم.

وفي طريق آخر أن الثلاثة فعلوا ذلك. والحجل بحاء فجيم فلام كسبب رقص على هيئة مخصوصة. أ هـ.

وفي «تخريج أحاديث الإحياء» للحافظ العراقي اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» فحجل وقال لجعفر: «اشبهت خلقي وخلقي» فحجل وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فحجل الحديث أخرجه أبو داود من حديث علي باسناء حسن وهو عند البخاري دون ذكر الحجل.

قال الحافظ السيوطي في «الحاوي» لما تكلم على مسألة الرقص بعد أن ذكر حجل من ذكر عن مسند أحمد وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه (ﷺ) فكان هذا أصلًا في رقص الصوفية لما يدركونه من لذة المواجيد.

«الفصل الثاني عشر في إثبات لبس المرقعات من السنة وأن النبي والصحابة قد لبسوا المرقعات»

ورد في الصحيحين أنه (ﷺ) كان يرقع ثوبه ويخصف نعله.

وفي «عيون الأخبار» لابن قتيبة قال علي: رأيت لعمر بن الخطاب إزارًا فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم (أي جلد) ورقعة من ثيابنا.

وفي «تاريخ أبي الفداء» خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة.

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير قال أنس: لقد رأيت في قميص عمر أربع

رقاع بين كتفيه وفي «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي قال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب.

وفي كتاب «تذكرة الخواص» لسبط بن الجوزي قال: روى سفيان عن عمرو بن قيس الملائي قال: رئي على علي رضي الله عنه إزار مرقوع فعوتب في ذلك فقال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن. قال سفيان وكان يقطع الثوب إلى أطراف أصابعه يعني الكم. وقد أخرجه أحمد في «المسند» بمعناه.

«الفصل الثالث عشر في إثبات لبس الصوف والشعر والخيش من السنة وبيان أن النبي وصحابته لبسوه»

أخرج البخاري ومسلم عن البراء رضي الله عنه قال: كنت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة في سفر فقال: أمعك ماء؟ قلت: نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها فأخرجهما من أسفل الجبة وذكر الحديث.

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي (ﷺ) ذات غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود.

وأخرج الشيخان عن أبي بردة رضي الله عنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن وكساءً من التي يسمونها المُلَبَّدَة فأقسمت بالله أن رسول الله (ﷺ) قبض في هذين الثوبين.

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي بردة رضي الله عنه قال: قال لي أبي: يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي (ﷺ) وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن.

وروى أبو داود عن عقبة السُّلَمِيّ رضي الله عنه استكسيت النبي (ﷺ) فكساني خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسي أصحابي. «والخَيْش»: هو الكتان.

« الفصل الرابع عشر في إثبات ما يقع للصوفية من الكرامات وخوارق العادات بالكتاب والسنة »

قال الله تعالى لمريم: ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾.

وهنا وقعت كرامتان خارقتان لمريم.

« الأولى »: كونها استطاعت أن تهز جزع النخلة التي لا يستطيع هزها سوى أكثر من خمسين رجلًا قويًا هذا برغم أنها كانت نفساء.

« والثانية »: أن الرطب الجني لم يكن في ذاك الوقت أوان ظهوره.

وقال تعالى في حقها: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾.

قيل: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

وقال الله تعالى في حق أصحاب الكهف: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا﴾ هذه نومة فقط.

أما كرامات أصحاب رسول الله (ﷺ) فحدّث ولا حرج وقد جمعتها في معجم سميته « معجم كرامات الصحابة » على حروف المعجم في جزأين.

وقد جمع الإمام النبهاني في مقدمة كتابه « جامع كرامات الأولياء » كرامات أصحاب الرسول عليهم الرضوان.

« فمن كرامات أبي بكر الصديق رضي الله عنه »: « أنه استضاف ثلاثة أضياف فكانوا كلما أكلوا ازداد الطعام ولم ينقص. هذا الحديث أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

« ومن كرامات أبي الدرداء رضي الله عنه »: أنه بينما هو يأكل في قصعة سبحت. هذا الحديث أخرجه البيهقي عن قيس رضي الله عنه.

« ومن كرامات أبي عيسى بن جبر رضي الله عنه »: أنه كان يصلي مع رسول الله (ﷺ) الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة فخرج ليلة مظلمة مطيرة فنوّر له في عصاه حتى دخل دار بني حارثة. هذا الحديث أخرجه الحاكم عن أبي عيسى رضي الله عنه.

« ومن كرامات ابن أم مكتوم رضي الله عنه »: أنه كان يتوخى الفجر فلا يخطئه وكان مؤذن الرسول (ﷺ) وكان أعمى. هذا الحديث أخرجه ابن سعد عن ابن عمر رضي الله عنه.

« ومن كرامات أنس بن مالك رضي الله عنه »: كان له أرض فشكا له قيمها عطشها فدعا أنس رضي الله عنه فنزل المطر على أرضه فقط ولم يجاوزها. هذا الحديث ذكره البازلي في « غاية المرام » وهو تاريخ رجال صحيح البخاري.

« ومن كرامات تميم الداري رضي الله عنه »: أن نارًا خرجت من الحرة فأمره عمر أن يلقي نفسه فيها فلم يحترق. هذا الحديث أخرجه أبو نعيم عن معاوية بن حرملة.

« ومن كرامات الحسن بن علي رضي الله عنه »: أن رجلًا تغوط على قبره فجن فجعل ينبح كما ينبح الكلاب ثم مات فسمع من قبره يعوي. قاله المناوي في « الطبقات ».

« ومن كرامات الحسين بن علي رضي الله عنه »: ما قاله الزهري لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا وعوقب في الدنيا إما بالقتل أو بالعمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة. قاله الإمام الشبلي في « المشرع الروي ».

« ومن كرامات حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه »: ما قاله رسول الله (ﷺ): « رأيت الملائكة تغسل حمزة » أخرجه ابن سعد عن الحسن رضي الله عنه.

« ومن كرامات خالد بن الوليد رضي الله عنه »: أنه شرب السم ولم يضره

في القتال. هذا الحديث أخرجه أبو يعلى عن أبي السفر.

« ومن كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه »: قوله يا سارية الجبل وهو على المنبر وهي أشهر كرامات الصحابة على الإطلاق وأعظمها تواترًا وصحة.

« الفصل الخامس عشر في إثبات تقبيل أيدي وأرجل العلماء والصالحين والأولياء والأماكن الشريفة والقبر النبوي المعظم وإثبات التبرك بما مسته يد النبي (ﷺ) وإثبات التبرك بآثاره (ﷺ) مطلقًا ويقاس عليه جواز التبرك بالعلماء وآثارهم مطلقا وتقبيل أيديهم وأرجلهم كله يثبت ها هنا بالسنة

في « مسند الإمام أحمد » عن أم سليم أن النبي (ﷺ) شرب من قربة عندها قالت: فقطعت فم القربة أي رجاء بركتها لموضع فمه الشريف وذكر القاضي عياض في « الشفاء » أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتغالون في شراء آثاره الشريفة بعد موته (ﷺ) فيشترون ذلك بنفائس أموالهم كالبردة التي اشتراها معاوية من ورثة كعب بن زهير ولقد احتفظ بها حتى وفاته فقال لمن حوله: إذا أنا مت فهذه بردة رسول الله (ﷺ) ضعوها مما يلي جسدي بعد الغسل ثم كفنوني بما شئتم وهذه قلامة أظافر رسول الله (ﷺ) احتفظت بها فاطحنوها ودقوها جيدًا وضعوها في فتحات عيني وأنفي وفمي وأذني ودعوني ألاقي ملائكة ربي.

قال ابن مالك في « شرح المصابيح »: وفيه دليل على جواز التقرب إلى الله بآثار العلماء والمشايخ والصلحاء. انتهى.

وروى البخاري أن أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ) أوصى أن تدفن معه شعرات للنبي (ﷺ).

وفي « الشفا » لعياض أن شعرة من شعرات النبي (ﷺ) كانت في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالًا إلا رزق النصر.

وفي «خلاصة الوفا» للسمهودي: عن إسماعيل التيمي قال: كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم فيضع خده على قبر النبي (ﷺ) فعوتب في ذلك فقال: إنه يستشفي بقبر النبي (ﷺ) انتهى.

وثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على القبر الشريف.

وجاء بسند جيد أن بلالًا رضي الله عنه لما زار قبر النبي (ﷺ) من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر الشريف بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم.

وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري حينما جاء من أرض الروم.

في «الشفا» رؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعًا يده على مقعد رسول الله (ﷺ) من المنبر ثم وضعها على وجهه أي مسح بها تبركًا ما مس جسده وثيابه من آثار رسول الله (ﷺ) وجاء في «مناقب الفقهاء الثلاثة» لابن عبد البر عندما تحدث عن الإمام مالك رضي الله عنه قال: كان يمشي حافيًا في المدينة رجاء أن يمس جلد رجله شيء داسه رسول الله (ﷺ) من التراب.

وثبت من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما مما رواه البخاري أنها قالت: هذه جبة رسول الله (ﷺ) كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها فنحن نغسلها للمرضى لتستشفي بها.

وفي «التراتيب الإدارية» للحافظ الكبير مولانا عبد الحي الكتاني عقد بابًا سماه «باب صحابي قال فيه عمر حق على كل مسلم أن يقبل رأسه» وأخرجه عن البيهقي في «شعب الإيمان» وابن عساكر عن أبي رافع. ثم عقد بابًا سماه «باب من كان من الصحابة يقبل تلاميذه يده» قال فيه:

عن جميلة أم ولد أنس بن مالك قالت كان ثابت إذا أتى أنسًا قال أي أنس يا جارية هات لي طيبًا أمس يدي فإن ثابتًا لا يرضى حتى يقبل يدي رواه أبو يعلى ورجاله موثقون.

ثم عقد بابًا آخر سماه «باب من قبل من الصحابة يد تلميذه لكونه من أهل البيت» قال فيه: أخرج ابن عساكر عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت ركب يومًا فأخذ ابن عباس الركاب فقال: تنح يا ابن عم رسول الله (ﷺ) فقال: هكذا أمرنا أن نفعل لعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرني يدك فأخرج يده فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا أورده في مناقب زيد من كنز العمال بهذا اللفظ.

وقد أفرد أبو بكر المقري جزءاً في تقبيل اليد وما ورد فيه ولي رسالة أفردتها فيمن قبل يد النبي (ﷺ). انتهى.

وتكلم الشيخ منصور علي ناصف في «التاج» على التقبيل فقال: «ومنها تقبيل اليد والرجل» قال فيه: روى أبو داود والترمذي عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع رضي الله عنهم وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله (ﷺ) ورجله.

«الفصل السادس عشر في إثبات أنه يجب اتخاذ الشيخ الروحي المربي الواصل وطلب المريد الصادق له وبيان ذلك من الكتاب والسنة»

قال الله تعالى في ذلك: ﴿فآمن له لوط﴾ وقال الله تعالى في ذلك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾.

وقال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآت بابه وهو قائل فأتوسد رداءي على بابه تنسف الريح عليّ من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله (ﷺ) ما جاء بك ألا أرسلت إليّ فآتيك فأقول أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث.

وروى أبو الزناد عن أبيه قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يأتي عبيد الله يسأله عن علم ابن عباس فربما أذن له وربما حجبه.

وورد في كتب الطبقات في ترجمة عكرمة تلميذ ابن عباس أن شيخه ابن عباس كان يقيده بالقيد كي يرغمه على حفظ العلم.

وذكر الكاساني في «أصول البدائع» أن عبدالله بن عباس قيد عبدًا له يعلمه تأويل القرآن قال: وبه جرت العادة في سائر الأمصار من غير نكير فصار إجماعًا.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن عكرمة قال: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن.

وبوب البخاري في «صحيحه» باب الرحلة في طلب العلم» وذكر أن جابر بن عبدالله رحل إلى عبدالله بن أُنيس مسيرة شهر في حديث واحد. وذكر ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى موسى أن اتخذ نعلين من حديد ثم اطلب العلم حتى تخرق نعليك وتنكسر عصاك.

وروى الخطيب البغدادي بسنده في كتابه «الرحلة في طلب الحديث» عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء جئتك من المدينة مدينة الرسول لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله (ﷺ) وذكر بقية الحديث.

أما من رحل في طلب العلم فإنه ما رحل حقيقة إلا لطلب الشيخ لكي يحريه حقيقة العلم الصحيح. وأعظم هذه الرحلات ما كان يفعله الصحابة في الرحلة إلى رسول الله (ﷺ) كي يتتلمذوا على يديه ويقتدوا به.

ولما أمر الحق تعالى نبيه موسى بالرحلة إلى الخضر لم يكن له إلا طلب الرحلة وتعلم منه حقيقة. وذكر ياقوت في «معجم البلدان» قول أبي الدرداء: «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدًا يفتحها عليّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه».

وأخرج الرامهرمزي في «المحدث الفاضل» عن الشعبي أنه خرج إلى مكة

في ثلاثة أحاديث ذكرت له فقال: «لعلي ألقى رجلًا لقي النبي (ﷺ) أو من أصحاب النبي (ﷺ)».

وفي «علوم الحديث» لابن الصلاح عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلم؟

فقال: بلى والله لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.

وأخرج ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» عن سفيان عن رجل أن مسروقًا رحل في حرف وأن أبا سعيد رحل في حرف.

وذكر الذهبي في «تذكرة الحفاظ» عن ابن إسحاق قال: سمعت مكحولًا يقول: طفت الأرض في طلب العلم.

وأخرج الترمذي عن علي بن المديني شيخ البخاري قال: حججت حجة وليس لي همة إلا أن أسمع. وروى الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» عن الحسن البصري قال: رحلت إلى كعب بن عجرة من البصرة إلى الكوفة فقلت: ما كان فداؤك حين أصابك الأذى؟ قال: شاة.

كتاب
تحذير الرجال
من فضائح المسيخ الدجال

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بظهور البشير النذير ★ وجعلها خير أمة أخرجت للناس بلا نكير ★ وأصلي وأسلم على أستاذ الوجود ★ وعرش الشهود ★ محمد وعلى آله وصحبه الغر المحجلين من آثار الوضوء ★ وبعد ★

قال الله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فيما أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾.

وقال رسول الله (ﷺ): «بعثت أنا والساعة كهاتين» وضم السبابة والوسطى أخرجه البخاري عن سهل رضي الله عنه. فهذا كتابي في الدجال خاصة وفي العلامات الكبرى عامة وسميته: «تحذير الرجال من فضائح المسيخ الدجال».

وقد فصلت فيه أحوال الدجال تفصيلًا ما علمت أحدًا قبلي فصله في كتاب والحمدلله رب العالمين.

والواجب على كل مؤمن أن يعلم علامات الساعة بالتفصيل صغراها وكبراها حتى يأمنها ويأمن فتنها إن عصمه الله من أهوالها إذا ظهرت كبراها في هذا الوقت إلى جوار الذي ظهر من علاماتها الصغرى والمتوسطة.

فإن علامات الساعة تقسم عندنا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ما ظهر منها وهو الصغير

والقسم الثاني ما نحن فيه وهو المتوسط

والقسم الثالث ما لم يظهر بعد وهو الكبير

نسأله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الفتن بأنواعها وأن يلحقنا بنبيه (ﷺ) وأن يحشرنا في زمرته والله الموفق.

الباب الأول في أوصاف الدجال

اعلم أنه قد ورد في الحديث الصحيح أن الدجال أعور ومكتوب بين عينيه «ك ف ر» أي كافر.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينه «ك ف ر» أي كافر يقرأه كل مسلم.

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله (ﷺ) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور.

الباب الثاني في ذكر الفرق بين المسيح عيسى ابن مريم والمسيخ الدجال

قد ثبت أن رسول الله (ﷺ) رأى عيسى في المنام عليه السلام وفي نفس الرؤيا رأى المسيخ الدجال ثم ذكر صفة كل واحد منها والفرق بينهما.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله (ﷺ) قال: بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر

ينضب أو يهراق رأسه ماء قلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهًا قطن رجل من خزاعة.

الباب الثالث في ذكر أن الدجال أعور العين اليسرى

ثبت في الصحيح أن الدجال أعور العين اليسرى وروي هذا بأسانيد صحاح.

روى مسلم: الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار.

الباب الرابع في ذكر جنته وناره

وقد أعطاه الحق تعالى جنة ونارًا زائفتين ليغر بهما من حقت عليه الضلالة وعكست له الآيات. فالنار هي الجنة. والجنة هي النار.

روى مسلم في «صحيحه»: الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار.

الباب الخامس في ذكر النهرين اللذين مع الدجال

روى الشيخان البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأيَ العين ماء أبيض والآخر رأيَ العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد.

الباب السادس في ذكر أنه مكتوب بين عينه «كافر»

روى الترمذي ومسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال: تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وإن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من كره عمله.

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: إن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.

الباب السابع في ذكر أن معه جبلًا من خبز ونهراً من ماء

روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه قال: ما سأل أحد النبي (ﷺ) عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: ما يضرك منه قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال: « هو أهون على اللهِ من ذلك »

الباب الثامن في ذكر كيفية ولادة المسيخ الدجال

روى الترمذي في « ذكر ابن صياد » بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله (ﷺ) أبويه فقال: أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فرضاحية طويلة اليدين فقال أبو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله (ﷺ) فيهما فقلنا: هل لكما ولد فقال: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة له وله همهمة فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي.

قوله فِرْضَاحِيَّة: أي ضخمة. وقوله منجدل في الشمس: أي مطروح فيها. وقوله وله همهمة: أي صوت غير مفهوم.

الباب التاسع في ذكر أن الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة

روى الشيخان البخاري ومسلم: عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ)

قال: ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها.

الباب العاشر في ذكر من هو المسيخ الدجال

قد اختلف العلماء في شخص المسيخ الدجال ومن هو؟ فقيل: إنه صائد بن صياد وقيل: هو صائد. وقيل: بل هو شيطان مقيد بالسلاسل في بعض الجزائر.

وقيل هو من أولاد شق الكاهن وقيل: هو شق نفسه وإن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه.

وقال كعب الأحبار: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر.

وقيل: إنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو غيره فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة.

الباب الحادي عشر في ذكر أن الدجال لا تسلّط له على المؤمنين وهم معصومون من كيده

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله (ﷺ) يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: اشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله (ﷺ) حديثه فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا قال: فيقتله ثم يحييه فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرةً مني الآن قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه.

الباب الثاني عشر في ذكر تحذير الرسول (ﷺ) لصحابته من كيد المسيح الدجال

روى ابن حبان في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»: عن حذيفة قال: «كنا عند النبي (ﷺ) فذكر الدجال فقال: لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال إنها ليست من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجال فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن عبدالله بن حوالة أن رسول الله (ﷺ) قال: من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات موتي والدجال وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله (ﷺ): ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال.

وروى البزار عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال: ما كنا نسمع فزعة ولا رجة في المدينة إلا ظننا أنه الدجال لما كان رسول الله (ﷺ) يحدثنا عنه ويقربه لنا.

الباب الثالث عشر في ذكر تحذير كل الأنبياء لأممهم من المسيح الدجال

أخرج البخاري في الفتن عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ): «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب».

وأخرج البخاري في كتاب الجهاد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ثم قام النبي (ﷺ) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور.

وأخرج ابن ماجة في «سننه» عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ رأى الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم.

الباب الرابع عشر في ذكر خوف الصحابة من فتنة المسيخ الدجال

أخرج البخاري في «باب ذكر الدجال» من حديث المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبي (ﷺ) عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: «ما يضرك منه» قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال: «هو أهون على الله من ذلك».

الباب الخامس عشر في ذكر أن الدجال لا يخرج إلا إذا نسي الناس ذكره وغفلوا عنه

فإن كثيرًا من الناس ظنوا أن الدجال قد خرج ومنهم من يؤكد هذا وهذا وهم وهو غير صحيح فإن الدجال لا يخرج إلا إذا تلهى الناس عنه ونسوا ذكره وظنوا عدم خروجه فإنه حينذاك يخرج عليهم.

روى عبدالله بن أحمد عن راشد بن سعد قال: لما فتحت اصطخر إذا مناد ينادي ألا إن الدجال قد خرج قال: فلقيهم الصعب بن جثامة فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر.

الباب السادس عشر في ذكر أنه إذا خرج الدجال يجب على المؤمن أن يجعل طعامه التسبيح والتكبير والتهليل

روى أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح عن عائشة أن رسول الله (ﷺ) ذكر جهدًا يكون بين يدي الدجال فقالوا: أي المال خير يومئذ قال: غلام شديد يسقي أهله الماء وأما الطعام فليس قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ ؟ قال: التسبيح والتكبير والتهليل.

والمراد أن يقلل المؤمن طعامه الحسي ويجعل طعامه المعنوي أكثر منه وهو ذكر الله تعالى فإن الدجال لا يقتل ولا يزلزل فؤاده مثل ذكر الحق سبحانه وتعالى.

وفضائل الذكر معلومة ومعروفة عند أهل الإيمان والذاكرين الله كثيرًا وقد وعد الله سبحانه وتعالى الذي يعرض عن ذكره معيشة ضنكًا وأن يحشره يوم القيامة أعمى. أخرج ابن حبان في «موارد الظمآن» والبزار في «كشف الأستار» عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): ﴿فإن له معيشة ضنكًا﴾. قال: «عذاب القبر».

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» عن أبي سعيد الخدري في قوله ﴿معيشة ضنكًا﴾ قال: «يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه».

وأخرج البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «إن المعيشة الضنك أن يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا تنهشه في القبر».

الباب السابع عشر في ذكر استعاذة النبي (ﷺ) من المسيح الدجال

وكان النبي (ﷺ) لا يستعيذ إلا من الأمور الجليلة الخطر التي يعلم مدى خطرها من بعده على الأمة.

ولذلك فقد ثبت في الصحيح عنه (ﷺ) أنه كان يستعيذ في صلاته في

فتنة المسيخ الدجال وهو مستحب لكل مؤمن أن يستعيذ من فتنة المسيخ الدجال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة زوج النبي (ﷺ) أن النبي (ﷺ) كان يدعو في الصلاة: «اللهم أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم».

قال: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟

فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف.

ويجب على المؤمن أن يستعيذ الله سبحانه وتعالى من كل شيء استعاذ منه نبيه (ﷺ) فإن النبي (ﷺ) لم يدع شرًا إلا واستعاذ الله منه أن يصرفه عنه.

ومن أعظم الأحاديث في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»: عن أنس قال: «كان النبي (ﷺ) يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم والقسوة والعيلة والذلة وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والبرص والجذام وسيِّيء الأسقام.

الباب الثامن عشر في ذكر خروج المسيخ الدجال

وقد ورد في الترمذي أنه يخرج من خراسان وورد في صحيح مسلم عن أنس أنه يخرج من أصبهان. وورد أنه يأتي بيت المقدس فلا يقدر على دخوله من كثرة الملائكة الذين هم حوله. وروي في الصحيحين أنه يدخل كل بلدة ما عدا مكة والمدينة لكثرة الملائكة التي تحرسها.

وورد في سنن ابن ماجة أن عيسى ابن مريم عليه السلام يقتل المسيخ الدجال عند باب لُدّ. «ولُدّ»: بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.

وروى أحمد في « المسند » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لينزلن الدجال خوز وكرمان في سبعين ألفًا وجوههم كالمجان المطرقة.

وروى الطبراني في « المعجم الكبير » من حديث فاطمة بنت قيس عن النبي (ﷺ) قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) نادى الصلاة جامعة فخرجت في نسوة من الأنصار حتى أتينا المسجد فصلى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة الظهر ثم صعد المنبر قالت فاطمة: فرأيت رسول الله (ﷺ) رافعًا يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال: ألا أخبركم أن هذه طيبة ثلاثًا ثم قال: ألا أخبركم أن نحو الشام ثم أغمي عليه ساعة أريح ثم سرى عنه ثم قال: بل في نحو العراق بل هو في نحو العراق يخرج حين يخرج من بلدة يقال لها أصبهان من قرية من قراها يقال لها رستقاباد.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه أومأ بيده نحو المشرق فقال: إني لأنظر إلى مواقع عبدالله المسيخ رواه الطبراني عن سلمة بن الأكوع.

الباب التاسع عشر في ذكر أن اليهود هم أكثر الناس اتباعاً للمسيخ الدجال إذا خرج

روى مسلم في « صحيحه » عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة ».

وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: « يخرج الدجال من يهود أصبهان ثم يخلق به عين والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوي في الشمس سمكًا ويتناول الطير من الجوّ، له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب؟.

وقال علي رضي الله عنه: يخرج الدجال ومعه سبعون ألفًا من الحالكة. زعم بعضهم أن الحالكة اسم موضع.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ): يخرج الدجال من يهود أصبهان رواه أحمد وأبو يعلى وزاد معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: ما يبكيك قلت: يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله (ﷺ): إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه وإن يخرج بعدي ربكم عز وجل ليس بأعور إنه يخرج من يهود أصبهان وذكر الحديث رواه الإمام أحمد في «المسند».

الباب العشرون في ذكر الخوارق التي يظهرها الحق سبحانه وتعالى على يد المسيخ الدجال ليضل بها الخلق ويستدرجهم

عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله (ﷺ): ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحد قبلي إنه آدم بعد ممسوخ عين اليسار على عينه ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويقول أنا ربكم فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه ومن قال أنت ربي فقد افتتن.

الباب الحادي والعشرون في ذكر كيف ينجو المؤمن من كيد المسيخ الدجال

قد ورد في الحديث الصحيح أن المسيخ الدجال يدعي الألوهية والربوبية والظاهر من مجموع الأحاديث الواردة لنا أن كل مؤمن معرض لامتحان المسيخ الدجال ويسأله المسيخ الدجال هل هو إله؟ فلا ينجي المؤمن منه إلا أن يقول له: «كذبت ربي الله عليه توكلت» فلا يضره.

روى الإمام أحمد في «المسند»: عن هشام بن عامر قال قال رسول الله

(ﷺ): إن رأس الدجال حبك حبك فمن قال: أنت ربي افتتن ومن قال: كذبت ربي الله عليه توكلت فلا يضره.

الباب الثاني والعشرون في وصف عينه العوراء

قد ورد وثبت في الصحيحين أن الدجال أعور العين اليمنى وهذه علامة علمه بها رسول الله (ﷺ) فقال: «إنه أعور وإن الله عز وجل ليس بأعور».

فأما ما ورد في أن عينه اليمنى عوراء، فقد روى البخاري في «الجامع الصحيح» في «باب ذكر الدجال وصفته وما معه» عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي (ﷺ) فقال: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيخ الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية».

وقيل: هو أعور العين اليسرى كما ورد في رواية لمسلم في حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار».

أما ما ورد في صفة عينه فقد روي في الحديث عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) قال: إنه لم يكن نبي إلا قد أنذر الدجال قومه وإني أنذركموه إنه أعور ذو حدقة جاحظة ولا تخفى كأنها كوكب دري ومعه مثل الجنة والنار فجنته عين ذات دخان وناره روضة خضراء وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى كلما خرجا من قرية دخل أوائلهم وذكر الحديث رواه البزار وأبو يعلى. فهو أعور ذو حدقة جاحظة ولا تخفى كأنها كوكب دري.

وورد أن عينه عليها ظفرة غليظة روى الطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى.

وورد أن عينه كأنها زجاجة خضراء رجاله ثقات.

وورد أنه ممسوح العين اليسرى روى الإمام أحمد والبزار عن ثعلبة بن عباد العبدي من أهل البصرة قال: شهدت يومًا خطبة لسمرة بن جندب فذكر في خطبته حديثًا عن رسول الله (ﷺ): والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الدجّال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحي لشيخ حينئذ من الأنصار.

وفي بعض الروايات جمع القول النبوي الشريف كلتا عينيه.

روى أحمد في «المسند» والطبراني واللفظ له ورجاله ثقات عن سفينة قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا حذر أمته الدجال هو أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر».

الباب الثالث والعشرون في ذكر أن الدجال يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى

ويظهر الدجال بعض المعجزات التي ظهرت على أيدي بعض الأنبياء مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ويستدرج بها العباد ليضلهم عن سبيل الله إلا من عصم الله سبحانه وتعالى.

روى الطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى سنده صحيح.

االباب الرابع والعشرون في ذكر أن الدجال يدعي الألوهية والربوبية

قد دلت الآثار والأخبار المروية أن الدجال يدعي الألوهية وأنه يحيي ويميت ويرغم الناس على التصديق به فمن كذبه نجا ومن آمن به هلك.

روى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ويقول أنا ربكم فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه ومن قال أنت ربي فقد افتتن».

وعن سليمان بن شهاب قال: نزل عليّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: يقول ـ أي الدجال ـ أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم ثم يقول: أنا الله أحيي وأميت وذلك كله سحر يسحر به أعين الناس ليس يعمل من ذلك شيئاً. رواه الطبراني وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو متروك.

الباب الخامس والعشرون في ذكر أن الدجال يدعي النبوة قبل أن يدعي الألوهية

والذي يدعي الألوهية فإن ادعاء النبوة سهل عليه وهذا فعل الدجاجلة والدجالين مثلما فعل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح.

روى الطبراني عن سليمان بن شهاب قال: نزل عليّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: الدجال ليس به خفا إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو لي فيتبع وينصب للناس فيقاتلهم ويظهر عليهم فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ثم يقول بعد ذلك إني نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه فيمكث بعد ذلك حتى يقول: أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

الباب السادس والعشرون في ذكر أن المسيخ الدجال يدعو في بداية أمره إلى نصرة الدين وإظهاره قبل أن يضل

ويذكرنا هذا بإبليس طاووس لما كان أعظم الملائكة شأناً وأقواهم منزلة

فاستكبر فطرد بعد أن كان مقربًا أصبح رجيمًا فمن هنا خاف كبار الرسل مكر الله ولم يأمنوه طرفة عين. وهذا الذي حل بالدجال عين الذي حل بإبليس.

روى الطبراني عن سليمان بن شهاب قال: نزل عليّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: الدجال ليس به خفاء إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو لي فيتبع وينصب للناس فيقاتلهم ويظهر عليهم فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك.

الباب السابع والعشرون في ذكر الوقت الذي يمكثه المسيح الدجال في الأرض

الثابت لنا من الأحاديث المروية لنا أن الفترة التي يمكثها الدجال في الأرض أربعين يومًا بخلاف عيسى عليه السلام فإنه يمكث أربعين عامًا.

روى ابن حبان في «موارد الظمآن»: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «فيمكث عيسى عليه السلام في الارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون».

وورد أن الدجال بين مولده وخروجه أربعون سنة. قال كعب الأحبار: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة.

وورد أن الدجال يمكث أربعين صباحًا روى الإمام أحمد في «المسند» عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي (ﷺ) فقلت: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله (ﷺ) يذكر عن الدجال قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال: أنذركم الدجال ثلاثًا فإنه لم يكن نبي إلا أنذره وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه بعد آدم ممسوح العين اليسرى معه جنة ونار ومعه جبال من خبز ونهر من ماء وإنه يمطر المطر ولا

ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ولا يسلط على غيرها وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا.

وورد أنه تطوى له الأرض في أربعين يومًا. روى جابر قال: قام رسول الله (ﷺ) ذات يوم على المنبر فقال: يا أيها الناس إني لم أجمعكم لخبر جاء من السماء فذكر الجساسة وزاد فيه هو المسيح تطوى له الأرض في أربعين يومًا إلا ما كان من طيبة رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح.

وورد أنه يسيح في الأرض أربعين يومًا كما ورد في رواية للطبراني في «الأوسط» عن جابر عن النبي (ﷺ) قال: يسيح -أي الدجال- الأرض أربعين يومًا يرد كل بلد غير هاتين المدينتين المدينة ومكة حرمها الله عليه يوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه لا يبقى إلا أربعين يومًا.

وروى الطبراني عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: يخرج فيكون في الأرض أربعين صباحًا يرد منها كل منهل إلا الكعبة وبيت المقدس والمدينة.

الباب الثامن والعشرون في ذكر أن المسلمين يقاتلون المسيح الدجال على نهر الأردن

روى الطبراني والبزار عن نهيك بن صريم السكوني قال: قال رسول الله (ﷺ): لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه ولا أدري أين الأردن يومئذ. ورجال البزار ثقات.

الباب التاسع والعشرون في ذكر قول النبي (ﷺ) «إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه»

وقد كفانا رسول الله (ﷺ) شر المسيح الدجال إذا خرج وهو حي لمعرفته بعلامة ضلاله وتحققه من إشارات كفره.

روى أحمد في «المسند» عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله (ﷺ): «إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه وإن يخرج بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور».

وروى ابن ماجه في «سننه» عن أبي أمامة الباهلي قال: «إن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا ويعيث شمالًا يا عباد الله فاثبتوا.

الباب الثلاثون في ذكر صفة الحمار الذي يخرج الدجال راكبًا عليه

قال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: يخرج الدجال على حمار رجس.

وروى الطبراني: «إذا برز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعًا فيضع على ظهرها منبرًا من نحاس فيقعد عليه.

«والأتان»: هي أنثى الحمار.

وفي رواية لأحمد في «المسند» بسند صحيح عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ): «وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا».

وقال كعب الأحبار: ويخرج على حمار له قال: وهو أحمر الحاجبين أشعر الأنف تخرج من خلل أسنانه رائحة لا يشمها أحد إلا صار إليه نتنه.

الباب الحادي والثلاثون في ذكر الآيات التي تظهر قبل خروج الدجال

روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: أن قبل خروجه ثلاث سنين

أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء فيها كل ذي ضرس وظلف ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء وأحدهما فيه دخان فيقول: هذه الجنة وهذه النار.

الباب الثاني والثلاثون في عدد من يسلم من فتنة الدجال

ورد أنه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان.

الباب الثالث والثلاثون في ذكر أن الصالحين حصن لأمة محمد (ﷺ) من الدجال

روى الطبراني عن عروة بن الزبير قال: قالت أم سلمة ذكرت الدجال ليلة فلم يأتني نوم فلما أصبحت غدوت على رسول الله (ﷺ) فأخبرته فقال: «لا تفعلي فإنه إن يخرج وأنا فيكم يكفكم الله ربي وإن يخرج بعد أن أموت يكفكموه بالصالحين ثم قام فذكر الدجال.

والذي علمناه من الأحاديث أن الصالحين أمان لأهل الأرض من الفتن الكبرى مثل علامات الساعة والقحط والدجال وغير ذلك.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «إنما تنصرون بضعفائكم».

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن النبي (ﷺ) أنه قال: «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك».

وروى ابن حبان في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «هل تدرون من أول من يدخل الجنة من خلق الله؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله لملائكته: ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمواتك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم قال: إن هؤلاء كانوا عبادًا لي يعبدوني لا يشركون بي شيئًا وتسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

قال ابن ماجه في «سننه»: حدثنا هشام بن عمار ثنا سويد بن عبد العزيز عن زيد بن واقد عن بسر بن عبيدالله عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): «ألا أخبرك عن ملوك الجنة؟ قال: بلى قال: «رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره».

الباب الرابع والثلاثون في ذكر السحر الذي يسحر به المسيخ أعين الناس

قد ثبت في الحديث أن معه جنة ونارًا فالتي يقول عنها الجنة هي النار والتي يقول عنها النار هي الجنة.

روى الإمام أحمد في «المسند» عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ) أنه قال: «ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة قال: وتبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس فيقول الناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب قال: فيفر الناس إلى جبل الدخان في الشام فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدًا شديدًا ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما

يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث.

وروى الطبراني عن سلمة بن الأكوع قال: أقبلت مع رسول الله (ﷺ) من العقيق حتى إذا كنا على الثنية التي يقال لها ثنية الحوض التي بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق فقال: معه صورتان صورة الجنة وصورة النار معه الشياطين يشبهون بالأموات يقولون للحي: تعرفني أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله (ﷺ) في بيتي فذكر الدجال فقال: إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله ولا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك قال: فيقول: بلى فتمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعها وأعظمه أسنمة قال: ويأتي الرجل قد مات أبوه ومات أخوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأحييت لك أخاك ألست تعلم أني ربك فيقول: بلى فتمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه ثم خرج رسول الله (ﷺ) لحاجة له ثم ذكر الحديث.

الباب الخامس والثلاثون في ذكر قتل عيسى ابن مريم عليه السلام للمسيح الدجال

قال ابن ماجة في «سننه»: حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثني أبي أنه سمع النّواس بن سمعان الكلابي يقول: ذكر رسول الله (ﷺ) الدجال الغداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا إلى رسول الله (ﷺ) عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» فقلنا: يا رسول الله ذكرت

الدجال الغداة فخفضت فيه ثم رفعت حتى ظننا أنه في طائفة النخل قال: «غير الدجال أخوفني عليكم: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه قائمة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالًا يا عباد الله اثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «فاقدروا له قدره» قال: قلنا: فما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح». قال: «فيأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ما بأيديهم شيء ثم يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف ضربة فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هم كذلك إذا بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه ينحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لد فيقتله ثم يأتي نبي الله عيسى قومًا قد عصمهم الله فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه: يا عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم وأحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله من كل حدب ينسلون.

وروى ابن حبان في «موارد الظمآن» عن مجمع بن جارية عن النبي (ﷺ)

قال: « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد ».

وروى ابن حبان في « موارد الظمآن » عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: ما يبكيك؟

فقلت: يا رسول الله ذكرت الدجال قال: فلا تبكين فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور وإنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج الله شرار أهلها فينطلق يأتي باب لد فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا وحكمًا ومقسطًا.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): « ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عادلًا حكمًا مقسطًا ».

الباب السادس والثلاثون في أن الدجال حيّ الآن موثق في جزيرة

قال ابن ماجة في « سننه »: حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أبي ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت: صلى رسول الله (ﷺ) ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه قبل ذلك إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس فأشار إليهم بيده أن اقعدوا فإني والله ما قمت مقامي هذا لأمر ينفعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن تميمًا الداري أتاني فأخبرني خبرًا منعني القيلولة من الفرح وقرة العين فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ألا إن ابن عم لتميم الداري أخبرني أن الريح ألجأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا في قوارب السفينة فخرجوا فيها فإذا هم بشيء أهدب أسود قالوا له: ما أنت؟ قال: أنا الجساسة قالوا: أخبرينا قال: ما أنا به خبرتكم شيئًا ولا سائلتكم ولكن هذا الدير قد رمقتموه فأتوه فإن فيه رجلًا بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم فأتوه فدخلوا عليه فإذا هم

بشيخ موثق شديد الوثاق يظهر الحزن شديد التشكي فقال لهم: من أين؟ قالوا: من الشام قال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب عم تسأل؟ قال: ما فعل هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيرًا ناوى قومًا فأظهره الله عليهم فأمرهم اليوم جميع إلههم واحد ودينهم واحد. قال: ما فعلت عين زُغَر؟

قالوا: خيرًا يسقون منها زروعهم ويستقون منها لسقيهم.

قال: فما فعل نخل بيد عَمَّان وبَيْسَان؟ قالوا: يطعم ثمره كل عام. قال: فما فعلت بحيرة الطَّبَرِيَّةِ؟ قالوا: تدفق جنباتها من كثرة الماء قال: فزفر ثلاث زفرات ثم قال: لو انفلت من وثاقي هذا لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجلي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سبيل.

قال النبي (ﷺ): «إلى هذا ينتهي فرحي هذه طيبة والذي نفسي بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة».

الباب السابع والثلاثون في ذكر أن لفظ المسيح يقال ويطلق على عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى الدجال أيضاً

وقد اختلف الجمهور والمفسرون في معنى المسيح عيسى ابن مريم ولما سُمِّيَ المسيح؟

فقيل: سمِّي المسيح لأنه كان يمسح ذا العاهة فيتبرأ بإذن الله تعالى.

وقيل: إنما سمِّي المسيح لأنه كان يمسح الأرض في السياحة والسير

وقيل: سمِّي المسيح لمسح زكريا عليه السلام إياه.

وقيل: سمِّي المسيح لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له.

وقيل: إنما سمِّي المسيح لأن الله تعالى مسحه أن خلقه خلقًا حسنًا. والمسحة: هي الجمال والحسن.

وقيل: سمِّي المسيح لأنه خرج ممسوحًا بالدهن. واختلف لما سمي الدجال المسيح؟

فقيل: إنما سمِّي الدجال مسيحًا لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها الأعور يسمى مسيحًا كما في جامع الأصول.

وضبط الكلمة -أي المسيح- فبعضهم يكسر الميم في الدجال ويفتحها في عيسى عليه السلام وأنكر هذا الهروي وجعله تصحيفًا فإنه لا فرق في ضبط -كلمة المسيح- في عيسى والدجال سواء.

الباب الثامن والثلاثون في ذكر هل كلمة المسيخ بالخاء رواية صحيحة

الثابت عن النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم والحفاظ أهل الضبط أن كلمة «المسيخ» غير واردة والثابت هو لفظ «المسيح» بالحاء المهملة. وهذا نقل عن أبي عمر بن عبد البر حافظ المغرب وحجتها: أنه قال: ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي (ﷺ) أنه نطق به بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز: «إذا المسيح يقتل المسيحا» يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال. انتهى.

فرواية المسيخ ولفظها غير وارد والمسيح اثنان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وإنما اختلف في معناه.

الباب التاسع والثلاثون في ذكر لما سمى المسيخ الدجال دجالا

قيل إنه سمِّي الدجال: لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال: دجل إذ لبس وموه.

وقيل: مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكأن الدجل يغطي الحق ويستره.

وقيل: الدجال هو الكذاب.

وقيل: إنه سمي الدجال: لأنه يقطع الأرض ويسير في أكثر نواحيها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

الباب الأربعون في ذكر وصف نادر للمسيخ الدجال وصفه به كعب الأحبار

قال في «نهاية الأرب» في الجزء الرابع عشر في «ذكر خروج الدجال وصفته»: قال كعب: إن الدجال رجل طويل عريض الصدر مطموس العين اليمنى واليسرى كأنها كوكب دري مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه كل كاتب أو غير كاتب ويدعي أنه الرب ومعه يؤمئذ جبل من خبز وجبل من لحم وأجناس من الفواكه والخمور ومعه أصحاب الملاهي يمشون بين يديه بالطبول والطنابير والمعازف والعيدان والنايات والصنوج وغير ذلك فلا يسمعه أحد إلا وتبعه وفتنه إلا من عصمه الله ويكون معه نار وجنة وهو يقول: من أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني ولم يسجد لي ألقيته في النار قال: وعلامة خروجه أن تهب ريح مثل ريح قوم عاد وتسمع صيحة عظيمة مثل صيحة قوم صالح ويكون مسخًا كمسخ أصحاب الرس وذلك عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا أخذوا في سفك الدماء واستحلوا الربا وشيدوا البنيان وشربوا الخمور واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فعند ذلك يخرج الدجال من جهة المشرق من قرية يقال لها سيراباد بين الأهواز وأصبهان ويخرج على حمار له قال: وهو أحمر الحاجبين أشعر الأنف تخرج من خلل أسنانه رائحة لا يشمها أحد إلا صار إليه نتنه في جبهته قرن مكسور تخرج منه الحيات والعقارب محدودب الظهر قد صورت آلات السلاح في جسده حتى الرمح والفأس والسهم الدرق وهو يتناول السحاب بيده ويخوض

البحار إلى كعبيه ويستظل في ظل أذن حماره خلق كثير من أولاد الزنا عليهم خفاف مخروطة لخفافهم مناقير كما قير العقبان لأصابعهم أظافير كالمناجل ومعه قوم من السحرة يقلبون الجبال خبزًا والأنهار شرابًا ولا يطعم ولا يسقى إلا من آمن به. ومعه صاحب لوائه من قريته ينادي بأعلى صوته: هذا ربكم فاعرفوه فإذا سار الدجال سارت معه جبال طعامه وأنهار شرابه وإذا وقف وقفت يطوف الأرض شرقها وغربها حتى يدخل أرض بابل فيلقاه الخَضِر فيقول له الدجال: أنا رب العالمين.

فيقول له الخضر: كذبت يا دجال إن ربّ العالمين ربّ السموات والأرضين فيقتله الدجال ويقول: لو كان لهذا إله كما يزعم لأحياه فيحيي الله الخضر من ساعته فيقوم ويقول: ها أنا يا دجال قد أحياني الله ربي ثم يقبل الخضر على أصحابه ويقول ويلكم لا يفتننكم هذا الكافر ويقال إنه يقتل الخضر ثلاث مرات ويحييه الله تعالى ثم يخرج الدجال نحو مكة فإذا دنا منها رأى الملائكة محدقين بالبيت الحرام قد نشروا أجنحتهم على الكعبة يخرج من خلل أجنحتهم مثل شرر النيران فلا يقدر على دخولها ثم يسير إلى المدينة كذلك ثم يمضي إلى بيت المقدس فلا يقدر على دخوله لكثرة من حوله من الملائكة واختلف في مدة إقامته في الأرض فقيل: أربعين سنة وقيل أربعين يومًا.

الباب الحادي والأربعون في ذكر خروج يأجوج ومأجوج

قال الله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قال ابن ماجه في «سننه» حدثنا أزهر بن مروان ثنا عبد الأعلى ثنا سعيد عن قتادة قال: حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا فيعيده الله أشد ما كان حتى

إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي اجْفَظَّ فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نَغَفًا في أقفائهم فيقتلهم بها » قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم »

في « الزوائد »: إسناده صحيح رجاله ثقات ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقال ابن ماجه في « سننه »: حدثنا محمد بن بشار ثنا يزيد بن هارون ثنا العوام بن حوشب حدثني جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبدالله بن مسعود قال: لما كان ليلة أسري برسول الله (ﷺ) لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فَرُدَّ الحديثُ إلى عيسى ابن مريم فقال: قد عُهِدَ إليَّ فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال: فأنزل فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعُهِدَ إليَّ متى كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها.

قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾.

قال في « الزوائد »: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات ومؤثر بن عفازة

ذكره ابن حبان في « الثقات » وباقي رجال الإسناد ثقات ورواه الحاكم وقال: هذا صحيح الإسناد.

قال ابن ماجة في « سننه »: حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائي حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله (ﷺ): « سيوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوج ومأجوج ونُشَّابِهِمْ وأترستهم سبع سنين ».

وروى ابن حبان في « موارد الظمآن » عن أم حبيبة قالت: « استيقظ النبي (ﷺ) وهو يقول: « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج وحلق بيده عشرة ».

قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث.

قال ابن حبان في « موارد الظمآن »: أخبرنا أبو عروبة حدثنا محمد بن وهب بن أبي كرمية حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عبدالله بن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: « إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الذرية إن من ورائهم أممًا ثلاثًا: منسك وتاويل وتاريس لا يعلم عددهم إلا الله ».

وروى الإمام أحمد في « المسند » عن ابن حرملة وهو خالد بن عبدالله بن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله (ﷺ) وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلوا حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف ومن كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة.

روى أبو القاسم الطبراني في « الأوسط » عن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج ومأجوج أمة كل أمة

أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كل قد حمل السلاح قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: هم ثلاثة أصناف فصنف منهم أمثال الأرز قلت: وما الأرز قال: شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء فقال رسول الله (ﷺ): هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية.

الباب الثاني والأربعون في ذكر نوادر متفرقة عن يأجوج ومأجوج

اعلم أنَّ ما ينسبه في الكتب بعض العلماء أن آدم احتلم فجاء منه يأجوج ومأجوج غير صحيح وهو ما قاله كعب الأحبار: احتلم آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك.

وهذا هراء لكون الأنبياء لا يحتلمون وهم بالإجماع منزهون ومعصومون عن هذه النقائص.

سئل الإمام النووي: هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم يعيش كل واحد منهم؟ فأجاب: هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء.

وقيل: إنهم من آدم دون حواء.

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وأن النبي (ﷺ) سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال: «جزت ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» انتهى.

وروى أبو الشيخ عن أبي أمامة: «الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة والباقي إقليم واحد».

ولفظ يأجوج ومأجوج يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرىء بهما فمن همزهما

جعلها من أجيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل: من الأجاج وهو الماء المالح وقيل: هم اسمان أعجميان غير مشتقين.

الباب الثالث والأربعون في ذكر الدابة

قال الله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾. أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعوا فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر».

وأخرج البخاري في «التاريخ الكبير» وأبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول: ممن اشتريت فيقول: من الرجل المخطم».

وفي «حياة الحيوان» للدميري جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنها أي الجساسة دابة الأرض المذكورة في القرآن قال: وهي عزيزةٌ ببحر القلزم.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «بئس الشعب شعب أجياد» قالها مرتين أو ثلاثًا. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين».

وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون -يعني الناس- بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا يقبل لأحد توبة ويخر إبليس ساجدًا

ينادي: إلهي مرني أسجد لمن شئت وتجتمع إليه الشياطين تقول: يا سيدنا إلى من تفزع فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض حتى يقول الرجل: هذا قريني الذي كان يغويني فالحمدلله الذي أخزاه ولا يزال إبليس ساجدًا باكيًا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أراه النبي (ﷺ) المكان الذي تخرج منه الدابة.

قال الحافظ السخاوي في «القناعة في أشراط الساعة»: وخروجها في آخر الزمان من مكة إما من صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي الطفيل عن أبي سريحة عن النبي (ﷺ) عليه وسلم قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشرًا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية ـيعني مكةـ ثم تمكث زمانًا طويلًا تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله يعني ـالمسجد الحرامـ لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن حذيفة بن أسيد أراه رفعه قال: تخرج الدابة من أعظم المساجد فبينا هم إذ دبت الأرض فبينا هم كذلك إذ تصدعت

قال ابن عيينة: تخرج حتى يسري الإمام جمع وإنما جعل سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج.

الباب الرابع والأربعون في ذكر تكذيب الخبر القائل: «دابة الأرض علي بن أبي طالب»

ورد في «الميزان» للحافظ الذهبي عن جابر الجعفي أنه كان يقول: «دابة الأرض علي بن أبي طالب»

قال الذهبي: وكان جابر الجعفي شيعيًا يرى الرجعة أي أن عليًا يرجع إلى الدنيا.

وقال أبو حنيفة: ما لقيت أحدًا أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عيينه قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فنزلنا خوفًا أن يقع علينا السقف.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: متروك وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه «الترغيب والترهيب»: جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحي القطان حديثه.

وقال ابن الأثير في «جامع الأصول»: جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من أصحاب عبدالله بن سبأ وكان يقول: إن علي بن أبي طالب يرجع إلى الدنيا.

وورد عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قيل له: إن ناسًا يزعمون أنك دابة الأرض.

فقال: والله إن لدابة الأرض ريشًا وزغبًا وما لي ريش ولا زغب وإن لها حافرًا وإنها تخرج حضر الفرس الجواد ثلاثًا وما خرج ثلثاها.

الباب الخامس والأربعون في ذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾. روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ)

قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾.

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعفن الجزية ولتتركن القلائص فلا يسقى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد.

وروى مسلم في «صحيحه» عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيملكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة.

وروى الترمذي بسند حسن قال عبدالله بن سلاّم رضي الله عنه: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم ويدفن عيسى مع محمد (ﷺ).

وروى أحمد في «المسند» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكمًا مقسطًا وإمامًا عدلًا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقرأوه أو أقرِئوه السلام من رسول الله (ﷺ) وأحدثه فيصدقني فلما حضرته الوفاة قال: أقرِئوه منه السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم (ﷺ) فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام». رواه أحمد بإسنادين مرفوع وهو هذا وموقوف ورجالها رجال الصحيح.

وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافهم.

وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة.

الباب السادس والأربعون في ذكر فوائد تتعلق بنزول المسيح

ورد في «المنتظم» لابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له».

وذكر بعضهم له ولدين يولدان أحدهما يسميه موسى والثاني يسميه محمداً ووالدتهما من اليزد.

قال (ﷺ): «ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد بين أبي بكر وعمر».

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يلبث عيسى ابن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلًا لسالت».

وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وابن جرير وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد (ﷺ).

«إشارة إلى مقدار مدة بقائه ووفاته»

الثابت أنه عليه السلام ينزل فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد (ﷺ)

روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة».

وفي حديث عن النبي (ﷺ) أنه قال: ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد بين أبي بكر وعمر».

«إشارة إلى وقت نزوله ومكانه»

ومحل نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق كما روى ذلك مسلم في صحيحه.

وقيل: يكون نزول عيسى ابن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقي شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال.

وروى مسلم في «صحيحه» عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «فبينما هو -أي الدجال- كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين وذكر الحديث.

الباب السابع والأربعون في ذكر خروج المهدي المنتظر

اشتهر بين العلماء سلفًا وخلفًا أن المهدي في آخر الزمان لا بد من ظهوره وهو رجل من أهل البيت يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين وبعده يظهر الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله.

وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرجها أكابر المحدثين كأبي داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى والبزاز والإمام أحمد والحاكم.

ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها كابن خلدون وغيره:

وما روى من حديث: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» فضعيف كما قاله البيهقي والحاكم.

أما اسم المهدي ففي أكثر الروايات أنه محمد وفي بعضها أنه أحمد واسم أبيه عبدالله فقد ورد بل صح عنه (ﷺ) كما عند أبي داود والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «يواطىء أي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي».

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي نضرة رضي الله عنه قال: كنا عند جابر رضي الله عنه فقال: يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم قلنا: من أين ذاك؟ قال: العجم يمنعون ذاك.

ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجيء إليهم دينار ولا مُدْي.

قلنا: من أين ذاك؟

قال: من قبل الروم ثم سكت هنية ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عدًا قلت لأبي نضرة: أترى أنه

عمر بن عبد العزيز قال: لا.

وروى مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا لا يعده عدًا.

وروى أبو داود والحاكم في «المستدرك» عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي (ﷺ) قال: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة».

وروى الحاكم في «المستدرك» وأبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنها قال: وقد نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيدكما سماه النبي (ﷺ) وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخلق.

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله (ﷺ) وجب على كل مؤمن نصره أو إجابته.

وروى الترمذي عن أبي سعيد قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله (ﷺ). فقال: إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني قال: فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.

وروى ابن الإسكاف بسند مرضٍ إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر». وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي (ﷺ) واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس». وأخرج أبو نعيم في «مناقب المهدي» وأبو

بكر بن المقري في «معجمه» عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة».

وأخرج أبو عمرو في «سننه» ونعيم بن حماد في «الفتن» قال كعب الأحبار: إني لأجد المهدي مكتوبًا في أسفار الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب» وفي رواية لأبي نعيم في «مناقب المهدي» بكتفه اليمنى خال.

وأخرج أبو نعيم في «مناقب المهدي»: «المهدي أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق».

«إشارة في سبب تسميته المهدي»

ورد عن كعب الأخبار أنه سُمِّي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي وسيخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال له أنطاكية أخرجه أبو نعيم في كتاب «الفتن».

وذكر أبو عمرو الداني قال: إنما سُمِّي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم.

«إشارة إلى علامات ظهوره»

فمن علامات ظهوره:

«الأول»: «كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة».

«الثاني»: سماع الصوت برمضان.

«الثالث»: تحارب القبائل بذي القعدة.

«الرابع»: ظهور الخسف والفتن.

«الخامس»: ظهور قميص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معه وسيفه.

« السادس »: يغرس قضيبًا يابسًا في أرض يابسة فيخضر ويورق.

« السابع »: يطلب منه آية فيومىء إلى طير في الهواء بيده فيسقط على يده.

« الثامن »: تخرج الأرض أفلاذ كبدها مثل الإسطوانات من الذهب.

« التاسع »: يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله.

« العاشر »: يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية أو من بحيرة طبرية.

« الحادي عشر »: ينحسر الفرات عن جبل من ذهب.

« إشارات إلى مجمل أوصافه »

كث اللحية. أكحل العينين. براق الثنايا في وجهه خال ـ أي حسنة ـ أقنى. أجلى في كتفه علامة النبي (ﷺ).

وقيل: هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه.

وقيل: وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي.

الباب الثامن والأربعون في ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾.

وأجمع المفسرون وجمهور الحفاظ على أن الشمس تطلع من مغربها.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها ».

وروى الطبراني في « الكبير » عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله

(ﷺ): إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدًا ينادي ويجهر: إلٓهي مرني أن أسجد لمن شئت قال: فتجتمع إليه زبانية فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع فيقول: إنما سألت ربي عز وجل أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال: ثم تخرج الدابة من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله (ﷺ) عشية من العشيات فقال: «يا عباد الله توبوا إلى الله- مرات- فإنكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي ختم الإيمان».

وأخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير تطوي الدواوين وتجف الأقلام لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا».

الباب التاسع والأربعون في ذكر الدخان

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾.

وأخرج مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن أسيد قال: طلع علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون» قالوا: الساعة يا رسول الله.

قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» وذكروا الدخان وفي البخاري ومسلم قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «خمس قد مضين

الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر » واختلف العلماء في الدخان هل هو مضى أو سيأتي بعد ذلك ؟.

فطائفة منهم قالت: الدخان آية ظهرت وانتهت واختصت بقريش لما دعا عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان ».

والطائفة الثانية قالت: هو آت ولم يظهر بعد وهو رأي جمهور العلماء.

أخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد ».

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول « إن الدخان دخانان » وكان ينكر أن الدخان قد مضى.

فالثابت من قوله: « هما دخانان مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس ».

الباب الخمسون في ذكر هدم الكعبة

ومن الآيات الرهيبة التي تظهر بين يدي الساعة هدم الكعبة حجرًا حجرًا والذي يهدمها رجل يدعى ذو السويقتين وهما تصغير ساقين ويشير إلى أنه دقيق الساقين وورد أنه حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن أفيحج أصيلع أفيدع يهدم الكعبة بمسحاته ومعوله.

واختلفوا في زمن هدم الكعبة هل هو قبل عيسى ابن مريم عليه السلام أم بعده فالثابت وهو رأي الجمهور أنه بعد نزوله وموته لكونه ورد في الحديث

الصحيح أن عيسى عليه السلام يحج ويعتمر فلا بد من وجودها في زمنه.

قال الشيخ مرعي في « البهجة »: جاء عن الثقات الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قال: ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدًا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر.

روى الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ».

وأخرج الأزرقي في « أخبار مكة » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): « يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي إلى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده إني لكأني أنظر إلى صفته في كتاب الله أفيحج أصيلع أفيدع قائمًا يهدمها بمسحاته أو معوله ».

وأخرج الإمام أحمد في المسند » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله ».

الباب الحادي والخمسون في ذكر خراب المدينة

ثبت وصح عن رسول الله (ﷺ) أن بيت المقدس إذا عمر وسرى فيه العمران فهذه علامة خراب المدينة.

أخرج النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: « آخر قرية من قرى الإسلام خرابًا المدينة » قال الترمذي: حسن غريب.

وروى الشيخان البخاري ومسلم: « لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافي الطير والسباع ».

وروى ابن حبان في « صحيحه »: « آخر قرية في الإسلام خرابًا المدينة ».

وروى الطبراني عن النبي (ﷺ) أنه قال: سيبلغ البناء سلعًا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر».

وأخرج المرجاني عن جابر مرفوعًا في «أخبار المدينة»: «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها».

وصح في كتب الحديث أن النبي (ﷺ) قال: «إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

فتعين لنا أن المدينة هي آخر مدن المسلمين بقاء لوجود الجسد المحمدي الشريف فيها وأن الدجال لا يدخلها وأنها مسورة بسور من الملائكة صافين عليها وتقذف كل منافق منها.

واختلف العلماء في تفضيل مكة والمدينة فطائفة فضلت مكة على المدينة لوجود الكعبة بها ولقوله (ﷺ): «والله إنك لأحب بلاد الله إليّ ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت».

وطائفة قالت وهو مذهبي بتفضيل المدينة على مكة لوجود الجسد المحمدي الشريف فيها وهو الأصح والأذوق لكونه (ﷺ) فضل الوجود وأعلى الكائنات الآدمية وهو قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

فالبلد التي ضمته هي أفضل بلاد الأرض وأبرك بقعة شرفت وهذا لا يعرفه إلا أولياء الله العارفين بحقوقه (ﷺ) الذائبين في عشقه ومحبته حتى ورد في مناقب الإمام مالك رضي الله عنه أنه كان لا يمشي في المدينة إلا حافيًا ويقول: «أستحي أن أطأ أرضًا وطأها رسول الله (ﷺ) بحذاء. فانظر عظم أدب هؤلاء الأكابر مع الحضرة المصطفوية المباركة.

وقد حدثني شيخي وأستاذي العارف الكامل والبحر المحيط الشامل سيدي الوالد رضي الله عنه قال: لا يستطيع أي ولي كامل إظهار كرامة في مدينة رسول الله (ﷺ) فإن العجز الكلي يملكه بأنواره (ﷺ) فيقهره من إظهار

الكرامة فإنهم مستمدون من حضرته المباركة (ﷺ) فكيف يظهر الفرع ما عند الأصل موجود منه مثل أطنان السموات والأرض».

الباب الثاني والخمسون في ذكر رفع القرآن

ولما يتفحل الأمر ويرى الحق تعالى أن البقية الباقية التي على وجه الأرض في ذلك الوقت من الخلق هم شرارها وأراذلها فحينذاك يرفع القرآن فإن القرآن لا يبقى إلا في وسط قوم مباركين طاهرين فما بقاؤه وسط قوم زناة أنجاس كالتيوس. ذهبت منهم العقول. وفرت عنهم الأحلام والألباب. فسحقًا لهم ولطينة العدم المرذولة فيهم

ورفع القرآن على مراحل:

«المرحلة الأولى»: يرفع أولًا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس في المصحف حروف مكتوبة إلا البياض في الأوراق.

«المرحلة الثانية»: يرفع من الصدور فلا يستطيع أحدهم قراءة شيء منه حتى فاتحة الكتاب حتى يقول الرجل منهم للآخر: «كنت أحفظ الفاتحة ولا أدري ما هي الآن».

«المرحلة الثالثة»: رفع أوراق المصحف فيبحثون عن المصاحف فلا يجدونها في بيوتهم ولا في مساجدهم.

«المرحلة الرابعة»: نسيان المصحف نهائيًا من عقولهم فلا يذكرون المصاحف ولا يعرفون شيئًا عنها وهذه المرحلة تكون بعد الثالثة حينذاك لا صلاة ولا صيام ولا ذكر على وجه الأرض وهذا معنى قوله (ﷺ): «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله» أخرجه الإمام في «المسند» عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا بسند قوي.

أخرج ابن ماجه في «سننه» في حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا: «يدرس الإسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة

ويسري على كتاب الله تعالى في الله فلا يبقى في الأرض منه آية ».

وأخرج السجزي عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: « لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن ».

وأخرج الضياء في « المختارة » والحاكم في « المستدرك » بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها ».

الباب الثالث والخمسون في ذكر خروج نار من قعر عدن

ومن أشراط الساعة خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر.

أخرج البخاري في « الجامع الصحيح » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب ».

وقيل تخرج هذه النار من حضرموت. أخرج الإمام أحمد في « المسند » عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: « ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت مثل يوم القيامة تحشر الناس». قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: « عليكم بالشام ». قال الترمذي: حسن صحيح.

وقيل: تخرج هذه النار من وادي يقال له: « برهوت » أخرج ابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا: « لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار. ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف. هي

من رؤس الخلائق أدنى من العرش. قيل: يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟

قال: وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول: مه مه.

وقيل: تخرج هذه النار من حبس سيل. أخرج البغوي والبارودي وابن حبان: يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل تسير بالنهار وتقيم بالليل. تغدو وتروح.

يقال: غدت النار أيها الناس فاغدوا.

قالت: أيها الناس فقيلوا راحت النار أيها الناس فروحوا من أدركته أكلته.

الباب الرابع والخمسون في ذكر الريح التي تقبض روح كل مؤمن

يبعث الحق تعالى ريحًا فتقبض روح كل مؤمن ولا يبقى في ذلك الوقت إلا شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمر ـ أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار ـ وعليهم تقوم الساعة.

أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «أن الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحديد فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا قبضته».

انتهى بعون الله كتاب

«تحذير الرجال من فضائح المسيح الدجال».

كتاب
اللؤلؤ المنثور
في أحوال الموتى وأهل القبور

المقدمة

الحمد لله، الذي خلق الحياة والموت وجعل ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فإنه لا يتذكر الموت إلا فتى من أهل المعرفة وحيذ في عرفانه فريد.

ما هو لغز الموت. ما بدايته. ما نهايته ولما خلق ولأي غرض خلق وما المقصود منه؟ ومن يطلبه ومن يرفضه وهل هو الراحة العظمى لأهل الإيمان أم النكبة العظمى على أهل الجحود والطغيان وما سر تذكر الجهابذة والأحبار لصورة الموت؟ وما ذاك إلا لكونه حققهم من فناء هذه الدار التي هي دار البوار والغرور والشرور فإن الموت هو الحياة العظمى والسعادة القصوى من يفقه سره إلا فقيه ومن يلحن سر خلوده إلا لوذعي نبيه.

فإن ألسنة قلوب أولي العزم تطلب مقام الموت لكي لا تموت لأنها علمت وتحققت وتروحنت أنها إن لم تمت فلن تحيا فمن مات لم يمت ومن لم يمت فهو الميت.

إنني إلهي أتمنى أن أموت لكي احيا معك إلى أبد الآبدين. ودهر الداهرين. وأصحبك هناك عند الكثيب بلا انقطاع بل نكون سرمدًا في اجتماع.

حبيبي دعني أقدم لك نفسي الفداء فإن الموت هين في سبيلك. وجلالي يبدو من جميلك فأنا أعشقك وفانٍ فيك. وأنت تسري في دمي وروحي يحويك.

من الميت إلا من أبغضك وقلاك وجفاك فهذا هو الميت الحقيقي.

إن القبور لتضحك مما تحويه في بطونها وما سكن في عيونها تزفر وتقول: كم من ميت فيَّ حي وكم من حي على ظهري ميت. ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ لا راحة إلا بك أيها الموت أي الحياة السرمدية والخلود مع رب البرية.

تعسًا لمن أبغضك يا موت فإنه سيذوقك قهرًا ويتجرع غصصك ويشرب مرك. أما ذاك الشهيد والعارف الفاني الوحيد والعاشق الواله المتأله الفريد. فلا موت ولا حياة. كلها ألفاظ مستحدثة بل هو مع الرب في هذه الدار وغيرها ومن قبلها ومن بعدها ذاك المتدلل الأملس اللين الذي يبقى جسده في التراب غضًا ناعمًا إلى يوم أن يلقى حبيب الروح ليشرح له ويشتفي من نظره ويمرح في نعيمه الذي لا يزول وجاهه الذي لا يؤول فهذا سر الموت وناموسه فهل تراك فقهته يا فقيه الأولياء وترجمان الأصفياء.

الفصل الأول في المعنى الذوقي للقبر

اعلم أن القبر له لغتان في ذوقنا لغة الباطن ولغة الظاهر.

فلغة الظاهر أحجار وعظام بادية وتراب ورمم لنفسها ناعية وهذه اللغة هي مبلغ العلم عند الناس لا سيما عامتهم وأهل المادة المجسمين المتحجرين منهم.

وأما لغة الباطن فإنها لغة أهل الحق تعالى العارفين بالله السادة الصوفية أهل الملامة الذين هجروا حظوظ النفس وشهوات الجسد الفاني وتعلقوا بالباقي وهؤلاء عندهم لغة القبر لغة معنوية لا تتعلق بالأحجار والتراب والعظام

والرمم: بل تعلقها بعالم نحن عنه محجوبون هو عالم الروح المتجرد والسلطان الباقي الخالد فإن الروح هو الباقي الخالد والجسد هو الفاني الهالك وقد اتفق أهل الله أن الروح لا يفنى أصلًا بل هو باقٍ يسبح في ناموس الخلود وإنما الفناء واقع على الجسد الترابي الذي يتحلل وبتحلله يتحرر الروح فيصبح روحًا مجردًا يطير في ملكوت الله ويسبح في بحار الأنوار فالقبر يا ولي الله اعلم أنه أول مراحل الذوق الحقيقي لهذا الآدمي الذي يكشف له فيه عن العالم الأخروي فيراه عيانًا متحققًا فيه على قدر مقامه. فأهل الجحيم يكشف لهم عن مصيرهم الناري الجهنمي. وأهل النعيم يكشف لهم عن الذي أعده الحق تعالى لهم من المنن الكبرى والنعم العظمى.

فاعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القبر هو لغة الحركة لا لغة السكون وهو لغة المعنى لا لغة الحس وهو لغة الخلود لا لغة الموت.

الفصل الثاني في بيان أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

ودلت الآثار الواردة عن النبي ﷺ أن القبر ينقسم إلى قسمين قسم لأهل الجحيم وقسم لأهل النعيم وأن هذا القبر هو أول منازل الجزاء الأخروي وأن كل قبر هو صورة صاحبه الذي دفن فيه وما هو إلا صورة طبق الأصل من الذي كان يعمله في الدار الدنيا إلا أن يتغمده الله برحمة منه. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة».

قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال القرطبي: قوله: «روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز وأن القبر يملأ على المؤمن خضرًا وهو العشب من النبات وقد عينه ابن عمرو في حديثه أنه الريحان.

الفصل الثالث في بيان أن الموت راحة للعباد

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الموت هو الراحة الكبرى لأهل الايمان من عذاب هذه الفانية والزائلة الغانية ولهذا تمناه الأنبياء والصالحون حتى يلاقوا الحق سبحانه وتعالى فإنه لا يموت نبي حتى يخيره الحق سبحانه وتعالى فلا يختار إلا أن يلاقيه. ولهذا كان الموت هو راحة الأنبياء الكبرى لما فيه من لقاء الحق تعالى.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم والنسائي عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «مستريح ومستراح منه».

فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟

فقال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبادر والشجر والدواب».

فعلمنا أن الموت راحة لأهل الإيمان وكذا راحة لأهل الجحيم وهذا القول آية قول الحق تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. فإن رحمته سائرة بالخلائق نحو عين ناموس الراحة أي وضع كل عين فيما يريحها وإن لم تر هي تلك الراحة بعين الحق الواضح.

الفصل الرابع في صفة أعمار أمة سيدنا محمد ﷺ

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك».

ومن العجيب أن عمر النبي ﷺ كان على قدمه كل الخلفاء الراشدين

وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم. وهذا دال على تعلق هؤلاء بالمقام المحمدي المنيف والتقليد البحت حتى في سلطان العمر. فهؤلاء الخلفاء هم أقطاب الآية القائلة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾. وكانت أعمار الأنبياء السابقين وأممهم تصل إلى المئات من السنين.

قال الله تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا﴾.

وروى البيهقي وابن أبي حاتم أن النبي ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر تعويضًا لهم من قصر أعمارهم فيبلغون السابقين وقد سبقوهم بفضل الله تعالى قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن النبي ﷺ أنه أُرِيَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وروى ابن أبي حاتم بسنده أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا أربعة من أنبياء بني إسرائيل وهم: أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال: عجبت أمتك من هذا إن الله تعالى أنزل ليكم خيرًا من ذلك فقرأ عليه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقال: هذا أفضل مما عجبت منه أمتك فسر ذلك النبي ﷺ والناس معه.

الفصل الخامس في النهي عن تمني الموت عند وقوع المصيبة

وقد نهى النبي ﷺ المؤمنين من أن يتمنوا الموت ويطلبوه عند نزول البلاء وعليهم أن يرضوا بقضاء الله تعالى.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي الله عليه ﷺ قال: « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: « اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي ».

وفي رواية: قال قيس: أتيت خبابًا وقد اكتوى في بطنه سبعًا فسمعته يقول: لولا أن النبي نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

الفصل السادس في بيان أنه يجب على المؤمن أن يحب لقاء الله تعالى

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن لقاء الله سبحانه وتعالى يجب أن يحبه العارفون بالله تعالى وإلا فسدت معرفتهم بالله تعالى كيف لا يتمنون أن يلتقوا بالمحبوب الأعظم.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا احضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ».

الفصل السابع في بيان أن الميت يعذب بنواح أهله عليه

روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من نيح عليه يعذب بما نيح عليه ».

وروى الترمذي بسند حسن عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت ».

وأخرج البخاري عن النبي ﷺ أنه مر على يهودية يبكي عليها أهلها فقال: إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها».

وروى البخاري ذُكِرَ لعائشة قولُ عمر: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» فقالت: رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ بذلك ولكن قال: «إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه».

الفصل الثامن في ذكر أن المؤمن يرى ملك الموت وهو في النزع قبل أن تخرج روحه

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمر وعن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عندي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه

ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك، فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي كنت يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعه كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب

عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة».

الفصل التاسع في بيان أن روح المؤمن تعاد إلى جسده وهو في قبره

أخرج ابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: «الروح بيد ملك وإن الجسد ليغسل وإن الملك ليمشي معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب».

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن حنيفة أنه قال: «الروح بيد الملك والجسد يقلب فإذا حملوه تبعهم فإذا وضع في القبر بثه فيه».

واعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم قد أعيدت إليهم أرواحهم، قال مولانا علي حرازم في كتابه «الرماح»: الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها. انتهى.

قال أحمد بن المبارك صاحب «الإبريز»: سمعت رجلًا يقول: ذهبت إلى الحج فلما زرت قبر النبي ﷺ أخذتني حالة وقلت: يا رسول الله ما ظننت أني أصل إلى مدينتكم ثم أرجع إلى فاس فسمعت صوتًا من قبل القبر الشريف وهو يقول: إن كنت مخزونًا في هذا القبر فمن جاء منكم فليبق هاهنا وإن

كنت مع أمتي حيثما كانت فارجعوا إلى بلادكم قال: فرجعت إلى بلادي. انتهى.

قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»: وقد ذكر عن بعض الصحابة وأظنه ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى النبي ﷺ في النوم فتذكر حديثه ﷺ الذي فيه يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» وبقي متفكرًا فيه ثم دخل على بعض أزواج النبي ﷺ أظنها ميمونة فقص عليها قصته فقامت وأخرجت له مرآته ﷺ قال رضي الله تعالى عنه: فنظـرت في المرآة فرأيت صورة النبي ﷺ ولم أر لنفسي صورة. انتهى.

قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى النبي ﷺ ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه. انتهى.

الفصل العاشر في ذكر أن الأنبياء أحياء بعد موتهم

أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الأنبياء لا يتحركون بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور».

وروى سفيان الثوري في «الجامع» قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع».

وروى عبد الرزاق في «المصنف» عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يومًا».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من

نبي يموت ويقيم في قبره إلا أربعين صباحًا».

وقال الرافعي في «الشرح الكبير» روي أن النبي ﷺ قال: «أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث». انتهى.

وقال أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض تصانيفه حديث «إن الله لا يترك نبيًا في قبره أكثر من نصف يوم». انتهى.

قال ابن فارس في كتاب «المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية»: سمعت سيدي عليًا رضي الله تعالى عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يومًا فرأيت النبي ﷺ يقظة لا منامًا وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص عليَّ فقال لي: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح وغاب عني فلما بلغت إحدى وعشرين عامًا أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيته ﷺ قبالة وجهي فعانقني فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. انتهى.

وقد اتفق المؤرخون الذين ترجموا للشيخ الرفاعي رضي الله عنه أنه لما حجَّ وقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها.

الفصل الحادي عشر في ذكر بعض الأولياء الذين رأوا رسول الله ﷺ بعد موته في اليقظة

فأولهم «حبر الأمة عبد الله بن عباس»
«وأم المؤمنين ميمونة» «وسري السقطي»
«والجنيد البغدادي»
«وأبو بكر الشبلي»

« والسيدة رابعة »
« والعارف أبو يزيد »
« والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي »
« وعبد القادر الجيلاني »
« والسيد أحمد الرفاعي »
« وذو النون المصري »
« والإمام القشيري صاحب الرسالة »
« وإبراهيم الدسوقي »
« والسيد أحمد البدوي »
« والشاه نقشبند »
« والسهروردي »
« وأبو الحسن الشاذلي »
« وأبو العباس المرسي »
« وتاج الدين بن عطاء الله السكندري »
« وياقوت العرش »
« ومكين الدين الأسمر »
« وعلاء الدين العطار »
« وزروق الفاسي »
« وعلي الخواص »
« وإبراهيم المتبولي »
« ومحمد الحنفي »
« ورسلان الدمشقي »
« وأبو سعيد الميهني »
« واليافعي »
« والنووي صاحب « رياض الصالحين » »
« والعز بن عبد السلام »

« وابن دقيق العيد »
« وصدر الدين القونوي »
« والقاشاني »
« وعبد الكريم الجيلي »
« وعبد الحق بن سبعين »
« والسيدة نفيسة »
« والإمام محمد بن إدريس الشافعي »
« والإمام مالك »
« والإمام أحمد بن حنبل »
« والإمام الأكبر أبو حنيفة النعمان »
« وبشر الحافي »
« وحبيب العجمي »
« ومعروف الكرخي »
« والحلاج »
« وابن هود »
« والإمام الشعراني »
« والنفري صاحب « المواقف والمخاطبات » »
« وأبو عبد الرحمن السلمي »
« وإبراهيم الجعبري »
« ومحمد بن إسماعيل البخاري أمير المؤمنين في الحديث وصاحب الجامع الصحيح »
« وأبو نعيم صاحب « الحلية » »
« وأبو الحسن البكري »
« وعبد الغني النابلسي »
« ومولانا وشيخنا أحمد التجاني »
« وعبد العزيز الدباغ »

« ومصطفى البكري »
« وعلي البيومي »
« وجلال الدين السيوطي »
« وعبد الرحيم البرعي »
« وعبد الرؤوف المناوي »
« وأحمد بن إدريس »
« وأحمد بن يوسف الملياني »
« وعبد الرحمن الثعالبي »
« ومحمد وفا »
« وعلي وفا »
« ويحيى الصنافيري »
« وعمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف »
« ويحيي العيدلي »
« ومحمد السنوسي التوحيدي »
« ونور الدين البريفكاني »
« ومولانا علي حرازم »
« ومحمد بن العربي التازي »
« ومولانا عمر الفوني صاحب « الرماح » »
« وإبراهيم الرياحي التونسي »
« ومولانا أحمد سكيرج »
« ومولانا خالد الكردي النقشبندي »
« وأحمد الدردير »
« ومحمد الحفني »
« وعلي الصعيدي إمام المالكية »
« وعبد الفتاح الشبلنجي »
« ومحمد أمين الكردي »

« ومحمد الميرغني سر الختم »
« ومحمد بن عبدالكريم السمان »
« وعفيف الدين المحجوب الطائفي الميرغني »
« وأحمد الطيب بن البشير »
« ومولانا علي التماسيني »
« ويوسف بن إسماعيل النبهاني »
« وسلامة العزامي »
« وأحمد بن شرقاوي »
« وعبد الجواد الدومي »
« وعبد الجواد المنسفيسي »
« وعمر بن جعفر الشبراوي »
« ومحمد أبو خليل »
« وعبد السلام الحلواني »
« وعلي عقل »
« وعلي عبد الفتاح علام »
« ومولانا وشيخنا عبد المجيد الشريف »
« والشيخ صالح الجعفري »
« والعارف الكبير حسن الملطاوي »
« وإبراهيم الكولخي السنغالي »
« والعارف بالله محمد أبو بطانية »

رضوان الله عليهم أجمعين وهؤلاء حجة علي العالمين وآية على المتقين ولا يعرف عليهم كذب ولا تحق لهم ريبة ولا تشكهم نقيصة

الفصل الثاني عشر في ذكر أن الأنبياء والصالحين يرون أهل القبور في قبورهم

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ رأى أهل القليب وهم يعذبون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم.

روى البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام على شفة الرَّكِيِّ «البئر» فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا.

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

فقال: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

ومن جملة أدلة مكاشفة الأنبياء والصالحين بأحوال أهل القبور أنه ﷺ مر بقبرين فرآهما وهما في القبر يعذبان أحدهما يعذب بالنميمة والآخر يعذب من نجاسة البول روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله. وفي رواية: لا يستتر من بوله.

قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنين ثم غرز كل واحد منها على قبر ثم قال: ولعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع صوتًا من قبر فقال: متى مات هذا؟

فقالوا: مات في الجاهلية.

فسر بذلك وقال: لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر.

الفصل الثالث عشر في ذكر خلق ملك الموت

ورد في الأثر أن الحق تعالى لما خلق ملك الموت حجب عن الخلائق بألف ألف حجاب عظمة أكبر من السموات والأرضين ولو صب جميع البحار والأنهار على رأسه ما وقعت منه قطرة على الأرض وإن مشارق الدنيا ومغاربها بين يديه كخوان قد وضع عليه كل شيء وضع بين يدي رجل ليأكله فيأكل منه ما شاء فكذلك ملك الموت يقلب الدنيا كما يقلب الآدمي بين يديه درهمًا قد شد بسبعين ألف سلسلة كل سلسلة طولها مسيرة ألف عام ولا تقربه الملائكة ولا يعلمون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون حاله ولا إلى أي وقت هو فلما خلق الله تعالى الموت وسلط عليه ملك الموت قال ملك الموت: يا ربي وما الموت فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتى رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة: قفوا انظروا هذا الموت فوقفت الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له: طر عليهم وانشر الأجنحة كلها وافتح عينيك. فلما طار نظرت إليه الملائكة فخروا مغشيًا عليهم ألف عام فلما أفاقوا قالوا: ربنا أخلقت أعظم من هذا خلقًا قال الله تعالى: أنا خلقته وأنا أعظم منه وقد يذوق الحق منه ثم قال الله: يا عزرائيل خذه فقد سلطتك عليه فقال: إلهي بأي قوة آخذه فإنه أعظم مني فأعطاه الله قوة ثم أخذه فسكن في يده فقال الموت: يا رب ائذن لي حتى أنادي في السموات مرة فيأذن له فنادى بأعلى صوته أنا الموت الذي أفرق بين كل حبيب وأنا الموت الذي أفرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذي أفرق بين البنات والأمهات وأنا الموت الذي أفرق بين الأخ والأخوات وأنا الموت الذي أخرب الدور والقصور وأنا الذي أعمر القبور وأنا الموت الذي أطلبكم وأحرككم ولو كنتم في بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق إلا يذوقني وإن الكافر والمنافق والشقي إذا نصر الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعهم لباس من العذاب فيجلسون بعيدًا منه حتى يجيء ملك الموت وإذا جاء ملك الموت أحد منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم يقول نفس ذلك الشخص: من أنت؟ وما

تريد ؟ فيقول: أنا ملك الموت الذي أخرجك من الدنيا وأجعل ولدك يتيمًا وزوجتك أرملة ومالك موروثًا بين ورثتك الذين لا تحبهم في حال حياتك وأنت لم تقدر خيرًا لنفسك ولا لآخرتك اليوم جئت إليك لأقبض روحك فإذا سمع به شخص حول وجهه إلى الحائط ليرى ملك الموت قائمًا بين يديه فيحول وجهه إلى الجانب الأيمن فيرى ملك الموت بين يديه قائمًا فيقول ملك الموت: ألم تعرفني أنا ملك الموت الذي قبضت روح والديك وأنت تنظر إليهما ولم تنفعهما. اليوم آخذ روحك حتى ينظر أولادك وأقرباؤك ورفقاؤك حتى ينتصحوا منك اليوم وأنا ملك الموت الذي أفنيت من القرون الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالًا من مالك وأكثر ولدًا من أولادك ثم يقول له ملك الموت: كيف رأيت الدنيا فيقول: رأيتها مكارة غدَّارة ثم يخلق الله تعالى الدنيا على صورة فتقول الدنيا: يا عاصي أما تستحي أنت أذنبت في الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصي فذلك قول الله تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

الفصل الرابع عشر في ذكر دعاء النبي ﷺ لمن مات أن يثبته الله سبحانه وتعالى بعد الفراغ من الدفن

قال البيهقي في كتاب «عذاب القبر»: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن غالب بن حرب وإبراهيم بن عبدالله ـ واللفظ لتمام ـ حدثني علي بن عبدالله بن جعفر ثنا هشام بن يوسف عن عبدالله بن بحير عن هانيء مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «استغفروا لميتكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

الفصل الخامس عشر في ذكر استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر

وقد ثبت وصح أن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر حتى

كان يستعيذ من عذاب القبر في صلاته روى البخاري في « الجامع الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر قالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر.

فقال: « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزين دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: صدقتا إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر.

الفصل السادس عشر في ذكر أن النبي ﷺ كان يدعو على الكفار بعذاب القبر

روى الشيخان البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: « ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهي صلاة العصر.

وروى البيهقي في « عذاب القبر » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قاتل رسول الله ﷺ المشركين حتى فاتتهم الصلاة فقال رسول الله ﷺ: « شغلونا عن صلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارًا ».

الفصل السابع عشر في ذكر نزول الملائكة عند الموت ببشرى المؤمن ووعيد الكافر

قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وقال الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾.

روى مسلم والنسائي في «المجتبي» والحاكم في «المستدرك» وابن حبان في «موارد الظمآن» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا اخرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: يقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه ثم يقول: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: ذكر من نتنها وذكر لعنًا ويقول أهل السماء: روح خبيثة من قبل الأرض» قال: ويقال: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الصالح اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان».

فما يزال يقال له ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهي بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: «مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة

وأبشري بروح وريحان وْرب غير غضبان». فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء أظنه أراد السماء السابعة.

قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا: «اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج».

فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج فينتهي بها إلى السماء فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء».

«فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر».

الفصل الثامن عشر في ذكر أن روح الميت تأتي لتزور دارها وأهلها وأقاربها

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهرًا فتنظر إلى ما خلفه من ماله كيف يقسم وكيف تؤدى ديونه فإذا تم له شهر ردت إلى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فإذا تم الحول رفع روحه إلى حيث تجتمع الأرواح يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾ الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الأولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة تخرج أرواح الأموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون: ترحموا علينا من هذه الليلة المباركة بصدقة أو بلقمة فإنا محتاجون إليها فإن بخلتم بها ولم تعطوها فاذكرونا بفاتحة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترحم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم أموالنا ويا من

استذل أيتامنا هل منكم أحد يذكر غربتنا وصحفنا مطوية وكتابكم منشور وليس للميت في اللحد ثواب فلا تنسونا بكسرة من خبزكم ودعائكم فإنا محتاجون إليكم أبدًا فإن وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحًا مسرورًا وإن لم يجد رجع محزونًا ومحرومًا ويائسًا منهم.

الفصل التاسع عشر في ذكر عقوبة تارك الصلاة في قبره وما يصيبه من ذلك

روى ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» «أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب» ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث عند خروجه من القبر.

فأما اللاتي في الدنيا:

فالأولى ينزع البركة في عمره، والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللاتي تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلًا والثانية يموت جائعًا، والثالثة يموت عطشانًا ولو سقي بحار الدنيا ما روى من عطشه وأما اللاتي تصيبه في قبره: فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارًا يتقلب على الجمر ليلًا ونهارًا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حرير طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح. فكلما

ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعًا فلا يزال في الأرض معذبًا إلى يوم القيامة.

الفصل العشرون في ذكر عقوبة شارب الخمر في قبره وما يصيبه من ذلك

سئل بعض التائبين عن سبب توبته؟ فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة.

وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه فقلت: يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟

فقال: يا أبتِ دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نعوذ بالله منها.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات أي الزانيات يؤذي أهل النار ريح فروجهن».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها من حظائر القدس مع خير الندماء».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر عقوبة الزاني في قبره وما يصيبه من ذلك

قد ورد في الاثر: أن من زنى بأمرأة متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها

في حسناته هذا إن كان بغير علمه فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: «أنت حرام على الديوث» وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار.

الفصل الثاني والعشرون في ذكر عقوبة النمام والذي لا يستبرىء من بوله في القبر وما يصيبهما من ذلك

روى الشيخان البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله قال وكيع: لا يتوقاه.

قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكثر عذاب القبر من البول».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا من البول».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن عبد الرحمن بن حسنة قال:

كنت أنا وعمرو بن العاص جالسين فخرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده درقة فبال وهو جالس فتكلمنا بيننا فقلنا: يبول كما تبول المرأة.

فأتانا فقال: «أما تدرون ما لقي صاحب بني إسرائيل كان إذا أصابهم بول قرضوه فنهاهم فتركوه فعذب في قبره».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر عقوبة الدين في القبر وما يصيب صاحبه من ذلك

أخرج الترمذي والإمام أحمد في «المسند» والبيهقي في «السنن الكبرى» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزال نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن جابر بن عبد الله قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطا خطًا ثم قال: هل عليه دَيْن؟

قلنا: نعم.

قال: صلوا على صاحبكم.

فقال أبو قتادة: يا رسول الله دَيْنه علي.

فقال النبي ﷺ: هما عليك حق الغريم وبرء المبيت؟

قال: نعم.

فصلى عليه ثم لقيه في الغد.

فقال: ما فعل الديناران؟

فقال: يا رسول الله إنما مات أمس.

ثم لقيه من الغد فقال: ما فعل الديناران.

فقال: يا رسول الله قد قضيتهما

فقال رسول الله ﷺ: الآن بردت عليه جلده.

الفصل الرابع والعشرون في ذكر إثبات سؤال الملكين

عن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أُقْعِدَ المؤمنُ في قبره أتِيَ ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ﴿يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ .

رواه البخاري .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين .

والثابت من سؤال الملكين ثلاثة سؤالات كما أورد ذلك العارف مولانا عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في كتابه « ثبوت القدمين في سؤال الملكين » وهذه الأسئلة الثلاثة:

السؤال الأول: قول الملكين: « من ربك » .

السؤال الثاني: قول الملكين: « من نبيك » .

السؤال الثالث: قول الملكين: « ما دينك » .

الفصل الخامس والعشرون في ذكر أن الذي يموت من وجع البطن لا يعذب في قبره

أخرج الترمذي والنسائي عن عبدالله بن يسار قال: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكرا رجلًا مات في بطنه فأحب أن يحضر جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: « إن الذي يقتله بطنه لن يعذب في قبره » .

قال: بلى .

الفصل السادس والعشرون في ذكر أن من مات مريضاً وقي من عذاب القبر

روى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق ابن جريج عن إبراهيم بن محمد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من مات مريضًا مات شهيدًا» أو: «وقي من عذاب القبر».

الفصل السابع والعشرون في ذكر أنَّ منْ مات مرابطاً أمن من عذاب القبر

روى أبو داود والحاكم في «المستدرك» عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر».

وروى النسائي وأبو نعيم في «الحلية» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فإن مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ويقطع له رزق في الجنة».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر أن الشهيد يأمن من عذاب القبر

روى الإمام أحمد في «المسند» عن قيس الجذامي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للقتيل عند الله ست خصال: تغفر له خطيئته في أول دفقة من دمه ويجار من عذاب القبر ويحلى حلة الكرامة ويرى مقعده من الجنة ويؤمن من الفزع الأكبر ويزوج من الحور العين.

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أن من مات يوم الجمعة أو مات ليلة الجمعة فهو آمن من عذاب القبر

وروي الترمذي والطحاوي في «مشكل الآثار» عن ربيعة بن سيف أن أبا

عبد الرحمن الحبلي أخبره أن ابنًا لعياض بن عقبة توفي يوم الجمعة فاشتد وجده عليه فقال له رجل من الصدف: يا أبا يحيى ألا أبشرك بشيء سمعته من عبد الله بن عمرو بن العاص؟

سمعته يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يموت في ليلة الجمعة إلا برىء من فتنة القبر».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من توفي يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي الفتان».

الفصل الثلاثون في ذكر أن من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء

روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء.

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر أن من مات في أحد الحرمين فقد استوجب أمان الله

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين».

وروى الطبراني في «الصغير» عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من مات في أحد الحرمين بعث آمنًا يوم القيامة».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر أن قراءة سورة يٓس تخفف الموت عن الميت

روى الإمام أحمد في «المسند» عن المشيخة أنهم حضروا عفيف بن الحارث حين اشتد سوقه فقال: هل منكم أحد يقرأ يٓس قال: فقرأها

صالح بن شريح السلوي فلما بلغ أربعين منها قبض قال: فكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند الميت خفف عنه بها.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أن قراءة سورة الملك عند الميت تنجيه من عذاب القبر

أخرج الدارمي عن عبد الله قال: توفي رجل فأتى من جوانب قبره فجعلت سورة من القرآن تجادل عنه حتى منعته.

قال: فنظرت أنا ومسروق فإذا هي « سورة الملك ».

وروى البيهقي في « عذاب القبر » عن عبد الله قال: جادلت « سورة تبارك » عن صاحبها حتى أدخلته الجنة.

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صوب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر ».

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر أن النبي ﷺ استعاذ من موت الفجأة

عن أبي أمامة قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من موت الفجأة وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت. رواه الطبراني في « الكبير ».

وروى الإمام أحمد في « المسند » عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن موت الفجأة فقال: « راحة للمؤمن وأخذه أسف على الفاجر ».

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر استعاذة النبي ﷺ من سبع موتات

روى أحمد والبزار عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعاذ من سبع موتات موت الفجاءة ومن لدغ الحية ومن السبع ومن الغرق ومن الحرق ومن أن يخر على شيء أو يخر عليه شيء ومن القتل عند فرار الزحف.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر أنواع الشهداء

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان قال: أتيت النبي ﷺ بالزكاة ثلاث مرات.

فقال: ما تعدون الشهيد فيكم؟

قالوا: الذي يقتل في سبيل الله.

قال: إن شهداء أمتي إذًا لقليل.

القتل في سبيل الله شهادة والطاعون شهادة والنفساء شهادة والحرق شهادة والغرق شهادة والسل شهادة والبطن شهادة.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر أن الذي يموت غريباً إنما يموت شهيداً

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «موت الغريب شهادة إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريبًا وذكر أهله وولده فتنفس فله بكل نفس يتنفسه يمحو الله عنه ألفي ألف سيئة ويكتب له ألفي ألف حسنة» رواه الطبراني في «الكبير».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر أن من مات من ذات الجنب فهو شهيد

روى الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «الميت من ذات الجنب شهيد».

الفصل التاسع والثلاثون في زيارة القبور والدعاء لأهلها

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة».

رواه الخمسة إلا البخاري واللفظ للترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». رواه مسلم.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر».

الفصل الأربعون في زيارة النبي ﷺ قبر أمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: أستأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذِنَ لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت. رواه مسلم.

الفصل الحادي والأربعون في أن الميت ينتفع بعمل غيره

اعلم أيدني الله وإياك أن أعظم ما ينتفع الميت به ما يقدمه له ابنه.

روى أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل؟

قال: الماء.

قال: فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعد.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: توفيت أم سعد بن عبادة وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: نعم قال: فإني أشهدك أن حائطي المِخْرَاف صدقة عنها.

وروى الخمسة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

الفصل الثاني والأربعون في الكلام على سكرات الموت

أخرج ابن أبي الدنيا مرسلًا عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: «هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف» رجاله ثقات.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث صعمة بن غيلان الجعفي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعِنّي على الموت وهوّنه علي».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من رواية أبي ميسرة رفعه إلى النبي ﷺ: «لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات» مرسل حسن الإسناد.

وأخرج ابن أبي الدنيا في « كتاب الموت » من حديث سلمان عن النبي ﷺ أنه دخل على مريض ثم قال: « إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته ».

وكان علي كرم الله وجهه يمضي على القتال ويقول: « إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من موت على فراش ».

وقال الأوزاعي: « بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره ».

وروى الشيخان وهو متفق عليه عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هون عليَّ سكرات الموت ».

وروي عن نبي الله موسى عليه السلام أنه لما طارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت؟ فقال موسى: « وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب ».

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى.

الفصل الثالث والأربعون في الكلام على أنه يجب على المؤمن عدم اغتياب الميت ولا يذكر سوى محاسنه

أخرج ابن أبي الدنيا والمحاملي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ».

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل: «ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم».

وروى ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه».

وأخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه».

الفصل الرابع والأربعون في بيان أقاويل جماعة من الصحابة والتابعين والصالحين ومن بعدهم من أهل التصوف في الموت وما وقع لهم في ساعة الاحتضار وخروج الروح

لما حضرت بلالًا رضي الله عنه الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

ولما حضرت سلمان رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت الحبر عبدالله بن المبارك رضي الله عنه الوفاة فتح عينه وضحك وقال: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

ولما حضرت النخعي رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أنتظر من الله رسولًا يبشرني بالجنة أو بالنار.

ولما حضرت محمدًا بن المنكدر رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

ولما حضرت فضيلًا رضي الله عنه الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه واقلة زاداه.

ولما حضرت عامر بن عبد القيس رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء.

وقيل لذي النون رضي الله عنه عند موته: ما تشتهي؟

قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

ولما احتضر أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟

ولما حضرت الثوري رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: أليس ثم أمر؟

ولما حضرت الشافعي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه المزني فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلًا وللإخوان مفارقًا ولسوء عملي ملاقيًا ولكأس المنية شاربًا وعلى الله تعالى واردًا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهينها أم إلى النار فأعزيها وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلمّا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تـزل تجود وتعفـو منـة وتكـرمـا
ولـولاك لم يغـو بـإبليس عـابـد فكيف وقد أغـوى صفيـك آدمـا

ولما حضرت أحمد بن خضرويه رضي الله عنه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمسًا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة؟

ولما حضرت يوسف بن أسباط رضي الله عنه الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقًا فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبدالله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء عملته فقال حذيفة: واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله.

ولما حضرت بشرًا الحافي رضي الله عنه الوفاة قيل له: كأنك تحب الحياة؟ - وكان في شدة عظيمة -.

فقال: القدوم على الله شديد.

ولما حضرت سريًا السقطي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه الجنيد كي يعوده فقال له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيـف أشكـو إلى طبيبي مـا بي والذي بي أصـابني مـن طبيبي

قال الجنيد: فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلـب محترق والدمـع مستبـقُ والكـرب مجتمـع والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قـرار لـه مما جنـاه الهوى والشـوق والقلـقُ
يا رب إن يك شيء فيـه لي فـرج فـامنـن عليَّ بـه مـا دام بي رمـقُ

ولما حضرت الجنيد رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: ما نسيته فأذكره.

ولما حضرت رويمًا البغدادي رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟ فقال: لا أحسن غيره.

ولما حضرت أبا بكر الشبلي رضي الله عنه الوفاة قال: عليَّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال لخادمه: وضئني ففعل فنسي تخليل لحيته - وقد أمسك لسانه - فقبض على يد خادمه وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى خادمه وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسرِ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفو عن الدنيا كاغفاء ذي الشكرِ
همومهم جواله بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهرِ
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضرِ

ولما احتضر أبو بكر الواسطي رضي الله عنه قيل له: أوصنا فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

وقيل للكتاني رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: ما كان عملك؟

فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه.

ولما حضرت ممشادًا الدينوري رضي الله عنه الوفاة قيل له من باب الدعاء: أدخلك الله الجنة فضحك وقال: منذ ثلاثين سنة تعرض عليَّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي.

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري رضي الله عنه قالت: لما قرب أجل أبي علي الروذباري - وكان رأسه في حجري - فتح عينيه وقال: هذه

أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الدرجة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا | بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ | وبالخد المورد من حياكا

كتاب
الاعتبار
بذكر أحوال أهل الجنة والنار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ووصفه وقدسه ملك الملوك والمتجلي على أهل السلوك لا يستطيع على الحقيقة هذا المخلوق الوفاء بمقام الشكر له. ولا ذرة منه وهذا لا يكفيه برهان عن أي نعمة في الأكوان فإن هذا قطعًا يعجز عن المقام به أي إنسان.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرين المباركين الأبرار.

وبعد.

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾. ويقول تعالى: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾.

وروى أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أسامة بن زيد أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه: « ألا هل مشمر للجنة فإنه لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ونهر مطرد وقصر مشيد وفاكهة كثيرة نضجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام آبد في رحبة ونضرة ونعمة في دار عالية ».

قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله.

قال: قولوا: « إن شاء الله ».

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ». وأخرج البيهقي وابن عدي والحاكم عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): « خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون.

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله (ﷺ) قال: « يؤتى بأشد المؤمنين ضرًا في الدنيا فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة قال: فينغمس غمسة في الجنة فيقال: هل رأيت ضرًا قط؟ فيقول: لا ».

وقال الله تعالى: ﴿واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.

وقال تعالى: ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة﴾.

وقال رسول الله (ﷺ): « إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ». أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: « يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ». وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ)

قال: « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ».

وقد وفقني الحق سبحانه وتعالى لكي أجمع كتابًا في صفة الجنة والنار وسميناه: « الاعتبار بذكر أحوال أهل الجنة والنار ».

وقد جعلته جزأين الأول للجنة في أوصافها وسميناه: « التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين ».

والجزء الثاني في النار وأوصافها وسميناه: « وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية » هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الجزء الأول

التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين

المقدمة

الحمد لله الحنان المنان صاحب الرحمة الكلية والإحسان ومنشأ درجات النيران والجنان خلقها لحكمة علوية ولآية إلهية.

سبحانه جل شأنه في الأزل والأبد ولا يشاكله ولا يماثله أحد تنزه عن الأشياء فليس كمثله شيء خالف الحوادث. وقام بنفسه وبالأكوان فهو القائم المطلق سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون خشع له الوجود بأسره وفتح له الكون بقدره هو المليك البديع قال عن نفسه في كتابه ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ . هو أعظم من وحد نفسه وعرف قدر حقه.

وأصلي وأسلم على أستاذ الوجود وكعبة أهل الشهود أصل النور في العالم وبهاء الممالك والعوالم النبي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد.

فهذا كتابي «التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين» قد وضعته في أوصاف الجنة خاصة ودقائق ما بها من نعيم مقيم وسرور مستديم وقد خرجته من الكتاب والسنة والله ولي التوفيق.

الفصل الأول في ذكر بناء الجنة

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟

قال: من الماء.

قلنا: الجنة ما بناؤها؟

قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ثم قال: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. وأخرجه الدارمي في «السنن».

الفصل الثاني في ذكر تربة الجنة

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ﷺ) قال: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن مجاهد قال: «أرض الجنة من فضة وترابها مسك».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمي: «الجنة ترابها المسك والزعفران».

الفصل الثالث في ذكر صفة رجال أهل الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن أبي هريرة قال: «والذي أنزل

الكتاب على محمد إن أهل الجنة ليزدادون جمالًا وحسنًا كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرمًا ».

وأخرج مسلم في « صحيحه » عن أنس رضي الله عنه قال: « إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا ».

الفصل الرابع في ذكر أنهار الجنة

قال الدارمي في « السنن »: أخبرنا يزيد بن هارون قال أنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: « إن في الجنة بحرًا للبن وبحرًا لعسل وبحرًا لخمر ثم تشقق منه الأنهار ».

روى أبو نعيم في كتابه « صفة الجنة » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إنَّ في الجنة نهرًا يقال له الهرْول على حافتيه أشجار نابتات فإذا اشتهى أهل الجنة السماع يقولون: مروا بنا إلى الهرْول فنسمع الأشجار فتنطق بأصوات لولا أن الله عز وجل قضى على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا شوقًا وطربًا إلى تلك الأصوات قال: فإذا سمعتهن الجواري قرأن بالعربية فيجيء أولياء الله إليهن فيقطف كل واحد منهن ما اشتهى ثم يعيد الله تعالى مكانهن مثلهن ».

أخرج ابن حبان في « صحيحه »: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « أنهار الجنة تفجر من تلال أو من تحت جبال مسك ».

أخرج البخاري والحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أواسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ».

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم قال: « رفعت لي سدرة المنتهى قال: وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران: فالنيل والفرات ».

وروى الإمام أحمد في « المسند »: عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: « فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسيحان وجيحان ».

وأخرج الطبراني في « المعجم الكبير » وابن عدي في « الكامل » عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ﷺ): « أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أنه رأى ليلة أُسْرِيَ به شجرة إنها لتغطي الخلق كلهم وبني آدم يخرج من تحتها الأنهار الأربعة: نهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر غير آسن ونهر من عسل مصفى ».

وأخرج أبو نعيم في كتاب « صفة الجنة » من طريق علي بن حفص المدائني عن سليمان بن المغيرة عن ابن المعتمر قال: نبئت أن في الجنة نهرًا ينبت الجواري الأبكار ».

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فإذا مسك أذفر قلت: يا جبريل ما هذا؟

فقال: الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل ».

وأخرج ابن مردويه في « تفسيره » عن عكرمة عن ابن عباس قال: « الكوثر نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ ».

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سئل النبي (ﷺ) عن

الكوثر فقال: « ذلك نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر قال عمر: إن هذه لناعمة قال رسول الله (ﷺ): أكلتها أنعم منها.

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن ابن عباس قال: « إن في الجنة نهرًا يسمى البَيْدَخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يتغنين بالقرآن يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلى البيدخ فإذا جاءوا يتصفحون تلك الجواري فإذا هوى أحدهم من الجواري شيئًا وضع يده على معصمها فاتبعته ونبت مكانها أخرى ».

الفصل الخامس في ذكر صفة جريان أنهار الجنة

وقد ثبت أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود يخد في الأرض بل هي سائحة على وجه الأرض.

أخرج أبو نعيم في كتابه « صفة الجنة » عن أنس بن مالك قال: « لعلكم تظنون أن لأنهار الجنة خدودًا في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض حافتاها خيام اللؤلؤ وطينها المسك الأزفر.

قلت: يا أنس ما الأزفر؟

قال: الذي لا خلط له.

وأخرج أبي أبي شيبة في « المصنف » عن مسروق قال: « أنهار الجنة تجري في غير أخدود ».

وأخرج أبو نعيم في كتاب « صفة الجنة » من طريق زميل بن سماك عن أبيه قال: قلت لابن عباس: فما أنهارها أَوَفي خُدَّةٍ؟

قال: « لا ولكنها تجري على الأرض مستكفة لا يستفيض ماؤها ها هنا ولا ها هنا قال الله تعالى لها: كوني فكانت ».

وأخرج عبد الرزاق في « المصنف » وسعيد بن منصور وهناد وابن المنذر والبيهقي في « البعث والنشور » من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾.

قال: « حَرِيرَةَ الجَرْيَة ».

الفصل السادس في ذكر صفة أساور أهل الجنة

أخرج ابن عدي في « الكامل » عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ﷺ): « لو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أبي هريرة أن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى عليه وآله وسلم حدثهم وذكر حليَّ أهل الجنة فقال: « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب مرد مكحلون ».

الفصل السابع في ذكر أشجار الجنة

روى ابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب ».

وأخرج أبو نعيم في كتاب « صفة الجنة » والبيهقي في « البعث والنشور » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن في الجنة شجرة من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فتصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه ».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ».

وأخرج ابن المبارك وابن أبي شيبة في « المصنف » وأبو الشيخ في « العظمة »

والحاكم في « المستدرك » وصححه وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » وهناد في « الزهد » عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): « نخل الجنة جذوعها ذهب أحمر وكربها زمرد أخضر وسعفها حلل وثمرها أمثال القلال ألين من الزبد ليس له عجم ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: « إن في الجنة شجرة الورقة منها مغطية جزيرة العرب على أعلاها كسوة لأهل الجنة وأسفلها خيل بُلق مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول من ياقوت أحمر لها أجنحة تطير بأولياء الله في الجنة ».

وأخرج ابن حبان في « الصحيح » عن عتبة بن عبد السلمي قال: قام أعرابي إلى رسول الله (ﷺ) فقال: فيها عنب - يعني الجنة - يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: ما أعظم العنقود منها؟

قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يني ولا يفتر.

قال: ما عظم الحبة منه؟

قال: هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا؟

قال: نعم.

قال: فسلخ إهابها فأعطاه أمك وقال: إبغي لنا هذا دلواً نروي به ماشيتنا؟

قال: نعم.

قال: فإن تلك الحبة.

قال: تسعني وأهل بيتي؟

قال: نعم وعشيرتك.

وأخرج ابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ) أنه قال له رجل: يا رسول الله ما طوبى؟

قال: « شجرة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ».

وروى ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وظل ممدود﴾.

قال: « شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة ـ أهل الغرف وغيرهم ـ فيتحدثون في أصلها فيذكر بعضهم ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل ما كان في الدنيا من لهو ».

وأخرج أبو الشيخ في « العظمة » عن شهر بن حوشب قال: « طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن مجاهد في قوله: ﴿طوبى لهم﴾.

قال: « شجرة في الجنة حملها أمثال ثدي النساء فيه حلل أهل الجنة ».

الفصل الثامن في ذكر مفتاح الجنة

روى الإمام أحمد في « المسند » والبزار عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): « مفاتيح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أنس.

قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفاتيح الجنة؟

قال: « لا إله إلا الله ».

وأخرج أبو الشيخ في « العظمة » عن يزيد بن شجرة قال « إن السيوف مفاتيح الجنة ».

الفصل التاسع في ذكر اسم الجنة بالهندية

روى الطبري في تفسيره عن سعيد بن المسجوح قال: «طوبى اسم الجنة بالهندية».

الفصل العاشر في ذكر كلام أهل الجنة

أخرج البيهقي في «مناقب الشافعي» عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لسان أهل الجنة عربي».

وروى أبو نعيم في كتابه «صفة الجنة» من طريق العلاء: «أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي».

وأخرج أيضًا أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «كلام أهل الجنة العربية».

الفصل الحادي عشر في ذكر لون الجنة

روى ابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «عليكم بالبياض فإن الله تعالى خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم».

وروى الآجري في «الشريعة» من طريق عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم».

الفصل الثاني عشر في ذكر السرر والأرائك التي في الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿على سررٍ موضونة﴾ قال: «المرمولة بالذهب والأرائك: السرر في الحجال».

وقال ابن كثير في «تفسيره» في قوله تعالى ﴿على سرر موضونة﴾: قال

ابن عباس: أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره.

وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ.

وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت.

وقال ابن جرير: ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مظفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

الفصل الثالث عشر في ذكر تزوار أهل الجنة

روى ابن المبارك في كتاب «الزهد» عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أنَّ أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى».

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله (ﷺ): أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا على النوق».

وأخرج ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي أيوب عن النبي (ﷺ) قال: «إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب البيض من الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الإبل والخيل».

الفصل الرابع عشر في ذكر الخيل والإبل التي في الجنة

أخرج الترمذي عن أبي أيوب قال: أتى أعرابي رسول الله (ﷺ) فقال: إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال: «إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوت له جناحان فحملت عليه وطا بك في الجنة حيث شئت».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» وابن مردويه عن بريدة أن رجلًا سأل رسول الله (ﷺ): هل في الجنة خيل؟ قال: «إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب على فرس مثل ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت».

فجاء رجل آخر فقال: يا رسول الله هل في الجنة إبل؟ فلم يقل له مثل الذي قال لصاحبه قال: «إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): وذكر الجنة فقال: «والفردوس أعلاها سموًّا وأوسعها محلة ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إليَّ الخيل فهل في الجنة؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلًا وإبلًا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي أيوب عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ) قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فإذا رأوه خروا سجدًا فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة قال: فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيبًا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحًا فيهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهلهم وإنهم لشعث غبر».

الفصل الخامس عشر في ذكر أوصاف الحور العين ونساء الجنة

روى الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): «خلق الحور العين من الزعفران».

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «صفة الجنة» عن أنس بن مالك قال: قال

رسول الله (ﷺ): «لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة ريقها ويخلق الحوراء من الزعفران».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «للمؤمن زوجتان يرى مخ سوقهما من بين ثيابهما».

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» وهناد وعبد بن حميد عن مجاهد ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ قال: «من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنيّ والولد».

وروى الترمذي عن عبدالله عن النبي (ﷺ) قال: «إن المرأة من نساء الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله يقول: كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه».

الفصل السادس عشر في ذكر أن نساء أهل الجنة يعدن أبكاراً بعد نكاحهن

روى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً».

وأخرج الضياء المقدس في «المختارة» عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قيل له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحامًا فإذا قام عنها رجعت مطهرة».

الفصل السابع عشر في ذكر عدد العذارى اللاتي يتزوج بهن الرجل من أهل الجنة

أخرج البيهقي في «البعث والنشور» عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله (ﷺ): «يزوج إلى كل رجل من أهل الجنة أربعة ألف بكر وثمانية ألف أيم ومائة جوار فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق مثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لمن كان لنا وكنا له».

وأخرج ابن ماجه في «السنن» عن أبي أمامة عن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهيّ وله ذكر لا ينثني».

وأخرج الطبراني في «الصغير» عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله أنصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء».

وأخرج هناد بن السري في «الزهد» وأبو ليلى عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء».

الفصل الثامن عشر في ذكر أن رجال الجنة ونساءها لا يملون من اتصال النكاح فيما بينهم أبداً ولا تنقطع شهوتهم أبداً

أخرج البزار عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: «نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع».

وروى عبد بن حميد وابن جرير في «تفسيره» وابن المنذر عن عبدالله بن

مسعود في قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾.

قال: شغلهم افتضاض العذارى.

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي مجلز قال: قلت لابن عباس: قول الله عز وجل: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ ما شغلهم؟

قال: «افتضاض الأبكار».

الفصل التاسع عشر في ذكر أن المؤمن من أهل الجنة يعطي قوة مائة رجل في النكاح

أخرج الحافظ أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة».

فقلنا: يا رسول الله أوله قوة ذلك؟

قال: «إنه ليعطي قوة مائة».

الفصل العشرون في ذكر شدة صفاء أجسام نساء الجنة وقوة شفافية أجسادهن

أخرج ابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه المرأة فتقرب منه فينظر في خدها أصفى من المرآة فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد وأنه يكون عليها سبعون ثوبًا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وأن عليهن التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب».

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حرير

وذلك أن الله جل وعلا يقول: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلته سلكًا ثم اطلعت لرأيته من ورائه».

وعند الشيخين والترمذي: «ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر أن الحق تعالى طهر نساء الجنة من الحيض والنفاس والولادة والمنيّ

روى هناد وعبد بن حميد عن مجاهد ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾.

قال: «من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنيّ والولد».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) في قوله ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾.

قال: «من الحيض والغائط والنّخامة والبزاق».

الفصل الثاني والعشرون في ذكر النهر الذي في الجنة الذي ينبت الجواري الأبكار اللاتي يغنين في الجنة بأعذب الأصوات

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق عقيل عن ابن شهاب عن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهرًا ليسمى البَيْدَخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يتغنين بالقرآن يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلى البَيْدَخ فإذا جاؤوا يتصفحون تلك الجواري فإذا هوى أحدهم من الجواري شيئًا وضع يده على معصمها فاتبعته ونبت مكانها أخرى».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق يعقوب القُمّيّ عن جعفر بن حميد عن شِمْر بن عطية قال: «إن في الجنة أنهارًا تنبت الجواري يمجدن الله عز وجل بأصوات لم تسمع الآذان بمثلها قط ويقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الكاسيات فلا نعرى ونحن الطاعمات فلا نجوع ونحن الناعمات فلا نيأس

فما من أحد من أهل الجنة يعجبه منهن شيء فيأخذ بيدها إلا مالت معه وأنبت الله عز وجل مكانها مثلها ».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر نهر الكوثر الذي أعطاه الحق تعالى لنبينا محمد (ﷺ)

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف.

قلت: ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو صِيبُهُ مسك أذفر ».

وأخرج الترمذي وصححه وابن ماجه والإمام أحمد في « المسند » وابن أبي شيبة في « المصنف » عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الياقوت والدر تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج ».

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود الطيالسي عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): « هل تدرون ما الكوثر؟ »

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: « إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ».

وأخرج ابن مردويه في « تفسيره » من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « الكوثر نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ ».

الفصل الرابع والعشرون في ذكر قصور الجنة

أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ».

فقلت: لمن هذا القصر؟

قالوا: لشاب من قريش فظننت أني أنا هو.

قالوا: لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك».

فقال: يا رسول الله أعليك أغار؟.

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جويبر عن الضحاك قال، «لكل مؤمن أربعة قصور: قصر من ياقوت شرفه زمرد وقصر زمرد شرفه ياقوت وقصران دونها وهو قوله تعالى: ﴿ومن دونهم جنتان﴾ وقصر ذهب شرفه در وقصر فضة شرفه ذهب».

وأخرج ابن جرير في «تفسيره» والبيهقي في كتابه «البعث والنشور» وأبو نعيم في «صفة الجنة» عن الحسن قال: سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن قوله: ﴿ومساكن طيبة﴾ فقالا: على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله (ﷺ) فقال: «قصر في الجنة من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرًا على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا في كل بيت سبعون وصيفًا أو وصيفة فيعطي الله عز وجل من القوة ما يأتي عليهن في غداة واحدة».

الفصل الخامس والعشرون في ذكر اليوم الذي تفتح فيه الجنة

أخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن شِمْر بن عطية قال: «خلق الله عز وجل جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس فيقول: «ازدادي طيبًا لأوليائي ازدادي حسنًا لأوليائي».

وأخرج مسلم والبخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «تفتح أبواب الجنة في كل يوم اثنين وخميس».

الفصل السادس والعشرون في ذكر أن نبينا محمداً (ﷺ) أول من يأخذ بحلقة باب الجنة وأول من يقرع باب الجنة وأول من يفتح له باب الجنة

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر».

وأخرج الحميدي في «المسند» عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أول من يقرع حلقة باب الجنة».

وأخرج مسلم عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة».

الفصل السابع والعشرون في ذكر غرف أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك

منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وأخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال: «هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر خيام الجنة

قال الله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن عبدالله بن قيس أن رسول الله (ﷺ) قال: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلًا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

وأخرج الشيخان عنه أيضًا عن النبي (ﷺ) قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن منها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا».

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أسواق الجنة

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) ونحن مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقًا ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها».

وأخرج مسلم والإمام أحمد في «المسند» عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة وتهب ريح الشمال فتحثي

وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقول لهم أهلوهم: لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا فيقولون. وأنتم والله ازددتم حسنًا وجمالًا ».

وأخرج الترمذي عن سعيد بن المُسَيِّب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم وذكر الحديث.

الفصل الثلاثون في ذكر أن الموت والنوم رفعا عن أهل الجنة مطلقاً

أخرج البخاري عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم.

وأخرج مسلم عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « إذا كان يوم القيامة أُتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار ».

ولمسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « من يدخل الجنة يَنْعَم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » من طريق ثابت البناني عن نفيع بن الحارث عن ابن أبي أوفى قال: قال رجل: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله عز وجل أعيننا في الدنيا فهل في الجنة نوم؟

قال: « لا ألا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موت ».

قال: فما راحتهم.

قال فأعظم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال: « ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة ».

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر أن الأمة المحمدية هم أكثر أهل الجنة عدداً

روى البخاري ومسلم عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في قبة نحواً من أربعين رجلًا فقال: « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة »؟

قال: قلنا: نعم.

فقال: « أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة »؟

فقلنا: نعم.

فقال: « والذي نفس بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر ».

قال الشيخ منصور علي ناصف في شرحه على كتابه « التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ﷺ) »: أكثر أهل الجنة أي نصف أهلها كما في حديث الشيخين أو ثلثاها كما في حديث الترمذي.

أخرج الترمذي بسند حسن عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: « أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم ».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر من يدخل الجنة بغير حساب من هذه الأمة

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟

قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب.

قلت: ولِمَ؟

قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم.

قال: «اللهم اجعله منهم» ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «سبقك بها عكاشة».

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أول طعام أهل الجنة وما شرابهم عليك

أخرج البخاري عن أنس أن عبدالله بن سلام سأل النبي (ﷺ): ما أول ما يأكل أهل الجنة؟

قال: «أما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت».

أخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: كنت قاعدًا عند رسول الله (ﷺ) فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: من أول الناس إجازة؟

قال: فقراء المهاجرين.

فقال اليهودي: ما تحيتهم حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد الحوت.

قال: فما غذاؤهم على أثرها؟

قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من طرفها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: من عين تسمى سلسبيلًا.

قال: صدقت.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر أوصاف طيور الجنة

أخرج ابن أبي الدنيا وهناد في «الزهد» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن في الجنة طيرًا له سبعة ألف ريشة فيجيء فيقع على صفحة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة لون أبيض من الثلج وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أنس قال: سمعت النبي (ﷺ) وقيل له: يا رسول الله ما الكوثر؟

قال: «هو كما بين صنعاء إلى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل».

قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة.

قال: «آكلها أنعم منها».

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر أوصاف ثمار الجنة

روى البزار عن ثوبان أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئًا إلا نبت مكانها مثلها».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» وهناد في «الزهد» عن البراء بن عازب في قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾ قال: «أهل الجنة يأكلون منها قيامًا وقعودًا ومضاجعين وعلى أي حال شاءوا».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن يحي بن أبي كثير قال: «عشب الجنة: الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفًا.

فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف» وهو قول الله عز وجل: ﴿كلما رزقوا منها من ثمره رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة وهو أقل أهل الجنة منزلة

روى الشيخان عن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له: «اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع». فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: «اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا». فيقول: أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة».

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء الذي يقال له: تمن فيقول بلسان طلق وعقل مجتمع: أعطني كذا أعطني كذا حتى إذا لم يجد شيئًا قيل له: وقل كذا وقل كذا فيقال له: هذا لك ومثله معه».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له لثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم ثلاثمائة صحفة ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذّ أوله كما يلذ آخره ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذّ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص ذلك مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض».

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: أهدى كسرى إلى رسول الله (ﷺ) ثيابًا منسوجة بالذهب فجعل من حوله يتعجبون منها فقال رسول الله (ﷺ): «أتعجبون من هذه والذي نفسي بيده وبعثني بالحق إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في سور ملكه وجنانه وخدمه مسيرة ألف سنة».

الفصل السابع والثلاثون في ذكر خدم أهل الجنة وقهارمة سكانها

روى الطبراني في «الأوسط» عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء لمن يغدو عليه ويروح في كل يوم عشرة ألف خادم مع كل خادم منهم لحرفة ليست مع صاحبه».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال:

« بينا هو يعني آخر من يدخل الجنة يمضي فيها إذ رأى ضوءًا فيخر ساجدًا فيقال له: ما لك؟ فيقول: أليس هذا ربي تجلى لي؟ فإذا هو برجل قائم فيقول: لا هذا منزل من منازلك وأنا قهرمان من قهارمتك ولك مثلي ألف قهرمان ثم يمشي أمامه فيدخل أدنى قصوره لا يشرف على شيء منها إلا أنفذ بصره أقصى مملكته ومملكته مسيرة مائة سنة ».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر أسماء الجنات وأن الفردوس أعلى الجنات وأرقاها

اعلم أن الجنات عددها سبعة وهي التي ذكرت لنا في القرآن وهي:

جنة الفردوس

وجنة عدن

وجنة النعيم

وجنة الخلد

وجنة دار السلام

وجنة القرار

وجنة المأوى

وأما فضل جنة الفردوس ففيه وردت أحاديث كثيرة في كون الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وأنها سقف عرش الرحمن عز وجل.

أخرج الحاكم في « المستدرك » عن أبي أمامة عن النبي (ﷺ) قال: « سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش ».

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها وسط الجنة وأعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه يفجر أنهار الجنة ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن عمرو بن سلامة قال: قال النبي (ﷺ): « إن الله تعالى كبس عرصة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب

مصفى ولبنة من مسك مُذرّى وغرس فيها من جيد الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على عرشه فنظر إليها فقال: وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مُصِرٌّ على زنا».

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر سدرة المنتهى

روى الحاكم في «المستدرك» وصححه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير الراكب في ظل الفتى منها مائة سنة أو قال: يستظل في الفنن منها مائة راكب - شك يحي - فيها فراش الذهب كأنَّ ثمرها القلال».

الفصل الأربعون في ذكر ما أعطى أهل الجنة من القوة على الأكل والشرب والجماع وعموم الشهوة

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع».

قال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟

فقال رسول الله (ﷺ): «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن عبد الرحمن بن سابط قال: «إن الرجل من أهل الجنة لتوضع مائدته فما يقضي منها نهمته عمر الدنيا كلها».

الفصل الحادي والأربعون في ذكر الأواني والصحاف والمواعين التي في الجنة

أخرج الحافظ أبو نعيم في «الحلية» وابن أبي شيبة في «المصنف» عن كعب قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة ليؤتى بغدائه في سبعين ألف

صحفة في كل صحفة لون ليس كالآخر فيجد للآخر لذة أوله ليس فيها رذل».

وروى ابن المنذر وابن جرير في «تفسيره» عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قواريرًا قواريرًا من فضة﴾ قال: «في بياض الفضة في صفاء القوارير».

وصحَّ عنه (ﷺ) أنه قال في آنية الكوثر: «آنيته عدد النجوم».

الفصل الثاني والأربعون في ذكر أنه ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وهناد عن ابن عباس قال: «ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء».

الفصل الثالث والأربعون في ذكر اعتدال مناخ الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن عبدالله قال: «إن الجنة سَجْسَج لا قرَّ فيها ولا حر ولهم فيها ما اشتهت أنفسهم».

والسَجْسَج: المعتدل الذي لا حر فيه ولا قر.

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس: «لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا».

قال: «لا يجدون الحر ولا البرد».

الفصل الرابع والأربعون في ذكر سُرُج أهل الجنة

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن سرج أهل الجنة؟ فقال: «هي قناديل معلقة بالعرش تضيء لأهل الجنة فوق العرش لا يطفأ نورها ولا يقصر عنها أبصارهم من النظر».

الفصل الخامس والأربعون في ذكر أعمال أهل الجنة وأنهم على طول آدم

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خَلْق آدم طول ستين ذراعًا في عرض سبع أذرع».

وأخرج البغوي في «شرح السنة» عن أبي سعيد عن رسول الله (ﷺ) قال: «من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة لا يزيدون عليها وكذلك أهل النار».

الفصل السادس والأربعون في ذكر زراعة أهل الجنة

أخرج البخاري عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال يومًا وهو يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «إنَّ رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له ربه عز وجل: ألست فيما شئت؟

قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فبدر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وكان أمثال الجبال قال: فيقول له ربه عز وجل: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء».

قال: فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيًا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحابه قال: فضحك رسول الله (ﷺ).

الفصل السابع والأربعون في ذكر شجرة طوبى

أخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن شهر بن حوشب قال: «طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن مجاهد في قوله: «طوبى لهم».

قال: «شجرة في الجنة حملها أمثال ثدي النساء فيه حلل أهل الجنة».

الفصل الثامن والأربعون في ذكر انتزاع الغل والحقد من قلوب أهل الجنة

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن ابن عباس في قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ يريد: «الذي يكون في صدور المؤمنين في الجنة».

وذكروا عن النبي (ﷺ) أنه قال: «إن الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل إذا نزع من صدور المؤمنين».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «يخلص المؤمنون فيجلسون عند قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».

وروى ابن جرير في «تفسيره» قال قتادة: قال علي رضي الله عنه: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

وروى سعيد في «تفسيره» عن أبي أمامة قال: «لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري».

الفصل التاسع والأربعون في ذكر إلحاق ذرية الرجل وأهله به في الجنة

روى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن سعيد بن جبير قال: «يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أمي؟ أين والدي؟ أين زوجي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك.

فيقول: كنت أعمل لي ولهم ثم قرأ: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾.

وأخرج أبو نعيم أيضًا في «صفة الجنة» عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم

وأزواجهم﴾: «يريد من صدق بما صدقوا به وإن لم ينلهم بالفعل وأزواجهم وذرياتهم وإن لم يعملوا مثل أعمالهم».

وأخرج البيهقي في «البعث والنشور» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم في «المستدرك» وصححه وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير في «التفسير» وعبد الرزاق في «المصنف» وابن أبي شيبة في «المصنف» عن النعمان بن بشير قال: سئل عمر رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾.

قال: «يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار».

الفصل الخمسون في ذكر أن الجنة محفوفة بالمكاره

أخرج البخاري والترمذي والإمام أحمد عن أنس أن النبي (ﷺ) قال: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

وأخرج البغوي في «شرح السنة» والنسائي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره».

الفصل الحادي والخمسون في ذكر أن الجنة محظورة إلا على الموحدين

أخرج مسلم عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أنه حدثه أن رسول الله (ﷺ) بعثه وأوس بن الحرثان أيام التشريق فناديا: «ألا إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن».

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الله تعالى بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك ومدمن الخمر سكير».

وأخرج ابن حبان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «ليأخذن رجل بيد أبيه فَلَيُقْطِعَنَّه النار يريد أن يدخله الجنة فينادى أن الجنة لا يدخلها كافر ألا إن الله حرم الجنة على كل كافر».

الفصل الثاني والخمسون في ذكر أن عامة سكان الجنة من الضعفاء والمساكين والفقراء

أخرج البخاري ومسلم عن أسامة قال: قال رسول الله (ﷺ): «قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء والمساكين».

وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب: سمع النبي (ﷺ) يقول: «ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره».

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة سنة».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن سراقة بن جُعْشُم أن رسول الله (ﷺ) قال: «يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «أما أهل الجنة فالضعفاء والمغلوبون وأما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر».

وأخرج ابن حبان عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ﷺ) قال: «دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

الفصل الثالث والخمسون في ذكر عدد درجات الجنة وذكر عدد أبوابها

أخرج البخاري عن عبادة أن رسول الله (ﷺ) قال: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة

ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس».

وروى الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام».

وأخرج الشيخان عن سهل رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول».

الفصل الرابع والخمسون في ذكر فراش الجنة

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله تعالى ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» عن كعب الأحبار في قول الله عز وجل: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: «مسيرة أربعين سنة».

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن الفرش المرفوعة؟

فقال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف».

الفصل الخامس والخمسون في ذكر ريح الجنة ورائحتها

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ):

« إن ريح الجنة لتوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ».

وأخرج الحاكم في « المستدرك » عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: « إن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام ».

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: « تراح رائحة الجنة من مسيرة خمس مائة عام ».

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): « يقول الله تعالى للجنة: طيبي لأهلك، فتزداد طيبًا فذاك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذاك ».

الفصل السادس والخمسون في ذكر مسافة ما بين المصراعين من مصاريع الجنة

أخرج أبو نعيم في « الحلية » والإمام أحمد في « المسند » عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين ».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو هجر ومكة ».

وأخرج أحمد وأبو يعلى في « مسنده » عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ما بين مصراعي الجنة أربعون سنة ».

وأخرج الترمذي في « سننه » عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه أن النبي (ﷺ) قال: « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المشحوذ ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول ».

الفصل السابع والخمسون في ذكر العشرة المبشرين بالجنة

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة مقطوع بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى وبفضله عز وجل وهم:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
عثمان بن عفان رضي الله عنه.
علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
سعيد بن زيد رضي الله عنه.
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.
الزبير بن العوام رضي الله عنه.
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وقد اتفق عليهم جمهور علماء المسلمين وأن هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة.

الفصل الثامن والخمسون في ذكر أن كل صحابة رسول الله (ﷺ) هم في الجنة إن شاء الله تعالى وأنهم أعلى أهل الجنة منزلة

واعلم يا أخي أن كل صحابة رسول الله (ﷺ) هم في الجنة إن شاء الله تعالى وبفضله عز وجل وببركة صحبتهم لرسول الله (ﷺ) ولا ننظر إلى ما حدث من منازعات صدرت من بعضهم مثل معاوية وعمرو بن العاص فإن هذا لا ينقص من قدرهم عند الله تعالى وإننا لم نبلغ مرتبتهم ولا أي عالم في الأمة حتى يحكم على خلافاتهم إلا واحد منهم يجوز له أن يقول وقد قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو واحد منهم عليهم رضوان الله

تعالى: « إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾. أخرجه ابن جرير في « تفسيره ».

الفصل التاسع والخمسون في ذكر من اشتاقت إليهم الجنة من صحابة رسول الله (ﷺ)

أخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « اشتاقت الجنة إلى أربع إلى علي بن أبي طالب والمقداد وعمار وسلمان ».

الفصل الستون في ذكر أعظم كرامات أهل الجنة وهي رؤية الحق عز وجل وكشف الحجاب عنهم فيرون ربهم عز وجل

اعلم أن أعظم الكرامات التي يكرم بها الحق عز وجل أهل الجنة هي رؤية الحق عز وجل وكشف الحجاب عن أهل الجنة فيرون ربهم جل شأنه.

قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي (ﷺ) فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

وأخرج مسلم عن صعيب رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ثم قال: « إن ادخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ».

وأخرج ابن حجر في «لسان الميزان» عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: «جاءني جبريل عليه السلام وقال: إن في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل الرب تعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي منابر من نور فجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف تلك المنابر مكللة من جوهر فجاء الصديقون والشهداء فجلسوا عليها وجاء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثيب. ثم يتجلى لهم فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فاسألوني فيسألونه حتى تنتهي بهم رغبتهم ثم يفتح لهم عمًّا لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر إلى قدر منصرفهم من الجمعة فهي ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء مطردة فيها أنهارها وفيها ثمارها وأزواجها وخدمها فليسوا أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم عز وجل».

الجزء الثاني

كتاب
وصف جهنم والزبانية
بالقرآن والسنة المحمدية

المقدمة

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء على الإطلاق. والمتجلي بآياته الباهرة في كافة الآفاق. هو الله في الأولى والآخرة. بهر العارفين بعيون حكمته السافرة.

من ذا الذي غرق في محبته. وفني في عين مودته. سوى أهل المعرفة بالله. رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

ألا تنظر أيها العارف المتمكن هذا الوجود وقد صرخ صائحًا بوحدانيته وهام فانيًا في بحار فردانيته سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ووصفه وقدسه.

اللهم.

صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد.

فهذا كتابي «وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية». وهو في أوصاف النار الكبرى أعاذنا الله وإياكم منها. وجعلنا وإياكم في مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد وضعته لعامة أهل الإيمان والمؤمنين وكذا لخاصتهم كي يكون لهم تذكرة وذكرى قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

وقد قال أبو القاسم (ﷺ): «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وقال (ﷺ): «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها». هذا وإنني لا أتذكر في هذا المقام سوى والدي وأساتذتي الأوائل الذين حضوني على طلب العلم فهم الرواد الأوائل فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأنا بذرة نبتت من شجرتهم المباركة فإليهم أرفع ثواب هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول في ذكر أن ميكائيل لم ير ضاحكاً منذ خلقت النار

روى أحمد في «المسند» عن أنس بن مالك عن رسول الله (ﷺ) أنه قال لجبريل: «ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكًا قط»؟

قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

الفصل الثاني في ذكر مقدار الفترة التي أوقد فيها على النار

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة».

الفصل الثالث في ذكر أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «ناركم جزء من

سبعين جزءًا من نار جهنم ».

قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية.

قال: « فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا ».

متفق عليه واللفظ للبخاري.

وفي رواية لمسلم: « ناركم التي يوقد ابن آدم ».

وروى الإمام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم ».

وأخرج الطبراني في « الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « أتدرون مثل ناركم هذه من نار جهنم لهي أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا ».

وأخرج البزار عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: « الرؤيا الصالحة بشرى وهي جزء من سبعين جزءًا من النبوة وإن ناركم يعني هذه جزء من سبعين جزءًا من سموم جهنم وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث ».

الفصل الرابع في ذكر عدد الملائكة الذين يجرون جهنم

أخرج مسلم والترمذي عنه (ﷺ) أنه قال: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ».

الفصل الخامس في ذكر كيف تتلقى النار أهلها

روى الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب ».

الفصل السادس في ذكر عظم ضرس الكافر

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن يزيد بن حيان التيمي قال: انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم وحدثنا في مجلس ذلك قال: «إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه مثل أحد».

الفصل السابع في ذكر المسافة بين منكبي الكافر

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».

وأخرج الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: «يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

الفصل الثامن في ذكر ضخامة لسان الكافر

أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس».

الفصل التاسع في ذكر مقدار غلظ جلد الكافر

أخرج البزار عن ثوبان قال: وسئل رسول الله (ﷺ) قال: «ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: «يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة اذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن عظم جلده سبعون ذراعاً وإن جلده مثل أحد».

الفصل العاشر في ذكر ضخامة مجلس الكافر في جهنم

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة».

الفصل الحادي عشر في ذكر عظم فخذ الكافر

أخرج الترمذي حديثاً في وصف فخذ الكافر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «وفخذه مثل البيضاء».

والبيضاء: اسم مكان بحمى الربذة.

وقيل: اسم جبل.

وأخرج أحمد في «المسند» وأبو يعلى حديثًا في وصف فخذ الكافر عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: «وفخذه مثل ورقان».

وورقان: بوزن قطران: جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المار من المدينة إلى مكة.

الفصل الثاني عشر في ذكر بكاء أهل النار وغزارة دموعهم كأنها الجداول

أخرج ابن ماجه وأبو يعلى: عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يا أيها الناس أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل يعني الدم فتقرح العيون».

الفصل الثالث في ذكر عظم شفة الكافر

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ».

الفصل الرابع عشر في ذكر أهون أهل النار عذابا

أخرج البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: « إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمر كان يغلي منها دماغه ».

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) قال: « أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ».

الفصل الخامس عشر في ذكر سرادق أهل النار

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة ».

الفصل السادس عشر في ذكر شدة عمق قعر جهنم

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي (ﷺ) إذ سمع وجبة فقال: « تدرون ما هذا »؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: « هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار حتى انتهى إلى قعرها ».

وأخرج الترمذي عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:

«إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا وما تفضي إلى قرارها».

قال: وكان عمر يقول: «أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامها حديد».

وأخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل».

الفصل السابع عشر في ذكر أن النار تأكل ابن آدم إلا أثر السجود

أخرج ابن ماجه في «السنن» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود».

الفصل الثامن في ذكر لو تنفس رجل من أهل النار

أخرج أبو يعلى عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «لو أن في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لاحترق المسجد ومن فيه».

الفصل التاسع عشر في ذكر أول من يكسى من حلل النار

أخرج الإمام أحمد والبزار عن أنس بن مالك قال: «أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعد، وذريته من بعده أو من خلفه وهو ينادي: يا ثبوراه وينادون: يا ثبورهم فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبورًا كثيرًا».

الفصل العشرون في ذكر أن النساء هن أكثر أهل النار

أخرج ابن حبان عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ﷺ) قال: «دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الفساق أهل النار».

قالوا: يا رسول الله ومن الفساق؟

قال: «النساء».

قال رجل: يا رسول الله أوليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا؟

قال: «بلى ولكنهن إذا أعطين لم يكشرن وإذا ابتلين لم يصبرن».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر من قتل نفسه بشيء عذب به

أخرج البزار عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله (ﷺ): «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة».

الفصل الثاني والعشرون في ذكر بئر في جهنم يقال له هبهب

وأخرج الطبراني عن محمد بن واسع قال: قلت لبلال بن أبي بردة: إن أباك حدثني عن رسول الله (ﷺ): «أن في جهنم واديًا في الوادي بئر يقال لها هبهب حقًا على الله أن يسكنها كل جبار عنيد».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر عقارب وحيات جهنم

أخرج الإمام أحمد والطبراني عن عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها سبعين خريفًا وإن في النار عقارب كأمثال

العقارب الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة».

البخت: هي جمال طوال الأعناق.

الفصل الرابع والعشرون في ذكر السحابة التي تمطر أهل النار

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله (ﷺ) قال: «ينشئ الله عز وجل لأهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب فيمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم وجمرًا يلهب عليهم».

الفصل الخامس والعشرون في ذكر جب الحزن الذي في جهنم

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تعوذوا بالله من جب الحزن».

قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟

قال: «وادٍ في جهنم إن جهنم لتعوذ بالله من شر ذلك الوادي من كل يوم أربعمائة مرة يلقي فيه الفرارون»

قيل: يا رسول الله وما الفرارون؟

قال: «المراءون بأعمالهم في الدنيا».

الفصل السادس والعشرون في ذكر مقامع الحديد التي في جهنم

أخرج الإمام أحمد في «المسند» وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: «لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قال رسول الله (ﷺ): «لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد».

الفصل السابع والعشرون في ذكر جبل الصعود الذي بجهنم

أخرج الترمذي عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك فيه أبدًا».

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال في قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعودًا﴾ قال: «جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله عليه ذابت فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر غي وهو واد بجهنم

أخرج الطبراني والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: «واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات».

قال زكي الدين المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني والبيهقي من رواية أبي عبيدة عن أبيه عبدالله بن مسعود ولم يسمع منه ورواة بعض طرقه ثقات. وفي رواية للبيهقي قال: «نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم» وإسناد هذا جيد لولا الانقطاع.

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «فسوف يلقون غياً» أي خسراناً. وقال قتادة: شرًّا. وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم» وقال الأعمش: عن زياد عن أبي عياض في قوله «فسوف يلقون غياً» قال «وادٍ في جهنم من قيح ودم». وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا

شرقي بن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال: جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله (ﷺ) فدعا بطعام ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): «لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفاً ثم تنتهي إلى غي وآثام».

قال: قلت: ما غي وآثام؟

قال: قال: «بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار».

الفصل التاسع والعشرون في ذكر موبق وهو واد بجهنم

روى البيهقي عن أنس بن مالك في قوله: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ قال: وادٍ من قيح ودم».

الفصل الثلاثون في ذكر وادي الحزن الذي في جهنم

روى البيهقي بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن».

قيل: يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن؟

قال: «وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة».

قيل: يا رسول الله من يدخله.

قال: «أعد للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء والجورة». وأخرجه ابن ماجه واللفظ له والترمذي وقال: حديث غريب.

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «إن في جهنم لواديًا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد (ﷺ)».

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر هوى وهو قصر في جهنم

أخرج ابن أبي الدنيا موقوفًا عن شفى بن ماتع وفي صحبته خلاف قال: « إن في جهنم قصرًا يقال له هوى يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفًا قبل أن يبلغ أصله قال الله تعالى: ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ وإن في جهنم واديًا يدعى آثامًا فيه حيات وعقارب فقار إحداهن مقدار سبعين قلّة سم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل ولا يلهيه ما يجد من حر جهنم عن حموة لدغتها فهو لمن خلق له وإن في جهنم واديًا يدعى غيًا يسيل قيحًا ودمًا وإن في جهنم سبعين داء كل داء جزء من أجزاء جهنم ».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر المهل

روى أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله « كالمهل » قال: « كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه ».

قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

قال الحافظ: قد رواه ابن حبان في « صحيحه » والحاكم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

قال ابن كثير في « تفسيره »: وقوله ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ الآية قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت.

وقال مجاهد: هو كالدم والقيح.

وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره.

وقال آخرون: هو كل شيء أذيب.

وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل.

وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأصناف الرذيلة كلها.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر الحميم

أخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان».

قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: «الحميم» هو المذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم﴾ وروى ابن عباس وغيره أن الحميم الحار الذي يحرق. وقال الضحاك: الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم وقيل: هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر الصديد

روى أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿ويُسقى من ماءٍ صديد﴾.

قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره».

قال الترمذي: حديث غريب.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر الغسلين

أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:

« لو أن دلوًا من غساق جهنم يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ».

قال الحاكم: صحيح الإسناد.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: «الغساق» هو المذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ وقوله ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا﴾.

وقد اختلف في معناه فقيل: هو ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه قاله ابن عباس وقيل: هو صديد أهل النار قاله إبراهيم وقتادة وعطية وعكرمة وقال كعب: هو عين في جهنم تسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه وقال عبدالله بن عمرو: الغساق القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب وقيل غير ذلك.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر نهر الغوطة الذي في النار

أخرج ابن حبان والحاكم وأحمد عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة».

قيل: وما نهر الغوطة؟

قال: «نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهم».

قال الحاكم: صحيح الإسناد.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر طينة الخبال وهي عصارة أهل النار

أخرج أحمد في «المسند» وابن حبان في «صحيحه» عن أسماء بنت يزيد

رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة فإن مات مات كافرًا فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال».

قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟

قال: «صديد أهل النار».

وفي رواية لابن حبان في «صحيحه» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟

قال: «عصارة أهل النار».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر الزقوم وهو من طعام أهل النار

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قرأ هذه الآية ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ فقال رسول الله (ﷺ): «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل النار معايشهم فكيف بمن يكون طعامه».

قال الحاكم: صحيح على شرطهما.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وروي موقوفًا عن ابن عباس.

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر الضريع وهو من طعام أهل النار

أخرج الترمذي والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع».

الفصل الأربعون في ذكر الطعام ذي الغصة الذي في النار

أخرج الحاكم موقوفًا عن شبيب بن شيبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿طعامًا ذا غصة﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج».

الفصل الحادي والأبعون في ذكر الويل وهو وادٍ في جهنم

أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه من النبي (ﷺ) قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره».

وفي رواية الترمذي: «واد بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره».

ورواه ابن حبان في صحيحه بنحو رواية الترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ورواه البيهقي من طريق الحاكم إلا أنه قال: «يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يفرغ من حساب الناس».

الفصل الثاني والأربعون في ذكر حزن جبريل عليه السلام لما رأى نفحة من جهنم

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي (ﷺ) حزينًا لا يرفع رأسه فقال له رسول الله (ﷺ): «ما لي أراك يا جبريل حزينًا»؟

قال: إني رأيت نفحة من جهنم فلم ترجع إليّ روحي بعد.

الفصل الثالث والأربعون في ذكر ما هو وقود أهل النار

قال الله تعالى: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.

وأخرج الحاكم موقوفًا وقال: صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ قال: «هي حجارة من كبريت

خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبدالله بن الوضاح حدثنا عبادة بن كليب عن محمد بن هاشم قال: ولما نزلت هذه الآية ﴿نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ قرأها النبي (ﷺ) فسمعها شاب إلى جنبه فصعق فجعل رسول الله (ﷺ) رأسه في حجره رحمة له فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر قال: أما يكفيك ما أصابك على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه وإن مع كل إنسان منهم حجرًا وشيطانًا».

الفصل الرابع والأربعون في ذكر سلاسل جهنم

أخرج أحمد في «المسند» والبيهقي والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): «لو أن رضاضة مثل هذه وأشار مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها».

قال الترمذي: إسناده حسن.

وأخرج الطبراني عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى النبي (ﷺ) قال: «ينشئ الله سحابة سوداء مظلمة فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب فتمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرًا تلتهب عليهم».

الفصل الخامس والأربعون في ذكر تبديل جلود أهل النار بجلود أخرى كلما نضجت جلودهم

قال الله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾.

روى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ﴿كلمت نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ قال: يا كعب خبرني عن تفسيرها فإن صدقت صدقتك وإن كذبت رددت عليك فقال: إن جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة مقدار ستة آلاف مرة قال: صدقت.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» وروي أيضًا عن الحسن وهو البصري قال: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب».

قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

الفصل السادس والأربعون في ذكر ماذا يفعل بأنعم أهل الدنيا في النار

أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ويصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط هل مر بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط هل مر بك من شدة قط فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط».

الفصل السابع والأربعون في ذكر الصندوق الذي يوضع فيه الرجل في النار ويقفل عليه بقفل من نار

روى البيهقي موقوفًا بسند حسن عن سويد بن غفلة قال: «إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل للرجل منهم صندوقًا على قدره من نار لا ينبض منه عرق إلا فيه مسمار من نار ثم تضرم فيه النار ثم يقفل بقفل من نار ثم

يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل ثم يُلقى أو يطرح في النار فذلك قوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوِّف الله به عباده يا عبادِ فاتقونِ﴾ وذلك قوله: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ قال: فما يرى أن في النار أحدًا غيره».

الفصل الثامن والأربعون في ذكر أن جهنم لا تمتلئ من سكانها أبدا ولا تشبع

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَطِ قَطِ بعزتك وكرمك».

الفصل التاسع والأربعون في ذكر تكليم الله لبعض أهل النار

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل: أخرجوهما فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما قالا: فعلنا ذلك لترحمنا قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردًا وسلامًا ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه فيقول له الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك فيقول: يا رب إني لأرجو ألا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني فيقول الرب: لك رجاؤك.

الفصل الخمسون في ذكر العنق التي تخرج من النار لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين».

الفصل الحادي والخمسون في ذكر أن أبا جهل هو فرعون هذه الأمة

ورد في مغازي موسى بن عقبة التي قال فيها مالك رضي الله عنه: مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي أن رسول الله (ﷺ) وقف على القتلى - أي في غزوة بدر - والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال: «اللهم لا تعجزني فرعون هذه الأمة» فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه لما قال رسول الله (ﷺ): «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد» ولمسلم «برك» فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، الحديث قال ابن مسعود: ثم احتززت رأسه.

الفصل الثاني والخمسون في ذكر الزبانية وهم خزنة النار

قال الله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي عدد الزبانية وهم خزنة جهنم.

أخرج البزار في «مسنده» من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا محمد غُلِبَ أصحابك اليوم فقال: «بأي شي»؟ قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عِدّة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله (ﷺ): «أفَغُلِبَ قوم يسئلون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم» عليَّ بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟

قال: «هكذا» وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لاصحابه: «إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك» فلما سألوه فأخبرهم بعدة

خزنة أهل النار قال لهم رسول الله (ﷺ): «ما تربة الجنة» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم.

فقال: «الخبز من الدرمك».

وكذا رواه الإمام أحمد والترمذي.

الفصل الثالث والخمسون في ذكر سجين وهو سجن في جهنم

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: ﴿وما أدراك ما سجين﴾؟ أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ثم قد قال قائلون هي تحت الأرض السابعة.

وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل: يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل: صخرة تحت السابعة خضراء.

وقيل: بئر في جهنم.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصح فقال: حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح».

الفصل الرابع والخمسون في ذكر الصراط وهو جسر على النار

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة

بأخذ من أمرت به فمخدوش ناجٍ ومكدوس في النار فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش ومكدوس في نار جهنم».

وروى البيهقي موقوفًا ومرسلًا عن عبيد بن عمير عن النبي (ﷺ) قال: الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب والحسك فيركبه الناس فيختطفون والذي نفسي بيده وإنه ليُؤخَذُ بالكُلّابِ الواحد أكثر من ربيعة ومضر».

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: «والصراط كحد السيف دحض مزلة قال فيمرون على قد نورهم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الرجل ويرمل رملًا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدميه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار».

الفصل الخامس والخمسون في ذكر شفاعته (ﷺ) لأمته وإخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها مؤمن قط

قال الله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.

أخرج مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

وأخرج البخاري في «الرقائق» ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «يدخل الله أهل الجنة يدخل من يشاء برحمته

ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية».

وأخرج أبو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وأخرج الترمذي عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا».

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا».

الفصل السادس والخمسون في ذكر آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك». قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة.

وروى مسلم عن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «إني

لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار رجل يخرج منها زحفًا فيقال له: انطلق فادخل الجنة فيذهب فيدخل الجنة فيرى الناس قد أخذوا المنازل فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول: نعم فيقال له: تمن فيتمنى فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك».

قال: فلقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه.

الفصل السابع والخمسون في ذكر اطلاع المصطفى (ﷺ) على جهنم في ليلة الإسراء والمعراج ومشاهدته لأنواع المعذبين فيها

أخرج الطبراني أنه (ﷺ) أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا وريحًا منتنة فقال: «ما هذا يا جبريل»؟

قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وعناقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني.

قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

قالت: قد رضيت.

الفصل الثامن والخمسون في ذكر رؤيته (ﷺ) لآكل الحرام وهو يعذب في جهنم

روى البيهقي عن أبي سعيد: أنه (ﷺ) رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون.

قال جبريل: هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام.

الفصل التاسع والخمسون في ذكر رؤيته (ﷺ) لأكلة الربا وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر على قوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر.

فقال له جبريل: هم أكلة الربا.

الفصل الستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بقوم مشافرهم كالإبل يلتقمون جمرًا فيخرج من أسافلهم.

فقال له جبريل: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا.

الفصل الحادي والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للنساء الزواني وهن يعذبن في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بنساء تعلقن بثديهن.

فقال له جبريل: هؤلاء النساء الزواني.

الفصل الثاني والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للغمازين واللمازين وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون فقال له جبريل: هؤلاء الغمازون اللمازون.

الفصل الثالث والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وهم يعذبون في جهنم

أخرج الإمام أحمد في «المسند» وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير

عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

الفصل الرابع والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للنمامين وهم يعذبون في جهنم

وفي هيئة من مشاهداته (ﷺ) رأى ملكًا وبين يديه آدمي وبيد الملك كلوب من حديد فيضعه في شدقه الأيمن فيشقه حتى ينتهي إلى أذنه ثم يأخذ في الأيسر فيلتئم الأيمن.

فقال: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار.

الفصل الخامس والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) لداعي اليهود وداعي النصارى وللدنيا قبل اطلاعه على حقيقة جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: دعاني داعٍ عن يميني أنظرني أسألك فلم أجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم أجبه وفيه: إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى.

فقالت: يا محمد أنظرني أسألك فلم ألتفت إليها وفيه أن جبريل قال له: أما الداعي الأول: فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك وأما الثاني: فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك وأما المرأة فهي الدنيا.

الخاتمة

اعلم أيدك الله وإياي بنور توفيقه أنه لما كان الغرض الأصلي من وضع هذا المصنف هو ترغيب الناس في الجنة وترهيبهم من النار لذا وجب على العاقل اللبيب والمؤمن الكيس الفطن أن يتذكر دائمًا أنه سوف يموت وهذه حقيقة لا مفر منها وهي من الحقائق الكبرى في علوم الدين وأساس الملة ومن ثم فإنه سوف يلاقي الحق سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾.

هذا ومن ثم يجب على أهل الإيمان وجوبًا ذوقيًا عرفانيًا لا وجوبًا يخرج عن هذا المعنى أن يتذكر أن مصيره سوف يؤول إما إلى جنة أو نار فأين المفر من هذه الحقيقة فليعمل لواحدة منها وليشغل قلبه وفؤاده بالفردوس الأعلى وليعرض بكله وكليته عن النار الكبرى وليسارع قبل أن لا يسارع وليصارع على هذا المقام قبل أن لا يصارع.

والله ولي التوفيق ★

كتاب
اللوح والقرطاس
في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس
(رضي الله عنه)

الحمد لله الذي أتم الشريعة بظهور شمسها محمد (ﷺ) فأضاء الأكوان بنوره. وعطر الدنيا والآخرة عبيره. ذاك الرسول المجاهد. والنبي الراكع الساجد. هو سلطان الدنيا والآخرة. وإمام الفانية والباقية. كل الأنبياء فيه قد ذابوا. وفي أنوار جماله قد غابوا.

لولاه لما كان الوجود أصلًا. وأنا متمكن من هذا القول لفظًا وفعلًا.

فإنَّ قدرَ رسول الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفمِ

وصلى الله على أستاذ الوجود. وكعبة أهل الشهود. إمام العالم. وكرسي المعالم. مولانا رسول الله محمد وعلى آله وصحابته وبعد:

فهذا كتابي «اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه».

وقد أودعته صدف المعارف. ورصعته بجواهر تتقاذف فإن علم فضائل صحابة رسول الله علم مشهور. وفقه مأثور. دع البحر والحبر كي يتكلم عن نفسه. ويترجم عن معرفته وقدسه.

هنا تتيه الرجال. وتوزن الخصال. وتفنى الأعمال. ولا قيراط ولا مثقال.

البحر النوري. والمحيط اللدني. ترجمان القرآن وقاموس الإيمان.

ابن عباس ذاك قطب برع وتربع. وفاق وراق. من مثله وقد شهد له الفاروق رضي الله عنه بقوله: «لقد أوتيت علمًا ما أوتيناه».

وقال فيه الإمام الأكبر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «إنه لغواص».

ودعا له النبي (ﷺ) «بالحكمة». ودعا له النبي (ﷺ) وقال: «نعم ترجمان القرآن أنت».

ودعا النبي (ﷺ) وقال: «اللهم احشُ جوفه حكمًا وعلمًا».

ودعا النبي (ﷺ) وقال: «اللهم علمه التأويل». واستبشر النبي (ﷺ) وقال: «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام».

وأوصى جبريل عليه السلام النبيَّ (ﷺ) به وقال: «إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوصى به خيرًا».

وقال طاووس: «أدركت نحوًا من خمسمائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عن نفسه: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله».

وكان يفتي جميع أهل الأذواق.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول في ذكر نسبه

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة ابن عباس رضي الله عنهما في الجزء الثالث:

حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير وأبو العباس عبدالله ابن عم رسول الله (ﷺ) العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد

مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه.

الفصل الثاني في ذكر كنيته

أجمع المؤرخون على أن كنيته أبو العباس.

قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: وكنيته أبو العباس. انتهى

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: وكنيته أبو العباس. انتهى.

وأقر هذه الكنية ابن عبد البر في «الاستيعاب». وأقرها الحافظ ابن حجر في «الإصابة». وترجم له بهذه الكنية يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ» في المجلد الأول.

الفصل الثالث في ذكر مولده

قام الإجماع على أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. قال الزبير بن بكار: ولد عبدالله بن عباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الخطيب في «تاريخ بغداد»: ولد بمكة في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ومولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس

قال: لما كان رسول الله (ﷺ) في الشعب جاء أبي إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل فقال: «لعل الله أن يقر أعينكم» قال: فلما ولدتني أُتي بي رسول الله (ﷺ) وأنا في خرقة فحنكني بريقه.

قال مجاهد: فلا نعلم أحدًا حنكه رسول الله (ﷺ) بريقه غيره.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» فولدت عبدالله بن عباس.

وعن عمرو بن دينار قال: ولد ابن عباس عام الهجرة وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال: ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين في الشعب.

ثم قال الواقدي: وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع. انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وقال أبو عبدالله بن منده كما نقل عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ولد قبل الهجرة بسنتين. انتهى.

الفصل الرابع في ذكر مقدار عمره

عندما توفي النبي (ﷺ) قال البخاري في «التاريخ الصغير»:

حدثني موسى بن إسماعيل ثنا أبو عَوَانة عن أبي بِشْر عن سعيد بن جبير ابن عباس:

توفي النبي (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين. وقال البخاري في «التاريخ الصغير»:

وعن شعبة قال: أخبرني أبو إسحاق سمع سعيد بن جبير عن ابن عباس: توفي النبي (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة والرواية الأولى أصح. انتهى

كلام البخاري في « التاريخ الصغير ».

وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون. انتهى.

قال ابن كثير في « البداية والنهاية »: وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في « الصحيحين » ورواه « مالك » عن الزهري عن عبيدالله عن ابن عباس قال: أقبلت راكبًا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله (ﷺ) يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار. انتهى.

وأخرج البخاري في « الجامع الصحيح » في الاستئذان في « باب الختان بعد الكبر » من طريق إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض النبي (ﷺ)؟ قال: أنا يومئذ مختون قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك. انتهى.

قال يعقوب بن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ »: حدثنا الربيع بن يحيى قال: حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وقد قرأت المحكم في القرآن وأنا يومئذ ابن عشر سنين. انتهى.

وروى الحاكم والطبراني وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة وأنا ختين. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »: المحفوظ الصحيح أنه ولد بالشعب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر وأورد بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال: ولدت وبنو هاشم في الشعب وهذا لا ينافي قوله: « ناهزت الاحتلام » ولا قوله: « وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك »

لاحتمال أن يكون أدرك فختن قبل الوفاة النبوية وبعد حجة الوداع وأما قوله «وأنا ابن عشر» فمحمول على إلغاء الكسر ورواية أحمد «وأنا ابن خمس عشرة» يمكن ردها إلى رواية ثلاث عشرة بأن يكون ابن ثلاث عشرة وشيء وولد في أثناء السنة فجبر الكسرين بأن يكون ولد مثلًا في شوال فله من السنة الأولى ثلاثة أشهر فأطلق عليها ستة وقبض النبي (ﷺ) في ربيع فله من السنة الأخيرة ثلاثة أخرى وأكمل بينهما ثلاث عشرة فمن قال: «ثلاث عشرة» ألغى الكسرين ومن قال: «خمس عشرة» جبرهما والله أعلم. انتهى كلام الحافظ في «فتح الباري». ونقل الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن الزبير بن بكار أنه قال: توفي رسول الله (ﷺ) ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. انتهى.

الفصل الخامس في ذكر والديه وإخوته

فأما والده فالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله (ﷺ).

قال ابن منده: وأما أمه فهي أم الفضل أخت أم المؤمنين ميمونة. انتهى.

حماد بن سلمة وغيره عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن عبدالله قال: بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (ﷺ) غُسْلًا فقال: «من وضع هذا»؟ قالوا: عبدالله فقال: «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين». أخرجه أحمد في «المسند» والحاكم وصححه والفسوي في «تاريخه» وابن سعد في «الطبقات الكبرى».

أخرج «الإسماعيلي» من طريق إسحاق بن موسى عن ابن عيينة عن عبيدالله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء. وأخرجه البخاري في «صحيحه» من طريق عبدالله بن محمد عن سفيان بن عينية عن عبيدالله قال: سمعت عبدالله بن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

وأخرجه البخاري أيضًا والطبري في «تفسيره» من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن عبدالله بن أبي مليكة أن ابن عباس تلا: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله وهو في «السنن الكبرى» للبيهقي.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلا»: وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية من هلال بن عامر. انتهى.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: وهو والد الخلفاء العباسيين وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس وهو آخرهم مولدًا وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر. انتهى.

وقال ابن كثير في موضع آخر من ترجمته في «البداية والنهاية»: وقد كان بنو العباس عشرة وهم الفضل وعبدالله وعبيدالله ومعبد وقثم وعبد الرحمن وكثير والحارث وعون وتمام وكان أصغرهم تمام ولهذا كان يحمله ويقول:

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كرامًا بررة
واجعلهم ذكرًا ونم الثمرة

وكلهم مات في بلد بعيد عن الآخر. فأما الفضل فمات بأجنادين شهيدًا وعبدالله بالطائف وعبيدالله باليمن ومعبد وعبد الرحمن بإفريقية وقثم وكثير بينبع وقيل: إن قثمًا مات بسمرقند.

وقد قال مسلم بن حماد المكي مولى بني مخزوم: ما رأيت مثل بني أم واحدة أشراف ولدوا في دار واحدة أبعد قبورًا من بني أم الفضل. انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: وهو ابن خالة خالد بن الوليد المخزومي. انتهى.

الفصل السادس في ذكر من صحبهم وقرأ عليهم

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء »:

صحب النبي (ﷺ) نحوًا من ثلاثين شهرًا وحدث عنه بجملة صالحة وعن عمر ومعاذ وعلي ووالده وعبد الرحمن بن عوف وأبي سفيان بن حرب وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وخلق. وقرأ على أُبيّ وزيد . انتهى.

قال الحاكم في « المستدرك »: جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله (ﷺ) قلت لرجل من الأنصار: هلُمَّ نسأل أصحاب رسول الله (ﷺ) فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي عليه السلام من ترى؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح عليَّ التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: هذا الفتى أعقل مني. صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قال ابن سعد في « الطبقات الكبرى »: أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله (ﷺ) وما نزل من القرآن في ذلك وكنت لا آتي أحدًا منهم إلا سر بإتياني إليه لقربي من رسول الله (ﷺ) فجعلت أسأل أبي بن كعب يومًا وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل سبع وعشرون سورة وسائرها مكي.

وقال الإمام أحمد في « المسند »: عن عبد الرزاق عن معمر قال: عامة علم ابن عباس من ثلاثة: من عمر وعلي وأبي بن كعب.

وقال طاووس: عن ابن عباس أنه قال: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله (ﷺ).

الفصل السابع في ذكر من رووا عنه وتتلمذوا على يديه

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير وطائفة.

روى عنه ابنه علي وابن أخيه عبدالله بن مَعْبَد ومواليه عِكْرِمةُ ومِقْسَم وكُرَيب وأبو مَعْبَد نافذ وأنس بن مالك وأبو الطُّفَيل وأبو أُمامة بن سهل وأخوه كَثير بن العباس وعروة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله وطاووس وأبو الشعثاء جابر وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير ومجاهد بن جَبْر والقاسم بن محمد وأبو صالح السمان وأبو رجاء العُطَارِدي وأبو العالية وعُبَيد بن عُمَير وابنه عبدالله وعطاء بن يسار وإبراهيم بن عبدالله بن معبد وأَرْبَدة التميمي صاحب التفسير وأبو صالح باذام وطليق بن قيس الحنفي وعطاء بن أبي رباح والشعبي والحسن وابن أبي سيرين ومحمد بن كعب القُرَظي وشَهْرُ بن حَوْشَب وابن أبي مُلَيْكة وعمرو بن دينار وعبيدالله بن أبي يزيد وأبو جَمْرة نصر بن عِمران الضُّبَعِي والضحاك بن مُزاحم وأبو الزبير المكي وبكر بن عبدالله المُزَني وحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن أبي الحسن وإسماعيل السُّدِّيُّ وخلق سواهم. انتهى كلام الذهبي.

وفي «التهذيب» من الرواة عنه مائتان سوى ثلاثة أنفس.

الفصل الثامن في ذكر صفته وسمته

قال عماد الدين أبو الفداء الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

كان جسيمًا إذا جلس يأخذ مكان رجلين جميلًا له وَفْرَة قد شاب مقدم رأسه وشابت لمته وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد حسن الوجه يلبس حسنًا ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق يقول النساء: هذا ابن

عباس أو رجل معه مسك وكان وسيمًا أبيض طويلًا جسيمًا فصيحًا ولما عمي اعترى لونه صفرة يسيرة. انتهى.

قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»: وروى شريك عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيت عبدالله بن عباس قلت: أجمل الناس فإذا تكلم قلت: أفصح الناس وإذا تحدث قلت: أعلم الناس. انتهى.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: كان أبيضَ طويلًا مُشربًا صُفرة جسيمًا وسيمًا صبيح الوجه له وَفْرة يخضب بالحناء دعا له النبي (ﷺ) بالحكمة.

سعيد بن سالم حدثنا ابن جُرَيج قال: كنا جلوسًا مع عطاء في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة الرابع عشر إلا ذكرت به ابن عباس. انتهى.

الفصل التاسع في ذكر أولاده ومواليه

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: وله جماعة أولاد أكبرهم العباس وبه كان يكنى وعليٌّ أبو الخلفاء وهو أصغرهم والفضل ومحمد وعبيدالله ولُبَابة وأسماء.

وأولاده الفضل ومحمد وعبيدالله ماتوا ولا عقب لهم ولبابة ولها عقب وأولاد من زوجها على بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وبنته الأخرى أسماء وكانت عند ابن عمها عبدالله بن عبيدالله بن العباس فولدت له حسنًا وحسينًا. انتهى.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وقد كان ابن عباس يلبس الحلة بألف درهم وكان له من الولد العباس وعلي وكان علي يدعى السَّجَاد لكثرة صلاته وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وقد قيل: إنه كان يصلي كل يوم

ألف ركعة وهو أبو الخلفاء العباسيين ففي ولده كانت الخلافة العباسية.

وكان له من الموالي: عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة وأبو عمرة وأبو عبيد. انتهى.

الفصل العاشر في ذكر صحبته منذ الصغر لرسول الله (ﷺ) ونشأته في بيت النبوة

فإنه كما مر قد صحب النبي (ﷺ) ثلاثين شهرًا وروى عنه جملة صالحة من المرويات وغير هذا فإن ميمونة زوجة النبي (ﷺ) كانت خالته وغير هذا فإنه كان ابن عم رسول الله (ﷺ) وكما ورد في الحديث قد صحب النبي (ﷺ) قبل بلوغه الحلم وقبل الثالثة عشرة وروي أنه كان يصلي خلف النبي (ﷺ) في آخر الليل وكان ينام عنده في بيته.

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا عبدالله بن بكر بن أبي صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبًا أخبره أن ابن عباس قال: أتيت رسول الله (ﷺ) من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله (ﷺ) على صلاته خَنَسْت فصلى رسول الله (ﷺ) فلما انصرف من صلاته قال: «ما شأني أجعلك حذائي فَتَخْنِسُ»؟

فقلت: يا رسول الله أوَيَنْبغي لأحد أن يصلّي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل؟.

قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا قال: ثم رأيت رسول الله (ﷺ) نام حتى سمعت نفخه ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله الصلاة فقام فصلى ما أعاد وضوءًا.

وروى أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند رسول الله (ﷺ) فقام إلى سقاء فتوضأ وشرب قائمًا قلت: والله لأفعلن كما فعل النبي (ﷺ) فقمت وتوضأت وشربت قائمًا ثم صففت

خلفه فأشار إليّ لأوازي به أقوم عن يمينه فأبيت فلما قضى صلاته قال: «ما منعك أن لا تكون وازيت بي» قلت: يا رسول الله أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازي بك فقال: «اللهم آته الحكمة».

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»:

حِبَّان بن علي عن رِشْدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال: أتيت خالتي ميمونة فقلت: إني أريد أن أبيت الليلة عندكم فقالت: وكيف تبيت وإنما الفراش واحد فقلت: لا حاجة لي به أفرش إزاري وأما الوساد فأضع رأسي مع رءوسكما من وراء الوسادة قال: فجاء النبي (ﷺ) فحدثته ميمونة بما قال ابن عباس فقال: «هذا شيخ قريش».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ﷺ) المخرج وخرج فإذا تَوْرٌ مُغَطَّىً قال: «من صنع هذا»؟ فقلت: أنا فقال: «اللهم علمه تأويل القرآن». وصححه الحاكم.

الفصل الحادي عشر في ذكر رؤيته لجبريل عليه السلام

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء»: حدثنا مخلد بن جعفر أبو عيسى الختلي ثنا أحمد بن منصور ثنا سعدان بن جعفر المروزي ـ ثقة أمين ـ عن عبد المؤمن بن خالد قال سمعت عبدالله ابن بريدة يحدث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرًا.

وأخرج أحمد في «المسند وأبو داود الطيالسي والبلاذري والطبراني من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند النبي (ﷺ) وكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده فقال: ألم تر ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه قال: أوكان

عنده أحد؟ قلت: نعم فرجع إليه فقال: يا رسول الله هل كان عندك أحد؟ فقال لي: «هل رأيته يا عبدالله؟ قال: نعم قال: «ذاك جبريل فهو الذي شغلني عنك».

وأخرج الطبراني عن المنهال بن بحر حدثنا العلاء بن محمد عن الفضل بن حبيب عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: مررت برسول الله (ﷺ) وعليه ثياب نقية وهو يناجي دحية بن خليفة الكلبي وهو جبريل وأنا لا أعلم فقال: من هذا؟ فقال: ابن عمي قال: ما أشد وسخ ثيابه أما إن ذريته ستسود بعده ثم قال لي رسول الله (ﷺ): «رأيت من يناجيني»؟ قلت: نعم قال: «أما إنه سيذهب بصرك».

وقال الدارقطني: حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا: حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبي مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: رأيت جبريل مرتين ودعا إليَّ رسول الله (ﷺ) بالحكمة مرتين.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل وعفان المعني قالا: ثنا حماد ثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند النبي (ﷺ) وعنده رجل يناجيه قال عفان: وهو كالمعرض عن العباس فخرجنا من عنده فقال العباس: ألم أر ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه قال عفان: قال عباس: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم فرجع إليه فقال: يا رسول الله هل كان عندك آنفًا؟ فإن عبدالله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك قال: هل رأيته يا عبدالله؟ قال: قلت نعم قال: ذاك جبريل عليه السلام» وقد روي من حديث المهدي عن آبائه وفيه أن رسول الله (ﷺ) قال له: أما إنك ستصاب في بصرك» وكان كذلك.

الفصل الثاني عشر في ذكر أنه قرأ المفصل على عهد رسول الله (ﷺ) وكان ابن بِضْع عشْرة سنة ؟

قال البخاري في «التاريخ الصغير»: حدثنا أحمد بن يونس ثنا أبو بكر عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس: قرأت على عهد رسول الله (ﷺ) المحكم يعني المفصل وكان ابن بضع عشرة سنة.

قال البخاري في «التاريخ الصغير»: حدثنا محمد بن رافع ثنا ابن آدم ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن زياد عن أبي العالية عن ابن عباس قال: قرأت المحكم علي عهد رسول الله (ﷺ) وأنا ابن اثنتي عشرة سنة.

وأخرج الطيالسي والطبراني من طريق هيثم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله (ﷺ) وقبض وأنا ابن عشر حجج.

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أحمد بن عبدالله قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس قال: قرأت المحكم على عهد رسول الله (ﷺ) - يعني المفصل - قال: وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة.

الفصل الثالث عشر في ذكر أنه خُتِنَ على عهد رسول الله (ﷺ)

روى البخاري في «الجامع الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا مختون وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم.

وقال شعبة وهشام وابن عوانة: عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين مختون زاد هشام: وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله (ﷺ) قلت: وما المحكم قال: المفصل.

قال أبو داود الطيالسي: عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون.

وروى الحاكم في «المستدرك»: عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة وأنا ختين. صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرج البخاري في «الجامع الصحيح» في الاستئذان: «باب الختان بعد الكبر» من طريق إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض النبي (ﷺ)؟ قال: أنا يومئذ مختون قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك.

الفصل الرابع عشر في ذكر تسميته «البحر»

قال أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد»: أخبرنا ابن الفضل قال أنبأنا عبدالله بن جعفر قال نبأنا يعقوب بن سفيان قال نبأنا أبو بكر بن أبي شيبة قال نبأنا أبو أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه.

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء»: حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا عمر بن محمد بن الحسن ثنا أبي عن شريك عن سعيد بن مسروق عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال: كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وروى في «الحلية»: عن عبد المؤمن بن خالد: عن ابن بريدة عن ابن عباس: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرًا.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: كوثر بن حكيم -واه- عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا: «إن حبر هذه الأمة ابن عباس».

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر الحميدي قال: حدثنا عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن زيد: إنهم يزعمون أن رسول الله (ﷺ) نهى عن لحوم الحمر الأهلية قال: أين ذلك البحر -يعني ابن عباس- وقرأ: ﴿قل لا أجد فيما أوحيَ إليَّ محرمًا....﴾ الآية.

الفصل الخامس عشر في ذكر تسميته «ترجمان القرآن»

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثني إسماعيل بن الخليل قال: أخبرنا علي بن مسهر قال: أخبرنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشَّره منا رجل قال الأعمش: وسمعتهم يتحدثون أن عبدالله قال: ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثني ابن نمير قال: حدثنا حفص عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال عبدالله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

قال أبو نعيم في «الحلية»: حدثنا أبو بكر الطلحي ثنا جعفر بن أحمد بن عمران ثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي الكوفي ثنا عبدالله بن خراش عن العوام ابن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: دعا لي رسول الله (ﷺ) بخير كثير وقال: «نعم ترجمان القرآن أنت».

قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي قال نبأنا علي بن إسحاق المادرائي قال نبأنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة قال أنبأنا جعفر بن عون عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله قال: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل قال: وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

قال ابن الأثير في «النهاية»: ما عاشره أي ما بلغ أحد منا عشر علمه وفي المخطوطة: ما عشره وهو خطأ.

الفصل السادس عشر في ذكر تسميته «حبر الأمة»

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا عمر بن محمد بن الحسن ثنا أبي عن شريك عن سعيد بن مسروق عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال: كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وروى أيضًا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن ابن عباس قال: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوصِ به خيرًا.

الفصل السابع عشر في ذكر دعاء رسول الله (ﷺ) له بالحكمة

روى البخاري في «الجامع الصحيح» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني النبي (ﷺ) إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة.

وأخرج الترمذي بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله (ﷺ) أن يؤتيني الحكمة مرتين.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني رسول الله (ﷺ) ثم قال: «اللهم علمه الحكمة».

وأورد أبو عمر ابن عبد البر في «الاستيعاب»: قال مجاهد عن ابن عباس: رأيت جبرئيل عند النبي (ﷺ) مرتين ودعا لي رسول الله (ﷺ) بالحكمة مرتين.

الفصل الثامن عشر في ذكر دعاء
النبي (ﷺ) له بالتفقه في الدين

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) دخل الخلاء فوضعتُ له وضوءًا. فلما خرجَ قال: من وضع هذا؟ قلتُ: ابنُ عباس قال: «اللهم فقهه».

وأخرج البخاري في «الجامع الصحيح» في الوضوء: في «باب وضع الماء عند الخلاء» من طريق عبدالله بن محمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ورقاء عن عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال: وضعت لرسول الله (ﷺ) وضوءًا فقال: «اللهم فقهه في الدين».

الفصل التاسع عشر في ذكر
قول النبي (ﷺ) في حقه «اللهم علِّمْهُ التأويل»

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبدالله بن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال: «اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعَلِّمْهُ التأويل».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) وضع يده على رأس عبدالله فقال: «اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل»

وأخرج الحاكم في «المستدرك» وصححه: عن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ﷺ) المخرج وخرج فإذا تَوْرٌ مُغَطًّى قال: «من صنع هذا»؟ فقلت: أنا فقال: «اللهم علمه تأويل القرآن».

وأخرج الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن عبدالله قال: بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (ﷺ) غسلًا فقال: «من وضع هذا»؟ قالوا: عبدالله فقال: «اللهم علمه التأويل وفَقِّهْهُ في الدين».

الفصل العشرون في ذكر قول النبي (ﷺ) فيه : «اللهم احش جوفه حكماً وعلماً

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء»: حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبدالله بن سعيد الرقي ثنا عامر بن سيار ثنا فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) وضع يده على رأس عبدالله فقال: «اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل» ووضع يده على صدره فوجد عبدالله بن عباس بردها على ظهره ثم قال: «اللهم احش جوفه حكمًا وعلمًا» فلم يستوحش في نفسه إلى مسألة أحد من الناس ولم يزل حبر هذه الأمة حتى قبضه الله عز وجل.

الفصل الحادي والعشرون في ذكر أنه لم يحنك أحد بريق النبوة سوى ابن عباس رضي الله عنه

روى الطبراني عن ابن عباس قال: لما كان النبي (ﷺ) بالشعب أتى أبي النبي (ﷺ) فقال: يا محمد ما أرى أم الفضل إلا قد اشتملت على حمل قال: لعل الله أن يقر أعيننا بغلام فأتى بي النبي (ﷺ) وأنا في خرقي فحنكني.

قال مجاهد: لا نعلم أحدًا حنك بريق النبوة غيره. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: رواه الطبراني متصلًا ورجاله وثقوا فيهم ضعف ورواه مختصرًا بإسناد منقطع.

الفصل الثاني والعشرون في ذكر أنه كان أعلم الأمة الإسلامية في عصره

قال الواقدي: حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاووس عن أبيه قال: كان ابن عباس قد يسبق الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودِيّ الصغار. ـ السحوق: أي الطويلة. والودي: كغني صغار الفسيل.

وأخرج الفسوي في «تاريخه» وابن سعد في «الطبقات»: عن ابن جريج

عن طاووس قال: ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس.

وأخرج البلاذري في «أنساب الأشراف»: من طريق خلف بن هشام البزار حدثنا شريك بن عبدالله عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عباس قلتُ: أجمل الناس فإذا نطق قلتُ: أفصح الناس فإذا تحدث قلتُ: أعلم الناس.

قال سفيان بن عيينة: لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه ولا مثل الشعبي في زمانه ولا مثل الثوري في زمانه.

وقال ليث بن سليم: قلت لطاووس: لم لزمت هذا الغلام؟ -يعني ابن عباس- وتركت الأكابر من الصحابة؟ فقال: إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله.

وقال طاووس: ما رأيت أفقه منه.

وقال طاووس: وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: عن أبي أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس أمدهم قامة وأعظمهم جفنة وأوسعهم علمًا.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وكان يلقى عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعًا فكان معاوية يقول: ما رأيت أحدًا أحضر جوابًا منه.

وروى الخطيب في «تاريخ بغداد»: عن مسروق عن عبدالله قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل.

أي ما بلغ معشار علمه أعلم رجل منا.

ومن ألقابه: البحر وحبر الأمة وترجمان القرآن وهي تدل على قوة علمه وغزارة فهمه وتبحره.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: عن عكرمة: سمعت معاوية يقول لي:

مولانا والله أفقه من مات ومن عاش.

وأخرج البلاذري في «أنساب الأشراف»: من طريق عبدالله بن صالح وعمرو عن يحي بن يمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال: قال عمر لابن عباس: لقد علمت علمًا ما علمناه.

وروى محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول حين بلغه موت عبدالله بن عباس وصفق بإحدى يديه على الأخرى: مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: لما مات ابن عباس قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

الفصل الثالث والعشرون في ذكر أن النبي (ﷺ) استبشر بولادته

روى الطبراني: عن ابن عباس قال: لما كان النبي (ﷺ) بالشعب أتى أبي النبي (ﷺ) فقال: يا محمد ما أرى أم الفضل إلا قد اشتملت على حمل قال: «لعل الله أن يقر أعيينا بغلام» فأتي بي النبي (ﷺ) وأنا في خرقي فحنكني.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» فولدت عبدالله بن عباس.

فمن تتبع النصوص وجد قول النبي (ﷺ): «لعل الله أن يقر أعيينا بغلام» وقوله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» وهذا لم يقله النبي (ﷺ) في مولد سوى ابن عباس رضي الله عنه فيما علمناه وهي من أعظم البشرى له الدالة على علو مقامه من استبشار النبي (ﷺ).

الفصل الرابع والعشرون في ذكر أنه أعلم الصحابة والأمة بعلوم القرآن

أخرج الطبراني في «تفسيره» من طريق عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كل القرآن أعلمه إلا ثلاثًا «الرقيم» و«غسلين» و«حنانًا».

وقال أبو معاوية: عن الأعمش عن أبي وائل قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويفسرها فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: ذكر الحلواني قال: حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا شقيق قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت.

وروى الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر قال: ثنا سفيان قال: حدثنا عبدالله بن أبي يزيد قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: دخلنا على ابن عباس فقال: سلوني عن سورة البقرة وسورة يوسف فإني قرأت القرآن وأنا صغير.

وقد ثبت أنه قرأ المفصل من القرآن وهو ابن عشر حجج كما ورد في روايه أبي داوود الطيالسي.

الفصل الخامس والعشرون في ذكر قول عكرمة: «كان ابن عباس أعلم بالقرآن من علي»

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد عن الزبير بن الخريت قال: قال عكرمة: كان ابن عباس أعلم بالقرآن من

علي وكان علي أعلم بالمبهات من ابن عباس. ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » . انتهى .

قال إسحاق بن راهويه : إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة مع دعاء رسول الله (ﷺ) أن يعلمه الله الكتاب . انتهى .

الفصل السادس والعشرون في ذكر أنه أعلم أهل عصره بالسنة

قال ابن كثير في « البداية والنهاية » : عن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد (ﷺ) .

قال الواقدي : حدثني داود بن هند عن سعيد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس اعلم الناس . وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيدالله بن عتبة قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبق إليه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه وحلم ونسب ونائل وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي (ﷺ) منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه في رأي منه .

الفصل السابع والعشرون في ذكر علو مقامه عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج البلاذري في « أنساب الأشراف » عن سعيد بن جبير قال : قال عمر لابن عباس : لقد علمتَ علمًا ما علمناه .

وأخرج الحاكم في « المستدرك » من طريق معمر عن الزهري قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدّعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال : ذاكم فتى الكهول إن له لسانًا سؤولًا وقلبًا عقولًا .

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » : موسى بن عبيدة عن يعقوب بن زيد

قال: كان عمر يستشير ابن عباس في الأمر إذا أهمه ويقول: غُصْ يا غوّاصُ.

أبو يحي الحِمَّاني: حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال عمر: لا يلومني أحد على حب ابن عباس.

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن مجالد عن الشَّعبيِّ قال: قال ابن عباس: قال لي أبي: يا بني إن عمر يدنيك فاحفظ عني ثلاثًا: لا تفشينَّ له سرًا ولا تغتابن عنده أحدًا ولا يجربن عليك كذبًا.

وفي «طبقات ابن سعد» الواقدي: حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص سمعت أبي يقول: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا ولا أبرَّ لُبًّا ولا أكثر علمًا ولا أوسع حلمًا من ابن عباس لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات فيقول: قد جاءت معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر.

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: الواقدي حدثنا موسى بن حمد التيمي عن أبيه عن مالك بن أبي عامر سمع طلحة بن عبيدالله يقول: لقد أعطي ابن عباس فهمًا ولقنًا وعلمًا ما كنت أرى عمر يقدِّم عليه أحدًا.

الفصل الثامن والعشرون في ذكر أنه كان متبحراً في سائر العلوم وكان يفتي كل أرباب العلوم

قال أبو عمر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: قرأت على أحمد بن قاسم أن محمد بن معاوية حدثهم قال: حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال: حدثنا يحي بن معين قال: حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب وناس يأتون لأيام الحرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه ما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما شاءوا.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب»: وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسًا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس: الحلال والحرام والعربية والأنساب وأحسبه قال: والشعر.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال يونس بن بكير: حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب قال: فدخلت عليه وأخبرته بمكانهم على بابه فقال لي: ضع لي وضوءًا قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثرهم ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال: إخوانكم فخرجوا.

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أنه أول من أسس علم التفسير وأنشأ دعائمه وعرف أصوله وأقام مجالسه وبين غوامضه وأنه أول من نشره في البلدان والأمصار

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال محمد بن سعد: ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي -وهو من أرسله الحكم بن أديب- إلى

الحسن سأله عن أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ قال: ابن عباس وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية وقد روي من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه.

وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال: كان ابن عباس أول من عرَّف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفًا حرفًا.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأسأل عنها.

وروي عنه أنه قال: أربع من القرآن لا أدري ما به جيء: الأواه والحنان والرقيم والغسلين وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع.

الفصل الثلاثون في ذكر أنه كان أعلم الناس بالمناسك والحج

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو نعيم قال: ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبدالله بن سيف قال: قالت عائشة: من جعل على الموسم العام؟ قالوا: ابن عباس. قالت: هو أعلم الناس بالحج.

وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن عائشة قالت: أعلم من بقي بالحج ابن عباس.

وكان يحج بأهل المدينة ويكون أمير الحج.

روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن عمرو بن دينار أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم فدخل على عثمان فأمَّره فحج ثم رجع.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجًا معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

سليم بن أخضر عن سليمان التيمي قال: أنبأ من أرسله الحكم بن أيوب إلى الحسن فسأله: من أول من جمع الناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ فقال: إن أول من جمع ابن عباس. انتهى.

قال الإمام عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الحافظ في تاريخه المسمى «البداية والنهاية»:

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور وفي غيبته هذه قتل عثمان. انتهى.

وقال ابن كثير في موضع آخر من «البداية والنهاية»: قالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس: هو أعلم الناس بالمناسك. انتهى.

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر إعجاب الإمام علي كرم الاله وجهه باجتهاده وعلمه

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا سليمان بن حرب وأخبرنا جرير عن أيوب عن عكرمة أن عليًا أتى بقوم من الزنادقة أو مرتدين فأمر بهم فحرقوا فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم لقول رسول الله (ﷺ) ولما حرقتهم لنهي رسول الله (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ): «من بدل دينه فاقتلوه» فبلغ قول ابن عباس عليًا فقال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات.

ورواه الترمذي في الحدود: «فبلغ ذلك عليًا فقال: صدق ابن عباس».

ورواه البلاذري ولفظه: «لله در ابن عباس».

رواه أبو داود في أول الحدود ولفظه: «ويح أم ابن عباس».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة ابن عباس في الجزء الثامن: وقد كان ابن عباس ينتقد على عليّ في بعض أحكامه فيرجع إليه عليّ في ذلك. انتهى.

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر رجوع الصحابة رضوان الله عليهم إلى قوله

عن طاووس قال: أدركت نحوًا من خمس مائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله. أورده الذهبي في « سير أعلام النبلاء ».

قال ليث بن سليم: قلت لطاووس: لم لزمت هذا الغلام؟ -يعني ابن عباس- وتركت الأكابر من الصحابة؟

فقال: إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أنه كان من الراسخين في العلم

قال ابن كثير في « البداية والنهاية »: وقد روينا عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر تأويله للنصوص الغامضة

أخرج البخاري في « الجامع الصحيح » في « المناقب » و« المغازي »: « باب منزل النبي (ﷺ) يوم الفتح » وفي « المغازي »: « باب مرض النبي (ﷺ) ووفاته » وفي « التفسير »: « باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ »: من طريقين عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ وقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول قلت: هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه له قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد

ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وروى هذا الحديث البلاذري في «أنساب الأشراف» في المجلد الثالث وأخرجه أحمد في «المسند» والترمذي والحاكم في «المستدرك» والطبراني وأبو نعيم في «الحلية» وابن جرير في «تفسيره» في المجلد الثلاثين.

وقد كان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات ولا يقدم عليه أحدًا وكان يسأله عن المشكل الصعب من النصوص وقال له الإمام علي رضي الله عنه: ويح ابن أم الفضل إنه لغوّاص على الهنات.

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول له: غص يا غواص.

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر تواضعه وحلمه

روى ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله (ﷺ)

قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد: أرني يديك؟ فأخرج يديه فقبلها فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وروى البيهقي والحاكم: عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهمس عن عبدالله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو إليه ولعلي لا أقاضي إليه ولا أحاكم أبدًا، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به وما لي بها من سائمة أبدًا.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر شدة كرمه وعظم نفقته

قال أبو بكر بن أبي شيبة: عن أبي أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس أمدهم قامة وأعظمهم جفنة وأوسعهم علمًا.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: روى جُوَيبر عن الضحاك قال: ما رأيت بيتًا أكثر خبزًا ولحمًا من بيت ابن عباس.

ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف.

مالك بن دينار عن عكرمة: كان ابن عباس يلبس الخَزَّ ويكره المُصْمَتَ.

الخز: ثياب تنسج من صوف وإبريسم، والمصمت هو الذي جميعه إبريسم ولا يخالطه قطن ولا غيره. وقد روي أنه كان يجتمع في داره الناس حتى تمتلئ وتفيض إلى خارجها حتى كان يأمر خادمه فيخرجهم ويأتي بغيرهم ويقول لهم: إخوانكم. وهذا دال على عظم كرمه وجاهه.

وأورد الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن حبيب بن أبي ثابت: أن أبا أيوب الأنصاري أتى معاوية فشكا دينًا فلم يرَ منه ما يحب فقدم البصرة فنزل على ابن عباس ففرَّغ له بيته وقال: لأصنعن بك كما صنعتَ برسول الله (ﷺ) ثم قال: كم دينك؟

قال: عشرون ألفًا فأعطاه أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا وكل ما في البيت.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر تمسكه بالسنة ومحاربته للبدعة

قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: وقال أبو الزناد عن عبيدالله بن عبدالله قال: ما رأيت أحدًا كان أعلم بالسنة ولا أجل رأيًا ولا أثقب نظرًا من ابن عباس ولقد كان عمر يُعِدُّه للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين.

قال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلًا قط.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»: من طريق أبي بكر بن خلاد عن إسحاق بن إبراهيم الحربي عن عباد بن موسى عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: قال لي معاوية: أنت على ملة علي؟

قلت: ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله (ﷺ).

وأخرج« في «الحلية» عن طاووس قال: ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لحرمات الله من ابن عباس.

وأورد ابن كثير في «البداية والنهاية» عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد (ﷺ).

وقال عبيدالله بن عتبة: ما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي (ﷺ) منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه.

وقال ابن وهب: عن سفيان بن عيينة عن عبيدالله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها وإن لم تكن ـ وهي في السنة ـ قال بها فإن لم يقلها رسول الله (ﷺ) ووجدها عن أبي بكر وعمر قال بها وإلا اجتهد رأيه.

أبو عوَانة: عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي أن يراني الله في الحمام متجردًا.

أبو عوانة: عن أبي الجويرية قال: رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقة أو فوق ذلك وعليه قطيفة رومية وهو يصلي.

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر زهده وعبادته وورعه

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال: كان في هذا المكان ـ وأومأ إلى مجرى الدمع من خديه ـ يعني خدي ابن عباس ـ مثل الشراك البالي من البكاء.

وقال غيره: كان يصوم يوم الاثنين والخميس ويقول: أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم. انتهى.

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفًا حرفًا ويكثر من ذلك النشيج والنحيب ويقرأ: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه فقيل له في ذلك فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى فلما ذهبتا اطمأن قلبي. انتهى.

قال أبو القاسم البغوي: ثنا علي بن الجعد ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقال له الطبيب: ننزع من عينيك الماء على أن لا تصلّي سبعة أيام فقال: لا إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: معتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم عن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

عبد الوهاب الخفاق عن أبي أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال: يا ابن عباس كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.

وروى أبو نعيم في «الحلية»: عن ابن عباس قال: ذهب الناس وبقي النَّسْنَاس قيل: وما النَّسْنَاس؟ قال: الذين يشبهون الناس وليسوا بناس.

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر لباسه

أبو عَوَانة: عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي أن يراني الله في الحمام متجردًا.

أبو عَوَانة: عن أبي الجُوَيرية قال: رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقه أو فوق ذلك وعليه قطيفة رومية وهو يصلي.

رِشْدِين بن كُرَيب: عن أبيه قال: رأيت ابن عباس يعتم بعمامة سوداء فيرخي شبرًا بين كتفيه ومن بين يديه.

ابن جُرَيج: عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف.

أبو نُعَيم: حدثنا سلمة بن شابور قال رجل لعصية: ما أضيق كمك قال: كذا كان كم ابن عباس وابن عمر.

مالك بن دينار: عن عكرمة: كان ابن عباس يلبس الخَزّ ويكره المُصْمَتَ.

الفصل الأربعون في ذكر تبشير النبي (ﷺ) ببني العباس

روى أبو نعيم في «الحلية»: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله (ﷺ) فتلقاه العباس فقال: «ألا أبشرك يا أبا الفضل»؟ قال: بلى يا رسول الله قال: «إن الله عز وجل افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختتمه».

وروى أبو نعيم في «الحلية» من طريق عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «يكون من ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي يعز الله بهم الدين».

الفصل الحادي والأربعون في ذكر كراماته

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال حسين بن واقد المروزي: حدثنا أبو الزبير قال: لما مات ابن عباس جاء طائر أبيض فدخل في أكفانه. رواها الأجلح عن أبي الزبير فزاده: فكانوا يرون أنه علمه.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير نحوه وزاد: فما رؤي بعد هذا الطائر.

وروى حماد بن سلمة: عن يعلى بن عطاء عن بجير بن أبي عبيد قال: مات ابن عباس بالطائف فلما خرجوا بنعشه جاء طير عظيم أبيض من قبل وَجّ حتى خالط أكفانه ثم لم يروه فكانوا يرون أنه علمه.

وروى في «الحلية» عن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سُوِّي عليه سمعنا صوتًا نسمع صوته ولا نرى شخصه: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو نعيم قال: ثنا بسام الصيرفي قال: حدثني عبدالله بن يامين قال: أخبرني أبي: أنه لما مر بجنازة ابن عباس بالجيرة ـ وهو واد ـ جاء طير أبيض يقال له الغرنوق فدخل في النعش فلم يُرَ بعد.

الفصل الثاني والأربعون في ذكر تسميته رباني هذه الأمة

أخرج ابن سعد والبلاذري والحاكم في «المستدرك» أن ابن الحنفية لما دفن ابن عباس قال: اليوم مات رباني هذه الأمة.

الفصل الثالث والأربعون في ذكر وفاته

قال علي بن المديني: توفي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين.

وقال الواقدي والهيثم وأبو نعيم: سنة ثمان.

وقيل: عاش إحدى وسبعين سنة.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب»: ومات عبدالله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى

الطائف ومات بها وهو ابن سبعين سنة وقيل: ابن إحدى وسبعين سنة وقيل: ابن أربع وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وكبر عليه أربعًا وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة وضرب على قبره فسطاطًا. انتهى.

قال البخاري في «التاريخ الصغير»: حدثني الحسن بن واقع ثنا صخرة قال: مات ابن عباس سنة سبعين بالطائف.

كتاب
علاج الشهوة الجنسية
بالقرآن والسنة المحمدية

المقدمة

الحمد لله في شؤونه العليا. فإنه سبحانه وتعالى ملك الدنيا والآخرة. صاحب العظمة الكلية. والأمجاد الفخرية. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. ووصفه وقدسه.

وأصلي وأسلم على عـرش القيامة وساقي الندامى. بكأس مدامة. محمد فخر الوجود. وقطب الشهود. العالي المقام. والكامل الكمال والجمال على التمام. وبعد.

فهذه نبذة سريعة. وعجاله بديعة قد صنفتها لخاصة الشباب في كيفية مقاومة الشهوة الجنسية. على الكتاب والسنة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول في مقاومة الشهوة الجنسية بالزواج

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن أعظم ما يقاوم به المرء شهوته هو الزواج فقد أخبرنا الحق تعالى بذلك في محكم آياته عز وجل حيث يقول: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم

أزواجًا﴾. وقد صح في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) أنه قال: «الزواج نصف الدين».

وأخرج أحمد في مسنده: عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسِّواك والنكاح».

ولقد عرفنا رسول الله (ﷺ) أن اعتزال النساء بترك الزواج ليس من سنته وأن عين الكمال في اقتفاء سنته الغراء (ﷺ) وحديث الرهط الثلاثة مشهور.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي (ﷺ) قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول الله (ﷺ) إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وورد عند البخاري في صحيحه أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أراد أن يتبتل فنهاه النبي (ﷺ) عن ذلك.

وكان رسول الله (ﷺ) يقول: «حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي والحاكم في المستدرك وأحمد في «المسند».

وكان سليمان بن داود عليه السلام يطوف في الليلة الواحدة على مائة امرأة. أخرج البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلامًا يقاتل في سبيل الله» وذكر الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي

(ﷺ) يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما توفي النبي (ﷺ) حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء أخرجه النسائي.

الفصل الثاني في مقاومة الشهوة الجنسية بالجوع

واعلم أيدك الله أن أصل الشهوة الشبع وامتلاء البطن بالطعام الفاخر واللذات والمشتهيات.

وقد صح عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ما مُلِيءَ وعاء شر من بطن ابن آدم ».

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن عائشة رضي الله عنها قالت: لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدًا (ﷺ) كان يؤثر على نفسه.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) أنه قال: « إن أهل الجوع هم أهل الشبع في الآخرة ».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « ما شبع النبي (ﷺ) ثلاثة أيام تباعًا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا ».

وقد حكي عن رويم أنه قال: لم يخطر ببالي ذكر الطعام عشرين سنة حتى يحضر.

وحكي عن بشر الحافي أنه رؤي في السوق فسئل عن ذلك فقال: إن نفسي تطالبني منذ سنين بخيارة فمنعتها ورضيت الآن بالنظر إليها فأعطيتها.

وأخرج ابن ماجة في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي (ﷺ) فقال له: « كفَّ عنا جشأك فأكثرهم شِبَعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا يوم القيامة ».

وقال يحيى بن معاذ: لو كان الجوع يباع في الأسواق لما كان لطلاب الآخرة أن يشتروا سواه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: كان بلية آدم في أكله وهي بليتكم إلى يوم القيامة. وقال سهل بن عبدالله التستري: لئن أترك من عشائي لقمة أحب إليَّ من إحياء ليلة.

الفصل الثالث في مقاومة الشهوة الجنسية بالصوم

روى البخاري في الصحيح عن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». واعلم أيدك الله أن الصوم هو أحد أساليب تجويع النفس المنتظمة وقد كان يفعله الكثير من أجلاء السلف الصالح وزهادهم.

وفضائل الصوم كما ترى معروفة ومدونة في كتب الحديث.

وقد أورد ابن عطاء الله في «المنن» أن أبا الحسن الشاذلي مكث في مغارة ستة أيام لا يأكل فخرج من المغارة وهو يتعجب فرأى امرأة حسناء تقول: انظروا إلى من جاع ستة أيام فصار يمن على الله وأنا لي ستة أشهر لم آكل.

واعلم أن الولي إنما يصير وليًا إذا هجر مطعمه ومشربه وصام عن كل هذه العوالق صيامًا حسيًا ومعنويًا فحينذاك تطير روحه في الملأ الأعلى مع الروح الشفاف وآنذاك يصح له أن يمشي على الماء وأن يطير في الهواء. وإنما عطل الهيكل الآدمي وأثقله وحجبه وأغلظ حجابه ولم يلطفه شدة تعلقه بالمادة المحسوسة من طعام وشراب ونكاح ومال وعقار وولد.

الفصل الرابع في مقاومة الشهوة الجنسية بغض النظر

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن أعظم الأشياء المفسدة للدين والملة داء النظر وهو زنا العين وهو أول مراتب الزنا وقد تكلمت على هذا الداء

بالتفصيل في كتاب «تكملة الفتوحات المكية».

وقد قال الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ الآية روى الطبراني والحاكم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) يعني عن ربه عز وجل: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من فتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه».

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة وقال صحيح الإسناد (قال الحافظ): خرجاه من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه» رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «العينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني» رواه أحمد بإسناد صحيح والبزار وأبو يعلى.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجل من النساء وويل للنساء من الرجال» رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: «إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن زحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» حديث غريب رواه الطبراني.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم» رواه الطبراني.

الفصل الخامس في مقاومة الشهوة الجنسية بتجنب اختلاط الرجال بالنساء

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن من أعظم مفاسد الزمان اختلاط الرجال بالنساء في معظم الشؤون في الشوارع والسيارات ومصارع الحكومة والبيوت والحدائق وهذا من أعظم المضار التي حرمها الحق سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ) وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم» رواه البخاري ومسلم.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم».

واعلم أن من أعظم المهيجات اقتراب جنس الرجل بجنس المرأة ألا ترى أن زليخا زوجة العزيز استدرجت نبي الله يوسف عليه السلام كي تخلو به وقالت له: ﴿**هيت لك**﴾.

فقال على الفور: ﴿**معاذ الله إن ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون**﴾.

ولقد روي عن أحد أولياء الله الصالحين وعباد المتقين أن امرأة قالت له: إن معي ابنة مريضة في البيت فتعالَ واقرأ لها بعض القرآن فلما دخل معها لم يجد في البيت أحدًا فعلم سوء نيتها فقال لها أعطني موسى دخل بالموسى الحمام وحلق لحيته وشاربه وحاجبه فلما خرج استقذرته وأخرجته فتحقق بهذا يا أخي من شدة مخاطر اختلاط الرجال بالنساء وعظم هذا الشأن. والله يتولى هداك.

الفصل السادس في مقاومة الشهوة الجنسية بذكر الله عز وجل

وإن ذكر الحق عز وجل يعد من أعظم الأسلحة الربانية في مقاومة فساد القلوب وظلمات الذنوب قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ أي بلا حدود فإن لفظ كثيرًا يقتضي الكثرة المطلقة التي لا حد لها في عالم الأعداد والأرقام فإن الله لا يسأم حتى يسأم العبد.

وورد عن الطبراني في «المعجم» من حديث رسول الله (ﷺ) أنه قال: «أذكر الله حتى يقال إنك مجنون».

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إذا أذن المؤذن هرب الشيطان من المسجد وله ضراط». واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن ذكر الله عز وجل يحرق الشيطان وإذا اقترب الشيطان من الذاكر صعق.

وقد أخبرني خادم مسجد سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ببغداد وكانت له خبرة في استخراج الجان من أجسام الناس قال لي: إن آية الكرسي إذا قرئت على الجان حرقته وجعلته رمادًا رميدًا فيصبح عبارة عن كومة من رماد.

وإن من أعظم الذكر في الأنواع الصلاة على رسول الله (ﷺ) فإن المكثر من الصلاة على رسول الله (ﷺ) لا يقربه شيطان ولا يمسه جان ولا يعرف قلبه معصية من المعاصي قط. هذا الذاكر هو قطب العالم ورحاه الذي ألجأه الذكر إلى الفناء في العين والخروج من الأشباح والألواح والفرار من الهباء إلى عالم القدس الأعظم في النقاء والصفاء.

هناك تهدأ الأرواح. وتصفو الأشباح. فتفر إلى ديار الأفراح. وتستقي بأكؤس الراح. حتى تغرق وتفنى في بحر الارتياح. وتشتغل بالمزاح. ورشف الأقداح.

رسالة
النور السافر
في معرفة حقيقة الشهوة في علمي الباطن والظاهر

اعلم أيدك الله تعالى بمنه وكرمه أنه يكاد يتفق أهل المعرفة والتحقيق على أن أعظم الشهوات الإلهية التي ذاقها هذا الآدمي هي شهوة الفرج وهي من مواطن الصون الإلهي أي الستر الجميل ولذا سميت عورة.

وأمرنا الحق تعالى بسترها في كلا الزوجين الذكر والأنثى لحفظ سر اللذة المصون هذا السر الذي هو بداية لذة أهل الجنة وهو غاية غايات اللذة الآدمية وأعلاها ولا يعلو هذه اللذة لذة وهي فتيل البداية إلى طريق لذة الحقائق الكبرى عند أهل المذاقات.

وكل شيء مقدس مصون يغار الحق تعالى ويدسه في رداء حجب غيرته واتفق على هذا المبدأ أهل الذوق المحض. وما هي كنه اللذة سوى الانجذاب الكلي إلى عين الجمع والانجماع بالحق تعالى فيكون هذا العبد أصلًا في اجتماع مع الحق تعالى نفسه لا مع زوجته هذا إذا كان هو الإنسان الكامل ولذا لما تحقق هذا السر أبو القاسم ذهب وقال: «حبب إليَّ من دنياكم أربع» من جملتها النساء.

إذ أنْ أعظم المواطن التي يتحقق بها العبد من مقام الجمع هو الجماع ولذا حدث فيه لذة عظيمة لا توصف وهو غاية الغايات ولا يتحقق مما أقوله يا ولي الله سوى نبي أو صديق أو ولي ولا يجحده سوى أعمى زنديق.

ومن ثم غار الحق تعالى على هدر مصدر هذه اللذة وبذلها في الحرام فإنَّ الحق لا يقبلها وإن التذ بها العبد في شؤون المظاهر فهي باطلة فاسدة.

واعلم يا ولي الله أن أقوى الناس جماعًا وأشدهم رغبة فيه أهل النبوة لم يحبوه وإنما حبب إليهم من قبل حضرة الحق تعالى.

وحقائق الوجود تثبت هذه المقولة الفاضلة وورد الحديث عنه (ﷺ) أنه قال إنه أعطي قوة مائة رجل في الجماع.

وأقول لك يا صفي أي يا ولي إن النبي لا يجامع بجسده وإنما يجامع بروحه ولذا عبر عن طاقة الروح ولم يعبر عن طاقة الجسم فافهم أيدك الله وأطعمك.

وهناك نكتة ظريفة في علم المجاهدة نسيها كثير منهم. ذهبت منهم طائفة وحاربت الشهوة بحواجز وهمية ولم يتطرقوا إلى محاربة الشهوة ومجاهدة الهمة فذاك العارف الأول نظر إلى أعراض الشهوة والثاني ما نظر الأعراض وإن نظرها فما يعرفها وإن عرفها فما أهمه أمرها لكونه غير متعلق بشؤونها ولا وصفها ولا كنهها فافهم. فمثال هذا العارف لو نظر إلى امرأة عارية فكأنه ينظر إلى شاة أو حائط ما يفرق بين العينين لعدم انشغاله أصلًا بالعين قد ماتت فيه البقايا ولم تبق فيه إلا بقية الحق فقط عز وجل.

ومن المتحقق من أسرار مجاهدة الشهوة سوى النبي والرسول والباقي تابعون لهم بحكم الإرث والاستخلاف.

فالنبي والرسول والصديق والولي يطلب سبل الشهوة فيما أحله الله تعالى أكثر من أي مخلوق ويجاهد سبل الشهوة المحرمة أعظم من أي مخلوق آخر.

وقد روينا عن أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه وقدس سره أنه قال: «النكاح ألذ عندي من الذكر» لما تجلبه معانيه من فنون التجليات العرفانية ما لا يوجد في عالم غيره فافهم يا ولي الله.

وانظر إلى يوسف الصديق عليه السلام كيف نُجّي من امرأة العزيز لكونه

لم يلصق وهمه بصورة المرأة وإنما رآها كحائط لا غير فأيد ببرهان الحق تعالى.

ومن نظر إلى تجاسيم الصورة الحسنة وعشقها فهو الساقط الزاني.

وقد أمرنا الشارع ورغبنا في نكاح ذات الدين العاقلة وقد روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر».

وروى الطبراني في الأوسط والحاكم ومن طريقه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي».

وقد أمر الحق تعالى نساء النبي (ﷺ) أن لا يخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض والخضوع بالقول قد ذكرته في كتابي «تكملة الفتوحات المكية» وهو من أعظم العلل القلبية والقول هو القول الشيطاني والذي يخضع له والتي تخضع له هم شياطين الإنس ولذا حذرت الحضرة الإلهية نساء النبي (ﷺ) من هذا المرض وهو كلمة حق أريد بها باطل.

ولذة المريض ليست كلذة المعافى فهذه اللذة المريضة وهذه اللذة المعافاة فشتان بين الذوقين شتان بين عسل الدنيا وعسل الآخرة. ربما ذاق العسلين المحجوب ولم يفرق بين الطعمين بل ربما فضل الرديء على الجيد أما الخبير بمصطلح أهل الحق فهو الذي يلمح بالإشارة ويكشف ما خبأه الحق تعالى من معاني الوجود في الأكوان. فإن المريض ما هو سوى مريض الذوق لا مريض الحاسة المتذوقة.

ثم إن مرتبة الجمال في الأكوان ربما كانت هي عين الوهم لكون الجمال الحقيقي ليس هو صورة المحسوسات الملموسة التي يراها البصر ولذا كان يوسف أجمل الأنبياء كالهبة في الهيئة المحسوسة ولكنه لم يكن أجملهم في المقام

الغير ملموس بل محمد (ﷺ) وهو أعلاهم مقامًا في هذا الشأن قطبًا ظاهرًا منفردًا.

فالجمال الظاهري قد يكون مغشوشًا متوهمًا لا يرضي ذوق أهل المعرفة الكبار بل الذي أفناهم وجردهم هو جمال المعاني وبهاء الباطن.

ورأينا أقطابًا على صفة يحيي الحصور عليه السلام لم يتزوجوا أصلًا مثل أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه هؤلاء تنفر أرواحهم من شهوة النكاح وهم على صفة عيسى ابن مريم عليه السلام أيضًا.

وهؤلاء الأقطاب لم يغتسلوا من جنابة أصلًا طوال حياتهم وكيف ينزل منهم منيّ وهم أقطاب الحصانة وإمام حضرتهم عيسى ابن مريم عليه السلام.

والحجة الإلهية القائمة على أهل الله تعالى وجود الذوق الكامل في الجماع حسًا ومعنًى فيلتذ في ولي الله كل عرق ووريد وشريان ما لا يجده غيره لقوة طاعة الله في ذاته المتمكنة.

أما أهل العصيان والتمرد فلا يلتذ منهم سوى ظاهرهم وباطنهم لا علاقة له بلذة أصلًا لظلام ذواتهم الطينية وهناك فرقة من أهل المعرفة لا تصلح المريد سوى بالزواج فإذا نصحوه بالزواج وتزوج صلح حاله وأقبلت عليه الآخرة ووضح مقامه بين الخلق.

وهناك من ينقطع عن الزواج ويعتبره شغلًا عن الحق عز وجل وكان من أقطاب هذا المقام بشر الحافي رضي الله عنه. سئل: لماذا لا تتزوج فقال: شغلني الفرض عن السنة. لكونه اعتبر الزواج سنة ومجاهدة النفس فرضًا وهو الجهاد الأكبر الذي ذكره رسول الله (ﷺ).

وقيل لبعض الصالحين: ألا تتزوج؟ فقال: لي نفس لو تمكنت من تطليقها لطلقتها فكيف أضم إليها أخرى؟.

وقال بشر الحافي رضي الله عنه: مكابدة العفة أيسر من مصلحة العيال.

وقال بشر رضي الله عنه: رأيت الصبر عنهن أسهل من الصبر عليهن.

وقال بعضهم: مقاساة العيال عقوبة تنفذ للشهوة الحلال.

والذي به أقول أن هذا المذهب أي مذهب بشر الحافي ليس حجة على أولياء الأمة وجمهور الخواص والعوام لكون الزواج هو فرض وكل صحابة رسول الله (ﷺ) تزوجوا واقتدوا بأبي القاسم (ﷺ) بل إن أحد الصحابة لما ماتت زوجته تزوج في اليوم الثاني فسئل عن سبب هذا الفعل وعدم الحزن على زوجته فقال: خفت أن ألقى الله وأنا عازب. ولما سئل إمام أهل السنة وزاهد وقته عبد القادر الجيلاني عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه قال لهم: فقته بشيئين الشيء الأول أنه مات عازبًا وأنا تزوجت والشيء الثاني أنني شريف أنتمي إلى رسول الله (ﷺ) وهو لا ينتمي.

وينبغي للعارف أن لا تشغله زوجته ولا شهوته عن طاعة الله عز وجل حتى لا يكون ممقوتًا وربما ابتلى بموت زوجته اختبارًا له من قبل الحق عز وجل وقد فرق عمر رضي الله عنه بين ابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وبين زوجته واستشار عبدالله النبي (ﷺ) في ذلك فقال له: «أَطعْ أباك». وليحذر العارف من أن تملكه شهوته وتسوء خاتمته فإن شهوة الفرج ألذ الشهوات وأهلكها في آن واحد لهذا الآدمي. ولذا يسلك بها إبليس إلى ثغرة قلوب العباد ويفتنهم بعصا وكتب القوم مليئة بالحكايات.

وهناك مقام التمكين الزائف لا يساوي فلسًا يعرفه إبليس ويشمه عن بعد وله علامات عنده يظن الولي إنه تمكن وأصبح وتدًا ويخفق وقد يخفق عن طريق ثغرات النساء فليعرف القوم التمكين الحقيقي والتمكين المزيف. ولمح الصديق رضي الله عنه للعارفين عن فهم هذا المقام فقال لهم: والله لو كانت إحدى رجليَّ في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله عز وجل. أي حتى أضع القدمين في داخلها أي حتى أتمكن التمكين الحقيقي لا الآخر.

الإسرا
لتحقيق مقام الصلاة على المصطفى

الحمد لله الأزلي الأبدي. المتين القوي، ملك الملوك، والمتجلي على أهل السلوك.

سبحانه لا أحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى، وتجلى وأبدى، قف على بساط الحضرة وتجرد، وبلا تردد، بل كن بلبل الأفراح المغرد، وغوث الحضرة المعربد، وتقرب، وتحبب.

وأصلي وأسلم على ناموس الأصفياء، وترجمان الأنبياء، وروح حضرة النبآء، الفتى محمد القاسمي، والبرزخ الهاشمي، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد.

فاعلم يا ترجمان الحضرة، وحكيم الإمرة، أن مقام أبي القاسم (ﷺ) اقتضى الصلاة عليه منذ قدم الأزل وحتى الأبد، ولم يُصَلى على نبي ولا ولي قبله ولولاه لما صُلِّيَ على أحد منهم لكون مقام الصلاة خاص به هو عليه الصلاة والسلام، وجعل الحق تعالى أركان الإسلام خمسة من جملتها الصلاة له هو ثم جعل صلاة على محمد اشتقها من صلاتنا له لكن بكيفية أخرى لا قيام فيها ولا ركوع ولا سجود.

وفي هذا سر جليل ذلك لكون حقائق العبودية ثابتة لا يشارك المخلوق فيها الخالق وإن صح له أن يشاركه في المسميات مثل كون الخالق رحمانًا

ورحيمًا والعبد مثله إلا أن العين لا يتدخل فيها العبد فيطلع على حقيقة الرحمة الإلهية وإن اطلع فلا تصح له فيها مشاركة فافهم.

ثم صلى عليه الحق تعالى بنفسه كما صلى له محمد عليه الصلاة والسلام بنفسه وأعطى هذه المرتبة للمؤمنين فصلى عليهم بنفسه عز وجل وقال لهم: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾.

ثم إننا اتضح لنا من هذه الآية علو مقام الآدمية على مقام أصحاب الألوكة. لكونه عز وجل جعل الملائكة تصلي علينا ولم يأمرنا بالصلاة عليهم فافهم. ثم إنه لم يصل على مخلوق سوى جنس الآدمية لا الملائكة ولا الجن. بل أمر الملائكة بالسجود لنا أي لآدم عليه السلام ولم يأمرهم بالسجود لملك ولا جان. وشأن الصلاة عجيب واختصاصه برسول الله (ﷺ) تفريد له في كون الحق به تشريفًا غيره فلأجله قيل لنا: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ولولاه لما قيل لنا أصلًا هذه المقولة فصلى عليه وعلينا لانفراده وقيامه بمقام فردانية الجمع فهو عين الجمع الأزلية ولذا إليه كان توجه الأمم والعالم يوم القيامة حتى أهل النبوة لا يستطيعون القيام بمقامه في الشفاعة فلا يتوجهون سوى لمحمد عليه السلام وسر هذا المقام نسيان حقوق النفس والذات وقيامه بحقوق الأنفس والذوات الأخرى فيقول: أمتي أمتي لا نفسي نفسي التي يقولها كل الأنبياء فيما عداه. وهذه النفس هي عين الكمالات الإلهية وهي عين الحضرة الإلهية ثم ذهبت هذه النفس المحمدية وصلت على نفسها بنفسها أمر من الحق تعالى لها فقالت بين يدي الحق تعالى: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

ثم إن الحق تعالى جعل ثوابًا للمصلي على محمد (ﷺ) وبالغ في الثواب وطَمَّعَ بأن الحق تعالى سوف يصلي على من يصلي على محمد وسوف يبني له قصرًا في الجنة ويحشره في زمرته ويجعله جليسه ويسقيه من حوضه ومعنى الصلاة الأكبر تكرار الذكر السرمدي ولما انفتحت علينا عين الحضرة بالفتح

الأكبر وجدنا أن محمدًا عليه السلام هو أعظم وأكثر من ذكر في عالم الموجودات فلا عين ذكرت مثله وبالقدر الذي ذكروها به فإن الوجود الزمني مستأنف في ذكره بلا انقطاع مثل الطواف بالكعبة والصلاة والصوم والزكاة والعمرة فلا نفس زمني إلا ويذكر فيه محمد (ﷺ) مثل الحق تعالى فهو قرينه في الذكر فلا لحظة ولا ثانية ولا دقيقة ولا ساعة ولا يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن ولا دهر ولا حقب ولا أبد ولا أزل إلا ويذكر فيه الحق تعالى ومعه محمد (ﷺ).

أما العوائد والفوائد الإلهية التي تعود على الكون والوجود والآدمية بذكرهم لمحمد (ﷺ) فكثيرة.

أولها: «النبوة» لما قام آدم من سجوده وجد اسم محمد على ساق العرش فلم ينبأ حتى علم مقامه وصلى عليه وكان محمد نبيًا وآدم بين الروح والجسد.

ثانيها: «الولاية» لا يُوَلى وليّ إلا وينصبه رسول الله (ﷺ) على الوجود وذلك ببركة صلاته عليه.

ثالثها: «دفع البلاء» والنوازل والكوارث والفتن عن الأمة ببركة المصلين عليه (ﷺ).

رابعها: «نبت الزرع» ببركة المصلين عليه (ﷺ).

خامسها: «الفتح الأعظم» في المعارف والعلوم والحقائق وذلك ببركة الصلاة عليه (ﷺ) وهذا مقام جليل نادر في الكون.

سادسها: «دخول الجنة» بكثرة الصلاة عليه (ﷺ).

سابعها: «رؤيته (ﷺ) في النوم واليقظة» ببركة كثرة الصلاة عليه (ﷺ) وانظر كتاب «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» للسيوطي.

ثامنها: «إظهار الكرامات» بكثرة الصلاة عليه (ﷺ).

تاسعها: «الانتصار في الحروب» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

عاشرها: «النجاة من إبليس ومكائده» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي عشر: «سعة الرزق وكثرته» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث عشر: «اكتساب حب الناس وعطفهم» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الرابع عشر: «النجاة من المسيخ الدجال» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السادس عشر: «النجاة من عذاب القبر وأهواله» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السابع عشر: «النجاة من بغض الصالحين وكراهيتهم» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثامن عشر: «نزول المطر» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

التاسع عشر: «الموت على التوبة الكاملة» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

العشرون: «حسن الخاتمة والعاقبة» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي والعشرون: «الالتحاق بمقامات الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثاني والعشرون: «الطاعة الكاملة» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث والعشرون: «النجاة من الأمراض والآفات المزمنة والمستعصية» ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

الرابع والعشرون: «تولد الحجج والبراهين الساطعة في المناظرة» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الخامس والعشرون: «صدور العلوم الجديدة والمعارف الغريبة والاستنباطات البكر» عن أكابر العارفين من هذه الأمة ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

السادس والعشرون: « كثرة التأليف والتصنيف » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السابع والعشرون: « قضاء الدَّيْن » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثامن والعشرون: « دخول الكفار والملحدين والمعاندين وأهل الكتاب » ببركة صلاة المصلين عليه (ﷺ).

التاسع والعشرون: « قوة الحفظ » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثلاثون: « الشفاء من الأمراض الحسية واللاحسية والظاهرة والباطنة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي والثلاثون: « الشرب من حوضه الشريف » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثاني والثلاثون: « النجاة من الصراط وأهواله » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث والثلاثون: « تدوين علم الحديث وحفظه وجمعه والاعتناء به » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الرابع والثلاثون: « الاهتداء إلى معانٍ ومعارف وأسرار التفسير القرآن المجيد » لا يهتدي إليها سوى من يكثر من الصلاة على النبي (ﷺ).

الخامس والثلاثون: « معرفة الاسم الأعظم » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السادس والثلاثون: « الفتح المطلق في الحقائق » ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

السابع والثلاثون: « كثرة الصبر في الأزمات والشدائد » ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

الثامن والثلاثون: «الحصول على المطلوب وتحقيق الأماني الشريفة» ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

التاسع والثلاثون: «زيارة المصطفى وتيسير الحجج» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الأربعون: «الارتقاء إلى مقام الأقطاب والأئمة والأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء» ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

كتاب
جنة المأوى

اعلَمْ أنه من شرط هذه الجنة الإيوائية اليُتْم. وهو مقام التفريد. وذاك قوله في الكتاب: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾. فلما كان عليه السلام يتيم الظاهر. أي فقد الأبوين أو أحدهما فإن يتم الباطن أظهر وأبدع. وذاك أنه يتم مقام. وهذا أولى به. وسره وعجبه. فإن من زُجَّ به في هذا المقام قال وقيل له وعلى لسانه: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم﴾. وهذا صفة الفاني عن الكون لا المكون. وكان ممن حظوا بخلع تشريفات هذا المقام الفتى الطائي شيخي ابن عربي قدس الحق تعالى شمائله. فصفة ذاك اليتيم هو المتحلي بيتم المحاسن والنوادر العوالي. الغوالي. الغواني. فهو عروسها. بل قديسها. ذاك الفتى هو المنحاز عن الوجود. ألا ترى مكونه لا يأوي إليه إلا كل يتيم. أي جوهر عديم. ما له نظير في وجود الكائنات. وشموس الإبداءات. خلع قلبه من جذوره. وأهداه إلى حبيبه على طبق من تبر.

ذاك الذي استحق الإيواء الرباني حبيبه منتظره على باب مأوى ليعلمه قدر ذلك المأوى.

فلما حدج الحق تعالى جمالات الأنبياء رأى السمت المحمدي يتيمًا بينهم أي شمس جمالهم وعين حسنهم. وشعاع سطوهم. هم لولاه ما خلقوا وعداه ما وجدوا. قد ذابوا في دوامة وجوده وتأدبوا على بساط سجوده.

هناك هناك هناك قال له الحق تعالى: أنا المأوى فادخل في مأواي ـ لا صبر لي عنك ولا صبر لك عني.

فذاك يا صفي هو سر اليتم المحمدي والجوهر القاسمي والحسن الأحمدي فكان كل فتى يتيم على قدم أبي القاسم عليه السلام في هذا المقام المحمود والحوض المورود. ولما فكر الأعمى أبو جهل في حقيقة يتمه عليه السلام. رآه يتيمًا ككل يتيم فإنه رأى يتيم أبي طالب. وحاشا له أن يطلع على أنوار مقامه في يتمه الشريف عليه السلام.

فكانت خزانة يتمه يستخرج منها رحيقًا مختومًا لم يُفَض من قبل إلا له الآن من ختمه يكاد البرق يخطف أبصارهم أو يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار.

فكل من كان له من نصيب مقام يتمه الشريف كان له قطرة من ذلك البحر اللجي هم متنازعون فيها متصارعون عليها وذاك المقام المحمدي لن تتبدى أنوار محاسنه إلا في جنة مأوى. فالكل يعلم هناك أنهم مستمدون من مقام خزانة يتمه الشريف عليه السلام. فيخرج لهم من تلك الخزانة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فافهم يا ولي. ولما آواهم المليك فقد أكرم أهله في دار نعمته وبوأهم مقعد صدق وكان من شأن جنة مأوى أنها غاية الغايات لكون السدرة قد انتهت عندها وكان من زيغ البصر شأن عجيب عند السدرة. فلم يثبت من ذلك الزيغ سواه عليه السلام فقيل له: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ لكون طور الحقائق يختم مشهده عند تلك السدرة فهي نهاية الغايات. فكل صاعد هابط عند السدرة لا ارتقاء إلا لذروة المجد المحمدي حيث قيل هناك للأمير: قف وإلا احترقت. فما فوق السدرة لا يصح أن تتخطاه قدم إلا قدم أبي القاسم عليه السلام ومن هذه الحظيرة تتدلى مكنونات اللطائف المستورة وغرائب المذاقات المضمورة تهبط من أعلى إلى أسفل أهلها. يرون ذلك متدليًا عليهم من العين المحمدية والسدرة القاسمية وما ذاك إلا ليتم جوهرها ونبل معدنها.

فاعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه ما آواهم إلى كنفه إلا لينقلهم كل طرفة عين من نعيم إلى نعيم ومن تكريم إلى تكريم فيعوضهم في اللحظة الواحدة من النعيم بقدر ما تنعم به كل ملوك الأرض جميعًا من بدء الدنيا إلى منتهاها. حتى أن قبلة الرجل لزوجته تعدل نصف يوم من أيام الآخرة أي خمسمائة عام من أعوام الدنيا فكيف بما لا يخطر على القلوب وما حجب عن الصدور كان أعظم فهذا سر تكريمهم بالإيواء. وكان الغالب على صفة أهل جنة الإيواء التفريد أي اليتم فلا أحد يشبه الآخر أي الأفراد وعلومهم وهم جماعة خارجون عن نظر القطب.

فأهل هذه الجنة غرباء عن بعضهم لكنهم على سرر متقابلين قد جمعوا الأضداد فافهم هذا المعنى أي أن جنتهم قد حوت أبكار المفردين ويتامى المقربين ولذا كانت منتهى الانتهاءات وغاية الغايات والله أعلم.

كتاب
جنة النعيم

فإن جنة التنعيم لها مذاق خلا الجنان الباقيات كلهن إذ كل جنة منهن لها مذاق تفردت به عن أختها. فإذا علمت هذا فاعلم أن بهذه الجنة من النعيم ما لا يوصف بالوصف فلا يحصره عقل أو يحويه قرطاس أو يتوهمه وهم واهم أو عقل عاقل. فإذا نظرت في شاشة التجليات رأيت نعيم الدنيا من بدئها إلى منتهاها نقطة في البحر المحيط الأعظم المتنعم به أهل هذه الجنة. فينعم هناك من غذاء الأرواح بنياشين مقامات الأفراح هناك تقام أفراح الخلود إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

هناك تقام أعراس الموحدين يوهَبون فيها من خلع الرضا السرمدي فيرضى عليهم المليك فلا يغضب أبدًا بعدها.

هناك تنصب لهم لمناجاة الرحمن كراسٍ من ذهب أو فضة أو زمرد أو عقيق أو لؤلؤ أو مرجان أو زبرجد أو ماس أو مرصعة بالجواهر.

هناك يناجيهم الجميل البديع المليك على الكثيب. فإذا نظروا إلى الوجه نسوا كل ما مضى الدنيا والآخرة. فتتجلى عليهم هابطة كل ذخائر المكنونات من الوجه فلا نعمة كائنة ما كانت أو صائرة ما صارت إلا من وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

هناك ترى الأجساد ليست أجسادًا والنعم غير النعم كل شيء عكس ما

مضى ليس إلا الاسم من هذه المسميات.

أما المعاني فشيء غائب كان الله ولا شيء معه فلا تعجب من ذلك التنعم الوهمي الذي مسراه في أبدانهم أدناه مائة ألف أو يزيدون من مسرى الكهرباء في الأبدان فكيف بمنتهاه؟ ألا تراه يحي الرميم ويزيد العديم؟

هناك الطير بعد أكله يقوم حيًا فيطير. والحوراء بعد نكاحها ترجع بكرًا كلما فضها والولد يتولد قبل أن يرتد إليك طرفك. وكلما قطفت ثمرة عادت مكانها فورًا والغرف يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. وذاك ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام وأنهارها تجري في غير أخدود وتفجر من جبال المسك. وفي الجنة نهر ينبت الجواري والأبكار أما المختوم فهو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به أعز شرابهم.

وذاك نهر عليه مدينة من المرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة وحظيرة القدس يخرج منها الخمر والحرير ونوادر التحف وعزيزها وأهلها يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يبزقون ولا يتمخطون طعامهم غثاء ورشح كرشح المسك وإنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا.

وإن من شجرة إلا أصلها من ذهب وأعلاها من جوهر مكلل بالدر والياقوت ثمرها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من العسل كلما جز منها شيء عاد مكانه ونخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ودورها تبنى بالذكر فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون: حتى تأتينا نفقة أي ولي أهل الجنة في شغل فاكهون في افتضاض العذارى وإنَّ شهوة الرجل لتجري في جسد زوجته سبعين عامًا تجد اللذة هذا وإنَّ الرجل ينظر صفاءً إلى وجهه في خد زوجته أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك.

وفي الجنة مرج أفيح من الفضة البيضاء في وسط المرج قصر من الذهب الأصفر في وسط القصر قبة من الياقوت الأحمر. في وسط القبة سرير من الذهب والجوهر. يخرج من تحت السرير أربعة أنهار. نهر من ماء غير آمن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من عسل مصفى ونهر من خمر لذة للشاربين وعلى السرير فُرشٌ من السندس والاستبرق وعلى الفرش جارية لو اطلعت على معصمها في ليلة مظلمة لأضاءت الدنيا ومن فيها وإلى جانبها ولي الله على صورة غلام أمرد أغيد على طول آدم وحسن يوسف وسن عيسى وخلق محمد صلّى الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين. فيا حسنه مع كعوب لعوب في خلوته وقد هبت الأرياح وعاشت الأرواح وتضاعف الحبور ودام السرور واطمأن في جوار الغفور الشكور.

وفي الجنة شجرة يخرج من أعلاها حُلَلٌ ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مَدُّ البصر فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا.

هناك هناك لا عمر ولا وقت ولا نوم ولا موت ولا تعب ولا حزن ولا قلق ولا ضجر ولا صخب ولا وصب ولا قبح ولا كذب ولا فقر ولا عوز ولا مرض ولا سقم ولا فتور ولا خمول ولا نتن ولا عفن ولا برد ولا حر ولا مالح ولا حامض ولا عقل ولا جنون ولا يأس ولا طيرة ولا عدوى ولا جدوى ولا أول ولا آخر ولا حد ولا مرد ولا صد ولا رد. ولا بداية ولا نهاية. ولا جسم ولا رسم. ولا لؤم ولا شؤم ولا عداوة ولا نفاق ولا تحت ولا فوق. ولا شرق ولا غرب. ولا شمال ولا جنوب. ولا أرض ولا سماء. ولا شمس ولا قمر. ولا نجم ولا كوكب. ولا ليل ولا نهار. ولا دنو ولا اقتراب. ولا جوع ولا سهر. ولا صمت ولا اعتزال. ولا ازدحام ولا اختصام. ولا حسد ولا فقد. ولا رياء ولا ازدراء. ولا انتهاء ولا احتكاك. ولا غل ولا غيظ. ولا شهوة ولا صبوة. ولا نفس ولا روح. ولا إبليس ولا شيطان. ولا جان ولا إنسان. ولا نباح ولا صياح. ولا نقيق ولا

نهيق. ولا نواح ولا عويل. ولا أم ولا أب. ولا ابن ولا بنت. ولا أخ ولا أخت. ولا عم ولا خال. ولا جد ولا جدة. ولا شبع ولا تخمة. ولا رِيٍّ ولا امتلاء. ولا طير ولا حش. ولا حشرة ولا هوام. ولا ثار ولا عار. ولا نار ولا حار. ولا طمع ولا جشع. ولا جماد ولا عناد. ولا صلاة ولا صوم. ولا زكاة ولا حج. ولا قتال ولا نضال. ولا شرك ولا كفر. ولا عذاب ولا عقاب. ولا فرض ولا سنة. ولا واجب ولا نفل. ولا محظور ولا ممنوع. ولا سيف ولا رمح. ولا ترس ولا مجن. ولا شجاع ولا رعديد. ولا سفينة ولا مركب. ولا مدينة ولا قرية. ولا جبل ولا صحراء. ولا وعر ولا سهل. ولا عالي ولا منخفض. ولا عريض ولا طويل. ولا قصير ولا ضيق. ولا مرفوع ولا محمول. ولا فاني ولا باقي. ولا مستهلك ولا مدكوك. ولا قوي ولا ضعيف. ولا ملك ولا حقير. ولا شيخ ولا مريد ولا عالم ولا متعلم. ولا صالح ولا زنديق. ولا كسرى ولا قيصر. ولا خاقان ولا مقوقس. ولا عزيز ولا أمير. ولا قدري ولا معتزلي. ولا مجسم ولا جهمي. ولا شيعة ولا خوارج. ولا جبري ولا أشعري. ولا مسجد ولا بيعة. ولا كنيسة ولا سقيفة. ولا حداد ولا نجار. ولا خياط ولا حائك. ولا بناء ولا غواص. ولا سمسار ولا تجار. ولا خراز ولا خزاز. ولا صياد ولا طباخ. ولا قصار ولا قصاب. ولا صباغ ولا زراع.

كتاب
جنة الخلد

ما هو الخلود إلا قطعة من الأبدية. لكن غير منفصلة وهي كائنة للمخلوق غير جارٍ على الرب جل جلاله وتعالى سلطانه وهو قطعًا غير تام إلا بالموت والانتقال من حياة إلى حياة ومن نشأة إلى نشأة.

ولكن نزع شرط الوقت من الخلود فكما أن الأبد هو ما سيأتي إلى أبد الآبدين أي استمرار الوجود وفي حقائقنا إلى ما لا نهاية في جانب المستقبل إلا أنه غير مستطاع أن يعبر فيه بعامل الزمن.

وكما أن الأزل هو استمرار الوجود بلا توقف في جانب الماضي إلا أنه غير مستطاع أن يعبر فيه بعامل الزمن وذلك لكون الوجود الإلهي واجب له أزلًا وأبدًا. ووجوده تعالى غير متعلق بمادة الزمن. أما الخلود فهو شطر من إحداهما. أي الأبد والأزل وهذا الشطر هو الأبد لكون الجنة تستقبل للدنيا ولا تستدبر ومن ثم فإن الناظر في شاشة التجليات يرى الخلود ذرة من الأبد الإلهي بل هو مستهلك فيه غير منظور البتة. فإذا كان القدم يوجد اصطلاحه عند الخالق والمخلوق فإن الخلود ليس كذلك ولا يعرفه نظام الخالق المتنزه به فإذا قلنا إن القدم على ثلاثة أنواع: القدم الذاتي والقدم الزماني والقدم الإضافي. فإن الخلود الذاتي غير معروف في علم الصفات أي مجهول لكون الخلود متعلقًا بالزمان والإضافة وهذا مستحيل على الباري جل جلاله.

وهذا كمن قال بالتسلسل وهو تتابع الأشياء واحدًا بعد واحد إلى ما لا

نهاية له في الزمن الماضي. نحو العالم محدث وللمحدث محدث وهكذا إلى ما لا نهاية له من غير دوران ورجوع إلى الأول وهو باطل.

وهذا مذهب إقامة العلة في الخلق وإدخال العلة إلى من خلق وقياس علة الخلق على من خلق وهو باطل لكونهم لا يحيطون بشيء من علمه أو ليس كمثله شيء ولما أراد الباري أن يكرّم العدم وهبه قطرة من كمالاته المستحقة أي ذرة من البحر المحيط الأعظم. فكان الزمن ثم تطور فكان خلودًا وليس من بحر الأبد إلا قطرة من بحره اللجي الأعظم قد ألقيت هذه القطرة في دورة الفلك الدوار.

فالباحث في حقيقة الخلد يراه قطرة من المكنون الأعظم فأهل دار الخلد لا شك ناظرون لتطورات الخلد في النعم المسبوغة عليهم. وإن من نعمة إلا هي مخالفة لأختها في الإبداء الذي يفجؤهم به الحق تعالى.

ومن هنا يتحقق أهل هذه الجنة أن كل لحظة تمر عليهم عكس أختها. وفيها ما دون ما مضى من دورات الخلد وهكذا تتجدد المواهب وتتحقق المآرب فيما لم يعلموه من قبل ولا شموا ذرة من طعمه.

ومن هنا قال أهل الذوق والعرفان أن الحق تعالى لم يتجلَ بتجليين متشابهين قط في الوجود. أزلًا وأبدًا وهذا لا يدرك بالعلم النظري بل هو مكتسب بالمواهب اللدنية. والأذواق الوهبية.

ومن ثم أطلعهم الحق تعالى يقينًا تحقيقيًا على أنه ما دام معهم فهم معه ولا فراق أبد الآبدين ودهر الداهرين. وأعلمهم هذا بعلامة ذبح الموت. فأمات الفرقة وأحيا الصحبة السرمدية الأبدية.

وهذا به أهل الخلد فرحون أعظم من التحف ومن الجنة نفسها لكون النفس أصعب الأمور عليها الفراق. فإذا علمت ألا فراق فكيف يكون فرحها؟ بخلودها إلى جوار محبوبها وقد أعطيت كل ما اشتهته وزيادة ما لم تعلمه من قبل. وهو المخبأ لها الذي تكنه واردات الغيوب الإلهية فافهم.

فكان ما تتمناه النفس من البقاء بقرب من تهوى أعظم من التنعم بكل نعماء الجنة خلال مدة ثم تنقضي المدة. وهذا حسرته أعظم على النفس العاشقة. إذ المحبة تحلو بالصحبة وينغصها الفراق فإن وقع الفراق نسي المحبوب كل ما مضى مهما عظم وطال. فإذا علمت هذا يا ولي فاعلم أن هذا هو علة تسمية هذه الجنة بالخلد. أي الصحبة السرمدية. ومن هذا المعنى تمنى أهل المحبة. أن لو يدخلوا النار لكي يصاحبوا محبوبهم ويكلمهم فيها. وأن لا يبقوا في الجنة بدونه فهي جحيم لا يطاق إن لم يوجد فيها فانظر فرق المعنيين أيدك الله وإياي بدواعي الذوق والفهم عن الحق تعالى.

كتاب
جنة السلام

وسر هذه الجنة يا فتى أهل الولاية وعنوان الدراية والرواية أنها مأمن الخائفين وهي مثاب الحذرين الوجلين فقد سالمهم فيها الحق تعالى. بعدما أفناهم الخوف الإلهي في دار الغرور وبطش بهم عدم القرار إلى شيء من ممتلكاتها. فهنا رحمك الله يأمن الخائف ـ ويلوذ الوجل. بعد رحلة مديدة. ومسافة عديدة.

وقد ذهب الحق جل شأنه فاشتق لهم هذه الجنة من اسمه السلام أي المسالم لمن حذره والملاطف لمن أمنه فيا فرحتهم لما يعلموا هذا السلام. ونزوع الخوف عنهم وإسباغ الأمان فيقول لهم المليك البديع اللطيف: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك. فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

هناك لسان حالهم يقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم. أما سر صفة السلامة فهو طرح كل ما يستقبح من الصفة المرذولة غير المأمولة التي هي من صفات الدنيا وأهلها ومنها الغول والنقعي والوكس.

ولما فقد أهل هذه الجنة هذه الصفات المرذولة وهم في الدنيا فقد وصلوا

إلى جنة السلام وهم في الدنيا أيضًا وهذا مقام تحقق العارف بمقامه الجناني وهو في الدنيا كما يرى العبد مقعده سواء في الجنة أو في النار وهو في نزع الموت وهذا التحقق العياني لأهل السلام يقال لهم في دار الدنيا: سلام عليكم بما صبرتم.

وقد كان ﷺ يصلي صلاة الكسوف فانجلت له الجنة ورأى قطف عنب فيها وأخذه بيده.

ومن أهل هذه الجنة من لم يقترف ذنبًا أصلًا طوال إقامته في الدنيا وصفة أهل هذه الجنة رقة الأفئدة ولطافة الروح وبغض الشر وكراهية المعاصي وطول الصبر وعلو اليقين. بحيث لو سأله ربه أفعلت ولو ذنبًا واحدًا في دنياك؟ لقال: لا يا رب ومنهم من لا يجرؤ على قتل ذبابة أو بعوضة. ولا يتحمل رؤية دماء أمام عينيه لشفافية القلب ورقة الفؤاد وهم على قدم أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد أثر عنه رقة القلب والطبع. وأهل هذه الجنة سرى في أرواحهم ضيق الصفة. فلا تتسع أرواحهم لشر أو غدر أو كذب أو نفاق ولا يكتمون خبثًا أو حقدًا لأحد لكون الصدور لا تستطيع حمل هذا فافهم وإلا انفجرت حوصلة الروح إذا سرى الخبث فيها وعكرها.

كما حكي عن رابعة أنها قيل لها: أتبغضين فلان؟ فضحكت وقالت: حبه ما ترك في قلبي قدر أنملة لبغض أحد. وإن الحق تعالى ليبرز لهم عطايا ذاك السلم في سوق الجنة فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

روى الترمذي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم. أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من

نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنيء على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا قال أبو هريرة قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا قال: نعم. هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البعد قلنا: لا. قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاصره الله محاصرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم كذا وكذا فيذكرّه ببعض غَدَّارته في الدنيا فيقول: يا رب أفلم تغفر لي فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُبَاعُ فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا. قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم من دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبًا وأهلًا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

فطوبى يا ولي لأهل هذه الجنة لما يلقون فيها من مداعبة الجميل. وسلم الجميل وظرف الجميل وابتداع الجميل ورقة الجميل وجمال الجميل وكرم الجميل. وذوق الجميل وغنج الجميل.

كتاب
جنة القرار

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن جنة القرار هي جنة القاع أي القعر وهي أصل الجنان وأمها لكونها قرار الجنات تعبيرًا عن قرار البحر أي قاعه وحضيضه.

وفي هذه الجنة يستقر بهم المقر مع الحق تعالى فلا انفصال إلى خلد الخلود ودهر الدهور. وأبد الآباد. ألا تراهم سعداء في أم الجنان وعينها قد ولت الأتراح وتوالت الأفراح وحلى المزاح وطاب المراح واهتزت الأرواح وصفت الأشباح ووجه المحبوب تجلى ولاح وعرف الجنان فاح وتنوعت النعماء من فواكه وحور وولدان وتفاح.

فهنا ولجت الأرواح وانتهى بها المطاف إلى القرار الأخير والنعيم القرير إلى لا خروج في المقر الإلهي. قد قروا بالوجه الإلهي يناغونه ويناغيهم ويناجونه ويناجيهم يحقق لهم الآمال وكل ما خطر بالبال. وما لم يخطر تراه قد أسفر ورفعهم إلى ذهول التحقيق ومقعد تصديق فطوبى للرب وحاشيته في ذاك العرس الإلهي والمشهد الخيالي.

هناك يريح المحبوب عناءهم ويغسل أدرانهم ويخاطبهم بأحلى بيان وأعز تبيان: أن تمنوا عليَّ وتمنوا عليَّ أنا كلي لكم وكلكم لي. فهنيئًا لكم لي وهنيئًا لي بكم. هنا تنبعث روح الريح الإلهية فتمر في الأشباح المجوفة

فتصطفق بها فتغادرها جوهرًا مصقولًا ولؤلؤًا إكسيرا فيقع الاستعداد في اللطيفة الرحمانية والقنينة اللاهوتية والنطفة الناسوتية. فهينئًا لهم في مقام جمع الجمع حيث لا حقيقة ولا شرع إلا نقطة واحدة منفردة متجردة تلمع وفي سماء الحقيقة تشعشع لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

هنا تزبد الأبصار وتحرق الأستار لا حجاب الجميل وأهله لا غير الأخصاء الأدلاء في دائرته إلى أبد الآبدين معًا. ما الجنة بدونه إلا جحيم. ما التفاح ما المزاح ما الأفراح ما المراح كله هباء منثور غرور في غرور.

ما الزبانية ما جهنم ما النار الكبرى ما غسلين ما سجين ما لظى ما الحطمة إلا الجنة الكبرى. والفردوس العظمى إذا وجدت فيها أنت أيها المليك الحسن والملك البديع ذو القام الرفيع.

هنا تنصب لهم القلوب للمناجاة. فهي الكراسي والجبال الرواسي. أيها المليك ما أجملك في جنة قرار فأنا بك قرير. لا بجنتك وحورك وولدانك وخمرك وتفاحك كل هذا لا يعنيني بشيء إلا أنت حيث كنت في جنة أو نار.

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا　　　وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

أي قراري كيف استقبالك يكون لملوك الخرقة وأرباب الحرفة يا له من لقاء تسكب فيه الأشواق وتفنى فيه الأعمار وتحرق فيه القلوب يا له من منظر ما له وصف وكيف يوصف الذوق المستحيل على أهل هذه الدار بل لا يتذوق إلا في دار القرار كل ما مضى هان من أجلك أنت أنت أنت لا من أجل غيرك ومن غيرك يكون حبيب؟ والغير شرك محض يا أبي وأمي وأخي وأختي ومالي وولدي وديني ودنياي وأخراي وعقباي وأحشائي وكبدي وقلبي ولبي وسمعي ونظري ويدي ورجلي وعقلي وروعي.

كتاب
جنة عدن

لو علم العالم صفة هذه الجنة لعلم علم يقين أنَّ دنياه هي جهنم وما نعيمها بقرب نعيم عدن سوى نار الأنيار الكبرى. ولما تمثلت لنا هذه الجنة رأينا فيها العجب العجاب عنقود العنب يكفي مدينة فهو أصناف فمنه الياقوتي ومنه اللؤلؤي ومنه المرجاني. ومنه الذهبي ومنه الفضي لو فتحت الحبة الواحدة من ذاك العنقود لخرج منها ماء لو شاء لأجرى جدولًا أو نهرًا من أنهار الدنيا. فإذا فتحت حبة أخرى رأيت لها مذاقًا لا يجاري مذاق أختها فكل حبة لها من المذاق ما لا يكون إلا لها هي. ولا تتكرر مذاقات ما دام أهل الجنة في الجنة مكوثًا فيها ورأيت حبة العنب لها باب ففتحته ودخلت فإذا قصر في داخلها لم ترَ العيون مثله قط. فخرجت من ذاك القصر وقفلت الباب وأكلت حبة العنب كأن لم يكن بها قصر به سبعون ألف حجرة وسبعون ألف قبة وسبعون ألف سرير وسبعون ألف حورية وسبعون ألف مائدة وسبعون ألف غلام أمرد وسبعون ألف شجرة عنب كل شجرة تتمايز عن أختها ورأيت الرياح كلما هبت فإنها لا تسير الأنهار بل رأيت سفائن أهل الجنة يسيرها ضحكهم وانبساطهم فعلى قدر الأفراح تسير سفينة الرجل ولا يتوقف جريان سفينة في أنهار الجنة أصلًا لكون سرورهم متصلًا بلا انقطاع. فإن الحق تعالى قد حظر الأحزان والهموم عنهم.

ورأيت شجرة قمتها عند العرش ومتدلية منها أراجيح يتأرجح بها أهل

الجنان وهم يناجون الحق تعالى فإذا ناجوه وهم على تلك الأراجيح أعطوا من ذخائر التحف والهدايا ما لا ينطق به لسان ولا يصفه بيان فطوبى لهم وإذا تلك الأراجيح حبال ضفائرها من الذهب بنهايتها محفة من الياقوت الأحمر أو الزمرد الأخضر يجلس عليها فإذا تأرجحوا صعد كل رجل على قدر مقامه وارتقى. فربما ارتقى رجل واستوى مع الرحمن على عرشه. وأتيت على شاطىء بحر فنظرت في وسطه فإذا قصر من اللؤلؤ الأبيض والماء يجري من حوله ومن تحته ومن فوقه وإذا ذاك القصر راح يطفو في الماء وينتقل به صاحبه حيث شاء فلما أغمضت جفني وردِدته حتى رأيت القصر زبرجدًا أخضر ومن ثم صار يتغير مع كل خاطر إلى معانٍ شتى فمرة لؤلؤ أبيض ومرة ياقوت أحمر ومرة مرجان ومرة ذهب إبريز. وهذا التغير على قدر همم أصحاب الجنة فكل يغير ما يشاء بهمته فمشيت على الشاطىء قدر فرسخ فرأيت ذاك القصر بعينه انتقل في أرض لم تر العيون مثلها تربتها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان وقد انتقل القصر من البحر إلى البر بهمة صاحبه فولجت ذاك القصر وتوسطت صحنه فإذا فوق رأسي قبة وإن سقفها لعرش الرحمن ولا يدرك بصر علو تلك القبة. وإذا ملائكة لهم أجسام بديعة طائرون في سمائها وهم يقولون: سلام عليكم أهل الجنة لكم ما تشاؤون فاطلبوا ما تشتهون وإذا حوراء أسفل القبة في صحن القصر تغني بغناء لو سمعه فرعون لبعث نبيًا في وقت ولحظة لما فيه من إنعاش اليقين. وشعر رأس تلك الحوراء يجر وراءها على الأرض قدر فرسخ وهو ضفائر من سبائك ذهبية الشعرة الواحدة منه تساوي الدنيا وما فيها. ورأيت رجلًا مستلقيًا على سرير وهو طائر به في جو الجنة وبجواره على السرير سبعون من الحور العين منهن من تروحه بمروحة ومنهن من تكبس بحنان له بدنه ومنهن من تغني له ومنهن من تسقيه بكفها بكأس السلسبيل وهن يتراقصن ويمرحن حوله في حبور عظيم.

وقدمنا فرأينا جبلًا عظيمًا لم تُرَ العيون مثله اسمه جبل العطايا. وهذا الجبل يقدم إليه أهل الجنة في جوقة عظيمة فيأخذون منه ما يشتهون كل

جمعة ويتجلى لهم الحق تعالى من فوق ذاك الجبل. فلا يرون عطية أعظم من وجه ربهم ووردنا سوق الصور فإذا أراد الرجل تغيير وجهه ذهب إلى ذاك السوق فاختار صورة تعجبه فما يتم خاطر الاختيار. حتى يرى نفسه في مرآة عظيمة في تلك الصورة التي أعجبته. فيزداد عشق زوجاته له ورأيت رجلًا في أصابعه مائتا خاتم في أشكال لم تر العيون مثلها فنزع خاتمًا فصار قصرًا بديعًا في وسط روضة فيحاء. فلبسه فانمحى القصر فخلع آخر فصار قصرًا أعظم من الأول فكلما نزع خاتمًا صار قصرًا ليس له شبيه. فإذا لبس الخاتم انمحى وهكذا كلما اشتهى قصرًا بعينه حالًا خلع خاتمه فإذا سأمه غيّره ولبس خاتمه وأبدله بقصر آخر فيخلع حالًا خاتمه ورأيت في هذا الشأن عجبًا من تصرف أهل الجنة بالهمة. فهم متصرفون فيما يمتلكون ولا سلطان لهم في ملك غيرهم وأقل أهل الجنة مقامًا من يملك عشرة أمثال الدنيا فالرجل منهم متصرف بكل خاطر يخطر على قلبه. ولا يخطر إلا خاطر إلهي محض. إذ لا مكان في هذه الدار لخواطر النفس والشيطان فكل ما يتمناه متحقق له على قدر همته كتمنيه أن يجري نهر من عسل في أرضه أو قصر في وسط بحر أو حوراء لم ير مثلها أو أن يطير بفرس.

وإذا جامع الرجل إحدى زوجاته أحس باقي زوجاته بلذة الجماع وسرى في أوصالهن الجماع كما لو كان يجامعهن أما لذة جماعها فتعدل لذة جماع أهل الدنيا ألف ألف مرة. وكلما جامعها وجدها بكرًا عذراء كأن لم يقرب فرجها من قبل ووجد معنى لم يره من قبل في الجماع ولا يتكرر معنى واحد بعينه في الجنة فلا يتجلى الحق تعالى بمعنيين قط لأهل الجنة لاستحالة العجز في قدرته. ويذهب أهل الجنة إلى أرض فإذا وطأوها غاصوا فيها فلا يخرجون حتى تروى أجسادهم من أجزاء تلك الأرض ويتلذذون بنعيم فيها لا يطاق. وكل على أصدقه.

كتاب
جنة الفردوس

شأن هذه الجنة أنها أم الجنان وسقفها العرش الإلهي المجيد وهي مقر النبيين وذوي الدرجات العلى وبها أعلى عليين ونهايات أقدام العارفين ولما وردنا هذه الجنة رأيت عالم ما فوق طور السمع والبصر والعقل والخيال. أي اللاوصف هناك استحالت علوم الدنيا نقطة في البحر المحيط الأعظم الخاضع للتجليات الإلهية المتعلقة بجنة الفردوس.

وأحسست في ذاك العالم الجناني أنني أشم بكل أعضائي وأسمع بكل أعضائي وأبصر بكل أعضائي ورأيت شجرة في هذه الجنة طرحها وجوه الحور الحسان.

وهذه الشجرة تنبت الحور لأهل الجنة. فينتقون ما يشاؤون من صورهن ويتخذونهن أخدانًا لهم.

وخمر هذه الجنة يشربه أهلها في حظيرة فإذا استقر في أجوافهم نقلهم إلى عالم معنوي لم يتذوقوه من قبل. ولم يعلموا طعمه قبل ذلك قط. فتصفى الأرواح وتزداد الأفراح ورأيت مكتبة هذه الجنة فيها من الكتب ما لا يحمله عشرة أمثال الدنيا وكل ما علمه أهل الدنيا من بدئها إلى منتهاها ما هو إلا نقطة من علوم هذه المكتبة ويدخل الرجل فيحفظ من هذا العلم على قدر مقامه فربما دخل هذه المكتبة نبي فحفظها في طرفة عين ومجلداتها مغلفة

بصفائح الذهب المطعمة بالجواهر وورق كتبها فيه من الذهب الإبريز وفيه صنف من فضة ولو أخرج مجلد إلى الدنيا من هذه المكتبة لما حملته الدنيا وكل علوم أهل الجنة كائنة ما كانت محتواة في هذه المكتبة ولكن الحق تعالى يزودها بعلوم متجددة جدت عليها ليست فيها فتحمل الملائكة هذه العلوم في هيئة كتب وتضعها في تلك المكتبة فيردها الوارد فإذا رأى ما جدّ من المجلدات فيها وقرأها تحقق أنه لم يدخلها من قبل وإن كان يحفظها عن ظهر قلب. وهذا سر الإعجاز الإلهي في علم الإبداء السرمدي الذي لا يكرر شيئًا قط.

ووردت البحار السبعة وهي البحر الأزرق والبحر الأحمر والبحر الأصفر والبحر الأخضر والبحر الأبيض والبحر الذهبي والبحر الفضي. ومن أتى على شواطىء هذه البحار رأى العجائب أما من سبح فيها فيرى أكثر.

وأهل الجنة لا يضرهم الغوص في الماء فربما غاص الرجل ومكث مائة عام من أعوام الآخرة وهو تحت الماء فيسيح هناك ويرى العجائب ثم يخرج ويقدم إلى أهله. وقد ازداد وضاءة.

وغصت في البحر الأزرق ومكثت يومًا من أيام الآخرة أي ألف عام من سنيّ الدنيا فرأيت مدينة تحت الماء اسمها مدينة الياقوت وكل شيء فيها ياقوت حتى أهلها أجسامهم من الياقوت وبهذه المدينة يمتنع أن يدخلها أي شيء غير ياقوتي كشيء ذهبي أو مرجاني.

ورأيت نافورة تضخ الماء الأزرق في وسط هذا البحر فتصعده إلى سقف هذه الجنة عند العرش وحول مائها طيور زرق تغرد بأعذب ألحان وجوار يمرحن في الماء وهن يقلن:

نحــن المنعــمات فــلا نبـــأس   نحــن المـدلـلات فــلا نشقـــى

ولو شاء رجل أن يرشف ثغر حوراء منهن لاجتمعت له لذة تعدل لذة الدنيا من أولها إلى آخرها عشرين مرة. ويذهب أهل الجنة للاغتسال في جبل

شاهق. قمته العرش والماء في شلال منحدر عليهم من قمته. وهم في أسفل ذاك الجبل فإذا لامس ماءه أبدانهم غيرها وغير صورهم إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فينقلبون إلى أشكال بديعة فتكاد تنشق أفئدتهم من السرور بصورهم وربما سبحوا في الماء لمدة عام حتى يحمل الماء الرجل إلى أهله وهو على سرير مستلقٍ يطفو به وقد تجدد شبابه.

وهناك مجتمع للحور في بحيرة الحور يسبحن فيها ولا يسبح معهن رجال لكونهن مقصورات في الخيام فيزيدهن ماء هذه البحيرة رقة وعذوبة. ويزداد تعلق أزواجهن بهن ومن اغتسلت في نهر اللبن ازداد بياضها وتجدد شبابها ومن اغتسلت من بحر العسل عذب حسنها وازداد استطعام زوجها لها ومن اغتسلت في بحر الخمر سحرت زوجها وعظم شغفه بها وهن يذهبن لهذه الأغراض.

ديوان
نوح العندليب
من هجر الحبيب

الحمد لله، الذي جعل من البيان سحرًا ومن الشعر حكمة فأنعم على أمة العرب وحدها بهذا المنوال. وبهذه الخصيصة والصلاة والسلام على أفصح العرب أهل البلاغة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن لنا غرامًا بأشعار ليلى وسلمى ومي والرباب وزينب. والكل في عرف المحبة واحد لا غير ألا وهو المحبوب الأعظم الحق تعالى.

فكل محب للحق تعالى كنى عنه بزينب والرباب ومي ولبنى وليلى وسلمى.

وأشعار القوم المتصوفين نجدها أرقى الأشعار لكونها نبعت من عين قلبهم الصافي بمحبة الحق تعالى وعلى هذا المنوال أتى أقوام كابن عربي والحلاج وابن الفارض فطاروا إلى جنان الخلد بأشعارهم وصرحوا وباحوا والصوفي القائل للشعر إنما يقوله وجدًا وتشوقًا إلى دار النعيم وروح الروح وقدس القدس وعين العين وسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى إذْ يغشى السدرة ما يغشى.

فتعالَ معي إلى هذه الروضة الغناء والحديقة الفيحاء. وكنت قد رأيت أمير الشعراء أحمد شوقي باشا في رؤيا منامية وهي يقول لي: أسمعنى شيئًا من شعرك في سنة ألف وأربعمائة وواحد من الهجرة. فاستبشرت خيرًا والله الموفق وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

١ - إنعام المحبوب على المحب بالتعذيب

حكم الهوى دومًا على عشاقه بتوارث الأحزان في أحكامه
ورضي لهم كل المهالك جملة حتى المرارة حلوة بنظامه
وجرى بذاك الحكم في ألواحه ختم الكتاب وصين من أقلامه
ورأى بذاك العاشقون ملاحة هي سلوة العشاق من أسقامه
وتوارث العشاق ميراث الهوى من قبض سقم كان من أوهامه
وتزاور العشاق طوافًا بنا عليّ أشاهد حسنه بتمامه
وحياة خلّي كم أبوح فلا أجد إلا الصدود وهذا من إنعامه
حكم الهوى دومًا على عشاقه بقصير عمر الوصل في أعوامه
وجنى علينا في هواه تعلقًا ملك الفؤاد به ولبَّ صيامه
فغدى به الجسم النحيل مولهًا ورأى نحول الجسم كل طعامه
وسلاني محبوبي فما أدري أنا ماذا ارتكبت فزاد من إضرامه
وقضى إلينا الوصل أن مذاقه حلو فهل نشقى بمر مدامه
وتعشق الروح اللطيف خياله وغدا جمال الكون طوع زمامه
وجفوت كل الخلق حتى مهجتي وهي التي للجسم كل قوامه
وغدوت من فرط الصبابة ناحلًا حتى العظام تحدثت بغرامه
ومررت في حي الهوى متنقلًا فتنكر القاسي بسد خيامه
فبكيت وحدي من صريح صدوده ما ذنب خل قد بلي بهيامه
وسلبت لبي جد فرد عقولنا فالقلب ضاع ولم يفِ بغرامه
وصبرت صبرًا في هواه تجملًا لولاه لم أرض بكل سقامه
وملكتني روحًا وعقلًا والحشى ورضى سقامًا أنشئت بسهامه

٢ - تجني المحبوب على المحب

وما الحبُ إلا أن تموت متيمًا بحب الذي تهوى وإن كان جانيا
فكل محب فالفناء حياته وبالموتِ قد يرضى وإن ظل صاحيا

وما مات عشاقٌ بطول فنائهم ولو بقيت روحي لكنت مماريا
فقوموا خليلي لكيما تميتـه بكأس فناء لست فيه مغاليا
أماري هواها عند أهلي وجيرتي وأطلق آهاتي إذا صرت خاليا
وكلّي نيران لها الصدر قد حوى وقلبّي مدفون بنار غراميا
وما أنا إلا من يلذ له الفنا ففيه لجسمي نغمة ستداويا
وتلك ديار قد تركت حسانها ولذت بسلمى وهي كل مراديا
قتلت بسهم من سهام لحاظها فغبت صريعًا لا أجد من يداويا
سليمى تداوي كل سقم بطرفها ولو حركت لحظًا لأحيت حياتيا
وفيها لأرباب الهوى كل مذهب ومذهبي فيها خفى منافيا
فبح بالحب خلي والغرام ومت به فكتمانه ذنب أراه تجافيا
ولو أبدت الألحاظ سلمى لناظر لكان لزامًا أن يموت مقاسيا
ولو قيل لي وصل لسلمى ساعة أحب أم الدنيا ووصل الغوانيا
لقلت وصال من سليمى ساعة أحب إلى روحي ليطفىء ناريا
وكل مرادي أن أموت بقربها لنحيا حياة في جنان عواليا
وحبي سليمى ليس حبًا لوصلها ففيها جمال الروح أغلى الأمانيا
ففيها جمال لا أطيق دلاله ولو يرفض الصب الدلال تجافيا
وما أنا إلا ميت طوع حسنها تخاطبني دومًا بطرف يناجيا
وكلّي مملوك كأني نسمة تروح وتغدو أن تطيل ندائيا
وما هزني إلا فراق أحبّتي وتلك دموعي كالدماء مرائيا
وما الحب إلا أن تذل لوصلها فذل الفتى عز أراه تعاليا
وكل الذي تهوى فسلمى بعينه وكل جمال راقني متناهيا
ولكن جمالًا قد حواه أحارني فما هو متناهٍ ولست مماريا
فيا ربة الحسن البديع ترفقي بكل سقيم لا يجد من يداويا
فلا تلم العشاق واغفر ذنوبهم فذلهم ذل على الرأس جاثيا
وها هي روحي قد ملكت زمامها فخذني أسيرًا قد رضيت هوانيا

٣ - تذكُّر الأيام الخالية[١]

دعْ عنك أحوالَ الصبابة كلها · وتعالَ فانهل من صفاء مودتي
لو ذقتَ كأسًا من صفاء عيونها · قدرَ القلامةِ غبت عن إنسيتي
وتعالَ نسري في بحار رحيقها · ونغوص غوصًا لا خروج لمهجتي
وترقَ فاكْتَلْ من نوادر نثره · من غير كيل فالترقي ناقتي
وتهنَّ وحدَك في حنان وصالها · فالكل صعقوا من شهود حقيقتي
والخلق جُنوا من ظواهر فعلنا · وبواطن الأفعال لب قضيتي
فإذا نزلتَ بحيٍّ من أهواهم · فاترك سلامًا قد يذكر لوعتي
لو جلتَ قسطًا في زجاجة صفوهم · لصفوت صفوًا بعد طول الغربةِ
لو نلت حظًا من بقية شربهم · لبلغت منها العرش جنة منتي
وصفاء نفس الخل صعبٌ وصفه · موت لعمرك في نفوس أحبتي
أرواحنا جمرات نار سعرت · والماء يسري فوقها بالخلةِ
خطرات أنس قد يطير شعاعها · فتطير روح من جمود الطينةِ
فهواها أضحى لا محالة مهجتي · فهل الجسم غنية عن مهجتي
وظللت أسعى في هواها جاهدًا · كيما أفوز بنظرة عن خلسةِ
فعرفت أن هواها لم يك صورة · ملموسة أو قبلة عن شهوةِ
لكنه ألطاف صب قد خفى · لم يخف إلا من تعاقب غمةِ
لو نلت ريقًا من نمير لعابها · لغدوت كأسًا بارقًا في الظلمةِ
أوجاع جسمي لا تزال شواهدًا · بمداد وسعك خطه لم ينعتِ
ودواء جسمي أن ينحله الهوى · من غير ريشٍ قد سكنت بمهجتي
وحجاب قلبك فاسع في تمزيقه · من غير سكين فنصحك منيتي
وإذا رأيتهم عرفت خصالهم · من غير سقم بالنزاهة عفتِ
كم من محب قد شكى من بعدكم · إلا أنا إني رضيت بقسمتي
لو كنت صبًا صادقًا لقصدتنا · فالقصد عندهم افتقار القوةِ

---

(١) عورضت بهذه القصيدة «تائية» ابن الفارض.

وغذاء روحي أن يرى محبوبه ... في كل طرف إنْ بصرتُ بمقلتي
ورثوا الكمال عن الكمال محمد ... وكمال طه صرفه لأحبتي
ومن المشوق وقد ظللت ببابهم ... أخطو الرقاب فلم أصل من زلتي
لولا افتقاري من خصالك نقطة ... لرضيت عني بعد تلك القسوةِ
كم قد تجافى ثم أدنو سائلًا ... أين الحبيب لقد نأى عن وجهتي
جفو الأحبة ما يكون بفضحهم ... بين الدنا ترضيك طول الذلة
كم من محب قد تفتت كبده ... وجماد صخر قد يحن فيخبتِ
ماذا أقول وقد حوتك أضالعي ... وأراك تنأى ثم تأخذ بضعتي
أنفاسهم ريح السموم إذا طغت ... وصفاؤها ماء النسيم بسحرةِ
وإذا الأحبة جاهروا بعتسابهم ... أفشوا سرائر وصلهم عن غلظةِ
لكن عُتبي ما يكون لغيرنا ... بيني وبينك سره عن خلوةِ
حتى إذا مت وماتت سيرتي ... نسي الخلائق سرنا يا منيتي
قف ثم عرج نحو درب أحبتي ... وانسَ همومي ثم ضِفْ لها حرقتي
واذكرني عندهم ولو في خطرة ... خطرت ببالك علني قد أبخت
أنت الذي أسقمتني وهجرتني ... وتركت سقمك في العظام يفتت
أغريتني بدنو وصل رمته ... فسلبتني حق الوفا واحسرتي
ما هكذا يزجي الشغوف دلاله ... فدلاله حرق الصفا فو غلوتي
لولاك لم أصبر فدع لي منيتي ... تحيا بها بين الخلائق صورتي
وخرست من لحظ الصنائع قدرةٌ ... يسري بها الملكوت طوع إرادةِ
من شاهد السريان أمسى ميتا ... من وقع أقدار بواطن حكمةِ
خفيت على الثقلين - رحمة ربهم - ... وبواطن الأحكام نفس النية
قد أظهرت في طور موسى لحظة ... لم يحتمل إظهارها مع رأفة
وقد اكتست من روح أحمد هيكلًا ... جلت عن المعنى المحاط بخطرة
يا من براني والغرام مهتكي ... وأزال ستري فالعواذل تشمتِ
وتغنى خليٌّ من لحون دلالهم ... فلحونهم خمر حلال النكهة
فالخمر عندكم زوال الصحوة ... والخمر عندهم صفاء اللذة

والخلق خمرٌ قد تخمر فكرهم ونقائص الأغيار لجة فتنة
والأولياء سفينة في لجة خلصوا إلى برٍ رقيق الموجةِ
ماذا أقول وأنت وصفك تائه عن كل مدركة وحائط فكرةِ
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا وجمالنا نقص مكمل وقعةِ
فجمالك الباقي ونحن كواسب وجمالنا اللحظى لحظة متعةِ
تفًا على صب يخاطر نفسه بجمال غيرك لذة في خلوةِ
لولاك لم تحط العقول بشهوة ودلال حبك حاشه من شهوةِ
والعاشقون ملاحة لجمالكم وغرامهم سلك برى من حبةِ
والخلق قد رأوا النقائص زينة ورأوك حسنًا دون وصل الحلقةِ
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم أوهامهم وهم أحاط بشبهةِ
لا أنت مرفوع فدونك محدث أو أنت مخفوض نزهت برفعةِ
أو أنت محمول فعجزك بيِّنٌ بل أنت قيوم بآية قوةِ
أو أنت محجوز فنورك محجب أو أنت مفروق أحطت بخفيةِ
أو أنت ملموس فغيرك قد خفى سحقًا لطين إذْ يصفك بخطرةِ

٤ ـ الشفوف

ما بال مية في الحرير تسجفت وتغورت فيها العيون فأضمرتْ
هل حجب مية من محب قد نأى هلك المحب بهجره ان قد عنتْ
إذْ جسم مية كالشفوف لطافةً فترى صفاءً في القلوب إذا صفتْ
فترى القلوب زجاجة درية ماء الصفا هو زيتها إن أسرجتْ
نفسي بشوق للديار وأهلها يسري الحنين إلى الديار وإن نأتْ
فحديث مية قد يطول لذاذة حتى كأن الصبح قبلتها مضتْ

٥ ـ التعذيب المقبول المرفوض

عذابي كان من أجلك وذلي من جني وصلكْ
وشوقي لم يفارقني وروحي كل ما أملكْ

كفى ما كان يا أملي ... فإني سئمت من ملكْ
ألا تكفيك آلامي ... وجرحي كان من سهمكْ
ألا تكفيك أوجاعي ... وبرء الجسم من طبكْ
ألا يكفيك إبعادي ... وبعدي كان من عطفكْ
أنا أهواك يا أملي ... وعين رضاي من صدكْ
فمن ذا يصد من جفوك ... وأصل الحب من جفوكْ
حرام أن تفارقنا ... فتنزع روحي عن روحكْ
وكم من ليلة فاتت ... وذقت المر من كأسكْ
وكم من دمعة ذرفت ... تصب العتب في كأسكْ
لمن أشكوك يا أملي ... ومن ينصفني من صدكْ
وأنت القاضي تجفونا ... وكل الحكم من حكمكْ
أأشكو القاضي من حكمه ... وهذا الجور من عدلكْ
أنا أنفقت أيامي ... وشوقي ذاب في شوقكْ
أنا ضيعت أحلامي ... وحلمي كان من حلمكْ
أأنت تصدُّ من وصلي ... فإني أموت من صدكْ
حبيبي كيف تنساني ... وليس الغدر من طبعكْ
تراني لن أفارقكم ... وإنْ أثقلت من ذلكْ
سواد العين يا قلبي ... جمال الكون من أصلكْ
شعاع الشمس من ثغرك ... بدور التم من حسنكْ
لكم تدعوني في قربك ... وكم تقتلني من صدكْ
جميل كل تعذيبك ... أراه يلذ من فعلكْ
تعالَ حبيبي عذبني ... فكلى كلى في ملككْ
خذ الأنفاس ما خرجت ... أراني أعيش من نَفَسِكْ
خذ الأحشاء واتركني ... تراني فنيت في نَفْسِكْ

٦ - الفجر

فلما تبين ضوء الفجر قلت مودعًا ... سلام على العشاق إذا انبلج الفجرُ
فقالت فبالله صبرًا إذْ أَردتَ وِصالكم ... فلا تقطعونا وإن أذن الظهرُ
فقلت نعم كل الغرام مقطع ... وتلك سِما الواصلين ولا جبرُ
فأرخت ذيول الذل تبغي وصاليا ... فقلت لها كفى فقد قُضيَ الأمرُ
فمالت تكفكف دمعها بيمينها ... وتحدر دمعًا في تغلبه العبرُ
وأشرق نور الفجر يرسل روحه ... ويفضح ستر العاشقين فما الخبرُ؟
فهام جوى الأرواح ينشد نوره ... بأن تسدل الأستار في الوصل يا فجرُ
فغصنا بحارًا من صفا غميرها ... وطفنا رياضًا لا يحيط بها البصرُ
هناك استرحنا من وئيد عنائها ... ببرد رباها واستقام لنا الدهرُ

٧ - القصيدة اللغزية

حبكم يا آل ليلى ... في الفؤاد قد التهبْ
فالضلوع في صراع ... لا تطق خزن اللهبْ
فالفؤاد من الحنين ... ظل دهرًا قد سلبْ
فارحموا يا آل ليلى ... لبا قيس قد ذهب
هام وجدًا كل وادٍ ... والصحارى فاغترب
قد براه العشق بريًا ... وهو صب لم يتب
قد رماه الدهر قصدًا ... من فؤاد قد غلب
فاستزاد الدهر رميًا ... كي يكون له أدب
واستلذ النار جسمي ... فيكم يحلو الطرب
واستحل الخمر روحي ... خمركم حان القرب
حبكم كالماء يغلي ... في العروق بلا ريب
خمركم تحيي الرميم ... وهي ليست من عنب
حبكم عين الجمال ... والجمال به انسكبْ
حبكم يأبى الخيال ... ما له أبدًا سببْ

وصلكـم صعـب المنـال كالفصـوص مـن الذهـبْ
مثـل أطيـار الجنـان ضِعْـن فـي بلـد خـربْ
حبكـم يُنسي النفـوس اسمهـا وذا عجـب
سل بحـار العشق خـلى أيـن كـأس قـد سكـبْ؟
أنتـم روح المعـاني والحيـاة بكـم تصـب
لـو حجبتم طـرفـة مـت وانقطـع النسـبْ
أنتم لا شـك روحـي والفـؤاد إذا اضطـربْ
أنتـم طعـم الحيـاة أنتـم لـب الأربْ
أنتـم روح الوجـود أنتـم عيـن الطلـبْ
كـل مـا قلنـاه مـدحًـا فهـو منكـم منسكـب
مثـل مـاء فـي بحـار حـدهـا قـد احتجـب
مهما قلت من مـديـح فهـو بعـض مـا نسـب
أنتـم فـوق المديـح فـوق كـرسي الأدب
تحتكـم كـل المديـح وهـو عبـدٌ في النسـبْ

٨ - الصبوة

صبـان في الحب زادا مـن دلالها فقل بربك من يـرجـى لـوصلها
والحـب دومًـا لـه دلٌ يـدللـه فخـذ دلالي وزده فـي دلالهـا
من ذا يـزيـد دلالًا مـن ملاحتـه حتـى يصـد دلالًا مـن جمالها
هلّا يروق لقـاضي الحب هجـرها حتى يسـن قـانـونًـا في جـذالها
والصد صعبٌ على الخلان لو عرفوا أن الصـدود يـزيـن كـل دلها
أقسيـت قلبي يـا روحـي ولم أدرِ معنـى القسـاوة حسنٌ من كمالها
أفنيت نفسي في نفسـك بلا فـرق فكـم أذوب فنـاءً في خصـالها
أحييتم القلب بعـد دوام جفـوتـه وكـل رقيـق جفـاء مـن جلالها
جـددتم الحب بعـد عفـاء بهجتـه فاهتز روحـان هبـا من أصـولها
والحب حـال لـه وجـد يحركـه فكـم أقـاسي بعـادًا من فضـولها

والوجد حالي جفاني منذ فرقتكم فخذ بربسك أحشاي لأجلها
فكيف يحلو لي حالي وقد بعدا وكل قلبّى آلام لأجلها
وكيف أشكو لخل لا أُفارقه دعني ألاقي هواني في سبيلها
ومن يلاقي هواني في محبته إلا فتى عشقٍ أُذِلّ في وصالها
والطرف أمسى غزيرًا في مدامعه حتى ذرفت دمائي في حصولها
وكل ذلي حلال في محبته فمن يبلغ جوابي عن سؤالها
ولو سألتم سؤالًا عن مدى حبي لكان رد يجبكم من رسولها
روحي وعقلي وقلبي تحت حكمكم جفوي ووصلي وذلي من نوالها
إني أكن عتابي أن أصارحه وهل أصرح بعتبٍ حال عذلها
يا من يعز علينا أن نفارقه إني وهبتك روحي خذها لأجلها

٩ ـ الفناء

خليلي قوما فاسقيا كل عاشق محب لسلمى قد فتنته الصبابةُ
وبثا حديثًا قد يطول كلامه لحين القيامة لا تحطه المقالةُ
وبثا اشتياقًا من فؤاد متيم لكل فؤاد رققته اللطافةُ
وصبا كؤوسًا فالكؤوس فوارغٌ لنسقي محبًا قد علته الجلالةُ
وطوفا بأرض الذكريات وعرجا على أرض سلمى قد تزول المسافةُ
وما أنا إلا عبدها طوع حسنها أقبل نعليها ففيه الإباحةُ
وما لي لا أفخر بتقبيل نعلها لكون الأصابع في النعال مقامة
ديار بها كانت أقاصيص حبنا فهل ينسى إلا من حوته الخساسة
وكيف أداري حبها وهو ناطق وما كتمت سر الحبيب الإشارة
فبالله إنْ جزت الخيام فبح به ولا تنسى ولهانًا فتنته الصبابةُ
وصبا لسلمى في الكؤوس دموعنا ودمع سليمى فالدموع مباحةُ
وكم من سليمى قد هجرت لياليًا كأن دموعي مالهن غزارة
ولم تغفر الذنب القديم تعطفا كأن ذنوبي كالجبال مقامة
ولم تدرِ أن الله يغفر ما يشا وأن ذنوب العشق رغمًا براءةُ

وأن ذنـــوب العـــاشقين ملاحـــة　　وإن لم يذنب الصب اقتضته الإساءةُ

١٠ ـ الجفون المريضة

زدني غـرامًـــا فـــوق هــــذا إنني　　صـب بـراه العشـــق وهـــو سقيمُ
قد قرحت تلك الجفون وما شكـى　　بلـواه كـــي يحنـــو عليـــه رؤومُ
مـاذا أقـول وقـــد سلبـت بقيتي　　حتى المـــرارة زدتهـــا لتـــــدومُ
مـاذا أقـول لأضلـــع مـــزقتهـــا　　وتـــركتهــا تحــت الجلــود تقيمُ
يـــا قـاضيَ العشـاق زدني لـوعـــة　　إن البكـــاء بـــدربنـــا معلـــومُ
مــاذا ذكـرتم مـن أســاطير الهوى　　إلا أثـــارة مـــن هـــواي تـــدومُ
مالي أرى الدنيـا تـروق بقـربكـم　　وإذا بعـــدتم حلـــوهـــا مســـومُ
سل إن شككتَ نجوم ليلى سحـرة　　مـــاذا تجبـــك ودمعهـــا مسجـــوم
يا زينـة الدنيـا لصفـوك لا أجـد　　إلا العكـارة صفـوهـا مــذمـــومُ
كلي إليـــك وإن تفـــرق بعضنـــا　　فـالـروح يجمع والهوى المقســـوم
زدني عـذابًـــا فـــوق هـــذا إنني　　طـوع العـذاب فـذلكـــم تكـــريم
زدني بعـادًا دون قـــربـــك منيتي　　بعــــد الأحبـــــة إنـــــه لنعيم
زدني انضمامًـا نحو صـدرك كـــي　　أذوق لبن الحنـان فـإنـــه معـــدوم
زدني ائتنـاسًـا في ليـــالي غـــربتي　　هجـر الأحبـة غـــربـــة ستـــدوم
زدني وزدني في هـــــواك تصبرًا　　فهواك أضحـى في الحشـا مكتـــوم
زدني دلالًا في بعـــادك سيـــدي　　أمشي اختيـــالًا في الحريـــر مقيم
أمشي عـــلى كـل الرؤوس تبخترًا　　في حـــب صـــب والرؤوس نجوم
والشمس في وسط النجوم عروسهـا　　أخفـت ضيـاء الكـون وهـي زعيم
فإذا أضاءت فـالنجـوم خـوافـت　　وإذا تجلـت فـالضيـــاء عـــديمُ

١١ ـ ذوب الخل من دلال الخليل

وإذا المليحة في الدروب　　تهـــز أعطـافًـا ملاحـا
فاضرب بلحظك ناظمًـا　　تلـــك السفـــوحـــا

واخشَ التذوب أنْ تميع فلا تلوحا
إن الصبابة أن تذوق فلا تبوحا
أهل الصبابة ليلهم يشكو الصباحا
قبح الوجوه بعرفهم ليس افتضاحا

١٢ - الروح

سألوا عن الروح فقلت أخا الهوى ضاقت عقول العالمين بفضحِها
قوم إلى الأنوار ذهبوا لنسبها سدرت نقول الواصفين بلمسِها
والآخرون مع الهواء قد اصطفوا خلطت حدود المنصفين بحِدها
وهناك قوم بالكشوف تيقنوا أن النفوس هي القلوب بروحِها
ومن العجيب الشك أنك روحي إنَّ التعين مذهبي في عرفِها
ومن الفلاسفة البغاة تكنهوا كل النعيم على الجسوم بمحضِها
جهل الفلاسفة التذوق بالصفا قحط الصفاء من القلوب بقفلِها
ورأوا إلى الروح اثنتين وفضلوا أن الحدوث لسالب من حقِها
ركنوا إلى أن التقادم عهدها خلد الجنان بقية من خلدِها
سكنوا إلى خلد الجنان بأنسهم ماتوا جميعًا من تنعم عينِها

١٣ - النفس

ما للنفوس هزال في معادنها إذًا ما اكتنها نَزَرٌ من الغلبِ
فالنفس كالمعدن المصقول إنْ صدأتْ سَخِمتْ زبدةُ اللبِ
والنفس قارعة الخطوب فإن هوت فصعودها سير إلى العطبِ
والنفس مرغابةُ الخنا في آن حوبتها وفي تارة تطبِ
والنفس غمر مسحاح إذا محلت غبرؤها فالزرع يحتطبِ
فحينذاك قد سدرت أزمتها وساجها الشيطان أسوارًا من العجب
فحينذاك لا تسري بها همم في أي فعل فالأسوار تحتجبِ
والبحث في كنه النفوس مثاله يمّ تغورَ ماؤه لا ينضبِ

والبحث في حكم الحياة سآمة ... كالجان يلسبُ دارجًا يتقلبِ
والنفس كالتمر أصباغٌ مقسمة ... تراك تفرقها كالحشف والرطبِ
والنفس قتالةٌ للخير ما ضربت ... في أبحر غزر درارة الذنَبِ
والعقل لا يحذو إذا شططت ... بل يلحظ لو هنها آية العجب
والقلب لا يغفو لردتها دومًا ... يكر عليها قالب السببِ
والنفس كالسيل مكساح لما يرمِ ... إلا إذا انتهى بالشاطىء العذبِ
والنفس كالحبل إن تجذبه تحزمه ... وإن ترخو فالنفس في غلَبِ
هذه الأنامل لو دققت عروقها ... لضاقت الأنفاس في الأشلاء والقلْبِ
وإذا سألت النوى عن شر نائبة ... سدروا وسكعوا والنفس تنتقبِ
يا لائمي في النفس هل تدروا لما ... خلقت إلا لظى تصلى أوجنة الأربِ

١٤ - الربوع الخالية

سليمى لا تنسى معالمنا ... وحبًا دهرنا صانا
وذكري في ربوعهم ... وخلًا قلها خانا
وعهدًا طالما وثقا ... وصبًا دهره عانى
سُلَيمى طالما مزحت ... بحب مره زانا
وكأسُ الوصلِ إنْ صدقا ... فمر الحب قد هانا
ونجد كل ربعهم ... وكل الرسم وافانا
ووجهُ الصبح إنْ سفرا ... تباوحنا شكايانا
وذرف الدمع هماع ... وطول الصبر أبلانا
وحين النأي أشجان ... وطير البين فتانا
قصدت القاضي ينصفنا ... وينصر كل من عانى
أقاضِ إنني آتٍ ... لأشكوك رزايانا
فقال النأي مذهبنا ... دواء النأي داوانا

١٥ - البريد الخفي

قد كان لي في حب ليلى مغرم ... واليوم أمسى حبها مفقودا
جاءت تراودني بسحر جفونها ... وتقول هاكَ إلى الفؤاد بريدا
إنْ كنتِ تدرينَ البريدَ فإنه ... شر البريد بعثته مقصودا
قالت تخادعني بكل فتونها ... تأبى الوصالَ صَرمتُه موقودا
قلتُ: اكتويتُ من الجمار فهلْ لكِ ... صدق الوصال نشدته مفؤدا
قالت منحناكَ الوصالَ بنهرنا ... فانهل لنول نوالك المعقودا
فذهبت استسقي بري صفائها ... فأبت من الري الصفي ورودا
فقربت ذاك النهر أبغي وصلها ... فحدجت في الري الصفي حسودا
ضحكتْ: لدغتَ من الهوى بجهالةٍ ... إنا وجدنا في هواك جمودا

١٦ - فتاة الحي

أحب فتاة الحي كلي بجملتي ... وأخضع إذلالىء اليها وعزتي
وأرضى بذلي في هواها ومنيتي ... أذيقت عذابًا في هواها استحقتِ
ونفسيَ تهواها فتاة خليعة ... أراها استقامت في خصال خليعةِ
ولم أرَ منها في حياتيَ راحة ... سوى قبض عيش في هواها استحلتِ
وكلّ أراه من جميل خصالها ... يوافي بديعًا فيه كل صبابتي
ولست مقرًا من بديع بديعها ... سوى قبض عيش في هوانا استلذتِ
تراني أموت حسرة من جمالها ... لفرط دلال قد أذل جلالتي
أسائل عنها في ديار بعيدة ... فأطوي الفيافي كي أفوز بنظرةِ

١٧ - المقام الحسيني

وروضة غناء تحكي بزهرها ... نجومَ سماء برقشتْ بالملائكِ
فأضحتْ كثوبٍ من حريرٍ مطرزٍ ... أجادته عذراء بإبرةِ حائكِ
فأغلت حريرًا من رخيص قماشها ... فأضحى يغالي كل صنف محبكِ
وصاغت زهورًا من صنوف خيوطها ... يحاكي لجُيَنْا أسبكنَ بالمسابكِ

فحاكت بديعًا من رقيق خيالها يحاكي بدورًا أشرقن بالحوالك
كأن الثريا أطمست من جمالها فأضحت عروسًا قلدت بالسبائك
تراها هلالًا من بعيد وإنما شعاعُ شموس نزهت عن مدارك
ورق نسيم من حفيف غصونها ففاح شذاها عبر كل المسالك
فغرد قمري على غصن بانة وصب شجاه فوق تلك المناسك

١٨ - الأحزان المتوالية

أنا أضناني الحب فلم يترك لنا فرحا
وكل الناس أعدائي وكل القبح قد ملحا
وفي صدري يئن القلب فيكويني وقد قرحا
فيلقيني صريع الوجد وللكي قد انشرحا
ويشويني لظى الجمرات فوا شجنًا ويا فرحا
وينهلني عذاب الوصل وبالنأي لقد جرحا
فيسليني عن المحبوب وبالعين قد اتشحا
فأين الصب يا عيني لقد ذاب وما لمحا
وكل الكل قد هلكوا هوى المحبوب قد ذبحا
وروح الروح إنْ لاحا فوصل الوصل قد طرحا
وأرواح تمنحنا وإذْ شئنا فلا منحا
وحب لي ينائيني ويبسطني وقد فضحا
وقرب الأنس إنْ منحا فلا أنس ولا بوحا
ونور الفجر إن سطعا فخمر الدن قد نضحا
إذا الخلان قد غابوا فجمع الجمع قد نفحا
وأسرار إذا لغزت فبالمفتاح فافتتحا
وأستار تهتكنا وصدق الخرس لا بوحا
أنا أنشدت آلامي ومني الجفن قد قرحا
وكل الذل إحساسي على الرأس لقد جمحا

١٩ - الديار البلقع

يا ليت شعري سَلْ تجبك مدامعي — ومدامعي نَضِبتْ فأين مدامعي
من ذكرِ قومي إذْ تُركْتُ متيما — أشكو الديارَ وقد خلونَ ببلقعِ
قد أمرضتْ جسمي لحاظٌ قد قستْ — لم تعرف العطفَ ولو للمُرْضَّعِ
تلقى علينا من نسائمِ وَجْدها — فإذا سَكِرْنا تَسلبنَّ فتلمعِ
وتروح ترقي في سحائب قدسه — فإذا تحنن تخبتن وأدمعي
وإذا غرقنا في زلال نميرها — صرنا صفاء كالنجوم وألمعِ
سل في الديار إذا خلوت برسمها — عن رحل قوم قد نأمى بمجامعِ
ولقد مررت على الديار تشوقًا — أبغى الحبيب فلم يكن سوى ملوعي
فجعلت أسلوه الزمان تصبرًا — فيزيد هجرانًا فيضرم أجمعي
ماء الوداد غذوته من أصبعي — وتراه ينكر كل رضع مرضعِ
فذهبت أشكوه ليعرف قدره — فظلمت من كل الخلائق أجمعِ
أين الصفاء لقد تغير طعمه — كتغير الماء الصفي المنبعِ
والعاشقون تذوبوا في صبرهم — فترى من الصبر الشكاية ترفعِ
قد ذوبوا الصبر الصبور بشوقهم — فتراهم نارًا بداخل أضلعِ
من ذكر ليلى قد تقرح محجري — فتراه ينزف بالدماء فيهمعِ
وتظل ليلى في القلوب وإن قست — فهي الفؤاد ولبه لا ينزعِ
فإذا سئمت العذل فاهجر دِربنا — وتسلَ عن ذكر الهوى لا تدعِ
أين الهوى هيهات أين رحاله — سئم الديار فأعرضن ليسرعِ
وأموت وجدًا إن نظرت جمالكم — وأذوب وحدي من تساكب أدمعي
وأهيم تيهًا في الديار تبركًا — فأرى الديارَ تبثني ما يجزعِ
ماذا أقول وأنت كلك ساكن — بين الحشا وجوانحي والأضلعِ
وقد اغتدى جسمي كثوب قد بلى — من طول هجركم وحر الأدمعِ
وصددتم خلًا يكابد لوعة — تصلي الجسوم بجمرها لا تشبعِ
وتركتموني في الفراش معطلًا — فأبث شكواي الفراش فيسمعِ
ورميتموني بالصدود وبالجفا — وتركتم جسمي النحيل يلوعِ

إني سئمــــت أن أبــــوح لغيركم فتعطفــوا نحوي ولــو بتشفــع
ووكــزتم قلبي المعــل بجرحكـــم فـأضـفتم جـرح الفـؤادِ ليجــزع
إني وإن قلـت العتــاب وإنْ قسى فالعُتْـبُ مـرفـوعٌ وإنْ لم يـرفـع
فتلطفـوا في صــدكم يــا ســادة ملكوا الفؤاد ومـا سـواهـم ينفـع
وحديثكم عـذب لـديَّ إذا سرى ملـك الفـؤاد ولطَفَـنَّ مسـامعـي
وإذا تـرقـرقـت النفـوس كمائــه حشم الحيـاء وصـــده مـا يمنـع
وإذا تلطفـت النفـوس مـن الهوى سكن الفؤاد من اضطراب المفـزع
كم قـد أغـار على حبيـب مثلكـم أشفـى النفـوس بشربـة لا تنـزع
ولمسـت أنفـاسًـا تعبـق نشرهــا فصفا النسيم ونـاغـى مني مسمعي
وأراكَ تنـأى إن قـربـت تلطفًـــا وأراك تـدنـو إن بعـدت لتطمـع
ويطول دهري في رضاكَ وإن نـأت عنـــى الديــار تصبرًا في مطمــع
ويضل وصفي إن وصفت جمالكـم فهـــو الكمال بــل الكمال لمدع
وأنـــوحُ ليلى إن أنســـت بغيركم أنّى يكونُ وقد زَهِدتُ مضاجعي
وتغـــار نفسي إن تيقـــن لبهـــا في حـــب إنس دون حبي يسرع
ويكل طرفي إن لحظـت صفـاتكـم قَطْعٌ وحُسْـنٌ مـن تصرفِ مبـدع
وإذا تقدست الصفـات عـن الهوى حسب ابن آدم أن يضيء كأشمـع
وأحن شوقًـا مـن تلهـب صبـوتي وأبـوح سري إن بـرقـت لتلمـع
ويديم شـوقـي في رضـاكَ حميـدةً ملكـتْ فـؤادًا شـوقـه لا يجمـع

٢٠ ـ تسلية أهل البلاء

أهـــل البلاء إذا حللتم دربنـــا لا تحملــوا شيئًــا مـــن الأوزارِ
وتجرعوا غصـص البلاء بكـأسكـم وتصبـــــبـوا ببلائــــه البتــــار
وتلطفـوا بنفـوسكـم وتـرحموا فنفوسكـم خـرقـت مـن الأصرارِ
وإذا تـدلهم ليلكـم فتـزينـوا وتلــذذوا بعـــذابـــه النشـــارِ
لو جرعت كل الكؤوس لقبضكـم لقبضتم بسـط البـاسـط الكـارِ
وتـذكـروا ليلى ومـا كـانـت بـه قيسًـا بـراهـا فـاضـح الأبكـارِ

وتـذللـوا أبـدًا لـوصـل حبيبكـم فعـذابـه يحلـو ولـو بـالنـار
وإذا تثـاقـل جفـو مـن واليتم فجفـاؤه صبـب بـال إخبـار
وإذا تخلصـت النفـوس من الهوى نقـت النفـوس بخفـة الأوزارِ
وتحملـوا نـار العـذاب وجمرهـا فـأحـل هـذا في الكتـاب وجـارِ
وتلـذذوا فـوق الجمار بكيكـم فلحـومكـم نضجـت على الأنيـارِ
فـالله قـد خـزن البلاء لأهلـه وغـلاه غليًـا للفتـى الصبـارِ
وأراك تحلـو إنْ منيـت بجفـوة وألـوم نفسي إن بسطـت إزاري
وأرى الجلـود تيبسـت في صبرهـا حتى بلـت في صبرهـا المدرار
وأراك تغلـو في عـروقـي منيتي عـلي القـدور الراسيـات بنـار
أنـت الدمـاء الساريـات لتحييني أنـت الضيـاء وسحـركم إبصـاري
أنـت اللسـان إذا تـركـب نطقـه أنـت السماع إذا صفـت أوتـاري
وأبث شجوى إن لحظـت دلالكـم فيموت قصدي قد وهت أوطـاري
وأموت وجـدًا إنْ حجبتم طـرفـة وأعـود حيًـا إنْ أزيـل ستـاري

٢١ - وصف نملة

سَلْ نملةً جمعت تقاطيعَ البراعة خلقةً عجبًا لهذا الحسنِ كيف خلقتهـا؟
فمزجتها عينًـا ورأسًـا ضـاعـا بها لطفًـا لـوسـع اليـد حين قـدرتها
فكـأنها مثقـالُ حبـة خـردل ويحًا لَصغرِ الحجمِ كيـف جمعتهـا
ذهب المصورُ كـي يكبّـر جسمَهـا جهـلُ الخلائـقِ قلـدوك بخلقهـا
وتحملـت أثقـال قـوت وحـدهـا ضعفًا على الجرمِ الصغير بعزمهـا؟

٢٢ - وصف خنفساء

إنْ سألت الخنفساء عن معنى التخفي لا تجبك الخنفساء مـن شيء يـدني
دَعْ فنفس الخنفساء مثقلـة عيـوبـا طينـة مطليـة زفتًـا معنـى
إنْ طلبت الجنس فيها فهـي عبـدٌ حـقـرتـه الخلـق في خلـق ولـون
أو كرأس نصفه في جـوف مغفـر خطوْهـا مـن غير مشى بـالتـأني

قالوا دومًا خلقها من غير نفع   أخفقوا في نفعها من غير فن

٢٣ - الجرح القديم

إذا اشتد ضيقي جئت زحفًا لبابكم   أحن إلى شيء يفرج عن همي
عسى الله أن يطوي صحافًا قديمة   تؤد على الظهر الكثير من السقم
فإن تعفو فإني في انتظار لعفوكم   أحن كما تحنو الطباء على الرئم
فهل تذكروني طرف لحظ بجانكم؟   فيخبر روحي الجسم خبرًا بلا كتم
حديثكم عذب عذلتم ولم ندرِ   تهون نفوس العز رغمًا على الخطم
فوالله لا أبرح ديارًا بمهجتي   ديارًا بها الذكرى تذكر في الحكم
فهجركم حرق لروحي وهيكلي   وكيف يقر الخل حرقًا من القوم
حرام على قوم بجسم جسومهم   وأرواحهم شتى والكل في الجسم

٢٤ - القصيدة العقالية

أستاذي الجليل يا راحة الصدور   يا قبلة العلوم يا بلسم العليلِ
بجبة صوفية قفطانها جرير   مثقلة الجسوم تقسو على النحيلِ
حزامك المشد كعلمك المتين   كأبحر غزار درارة النقولِ
عمامة محيطة كالعش بالفراخ   كانفة لكنز من أثمن اللآلي
يا قدوة الأناسي يا غرة الدهور   يسيل منك الجنب من علمك الجزيلِ
فنورك البدور ومجدك الثريا   وعلمك المحيط يطغى على العقولِ
وحلك العويص في المشكل الغويص   تعنى به الركبان ونائي الرحالِ
رأتيك الكمال ونطقك الجمال   يا مدني البعيد وملمس الخيالِ

٢٥ - الأنفاس البغدادية

بغداد عن تلك المعاهد خبرينا   واسردي من كل ذخر تذكرينا
وإنْ تبكِ فصب كأس ذوبٍ   فشوق الخل قد يسلي الحزينا
ونفحينا ذكر أيام الرشيد   بنفح المسك هلا تعطرينا

بنيــة السفــاح إنْ يخفــي الكلام فعهد أبيك قـد يسلى السـنينـا
أمـن خبـطٍ رثيـث قـد سلـوتِ سلـــوَ المعــرض المزدان لينـــا
وردنـا مــاء دجلــة فـاستقينـا مــن العلم المصــون ألا انهلينـــا
دفـائـن علمـك المخـزون تبكـي تراب الدهـر قـد ركـب المتونـا
فــأنــت أمنــا منــكِ رضعنــا بلاد العــرب ولـــد تكنفينـــا
فهلا تـذكـريـن ليـوث غـاب تـربـوا في الحديــد مظفـرينـا
تعــالى فضفضي كــل العتــاب فخـــزن العتــب سم تخزيننـــا
وفتـك رجــال علم بــالمطــايــا وإن عـدمـت أتـوك راجلينـا
فهــذا الشــافعـي وسيبـويــه وشعــــر المتنبـــيء تحفظينـــا
حـــديــث محمد أعني البخــاري لآلــؤه الصحــاح فحـــدثينـــا
وهـــذان الكســائـي والخليـــل وابـن سينـا بــالـدواء فطببينـا
ملــوك للفصــاحــة خلــدوك بــألسنــة البيــان تفــردينـــا
فقــاهــرة المعــز تكـون بنتًـا أبغــداد القـديمة تشهـــدينـــا
سقـاك الله مـن صـوب الوفــاء بكــأس الود صرفًـا تشربينـــا
أبغـــداد العلـــوم أراكِ حسرى عـــروس الشرق تبكين السنينـــا
فكيـف بكــاؤك أخــت الثريـا نجوم سنــاك عقـدًا تطـرزينـا
فسطـر يــراعتي ومضــاء سيفــي بـذكــراك المتــون تعجــزينـا

٢٦ ـ نساء العصر

عجبًـا لهذا العصر كـل نسـائــه يــأبين إلا الخلــع يـــا حسراتي
هـذه الصـبيـة والبلـوغ حليفهــا خلعـت عـذار حيـائهـا بثبـاتِ
فوحـقّ مَـنْ سمـك السماء ببطشـه فلأرفعـن تلـك السفــور بـــذاتي
ولأبطشـن بكـل مــن رام الخنــا وبغـى لتلــك الخالعــات مـآتِ
حتى العجــوز إذا أرادت حليـــة نظرت إلى تلـك الصفـات هبـاتِ
فتراهــا تنثر حـب كــل فضيلــة بيـد الخبـال وتلـك أصـل أفـاتِ
راحـت تـوشم حمرة في خــدهــا والدهر أكسـب وجههـا الحفـراتِ

فترى التجاعيد التي في وجهها ... تشكو إلى هذا الزمان شكاةِ
تلك الكواعب هن في أكنافها ... ورقيقُ ثوبٍ غير ساتر شاةِ
شمطاءُ قد حزمتْ بها روحُ الضنى ... وهوت تزخ إلى العماء صفاتِ
وبنات فِهْرٍ قد سَقمنَ بعلة ... وقرون عاد قد كنفن بناتي
وترى الشبيبةَ لب كل قبيلة ... ردوا المجون وهذا شر نباتِ
ونساء قوم قد وضعن بحطة ... وطرقن بابًا جامعًا لشتات
وهزلن في كل الصعاب وليتهن ... يعقلن خطبًا آيلًا لمماتِ
وخضعن بالقول المحلل حرمه ... ووأدن كل جواهر الحسنات
شبت قبيحة طمست قسماتها ... بدسيم زبد أحيت الوجناتِ
هلك الرجال الغبر شسع نعالهم ... داس هندام الزمان العاتي
والله لو حدجوا الجمال لما اغتدوا ... عن ظل حور سحن في جناتِ

كتاب
أنس الموحدين
برب العالمين

فإنَّ صفة الآنس بربه من لا يرى في الكون المكون سواه. فلا يرى مع مولاه شيئاً يراه لكونه أنيسهم. وجليسهم في ساحات الرضوان. ومراتع الإحسان. فإن فطرة الآنس غالب عليها هذا المشرب البهي والمنظر العلوي.

فإذا خلصت الفكرة وتحررت الفطرة من مسالك الركض. وعلمت صحة النقل من الفرض. علمت ذاك الأنس ومداه وما يجب على النفس حين تتفرغ له من الإرادات والموافقات.

فإذا سلك الآنس قبل ذلك في قفار الخلق أذهله ما يعاملونه به من غلظة ونفرة وحظوظ نفس وتخلي كل مخلوق بنفسه دون المجموع الآدمي الكلي وهو قوله: نفسي نفسي.

فإذا عامل المخلوق علم أنه صنم لا يغير ولا ينفع حتى شيخه داخل في ذاك المجموع. لكون الشيخ متلق لآلاء الحق تعالى ناظراً إليها دون تحكم فيها واستحكام.

فإذا أوقفت ذاك الآدمي بجوار الخالق في الائتناس به فقد أخفقت.

وإذا رأى الشاهد أنَّ حَظَّ الشيخ في فكرته انشغاله بنفسه وأهله فلا يلومن إلا نفسه لكونه أنس به دون الحق تعالى. وكان الشيخ وسيلة لا غاية. فمن تعلق به وأعطاه فوق مرتبته فقد أنس بالمخلوق ونفى الأنس عن الخالق.

وإذا غلب المشرب القهري على النفس بتعلقها بالشيخ فَلْتَسْعَ على زحزحته بعيداً عن ساحتها حتى تهدأ.

ألا ترى أن الصديق أبا بكر قال بعد قبض رسول الله (ﷺ) من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

فذاك اللبيب الذي أودع قلبه الحظ الأكبر مع من لا يموت. فإذا غاب أو مات المخلوق فهو الآنس على الدوام.

فإذا انعقد القلب على عقدة واحدة انحطت رقبته. فوجب عليه أن يودعه عدة عقد في المرتبة. ومن هنا كانوا لا يأمنون مكر الحق تعالى. لكونه يبتلي في مثل هذا المقام. فهو يبتلي مقامه بالخلق. حتى يميز الخبيث من الطيب.

فإذا رأيت الباحث في الرتبة رأيت أقلاء من أقوياء هذا المقام. لضعف الفطرة.

ولتعلق الروح بما حولها وانجذابها إلى الماديات أصلاً. فهي مجذوبة قهراً.

فحال هذا الآنس أنه نافي عن المادة الجامدة والأرواح بجملتها شريفها وحقيرها.

أما الأرواح الشريفة فهي كغاية ساقطة إلا إذا كانت وسيلة. لذا أمرنا النبي (ﷺ) بمحبته وقرنها الباري بمحبته وذاك قوله: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحبِبْكُمُ الله﴾**.

فجعل الوسيلة هي الاتباع والغاية هي المحبة الإلهية لا محبته هو عليه السلام وإلا لتساوت رتبة الخالق بالمخلوق وهذا مذهب فاسد.

ولا يغيب عن المحبوب المخلوق المتخذ في الوسيلة أنه وسيلة لذا يأمر أن لا نفرط في محبته ونعطيه أكبر من طاقته في رتبة المحبة حتى نتخذه غاية. والواصل إلى مشارف هذا المقام يصارع نفسه. ليدحض عنها بمقام الفرقان.

وفي كلا الأمرين فإن حب الغاية لازم له حب الوسيلة حتى يصل المحب

إلى غايته ومعه أيضاً حب الوسيلة التي أوصلته إلى غايته فلا بد من الاقتران.

ويقرن المخلوق ليدل على حب الخالق هو والوسيلة من قبله سبحانه. ويأتي على المريد زمن يطلب من نفسه الاستغناء عن الشيخ لدخوله في هذا المقام.

فالشيخ يدَّعي الاقتراب والمريد بفطرته نافر لكون الشيخ قد فطمه.

فإذا تعين رتبة الأنس على ما ذكرنا فلا مخلوق في الأنس بل الحق. ولا نزول أو وجود معه. بل لا يعبأ بالوجود.

ولا مناسبة لضيق المجال بين الرب والمربوب. ولا يتحدث عن هذا إلا الكرم والكرامة التي أكرم بها الحق تعالى العماء المحض الذي جعله مخلوقاً مكرماً عارفاً معرفاً.

وذاك الآنس إذا دخل لا يحمل إلا على قدر ما يحمل من أوزان الأنس. لكونه مستهلكًا في جلال الحق تعالى وجماله. ويشترط عليهم أن لا يأنسوا به حتى يأنسوا بغيره فإذا ذاقوا الأنسين علموا صحة المقامين وصحة الدعوى في الخلق والخالق. والمربوب والرب والعابد والمعبود.

ويشترط عليهم أن لا يأنسوا به حتى يخدموا غيره. وإنما خدموه هو أصلاً لا غيره فمن أنس بالوسيلة فكأنه أنس بالغاية. ومن تأدب مع الوسيلة فكأنه خدم الغاية. وآية هذا المقام قوله: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾.

وقل من يستحضر مقام الأنس الإلهي دوماً وهذا لا يستجمعه إلا قلة من رؤوس الأشهاد. وهذا يحكى عن إبراهيم الخواص لما كان في البادية والأسد رابض بجواره فلما كان في اليوم الثاني اقترب من طيور على الأرض ففرت فطارت لما رأته.

فعجب من ذلك فسمع نـداءً يقول له: البارحة كنت آنساً بنا واليوم أنست بنفسك. فانظر يا أخي صحة المقامين.

ومن ثم تجد الفرقان قائمًا بين الأنس بالمخلوقين.

فلا تجد كل المخلوقين يؤتنس بهم سواء. بل منهم من لا يؤتنس به أصلاً بل ينفر منه. وينفر عنه. وهذا صفة الفارين في الجبال والصحاري. الذين قتلهم سلطان المجاهدات. وأعياهم السير المجد.

ومن هنا تأتي نكتة شريفة في كون الواصل لو أنس بمخلوق مثله. فإنه لا بد له أن يتراجع يوماً وينفر عنه قهراً. لكونه ليس هو الغاية في هذا الباب فافهم.

واعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أنه تعالى برأ الأعيان منه وإليه لكن لما انقطع اتصالهم به فإنهم لم يعلموا حقيقة إنسهم به على التحقيق لكون أنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق في باب معرفة الهوية والإنيّة. إلا من باب التنازل في رتبة الواحدية.

لذا فإنه تعالى انفرد في إنسه بنفسه تحققاً مقامياً محضاً. وهم أنسوا به أضغاث أحلام أو سراب بقيعة. ولذا قال: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾. وعلى قدر العلم كان الأنس. فالعلم الإلهي له أنس لا يدركه العلم المحدث.

لكن من جعل أنسه به على قدر طوقه وطاقته فقد أفلح في علمه وتميز في تقديره لنفسه لكون هذا غاية الإرادات في الذوق. ولم يعلم الفتى المحقق أن مقام الأنس أعلى من مقام البسط. فجعل يخلط بين أمرين في لون واحد مع اختلاف المشربين. فذاك الآنس تراه لا يرد إلا بإذن مولاه مسلوب مستهلك بلا رجوع لا تلوث في ترتبه. أنس بعد صبر طويل. ورضى جليل. هو في أنسه سلطان وقته. وفتى فنه عنده كل لحظة من لحظات هذا الأنس تعدل الدنيا والآخرة.

أما ذاك صاحب البسط فقد يكون صاحب تلوين ممزوجًا بقبض هو ليس في فرحته بربه كذاك الآنس. فذاك يشرب العسل المصفى وهذا يشرب المشرب. فشتان بين حقيقتين.

ومن هنا علم جوقة أهل التحقيق وعصابة الفريق أن الولي لا يأنس حتى

ينسبط ولا أنس بدون مروره على البسط. وهذا كمن لا يصح إخلاصه بدون صدقه فلا إخلاص بدون صدق.

وخير الأنس ما برز من الجناب الإلهي على غير موعد. فذاك أعلى مراقيه. لكونه من كنوز الحق تعالى المخبأة التي يوعد بها أهل السعادة والتحف والأناقة.

وذاك لكون تصنع الأنس ليس من علامات الأنس فافهم يا أخي.

واعلم أن حقيقة الأنس الفناء في المأنوس به أياً كان خالقاً أم مخلوقاً. وإذا كان غير هذا فهو في مقام أهون من الأنس كالبسط.

أما الفناء في المخلوق فلا فائدة يتحصل من نفوذها. أي فناء الناسوت في الناسوت.

وصل

ـ فإذا قيل لنا ما حقيقة الأنس؟

قلت: هو قطع العلائق بدواعي الشوق.

أو هو الانفراد مع الديمومية.

أو هو استحواذك عليه واستحواذه عليك.

أو هو أمن مكره أبان قهره.

أو هو الخلاص منه إليه. والفرار منه إليه.

أو هو الفرار من رسوم الجمود. إلى بساط الشهود.

أو هو الاغتسال من أدران الحجاب. بسلسبيل الرضاب.

أو هو فناء العاشق في المعشوق

أو هو الاغتسال في إناء واحد.

أو هو التروي من ريه. والنزول عند رأيه

أو هو شفوف الستور. وزوال الخدور.

أو هو رفع الأدب بالأدب.

أو هو المزاح بغير مزاح.

أو هو انفراد الأحبة في منازل القربة.
أو هو التناجي بغير كلام
أو هو إقامة الأفراح على الدوام لزوال دواعي الأتراح
أو هو نسيان الكل لأجله.
أو هو الانقطاع إلى ساحته لاستيلاء راحته.
أو هو أن تنسى نفسك معه.
أو هو استخلاصه لك فلا ينازعك فيه أحد.
أو هو تطليق ما سواه.

مخاطبة عبد أوقف للعتاب

أي عبد أهرب وأنس به. وأفخر به وتلذذ به. واقترب به وتطهر به. وصلِّ به. وصم به. وحج به. واذكر به. فأنت بغيره لن تصلح ولن تفلح.

فأنت قديماً في عالم البدء به بطشت وبه مشيت وبه شهدت على نفسك وبه أنت الآن تترجم عن نفسك. وتحقق له المقولة الأولى.

أي عبد ألا ترى المادة طغت واستحكمت وملكت وتملكت. وأغرت واستحوذت ألا ترى الجماد يعبد من دون الله. الواحد القهار الملك الجبار قال إبليس بلسانه: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.

أين الأنس بالمعنى دون المادة؟ أين الفرار إلى الخالق دون المخلوق؟ أين الأنس الصافي دون الجمود الجافي؟.

جوارحك تترجم أنها لا استغناء لها عن الركون إلى الصانع. والزهد بالشرع دون الشارع.

حبيبي اسجد واقترب وتخشع وانتصب. من أنت في ملكه ذرة رمل. أو خطرة عقل؟ ما أضعفك بقوتك. وما أقواك بقوته؟ فكن ضميره ولا تكن ضميرك هو أرجأك بحلمه. وعرفك رجاءه لما حجبك عن حقيقة جلاله.

وخوفك بعلمه وعرفك خوفه لما حجبك عن حقيقة جماله.

فكن عبد المعنى ولا تكن عبد الحس. حينذاك تفهم لغة المليك. وإلا فأنت المحجوب بعينه ألا تفهم يا ضعيف.

غَابتْ رسومُ شواهـدي　　لما رأيـــتُ خيـــامهـــمْ
وفنيـــتُ عـــن بشريّتي　　لما سمعـــت كلامهــــم
وعـدِمـتُ رسم حقيقتي　　لما شربـتُ مـــدُامهـــم

وصل غرامي

أين الأنس لا أنس. ما الأنس ما أدراك ما الأنس؟

ليس الأنس في الخلوة أو الجلوة أو الفكرة أو العبرة أو النظرة بل ربما في أضداد هذه المعاني. أو أنغام تلك المغاني.

دعنا من كل هذا. ولا تقل لماذا؟ ولا تبحث عن السبب. وتكثر العجب. فهنا يضيع النسب. ويلغى الأدب.

فإن كنت من أهل العناية. والدراية والرواية فاثقب العذراء. وكن جوهراً محضاً. لا عرضاً صرفاً. وتكلم بالمعنى لا اللفظ حتى لا تسقط من نظرنا فتخرج عن مرامي فهمنا. فمن تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

لو علموا حقيقة الأنس لما أنسوا. أيها الآنس يا أنيس الجليس. إلى متى تشرب وأنت لم تزل ظمآن. غير ريان. وإلى متى تناجي يا قمر الزمان. وإلى متى في شهودك على بساط إنسه سكران. تمتع وعلى بساط الأنس تربع. أنت في مقعد صدق عند مليك مقتدر يقال لك: ﴿**إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾.

أراكَ تـزيـدُ فـي عينـي جمـالا　　وأعشـقُ كـلَّ يـومٍ منـك حـالا
تـزيـد مَلاحـة وأزيـد عشقـاً　　فحـالي فيـك ينتقـل انتقـالا

مخاطبة من روح القدس

من الأنيس يا ترى ومن المأنوس به؟ أنت أم هو؟ هو أم أنت؟ دعنا من الوصف والموصوف. والرصف والمرصوف. ليتني لم أعرفه حياءً منه. وليتني لم أخلق. ليتني كنت قشة. أو تبنة أو لبنة. أو صخرة منسية في فلاة مهجورة.

أي روحي بل روح الروح إن فخري بك كبير وفخرك بي أكبر. أي أنسي وأنيسي وملكي ومليكي فلا تفخر إلا بي.

جننـا بليلى وهـي جنـت بغيرنـا وأخرى بنا مجنـونـة لا نـريـدهـا

إلى متى يا عبد وأنت في وادي الهجر شارد عنه هو يدعوك إليه أن أقبل يا عبد مرحى طوبى لا أنساك وإن كنت أنت الناسي. لا أجفوك وإن كنت أنت الجافي القاسي.

ما هكذا عهدتك. وما هكذا عهدتني. فارجع يا مغاضب. أنا قادر عليك قد تركتك بإرادتي تغاضبني.

أيها الرباني الفرداني تزعم أنك بعت النفس لي. وفنيت فيّ. فأين بيعك وقد وجب الشراء. إذا لم تسأم فإني لا أسأم. ولا أمل حتى تمل.

أي عبدي لو أطلعتك على كبريائي وعلو شأني وسلطاني. لكنت محقاً محقاً. فأين تكبرك فيّ وعليّ.

شـوقـي إليـك مجاوزٌ وَصْفـي وظهـور وجـدي دون مـا أُخفـي
يـا ليـت جسمـيَ كلُّـهُ حَـدَقٌ حتى أراك وليتـه يكفـي
مـا دار ذكـر منـك في خَلَـدي إلا طـرفـتُ بـدمعتي طَـرْفي

فناء الآنس في المأنوس

لعمري سل الآنس من هو؟ وسل المأنوس به من هو؟ لأجاب الكل

بلسان الآخر. نحن شيء واحد.

ألا تقف أيها الخل الشجي. والحبيب القدسي. على بحار الرقة. فتنهل بذوق فريد. وطعم شهيد. من سلسبيل وحيد. هناك يطيب المزاج. ويقال لهم على لسان المأنوس به المتكلم بلسان الحضرة: ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾.

ويقول لهم: أي شيء تريدون. وأي أمنية تتمنون. ألم أبيض وجوهكم وأوفى بعهودكم. ولم أخلف الميعاد معكم. وأعطيتكم الحسني وزيادة. والكلام معي والنظر إلى والتروي من جلال وجهي. وها أنتم خلود بلا موت فأي عطاء أكبر بعد هذا.

أي أحبائي إنَّ شوقي لكم مزيد طال انتظاري لكم. وبأي شيء ألقاكم إلا برضاي عنكم فلا أغضب عليكم بعد اليوم. في دار كرامتي. فتعالوا الآن فاشهدوا أفراحي. وشدة ارتياحي. وتنعموا بمحض الصفاء. وخالص النقاء لأقيمن لكم عرساً تحضره كل الأملاك. وتزينه كل الأفلاك. فافتحوا في قصور الجنان كل شباك.

ألا ترى يا صفي كل الجنان بقدومك تهتز طرباً. وأهل الحضرة سجدوا لك أدباً. والطيور الخضر قد خرجت من قناديل الذهب. وغردت وغنت من الطرب. هنا لا سجود لا ركوع لا قيام لا صلاة لا صوم. هنا دار كرامتي. خذ اللذة الخالصة. بلا تعب أو وصب أو كبد. فتعال حتى أناجيك على الكثيب. لتشهد ما لم تشهده في الدنيا والآخرة. بعد كشف الغطاء فتعال كلمني ناغني. واهمس في أذني. وأسمعني خُبْر تلك الأيام الخوالي. لأحقق لك الأماني. وقل فقد أذنت لك ولا تخجل:

لِمَ لا أُعـرَضُ بـاسم عَـزّةَ إنّهـا ... أخـذتْ عليّ مـواثقـاً وعهـودا
لو يسمعـون كما سمعـتُ كلامهـا ... خـروا لـعَـزّةَ رُكّعـاً وسُجـودا

مخاطبة كاس فاض مما به

أيها الكاس قد فضت مما بك. وطفحت من حواليك. أيها الفخار الآني. والصلصال المتداني. يا عنوان الحق أيها اللاهوت والناسوت. لو علمت حق الأنس به لما كنت لغيره. وهربت منه إلى سواه. وتلذذت بلذة دونه. وتروحت براحة غيره. هو يدعوك بلسان أنس أنت لا تعرفه. ولن تفقه لسانًا من نفحات كنوز القدس. وخفايا الأنس هو يدعوك بصفاء لن تصفو به. حتى يرفعك إليه فترى معنى هذا الصفاء ومعادن مكنون النقاء.

أيها الخل الخفي. يا فائض مما تخفى فكفى إخفاءً. فقد انكشف المستور. ووضح المغمور. الست أنت القائل: الهجر أهون من عذابي في قربك. كي لا أرى يوماً أشقى فيه بحبك.

فتعال كي آخذ ثأر عشقي منك فأخلص كل الأيام الخوالي في ليلة واحدة. أي روحي ومالي روح. أنا أخاطبك الآن وأنا معك فيك. أسري في ذاتك وكلك لا غنى لي عنك ولا غنى لك عني. فتعال حتى نكون شيئاً واحداً بغير امتزاج. ونتحد بلا ازدواج.

خذوا حِذركُم من ساحرِ الطرفِ أغيد	فكم قتل العشاق عمداً ولا يدري
ولا تردوا ماءً بمدين حُبِّه	فليس بها ما ينفع الهائم الصَّدي
ولمّا نزلنا واديَ الودّ لم أزل	أبلُّ ثراهُ لاثماً بتوددِ
ونادى كليمُ الشوق مولاه ربه	فلما تجلى دُكَّ طُورُ تَجَلّدي
وخَرَّ فؤادي صاعقاً لم أفِق لما	بدا من سنا ذاك الجمال المحمدي
سألتكما يا أهل نجدٍ وحاجرٍ	على جمرات الوجد مَن هو مُنجدي
وكَمْ لَيلة أفْنَيتُ بالرشفِ ثغره	وبت وإيّاهُ كحرف مُشدّدِ

مناجاة الفردانية

ولما أوقفني في الفردانية على بساط شهوده شاهدته يناجيّ في فردانيته

فردانيتي فرد يناجي فرداً فقال لي: أنت المراد من بين الكثرة ولا عبرة بكثرة أنت الطالب والمطلوب والراغب والمرغوب فاعجب أنست عيني ودائرة شهودي. كنت معي في الأزل. وستكون معي إلى الأبد. أبد الآبدين ودهر الداهرين وخلود الخالدين. أنت فرد الوجود بهي الشهود. ليس في الوجود مثلك ثان. ولن يكررك زماني. فاحكم بحكمي وتكلم بلساني. وعظهم ببياني. الكل منطمس فيك. ذائب في عينك. أفخر ولا فخر فهو مقامك. ومن مقامك تفخر. تعالى حدثني عنك. وعن طويل جهادك وعزيز آلامك. وسهرك وجوعك وعطشك وتشردك في البلاد وغربتك. فلأغسلن تلك الآلام. ولأنسفنَّ خوالي الأوهام. فلا يشاركني فيك أحد. ولا يحكم فيك فرد بأخذ ورد. أنت شيخ الأحراز وأمير الأسرار. أي فردي ما لي أراك نحيفاً نحيلاً. ألا تأكل وتشرب وتهنأ وتمرأ. أنا أدرى أنك مجنون بي. مهووس في محبتي. مستهلك في مرادي. فانٍ في ودادي. فلأعوضنك بعوض ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أنا أدري أنك تعبت كثيراً. وتحملتني طويلاً ولم تشكُ لأحد. بل كتمت. وتجلدت فحقاً أنت من أهل القربة. فهنيئاً لك تلك الشربة. كم صمدت لاختبارات. وتصديت لابتلاءات. وضحكت في المعضلات.

فحقاً أنت الفرد الجامع. الجدير بهذا المقام. القادر على ارتقاء وظائف النظام. فعرض أو صرح ووضح أو لوح.

أنا معك في كل لحظة. وخطرة من البدء إلى المنتهى. وأنا الكلمة والمعنى. والغناء والمغنى. وكل ما خطر ببالك فأنا دون ذلك وأنا ما سوى الكل بل أنا ما دون العالم. لم تسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلبك. أتراك الآن يقنت هذا السر. ومفهوم النهي والأمر؟ حيرتك بالتنزيه فنزهتني بالتشبيه. ولا يرضيني تشبيه. فما نزهتني إلا بتشبيه. وهو عين التنزيه. وإلا فأنت إن لم تشبه تكن في مجاهل الأحدية. وألباس ذاتي الصمدية. فنزهني كيف شئت. وشبهني بحسن ظنك. فأنا عند حسن ظنك بي.

تجلت لنا الأنوار من وجهها الأسنى فشاهدتها سلمى وشاهدتها لبنى
وشاهدتها عيني ولم أك غيرها ولا عينها والكل من ذلك المعنى
ظهرنا بها فرقاً وجمعاً بنا بدت وهذا هو التحقيق والمشرب الأهنى
ولله أوقات حبتني شهودها بعلم وذوق أظهر بعض ما اكتننا
وما ثم غير باعتبار ظهورها فدعها بنا تبقى ودعنا بها نغنى
أخي أثبت الأعيان وانف وجودها وذق وحدة راقت لمن قد علا يهوى
ونزه وشبه واعرف الكل كي ترى عرائس جمع الجمع في الشهد الأسنى

عود إلى البدء

قال الشيخ رضي الله عنه ولما عدنا إلى بدء أنشدت على لسان الآنسين:

طاب وقت السماع يا ذا المغني وبه أثمرت غروس التمني
رَوّق القول كم تثير غرامي إنما أنت بالغنا تمتحني
كل ما في الوجود يرقص شوقاً وبه السوق نحو روض التهني
صاح إن غبت عن وجودي اشتياقاً وانزعاجاً وحرقة لا تلمني
إن شأن السماع والله شان قل لشانيه لست من أهل فني
إن ترد وصف فعله فهو نور مدهش مقلق ومغن ومدني
يجعل الكل بالشهود حيارى يا لها حيرة خلت عن تعن
حبذا أهله لديه نشاوى بل سكارى من غير خمرة دنّ
يا أسارى الغرام في كل واد ما أنا معرب ولست بمبني
مشرب المحو في العروج هجيري حضرة الجمع مشهدي وهي حصني
فاحتسوا خمرها على كل حال واخرجوا من خيال حال المثنى
وجرى بيننا قديم حديث لم أصرح به ولكن أكنى
وهو والسر واحد يا مريدي مسفر عن وجوه سر التثني
وأديرت كؤوس خمر اتحاد في انطلاق والقيد قد طاح مني
يا لها حالة تجلى سناها حيث لا حيث بعد ذات لا تسلني

بـل أعني بـذكـر سلمـى ولبنـى ... ويمن حـل في الربـا مـن أغنّـي
وبـذكـر الطـلا ونقـرات دف ... وحـديـث الغـرام في كـل فـن
وبـروق الحمـى وسكـان سلـع ... وبسجـع الحمام مـن فـوق غصـن
وابتسـام الزهـور والغيـث يبكـي ... وارو عنـد الكـرام مـا صـح عني
وإذا ذقـت مـن شرابي نصيبـاً ... فهو عين القبـول فـارقـص وغـن
لا تخـف بعـده ألـيم افـتراق ... فلـك الوصـل والوصـول اللـدني

محاكمة العساكر
الإلهية
«لتقي الدين بن تيمية»

الحمد لله في الآخرة والأولى مولى كل مولى.

أحمده على كل منة. وأستعيذ به من كل نقمة. سبحانه تجلى وترقى. وتحلى وتعلى. ملك لا نهاية لبدايته. ولا بداية لنهايته. إذا رضي عنك فأنت جميل فافعل ما شئت لكونك محل جماله. وقد قبل هذا الوصف فيك.

ألا ترى يا ولي الله بحار الشوق فاضت وغاضت وما فاضت. أهلاً بأهل الوداد. أصحاب النادي. فهذا ميدانهم فليجولوا ويصولوا. فهاهنا ساحة المحبوب. فهنا يعتدل المقلوب. ويتأوه المغلوب.

هنا تصح المكاشفات وتطيب المنادمات وتلذ المجالسات.

وتحلو مناغاه الحبيب. وإنشاد النسيب. وصلى الله على فتى الوجود وجمال الشهود. وعلى آله وصحبه وبعد.

فلما تجنى ابن تيمية على السادة الصوفية. وبقية الفرقة الربانية. أحببت أن أذب وأهب وأورد وأصد وأكد وأفي فجعلت ذلك في محاكمات والله ولي التوفيق.

المحاكمة الأولى

قوله: بمنع إهداء الثواب إلى حضرة النبي (ﷺ).

قلت: لعمري ما علمت من منع ذلك قبله من مشايخ الإسلام. ومن منع هذا من أتباعه استندوا إلى وجوه:

الوجه الأول: اعتقادهم أن النبي (ﷺ) صار لا تأثير له. كما حكى الحصني في كتابه الذي رَدَّ فيه على ابن تيمية أنَّ ابن أخيه سمع رجلاً يقول يا جاه محمد فقال له واحد من أتباع ابن تيمية لا تقول يا جاه محمد فإنه قد صار قفة عظام بالية.

وحياته وتأثيره في العوالم (ﷺ) غير محتاجة إلى إثبات نقلاً وكشفاً وذوقاً وعقلاً.

وأتباعه من الوهابية اليوم بأرض الحجاز ينكرون حياته (ﷺ) ويقول الرجل منهم للآخر أنت إذا اجتهدت وصليت وصمت صرت مثل محمد.

الوجه الثاني: اعتقادهم أن جانبه الرفيع (ﷺ) لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له.

وهذا قول ابن تيمية بلفظه. وهذه حماقة لكونه (ﷺ) غني عن ثواب العالمين.

أما مقامه عليه السلام ففي غني عن ثواب أهل الأرض جميعاً من بدء الساعة حتى منتهى الدنيا وثواب المثابين في كل هذه المدة لا يعدل ثواب ركعة صلاها رسول الله (ﷺ).

فإذا أهدى المهدي فإنما يهدي لنفسه لا غير عن طريق الحضرة. فيرتفع مقام المهدي لا مقامه (ﷺ) ببركته عليه السلام لكونه مطلعاً على صعود الأعمال.

فإذا استحضر المهدي حضرته كان خيراً من عدم الاستحضار.

فمثل هذا لا يحتاج إلى إذن خاص فهذا عبدالله بن عمر اعتمر عنه (ﷺ) عُمَراً بعد موته من غير وصية.

فهذا ابن الموفق حج عن النبي (ﷺ) سبعين حجة وهو من طبقة أبي القاسم الجنيد.

وهذا ابن السراج ختم عن حضرته (ﷺ) أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى كذلك.

واعلم يا ولي الله أيدني الحق وإياك بروح القدس أنه (ﷺ) مفاخر لا محالة يوم القيامة النبيين والمرسلين بما أهدى إليه فخر مقامهم لا مقامه. وهو مرفوع بهم وهم مرفوعون به لعزته وعزتهم عند الله. لكونه أكرم نبي ورد على الحق تعالى وهم أكرم أمة وردت ساحة الحق تعالى. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. فلعمري لا ينكر فضل الهدية إلى حضرته إلا محجوب. وهذا ما بلغ ذوقنا في مقام الهدية.

المحاكمة الثانية

قوله: بإثبات جهة الفوقية للحق تعالى ومن أتباعه من يثبتها له ولا زالوا.

قلت: استدل ابن تيمية في ذلك هو وابن عبد الوهاب بحديث الجارية.

فقالوا: هو فوق العرش مستوٍ حقيقةً بذاته حتى قال لي أحدُ أتباعهم في قاهرة المعز: إنَّ الله بذاته في السماء كما يقول شيخنا ابن تيمية وإذا كان هذا رأي ابن تيمية وابن عبد الوهاب فهم كفار لكونهم فصلوا الذات عن الصفات. وفرقوا الحق تعالى عن مستحقاته. وهذا لم يقل به أحدٌ من أئمة الشرع لا سلفاً ولا خلفاً.

بل هو تعالى موجود معنا في كل مكان بذاته وصفاته. وهذا مذهب السلف والخلف. وقد حكى الأشعري من العجائب ما يذهل في كتابه «مقالات الإسلاميين».

وما علمت من فصل الذات عن الصفة قط سواهم. واعلم أيدني الله وإياك

بروح القدس أن الدليل العقلي قائم في المخلوقات دون الخالق على عدم انفصال ذواتهم عن صفاتهم. لكون الصفة عين الموصوف ولها تعلق بها لا ينفك. وهذا معلوم لنا بالذوق فهل يثبت جمالك إلا ذاتك ووجهك. وهل يثبت كرمك إلا ذاتك ويداك. فكيف تنفك الصفة في الخالق الأعظم عن الذات. فالخالق أولى من المخلوق.

ومن النكات البديعة في هذا الشأن أقرب المواطن للحق. فكيف يكون أقرب المواطن إليه تعالى في جهة سفلى. وهذا يعلمنا به جل جلاله كونه موجوداً في كل مكان بذاته وصفاته. ويبرهن به أنه لم يكن موجوداً في العلو أكثر من الهبوط. بل الأمر سيان.

المحاكمة الثالثة

قوله: بتقسيم النزول إلى ثلاثة أنواع:

«الأول»: نزول مقيد بأنه من الله.

«الثاني»: نزول مقيد بأنه من السماء.

«الثالث»: النزول المطلق غير المقيد بمبدأ.

وقوله: إن نزول الرب يجب أن يحمل على حقيقته لا مجازه لإنكاره المجاز.

وقوله: إن العرب تستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أحد أنزل النبات ولا أنزل المرعى وإنما استعمل ذلك فيما خلق في محل عال وأنزله الله من ذلك المحل إلى السفل كإنزاله الحديد من أعالي الجبال وكإنزال الأنعام من بطون الأمهات.

ومن ثم ربط ابن تيمية النزول اللغوي بالنزول الإلهي.

قلت: أورد هذا ابن تيمية في رسالته المسماة «التبيان في نزول القرآن»

وفي رسالة «شرح حديث النزول». وما علمت أحداً في السلف والخلف قسم التنزل الإلهي سواه.

وفصل نزوله عن إنزاله. وإذا تم الفصل بطلت القدرة لكون اللغة ليست حجة على خالقها. فهو علمها لآدم. فليست اللغة حجة على صاحب اللغة.

وإذا حملنا النزول على حقيقة النزول اللغوي المربوط بالأجسام وأزلنا المجاز فقد كفرنا كفراً صريحاً.

ولكننا نحن ننزهه سبحانه وتعالى. فعوالم نزوله جل جلاله عوالم تتيه فيها معاني اللغة. وأرباب اللغة في هذا الميدان لا صول ولا حول لهم. إلا إذا حكموا البصيرة النافذة. هناك يسري السر ويعلمون حقيقة النزول المطلق المتحقق.

واعلم يا ولي الله أن الحق تعالى لو كشف لنا عن حقيقة نزوله لكشف لنا عن حقائق ذاته ونفسه وهذا لا ينبغي لنا في هذه الدار.

وكل خوض بغير تنزيه له فهو جهل محض.

ولو كانت الأرض ككرة وبداخلها رجل لاستطاع إنزال أي شيء من أي جهة سواء فوق أو تحت لكون الأرض كروية وتدور حول نفسها ومحورها كل أربعة وعشرين ساعة مرة فينقلب النظام العالي والسافل بدورانها ولكن لا شعور لنا بدورتها. ولا بجهة التغير. والمعبر عن ذلك الفصول والليل والنهار. وقد اقتضت الطبيعة المخلوقة جنس النزول ولكن لم يفقه ذلك أهل الحجاب.

فلما كان الزرع لا ينبت إلا في الأرض لم يطلق عليه أهل الطبيعة أثبتت اللغة ولكن ذلك ليس محالاً في لغة الحق تعالى الباطنية. كونه ينزل من السماء زرعاً ونباتاً. وجهل هؤلاء هذا المقام وقاسوه بالعلو والهبوط. ولو فقه المتكلم في شؤون الحق تعالى اللغة لما قاس بها ربَّ اللغة. بل يثبت الحق تعالى بما استطاع منها لكونها حقائق إثباتية له لا تعارض قدرته وإلا سقطت نعمته. لكون قدرته أعظم منها. فهي جزء من قدرته تعالى. لا قدرته جزء منها.

ولذلك وجب إثبات المجاز في اللغة حقاً في أمورها الكنهية. وإلا سقطت قدرتها وفصاحتها. وعظم جمودها وانحصارها.

المحاكمة الرابعة

قوله: بإنكار المجاز من اللغة والقرآن.

قلت: لم نرَ من أنكر مجاز اللغة سلفاً ولا خلفاً وإنما لم يقسم السلف اللغة إلى حقيقة ومجاز. كما أنهم لم يكونوا يعرفون النحو حتى وضعه لهم أبو الأسود.

وكما أنهم لم يكونوا يعرفون العروض حتى وضعه لهم الخليل. فالاستحداث ليس مستنكراً. وقد صنف أبو عبيدة كتابه «مجاز القرآن». وتحدث الشافعي في رسالته عند قوله تعالى ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ فلما قال إذ يعدون في السبت دل على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية.

وتكلم أحمد بن حنبل في كتابه «الرد على الجهمية» على قوله تعالى: «إنا، نحن» الواردة في القرآن فقال: إن هذا من مجاز اللغة كما يقول الرجل: إنا سنعطيك كذا أو إنا سنفعل كذا. وهو يتحدث عن نفسه.

واحتج به أبو يعلى وابن عقيل من أتباعه أنه أول وقال بالمجاز. وقد قام الإجماع على أن اللغة تحوي المجاز والحقيقة.

ووضع الزمخشري جار الله كتابه «أساس البلاغة» وذكر فيه المجاز. ووضع ابن حجر كتابه «غراس الأساس» وذكر فيه المجاز ومجازات أخرى دون التي ذكرها الزمخشري هو أضافها. قال السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: إنَّ المجاز لو سقط من القرآن لسقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب حذف التوكيد والاستعارة والكناية والتشبيه. وألف سلطان العلماء ابن

عبد السلام كتابه المشهور الذي يعترف فيه بالمجاز ولخصه السيوطي وسماه «مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن». وبالجملة لو أنكر أهل الأدب المجاز في القرآن. لما اشتقوا منه البلاغات والبديع المحشوة بها كتبهم كالجرجاني وأسامة بن منقذ والسكاكي والخطيب القزويني وابن سنان والتفتازاني وابن رشيق القيرواني وأبي هلال العسكري وقدامة بن جعفر وأبي علي القالي وغيرهم.

قال ابن تيمية في كتابه المسمى كتاب «الإيمان»: تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من الأئمة الأربعة وإن هذا التقسيم إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في المائة الثانية اللّهم إلا أن يكون موجوداً في أواخره. انتهى.

وهذا قياسه باطل لكون الصحابة لم يظهروا كثيراً مما أظهره السلف من التابعين كإظهارهم لتدوين الحديث وعلم النحو والعروض وعلم الرجال والجرح. وإلا كانت هذه العلوم كلها باطلة لكون النبي (ﷺ) لم يظهرها هو وصحابته. وأظهرها من بعده من التابعين.

أي ولي الله. ولو أنكرنا المجاز لأنكره موسى النبي الولي الصديق. لما جاء إلى الخضر. فعلمه من مقاصد المجاز ما حيره فذاك قول الحق تعالى فيه: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. لكون المظاهر خادعات. فالصبر على ما بطن من معاني المجاز شاق لكونه من علم الباطن.

لهذا كان موسى يتكلم على الظاهر والخضر يؤوّل له ما لا يخطر ببال. فأين الحقيقة من المجاز يا ولي. وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى «تكملة الفتوحات المكية».

وهل النبي له من مقاصد المجاز كالولي أو كالصحابي وإلا تساوى الكل في ميدان الفهم القرآني ويرى كلاً يستمد على قدر تسليمه الذوقي. فيستخرج

من المظاهر دلائل المجاز المحيرة. وبطائن المجاز التي هي للمظاهر مغيرة.

المحاكمة الخامسة

قوله: بإنكار التأويل في القرآن.

قلت: والتأويل القرآني لو أنكر لصار القرآن جامداً لا جمال فيه. وهذا يا أخي لكون التأويل يحرك الجامد. ويظهر المخبيء من الجمالات والكمالات. التي لا تتم إلا به.

لهذا صار المحجوب لا ظاهر له في هذا الفن. لجمود حسه ومعناه. لذا قال شيخنا الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره: فظاهر الشرع ليس إلا نصيب العامة من الناس وأصحاب النظر الفكري كما أن الأنبياء إنما خاطبوا عوام الخلق بلسان الظاهر في حين أنهم يرمزون إلى أهل الكشف والعرفان بأن وراء هذا الظاهر باطناً خاصاً لهم وحدهم. اهـ.

وقال في موضع آخر: وأهل الظاهر لسانهم ليس لساننا وأن المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها بفكرة ولكن يقبلها ولا يقوم عليها دليل ولا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل. اهـ.

ورأيت من ابن تيمية عجباً هو وأتباعه في رفضهم للتأويل. ولا بد لهم من تأويل رغم أنفهم وإلا دخلوا في دائرة الكفر. فإذا قرأ قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ وجب عليه أن يؤوّل اليد بالقدرة وإلا لو حملها على ظاهرها وقال هو له يد من لحم ودم كيد البشر لكفر.

ولو قرأ قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ولم يؤوّل وقال له وجه كوجهنا لكفر. وقد كان جماعة من الحنابلة وأصحاب الحديث كابن خزيمة في كتابه «التوحيد» يحملون ظاهر نصوص التوحيد بدون تأويل.

وقد هاجمهم ورد عليهم الحافظ ابن الجوزي في كتاب «رد التشبيه بأكف التنزيه» فمن جملة أقوال بعض متأخري الحنابلة: إثبات الوجه للحق تعالى بدون تأويل. إثبات اليد للحق تعالى بدون تأويل. إثبات الأصابع للحق تعالى بدون تأويل. إثبات القدم للحق تعالى بدون تأويل.

وهذا كله يعارض مذهب السلف والخلف في التنزيه. ورأيت أهل الفصاحة كلهم يؤوِّل وقلَّ منهم من ينكره حتى أن تلاميذ ابن تيمية أثبتوا التأويل.

فهذا ابن كثير وهو تلميذه يقول: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿قال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل﴾.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير والبيان كقوله تعالى: ﴿نبئنا بتأويله﴾ يعني تفسيره. اهـ.

المحاكمة السادسة

قوله بإنكار زيارة الرسول (ﷺ) وشد الرحال إليها. لمجرد الزيارة.

قلت: وهذا القول والفجور أول من اخترعه في تاريخ الإسلام ابن تيمية وهذه جرأة منه على حرمة رسول الله (ﷺ). وأظنه قد جوزي بها. حتى أن المعتزلة والمجسمة والجهمية والمرجئة لم يقولوا بما قال هو به. وكفى أن حرمته ميتاً كحرمته حياً بل ظهر لنا من دلائل مقامه بعد موته (ﷺ) من مقامه وبركاته أعظم.

وقد روى الدارقطني وابن ماجة عن النبي (ﷺ) أنه قال: «من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي».

وقد ورد عن ابن تيمية أنه قال: وأما ما يذكره بعض الناس من قوله (ﷺ): «من حج ولم يزرني فقد جفاني» فلم يورده أحد من العلماء. اهـ.

فقد خرج هذا الحديث أبو سعيد النيسابوري في كتابه «شرف المصطفى» من حديث علي رضي الله عنه.

ورواه ابن النجار في «الدرة الثمينة». ولو أنه (ﷺ) حي الآن فهل زيارته حرام. وقد كان يذهب إليه الذاهب من أقصى اليمن حتى يسأله وقد جاء إليه أبو ذر من بلاد بعيدة وأسلم على يديه. ورجع إلى أهله.

وجاءه أبو موسى الأشعري من أقصى الجزيرة وأسلم. وجاءه عدي بن حاتم الطائي من بني طي وأسلم. وشدَّ الرحال إليه عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ولحق به.

ولا زالت الوفود تشد الرحال إلى حضرته الشريفة وهو حي ولم ينكر عليهم شيئاً حتى توفاه الحق تعالى. وكتب السيرة مليئة بأخبار الوفود التي كانت تسير إليه (ﷺ) من أقصى الجزيرة العربية.

فإذا كانت حرمته (ﷺ) ميتاً كحرمته وهو حي. فشد الرحال بالنسبة إليه وهو ميت كشده إليه وهو حيٌّ لا غير.

ولم أعلم من حرم شدَّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين. ولكن حرم بعضهم كالجويني شد الرحال إلى زيارة القبور مطلقاً لا الصالحين على التعيين ومن ذلك قول ابن تيمية: إن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله (ﷺ) ولا استحبَّ ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأمة. اهـ.

وهذا القول ما قاله أحد سوى ابن تيمية من قبل. وعلى منهاجه أتباعه.

وقد روى ابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه «الإكمال» في ترجمة بلال خبر زيارة بلال للقبر النبوي وسفره من الشام إلى المدينة لأجل الزيارة.

قال الحافظ المِزي: وسبب سفر بلال رضي الله عنه لزيارة قبر النبي (ﷺ) أنه رأى النبي (ﷺ) في المنام فقال له: «ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال»؟ فانتبه من نومه حزيناً فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره (ﷺ) فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما، ثم قالا: يا بلال نشتهي أن نسمع آذانك الذي كنت تؤذن للنبي (ﷺ) في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا أبعث رسول الله (ﷺ) فما روي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله (ﷺ) من ذلك اليوم.

المحاكمة السابعة

قوله: بأن القرآن حادث.

قلت: وقد تجنى ابن تيمية وقال إن كلامَ الله حادثُ الأفراد وليس قدمه إلا بالنوع أي أن كل فرد منه حادث وقبله حادث وقبله حادث وهكذا فهو مجموع حوادث لا أول لها. والقول بأنّ الكون قديم النوع حادث الآحاد لا يعرف في الكتاب ولا في السنة ولا عن الصحابة ولا التابعين وأول من قال ذلك الفلاسفة من اليونان الذين ينكرون التدبير الإلهي والعياذ بالله من الكفر وهم الضالون. فإن الحادث لا بد له من محدث وبالضرورة لا بد له من انتهاء سلسلة الحوادث إلى القديم غير المحدث ولا بد من تقديم القديم على مجموع السلسلة مهما طالت تقدماً ذاتياً لا يتقيد بزمن وفي قولهم بحوادث لا أول لها تضارب حيث جمعوا بين الحدوث والقدم في واد واحد فوقعوا في التناقض.

وهذا الرجل المفتتن المغرور حمل راية بدعة القول بحوادث لا أول لها بين

المسلمين وزعم أن القرآن حادث والإنجيل حادث والتوراة حادثة وعلى هذا القول الباطل فالكتاب المنزل فرد حادث من سلسلة حوادث لا أول لها في زعمه وقد ضل به كثيرون وقلدوه تقليداً أعمى للاسم الذي يغرّ به الناس وهو أنه يتبع السلف وهو في الحقيقة يستدبر السلف.

وقد رأيت في كتاب قرره قوم في بلاد غير مصر في مدارسهم الرسمية هذه العقيدة يدرسها الطلبة في السنة الثانية وهم يعادون الإمام الغزالي لأنه نص على كفر الفلاسفة في ثلاثة أمور: (إنكار العلم بالجزئيات والقول بحوادث لا أول لها وإنكار حشر الأجساد) والصورة التي وصفها ابن تيمية في كلام الحق تبارك وتعالى هي أنه قادر على الكلام ويتكلم بكلام حادث ويسكت وهذا هو عين الجهل بالله فإن البشر كذلك ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾. وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾. أي بالنسبة لهم فإنهم لم يعلموه من قبل ومستحيل أن يكون محدثاً بالنسبة له سبحانه وقد أجمع السلف على ضلال ابن دؤاد وهو سلفهم في الاستدلال.

ومن جرأة ابن تيمية أن ينسب هذا القول إلى أصحاب الرسول (ﷺ) وهم منه بريئون وقد كذب على رسول الله (ﷺ) ولا شك أنه مكذوب عليهم رضي الله عنهم وقد كتب قوم من الحنابلة مثل ابن الجوزي في تبرئة الإمام أحمد من التشبيه وغيره. وليس من المعقول أن السلف لا يفرقون بين الكلام القديم والحادث.

والقول بالقدم النوعي كلام تافه يدل على نفاق في أهله فإنه ينطبق على كلام الخلق.

المحاكمة الثامنة

قوله: بفتاوى فقهية من المفردات والغرائب التي حوكم بسبب بعضها وسجن ومات لأجلها وقد ذكرها ابن عبد الهادي في «العقود الدرية».

قلت: وقد خالف ابن تيمية بكثير من فتاويه الأئمة الأربعة جميعاً بل قد يخالف أحياناً القوم سلفاً وخلفاً مدعياً الاجتهاد المطلق. وأحياناً يخالف إمام مذهبه أحمد بن حنبل فيما خالف فيه:

«القول» بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً طويلاً كان أو قصيراً كما هو مذهب الظاهرية.

«القول» بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما هو في حق القارن والمفرد.

«القول» باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

«القول» بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين أي مثل إماء أهل الكتاب.

«القول» بجواز التيمم مع وجود الماء لمن خاف فوات العيد والجمعة أو وقت صلاة أخرى من المكتوبة إذا استعمل الماء.

«القول» بتوريث المسلم من الكافر الذمي.

«القول» بعدم وقوع الطلاق بالحلف به إذا حنث وليس على الحالف حينئذ إلا كفارة اليمين. وقد وقعت له بلايا لأجل هذا القول حتى سجن.

«القول» بأن طلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة.

«القول» بأن المرأة التي لا يمكنها الاغتسال في البيت أو شق عليها النزول إلى الحمام لها أن تتيمم وتصلي.

«القول» بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه ولا يشرع له القضاء بل عليه الإكثار من النوافل رجاء غفران الله له.

«القول» بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلّي وغيره كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلاً وجعل الزيادة في الثمن في مقابل الصنعة.

« القول » بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلاً كان أو كثيراً.

قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية في « زاد المعاد » لما تعرض لمسألة الطلاق: وهذا لم يقل به أحد من الصحابة ولا الأئمة الأربعة. اهـ.

وقال الصنعاني صاحب « سبل السلام »: رأى ابن تيمية مخالف للأئمة الأربعة وكبار المجتهدين. انتهى.

المحاكمة التاسعة

قوله: بانقسام التوحيد إلى قسمين:

« النوع الأول »: توحيد الربوبية

« النوع الثاني »: توحيد الألوهية.

قلت: ما علمت منذ بعث نبينا (ﷺ) حتى يومنا هذا من قسم التوحيد إلى صنفين من التوحيد إلا ابن تيمية وأتباعه. وهذه بدعة صريحة لم ينطق بها رسول الله (ﷺ) ولا كتاب الله. حتى قال قائلهم إن النوع الأول وهو توحيد الربوبية بمعنى أنه صانع العالم واحد لا شريك له. وهذا التوحيد كان معروفاً لدى مشركي العرب. ويحتج بقول الحق تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ ثم يقول قائلهم وأما توحيد الألوهية هو ألا يعبد مع الله غيره. وهو يتضمن النوع الأول. فكل توحيد للألوهية هو توحيد للربوبية.

ثم يدَّعي مدعيهم أن هذين النوعين من التوحيد لم يهتد إليهما إلا ابن تيمية دون أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً.

وأن القوم كانوا في جهل عن توحيد الألوهية قبل وقت ابن تيمية. وهذا لب التوحيد وجوهره.

قال ابن تيمية بلسانه في كتابه «منهاج السنة»: وأدلة المتكلمين على الوحدانية لا ترقى بحال إلى تقرير هذا النوع من التوحيد الذي هو مناط الإيمان بالله والذي هو غاية التوحيد الذي أراده الله ورسوله. اهـ.

وهل يا ابن تيمية أخفى نبينا شيئاً من أصول التوحيد على الصحابة حتى جئت أنت فكشفت هذا الكنز الثمين.

وهل نطق أحد من الصحابة والسلف الذين تدَّعي أصلك منهم وهم من مذهبك برآء بأن التوحيد نوعان إلا سواك.

ومن عجيب الأقوال أن التوحيد واحد عند الله ورسوله والصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة. ولم يجعلوا نوعاً للمشركين ونوعاً للمسلمين.

ولمَ سُمِّيَ توحيداً إذا كان شيء منه للكفار؟. وهل الكافر موحد؟ أم يسمى في عرف أهل الكلام إقراراً دون فعل؟ فهل يكمل توحيد إلا بإقرار وعمل؟ أم أنت تفصل الكلام والإقرار عن العمل؟. وجعلت يا ابن تيمية توحيد الربوبية أصغر في المقام من توحيد الألهية.

وهل توحيد فيه أصغر وأعلى في النوع أم في المقام.

ولما قال شيخنا محي الدين بن عربي بإيمان فرعون كذبه أحد أتباعك وكذبته أنت فقد كذبك إذن وكذبت نفسك ونحن ما علمنا أن التوحيد إلا نوعاً واحداً وهو توحيد رسول الله الذي جاء به والرسل من قبله أما مقامات الموحدين فلا حَصْرَ لها كل على قدر عمله ويقينه وإخلاصه.

المحاكمة العاشرة

قوله: بمنع التوسل بالنبي (ﷺ) وكل من مات من صحابي وولي.

قلت: والذي نفسي بيده ما علمت من تجرأ على الحضرة النبوية الشريفة

في تاريخ الإسلام-سوى هذا الرجل.

وقد بحثت في التواريخ وطالعت ما ينوف على عشرين ألف كتاب وما رأيت من حرم هذا الفعل الشريف. وأظن أنَّ هذا الرجل قد أتلفه الله بتجرُّؤه على المقام النبوي المصون. ولا زالوا أتباعه في ديار الإسلام ينشرون هذا المذهب الفاسد. ويفرحون به أيما فرح لعنهم الله. إن كان هذا مذهبهم.

ولا زال كبار المحدثين والفقهاء والمجتهدين على زيارته والتوسل به (ﷺ) حتى أحدث هذا القول ابن تيمية. والذي يحير أنَّ من يتبع هذا الرجل فتية صغار لا علم لهم بالدين فيضلون برأيه. ويضلون العامة.

حتى يقول قائلهم: أنت إذا اجتهدت صار مقامك مثل مقام النبي وصحابته. ولعمري صدق الغزالي عندما قال: اللهم ارزقنا إيماناً كإيمان العوام.

وقد هاجم كثير من العلماء القدامى ابن تيمية وتبرأوا منه أمام الله لعداوته لرسول الله (ﷺ) وإنقاص قدره الشريف منهم إمام عصره وشيخ ابن تيمية تقي الدين السبكي وعز الدين بن عبد السلام والسيوطي وابن حجر الهيثمي والإمام تقي الدين الحصني والشعراني وابن دقيق العيد. وغيرهم كثير.

ولا يلاقي هذا الرجل كل يوم إلا كراهية أعظم في صدور الربانيين.

وقد ألف أحمد تيمور باشا كتاب «الآثار النبوية» وتكلم فيه على النعل النبوية. وذكر تقبيل الحفاظ لها واستشفاء العامة بها. قال هذه النعل توجد بدار الحديث الأشرفية بدمشق.

وذكر كثيراً من أشعار الحفاظ والمجتهدين في النعل. ووضعها على أعينهم والاستشفاء بها وحملهم لها ووضعها على رؤوسهم.

ونحن مذهبنا التوسل لا بالنبي فقط بل بآثاره كذلك كنعله ومكحلته وبردته وثوبه وعمامته وأظن أن نعل النبي (ﷺ) يفيد في الوسيلة خيراً من

مائة ألف رجل حي كابن تيمية أو يزيدون.

ومذهبنا التوسل إلى الله بكل أثر شريف عن أي ولي مات أو صحابي. فكيف بالنبي. وقد كان إذا توضأ وتناثر ماء وضوئه اقتتل الصحابة عليه وعلى الفضلة.

وقد جمعت أم هانىء عرقه المبارك في قارورة فكان أعظم في رائحته من رائحة المسك. وكانت تستشفي به من بعده.

وكان الصحابة يقتتلون على شعره المحلوق إذا حلق (ﷺ) شعره. وشرب معاوية دمه كما ورد في الحديث وقد أقسم الحق بحياة النبي (ﷺ).

قال القرطبي في تفسيره: وقد أجمع أهل التفسير أن الحق تعالى أقسم بحياة النبي (ﷺ) تشريفاً له. وإذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فإنما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياته.

واستدل أيضاً من جوّز ذلك بأن أيمان المسلمين جرت منذ العهد النبوي إلى يومنا هذا أن يحلفوا بالنبي (ﷺ) حتى أن أهل صاحبه قال: احلف لي بحق ما حواه هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني بالنبي (ﷺ) وكذلك بالحرم والمشاهد العظام والركن والمقام والمحراب وما يُتْلى فيه. انتهى قول القرطبي في تفسيره.

المحاكمة الحادية عشرة

قوله: بعدم تأثير النبي أو الولي أو الصحابي بعد موته في العوالم.

قلت: وهذا ما قاله إلا لقوة حجابه وانطماس بصيرته. وإلا فلمَ ينكر التوسل بالنبي والولي. إذا ماتا.

وهذا وقع لظنه وقوع الموت على الروح إذا الروح النبوي الشريف متصرف في العوالم من بعده. والدلائل تثبت أكثر مما تحصى.

ومن هذا الدلائل خروج اليد الشريفة للشيخ أحمد الرفاعي ومصافحة النبي له أمام جمهور الحجاج. حتى قال أبو الفرج بن الجوزي: إنَّ من ينكر الكرامة لا يستطيع إنكار ما وقع للشيخ الرفاعي لوقوعها أمام الحجيج.

وقال سلطان العلماء ابن عبد السلام: لم تثبت عندنا كرامة في تاريخ الإسلام مثل كرامة الشيخ أحمد الرفاعي. لكون الشاهد فيها أكثر من واحد. اهـ.

وقد رأيت الحنابلة أكثر الطوائف إنكاراً للكرامات إلا هذه الكرامة لتواترها. ومعلوم أن منكر الكرامة كافر. ولا يشترط عند جمهور أهل السنة وقوعها على يد حي بل ربما وقعت للميت. وكذا المعجزة كما وقع للعزير ولأصحاب الكهف. وكانوا في حالة موت.

وقد قيل لأحد مشايخي إنَّ هناك من ينكر الحياة النبوية؟. فقال هذا جهل لكون القرآن أثبتها للشهيد من بعد موته فكيف بالنبي. قال الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

ولما جمدت البصيرة في هؤلاء فقد ظنوا أنَّ جمودَ الجسد عند الموت يعني جمود الروح. بل هي أعظم تحرراً ونشاطاً لكون الغطاء قد انكشف والبصر قد صار حديداً ألا ترى أن النبي عليه السلام كيف خاطب أهل القليب فقال: يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام واستمر يذكر من في القليب واحداً بعد واحد حتى قال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً جيَّفوا فقال (ﷺ): ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

ولو علم حضرته (ﷺ) عدم تأثير الروح في العوالم لما خاطبهم. وعرّفَ

الحيَّ أنَّ الميت أسمع وأبصر وأقوى أثراً من الحي. فهذا سر المخاطبة النبوية يا ولي الله.

المحاكمة الثانية عشرة

قوله: بنفي المجاز جعله لا يؤوّل. وعدم تأويله جعله يضع الظرفية المتعلقة بالحق تعالى على ظاهرها. وكذا المجيء والذهاب الإلهي. وكذا الجهة الظاهرية المتعلقة بالحق تعالى. وكذا الاستواء. وجعله يعرف الصفات على ظاهرها.

وكذا صرف الاستواء على ظاهره وفصل الصفات عن الذات وكونه تعالى يوجد في مكان دون آخر. أي ليس موجوداً في كل مكان.

وجعله يصرف العلو والنزول والصعود الإلهي على ظاهره.

قلت: وهذا صريح مذهب ابن تيمية وَلْيطالع المطالع كتبه وَلْيَرَ العجائب: ودليل هذا ما يتمسك به الآن متبعوه من هذه الأقوال. حتى قال لي أحدهم: إن الله في السماء فقط لكونه قال عن نفسه: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ وهذه الأقوال لا ترد إلى صريح مذهب أهل السنة إلا بالتأويل التنزيهي للجناب الإلهي. وقلَّ من يؤوّل من أتباعه بل هم عبيد المظاهر. أفراخ الحجاب. قد قتلهم العجب بشيخهم ابن تيمية.

وقد وردت في الحديث النبوي الشريف ألفاظ إذا لم تؤوَّلْ فقد كفر من حملها على ظاهرها. مثل لفظ: (المرض والجوع والعطش والضحك والتعجب والفرح).

ومذهب الأئمة الأربعة التأويل. دون الوقوف على ظاهر النص.

ولو سألت العامي عن هذه القاعدة لنزه وأول بفطرته وقال بالمجاز فيها. ولا يحملها على ظاهرها.

وبالجملة فمذهب التيمية والوهابية مذهب فاسد. لا يصلح لعوام المسلمين.

لخرقه وخروجه عن صحة مذهب أهل السنة والحق.

خاتمة

أما تعريض ابن تيمية لحرمة ساداتنا من الصوفية والقوم فحدث عنه ولا حرج. وقد دخل في النزاع معهم بلا ذوق ولا فهم لأصول مذهبهم. وأنكر عليهم في جملة من دقائق مذهبهم. هلك بسببها. والمنكرون على القوم قبله قليل جداً. ولم ينكر على الصوفية فيما علمناه ولا تجرأ عليهم رجل مثلما أنكر هو في تاريخ الإسلام.

ولا زال أتباعه إلى يومنا هذا أشد الناس عداوة للمتصوفة وحقدًا عليهم. ولكن وجدنا أن الحق تعالى لم يزل ناصراً لهذه الطائفة الربانية على مر السنين والدهور على من عاداهم.

ولما جهل المحجوب أسرار الصوفية فقد خاض فيما لا يعنيه. وتطفل على أسرار الخرقة فدخل دائرة الزندقة بجهله وعناده. إذ أن هذه الطائفة لها أسرار ورموز أخفت بها مواجيدها. ومعدن وصولها ووصالها.

ولا يفك طلاسمَ هذه الرموز إلا واحد شرب ما شربوه وتربى على موائد أحوالهم ومقاماتهم. فافهم.

أما من عتب على هذه الطائفة من حيث الظاهر فهو متطفل لا غير. منازع لهم دون جدوى. ولسان الحال يتكلم عن هذا الوصف. ولو فقه الفقيه منهم ما حوته «الرسالة القشيرية» وهي ألف باء التصوف ومصطلحه الشرعي والتحقيقي لعلم ذكاء القوم. أما من حارب المدعي المتصوف فقد حق له أن يحاربه ببدعة شرعية.

وأما محاربة الولي الحق فقد اكتسب من يحاربه هلاكاً بمحاربته إياه. وذاك قول الحق تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية ووقع في حقهم فيه: إنكاره على سادات القوم وأئمتهم كأبي يزيد البسطامي والحكيم الترمذي والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي والإمام حجة الإسلام الغزالي وابن سبعين وغيرهم. وينكر أتباعه في زمننا هذا على كل صوفي سمعت عنه الأذن. ومن تسافل أدبهم إنكارهم على أئمة التربية كأبي الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلاني.

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية إنكاره لمصطلحات المتصوفة كالبسط والقبض والبقاء والفناء والجمع والتفرق والأنس والسكر.

وهذا ما علمنا من أنكره منذ وضع القشيري رسالته سواه بل هم مقابلون لمصطلح القوم بالترحاب. ووضع هذا المصطلح على الرأس والعين. ومقابلة هذا الفن بالأدب العالي.

ومما أنكره ابن تيمية على هذه الطائفة كون شيخهم علي بن أبي طالب كرم الحق وجهه وأنَّ هذا النسب مما أدعوه ولا يصح انتسابهم إلى أبي الحسن ولا عمر ولا أبي بكر رضي الله عنهم. وتابعه ابن خلدون في رأيه هذا في «مقدمته» وادعى أن أسانيدهم منقطعة وقد ألف في هذا المعنى الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني كتابه «البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي». وأثبت فيه أسانيد الصوفية إلى الصحابة كعلي وأبي بكر وعمر. رضي الله عنهم.

وما رأيت من أنكر الخرقة وسندها سوى هذا الرجل في تاريخ القوم. برغم إجماع الأمة على صحة نسب الخرقة. ولباس كثير من جهابذة الحفاظ لخرقة الإمام علي.

ومما أنكره ابن تيمية كونه ينكر على الإمام علي كرم الله وجهه. ويجرح طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم. قال الحافظ في ترجمة ابن تيمية في «الدرر الكامنة» ما هذا نصه: وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحه الله بما

لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ﷺ) وحق زوجها أخي رسول الله (ﷺ) وسيد المؤمنين فقد قال في السيدة فاطمة البتول: إنّ فيها شبهاً من المنافقين الذي وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾. قال لعنة الله عليه: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر رضي الله عنه من ميراث والدها (ﷺ) أما علي عليه السلام فقال فيه إنه أسلم صغيراً صبياً وإسلام الصبي غير مقبول على قول. فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام وجحوداً لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة وأنه كان مخذولاً حيثما توجه وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة. بل منهم من كان يربع معاوية وسماهم أهل السنة. اهـ.

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية إنكاره حياة الخضر وأن من القوم من التقى به ولبس عنه الخرقة.

وقد أثبت غير واحد حياة الخضر كالسيوطي في مؤلف له. وأبو العباس المرسي كان يقول: ما يحرجني من الناس إلا قولان: أن الحلاج كافر وأن الخضر غير حي اهـ. وتواتر لقاء الصالحين به ممن لا يكذبون ودل اليقين على صدقهم لكثرتهم وأنهم التقوا بالخضر وأخذوا عنه. كشيخنا ابن عربي وعبد القادر الجيلاني وقضيب البان الموصلي وأبي العباس المرسي وذو النون المصري فمثل هؤلاء لا يكذبون.

ومما أنكره ابن تيمية على القوم إنكاره خاتم الأولياء. وهذا علم لا شأن له به. لكونه لا يرقى إلى تذوقه إلا ولي. وليس هو بولي حتى يحكم فيه. لقوة قسوة قلبه على أهل الله.

وهذا علم لا يعلمه إلا خلصاء الله في الأرض وسادة المقامات.

ومما رمى به ابن تيمية القوم كونهم قالوا بوحدة الوجود والفناء في الحق

تعالى. فهذا أيضاً علم لا يعرفه المحجوب المعرض عن نفحات الحق تعالى التي لا يتعرض لها إلا سعيد.

وليس كل من هب ودب تكلم على هذا المقام السني والحال الجلي. وقد فصل شيوخنا مرادات القوم من وحدة الوجود والفناء.

ورأينا ابن تيمية ينكر على القوم الأحاديث التي يحتجون بها ويضعفها. ويقوّي لنفسه ما ابتغاه. كحديث «رأيت ربي في أحسن صورة» وقد رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ورواه الترمذي وأحمد. وابن جرير في تهذيب الآثار.

وينكر ابن تيمية علم الباطن. وهو علم الخضر عليه السلام. ويدَّعي أن غاية العلم هو علم الفقهاء دون علم الذوق والحقائق والمعارف الربانية. وكيف ينكر علم الباطن لعمري وقد أجمع على وجوده جهابذة أئمة الإسلام. ويدَّعي ابن تيمية أن رسول الله (ﷺ) ميت كأي ميت بحيث هو والحجر واحد سيان ولا تأثير له في العوالم لذا منع هو وأتباعه التوسل به. وكذا مذهبهم في الصحابة وسائر الأولياء.

أما أتباعه فإنك إن جالست واحداً منهم شممت منه رائحة الكفر. فقل أن يصلي على النبي (ﷺ). وإذا ذكر الله ذكره بكل صيغة ويندر أن يذكره بصيغة الصلاة على النبي (ﷺ).

ويمنعون زيارة الصحابة والأولياء الأموات ويتهمون من يزورهم بالكفر حتى قال لي واحد منهم إن من يزور الحسين بن علي والسيدة زينب كفار لأنهم عبدوا من دون الله آلهة. ويحاربون من يصلي على النبي بعد الآذن. ويحرقون كتب الصوفية ويطمسون معالمها.

كتاب
أصناف اللحية

الحمد لله الذي ميز عباده الطيب عن الخبيث ليقضي أمرًا كان مفعولًا. هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج.

وصلى الله على محمد فتى الوجود وغوثه. وروحه وبرزخه. وعينه وهيكله عروس القيامة وساقي المدامة. وعلى الآل والأصحاب الأطهار الأخيار.

وبعد.

فقد سألني سائل الطارق الإلهي الذي قيل فيه والسماء والطارق عن أصناف اللحية وأنواعها في زماننا هذا.

ولما اختلف القوم على شعر اللحية ونسوا ما هو أعظم من المعنويات الخلقية كالصدق والبر والأمانة فقد ضلوا وأضلوا.

ولعمري ما أتفه قومًا تمسكوا بالظاهر ونسوا باطن الشريعة وحقيقتها التي إن ضاعت ولم يتذوقوها فقد ضيعوا الدنيا والدين.

والأمر جَلَلٌ عظيمٌ. واللهِ لو علم هؤلاء ما يعلمه ولي من أولياء الباطن لضحكوا من أنفسهم ثم بكوا طويلًا حتى إذا نفذ ماء العين بكوا دمًا.

وقد علمنا أن ما حدث من فرقة المسلمين كان بسبب هجرهم لمعاني الأعمال القلبية.

فلا صدق ولا أمانة ولا حياء.

وزعم كل من التحى أنه مؤمن وعلى الحق وتداخلت الأمور وتعددت الأهواء وتشعبت الطرق وصار القوم في أمر مريج.

قال القائل: فما حكم اللحية في الشريعة يا حكيم القوم ولسان المتكلمين؟

قلنا: حكم اللحية عند الجمهور أنها سنة وردت عن رسول الله (ﷺ).

قال القائل: فما حكم حلقها؟

قلنا: حكم حلق اللحية عند الجمهور أنه حرام ونص البعض على الكراهة كالنووي والرافعي من الشافعية. وعند الأحناف يحرم حلقها وهذا وارد في «الدر المختار» «وفتح القدير».

وعند المالكية يحرم حلقها.

قال القرطبي: لا يجوز حلق اللحية ولا نتفها ولا قصها.

وقال الدسوقي في «حاشيته على شرح خليل». يحرم على الرجل حلق لحيته أو شاربه ويؤدب فاعل ذلك.

وعند الشافعية يحرم حلقها أيضاً وقد نص الإمام الشافعي في «الأم» على تحريم حلق اللحية وكذا نص الحليمي في «شعب الإيمان».

ونصَّ على ذلك القفال في «محاسن الشريعة».

وقال أبو شامة شيخ النووي: وقد حدث قوم يحلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن المجوس من أنهم كانوا يقصونها.

ونص الحنابلة على تحريم ذلك كما حكى ابن تيمية والسفاريني في «غذاء الألباب».

ونص المذهب الظاهر على تحريم ذلك كما حكى ذلك ابن حزم في «مراتب الإجماع» فقال: واتفقوا أن حلق جميع اللحية مثلة لا تجوز.

قال القائل: فهل كل المسلمين الذين في عصرنا هذا الحالقين للحاهم قد وقعوا في البدعة والحرمة.

قلنا: هذا يحتاج إلى تفصيل.

فإن لم تقع الشبهة عليهم فقد وقعوا في البدعة والحرمة إن حلقوا اللحى.

وإن وقعت الشبهة فلا بدعة ولا حرمة إذا حلق الرجل لحيته لأي عارض يعطله عن إقامة الفرائض. واللحية سنة أكدها النبي (ﷺ) مخالفة للمشركين وأهل الكتاب.

وبالجملة فإذا انتصبت علة تفسد دين الرجل كله وقيامه بالفرائض وهذه العلة تعلقت بسنة فترك السنة أولى من إضاعة الفرض. وهذه قاعدة معلومة عند الأصوليين.

قال القائل: كيف يصدر عنكم مثل هذا القول وقد نص الأئمة على تحريم الحلق؟

قلنا: اللحية في زمننا هذا صارت عادةُ الناس حلقها لعلل كثيرة. يحق لبعضهم بها حلقها ولا يحق للبعض ورسول الله (ﷺ) يأبى على أمته أن يقلبوا الواجبات عادات. فالكل تجب عليه الصلاة والصوم والزكاة مهما تغيرت معالم الزمان. فالواجبات لا تغيرها العادات والسنن التي وقعت في الزينة عن رسول الله (ﷺ) لا يبتدع الرجل بتركها. كلعق الأصابع بعد الأكل. وكالاكتحال ومثله إطالة الشعر كما كانت هذه من سننه (ﷺ).

ومناط هذا الأمر أن السنن التي وردت في الزينة وردت لأجل متعة الإنسان لا لأجل تعكير صفوه ومخالفة بني جنسه.

فالاكتحال في زمننا هذا ليس من عادات الرجال والعالم إذا اكتحل وجلس للوعظ سخر الناس منه. وطول الشعر ليس من عادات الأفاضل في هذا الزمن. وإن كانت هذه سنة رسول الله (ﷺ). وقد حكي عنه روايات

كثيرة في طول شعره. لما علم أنه سيأتي زمان منهم من يطول شعره لكون أهل أهل الزمان طول الشعر من عاداتهم.

ولما علم أنه سيأتي زمان يكون طول الشعر بدعة وليس من سننهم.

وهذا رسول الله (ﷺ) هو أذوق المخلوقات لمبادئ العادات. لا يقبل أن يكون الرجل متضررًا إذا أقام سنة. وقد صارت اللحية شبهة في زمننا هذا. قد يتضرر بها صاحبها فهل يرتضى لمؤمن شبهة وهو القائل: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

والآمن من شبه سنة ما يفعلها. وإلا فليتركها وليلزم الواجبات اللازمة وغيرها من السنن التي ملأت الكتب كسنن الصلاة والحج والصدقة وأداء النوافل والتوبة وتطهير القلب والأعضاء من شوائب النفس لكونها لا تدخلها الشبه. وقرأت في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سئل: إذا أمر العالم بالمعروف ونهى عن المنكر وأوذي فما ترى؟ قال: إذا كان يعلم قبل أن يأمر وينهى أنه سيهان فليترك خيرًا له. لكون هوانه أعظم.

وهذه المشارب مثلها كمثل الداعية. فداع يدعو الناس وهو آمن فليَدْعُ وداع يدعو الناس وهو يسب ويشتم فلا يَدْعُ وليسكت صونًا لحرمة الإسلام.

ورأينا في زمننا هذا قومًا يقولون إن حلق اللحية كفر بالله.

ولا يصلون خلف رجل حلق لحيته ويرون أن حالق اللحية يجب أن يؤدب ويعزر ومنهم من يقول حالق اللحية ناقص الإيمان وهم واهمون فيما قالوه.

فليؤدبوا ملايين المسلمين الذين هم بلا لحى.

ولو دققنا في مجموع مسلمي الوقت لرأيناهم كلهم بلا لحى إلا النادر فهل يعزرون يؤدَّبون؟ وهل صلاتهم باطلة إن كان منهم أئمة بلا لحى؟ وإذا كانت جماعة المسلمين كلها بلا لحى وقد قال رسول الله ﷺ): «يد الله مع

الجماعة» فهل تؤدب هذه الجماعة على ترك هذا الفعل، وهي جماعة المسلمين؟ هل تؤدب جماعة على ترك سنة؟.

وقال قوم: إن حلق اللحية حياد عن سنة رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين. ومن حلقها فإن النبي (ﷺ) غير راضٍ عنه وساخط عليه وهذه أوهام شنيعة. لا تسمن ولا تغني من جوع.

ونحن الآن سنوضح مقاصد الشريعة.

وهؤلاء المعارضون جهلوا هذه المقاصد فهم في سكرة.

وقد كان قديمًا يقال عن حالق اللحية مخنث وسافل وزنديق وخليع وماجن. لكون المسلمين كانوا كلهم لهم لحى إلا النادر.

وفي عصرنا هذا انقلبت الآية فالمجموع الإسلامي بلا لحى إلا النادر. وما دامت السنة المحمدية قد تركها جمهور المسلمين لتغاير الأزمان فلا يعزروا وإلا فالقول بتعزيرهم حماقة أما لو تركوا فرضًا من فرائض الشريعة ولو بحثنا في أصناف البدع والسنن التي في زمننا لرأينا أن حياتنا كلها بدع في بدع.

فهل ارتدى رسول الله (ﷺ) البنطلون والبدلة والكرافتة؟ فلِمَ يرتدي معظم المسلمين هذه الأشياء؟

لِمَ لم يتمسكوا بلباس نبيهم المحدد في السنة؟

وهذا القول مخالف لتقدم الأزمان لكون الحق تعالى يبدي من مبادئ اقتداره بلا كيف وتكيف وما لا يحصره رسول الله (ﷺ) لكونه لو فصل كل ما يظهر لاحتاج وقتًا طويلًا ولما وسعته الدفاتر والكتب ولعجزت المحابر عن كتابة هذا الفعل. هذا فضلًا عن علمه عليه السلام بكل ما سيجري ومعجزاته (ﷺ) تغني عن التحدث بهذا.

ومن ثم فإن رسول الله (ﷺ) لا يغضبه رجل حلق لحيته ويفرحه تمزق

المسلمين وتشتتهم وما هم فيه من المحن وتسلط الأمم عليهم.

ولما جهل المسلمون مقاصد الشرائع ومعانيها فقد ضلوا.

هذا نبي الإسلام جاء ليتم محاسن الأخلاق ومكارمها وأمر بتنقية القلب والفؤاد قبل المظاهر.

فما فائدة رجل يصلي وصلاته غير آمرة له بالمعروف أو غير ناهية عن الفحشاء والمنكر؟ وقد كان سلفنا تفرحهم نفائس الأعمال القلبية كالصدق والتقوى والبر.

وهذا رسول الله (ﷺ) يعظم ويجل كل مسلم ومخلوق يؤمن به ويلتزم بدينه ولا يهمه لباسه أو مظهره بقدر سلامة الضمير. وهو القائل: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره». رواه الترمذي عن أنس.

وهو القائل: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). رواه مسلم عن أبي هريرة. فنظر الحق تعالى إلى مكارم الأخلاق التي محلها القلب لا نظره إلى الصورة الجميلة الفارغة.

وقد حكي أن رويم البغدادي لما تولى القضاء،

قال الجنيد: انظروا إلى رويم المشغول الفارغ وانظروا إلينا نحن الفارغين المشغولين.

وهذه الأمة المحمدية لا ينقصها إلا اليقين بربها وقوة العزم لا التمسك بزينة الفارغ الخالي من الأعمال القلبية الراقية والزينة قد يخالف صاحبها قومًا أجمعوا عليها كالمغربي إذا دخل مصر بلباس المغاربة.

فالقول أن القدماء حرموا حلق اللحية هذا لبقاء صفتها فيهم وإجماعهم على أن الحالق مخنث شاذ عنهم أما اليوم فعادة أهل البلاد حلقها فلا يحرم حلقها لكون عادة الأمة قد انصبت على هذا.

وأيما مسلم حلقها فإسلامه صحيح ولا يؤخر ولا يقدم حلق اللحية في

إيمانه شيئًا. لكون الإيمان غير متوقف على المظاهر فلا يوجد هذا في كتب الأصول والتوحيد أنَّ اللحية تنقص أو تزيد في إيمان الرجل وفي كتب التوحيد أن الرجل المكره لو أكرهه قوم وقالوا له اكفر فقال قد كفرت وهو مؤمن في الباطن تمام الإيمان فإيمانه صحيح. فأين الإيمان والمظاهر؟

والذي أخر الممالك الإسلامية فقدهم لحقيقة الإيمان واليقين.

والبلاد الكافرة عندهم من حقائق الإيمان شيء ولكنه غير منتفع به لكونهم خرجوا عن زمرة أهل الإسلام ولم ينضموا تحت اسم هذه الطائفة.

والإخلاص في العمل موجود عند الكل لكن إخلاص الذين لا يوجد سوى عند مؤمن.

قال القائل: فهل كان النبي (ﷺ) يعلم بأنَّ أمته سيأتي عليها يوم تغير فيه وتحيد عن شيء من سننه.

قلنا: هذا كان يعلمه رسول الله (ﷺ) تدريجيًا لذا فإنَّ سنته لها وجوه تعددية.

وهذه الوجوه تتعدد لعلمه (ﷺ) بتغاير الأزمان المتوالية «فمن ذلك»: أنه (ﷺ) لبس الأحمر وفي أحاديث كره لبسه.

«ومن ذلك»: أنه يروى عنه روايات كثيرة في طول شعره لعلمه بتغاير الأزمان.

«ومن ذلك»: أنه يروى عنه أن لمس الفرج ينقض الوضوء ويروى عنه أن لمسه لا ينقضه.

وهذه الوجوه التعددية لا تعدم سنته (ﷺ) فتجعلها صالحة لكل الأزمان فإن نبذ القوم وجهًا تمسكوا بالوجه الآخر رغمًا فإن نبذ الرجل العالم لبس الأحمر تمسكًا بحديثه تمسك بالوجه الآخر وكلا الأصلين له وجه في السنة ورد عنه وهذا ما يسمى في علم الولاية بالوجه التعددي في سنته (ﷺ) فترى

السنة تصيب كل أهل الأزمان رغمًا عنهم. وعلى هذه القاعدة بنوا المذاهب وكان اختلافهم رحمة.

ولهذا عبرت البصيرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات والسلام عن أشراط الساعة ولا بد أن يغير قوم ما تركهم عليه من سنن وفرائض.

وهذا التغير التدريجي عبرت عنه البصيرة بقولها: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء».

ولم يدرك طلاب عودة المبادئ أن التغير في السنن من أشراطها. ولن يصلح ما انكسر أحدٌ كما روى مسلم في حديث حذيفة: «أن هذا الأمر معلق بباب إذا انكسر فلن يلتئم».

وقد كان نساء المسلمين في سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة محجبات فما مرت ستون عامًا حتى سفرن وتبرجن وخلعن العذار ونحن الآن في سنة ست وأربعمائة وألف من الهجرة فمن بدل هذا الحال؟

وقد كان الطربوش لباسًا رسميًا وألغي وصار بدعة غير مقبولة وهؤلاء علماء الأزهر لباسهم الرسمي الطربوش وهو لباس ليس عربيًا فهل هم على بدعة؟ كلا.

وكذا اقتضت المشيئة الإلهية تغاير الأعيان وكل عين تأخذ قسطها في المظاهر والبدء.

والعين الواحدة ثابتة لكن تبدو في مظاهر جمة عظيمة يفهمها الولي المكاشف الذائق لفنون الحكم. فالمؤمن الولي أعزّ من شعر لحية يبدو فيه أو لا يبدو فيه. فالحق تعالى قائم عليه بقلبه في أثواب التغيير وهو ثابت اليقين إذ إيمانه في العين ثابت.

ومن هنا أخفى الحق تعالى أولياءه في أثواب غيرته.

فأخفاهم في أثواب لا تخطر على بال المحجوب حتى يكشفهم.

فأين الولي الصادق دلنا عليه؟ لقد خفي خليٌّ في أثواب الغيرة الإلهية فلم يعرف ولن يعرف قط.

أي مولاي هؤلاء الخلق تنازعوا على مظاهر وأضاعوا حقائق الوجود وعظمة الملكوت.

تنازعوا في سنة وتركوا فرضًا وهو الجهاد جهاد العدو الذي ضيعهم وأخرهم.

هذا العدو رابض بالباب يسخر منهم لتنازعهم في دقائق الأمور وغفلتهم عن الجليل من هذه الأمور. يا قوم هذه الأمم قد أحاطت بكم من كل جانب كما تحيط الأكلة بالقصعة فالزموا الغرض ومن ثم ابحثوا السنن.

وهؤلاء لو أتقنوا الواجبات والفرائض التي في شريعة محمد (ﷺ) لأتقنوا السنن ولكنهم في مقام إتقان السنة فقط لكونهم لم يرتقوا إلى اتقان مقام الغرض وهذا من شئوون الأكابر.

وكلا المقامين عالٍ في علم الحقائق ألا وهو اتقان متابعة السنن وإتقان القيام بالفرض.

حتى أن من رواة الحديث من لا يتقن فهم الحقائق النبوية في الحديث ولكن يرويها بسنده حتى تصل إلى من يفقه هذا العلم ويتقنه أعظم من إتقانه هو. وهذا العلم من علم القطب الجامع الفرد.

وهو إقامة الفرائض والسنن على أعلى وجه ما لا يقدر أن يقوم به سواه في عصره.

وهذا مقام الخليل إبراهيم لما قيل فيه ﴿إن ابراهيم كان أمة﴾ فكان يرفع من عمله ما يزن عمل أهل الأرض كلهم أجمعين.

وكان ابن عمر رضي الله عنه من أئمة مقام اتقان السنة وهذا المقام كان

صعبًا حتى عمي من كثرة إدخال الماء في عينيه في الوضوء خوفًا من نسيان موضع لا يصل الماء إليه.

وكان أبوه عمر رضي الله عنه من أئمة مقام اتقان الفرائض حتى ظل أربعة أعوام يتدبر سورة البقرة فاستخرج مقاماتها تدبرًا وتيقنًا.

فمن مثل هؤلاء الأئمة الأعلام في القيام بمقامات السنن والفرائض وهذا العلم قلَّ من يعلمه وكثر من يجهله.

أي ولي الله أين المتحققون من علم رسول الله (ﷺ)؟

أين أبطال المقامات؟ حتى يعلموا من لا يعلم الحق والتحقيق في اللبس وهذه الحضرة الإلهية تنادي كل مقبول أن تعالَ إلينا في أي ثياب شئت.

أين من علم ظاهر السنة وباطنها؟ علم الخضر وموسى؟

والعلم الضائع هو الجانب الثاني من الشريعة الذي هجر بسبب العلم الإلهي عبر عنه الذوق المحمدي وهو قوله، «حتى تلد الأمة ربتها». فإذا ولدت الأمة ربتها يا رسول الله فإن باب العتق سوف يزال من كتب الفقه؟

وليس هذا العلم ضاع بسبب فساده بل العلم يرد إلى صاحبه وصاحبه أحق به وأولى.

فهو الخالق لأسباب العلم وهو المزيل لأسبابه.

فأوجد العبيد والرقيق وأوجد لهم في الشرائع باب العتق والرقيق.

وأوجد التحرر فلا عبيد الآن على وجه الأرض. فأزيل هذا الباب لكون العلة بطلت وهذا الباب محفوظ. فإن عادت العلة عاد العلم عليهم لكونه محفوظًا. فماذا خسرت الشريعة لا شيء قط. فالعلم محفوظ. والخلق في تحرر من الرق.

وهذا مثاله كمثال وجود الجنة والنار في الحياة الدنيا وأن الحق تعالى قد

أعدهما فهما موجودتان فما يضير كونهما موجودتين الآن.

وقيل في شبهات قوم إنَّ من حلق لحيته ردت شهادته في هذا الزمن.

قلنا: نعم هذا كان قديمًا لكون الحالق كان شاذًا عن بقية بني جنسه. ولكن في هذا الزمن لما غلبت العادة انقلبت الآية فلا يعتد بهذه القاعدة. وهذا لكون هذه القاعدة إن سرت لكان المجموع الإسلامي شاذًا لا تقبل له شهادة أصلًا وهذا باطل. فإن المجتمع يكون كله شاذًا عن قاعدة الشهادة في وقتنا هذا وبهذا تخلق فتن عظيمة لا يعلمها إلا الحق تعالى. وسرت القاعدة على أن العدالة في الرجل في هذا الزمن لا تقاس بلحيته.

قال القائل: كيف هذا يا حكيم أهل الولاية؟

قلنا: القول على أن التقدم الزمني بدعة هذا القول نفسه بدعة لكون الحق تعالى لا يحد بتكيف ولا معنى فكل يوم هو في شأن.

فالحق تعالى لا يقيده قول يبدي ما يشاء فهو إن أبدى في كل عصر بخلاف ما سوى عصر النبي (ﷺ) فهو حق مقبول منه على العين والرأس ومعنا نحن العلم النبوي نأخذ منه ما نشاء وننتقي من طبقه ما نشتهي ونساير به هذا العصر فمن اعترض على جانب من السنة في العادات فلما التزم بمقدمات التقدم الزمني كلها فليساير أو ليرجع وهل يرجع كلا.

ولو كان رسول الله (ﷺ) حيًا في زمننا هذا لساير أهل العصر في طعامهم وشرابهم ومركبهم وملبسهم. ولكنه ينكر أمورًا تستوجب منه الإنكار.

ويحظى بأمور كركوبه للسيارة والقطار مثلًا لكون هذه من نعم الحق تعالى بدلًا من السفر مشيًا أو ركوب الإبل كعادة القدماء.

فالمعترض هنا على المسلم في كونه لا يكتحل كما فعل النبي (ﷺ) نقول له لما لا تتمسك بكل شيء ورد على عهد النبي (ﷺ) من ملبس ومأكل ومشرب ومركب وزينة فإن وسعه تنفيذ هذا الفعل فليفعل ولا أراه يفعل

مهما بلغ لكونه طفر وقفز إلى عصر هو ليس فيه ودخل مجالًا غير مجاله فيصبح غريبًا والحق تعالى يأمرنا أن نرضى بما نحن فيه من الزمن ونسايره حتى نساير علمه وقدرته والا فمثال المعترض كالمعترض على القدرة الإلهية جملة فقيل له بلسان الحق تعالى: «من اعترض على قضائي فليخرج من تحت سمائي وليبتغِ ربًا سوائي».

وهذا لن يتحقق.

ولما عبر الذوق المحمدي بلسانه: «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة» علم الشارع أنه سيأتي من يقتفي ويسلك نهجه على مدى العصور مهما تغيرت معالم الزمن فهو مساير لوقته حيث التوى الزمن فهو يقومه ويسايره حتى يصل إلى حضرة الحق تعالى.

قال القائل: فهل الذي يغير أي سنة من سننه (ﷺ) عليه شيء من الوزر لمّا قلب هذه السنة فيبتدع فتصبح بدعته عادة بدل السنة.

قلنا: اعلم أيها السائل أن أول مبدل للسنة عليه وزر التبديل وهذا كمثل أول رجل حلق لحيته تشبهًا بالفرنجة وإلانجليز وكمثال أول رجل حكم بما لم ينزل الله تعالى.

فالأوائل في التبديل هم من أركان جهنم وعليهم وزر كل مبدل من بعدهم وليس التبديل كله سواء وفي خطر واحد.

فالمبدل للسنن ليس كالمبدل للغرض والواجب.

فليس أول من حلق لحيته كأول من غير حكم الله وحكم بغيره.

والمقلد للمبدل خطره أقل ووزره أهون وهذا أصل من أصول الحديث إذ وزر كل المقلدين على أول مبتدع وسننه (ﷺ) ليس كلها سواء. فسنة فعلها النبي (ﷺ) ولم يلزم بها أحدًا من أصحابه كالاكتحال وكمسك العصا. وسنة فعلها وجعلها فاصلًا بيننا وبين الكفار والتزم بها كل أصحابه كاللحية.

فتارك السنن من النوع الأول ليس عليه وزر سواء له عذر في الترك أو ليس له عذر.

وتارك السنن من النوع الثاني عليه وزر الحرمة إذا لم يوجد العذر في تركها.

وعمومًا فإقامة أي سنة من سننه (ﷺ) له أجر الثواب.

أما ابتداع الخلق في ترك السنن لعدم وجود عذر فعليهم وزر ترك السنة وسنته (ﷺ) باقية لا تنقلب ولا تتغير لكون النصوص قد حفظتها وأما ادعاء اتخاذ البدع بدلًا من السنن فهذا نفسه بدعة وإن اقتضى هذا تمسك الناس بعادة خلاف سنته وعادته (ﷺ).

الصنف الأول
لِحَى الأنبياء

وهذا مقام عالٍ. ليس مقام شعرات تطلق. وليس لمخلوق فيه نصيب غيرهم. وليس هذا المقام يغلب فيه مقام الظاهر فقط بل المقام الباطني أعظم.

فالوظائف الباطنية في أعمال الزينة في السنن يقيمها النبي أعظم ما يكون.

فمقام إعفاء اللحية مقام فرقان يفرق النور الإيماني عن الظلام الشركي وهذا الفرقان يعرفه أهل الكشف عبر عنه الحق تعالى بقوله: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم﴾.

لذا كان النبي (ﷺ) يخلل لحيته بالماء. وهذا سر ازدياد النور واشتعاله أعظم في اللحية. والنور البائن في لحية النبي تجرد عن كل غرض ومعنى فشرف.

وكانت لحية نبينا (ﷺ) أشرف لحية بزغت إلى شاشة الوجود.

ووجدنا الشعرة الواحدة من لحيته (ﷺ) فيها من الأنوار ما يهدي كل

ما خلق الله من الأكوان وهي مليئة بالعصاة ألف ألف مرة.

الصنف الثاني
لِحَى الصديقين

وعلى قدر المقام تكون اللحية فهذا الصديق أقامه الحق تعالى على قدم أبي بكر لكون أبي بكر الصديق إمام الصديقين يوم القيامة وما أخرجت القدرة رجلًا أفضل بعد النبيين من أبي بكر.

وهذا الصديق أوجد في مقام الغيب وذاك قول أبي بكر: «لو كشف لي الحجاب ما ازددت يقينًا».

فأبو بكر كل شعرة من لحيته تنطق بصدقه وكل عرق منه ينبض تصديقًا بالغيب فانظر ولي الله رحمك الله مدى التصديق الغيبي في الإمام الصديق.

والصديق هو المؤتمن على خزائن الغيب في الملكوت.

اختبره الحق تعالى بالحجاب فما شك بل ازداد فلما ازيلت الحجب وانكشف له المخبأ المستور كان يقينه على حد سواء في المقام والفرقان لكونه على قدم واحد.

لا تأخذه دوامات الأحوال بل هو قائم في مقام العزة والفردانية إذ الصديق كل ذرة وشعرة فيه قائمة في الملكوت تشهد له ولله عز وجل.

كان من أصحاب الصديقين شيخنا عبد المجيد الشريف رأيته في مشهد وقد خلع عمامته والكون يدور حول رأسه.

الصنف الثالث
لحى الشهداء

قيل من هم الشهداء يا حكيم؟

قلنا: الشهيد يا بني ليس من مات في الحرب فقط.

بل الشهيد من شهد يوم القيامة وذلك لعزة مقامه الأسنى وسعة جاهه عند المليك.

وذاك قوله تعالى في أعز الخلق (ﷺ): ﴿وليكون الرسول شهيدًا عليكم﴾.

فالشهادة من مقامات النبوة لكون النبي (ﷺ) يكون شهيدًا علينا يوم القيامة.

فليس الشهيد من هو دون النبي بل قد يكون النبي شهيدًا.

وهذا الشهيد فيه كل شعرة شاهدة بآلاء الحق تعالى ورضوانه وشاكرة لأنعمه.

وهذا الشهيد يلتحي ويخاف أن تشهد عليه لحيته يوم القيامة خوفًا من اصطناع رياء ومداهنة.

فهذا مقامه يا سادة الحياء من الله تعالى وانقلاب الضد فبدلًا من أن يكون شهيدًا قد يكون مشهودًا عليه ألا ترى أنَّ النبي (ﷺ) كان يقول في كل وعظ: «اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد اللهم فاشهد اللهم فاشهد» ويكررها ثلاثًا وهذا مقامه حتى يخلو من مسئولية الإنذار والتبليغ.

وكان من أقطاب الشهادة صاحبنا ولي الله محمد أبو بطانية من أصحاب الشهادة العظاء الأكابر.

الصنف الرابع
لحى الأولياء

الولي هو الصالح المكاشف بأسرار لا يطلع عليها العامة عيانًا جهارًا يقظة ومنامًا.

ولما صلح الروح والراح وانجلى الهيكل وانصقل وطاب الوقت ولذ الشراب وحان تعاطي الكأس ودندن الحادي بزغت عين الولي في سماء الملكوت. وصح وصله لما ترك نفسه بين أسقامها وهجرها هجرًا كليًا هناك استقامت روحه وصفا وداده.

وهذه لحية الولي تنطق عنه وتخبر أنه ولي ولكن حجبت عيون وقست قلوب عن إدراك معنى جليل.

فأين الولي. فلا يعرفه إلا ولي مثله مكاشف بخبره. قد عرف سره فينفح سره ويكشف عن خزائن حبه لربه.

هذا الولي يستحي من الله أن تكون له لحية رياء ودهاء.

فلا يرد موردًا يراه فيه الحق تعالى صاحب تلون ومداهنة.

هذا الولي لحية بلا لحية وجسم بلا جسم. عدم في وجود ووجود في عدم إذا قرأ القرآن انتفض جسمه واقشعر جلده ووقف شعره كما يقف شعر القنفذ من خوفه من ربه. فيشتعل رأسه شيبًا. فترى الشعر مبيضًا وآونة مسودًا وآونة منورًا. فأين أصحاب هذه المقامات؟

الصنف الخامس
لحى الصالحين

والصالح من صلح وتخطى مقام الإسلام ودخل مقام الإيمان. ولكن انعدمت منه مادة الكشف. وكل ولي صالح. وليس كل صالح وليًا فلا يطلق على الصالح لفظ الولاية حتى يكاشف.

وهذا الصالح ترسم بقيود الرسوم لكونه منعدم الكشف.

فالتحى تمسكًا بسنن الحق تعالى وشرائعه.

فمقام الصالح الرسوم المظهرية وإن علا إلى مقام إيمانه بالغيب بغير كشف.

لذا كانت رتبتهم في المقام الرابع بعد النبي والصديق والشهيد.

ولا يصلح عبدٌ حتى تصلح جوارحه. فتشهد لصلاحه الظاهري والباطني. وهذا علم يعبر عنه أهل الكشف بذوقهم فيفرقون بين الولي والصالح.

ولعمري كيف يصلح من ساءت سريرته وإن كان ظاهره السنة؟

فساء عبد كان هذا مذهبه. وكان السلف يفسدون ظواهرهم لأجل صلاح الباطن.

الصنف السادس
لحى الأخفياء

وهذه طائفة من أهل الولاية قد خفيت وذابت بين الناس. فلا علم لمخلوق بهم. قد حفظهم الحق تعالى في سرادق غيرته. غيرة عليهم فسرهم محفوظ من الإفشاء. أولئك الآمنون حقًا.

وقد ذكرهم الحق تعالى في الكتاب بقوله: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾.

فهؤلاء مقامهم الخفاء ألا وهم عظماء العالمين ملوك الآخرة.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف من أصحاب هذا المقام.

وهؤلاء مقامهم الخمول. أخفوا أنفسهم بمظاهر خادعة تخفي صدق الباطن والضمير خلفها.

وربما كان ظاهرهم الرياء وباطنهم الإخلاص العظيم.

وهؤلاء الأولياء من رجال المملكة الباطنية لهم مقامات عالية ودرجات

سامية. ولهم وظائف لا تحصى. وأشبه بهؤلاء من لا قيمة له ولا جاه ولا سلطان عند الناس.

فلا عبرة لمظهر عندهم في اللحية أو سواها إنما مقامهم محفوظ في الملأ الأعلى. وقد عبرت البصيرة المحمدية عن هؤلاء بقولها: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» رواه الترمذي عن أنس.

ومن هؤلاء قوم حلقوا اللحى حتى يزداد خفاؤهم عظمًا بين الخلق فلا يعرفون قط. قد رأينا منهم طائفة كان منهم صاحبنا محمد بن علي بن عبدالله الخليلي تلميذ الشيخ حسن الملطاوي.

الصنف السابع
لحى أهل الحياء

وهذه طائفة من أهل الولاية مقامها الحياء من الحق تعالى.

كان على قدمهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يستحيون من باطنهم وظاهرهم من اطلاع الحق تعالى.

وهؤلاء لا يدرج فيهم مراء ولا متضع لكون مقامهم لا يصطنع ولا يتكلف فيه.

فكيف يكون لرجل منهم لحية. وهو من أهل المعصية والرياء. إذن لمات خوفًا من الحق تعالى ولذا رأينا منهم قومًا حلقوا اللحى حتى لا يتصنعوا هذا المقام وهم سالمون.

وإذا كان المظهر عند الولي شبهة فخلعه أوفى وأطهر في مقام ولايته.

وهذا المقام كمقامه (ﷺ) لما قال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك).

وقد صَاحَبْنَا قومًا هم أولياء حلقوا اللحى حتى لا يظن فيهم المسلمون خيرًا فما أعظم مقامات هؤلاء الرجال؟

وكان من مقامات نبينا عليه الصلاة والسلام أنه أهديت له خميصة لها أعلام. فقال: «شغلتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانيته» رواه البخاري عن عائشة.

فخلع الزينة في مقام الإخلاص واجب.

وقد ذكرنا مقامات أهل الولاية في كتابنا «تكملة الفتوحات المكية» فليراجع.

وكان من جهابذة أقطاب الحياء مولانا عبد المجيد الشريف أستاذي رضي الله عنه.

كان يستحي من كل ذرة في الوجود فكيف بالحق نفسه كانت تتزلزل منه أركانه وتذوب.

الصنف الثامن
لحى المتجردين

هؤلاء قوم من طائفة المملكة الباطنية وظائفهم التجرد عن كل شيء للحق تعالى والخلاص إلى الحضرة بلا علائق.

فأسقطوا التكلف في الزينة والثياب وعبروا عنها بكونها من العلائق الفارغة التي لا تؤخر ولا تقدم في مقامهم.

وقد رأى منهم ابن بطوطة رجلًا في مصر كما حكى في «رحلته» ذلك. رآه قد حلق شعر رأسه ولحيته فسأل عن ذلك فقيل له كان هذا الرجل جميلًا فاستدرجته امرأة إلى بيتها وطلبت منه أن يقع عليها. فطلب منها موسى ودخل حجرة عندها وحلق رأسه ولحيته وحواجبه وخرج إليها فلما رأته

استقذرته وطردته. فظل هذا الحال هو وأتباعه. وأنكر عليه يومًا فقال للمستنكر أي شيء تنكر انظر فنظر فرآه في الحال وله شعر ولحية فقال له انظر مرة أخرى فنظر فرآه بغير شعر ولحية. فعلم صدق حاله وسلم له.

ومن أهل عصرنا كان من أقطاب التجرد الكاملين الشيخ علي بن عبد الدايم صاحب أسيوط.

سئل يومًا عن الزهد

فأجاب السائل.

ثم سأله السائل عن زهد الزهد.

فقال له هكذا وخلع جميع ثيابه.

وبقي عاريًا إلى أن مات ونصفه الأسفل في حفرة محفورة بالأرض ونصفه الأعلى فوق الأرض بقي هكذا إلى أن مات.

الصنف التاسع
لحى من أسقطوا المقام

وهؤلاء من أكابر الرجال. تركوا المقام والمقامات حياء من الحق تعالى. وقالوا نحن لسنا أهلًا لهذا فكيف ندعى فهؤلاء فنوا في كرامة الحق. فهم لهم لحى بغير لحى وهم لا لحى لهم ولهم لحى.

فما أعظم مقامات الرجال.

وهؤلاء الساخرون من الرسوم والأعيان الغواصون إلى قاع بحار الحقائق يستخرجون درر الأصداف وكنوز الأسرار. قد استغنوا عن الملك والملكوت وآنسوا بربهم تعالى.

فما أعظمهم من قوم وقفوا بباب الحق تعالى وتخلوا له عن كل شغل شاغل.

وهؤلاء قيل فيهم من الحضرة القدسية: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

الصنف العاشر
لحى المذنبين

قيل: كيف يلتحي مذنب؟ يا حكيم الأولياء وسلطان المتصوفين؟

قلنا: هو كاتمٌ إما راغب في التوبة وإما معرض عنها والحق تعالى ساتر عليه من فوقه.

فليتب كل مذنب ملتحٍ.

فليس علامة التقوى والإيمان اللحية عند أهل الإيمان واليقين فافهم يا ولي.

وقد كثرت لحى أهل الذنوب في زمننا هذا.

حتى التحى الزاني والسارق والمرابي وشارب الخمر والفاسق والزنديق.
ومنهم من يدعي أنه أورع وأتقى أهل زمانه بلحيته هذه.

الصنف الحادي عشر
لحى دعاة الحق تعالى

وهؤلاء مقامهم التصريح لهم من رسول الله (ﷺ) بالدعوة والوعظ. وهم متكلمون بلسان رسول الله (ﷺ) والتصريح منه عليه السلام ممتد إلى يوم القيامة. يكون منامًا ويقظة.

وكان هذا من مقامات الجنيد البغدادي فقد صرح له النبي (ﷺ) بالكلام في الناس.

وليس كل داعٍ هو من دعاة الحق تعالى ومتكلم بلسان النبي (ﷺ). وإن كان عالمًا بلغ في العلم ما بلغ.

وقد رأينا من هؤلاء قومًا منهم شيخنا محمد زكي إبراهيم كان يتكلم بلسان النبي (ﷺ).

ومنهم محمد متولي الشعراوي وهو متكلم بلسان الحضرة النبوية الشريفة. وهؤلاء الدعاة يرزقهم الحق تعالى القبول بين الخلق فلا يعترضهم معترض. والمعترض من الدعاة لا تصريح له إلا إذا تم نصره. وإلا فلا.

الصنف الثاني عشر
لحى العلماء الربانيين

والعالم الرباني مطالب باعفاء لحيته ويحرم عليه حلقها في أي زمن لكونه حجة يحتج به ومثال ذلك شيخ الإسلام وشيخ الأزهر في زمننا هذا ومثاله أيضًا مفتي الديار ومثاله كذا قاضي القضاة.

ومن حلق لحيته من العلماء فجائز أن يقتدى به. وليس كما يقول البعض لا تجوز إمامة من حلق لحيته وإلا فإن معظم علماء المسلمين هم في باطل وعلى باطل.

وسمعنا أن البعض لا يجيز الصلاة خلف من حلق لحيته ويقول الصلاة خلفه باطلة. وقولهم هذا باطل لا صحة له قياسًا على ما نحن فيه.

ولحى العلماء كرامة لهم ونور يوم القيامة. فهي تزين الفتى والعالم.

ويحرم على العالم حلقها ما لم تنتابه في ذلك شبهة وحلق العالم للحيته بدعة لا سيما شيوخ الوعظ كبار العلماء. لكون هذا لم يكن معروفًا فيما عبر من الأزمان.

وكان من أهل عصري ممن نالوا مقام لحية العلماء الربانيين شيخ الإسلام

والجامع الأزهر الإمام عبد الحليم محمود وهو أكمل هذه الطائفة والصنف.

الصنف الثالث عشر
لحى السمعة

اعلم ولي الله وصفيه أن كل لحية أطلقها صاحبها لعلة غير وجه الله فهي لحية سمعة. يُسمّع بصاحبها ويُشهّر به يوم القيامة.

وهذا لا يعلمه إلا علماء معرفة علل النفس الذين اطلعوا على مقاصد النفس ونيات القلوب.

وهذه اللحية أي لحية السمعة تنفع صاحبها في هذه الدار وتخزيه يوم القيامة لما يظهره الحق تعالى في حقيقة أصله إذ هذه الدار دار رياء وكذب والآخرة دار الحقائق الباطنية. حيث يتجلى كل مخلوق بما كان يضمره ويبطنه.

وفي الحديث: (يرفع يوم القيامة لكل غادر لواء يقال هذه غدرة فلان بن فلان).

لذا استحى كثير من العلماء من شبهة اللحية فحلقوها بسبب شبه باطنية وهم من علماء الورع وأولياء الحق تعالى المحاسبون لأنفسهم وهؤلاء لهم مقامهم لا يدخلون في عداد العلماء الظاهريين وإن كان ظاهرهم العلم.

الصنف الرابع عشر
لحى الألقاب

ومن الناس من يعفي لحيته حتى ينال لقبًا عند الناس فيقال له يا حاج فلان.

وهذا خطره عظيم وقد تفشى بين الناس في زمننا هذا.

وادعاه رعاع القوم. إذ ليس اللحية هي مقياس الورع والخير في الآدمي.

الصنف الخامس عشر
لحى المتشبهين بالسلف والعلماء الصالحين

ومن القوم من أعفى اللحية حتى يقال عنه عالم وهو ليس بعالم ولا يساوي في سوق العلماء شيئًا.

وقد تفشى هذا بين شباب القوم وادعوا أنهم على قدم السلف والعلماء الصالحين كالحسن البصري والثوري وهم منهم براء وحجة هؤلاء أن ظاهرهم هو ظاهر السلف ففتشوا في الكتب عن المظاهر وودعوا باطن الأمر ومن ثم قلدوا مظاهر القدماء في لبس العمامة وإرخاء العذبة وإمساك العصا وإعفاء اللحى وتقصير الثياب فوقع هؤلاء في الوهم وهم لا يعدلون تراب أقدام أدنى رجل من السلف الصالح في المقام والفضل والعبادة والعلم والزهد والورع.

الصنف السادس عشر
لحى ستر المعاصي

وهذه طائفة استجدت على هذه الأمة ادعت الصلاح باللحية وهم في أمر مريج وارتكاب الفواحش والكبائر وزعموا أن اللحى ساتر لهم لكونها عنوان الإسلام.

وأقول لهم ليست هي من عنوان الإسلام في شيء.

وعنوان الإسلام قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

فهؤلاء ستروا فساد بواطنهم بشيء من مظاهر الدين.

الصنف السابع عشر
لحى المنافقين

وهؤلاء أشد أعداء الإسلام نافقوا وكادوا للدين وزعموا أنهم لن يعرفوا إذا تشبهوا بشيء من مظاهر الملة والشرع فأعفوا اللحى.

فذهب الشارع فكشفهم بتوفيق الحق تعالى وهؤلاء هم الذين عبر عنهم الحق تعالى بقوله: ﴿هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله﴾.

وقد كان يعلم رسول الله (ﷺ) صفة المنافقين الذين حوله حتى فضحهم الحق تعالى في سورة التوبة وأنزل أسماءهم ثم نسخت أسماؤهم من القرآن.

ولذا كان عذاب المنافق أعظم عذاب فجعله الحق تعالى في الدرك الأسفل من النار.

الصنف الثامن عشر
لحى العدو

وإذا أراد العدو أن يكيد للإسلام تشبه به فتمثل بشيء من فعله وسنته وهديه وهذه صفة الجواسيس الذين ترسلهم الدول الكافرة للتجسس على المسلمين فيرتدون ثياب المسلمين ويتزينون بشيء من هديهم حتى يطلق الرجل منهم لحيته حتى يخادعهم فهذه صفة العدو الحقيقي للمسلمين.

وقرأت في سيرة نور الدين زنكي أن اثنين في زمنه من الصليبيين ادعوا الزهد والتقشف ولبسوا لباس الزهاد ومكثوا في المدينة سنتين مجاورين واكتشف أنهما يحفران في السر سردابًا موصلًا إلى قبر الرسول عليه السلام لأجل استخراج جسده المبارك فلما علم نور الدين أمسكهما وأعدمهما وحفر حول الروضة وصب الرصاص المذاب.

الصنف التاسع عشر
لحى التجار

ومن القوم من يعفي اللحية حتى يكسب المال ويثق الناس فيه وهو ليس عنده ذرة من الأمانة والصدق فهذا له نيته التي نواها ويرد يوم القيامة حاسرًا كاذبًا.

ومن هؤلاء طائفة من التجار كانت تضع الحديث في الأطعمة لأجل ترويج تجارتهم كما وضعوا الحديث في: الباذنجان واللحم والخبز والعدس والباقلاء والعنب والأرز.

الصنف العشرون
لحى الزينة

ومن الناس من يطلق لحيته زينة وتزينًا. ويسميها خنافس لا لأجل تدين أو تنسك أو إصابة سنة المصطفى (ﷺ) وهذا خطره هين ليس كأصحاب العلل العظيمة الذين ذكرنا منهم طائفة. لكونه جهل الأمر وتوقف من دخوله بالنفاق والعلل في بساطهم.

الصنف الحادي والعشرون
لحى المتشبه بالممثلين والمطربين

ومن المسلمين من زعم أنه التحى تشبهًا ببعض المطربين الكفار والأجانب فيقلدهم.

وهؤلاء قلدوا بلا ذوق فلو أنهم قلدوا نبيهم واهتدوا بهديه لكان خيرًا لهم.

فهؤلاء يحاسبهم الحق تعالى على ما أضمروه من نية في قلوبهم ومن هذه

اللحى لحى الممثلين الذين يضعون ما يشبه اللحى استهزاءً بالشيوخ والعلماء والصالحين.

ومنهم من يقلد رجلًا صالحًا فيقلد شخصيته وربما مثلوا شخصية صحابي من صحابة النبي (ﷺ).

الصنف الثاني والعشرون
لحى الكفار وأهل الكتاب

وهؤلاء لا ينبغي لمؤمن أن يتشبه بشيء من لحاهم حتى لا يقلد كافرًا فقد أمرنا نبي الإسلام (ﷺ) أن نخالف الكفار وأهل الكتاب.

ومن الشباب من يقلد بعض عظماء الكفار ومطربيهم وغيرهم.

ومنهم من يتشبه بالكفار فيحلق جزءًا من اللحية ويبقي جزءًا منها.

ومنهم من يحلق معظم اللحية ويبقي جزءًا صغيرًا منها حول الذقن.

الصنف الثالث والعشرون
لحى من وقعت عليهم شبهة

وهذا الصنف ما اشتبه الحاكم في صاحبه أنه يعمل في الباطن ضده أو يعمل لأغراض تعارض مصالح الأمة.

وهذه الفرقة زعمت أنها هي الوحيدة التي على الحق وباقي المسلمين كفار وعصاة ومنافقين.

منهم كثيرون لهم أسماء ما أنزل الله بها من سلطان مثل: التكفير والهجرة، والجهاد، والناجون من النار.

أطباق المرمر المطعمة
في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة

الحمد لله الذي بعث محمدًا (ﷺ) ليتم رسالاته ويختمها ويحفظها من دسائس التحريف وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطيبين.

وبعد:

إنَّ الحديث الموضوع علمه غزير وقد أُلفت فيه التواليف الغزيرة.

وقد ساقني الحق تعالى لكي أصنف مصنفًا في الأحاديث الموضوعة في الأطعمة وهو فن فريد نادر.

وقد كثر وضع الزنادقة للأحاديث الموضوعة في الأطعمة حتى ضحكت العقول مما أورده هؤلاء فوضعوا في الباذنجان والباقلاء والجرجير والكرفس والفجل وغير ذلك مما وضعوه.

وكان السابقون من أهل الأهواء يضعون الحديث لما يوافق هواهم. حتى يضع من يبيع العنب حديثًا في العنب حتى يروج سلعته.

وقد رمزنا إلى كل مخرج برمز فلابن عدي (عد) ولابن حبان (حب) وللعقيلي (عق) ولأبي الفتح الأزدي (فت) ولابن مردويه (مر) وللطبراني (طب) وللدارقطني (قط) وللخطيب (خط) ولابن شاهين (شا) ولأبي نعيم (نع) وللحاكم (حا) وللجوزقاني (قا) وللديلمي (مي) ولابن عساكر (كر) ولابن النجار (نجا) ولأبي الشيخ (يخ).

وإذا قيل قال «الشيخ» فالمقصود به المؤلف. وقد سمينا مصنفنا هذا: «أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة».

ورتبناه على أبواب. والله الموفق.

باب ما وضع في الخبز

حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه: مر رسول الله (ﷺ) على كسرة ملقاة فقال: «يا سميراء أو يا حميراء أحسني جوار نعم الله عليك فبالخبز أنزل الله المطر من السماء وبالخبز أنبت النبات من الأرض وبالخبز صمنا وصلينا وبالخبز حججنا بيت ربنا وبالخبز جاهدنا عدونا ولولا الخبز ما عبد الله في الأرض» (حب) من طريق أبي أشرس الكوفي. قال الشيخ: وله شبيه عند ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها.

حديث «من أخذ لقمة صغيرة أو كبيرة من مجرى الغائط أو البول فأماط عنها الأذى وغسلها غسلًا نقيًا ثم أكلها لم تستقر في بطنه حتى يغفر له» (أبو يعلى) من حديث فاطمة رضي الله عنها. وفيه وهب بن عبد الرحمن القرشي وهو وهب بن وهب القاضي.

حديث «ما استخف قومٌ بحق الخبز إلا ابتلاهم الله بالجوع» (خط) في المتفق والمفترق من حديث ابن عباس وفيه إسحاق بن نجيح.

حديث «أكرموا الخبز فإن الله سخر لكم به بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم ولا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع» رواه الديلمي من حديث عبدالله ابن أم حرام.

حديث «إذا خرجتم في حج أو عمرة فنعموا أنفسكم لكيلا تنكلوا وأكرموا الخبز فإن الله سخر لكم به بركات السموات والأرض فلا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع». رواه أبو نعيم في

الحلية وابن عساكر في تاريخه بسند فيه من يجهل من حديث أبي هريرة.

حديث «صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه» (فت) من حديث عائشة وفيه جابر بن سليم.

له شاهد من حديث أبي الدرداء بلفظ: قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه. أخرجه البزار وقال: لا نعلمه روي متصلًا إلا بهذا الإسناد. وإسناده حسن من أسانيد أهل الشام.

قال الشيخ: وقد وثق ابن حجر في لسان الميزان جابر بن سليم.

باب ما وضع في اللحم

حديث «لا تأكلوا اللحم» (قا) من حديث أبي الدرداء وله شاهد عن عمر أخرجه البيهقي في الشعب: إياكم واللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر. وقال: وصله بعض الضعفاء ورفعه ليس بشيء.

وأخرج أيضًا عن عمر: إياكم والأحمرين اللحم والنبيذ فإنهما مفسدة للمال مرقة للدين.

حديث إنَّ للقلب فرحة عند أكل اللحم وما دام الفرح بأحد إلا أشر وبطر ولكن مرة ومرة (عد حب) من حديث أبي هريرة. وفي سند الأول عبدالله بن محمد بن المغيرة وفي سند الثاني أحمد بن عيسى الخشاب.

وقد تعقب بأن البيهقي أخرجه في الشعب من طريق عبدالله بن المغيرة.

وقال تفرد به عن الثوري وأخرج صدره من حديث سلمان أيضًا.

حديث سيد طعام أهل الجنة اللحم (حب) من حديث أبي الدرداء.

(عق) من حديث ربيعة بن كعب بلفظ أفضل طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم ولا يصح في الأول سليمان بن عطاء. قال ابن حبان: يروى عن

مسلمة بن عبدالله الجهني أشياء موضوعة. فلا أدري التخليط منه أو من مسلمة.

وفي الثاني عمرو بن بكر السكسكي.

حديث لا تقطعوا اللحم بالسكين فإن ذلك من صنع الأعاجم.

رواه أبو معشر. من حديث عائشة قال أحمد: ليس بصحيح وقد كان النبي (ﷺ) يحتز من لحم الشاة وأبو جعفر ليس بشيء.

حديث اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يومًا ساء خلقه. (مر) من حديث علي وفيه سليمان النخعي.

حديث لا يحل من اللحم النيئ دون ثلاث إلا أن يجفف قبل ذلك او تصيبه نار. (مى).

فيه عيسى بن إبراهيم (متروك) وضاع. قال البخاري: منكر الحديث.

باب ما وضع في الحمام

حديث اتخذوا هذه الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم (خط) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن زياد الميموني.

حديث إنَّ النبي (ﷺ) كان يطير الحمام رواه الخطيب. وضعه أبو البختري وهب بن وهب القاضي للرشيد.

حديث عليّ: كان رسول الله (ﷺ) يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج (حب) وأخرجه يعقوب بن سفيان من حديث أبي كبشة (حا) من حديث عائشة.

حديث ابن عباس جاء رجل فشكى الوحشة إلى رسول الله (ﷺ) فقال: اتخذ زوج حمام يؤنسك بالليل (خط) ولا يصح فيه محمد بن زياد.

وروى مثله الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت ولا يصح فيه الصلت بن الحجاج عن ثور وعامة ما يرويه منكر.

حديث إذا كان أحدكم في بيته وحده خاليًا فليتخذ فيه زوج حمام (عد) من حديث جابر ولا يصح فيه هارون بن عنترة. قال ابن حبان: يروي المناكير الكثيرة وعاصم بن سليمان وأبان بن سفيان.

باب ما وضع في الأوز

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزلة الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مى) من حديث علي وهو من طريق الحارث الأعور.

حديث نعم الدواء الأوز صحيح سليم من كل داء (مى) من حديث أنس فيه أبان بن أبي عياش.

باب ما وضع في البقر

حديث أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ما رفعت طرفها للسماء حياء منذ عبد العجل (عد) من حديث أنس وفيه عبدالله بن وهب النسوي. قال ابن الجوزي: المتهم به عبدالله بن وهب النسوي.

باب ما وضع في الجراد

حديث من قتل جرادة كأنما قتل عقربًا (حا) من حديث ابن مسعود فيه عمر بن سعيد بن وردان القشيري جعله البيهقي في الشعب.

حديث جابر وانس كان رسول الله (ﷺ) يدعو على الجراد اللهم اقتل كباره وأهلك صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا

وارزقنا إنك سميع الدعاء فقال رجل: يا رسول الله تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره. فقال رسول الله (ﷺ) إنما الجراد نثرة حوت في البحر (خط) فيه موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي متروك.

باب ما وضع في الديك

حديث لا تسبوا الديك فإنه صديقي وأنا صديقه وعدوه عدوي والذي بعثني بالحق نبيًا لو يعلم بنو آدم ما في صوته لاشتروا لحمه وريشه بالذهب والفضة وإنه ليطرد مدى صوته من الجن (الحسن بن سفيان) في مسنده من حديث ابن عمر. وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث ورشدين بن سعد ليسا بشيء.

حديث أبي زيد الأنصاري قال رسول الله (ﷺ) الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدو الله وكان رسول الله (ﷺ) يبيته معه في البيت (أبو بكر البرقي) وفيه محمد بن مهاجر.

حديث الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتًا من جيرانه أربعة على اليمين وأربعة عن الشمال وأربعة من قدام وأربعة من خلف (عق) من حديث أنس وفيه الربيع بن صبيح ضعيف وابن أبي بزة منكر الحديث.

حديث من اتخذ ديكًا أبيض في داره لم يقربه الشيطان ولا السحرة (ابن الجوزي) من حديث أنس وفيه يحي بن عنبسة.

حديث من اتخذ ديكًا أبيض في منزله حفظ من شر ثلاثة الكافر والكاهن والساحر (أخرجه الديلمي) من حديث معاوية بن حيدة.

قال الشيخ: وأخرج مثله عن أثوَب بنُ قانع في معجمه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر.

باب ما وضع في السمك

حديث أكل السمك يذهب الحسد (حا) من حديث أبي أمامة فيه العلاء بن مسلمة الرواس وغيره من المجروحين.

حديث من أكل السمك فليتمر قال السخاوي في المقاصد: باطل.

باب ما وضع في الشاة

حديث من كانت في بيته شاة كانت في بيته بركة ومن كانت في بيته شاتان كانت في بيته بركتان ومن كانت في بيته ثلاث شياه اعتزل من الفقر وفرشت على بيته الملائكة تقول رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (مر) من حديث أبي هريرة وفيه عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان وهما مجهولان والمعلى بن ميمون متروك.

باب ما وضع في الغنم

حديث ابن عباس أمر رسول الله (ﷺ) الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج (عد عق) ولا يصح ففي سند الأول علي بن عروة وفي سند الثاني غياث بن إبراهيم.

باب ما وضع في النعجة

حديث إنَّ لكل شيء خيرة وخيرته في البقل الهندبا ومن الغنم النعجة ومن بني آدم أنا (خط) عن أبي البختري مرسلًا.

وأبو البختري كذاب. وكذا راويه عنه أبو الخير.

باب ما وضع في ذبائح الجن

حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله (ﷺ) نهى عن ذبائح الجن (حب) فيه عبدالله بن أذينة.

باب ما وضع في الطير عامة

حديث لا بأس بأكل كل طير ما خلا البوم والرخم (قا) من حديث ابن عمر من طريق عبدالله بن زياد بن سمعان.

باب ما وضع في الدجاج

حديث ابن عباس أمر رسول الله (ﷺ) الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج (عد عق).

لا يصح في الأول علي بن عروة وفي سند الثاني غياث بن إبراهيم.

حديث الدجاج غنم أمتي لا يصح.

باب ما وضع في الأضحية

حديث استفرهوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط قال السخاوي في المقاصد: ضعيف جدًا.

قال الشيخ: قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يصح في فضائل الأضحية شيء.

باب ما وضع في البيض

حديث علي عند ابن السني في الطب أنَّ رجلًا شكى إلى النبي (ﷺ)

قلة الولد فأمره بأكل البيض قال: يا رسول الله وأي بيض؟ قال: كل بيض ولو بيض النمل وفيه الفيض بن وثيق.

حديث شكى داود عليه السلام قلة الولد فأوحى الله إليه أن خذ البيض. رواه ابن منده عن عبد الرحمن بن دلهم عن النبي (ﷺ) قال: شكى داود عليه السلام إلى آخر الحديث.

قال ابن منده: هذا حديث منكر وعبد الرحمن بن دلهم مجهول لا تتأكد له صحبة.

حديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب أن نبيًا من الأنبياء شكى إلى الله عز جل الضعف فأمره بأكل البيض. قال البيهقي: تفرد ابن الأزهر عن أبي الربيع.

حديث ابن عمر جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فشكى إليه قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل (حب) فيه أبو الربيع أدخله إلى أحمد بن أبي طاهر البلدي وأدخله إلى أحمد بن الأزهري.

باب ما وضع في الطين

حديث إنَّ الله خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته (عد) من حديث علي وجابر بن عبدالله معًا وفيه جعفر بن أحمد شيخ ابن عدي وهو وضعه.

حديث من أكل الطين وفته فقد أكل لحم الخنزير وفته.

حديث من أكل من الطين واغتسل به فقد أكل من لحم أبيه آدم واغتسل بدمه (عد) كلاهما من حديث أنس من طريق علي وعنه عبد القدوس بن عبد القاهر واتهم ابن عدي بهما علي بن عاصم.

واتهم الذهبي بهما عبد القدوس.

حديث أكل الطين يورث النفاق (عد) من حديث جابر من طريق جعفر بن أحمد وهو وضعه.

حديث أقسم ربكم ليعذبنَّ آكل الطين كعذاب شارب الخمر.

حديث إن الله ليعذب العبد على أكل الطين لما غير من جسمه (رواهما محمد بن عكاشة) وهو وضاع: الأول من حديث ابن عباس والثاني من حديث البراء بن عازب.

حديث ألا من أكل الطين حاسبه الله على قدر ما نقص من لونه وقوته. ألا من أكل الطين حشا الله بطنه يوم القيامة نارًا على قدر ما أكل من الطين (ابن الجوزة) من حديث ابن عباس وفيه صالح بن محمد الترمذي وفيه أيضًا عاصم بن زمزم البلخي ومقاتل بن الفضل مجهولان.

حديث عائشة أن النبي (ﷺ) قال لها يا حميراء لا تأكلي الطين فإنه يعظم البطن ويصفر اللون ويذهب ببهاء الوجه (ابن الجوزي) من طريق يحي بن هاشم.

قال الذهبي: وهو أشبه بالموضوع.

حديث من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه (طب) في الكبير من حديث سلمان من طريق يحي بن يزيد الأهوازي وهو مجهول.

قال الشيخ: وبالجملة فقد قال البيهقي ما نصه: أحاديث تحريم الطين لا يصح منها شيء.

حديث أكل الطين حرامٌ على كل مسلم. (عد) من حديث أنس من طريق خالد بن غسان بن مالك عن أبيه.

باب ما وضع في الحلاوة

حديث المؤمن حلو يحب الحلاوة ومن حرمها على نفسه فقد عصى الله

ورسوله لا تحرموا نعم الله والطيبات (مر) من حديث علي فيه عبيدالله المخزومي غير معروف قال في المقاصد: حديث واه.

حديث من لقم أخاه لقمة حلواء ولم يكن ذلك مخافة من شره ولا رجاء لخيره صرف الله عنه سبعين بلوى في القيامة (خط) من حديث أنس بن مالك وفيه محمد بن الفرخان. (شا) بنحو حديث أنس من حديث أبي هريرة وفيه فضالة بن الحصين وعبدالله بن المثنى ضعيف وزكريا بن يحيي متروك.

وأورده المحب الطبري في أحكامه.

حديث أنس بلفظ من لقم أخاه لقمة حلاوة لم يذق مرارة الموقف يوم القيامة (نع) فيه خالد العبدي ويزيد الرقاشي متروك.

حديث من ابتاع مملوكًا فليحمد الله وليكن أول ما يطعمه الحلواء فإنه أطيب لنفسه (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله بن خطاف.

وفيه مسعود بن مسروق البكري ذاهب الحديث.

وأخرجه الخرائطي في مكارمه من طريق معاذ.

حديث قلب المؤمن من حلو يحب الحلاوة (خط) من حديث أبي موسى فيه محمد بن العباس بن سهل. وأخرجه البيهقي في الشعب عن أبي أمامة وقال: منكر في إسناده من هو مجهول.

حديث إذا وضعت الحلواء بين يدي أحدكم فليصب منها ولا يردها (حب) من حديث أبي هريرة. وفيه فضالة بن حصين وهو متهم بهذا الحديث.

حديث المؤمن حلوي والكافر خمري. قال في «المقاصد»: باطل لا أصل له.

قال الشيخ: قال الحافظ ابن حجر في «فتاويه»: باطل لا أصل له ولعل السخاوي نقل الحكم من شيخه ابن حجر.

باب ما وضع في الفالوذج

حديث ابن عباس أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي (ﷺ) فقال: إنَّ أمتك تفتح لهم الأرض وتفاض عليهم الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج.

قال النبي (ﷺ): وما الفالوذج؟ قال: يخلطون السمن بالعسل.

فشهق النبي (ﷺ) شهقة (ابن أبي الدنيا) وفيه عثمان بن يحيى.

قال الأزدي: لا يكتب حديثه.

وأخرج الحديث ابن ماجه.

باب ما وضع في العسل

حديث عائشة أُتي رسول الله (ﷺ) بقدح فيه لبن وعسل.

فقال: شربتان في شربة وأدمان في قدح لا حاجة لي فيه. أما إني لا أزعم أنه حرام ولكن أكره أن يسألني الله عز وجل عن فضول الدنيا يوم القيامة أتواضع فمن تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن استغنى أغناه الله ومن اكثر ذكر الله أحبه الله (قط) من طريق نعيم بن مورع تفرد به.

قال الهيثمي في «المجمع» فيه محمد بن عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

حديث أول رحمة ترفع من الأرض الطاعون وأول نعمة ترفع من الأرض العسل (حب) من حديث ابن عمر وفيه علي بن عروة.

باب ما وضع في الإطريفل

حديث ابن عباس: كنا عند رسول الله (ﷺ) وأكل مرًا.

فسألناه عن الدواء؟

فقال: هذا الإطريفل.

قلنا: وما الإطريفل؟

قال: إهليلج أسود وبليلج وأملج يغلى بسمن البقر ويعجن بالعسل.

(مر) فيه أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس عن أبيه عن جده. غير معروفين.

باب ما وضع في الخل

حديث من تأدم بالخل وكل الله به ملكين يستغفران الله له إلى أن يفرغ من تأدمه (كر) من حديث انس وفيه الحسن بن علي الدمشقي.

باب ما وضع في اللبن

حديث عائشة أُتيَ رسول الله (ﷺ) بقدح فيه لبن وعسل.

فقال: شربتان في شربة وأُدمان في قدح لا حاجة لي فيه. الحديث مر في باب ما وضع في العسل.

باب ما وضع في التمر البرني

حديث جاءني جبريل فأومأ إليَّ بتمرة فقال: ما تسمون هذا في أرضكم؟

قلت: نسميه تمر البرني.

قال: كله فإنَّ فيه سبع خصال: أوله يطيب المعدة والثاني يهضم الطعام والثالث يزيد في الفقار يعني ماء الظهر والرابع يزيد في السمع والخامس يخبل شيطانه والسادس يقربه إلى الله ويباعده من الشيطان والسابع خير تمراتكم

البرني (عد) من حديث علي وفيه سفيان بن وكيع وكان إذا لقن تلقن.

حديث ابن عمر قدم وفد البحرين فأهدوا للنبي (ﷺ) جلة من تمر فقال: ما تسمون هذا؟

قالوا: هو البرني.

قال: أتاني جبريل فيه آنفًا فقال: يا محمد كل البرني ومر أُمتك أكله فإن فيه سبع خصال يهضم الطعام وينشط الإنسان ويخبل الشيطان ويقرب من الرحمن ويزيد ماء الظهر ويذهب بالنسيان ويطيب النفس وخير تمركم البرني (عد) من طريق جعفر بن أحمد وقال: وضعه جعفر.

حديث عليكم بالتمر البرني فإنه يشبع الجائع ويدفي العريان (عد) من حديث أبي هريرة من طريق حسين بن علوان.

حديث خير تمركم البرني يخرج الداء ولا داء فيه (عد) من حديث علي وفيه إسحاق بن أبي فروة متروك.

ومن حديث بريدة وفي عقبة بن عبدالله الأصم الرفاعي ينفرد بالمناكير عن المشاهير.

باب ما وضع في التمر عامة

حديث عائشة أنَّ رسول الله (ﷺ) أراد أن يشتري غلامًا فألقى بين يديه تمرًا فأكل وأكثر فقال النبي (ﷺ): كثرة الأكل شؤم وأمر برده (عد) وفيه ابن إسحاق الشيباني قال ابن عدي: هو إبراهيم بن هراسة وأخرجه البيهقي من هذا الطريق في الشعب.

حديث عليّ أنَّ النبي (ﷺ) قال له يا علي نحن قوم تمريون وأعداؤنا نبيذيون خلقوا من طينة الخبال (نجا) وفيه محرن الكاتب وغيره مجاهيل.

حديث كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود (عد) من حديث ابن

عباس ولا يصح فيه عصمة بن محمد.

حديث أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها ذلك حليمًا فإنه كان طعام مريم حين ولدت عيسى عليه السلام ولو علم الله طعامًا كان خيرًا لها من التمر لأطعمها إياه (خط) من حديث أنس وفيه داود بن سليمان الجرجاني وسليمان بن عمرو النخعي.

حديث من أسمك فليتمر باطل.

حديث العنب دُو دُو - يعني مثنى مثنى - والتمر يك - يعني واحدًا.

قال في المقاصد: مشهور عند العجم ولا أصل له.

باب ما وضع في الحشف

حديث تعشوا لو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة. (الترمذي) وقال: هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعنبة يضعف في الحديث. وعبد الملك بن علان مجهول.

باب ما وضع في البلح

حديث كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان إذا رآه غضب وقال عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق (عد) من حديث عائشة وفيه أبو زكير وعنه محمد بن شداد.

قال الذهبي في تلخيص الموضوعات: ينبغي أن يخرج من الموضوعات وقال: هو منكر.

باب ما وضع في الرطب

حديث عائشة قال لي رسول الله (ﷺ) يا عائشة إذا جاء الرطب فهنيني

(أبو بكر الشافعي) من طريق حسان بن سياه تفرد به عن ثابت وهو يحدث بما لا يتابع عليه.

حديث لو علم الناس وجدي بالرطب لعزوني فيه إذا ذهب. (قت) من حديث عائشة وفيه خمسة على نسق ما بين ضعيف وكذاب.

قال الشيخ: قال الحافظ ابن حجر: هو ظاهر البطلان والعهدة فيه عندي على محمد بن سعيد الكزبراني أو شيخه مجاشع بن عمرو.

باب ما وضع في النبيذ

حديث عليّ أنَّ النبي (ﷺ) قال له يا علي نحن قوم تمريون وأعداؤنا نبيذيون خلقوا من طينة الخبال (نجا) فيه محرز الكاتب وغيره ممن لم يعرفوا.

باب ما وضع في الخمر

حديث المؤمن حلوي والكافر خمري.

قال الحافظ: باطل لا أصل له.

باب ما وضع في اللبان

حديث عليكم باللبان فإنه يمسح الحزن من القلب كما يمسح الأصبع العرق عن الجبين وإنه يشد القلب ويزيد في العقل ويذكي الذهن ويجلو البصر ويذهب النسيان (مر) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن إبراهيم بن عمرو بن يوسف.

قال ابن منده: كان صاحب مناكير.

باب ما وضع في العلك

حديث ست يورثن النسيان سؤر الفأر وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض ويحل ذلك اللبان الذكر (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي.

باب ما وضع في اللبان الذكر

حديث ست يورثن النسيان (الحديث السابق).

باب ما وضع في الملح

حديث عليّ أن النبي (ﷺ) قال له: يا علي عليك بالملح فإنه شفاءٌ من سبعين داء أقلها الجذام والبرص والجنون (ابن الجوزي) وفيه أحمد بن عامر وعنه ابنه عبدالله وآفته إحداهما فإنهما يرويان عن أهل البيت نسخة كلها باطلة.

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزل الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مر) من حديث علي وفيه الحارث الأعور.

حديث عن علي موقوفًا من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء (البيهقي) موقوفًا في الشعب.

حديث استفتحوا طعامكم بالملح فوالذي نفسي بيده إنه ليرد ثلاثًا وسبعين من البلاء أو قال من الداء (ابن منده في أخبار أصفهان) من حديث سعد بن معاذ هو من طريق إبراهيم بن حيان.

باب ما وضع في الماء

حديث شرب الماء على الريق يعقد الشحم (خط) من حديث أبي هريرة من طريق عاصم بن سليمان الكوزي وهو المتهم به.

حديث البركة في صغر القرص وطول الرشا وصغر الجدول قال النسائي: هذا حديث كذب.

باب ما وضع في الشرب من فضل الوضوء

حديث الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناها اللمم (مر) من حديث أبي أمامة وفيه محمد بن إسحاق العكاشي.

باب ما وضع في العنب

حديث ابن عباس أن النبي (ﷺ) كان يأكل العنب خرطًا (عق) من طريق داود بن عبد الجبار.

حديث لكم في العنب خمسة أشياء حلال تأكلونه عنبًا وتشربونه عصيرًا ما لم ينش وتتخذون منه زبيبًا وربًا وخلًا (عق) من حديث أبي هريرة ولا يصح فيه إسحاق بن وهب وإسماعيل بن مسلم السكوني والذي في اللسان اليشكري.

حديث عائشة قال رسول الله (ﷺ) عليكم بالمرازمة قيل وما المرازمة؟

قال: أكل الخبز مع العنب فإنَّ خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز (عد) من طريق عمرو بن خالد الأسدي.

حديث ربيع أمتي العنب والبطيخ (ابن الجوزي) من حديث ابن عمر وفيه محمد بن الضوء.

حديث كلوا العنب حبة حبة فإنه أهنأ وأمرأ (مر) من حديث علي وفيه أحمد بن علي بن مهدي.

باب ما وضع في البطيخ

حديث ماؤها رحمة وحلاوتها مثل حلاوة الجنة يعني البطيخ (ابن الجوزي) من حديث ابن عباس وفيه هناد النسفي ومجاهيل قال ابن الجوزي وأنا أتهم به هنادًا فإنا سمعنا عنه أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة في فضائل البطيخ لم نجدها عند غيره وكلها محال ولا يصح في فضائل البطيخ شيء إلا أن رسول الله (ﷺ) أكله.

حديث البطيخ يغسل البطن غسلًا ويذهب بالداء أصلًا (كر) من حديث بعض عمات النبي (ﷺ) وفيه أحمد بن يعقوب بن عبد الجبار القرشي وهو المتهم به.

حديث تفكهوا بالبطيخ وعظموه فإن حلاوة من حلاوته الجنة وماؤه رحمة فمن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة لأنه أخرج من الجنة (مر) و(النوقاني) أبو عمر وفي جزء البطيخ من حديث علي وفي سند الأول مقاتل بن محمد مجهول وفي سند الثاني نجم بن عبدالله مجهول أيضًا وقد اتهم به ابن الجوزي هناد النسفي.

حديث ابن عباس أهدي إلى النبي (ﷺ) بطيخ من الطائف فأخذه وشمه ثم وضعه وقال عظموا البطيخ فإنه من حلل الأرض ماؤه شفاء وحلاوته من الجنة (النوقاني) في جزء البطيخ.

وفيه عطاء بن موسى السمرقندي مجهول.

باب ما وضع في القثاء

حديث من أكل القثاء بلحم وُقي الجذام (عد) من حديث أنس وفيه علي بن معمر القرشي اتهمه به ابن عدي.

حديث من ابتدأ بأكل القثاء فليأكل من رأسها (فت) من حديث عبدالله ابن جعفر وفيه أصرم بن حوشب وإسحاق بن واصل.

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: في ترجمة إسحاق: هذا من بلاياه.

حديث إذا أكلتم القثاء فكلوه من أسفله ولا تأكلوه من رأسه فإن البركة تأتي من رأسه (مر) وابصة بن سعيد فيه عبد الملك بن حصين.

قال أبو زرعة: لا يكتب حديثه وشيخه العجاج بن سميع لم أعرفه.

باب ما وضع في الرمان

حديث ما من رمانة من رمانكم هذا إلا ويلقح بحبة من رمان الجنة (عد) (ابن الجوزي) من حديث ابن عباس ولا يصح في الأول محمد بن الوليد بن أبان. وفي الثاني عبد السلام بن عبيد.

حديث عليكم بالرمان فكلوه بشحمه فإنه دباغ المعدة وما من حبة تقع في جوف الرجل إلا أنارت قلبه وحرسته من شياطين الوسوسة أربعين صباحًا (مر) من حديث علي. فيه مجاهيل منهم سليمان بن عبدالله ابن عمر وجماعة.

باب ما وضع في التفاح

حديث ست يورثن النسيان سؤر الفأر وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض وكل ذلك اللبان الذكر (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي.

باب ما وضع في الباذنجان

حديث ابن عباس كنا في وليمة رجل من الأنصار فأتى بطعام فيه باذنجان فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن الباذنجان يهيج المرار. فأكل رسول الله (ﷺ) باذنجانة في لقمة وقال: إنما الباذنجان شفاء من كل داء ولا داء فيه (ابن الجوزي) من طريق أحمد بن محمد بن حرب الملحمي وهو آفته.

حديث كلوا الباذنجان فإنها شجرة رأيتها في جنة المأوى شهدت لله بالحق ولي بالنبوة ولعلي بالولاية فمن أكلها على أنها داء كانت داء ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء (الديلمي) عن أبي هريرة مرفوعًا.

حديث كلوا الباذنجان وأكثروا منه فإنه أول شجرة آمنت بالله (الديلمي) عن أنس مرفوعًا.

قال ابن ناصر الدين: وليتهما لم يخرجاه (يعني الديلمي وابنه) أو بينا وضعها. فإنهما من الموضوع الذي لا يلتفت إليه وقد لفق الحديثين بعض الكذابين.

حديث الباذنجان لما أكل له قال في المقاصد: موضوع باطل.

باب ما وضع في الفجل

حديث إذا أكلتم الفجل وأردتم أن لا يوجد له ريح فاذكروني عند أول قضمة (مر) من حديث ابن مسعود. وفيه انقطاع وفيه أيضًا عبدالله بن يحي شيخ لبقية قال في المفتي: مجهول.

وقال السخاوي في القول البديع: لا يصح.

باب ما وضع في العدس

حديث عليكم بالعدس فإنه مبارك وإنه يرق له القلب ويكثر الدمعة وإنه

قد بارك فيه سبعون نبيًا (ابن الجوزي) من حديث علي وفيه عبدالله بن أحمد بن عامر وأبوه وآفته إحداهما.

حديث قدس العدس على لسان سبعين نبيًا منهم عيسى ابن مريم يرق له القلب ويسرع الدمعة (ابن الجوزي) من حديث عبد الرحمن بن دلهم وفيه عيسى بن شعيب متروك وابن دلهم ليس بصحابي قال ابن المبارك لما سئل عن هذا الحديث: ولا على لسان نبي واحد وإنه لمؤذٍ منفخ.

حديث أبي هريرة أن نبيًا من الأنبياء شكى إلى الله قساوة قلوب قومه فأوحى الله إليه وهو في مصلاه أن مر قومك أن يأكلوا العدس فإنه يرق القلب ويدمع العينين ويذهب الكبر وهو طعام الأبرار (ابن السني في الطب) وفيه يحي بن حوشب منكر الحديث.

باب ما وضع في البصل

حديث ابن عمر جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فشكى إليه قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل (حب) وفيه محمد بن يحي بن ضرار المازني.

حديث يا علي إذا تزودت فلا تنس البصل.

قال السخاوي: هذا كذب كخبر عليكم بالبصل فإنه يطيب النطفة ويصح الولد.

باب ما وضع في الفول

حديث من أكل فولة بقشرها أخرج الله منه من الداء بقدرها (قط) (عد) من حديث عائشة ولا يصح. في الأول بكر بن عبدالله.

وفي الثاني عبدالله بن عمر الخراساني مجهول وتابعهما عبد الصمد بن مطير وكأنه سرقه وغير إسناده.

وقال ابن عدي: هذا باطل.

باب ما وضع في الباقلاء

الباقلاء لا يصح فيه شيء.

باب ما وضع في الكراث

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزلة الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مر) من حديث علي وفيه الحارث الأعور.

باب ما وضع في الكرفس

حديث الحسن بن علي أن النبي (ﷺ) قال له: يا بني كل الكرفس فإنها بقلة الأنبياء معفو عنها وهي طعام الخضر وإلياس والكرفس يفتح السدد ويذكي القلب ويورث الحفظ ويطرد الجنون والجذام والبرص والجن (مر) وفيه علي بن سليمان عن الثوري وهو مجهول وعنه الوليد بن محمد بن الوليد الأنطاكي مجهول أيضاً.

باب ما وضع في الجرجير

حديث بئست البقلة الجرجير من أكل منها ليلاً حتى يتضلع بات ونفسه تنازعه ويضرب بعرق الجذام من أنفه كلوها بالنهار وكفوا عنها ليلاً (عد) من حديث عطية بن بسر وأكثر رواته مجاهيل.

حديث من أكل الجرجير ليلاً ثم بات، بات الجذام يتردد في جلده. وآفته مسعدة بن اليسع.

حديث الحوك بقلة طيبة كأني أراها نابتة في الجنة والجرجير بقلة خبيثة كأني أراها نابتة في النار (الحارث) من حديث واثلة وفيه عبدالله بن عبد الرحمن الشامي مجهول وقيل ضعيف.

حديث أبي المهاجر عند أبي نعيم في الطب أن النبي (ﷺ) كره أكل الجرجير ليلًا.

قلت: فيه شيخه أحمد بن جعفر وضاع.

باب ما وضع في الحلبة

حديث لو يعلم الناس ما لهم في الحلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا (عد) من حديث معاذ ولا يصح فيه بقية مدلس وعنه جحدر.

باب ما وضع في الجبن والجوز

حديث الجبن داء والجوز داء فإذا صارا في الجوف صارا شفاءين (حا) من حديث ابن عباس من ثلاثة طرق وقال: هذا حديث منكر.

وأخرجه الخطيب من طريق محمد بن هارون الهاشمي وقال: هذا حديث منكر وقال ابن عساكر: هو من وضع محمد بن هارون. ونسب ابن حجر وضعه إلى محمد بن عبدالله الشيباني.

باب ما وضع في الهريسة

حديث معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله أتيت من الجنة بطعام؟ قال: نعم أتيت بالهريسة فأكلتها فزادت في قوتي قوة أربعين وفي نكاحي نكاح أربعين (عق) من طريق محمد بن الحجاج وهو الواضع له.

باب ما وضع في الهندباء

حديث إنَّ لكل شيء خيرة وخيرته في البقل الهندباء. ومن الغنم النعجة ومن بني آدم أنا (خط) عن أبي البختري مرسلًا وهو كذاب وكذا راويه عنه.

حديث الهندباء من الجنة (عد) من حديث انس وفيه عقبة بن عبد الرحمن.

حديث فضل البنفسج على الهندباء كفضل الإسلام على سائر الأديان وما من ورقة من الهندباء إلا عليها قطرة من الجنة (نع) من حديث الحسين بن علي وفيه محمد بن يونس الكديمي وعمر بن حفص حرق أحمد حديثه.

باب ما وضع في الأرز

حديث لو كان الأرُز رجلًا لكان حليمًا. قال في المقاصد: موضوع قلت: ووضعه متواتر.

حديث نعم الدواء الأرُز صحيح سليم من كل داء قال في المقاصد لا يصح.

باب ما وضع في السذاب وبقلة الباذروج

حديث من أكل السذاب ونام عليه نام آمنًا عن الداء والدبيلة وذات الجنب ومن أكل الهندباء ونام عليه لم يحك فيه سم ولا سحر ولا يقربه شيء من الدواب حية ولا عقرب ومن أكل من بقلة الباذروج أمر الله الملائكة يكتبون له الحسنات حتى يصبح (مر) من حديث عائشة فيه موسى بن جعفر بن سالم الجعفي مجهول.

باب ما وضع في الفواكه عامة

حديث من أكل الفاكهة وترًا لم تضره (مر) من حديث ابن عباس وفيه إبراهيم بن الفضل الغساني مجهول.

حديث عليكم بالفواكه في الإقبال فإنها مصحة الأبدان مطردة للأحزان واتقوها في الأدبار فإنها داء للأبدان (مر) من حديث ابن عمر وفيه حفص بن يحيى بن مسكة بن ماهويه مجهول.

باب ما وضع في البقل عامة

حديث أحضروا موائدكم البقل فإنه مطردة للشيطان مع التسمية (حب) من حديث أبي أمامة وفيه العلاء بن مسلمة.

باب ما وضع في المعدة

حديث المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم (عق) من حديث أبي هريرة وقال باطل لا أصل له وإنما يروى عن ابن أبجر.

قال الدارقطني: تفرد برفعه إبراهيم بن جريج ولم يسنده غيره وكان طبيبًا فجعل له إسنادًا.

باب ما وضع في الأطعمة عامة

حديث من أكل مع مغفور له غفر له قال ابن تيمية: موضوع.

حديث إذا لعق الرجل القصعة استغفرت له القصعة فتقول: اللهم اعتقه من النار كما أعتقني من الشيطان (شا) من حديث أنس من طريق سمعان بن مهدي.

حديث الأكل مع الخادم من التواضع ومن أكل معه اشتاقت إليه الجنة (مر) من حديث أم سلمة من طريق جعفر بن محمد الحسين صاحب كتاب العروس.

حديث علي: دُعي النبي (ﷺ) إلى وليمة فقال: يا علي مر بنا نأكل كسرة نسد بها كلب الجوع ولتحسن مواكلتنا مع الناس (مر) من حديث الحسن عن علي وفيه أبو علي الطوسي مجهول.

حديث من أكل طعام متق نقى الله قلبه من الحرام أربعين سنة وكتب الله له عبادة أربعين سنة (نع) من حديث أنس من طريق أبي هدبة.

حديث من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة ولم يستجب له دعوة أربعين صباحًا وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به وإن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم (مر) من حديث ابن مسعود وفيه الفضل بن عبدالله بن مسعود اليشكري الهروي قال ابن حبان لا يحتجّ به وقال ابن حجر في اللسان هذا حديث منكر.

حديث ما من مائدة عليها أربع خصال إلا كملت: إذا أكل قال: بسم الله الرحمن الرحيم وإذا فرغ قال: الحمد لله وكثرة الأيدي عليها وكان أصلها حلالًا (أبو عبد الرحمن السلمي) من حديث ابن عباس وفيه عمرو بن جميع.

حديث من وجد كسرة من طعام أو مما يؤكل فأماط عنها الأذى ثم أكلها كتبت له سبعمائة حسنة وإن هو أماطها ثم رفعها كتبت له سبعون حسنة (مر) من حديث ابن مسعود وفيه يوسف بن السفر.

حديث ما بات قوم شباعًا إلا حسنت أخلاقهم ولا بات قوم جياعًا قط إلا ساءت أخلاقهم ومن قل أكله قل جسده (الشيرازي) في الألقاب من حديث علي وفيه الحارث الهمداني.

حديث من سره أن يخلص نفسه من إبليس فليذب شحمه ولحمه بقل الطعام والتفكر فإن من قلة الطعام حضور الملائكة وكثرة التفكر فيما عند الله

عز وجل (مر) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن بجير.

حديث أبلوا أجسامكم بالجوع والعطش وأفنوا لحومكم وأذيبوا شحومكم تستبدلوا لحومًا طيبة محشوة بالمسك والكافور في الجنة (مر) من حديث أنس وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي.

حديث ما من زرع على الأرض ولا ثمرة على الأشجار إلا عليها بسم الله هذا رزق فلان بن فلان وذلك قوله تعالى: وما تسقط من ورقة إلا يعلمها. (حا) من حديث ابن عمر قال في الميزان هذا باطل.

وقد تفرد به حمويه بن الحسين بن معاذ وهو غير مقبول.

حديث الحسن يا بني نم على قفاك يخمص بطنك وخذ من شعرك تحسن رقبتك واكتحل يضئ بصرك وادهن غبًا سنة نبيك وادهن بالبنفسج (مر) وفيه عيسى بن سليمان عن الثوري وهو مجهول.

حديث من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من رزقه (قط) في الغرائب من حديث أبي هريرة وفيه أحمد بن سليمان الحراني.

حديث خير الغذاء بواكره وأطيبه أوله وأنفعه (يخ) من حديث أنس وفيه عنبسة بن عبد الرحمن.

حديث إن من السرف أن تأكل كلما اشتهيت (قط) من حديث أنس ولا يصح فيه يحيى بن عثمان ونوح بن ذكوان وكل منهما منكر الحديث.

حديث النفخ في الطعام يذهب البركة (أبو سعيد النقاش) من حديث عائشة وفيه عبدالله بن الحارث الصنعاني.

حديث ابن أخي الزهري عن امرأته عن أبيها كان النبي (ﷺ) يأكل بكفه كلها (ابن الجوزي) وقال المرأة مجهولة وأبوها لا يعرف.

حديث أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا له قلوبكم (عد) من حديث عائشة من طريق أصرم بن حوشب وأخرجه البيهقي وقال منكر في الشعب.

حديث من نسي أن يسمّي على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ (عد) من حديث جابر وفيه حمزة النصيبي.

حديث تعشوا ولو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة (الترمذي) عن أنس وفيه عنبسة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن علاق مجهول.

حديث الأكل في السوق دناءة (عد) من حديث أبي هريرة وفيه محمد بن الفرات.

حديث إن من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه من شرب من سؤر أخيه ابتغاء وجه الله رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة وكتب له سبعون حسنة (قط) من حديث ابن عباس وفيه نوح بن أبي مريم.

حديث إن أهل البيت ليقل طعامهم فتستنير بطونهم (عق) من حديث أبي هريرة ولا يصح فيه الحسن بن ذكوان قال أحمد: أحاديثه باطلة.

حديث إذا دُعي أحدكم إلى طعام فلم يرده فلا يقل هنيئًا فإن الهنيء لأهل الجنة ولكن ليقل أطعمنا الله وإياكم طيبًا (قط) من حديث ابن عباس ولا يصح فيه متروكون.

قال في تلخيص الموضوعات: هذا باطل.

حديث ارضَ من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثيرًا في سنده صالح المري وهو منكر الحديث ومتروك.

وعامة أهل الحديث ينكرون عليه أحاديثه.

حديث أمر بتصغير اللقمة في الأكل وتدقيق المضغ.

قال السخاوي لا يصح.

حديث إنَّ الله نقل لذة طعام الأغنياء إلى طعام الفقراء قال في المقاصد: موضوع.

الأنفاس اللطيفة
المنبعثة على حروف السور الشريفة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. المتفضل بجوده على عباده المحسنين الصادق المتفضل بصدقه على الصادقين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فهذه رسالتنا في «علم الحروف». أودعنا فيها خلاصة هذا العلم وقد جمعنا فيها بين قول المحجوب والمكاشف. وأهل الظاهر وأهل الباطن حتى تتم الفائدة للكل، وسميناها: الرسالة البديعة المسماة: «الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة».

والله الموفق

فصل

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن أهل التفسير وصناع الكلام لهم أقاويل فاقت في كثرتها بسبب الحروف المنفصلة التي بأوائل السور الشريفة. وهم لهم أوجه عديدة اختلفوا فيها على مذهبين:

«فأول» هذه المذاهب هو مذهب أهل الظاهر.

«والثاني» مذهب أهل الحقائق العارفين.

والمذهبان هما مذهب السلف: «منهم» مَنْ أَوَّلَ. «ومنهم» من أعرض عن التأويل.

فمن أوجه أهل المذهبين المفسرة للأحرف التي في بدايات السور: «قولهم»: هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله تعالى ولم يفسروها وهذا مذهب الخلفاء الراشدين الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

«ومنهم»: من قال هي مسميات للقرآن وهذا مذهب عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم رضي الله عنه.

وهذا المذهب مذهب غالب المؤوِّلين والنحويين كالزمخشري حيث وافق على هذه النظرة.

وكذا نقل هذا المذهب عن سيبويه حكاه عنه الزمخشري في «الكشاف». قال مجاهد رضي الله عنه: الم وحم والمص وهي فواتح افتتح الله بها القرآن. ونقل عنه قوله: الم اسم من أسماء القرآن. والحاصل أنَّ من أطلق الأحرف وألحقها بمسميات القرآن. إنما أطلقها على مراتب:

«فمنهم»: من قال هي اسم القرآن بعينه.

«ومنهم»: من قال هي اسم للسور القرآنية بعينها. وصاحب هذا المذهب جعل هذه الحروف أسماء للسور اختصت بها دون المجموع القرآني ككل. فجعل كل حرف يختص بالسورة التي ورد فيها دون القرآن كله. «ومن المفسرين» من قال: هي اسم الله الأعظم.

وهذا من مذاهب ابن عباس والشعبي رضي الله عنهما قال ابن عباس رضي الله عنه: ألم اسم من أسماء الله الأعظم.

روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن شعبة قال: سألت السدي عن حم وطس والم؟ فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

وذهب «فريق آخر» إلى جعل هذه الحروف على أنها قسم صدر من الحق تعالى. وروي هذا عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال: ألم قسم.

«ومنهم»: من وجه الحروف على أنها خطاب من الحق تعالى.

وروي هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنه. روي عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ألم قال أنا الله أعلم.

وكذا روي هذا المذهب عن سعيد بن جبير والسدي رضي الله عنهما.

«ومنهم»: من جعل هذه الحروف مدلولاً على أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته.

«ومنهم»: مَنْ أَوَّلَ هذه الحروف وأرجعها إلى أسماء من أسماء الحق تعالى. فقيل الألف يدل على اسمه (الله). وقيل اللام مدلول على اسمه (لطيف). وقيل الميم مدلول على اسمه (مجيد). فالألف آلاء الله. واللام لطفه. والميم مجده.

«ومنهم»: مَنْ أَوَّلَ الحروف وربطها بعدد السنين. كما حكى ذلك ابن كثير في «تفسيره». قال: الألف سنة. واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. وهو ضعيف لا يصح.

«ومنهم»: من أرجع الحروف على أنها تمجيد وتسبيح للجناب الإلهي كما افتتحت سور كثيرة.

«ومنهم»: من أطلق الحروف على غالب الكناية.

كما حكي ذلك عن أبي العالية رحمه الله. لأن الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة. كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد بها الدين. كقوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾. وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾.

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى: ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾. وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى: ﴿وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة﴾ أي بعد حين، وقيل: لا يصح استشهاد أبي عالية في هذا الموطن. لكون الحروف تمايز عن الكلام.

«ومن أهل اللغة»: من أولّ الحروف فقال: هي حروف من المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً. كما يقول القائل ابني يكتب في - ا ب ت ث - أي حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها وهذا ضعيف.

«وقال بعضهم»: إنما ذكرت الحروف في أوائل السور حتى تعرف بها أوائل السور وقيل حتى تعرف بها السور نفسها. وهذا نضعفه نحن في مذهبنا لكون الفصل حاصلًا بدونها.

«وقال غيرهم»: إنما ذكرت في أوائل السور لكي تميز ابتداء القراءة وتشد انتباه السامع.

«وقيل»: إنما ذكرت الحروف في أوائل السور تحدياً للكفار. وهذا معظم مذهب أهل النحو كالزمخشري والمبرد والفراء وقطرب والزجاج. وكون الحق تعالى ذكر هذه الحروف فيه دلالة على عجزهم البين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن. وقد قرر هذا ابن كثير في «تفسيره» وانتصر له نقلاً عن شيخه المزي وللطبري رأى مشابه له. وقرره الزمخشري في «كشافه» والبيضاوي وللقرطبي وجه فيه. قال الزمخشري: وفي تكرار بعض الحروف في عدة سور تبكيت واستهزاء بالكفار كما كررت قصص كثيرة في القرآن. اهـ.

«ومنهم»: من جعل هذه الحروف على استخراج حوادث الزمان ومواقعه وفتنه ومصالحه ومضاره ومنافعه. وهذا باطل أيما بطلان ونحن لا نقر هذا إلا لولي مفتوح عليه ونعترف ببطلانه في تفسير هذه الحروف.

«ومن أهل الأهواء» من جعل الحروف لها تعلّق بأسماء الملائكة. فجعلوها

في كتب ومجلدات الطب والأحجبة لمداواة المرضى.

إن كانت هذه أسماء فهي أسماء الحق تعالى لا غير لا للمخلوق.

« ومن أهل الأهواء »: من ادعى هذا للجن فذكرها في كتب الشعوذة والسحر وهذا بطلانه بائن.

« ومن أهل الحقائق »: من ربط الحروف بمدارات الفلك والكواكب. والطلسمات.

« ومنهم »: من جعل الأحرف رمزاً لعلم معين من علوم الحق تعالى اختص به أهل الولاية والتحقق دون غيرهم.

« ومن أهل الولاية »: من جعل هذا العلم من علوم اللوح.

فصل

والمذكور من الحروف التي وردت بالمعجم في القرآن أربعة عشر حرفاً هي « ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن » يجمعها قولك: - نص حكيم قاطع له سر - وهي نصف عدد الحروف.

وفي هذا سر جليل.

فصل

والحكمة من ذكر الأربعة عشر حرفاً دون الأربعة عشر الأخرى. ما قاله الزمخشري: لكونها مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمهجورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة.

قلت: وبالجملة فهذه الحروف الأربعة عشر هي أصول العربية ولبُّها وزبدتها. وحوت كل فنون لغة العرب وبدونها تكون اللغة لا شيء. وقد كثرت المشتقات من هذه الحروف. حتى أن هٰذه الحروف يتكون منها غالب

المعجم. وعلة الزمخشري التي حكاها إنما هي علة بيانية لفظية. أما العلة المبطونة، فعلمها عند أهل الذوق أسلم. يرجع فيها إلى أهل الأسرار العوالي من العارفين بالله. وهم ملوك هذا الفن. وأرباب هذا الذوق.

فصل

وهذا الفصل ذكرناه في بيان هل يجوز وقوع التفاضل في كلام الحق تعالى ؟.

وهل لكلام الحق تعالى رتبٌ ومنازلٌ وهل يتشارف على بعضه؟

وهذا لكون الحق تعالى ذكر أربعة عشر حرفاً دون الأخرى. فهل المذكورة تقتضي الشرف والفضل والخير.

والعلماء في هذا الهم «مذهبان»: «فمذهب» قال بتفاضل كلام الله تعالى على بعضه. وحكي هذا المذهب عن إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي وابن الحفار من المالكية. واستدلوا في هذا بحديث رواه الإمام أحمد المروي عن جابر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد اهراق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ. قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ. قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ.

قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيباً حزيناً فخرج عليَّ رسول الله ﷺ وقد تطهر فقال: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن»؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها».

وهو حديث اسناده جيد. «وذهبت طائفة» إلى القول بنفي التفاضل في

القرآن من هؤلاء أبو الحسن الأشعري والباقلاني وابن حبان وروي ذلك عن مالك في بعض رواياته.

قلت: وقد صح عن رسول الله ﷺ تفضيل الكثير من المواطن الكلامية على بعضها في القرآن. فصح أنه فضل آية الكرسي على مجموع آيات القرآن.

روى أحمد عن أبي بن كعب أنَّ النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم» قال: الله ورسوله أعلم. فرددها مرارًا ثم قال: آية الكرسي. قال: «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش».

وكذا رواه مسلم.

وترديد السؤال مرارًا على أُبيٍّ من قبله ﷺ يقتضي تأكيد التفضيل والتعظيم وكون الصحابة لهم يدٌ في معرفة التفضيل الكلامي هذا يدل على أن هذا المذهب هو الراجح. لما قاله النبي ﷺ لأبي «ليهنك العلم يا أبا المنذر».

وصح عنه ﷺ أنه جعل سورة الإخلاص ثلث القرآن. وهذا ثابت في الصحاح. وصح عنه ﷺ أنه قال: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان». رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

فهنا صح التقديم. واعلم أيدني الله وإياك أن التميز لا يقتضي أن القرآن أو الكلام الإلهي في عمومه منه الحسن والرديء أو العالي والسافل. بل القرآن كله في درجة واحدة في الفضل. ولكن تفاضله يكون لأجل غيره لا لقبح أو لنقص فيه. فحاشا لكلام الحق تعالى أن يلحق به مثل هذا.

ومن هذا تمايزت أسماء الحق تعالى فكان فيها الأعظم. الذي هو أفضل أسماء الحق تعالى. وإذا دعي به أجاب. ومن ثم اختلف القوم في معرفته. أي الاسم الأعظم.

ولا بد للحق تعالى أن يكون له اسم أعظم. من أسراره يختص به عباده المخلصين. ويدهش به الغافلين. لكي يعلمهم أن ثم اسمًا له خفي إذا دعي به أجاب لا يعرفه إلا مخلص. فمن هنا يندرج الكل إلى باب الحق تعالى لكي يقوموا في بساط الإخلاص حتى يتحصل لهم سره واسمه الأعظم. فإذا انكشف هذا الاسم لأهل الكمال. فهنا تتشعب النيات. وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

فإن قيل فإن تمايزت الحروف والأسماء والكلام فهل الفضل فيه تمايز في حق الإله وفي حق صفته ورتبته.

« والجواب »: أن لا تمايز في عين الصفة والحرف. لكن في شرفها وغايتها لكون عيون المسميات الإلهية كلها في رتبة واحدة في الشرف والتفضيل. وهذا الذي ميزه عن الخلق.

فقولنا كونه رحيماً أو حكيماً أو جباراً أو كنه الله. كله واجب في حقه لكونه إن سقطت الرحمة والحكمة والجبروت عنه بطلت ربوبيته سبحانه وتعالى عما يشركون.

وكونه اسمه الله فهو ظاهر الاسم الأعظم الذي به تظهر الأسماء وتبطن. فهو الله علم على الذات والصفات.

فأفضل أسمائه تعالى « الله ». ليس في ذات الصفة. بل في شرف الرتبة وغايتها. لأجل خلقه. لا لأجله هو. فهو هو أعلم بنفسه من غيره. وأسماؤه كلها سواء عنده ولا ذمة له.

فصل

واعلم أن الناس في الحروف القرآنية على مذاهب:

« فهناك »: مذهب المحدثين. ودليلهم الحديث.

« وهناك »: مذهب النحويين. ودليلهم لغة العرب ولسانهم وعلم النحو.

« وهناك »: مذهب الساكتين، ودليلهم أن النبي لم يؤوِّل فسكتوا كما سكت النبي ﷺ.

« وهناك »: مذهب أهل الحقائق والمعرفة الإلهية ودليلهم الكشف والذوق العالي.

« وهناك »: مذهب البلغاء ودليلهم أصول البلاغة وفن الفصاحة.

« وهناك »: مذهب الشاذين كالرافضة وغيرهم وهؤلاء دليلهم باطل.

« وهناك »: مذهب أهل السحر والشعوذة والطلاسم ودليلهم معروف ومجهول.

« وهناك »: مذهب أصحاب النجوم ودليلهم علم الفلك.

فصل

اعلم أن التفضيل « نوعان »: فتفضيل لعلة. وتفضيلٌ لأجل الذات. وهذا مقصودنا.

فأسماء الحق تعالى وكلامه لا يقع تفاضل بينها في ذاتها. لكون ذواتها واجبة للحق دون الخلق إذ الخلق لا علم لهم بهذا المعنى واعلم أن الحق تعالى كل صفاته شريفة وفاضلة سواءٌ في ذوات عيونها. لا تمايز.

أما العلة فتقوم لأجل الخلق لا لأجله تعالى لكونه هو العلة الأولى. أي السبب الأول. وذاك قوله ﷺ: « كان الله ولا شيء معه ».

فالعلة الأولى هو الحق تعالى. ولولاه لما تعلل الوجود. فهو علة وليس بمعلول.

ومن هنا تفاضلت أسماؤه وصفاته وكلامه تعالى لأجل غيره في الناسوت وفي التجليات. أما من حيث البطون فهو أقدر بنفسه من غيره. وذاك قوله: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾.

ومن ثَمَّ نقول إذا فضل الحق تعالى نفسه لأجل نفسه أنكر العلة فهي لا تساوي في حقه شيئًا. بل لا تعرف عنده.

ومن ثم نقول إذا فضل الخلق الحق تعالى أقاموا العلة بل يجب إقامتها. لكون عالمهم هو عالم العلل والأسباب الذي هو ظاهر الشريعة. ونحن أمرنا الشارع بظاهر الشرع حتى لا تدخل فيما لا يعنينا.

ومن ثم قال أهل الذوق: «ما عرف الرب مثله».

وقال هو معبراً عن نفسه: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾. قيل: لِمَ؟

والجواب: لكونهم أقاموا في حقه ما ليس هو له. وهو عالم العلل والحقُ متبرّىء من هذا المعنى.

فصل

قال الحكيم الترمذي رضي الله عنه في «نوادر الأصول»: إنَّ فواتح السور فيها إشارة إلى ما تضمنته السورة من المعاني ولا يعلم ذلك إلا حكماء الله في أرضه وهم نجباء الحكماء. وهم قوم وصلت قلوبهم إلى الفردانية وتناولوا هذا العلم من مشكاتها. وهو علم حرف المعجم. وبهذه الحروف يعبر عن العلوم كلها. وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى عبروا عنها بالألسنة. اهـ.

وقال الإمام أبو زيد بن محمد رضي الله عنه في «شرحه لحزب البر الكبير» للإمام الشاذلي رضي الله عنه: إن علوم الحروف والأسماء من علوم الكشف فلا فائدة في التصرف فيها والكلام عليها ببضاعة العقل بل لا يعرفه من جهله. ولا يجهله من عرفه. وكل على حسب ما فتح له.

ولذلك يتفاوت فيها أهلها ويقع الاختلاف بينهما فيما يشيرون إليه فيها. (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل).

ونقل الكركي رضي الله عنه في «لسان التعريف»: أن القطب الدسوقي رضي الله عنه قال: «إنني أشرح في نقطة الباء سبعة أحمال بعَير فتتقطع قلوب

العارفين وتهتز وتميل عند معرفة نقطة الباء». اهـ.

قال الحكيم رضي الله عنه في كتابه «علم الأولياء»: فليس من شيء إلا وقد وسمه الله باسم يدل على مكنون ما فيه من الخبر والجوهر. اهـ وقال رضي الله عنه في كتابه «تحصيل نظائر القرآن»: (فإن العلوم كلها في حروف المعجم لأن مبتدأ العلم أسماء الله ومنها خرج الخلق والتدبير في أحكام الله وحلاله وحرامه والأسماء من الحروف ظهرت وإلى الحروف رجعت). اهـ.

وقال رضي الله عنه في «علم الأولياء»: فلو كان سوى الاسم شيء من العلم يحتاج إليه لعلمه آدم ﷺ فلما علماه الأسماء كلها علمت الملائكة أن جميع العلم داخل فيها. اهـ.

قال الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه في كتابه «خواص الأسماء في بعض خواص الثلث الثاني من سر الأسرار»: «وفي كل صلاة عجب لمعتبر فإن أولها اسم الجلالة وآخرها اسم من أسمائه اما أن يكون اسم صفة أو اسم وصف أو اسم خلقة أو اسم فعل ووسطها اسم حبيبه تعالى مكرراً والحبيب لا يكون لمحبه في غاية الحب إلا هكذا وكل صيغة تقف عند اسم لها روح ولها جسم وفي هذا الثلث الأفخم حقيقة الاسم الأعظم والسر المطلسم ثم قال الله رضي عنه: وقال بعض الأكابر من أهل البصائر: إنَّ روح الأسماء الصلاة على النبي المصطفى ﷺ.

وقال بعض الأخيار من أرباب الأسرار: روح الاسم عدده.

وقال بعض أهل الرقائق من أرباب الحقائق: إنَّ روح الاسم سرٌّ خفيٌّ مَنْ أدركه نال كرامة من ربه. انتهى.

فصل

وقد وردت الحروف في أحزاب وأوراد الصوفية. لما علموا من مغزاها. فوقروا هذا العلم وصانوه عن غير أهله غيرةً على علوم الحق تعالى أن تصل إلى غير أهلها.

فمن ذلك أنها وردت في «حزب البحر»: «كهيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين. وافتح لنا فإنك خير الفاتحين. واغفر لنا فإنك خير الغافرين. وارحمنا فإنك خير الراحمين. وارزقنا فإنك خير الرازقين».

وورد ذكر آخر للحروف في «حزب البحر»: «طسم طسم طسم حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان».

وهناك ذكر آخر: «باسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا كهيعص كفايتنا حم عسق حمايتنا». وفي «الحزب الصغير» للدسوقي رضي الله تعالى عنه ورد ذكر للحروف: «أحمى حميثاً أطمى طميثًا وكان الله قويًا عزيزًا».

وورد في آخر «حزب الدسوقي الكبير» أسماء الدائرة الشاذلية وهي: «طهور . بدعق. محببه. صورة. محببه. سقفاطيس. سقاطيم. أحون. قاف. أدم. حم. هاء. آمين».

وقد ضبط القاوقجي رضي الله عنه أسماء الدائرة:

- طهور: على وزن صبور ومعناه الكامل في ذاته المنور لصفاته.

- بدعق: على وزن منظر ومعناه الذي كل شيء به.

- محببه: وفي رواية أن الهاء الأخيرة ساكنة غير منونة ومعناه مبين الحكم وصاحب المن.

صورة: وفي رواية سورة أي الذي لهيبته خضع كل جبار.

- سقفاطيس: قال لم أرَ من تكلم على معناه وهو اسم للفتح على القلب من الغيب.

- سقاطيم: وفي رواية بدلاً من القاف فاسم من الأسماء الموصله إلى رتب الكمال.

فصل

وقد جوّز الأئمة الكبار تلاوة الأوراد المشتملة على الأحرف المقطعة.

من ذلك ما قدره الإمام الزرقاني رضي الله عنه. من أنه لا خلاف في ذلك ما دامت متواترة عن أستاذ أجمع الأئمة على معرفته وعدالته. ولا يعترض عليه معترض بجهل. اهـ.

وقد كان كثير من الأئمة يقرون أوراد أئمة القوم الكبار كأبي الحسن الشاذلي والجيلاني وغيرهم رضي الله عنهم. وكفى أن سلطان العلماء العز بن عبد السلام كان يحضر مجلس أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ويعترف له بالفضل وتتلمذ على يديه في التصوف. «ومن الأعلام كانت لهم أوراد»: أبو حامد الغزالي وأبو مدين الغوث والقشيري والسهروردي والجيلاني والنووي وابن عربي والشاذلي والأقطاب الأربعة والمرسي وابن عطاء والسيوطي وزكريا الأنصاري وعبد الرؤوف المناوي وابن عبد السلام «ومن المتأخرين»: النابلسي والصاوي والدردير والنبهاني والإمام عبد الحليم محمود والشيخ صالح الجعفري والشيخ أحمد رضوان صاحب الأقصى وشيخنا غوث عصره عبد المجيد الشريف. رضي الله عنهم أجمعين ولا أظن أمثال هؤلاء يجتمعون على ضلالة. فكفى بهم حجة.

فصل

قال عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في «الطبقات الوسطى»: إن جميع المعبرين والمفسرين والمتكلمين في القرآن العظيم لم يصلوا إلى معشار عشر معرفة كنه إدراك معنى واحد من حروفه ولا يصل الرجل مقام الكمال حتى يصير قادراً على تخريج جميع أحكام الشريعة المطهرة من أي حرف شاء من حروف الهجاء. اهـ.

ويقول في موضع آخر رضي الله عنه: إنْ أردت يا ولدي أن تفهم أسرار القرآن العظيم فاقتل نفس دعواك. واذبح شبح قولك واطرح نفسك تحت

قدم أقدامك. وعفر خديك على الثرى واشهر أن نفسك قبضة من تراب واعترف بكثرة ذنوبك وخف أن ترد عليك عبادتك وقل: يا ترى مثلي يقبل منه عمل فإذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك أن تشم رائحة من معاني كلام ربك وإلا فباب الفهم عنك مغلق وعزة ربي أن كل حرف من القرآن العظيم يعجز عن تفسيره الثقلان ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يعلموا معنى الباء بعقولهم لعجزوا وما لأحد من ذات نفسه شيء قل أو جل. وان لم يكن الله تعالى يعلم العبد وإلا فهو عائم في البحر من كوم محجوب لا شم ولا لم ولا علم ولا حس. ومن لم يذق مقام القوم ويرى ويشاهد لم يحسن أن يصف بحراً لا قرار له. أو يترجم عن ساحل لا آخر له. أو يعوم في مقر التخوم ويصل إلى النون. أو يدرك معاني السر المصون. وأما إذا أعطى عبده علم ذلك فلا مانع. اهـ ويقول في موضع آخر من الطبقات الوسطى: إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم المكنونة في ألواح المعاني. ففهم رموزها. وعرف كنوزها. وفك طلسماتها. وعلم اسمها ورسمها. وأطلعه الله على العلوم المودعة في النقط ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجبة وألسن مختلفة وكذلك لهم في معاني الحروف والقطع والوصل والهمز والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ولا يطلع عليه إلا هم وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البحر والبر وما هو مكتوب على صفحة قبة السماء. وما في حياة الإنس والجن مما يقع لهم في الدنيا والآخرة.

وكذلك لهم الإطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع ما هو فوق الفوق وتحت التحت ولا عجب من حكيم يتلقى علماً من حكيم عليم. فإن مواهب السر اللدني قد ظهر بعضها في قصة موسى والخضر عليهما السلام. اهـ.

فصل

قال شيخنا الشيخ الأكبر مولانا أبو بكر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في مقدمة كتابه «العبادلة»:

أول ما ظهر من الحروف الباء وأول ما ظهر من الحضرة الإلهية الاسم. وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر. وأول ما انصبغ به النور. وأول عرض ظهر الحركة. وأول نعت أشهد بعد الوجود الجدل. وأول نطق ظهر منه أنا. وأول صفة قبل منه الحياء. وأول حال طرأ عليه الذوبان. وأول علم قبل علمه بالله. فرأى نفسه في ذلك العلم. انتهى.

وفي «أخبار الحلاج» قدس الله سره روى الشيخ إبراهيم بن عمران النيلي أنه قال: سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط. والخط كله نقط مجتمعة. فلا غنى للخط عن النقطة ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها.

وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلي الحق من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين. ومن هذا قلت: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه. اهـ.

وروي أيضًا في «أخبار الحلاج» رضي الله عنه عن عثمان بن معاوية قال: قال الحلاج: ما ظهرت النقطة الأصلية إلا لقيام الحجة بتصحيح عين الحقيقة. وما قامت الحجة بتصحيح عين الحقيقة إلا لثبوت الدليل على أمر الحقيقة.

ونقل في «أخبار الحلاج» قوله رضي الله عنه: القرآن لسان كل علم. ولسان القرآن الأحرف المؤلفة وهي مأخوذة من خط الاستواء أصله ثابت وفرعه في السماء وهو ما دار عليه التوحيد. اهـ.

فصل

ومن أعجب علوم العارفين تأليفهم لمصنفات أخذت من علم الحروف القرآنية.

ومثال هذا «طواسين الحلاج» و«فصوص ابن عربي» «وشيء من فتوحاته المكية». ومن هذه المصنفات أيضاً «المخاطبات والمواقف للنفري». وهناك شيء من هذا القبيل في «مؤلفات ابن سبعين».

ومحصول القول أن هذه المصنفات لها أهلها والقائمون عليها. ومن دخلها كان طريداً شريداً تائهاً وعالماً غريباً مريباً.

لكونه اقتحم علمًا ليس له ولا من شأنه. فلا ينكر المنكر على القوم فتزل قدم بعد ثبوتها.

فصل

يقول أبو عبدالله الحكيم الترمذي رضي الله عنه في مقدمة كتابه «علم الأولياء»: والاسم مأخوذ من السمة وكل اسم دليل على صاحبه حتى أن نفس الاسم دليل على وجود صاحب الاسم.

وذلك أن الاسم إنما هو من حرفين وإنما هو (سم) مزيد فيه الألف في الابتداء عماداً فقيل: اسم. ألا ترى أنك في الإدراج إذا ألحقته بالبسملة قلت: بسم وفي ذكر الألف يقال: اسم. وإنما هما حرفان سين وميم. فالسين من السناء والميم من المجد والسناء والضياء. والمجد لب الشيء.

فكأنه يدل على أنه إنما مسمى الاسم اسماً لأنه يضيء لك عن لب الشيء ومكنونه ويترجم لكَ ويكشف عن كنون ذلك الشيء فهذا تفسير الاسم فليس من الأسماء إلا وقد وسمه الله باسم يدل على مكنونه ما فيه من الخير والجوهر.

فاحتوت الأسماء على جميع الأشياء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام

وأبرز فضيلته على الملائكة حيث عرض جميع خلقه على آدم عليه السلام ثم قال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فأنبأهم.

فأبان فضيلته في العلم على الملائكة فعلمه العلم وأصل العلم فأما العلم فهو الأسماء وأما أصل العلم فهو الحروف المعجمة وهي ثمانية وعشرون حرفاً ومنها ابتديت اللغات.

فركب آدم عليه السلام تركيباً عجيباً فوضع العلم بالأسماء والمعرفة بما في قلبه وتصويرها في صدره وتعبيرها فيما بين حلقه إلى شفتيه. فصيَّر القلب طرفاً للعلم والصدر طرفاً للتصاوير والفم طرفاً للتعابير فركب للحروف أدوات وجعل الحروف منقسمة على الأدوات منها للحلق واللهاة واللسان والأسنان والشفتين.

ومن هنا قال علي رضي الله عنه: لا يكون كلام حتى يجري على سعة الحلق واللهاة واللسان والأسنان والشفتين. فهذه الحروف الثمانية والعشرون منقسمة على الأدوات: فحروف الحلق جزء وحروف الأسنان جزء وحروف اللسان جزء وحروف اللهاة جزء وحروف الشفتين جزء وإنما قيل تسعة وعشرون لأن حرف (لا) يتكرر وإنما هو (لام وألف) حرفان مقرونان.

وفي حروف المعجم علم البدء كله وصفات الله أسماؤه من صورة حروف المعجم وصورة (أ ب ج د) فيكتب ههنا (أ ب ج د) وفيها علم التدبير من لدن أنشأ خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم. فأول ما بدأ من العلم أسماؤه تعالى وأول أسمائه الله. ثم الأسماء كلها بعد ذلك منسوبة إليه فقال ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾. اهـ.

فصل

يقول ابن متويه المعتزلي في «التذكرة»: قد يصح أن يدخل في الأسماء قلب ثم لا يقتضي ذلك في المسميات على ما يحكى عن عباد لأنه منع أن

يصير المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً.

وهذا بعيد لأن السواد لو سُمِّي بياضاً لم يخرج عما هو عليه في ذاته. وعلى هذا يوجد السواد ولا مواضعة عليه أصلاً ولا يمكنه أن يمنع من صحة وقوع المواضعة من أهل اللغة على خلاف ما وقعت لأنه لا يتبع المعنى ولا يعرف اسمه وكذلك فليس الاسم بموجب للمعنى لأن الأعجمي لقن لفظه وإن لم يعرف معناها. والذي يبين ثبوت هذه الطريقة في كلامهم أن الغائط كان مستعملاً في المطمئن من الأرض ويجوز استعماله في الكتابة عن الحدث ثم صار حقيقة في هذا دون الأول. وكذلك القول في الدابة لأنما وضعت في الأصل لكل ما يدب ثم صار حقيقة في هذا الحيوان المخصوص.

وكذلك الملك موضوع للرسالة ثم يستعمل في رسول مخصوص. وكذلك الصلاة وغيرها. فثبت بهذه الجملة أن ينقلب المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً. ولا يوجب ذلك قلب المسمى.

ويصح عندنا قلب الأسماء والإتيان بمواضعة ثانية. إذا حصل فيه غرض صحيح وعلى هذه الطريقة حسن الإصلاح من أهل النحو والعروض والفقه والكلام على ألفاظ أفادوا بها غير ما وضعت له في الأصل.

وقد منع الشيخ أبو القاسم من جواز ذلك إلا بوحي. وأنه متى انقطع الوحي امتنع جوازه وما بيناه قد أبطله. اهـ.

فصل

أما استعمال الحرف في غير موضعه فهو الملاك بعينه.

لكون المتصرف في هذا قد اختلس ما ليس له. وتصرف فيما لا يعنيه. ومن ذلك ما رواه السراج رضي الله عنه في «اللمع» في «باب ذكر المشايخ الذين رموهم بالكفر»: أنَّ عمرو بن عثمان المكي كان عنده حروف فيه شيء من العلوم الخاصة فوقع في يد بعض تلامذته فأخذه وهرب. فلما علم بذلك

عمرو بن عثمان قال: سوف يقطع يديه ورجليه ويضرب رقبته. ويقال: إن الغلام الذي سرق منه ذلك الكتاب هو الحسين بن منصور الحلاج. وقد هلك في ذلك.

كما روي أن أبا عبدالله الحسين بن مكي الصبيحي تكلم في شيء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف فكفره أبو عبدالله الزبيري. وهيج عليه العامة فقال إن سهل بن عبدالله قال له: نحن فتحنا للناس جراب الحلتيت فلم يصبروا علينا فلمَ كلمتهم أنت مما لا يعرفون. اهـ.

قلت: ولا ينبغي الخروج إلى العامة ومخاطبتهم بهذا العلم، مما لا تطيقه عقولهم. فيكفر من لا يستوجب الكفر. وروي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال عن سري السقطي: الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكي له عنه أنه قال: إنَّ اللهَ عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال: نفروا عنه الناس.

ولما تكلم الحلاج رضي الله عنه بهذا العلم عزله الخلق وكفروه وناله ما ناله ونقل التاذفي رضي الله عنه في «قلائد الجواهر»: أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال: لقد زل الحلاج زلة فلم يجد من يأخذ بيده .

فصل

ولما كان علم الحرف هو أرقى علوم القوم. وهو غاية الغايات. ونهاية المطاف. وذروة الذروة وقمة القمم.

فقد وقع خلط كثير بينه وبين علم العزائم واستخدام الطلسمات المستنزلة لأرواح الأفلاك بعزائم غير ربانية.

وقد بين ذلك ابن خلدون في «مقدمته» في علم أسرار الحروف وهو المسمى بهذا العهد بالسيمياء.

وكذا طرح هذا الشهرستاني في «الملل والنحل». وذكر أن مذهب الباطنية

والإسماعيلية تجسيد الحروف وجعل لها أرواحاً ولها هيئات وصور. وأمزجة وطباع. ومن جهلهم قولهم بتجسيد الشريعة وتروحنها وتشكلها في هيئة الصور. والفرق بين القريب والغريب. فالصوفي المتحقق من علم الحرف سيد ابتغى وجه الحق تعالى لا غير. أما الآخر فقصده بائن وجهله مركب.

يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب الثاني من «الفتوحات»: والغرض من هذا الكتاب إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود. ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها لكلّت اليمين وحَفِيَ القلم وجف المداد وضاقت القراطيس والألواح ولو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التي قال الله تعالى فيها: ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾.

وقال: ﴿ولو أن ما في الأَرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾. وهنا سر وإشارة عجيبة لمن تفطن لها وعثر على هذه الكلمات. فلو كانت هذه العلوم الإلهية نتيجة عن فكر ونظر لانحصر الإنسان في أقرب مدة. ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد وأرواحه البررة تنزل عليه من عالم الغيب برحمته التي من عنده وعلمه الذي من لدنه والحق سبحانه وهاب على الدوام فياض على الاستمرار. والمحل قابل على الدوام. اهـ.

وقال صدر الدين القونوي قدس الله سره في كتابه «إعجاز البيان في تأويل أم القرآن»: ومن لا يكشف له هذا الطور لم يعرف سر بطون القرآن التي ذكرها رسول الله (ﷺ) بقوله: «للقرآن ظهر وبطن إلى سبعة أبطن». وفي رواية إلى سبعين بطناً. ولا سر قوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾. ولا سر قوله: ﴿يدبر الأمر﴾. ولا سر قوله (ﷺ): «خصصت بست». وتعيينه في جلتها: الفاتحة وخواتم البقرة للدلالة على كمال ذوقه وجمعيته ولا سر قوله تعالى: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾. ولا سر علي رضي الله عنه: «لو أذِنَ لي

في تفسير فاتحة لحملت منها سبعين وقرا». ولا سر الحسن رضي الله عنه: «أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب فأودع المائة في الأربعة وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأودع الجميع في القرآن وأودع جميع ما في القرآن في المفصل وأودع ما في المفصل في الفاتحة». انتهى.

فصل

والملهم أن للحروف ستة عشر مخرجًا ثلاثة للحلق وثلاثة عشر للفم واعلم أن للحروف أربعة وأربعين لقباً نحن نذكر منها خمسة وعشرين لقباً. فالأول الحروف المهموسة ثم المجهورة. والثالث الحروف الشديدة. والرابع الحروف الرخوة. والخامس الحروف الزوائد. والسادس الحروف الأصلية. والسابع حروف الإبدال.

والثامن حروف الإطباق. والتاسع الحروف المنفتحة. والعاشرة حروف الاستعلاء. والحادي عشر الحروف المستقلة. والثاني عشر الحروف حروف الصفير. والثالث عشر القلقلة. والرابع عشر حروف المد واللين. والخامس عشر الحروف الخفية. والسادس عشر حروف العلة. والسابع عشر حروف الإمالة. والثامن عشر الحرف المكرر. والتاسع عشر حرفاً الغنّة. والعشرون حرفا الانحراف. الحادي والعشرون الحرف الجرس. الثاني والعشرون الحرف المستطيل. الثالث والعشرون الحرف المتفشي. الرابع والعشرون حروف الذلاقة. الخامس والعشرون الحروف المصمتة.

خاتمة

ونختم رسالتنا هذه بكلمة جامعة لشيخ الإسلام محيي الدين بن عربي الطائي قال: «اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم الرسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقتنا وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بياناً وهو على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف».

المناقب الفاخرة
في محاسن بنت المعز القاهرة

الحمد لله الذي أنشأ البلاد وأقام العباد. وقسم الخلائق شيعاً. واحتفى أهل الملة الإسلامية بالفضائل الباهرة. والأنوار السافرة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد

فإنَّ لمصر فضائل لا تحصى وخصائص لا تعد في التواريخ والآثار. ولم تذكر مدينة كما ذكرت هي في القرآن وقد فاق ذكرها في الكتاب ذكر أم القرى وطيبة.

وهذه ميزة اختص الحق تعالى بها مصر وأهلها. وقد صنف في فضائل مصر كثير فمنهم ابن يونس وذيل عليه ابن الطحان وفتوحها لابن عبد الحكم وأخبارها وفضائلها لابن زولاق وصنف الكندي والفرغاني البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط لأبي إسحاق الهاشمي وتاريخ مصر لابن أبي مريم وتاريخها لسعيد بن عفير وللمسبحي تاريخ كبير في مصر وجمع القطب الحلبي للمصريين تاريخاً حافلاً. وللمقريزي الخطط والسلوك وعقد جواهر الأسْفَاط من أخبار مدينة الفسطاط وله الاتعاظ وجمع خططها القضاعي وابن عبد الحكم والكندي وابن زولاق وابن يونس. وللسخاوي تاريخ حافل المسمى الضوء اللامع وللسيوطي حسن المحاضرة ونظم العقيان ولابن تغري بردي تاريخ حافل أسماه النجوم الزاهرة وهو مشهور وللإسحاقي أخبار الأول فيمن

تصرف في مصر في أرباب الدول وللأدفوي الطالع السعيد ولابن ظهيرة الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ولأبي الحسين الجزار الشاعر الدرة المضية في الأمراء المصرية. ولابن زولاق الموازنة بين مصر وبغداد ولابن إياس الحنفي بدائع الزهور وأجاد فيه. ولابن أيبك الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ولابن واصل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب وللجبرتي تاريخ ولعلي مبارك الخطط التوفيقية وهو أجمع تواريخ المحدثين وخططهم على الإطلاق وقد ساقني الحق تعالى كي أصنف هذا المصنف انتصاراً لحق مصر وشعبها وعلمائها وتاريخها وميراثها في هذا الشأن كبير. وقد سميناه: «المناقب الفاخرة في محاسن بنت المعز القاهرة». وقد جعلناهفي فصول.

الفصل الأول في أصل معناها لغة

قال الزمخشري في أساس البلاغة: «مَصَّرَ الأمصار بناها. ومصر عمر سبعة أمصار منها المصران: البصرة والكوفة. ويكتب أهل هجر في شروطهم: اشترى فلان الدار بمصورها أي بحدودها. اهـ.

وقال الفيومي في «مصباحه»: مِصْر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات قاله ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتمنع والجمع أمصار. اهـ.

وحكى ابن لهيعة أنَّ مصر سميت مصر نسبة لمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.

وحكى القضاعي قال: وبذاك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف لأنه مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيه التأنيث والتعريف فمعناه الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فإذا أريد مصر من الأمصار صرف لزوال إحدى العلتين وهي التعريف والمصر في كلام الغرب: الحد الفاصل بين الأرضين. وأهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها أي بحدودها.

وقال الجاحظ في كتاب «مدح مصر»: إنما سميت مصر بمصر لمصير الناس إليها واجتماعهم بها كما سُمِّيَ مصير الجوف مصيراً ومصراناً لمصير الطعام إليه. اهـ.

الفصل الثاني في ذكر أول من سكنها واختطها وعمرها

حكى القضاعي: إن أول من سكن مصر بيصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله قومه بالطوفان وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بيصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مِصر وفارق وماخ وياح وكان مصر أكبرهم وهو من جملة من كان مع نوح عليه السلام في السفينة فدعا له.

وأصل منف بالقبطية مافه وتفسيرها ثلاثون. وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح الجبل (المقطم) ونقروا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر هذا أن يسكنه الله الأرض المقدسة الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار فسأله عنها فوصفها له وكان بيصر قد كبر وضعف بصره فساقه ولده مصر إلى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وحاز أولاد بيصر كل واحد منهم لنفسه حيازه من أرض مصر. ثم كثرت أولاد بيصر فكانت الأكابر هم: قِفط وأتريب واشمن وصا.

والقبط من ولد مصر هذا ويقال: إن قبطا هو قفط وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصريم.

ويقال إن مصر أقطع قفطا من قفط إلى أسوان في الشرق وبه سميت وأقطع أشمن من أشمون وما دونها إلى منف وما فوقها إلى جد أسوان في الغرب وأقطع ابنه الثالث أتريب شرقي أسفل الأرض وبه سميت كورة أتريب وأقطع ابنه صا كروة صا إلى البحر. فكانت مصراً أربعة أجزاء: جزءان بالصعيد وجزءان بأسفل الأرض.

الفصل الثالث في ذكر من كان بمصر من الانبياء ومن ولد بها

فاعلم أنه كان بها إبراهيم الخليل عليه السلام وإسماعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر سبطاً نبياً من ولد يعقوب وكان بها موسى وهارون ويوشع وعيسى ودانيال.

وولد بها موسى وهارون ويوشع ودانيال ويقال ولد بها عيسى ولدته أمه بأهناس المدينة المعروفة كما حكى ذلك ابن ظهيرة في «الفضائل». والصحيح أنه ولد ببيت لحم. على الأرجح الثابت.

قال ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ودخلها من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين يعقوب وأولاده وهم: يوسف ويهوذا وروبيل ولاوي وزبالون وشمعون ويسحر ودنيا ودانا وديفتابيل وجاد وبنيامين ودخلها موسى وهارون وبها مولد عيسى ابن مريم. انتهى كلامه في «النجوم الزاهرة».

الفصل الرابع في ذكر من نزل بها في الصحابة

ذكر الكندي في «فضائل مصر» بعضهم فقال: منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر وأبو ذر ومحمية بن جزء الزبيدي ونبيه بن صؤاب ورافع بن مالك وربيعة بن شرحبيل بن حسنة وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن علقمة وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب وخارجة بن حذافة وعبدالله بن أبي سرح وأبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) ومحمد بن مسلمة ومسلمة بن مخلد وأبو أيوب ورويفع بن ثابت وهُبَيْب بن مغفل وكعب بن ضنة ومعاوية بن خديج وعمار بن ياسر وعمرو بن العاص وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين. اهـ.

وقيل دخل مصر ثمانون صحابياً وقفوا فقط على إقامة المسجد الجامع.

قال ابن عبد الحكم: وكان من حُفِظَ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من قريش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله (ﷺ) صحبة وذكرهم جملة واحدة. فقال: الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وكان أمير القوم وعبدالله بن عمرو بن العاص وخارجة بن حُذافة العدوي وعبدالله بن عمر بن الخطاب وقيس بن أبي العاص السهمي والمقداد بن الأسود وعبدالله بن سعد بن أبي السرح العامري ونافع ابن عبد قيس الفِهْرِيّ وأبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شُرَحبيل بن حَسَنة ووَرْدَان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل: إنما دخلها بعد الفتح.

وشهد الفتح من الأنصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدراً وبيعة العقبة ومحمد بن مَسْلمة الأنصاري وقد شهد بدراً وهو الذي أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مصر فَقَاسَمَ عمرو بن العاص ماله وهو أحد مَنْ كان صعد الحصن مع الزبير بن العوام ومَسْلمة بن مُخَلَّد الأنصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وأبو الدرداء ومن أحياء القبائل: أبو بَصْرة حُمَيْل بن بصرة الغِفَاريّ وأبو ذر الغفاري.

وشهد الفتح مع عمرو بن العاص هُبَيب بن مُغْفِل وإليه ينسب وادي هبيب الذي بالمغرب وعبدالله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيْدي وكعب بن ضِنّة العبسيّ وعُقبة بن عامر الجُهَني وهو رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر وأبو زَمَعة البَلَوي وبِرْح بن عُسْكُل ويقال بِرْح بن عُسْكُر شهد فتح مصر واختط بها. وجُنادة بن أمية الأزدي وسفْيان بن وهب الخَوْلانيّ له صحبة ومعاوية بن خُدَيج الكِنديّ وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية وقد اختلف في صحبته فقال قوم له صحبة وقال قوم ليست له صحبة وعامر حمل شهر الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد

الفتح في أيام عثمان وجهه إليها في بعض أموره. انتهى كلام ابن عبد الحكم.

الفصل الخامس في ذكر من كان بها من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين والمتكلمين والمفسرين والعلماء

« فمن المتقدمين »: الليث بن سعد وابن وهب وأشهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وابن لهيعة والمزني والشافعي والربيع والطحاوي والقاضي بكار والكندي وابن أبي خيثمة.

وأقول: « وممن كان بها من المتأخرين » أبو حجر وزكي الدين المنذري وجلال الدين السيوطي والبلقيني والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وتقي الدين السبكي وابنه تاج الدين وزكريا الأنصاري والحافظ الدمياطي شرف الدين وإبراهيم اللقاني ومرتضى الزبيدي والمناوي وبدر الدين العيني والمقريزي وابن إياس والشعراني والقضاعي وابن تغري بردي وابن زولاق وبدر الدين بن جماعة والزركشي وعبد العزيز الديريني وشمس الدين السخاوي وابن خلدون والقلقشندي والقاضي الفاضل وابن مالك وابن هشام وابن أبي الحديد وابن نباته وابن دقماق. « ودخلها من قدامى الفقهاء »: الشعبي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة وابن علية والشافعي وحفص الفرد وغيرهم.

« ومن المتأخرين المعاصرين لي ومن قبلهم بقرن جماعة »: كالشرقاوي والبيجوري والدردير والصاوي وحسن العطار والإنبابي والمراغي شيخ الأزهر ومحمد عبده والأفغاني ورشيد رضا ويوسف الدجوي والنبهاني وعلي مبارك باشا والمطيعي وأحمد تيمور باشا ومحمد الأمير والبيجرمي والأشموني والشيخ حمزة فتح الله والجبرتي والعقاد ومحمد متولي الشعراوي وشلتوت وعبد الحليم محمود وصالح الجعفري وشيخنا محمد الحافظ التجاني وحسن البنا والساعاتي « مرتب مسند الإمام أحمد » ومحمود خطاب السبكي وزاهد الكوثري وأحمد زكي باشا وطنطاوي جوهري صاحب تفسير القرآن المنعوت « بالجواهر » وهو تفسير ضخم لم يسبق إليه والشيخ مصطفى عبد الرازق وعبد الوهاب النجار

صاحب «قصص الأنبياء» وأحمد غلوش صاحب «جاعة منع المكسرات» ومحمد الخضري المؤرخ الكبير القدير ومحمد توفيق البكري نقيب الأشراف وسيد قطب صاحب تفسير «ظلال القرآن» ومحمد أبو زهرة العلامة الأصولي وعمر مكرم نقيب الأشراف ومحمد أمين الكردي. رضي الله عنهم جميعاً.

الفصل السادس في ذكر من كان بها من الزهاد والصوفية

«فمن متقدمي السلف»: ذو النون وحيوة بن شريح وأبو الربيع وإدريس الخولاني وهانيء بن المنذر وأبو الخير الأقطع والقاضي بكار وأبو الحسن الدينوري «ومن متأخري الخلق»: علي بن وفا وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأبو الحسن الشاذلي وتلميذه المرسي وتلميذه ياقوت وإبراهيم اللقاني والشعراني وإبراهيم المتولي وشمس الدين الحنفي وعلي الخواص وابن عصيفير والكردي والفرغل والقنائي عبد الرحيم والسيدة نفيسة وإسماعيل بن يوسف الإنبابي ونجم الدين الغيطي وزكريا الأنصاري ومصطفى البكري وابن الفارض وإبراهيم الجعبري وشمس الدين الديروطي وأبو الحجاج الأقصري والفولي بالمنيا وأبو الحسن القوصي الصباغ وعبدا القادر الدشطوطي وعلي البيومي وابن عطاء الله السكندري وأحمد الدردير والصاوي والنبهاني والبيجوري.

«وممن دخلها من أكابر العارفين» إبراهيم بن أدهم ومنصور بن عمار وسيدي محيي الدين بن عربي وابن سبعين واليافعي والنابلسي.

«وظهرت منهم طائفة متأخرة جداً»: كمحمد ماضي أبي العزائم وعبد الحليم محمود العارف الكبير شيخ الجامع الأزهر وأبو الفيض المنوفي وأحمد رضوان قطب عصره وأبو خليل كان غوثاً والملنناوي وشيخنا عبد المجيد الشريف غوث الوقت وإمامه.

«ومنهم»: إبراهيم أبو العيون والمنسفيسي وأبو الوفا الشرقاوي والشيخ صالح الجعفري والشيخ عبد ربه صاحبه وعلي عبد الفتاح علام كان له قدم عالٍ.

« ومنهم »: عبد الجواد الدومي وعبد السلام الحلواني قطب عصره. وعمر بن جعفر الشبراوي وعلي عقل ونجم الدين الكردي ويوسف الحجاجي الأقصري وأحمد بن شرقاوي وأحمد الخضيري الطهطاوي شيخ ابن شرقاوي وسلامة الراضي دفين بولاق ومحمد أمين الكردي وسلامة العزامي ومحمد الميرغني سر الختم. « ودخلها » يوسف بن إسماعيل النبهاني مصنف « جامع كرامات الأولياء ».

« ومن أقطاب مصر »: أبو عليان الشاذلي واضع حجر الأساس في بناء طريقة العشيرة المحمدية وعبد الفتاح القاضي الشبلنجي وحسنين الحصافي وعبد الوهاب الحصافي والشيخ عبد الرسول والشيخ محمد الطعمي الكبير وهو جدي. والشيخ عبد رب الرسول هو أستاذ جدي وهو دفين القداديح بأسيوط. رضي الله عن جميع من ذكرناهم من الأولياء.

الفصل السابع في ذكر من كان من الحكماء

« فمنهم »: لقمان الحكيم والخضر وأرمياء وذو القرنين ومؤمن آل فرعون. « ومنهم »: هرمس وسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وأرشميدس وفيثاغورس وكذا بطليموس.

ويقال دخلها جالينوس وكان من حكمائها السحرة الذي أحضرهم فرعون لموسى وكانت عدتهم اثني عشر ألف نقيب ومن ثم أسلموا. وكان بها وزراء فرعون الذي وصفهم الحق تعالى بالعقل لما قالوا: ﴿أرجه وأخاه﴾.

الفصل الثامن في ذكر من كان بها من الشعراء

« فمنهم »: ابن نباته وابن الفارض وابن إسرائيل وابن مكانس والتنيسي وشرف الدين البوصيري وتميم بن المعز وابن سناء الملك وأبو الحسين الجزار وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والبارودي وإسماعيل باشا صبري ومحمود غنيم

وخليل مطران ومي زيادة والجارم. قال الكندي: ودخلها من الشعراء نصيب وجميل بثينة وكثير عزة وابن قيس الرقيات والأحوص وأبو ذؤيب ومعلى الطائي وأبو نؤاس ودعبل الخزاعي. اهـ.

ودخلها أبو الطيب المتنبي وابن الزيات وأبو تمام واستوطنها كشاجم وألف بها مؤلفاته.

« ومن المتقدمين المعاصرين للنواجي ومن قبله بعده جماعة منهم »: ظافر الحداد وبرهان الدين القيراطي وتقي الدين بن حجة وشمس الدين بن الصائغ وإبراهيم المعمار والسراج الوراق وابن الفقعسي وبدر الدين البشتكي وابن مماتي وبدر الدين بن الصاحب وشهاب الدين بن أبي حجلة ونصير الدين الحمامي وزين الدين الوردي وشهاب الدين الخفاجي وأبو الحسن البكري والوجيه المناوي وابن الوردي وابن الساعاتي والوادعي والبهاء الزهير وابن النبيه والأدفوي صاحب « الطالع السعيد » وزين الدين البكري.

« ومن شعراء الصوفية المتأخرين بها »: محمود جبر والعارف بالله سلامة الراضي وعلي عقل والشيخ صالح الجعفري له دواوين وأبو الفيض المنوفي له شعر رائق وأبو الوفا الشرقاوي له تشطير على البردة.

ولشيخنا خاتمة الحفاظ الأعلام محمد الحافظ التجاني أشعار رائعة في الغناء والمقامات.

الفصل التاسع في ذكر من ولد بها من الخلفاء ودخلها منهم

فولد بها من الخلفاء عمر بن عبد العزيز وجعفر المتوكل على الله ودخلها منهم معاوية ومروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومروان بن محمد والسفاح والمنصور والمأمون والمعتصم والواثق وسليم شاه العثماني وصلاح الدين الأيوبي.

وولد بها من أسرة محمد علي باشا كثير، كإبراهيم باشا وعباس الأول والثاني والسلطان حسين فؤاد الأول وفاروق.

الفصل العاشر في ذكر من كان بها من التابعين

فمنهم أزهر بن يزيد الغطيفي تابعي ثقة مصري. ومنهم أسلم أبو عمران تابعي ثقة مصري. ومنهم إياس بن عامر الغافقي مصري تابعي لا بأس به. ومنهم تميم بن فَرع المهدي مصري تابعي ثقة. ومنهم ثابت بن الحارث الأنصاري مصري تابعي ثقة. ومنهم حرام بن حكيم مصري تابعي ثقة. ومنهم عبد الرحمن بن مُرَيح الخولاني تابعي مصري ثقة. ومنهم الضحاك بن شرحبيل تابعي مصري ثقة.

الفصل الحادي عشر في ذكر من كان بها من الأدباء

«فمن متقدمي أدباء مصر»: القاضي الفاضل وشمس الدين النواجي وابن دانيال وابن نباتة وشرف الدين البوصيري وضياء الدين القناوي والوطواط وابن الوردي وابن أبي الحديد وشهاب الدين النويري صاحب «نهاية الأرب» وابن حجر شهاب الدين والأبشيهي والخفاجي والبيقاشي وابن أبي حجلة وابن حجة والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وابن فضل الله العمري.

«ومن المتأخرين جماعة منهم»: رفاعة الطهطاوي وبهاء الدين العاملي «ومن النساء»: مي زيادة وعائشة التيمورية وبنت الشاطىء وسنية قراعة وباحثة البادية. «ومنهم»: العقاد وطه حسين وأحمد تيمور باشا واليازجي وأحمد أمين وجورجي زيدان والشيخ علي يوسف وعلي أحمد باكثير ومحمود تيمور والمازني والرافعي والحكيم والمرصفي وأحمد حسن الزيات وعبد السلام الحلواني وعبد الوهاب عزام وعبد الحميد الديب والشيخ حمزة فتح الله ومحمد أمين الكردي وأحمد لطفي السيد وعبدالله النديم ومحمد توفيق البكري وحفني ناصيف

والمنفلوطي ومصطفى كامل وأخيراً خُتِمَ الأدب في مصر بنجيب محفوظ.

الفصل الثاني عشر في ذكر من كان بها من النساء الفاضلات

قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة»: كان بها من الصديقات: آسية امرأة فرعون وأم إسحاق هاجر ومريم بنت عمران وماشطة بنت فرعون التي مشطتها بأمشاط الكتان لما آمنت بموسى عليه السلام ومارية القبطية. اهـ.

«وممن كان بها من النساء الفاضلات»: السيدة زينب والسيدة نفيسة وهما بركة أهل مصر.

وكان بها أم سطل السيدة الشريفة العابدة الزاهدة. قال السخاوي: هي زوجة الشريف أحد أكابر القراءة وهو شيخ أبي الجود في القراءة حكي عنها أن الأفاعي كانت تشرب من يدها والثعبان ينام عند رأسها اهـ.

وكان بها من الفاضلات أم الربيع الزبيدي. قال السخاوي: كانت تهجر الركب فإذا عطشوا أتوها فيجدوا الماء أمامهم ماتت ودفنت في تربة الادفوي بالقرافة. اهـ.

وممن كان بها من الفاضلات أم أحمد القابلة المصرية الصالحة كانت من أهل الخير.

قال السخاوي: حكى عنها ولدها أنها قالت له في ليلة شاتية: يا بني أضيء المصباح فقال لها: ليس عندنا زيت فقالت له: صب الماء في السراج وسم الله تعالى. قال: ففعلت ذلك فأضاء المصباح. فقال لها: يا أماه الماء يقيد؟ قالت: لا ولكنه من أطاع الله تعالى أطاع له كل شيء اهـ.

وممن كان بها من الفاضلات آمنة بنت موسى الكاظم.

قال المناوي: كان يسمع عند قبرها قراءة القرآن بالليل ماتت في مصر ودفنت فيها ولها مشهد عظيم يزار. اهـ.

ومن أعيان نسائها عائشة بنت عبدالله البكرية. قال السخاوي في «الضوء»: عرفت بجبر الطير قيل: إنه إذا أصاب الطير وجَع جاء إلى قبرها فيشفى بإذن الله. اهـ.

ومن أعيان نسائها خديجة بنت الحافظ جمال الدين البكري والدة سيدي أبي الحسن البكري.

قال في «عمدة التحقيق»: ومما وقع لها رضي الله تعالى عنها أنها عبدت الله سبحانه وتعالى ثماني عشرة سنة في خلوة فوق سطح الجامع الأبيض ما عهد لها أنها بصقت على سطح الجامع حرمة له. اهـ.

«وكان بها من النساء اللاتي تولين الحكم والسياسة»: شجرة الدر.

«ومن النساء المتأخرات»: عائشة التيمورية والشاعرة مي زيادة والأديبة باحثة البادية.

الفصل الثالث في ذكر الأنبياء الذين صاهروا من نساء مصر

«فمنهم»: أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام تزوج بهاجر.

«ومنهم»: يوسف عليه السلام تزوج بنت صاحب عين شمس وتزوج زليخا.

«ومنهم»: نبينا عليه الصلاة والسلام تزوج بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس وولدت له إبراهيم.

الفصل الراع عشر في ذكر محاسن مصر الكلية

وأنا ذاكر لك في هذا الباب إنْ الله ما لم يذكره أهل التواريخ السابقة من فضائلها:

«فأولى فضائلها»: ما ذكره الحق تعالى في القرآن فيها وكونها ذكرت باسمها أكثر من أي صقع وبقعة على وجه الأرض.

فذكرت في ثمانية وعشرين موضعاً من القرآن منها الكناية ومنها التصريح:

قال الله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ قيل: هي مصر في شبه إجماع العلماء المفسرين.

وقال تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ قيل: هي مصر. وقال تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض مصر. وقال تعالى: ﴿اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم﴾. وقال تعالى: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾. وقال تعالى: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾. وقال تعالى: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فسمى غدير مصر الملك. وقال تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾. وقال تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا﴾. وقال تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ قال عكرمة: منها القراطيس بمصر. وقال تعالى: ﴿إرم ذات العماد﴾. قال محمد بن كعب القرظي: هي الاسكندية. وقال تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾. وقال تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾. يعني أرض منف. وقال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿فلن أبرح الأرض﴾. وقال

تعالى: ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾. وقال ابن عباس رضي الله عنه: سميت مصر بالأرض في القرآن في عشرة مواضع ذكرها ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة».

«وثاني فضائلها»: كونها البلد الوحيد الباقي عامرًا الذي ذكر في القرآن بلفظه التصريحي على سبيل المدح وإن كانت ذكرت مكة بلفظ بكة وذكرت المدينة بلفظ يثرب دون الاسم التصريحي الذي هو مكة والمدينة.

قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾. وقال تعالى: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم﴾.

وقد ذكرت المدينة بلفظها التصريحي وبابل وحنين في القرآن على سبيل التوبيخ. قال تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة﴾. وقال: ﴿ويوم حنين إذْ أعجبتكم كثرتكم﴾. وقال تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾. وقال تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾..

«فائدة»: وقد ذكرت بعض المدائن البائدة في القرآن كسبأ ومدين وإرم بلفظها التصريحي ولكن بادت هذه المدائن ولم يعد لها ذكر اليوم على الأرض.

«فائدة أخرى»: وقد ذكرت أيضاً بعض المدائن كإيليا والقدس وصنعاء ودمشق ونينوى في القرآن لكن بلفظ (كناية).

«وثالث فضائلها»: ذكر طور سيناء في القرآن. وهو الجبل الذي ناجى موسى عليه السلام ربه من فوقه. وطور سيناء هو طور سينين. وكفى فخرًا أن الحق تعالى أقسم به ولم يقسم بجبل قط سواه. فقال: ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾. وقد أقسم بجبل قٓ، وكفى منقبة لهذا الجبل أن كلم الحق تعالى موسى فيه.

« ورابع فضائلها » : نزول سورة في القرآن باسم جبل الطور وهـي (سورة الطور) ولم تُسَمَّ سورة باسم جبل في القرآن إلا قَ والطور « وقد اختلف في حقيقة ق » : فقيل : هو حرف من أحرف الهجاء مثل (ص ـ ن ـ ألم ـ حم ـ طس) . وقيل : بل هو جبل محيط بالدنيا ولا وجود له على حقيقة الأرض.

روى ابن أبي حاتم الرازي في جبل قَ أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عدَّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال : وذلك قوله تعالى : ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ . وهذا الأثر في إسناده انقطاع.

« وخامس فضائلها » : وجود شجرة الدهن وهي الشجرة المباركة على طورها وهي في شاطىء الوادي الأيمن. قال تعالى : ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾ . الآية. وقال تعالى : ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ . وبالجملة فقد اختصت سيناء بوجود الطور والشجرة والبقعة المباركة والوادي الذي تجلى الحق تعالى فيه لموسى وصعق.

« وسادس فضائل مصر » : كون الحق تعالى كلم موسى على أرضها وتجلى له مرارًا كثيرة.

« وسابع فضائلها » : أنَّ الحقَ تعالى أخذ الميثاق على بني إسرائيل في سيناء ورفع فوقهم الطور حتى يقبلوا الميثاق بالقوة.

قال تعالى : ﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ .

« وثامن فضائل مصر » : أنَّ الحق تعالى نزل التوراة على موسى بأرض

سيناء. وهذه منقبة عظيمة من مناقب مصر. قال تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك بأحسنها سأُريكم دار الفاسقين﴾.

«وتاسع مناقبها»: أنَّ الحقَ تعالى تاب على بني إسرائيل في أرض مصر فقال لهم على لسان موسى: ﴿يا قومِ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾.

«وعاشر مناقبها»: أنَّ الحقَ تعالى بعث نبي إسرائيل وأحياهم من بعد موتهم في أرض الحق تعالى. قال تعالى: ﴿وإذْ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾. ولم يعرف قوم في الأمم ماتوا وبعثوا سوى قوم موسى. ولم يكن هذا بأرض سوى أرض مصر في الدنيا قبل الآخرة.

«الحادي عشر من فضائلها»: أنَّ الحقَ تعالى ظلّل الغمام على بني إسرائيل وأنزل عليهم المن والسلوى بأرض مصر. وهذا لم يعرف لقوم سوى بني إسرائيل ولم يعرف بأرض سوى ارض مصر. قال تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾.

والغمام المظلل على بني إسرائيل كان أبرد من الثلج ويظللهم حتى يغطيهم كلهم من أشعة الشمس ويسير معهم حيث ذهبوا.

وهذا الغمام كهيئة الغمام الذي كان يظلل النبي (ﷺ) لما كان في سفره إلى الشام.

ورأى صفة هذا الغمام ميسرة غلام خديجة. وقد نزلت الملائكة في هذا الغمام يوم بدر.

« والمن »: هو صمغة وقيل سائل يسيل من الشجر يشبه العسل. مثل الطل. أحلى من العسل وأبرد من الثلج. كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ الرجل منه كفايته لليوم القادم. وقيل المن هو العسل.

وقد اختلف في حقيقة المن فمنهم من جعله طعاماً ومنهم من جعله شرابًا. والكمأة نوع من أنواع المن. كما ورد ذلك في الحديث.

روى البخاري عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال النبي (ﷺ) « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ».

« والسلوى »: هو طائر يشبه السماني أكبر من العصفور. قيل كانت تسوقه عليهم ريح الجنوب فيذبح الرجل منه كفايته ويأخذه فإذا تعداه فسد. قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين وقد غلط الهذلي بقوله: إنه عسل وأنشد مستشهداً:

وقاسمها بالله جهداً لأنهم ألذ من السلوى إذا ما أشورها

واعترض القرطبي على ابن عطية في تفسيره بقوله مؤرج الذي استشهد ببيت الهذلي وذكر أنه العسل لأنه يسلي ومنه عين سلوان. وقال الجوهري في « الصحاح »: السلوى هو الغسل.

« الثاني عشر من فضائلها »: وقوع الآية الكبرى لموسى عليه السلام فيها وخزي فرعون أمام الملأ وهذا يدل على أنها أرض مباركة.

وذلك لما جمع فرعون السحرة لموسى فألقوا حبالهم وعصيهم فصارت ثعابين فألقى موسى عصاه فالتهمت كل حبالهم وعصيهم التي هي حيات.

قال تعالى: **﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ★ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ★ فأوجس في نفسه خيفة موسى ★ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ★ وألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح**

الساحر حيث أتى ★ فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ .

« الثالث عشر من فضائلها » : وقوع آية الآيات ومعجزة موسى عليه السلام الكبرى بها . وهي انشقاق البحر بعصا موسى عليه السلام .

وكون البحر انشق لموسى عليه السلام نصفين أن جعل له فيه طريقاً يبسًا لهم فقط بحيث لا يسري هذا اليبس على غيرهم أن يجاوزه فإذا تقدم الفرعوني ليمشي على اليبس رآه ماءً وغرق. وإذا اجتاز الرجل من أصحاب موسى عليه رآه يبسًا ومر عليه .

والدليل على ذلك كون فرعون ظنَّ بغيِّه وجهله أنه سيقلد موسى وقومه في تجاوز البحر لسوء عقله وظلام قلبه فلما جاوزه غرق هو وقومه .

قال تعالى : ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ .

« الرابع عشر من فضائلها » : كون نهر النيل نهرًا مباركًا لكونه وقعت فيه آية موسى عليه السلام . وانفلق البحر . وسماه الحق تعالى بحرًا برغم أنه نهر . ولم يسمَ نهرٌ بحرًا سواه .

« الخامس عشر من خصائصها » : كون موسى عليه السلام استسقى لقومه بها فانفجر من البحر اثنا عشر عينًا . قال تعالى : ﴿وإذْ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ .

قال عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه : كان لبني إسرائيل حجر فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة : كان حجراً طورياً من الطور يحملونه معهم حتى إذا نقلوا ضربه موسى بعصاه .

وقيل : بل أنزله الحق تعالى على موسى من الجنة .

وقال الحسن: لم يأمر الحق تعالى موسى عليه السلام أن يضرب كل حجر بل حجرًا بعينه.

وقيل: بل شُقَّ لهم هذا الحجر وهم في التيه.

وقال جار الله الزمخشري: كان هذا الحجر من رخام.

وكان كل سبط من الاثني عشر له عين في ذلك الحجر.

«السادس عشر من فضائلها»: وقوع الإحياء على قتيل البقرة في أرض مصر الذي قال الحق تعالى فيه: ﴿وإذْ قتلتم نفسًا فادَّرءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ★ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾.

ومعنى اضربوه أي اضربوا القتيل ببعض لحم البقرة التي وصفها موسى لقومه فقال لهم: ﴿إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾. أي ببعض لحم البقرة. وهو معنى قول الحق تعالى: «ببعضها».

«السابع عشر من فضائلها»: اشتهار أهلها بفن السحر الذي تحدوا به الأنبياء أصحاب التأييد الإلهي كموسى عليه السلام. حتى قال الحق تعالى فيهم: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾. فشبه الحق تعالى تخييل الساحر المصري بحقيقة الصنائع. وقال تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾. فوصف الحق تعالى سحر أهل مصر بكونه عظيمًا. فوصفهم بأنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم. حتى خاف ذلك موسى عليه السلام نفسه وذلك قول الحق تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾.

مبحث في السحر

الثابت أن حد الساحر ضربه بالسيف في الحدود لقوله عليه السلام: «حد

الساحر ضربه بالسيف». وأجمع أهل السنة على حقيقة السحر للآيات القطعية الواردة في القرآن في شأنه.

وخالف في ذلك المعتزلةُ أهلَ السنة وأنكروا حقيقة السحر. واستدل أهل السنة على أن الساحر له حقيقة تمكن في قلب الأعيان واستدل المعتزلة على أن الساحر له قدرة على التخييل والتوهيم لقوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾. ولقوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾. وقد ذهب أهل السنة إلى تكفير الساحر.

أما تعلم السحر لأجل العلم فهو مقبول حميد. لكون المتعلم تعلم علماً لذاته شريفاً. فلا يمنع إذا تعلمه لأجل إبطال كيد العدو إذا سحر. أما تعلمه لأجل الفساد في الأرض وضرر الخلق كالتفريق بين الزوجين وقلب الأعيان كقلب الإنسان حماراً والقرد كلباً فهو مرفوض وصاحبه يكفر. لقوله ﷺ في الصحيح: (من أتى عرافًا أو كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد).

وفي الحديث: (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر).

فهذا لمن أتى عرافًا ولم يسحر فكيف بمن دخل حومة السحر. ومن ظرائف المقدور أنَّ رسول الله ﷺ سُحِرَ هو نفسه وقد ورد هذا في الصحيح من حديث عائشة.

وقد اتفقوا على أن الساحر لا يسحر شيئًا إلا بإذن الحق تعالى. لا من شأن نفسه. لقوله تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾.

وقد ذكر الوزير أبو المظفر بن هبيرة في كتابه «الإشراف على مذاهب الأشراف» بابًا في السحر فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله.

فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إنْ تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه يكفر. وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صِفْ لنا سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

ثم قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟

فقال مالك وأحمد: نعم. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا.

وأما إن قتل بسحره إنسانًا فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين.

وإذا قتل فإنه يقتل حدًا عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصًا.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟

فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل.

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة.

فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلاثة: حكمها كحكم الرجل. اهـ.

وقال ابن كثير في «تفسيره»: هل يسأل الساحر حلًا لسحره فأجاز سعيد ابن المسيب فيما نقله البخاري.

وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة وكره ذلك الحسن البصري. اهـ.

وقد عَدّ الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره» أصناف السحر وسنوردها هنا على سبيل الاختصار:

«النوع الأول»: سحر الكذابين والكشدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر.

«النوع الثاني»: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية.

«النوع الثالث»: من السحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن خلافًا للمعتزلة والفلاسفة. وهم على قسمين: مؤمنين وكفّار وهم الشياطين.

«النوع الرابع»: من السحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعبذة وهذا كسحر سحرة فرعون الذين التقوا بموسى.

«النوع الخامس»: من السحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية.

«النوع السادس»: من السحر الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة والدهانات.

«النوع السابع»: من السحر التعليق للقلب وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه.

«النوع الثامن»: من السحر السعي بالتميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس.

«الثامن عشر من فضائلها»: توجه عيسى ابن مريم هو وأمه عليهما السلام إلى مصر لما خافت من يهود بني إسرائيل.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: عن ابن عباس قال: وكان عيسى يرى العجائب في صباه إلهامًا من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى

أرض مصر فذلك قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ . اهـ.

قيل: الربوة هي مصر.

«التاسع عشر من فضائلها»: لم يبعث نبيّان معًا بأرض سوى أرض مصر وهما موسى وهارون وذاك قوله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ .

«العشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) في قول يوسف كونها [(خزائن الأرض]. وذلك قول الحق تعالى على لسان يوسف الصديق النبي عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ .

وهذا يدل على عظم أموالها وسعة رزقها ومواردها وكونها خزينة كبيرة في الرزق والمال.

«الحادي والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) بقول الحق تعالى: ﴿اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم﴾ . وهذا يدل على كون المشتهيات والذخائر وخيرات الدنيا تكونت بها لذا قالوا عنها: «مصر أم الدنيا».

ويندر أن لا يوجد شيء بها في الدنيا. لذا قيل: ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ . أي ادخلوا مصرًا فكل ما تشتهونه ستجدونه بها.

«الثاني والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) بأنها «البلد الآمن». وذاك قوله تعالى: ﴿ادخلو مصر إنْ شاء الله آمنين﴾ . وهذا الوصف لم توصف به بلد سوى مصر ومكة.

«الثالث والعشرون من فضائلها»: كون الحق تعالى وصفها في (القرآن) بأنها «جنة» قال تعالى: ﴿فاخرجناهم من جنات وعيون ★ وكنوز ومقام كريم ★ كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ .

وكذلك قوله: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾.

فوصفت مصر بأربعة أوصاف:

«الأول» كونها جنات.

«الثاني» كونها كنوزًا.

«الثالث» كونها مقامًا كريمًا.

«الرابع» مقام الوراثة فيها الظاهري والباطني.

«الرابع والعشرون من فضائلها»: وكون التمكين لا يكون إلا بها وذاك قول الحق تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾. وقال تعالى: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾. والتمكين هو التثبيت والاستقرار وهذا مداره أرض مصر. والتمكين صار صفة مصر في أيامنا هذه من استقرارها وقيام القلاقل والفتن في الأقطار التي هي دونها. ولما وصل المغول إلى أرض مصر لم يكسر شوكتهم ويردهم إلا أهل مصر بعد أن دمروا بغداد وبلاد الشام وبلاد ما وراء النهرين. وكان ذلك بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز سنة ثمان وخمسين وستمائة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان في موقعة عين جالوت. وكان ذلك النصر أول نصر عرف بأرض على التتر منذ خرجوا من البلاد.

«الخامس والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) أنها «الأرض المباركة».

وذاك قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾.

وقال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾.

« السادس والعشرون من فضائلها » : اطلاق لفظ « الأرض » عليها بلا تقييد في (القرآن). وذاك قوله تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾. فجعل الحق تعالى مصر الأرض كلها. لذلك قال الحق تعالى في حق موسى وهارون وقومهما: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ الآية. ثم قال: ﴿ونريدأن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ الآية .فكان وصف فرعون بأنه علا في الأرض وهي أرض مصر.

وكان وصف المستضعفين بأنهم في الأرض والأرض هي مصر.

« السابع والعشرون من فضائلها » : إطلاق لفظ « التقديس » على أرض مصر (في القرآن). لقوله تعالى: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾.

« الثامن والعشرون من فضائلها » : ما وصفت به في (القرآن) من أنها « مشارق الأرض ومغاربها ». وذاك قول الحق تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾.

لذا صدق إطلاق العامة على أرض مصر من أنها « أم الدنيا ».

« التاسع والعشرون من فضائلها » : وصفها في (القرآن) بأنها ﴿مبوأ صدق﴾. قال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات﴾ وبوأك الله مبوأ صدق: أي أنزلك فيه.

ومن ذلك قول الحق تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾.

أي أنزلا قومكما مصر سكنًا لهم.

والتبوؤ وصفت به الجنة في القرآن كما وصفت به أرض مصر. قال تعالى: ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾. والنكتة الظريفة أن الحق تعالى لم يصف أرضًا بأنها مبوأ صدق سوى أرض مصر.

« الثلاثون من فضائلها » : وصفها بأنها « الملك » في (القرآن). قال

تعالى: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾. لذا قال المؤرخون قديمًا من ملك مصر فكأنه ملك الدنيا كلها والملك بأسره.

«الحادي والثلاثون من فضائلها»: تشبيهها في (القرآن) «بمقام الخلافة» والاستخلاف في الأرض. وذاك قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾.

وهذا قاله موسى لقومه مخبرًا لهم بهلاك فرعون وقومه واستخلافهم بأرض مصر.

«الثاني والثلاثون من فضائلها»: اطلاق لفظ «الإمامة والإرث» على ملوكها المتسحقين لها في (القرآن). وذاك قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾.

وهذا سره عجيب. إذ اقتضت الحكمة الإلهية وقوع القوة على سلاطين مصر لكونهم أئمة الوجود وحكامه الذين يرد بهم الحق تعالى الدسائس عن العرب وأرض الإسلام. فهم ملوك العالمين والأئمة القائمون بحقوق الرب والعباد في الأرض.

ألا وهم الوارثون بحق ما أقاموا حدود الله وحقوق العباد.

لذلك وجبت عليهم المنة من بعد ضعف وذل. ولذلك قال الحق تعالى فيهم: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين﴾. أي ملك الحاكم المصري ظاهر على غيره بتأييد الحق تعالى ونصرته. وهذا نص القرآن في هذا الباب.

«الثالث والثلاثون من فضائلها»: وصف حاكمها في (القرآن) بأنه «الملِك» وذاك قول الحق تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾. وهذا لتميز الحاكم المصري على غيره في الفضل والعدل.

«الرابع والثلاثون من فضائلها»: في (القرآن) وصف حاكمها بأنه «العزيز» وهذا لم يوصف به حاكم بلد سوى حاكم مصري. وذلك لعزة نفسه.

قال تعالى: ﴿قالت امرأة العزيز﴾ وقال تعالى: ﴿قالوا يأيها العزيز﴾.

«الخامس والثلاثون من فضائلها»: أَنْ كانَ الفخرُ لأهل مصر أن اشترى عزيز مصر يوسف عليه السلام وآواه إلى كنفه بعد أن رماه إخوته في الجب وتآمروا عليه ثم أُسِرَ بضاعة. قال تعالى: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾.

«السادس والثلاثون من فضائلها»: وصف ملكها بأنَّ له «عرشًا وسجودًا» وهذا قيل في حق يوسف الصديق في (القرآن). وذاك قول الحق تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا﴾.

«السابع والثلاثون من فضائلها»: وصفها بصفة «الجنة» في (القرآن). وذاك قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾. فشبه فرعونُ أنَّ الأنهارَ تجري من تحته بأرض مصر كما تجري الأنهار من تحت أهل الجنة.

«الثامن والثلاثون من فضائلها»: أنَّ إتمام النعم يكون بها. وذلك لقوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم﴾.

«التاسع والثلاثون من فضائلها»: أن أهلها أصدق الناس قولًا وحديثًا. حتى أن امرأة العزيز اعترفت على نفسها بأنها راودت يوسف عليه السلام. فقالت: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾.

ومن عجائب امرأة العزيز أنها لم تبرىء نفسها وهذا نادر في جنس النساء. بل بينت الحق في نفسها. وإنما راودته واتهمت نفسها بالخيانة.

«الأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أرحم الناس بالغريب وأرأفهم

بالمسكين. حتى قال عزيز مصر لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾. فما بالك في قول ملك في مسكين رقيق كيوسف الصديق عليه السلام. فما أعظم عطف مصر وأهلها على غريب وحيد.

ومن جملة رحمتهم وعطفهم قول الملأ من قوم فرعون في حق موسى وأخيه: ﴿أرجه وأخاه﴾.

«الحادي والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أرق الناس قلوبًا وأرأفهم فؤادًا.

قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا﴾.

وقال تعالى على لسان امرأة فرعون: ﴿قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون﴾.

ومن جملة العجائب أنَّ آلَ فرعون آووا موسى في كنفهم فما أعظم رقة آل مصر. ومن ذلك أنَّ الحقَ تعالى وصف أم موسى فقال: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى في حق أم موسى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن﴾.

«الثاني والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أصدق الناس نصحًا لمستنصح. قال تعالى: ﴿وجاء رجل من أهل المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾. ومن ذلك نصح يوسف للعزيز بأن يتخذه على خزائن الأرض ويجعله فكان هذا النصح في محله.

ومن ذلك تأويل منامات الرجلين الذين كانا مع يوسف فنصحها وأول ذلك بقوله: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

فصدق نصحه.

ومن ذلك نصح يوسف للملك لما رأى المنام فصدق النصح فاتخذه الملك خليلًا له.

«الثالث والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أعظم الناس اعترافًا بالحق وقولًا له.

فمن ذلك اعتراف السحرة على أنفسهم بأنهم على ضلال وأن موسى على الحق فآمنوا بموسى.

قال تعالى: ﴿فألقي السحرة سجدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾. ثم قالوا: ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقضِ ما أنتَ قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾.

«الرابع والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أعظم الناس صبرًا وتحملًا للبلاء.

قال تعالى: ﴿إنَّ فرعونَ علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾.

«الخامس والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أكرم الناس وأجودهم يدًا. قال تعالى على لسان العزيز: ﴿أكرمي مثواه﴾ فكيف يكرم ملكٌ عبدًا رقيقًا؟ إلا إذا كانت له سجية كرم وجود.

«السادس والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها اتصفوا بالقوة والأمانة. وذاك قوله تعالى في موسى على لسان ابنة شعيب: ﴿يا أبتِ استأجره إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

«السابع والأربعون من فضائلها»: اتصاف أهلها بفعل الخير دون أخذ مقابل. وهذه صفة موسى لما سقى لابنتي شعيب دون أخذ مقابل قال تعالى:

﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾. وبلغنا أنَّ الصخرة كانت لا يطيق رفعها إلا عشرة رجال التي كانت على البئر التي سقى منها موسى. قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبيدالله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين تزودان قال: ما خطبكما؟

فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبًا واحدًا حتى رويت الغنم. إسناده صحيح.

«الثامن والأربعون من فضائلها»: اتصاف أهلها بوفاء العهد. وكانت هذه من صفة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا﴾.

«التاسع والأربعون من فضائلها»: اتصاف أهلها بالحياء. وكانت هذه صفة موسى عليه السلام وهو من أهل مصر.

قال عمر رضي الله عنه: لما قالت ابنة شعيب: ﴿إنَّ خيرَ من استأجرت القويّ الأمين﴾. قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه.

«الخمسون من فضائلها»: اتصاف أهلها بقوة الأجسام. حتى أن موسى عليه السلام وكز رجلاً فقتله. وذاك قوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾.

«الحادي والخمسون من فضائلها»: فضائلها الموصوفة بها في الحديث النبوي. وأصح ما ورد في ذلك ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال: رسول الله ﷺ «إنكم ستفتحون أرضًا يصح فيها القيراط». وفي رواية: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا». ولم يستوصِ النبي (ﷺ) بقبط سوى قبطها.

«الثاني والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها خيرَ أجناد الأرض كما ورد بذلك الأثر. ولا يعرف الآن جنود في عددهم كجنود مصر فقد فاقت كثرتهم عدد أي جيشٍ في دولة إسلامية.

روى عبدالله به لهيعة من حديث عمرو بن المعافي رضي الله عنه أنه قال: حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم مصر بعدي فاتخذوا بها جندًا كثيفًا فذلك الجند خير أجناد الأرض».

فقال له أبو بكر: لِمَ يا رسول الله؟ فقال: «لأنهم هم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة».

والواقع في أيامنا هذه أنَّ جندَ مصر هم شوكة الإسلام الذي لولاه لما قامت بأرض الإسلام قائمة ولما سمع صوته. وهم أكثر جند الإسلام عددًا وأشدهم بأسًا. وكان دليل هذا في حرب رمضان في عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعين من الهجرة فقد ظهر عظم أثر الجند المصري. لما سحقوا جنود اليهود. وقد جعلت الحكومة نصف ميزانية خزانتها للجيش. ومع مصر من الأسلحة المتنوعة ما لا يعد وبها مصانع أسلحة.

«الثالث والخمسون من فضائلها»: كونها معافاة من الفتن والبلاء وكيد المعتدين.

قال أبو رهم السماعي: لا تزال مصر معافاة من الفتن مدفوعًا عن أهلها الأذى ما لم يغلب عليها غيرهم فإذا كان ذلك لعبت بهم الفتن يمينًا وشمالًا.

وقال كعب الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس ما سكنت إلا مصر فقيل له: ولِمَ؟

قال: لأنها معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء كبَّه الله على وجهه وهو بلد مبارك أهله.

ومكتوب في التوراة: « مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله ».

وقال أبو بصرة الغفاري: مصر خزائن الأرض كلها وسلطان مصر سلطان الأرض كلها. ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام ملك مصر: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾. ففعل. وهذه حقيقة، إذْ كلُ مَنْ قصدَ مصرَ صدَّه الحقُ تعالى عنها كالتتر والصليبيين وأخزاه وأهلكه.

« الرابع والخمسون من فضائلها »: اشتهار أهلها برسوخ الإيمان والعقائد وكتم العلم واليقين.

وذاك قول الحق تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله﴾. قال السدي: كان الرجل ابن عم فرعون وقال ابن عباس: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون وهو الذي قال: ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾. ولما سمع فرعون كلامه هذا كف عن قتل موسى.

« الخامس والخمسون من فضائلها »: أنَّ بها النخلة التي أمرت مريم بهزها وذاك قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾. وقيل: هذه النخلة ببيت المقدس.

« السادس والخمسون من فضائلها »: أنَّ بها النخلة التي أمرت مريم أن تضع عيسى تحتها فلم يثمر غيرها وهي بالجيزة.

« السابع والخمسون من فضائلها »: أنَّ بها الجميزة التي صلى تحتها موسى عليه السلام وهي بطرا.

« الثامن والخمسون من فضائلها »: أنَّ بها الربوة التي آوى إليها عيسى

وأمه عليها السلام. قال تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.

قيل الربوة: هي البهنسة.

قال أبو حكيم بن مفضل البهنسي في كتابه (فضائل مصر): قال شيخي: والصحيح أن الربوة التي آوى إليها المسيح وأمه بمدينة البهنسا بموضع يعرف الآن بمسجد الديوان.

آوى به هو وأمه سبع سنين. اهـ.

ومن جملة فضائلها أن الحواريين أقاموا معه بمدينة البهنسا.

قال ابن ظهيرة: ودعوته لأهل البهنسا مشهورة.

«التاسع والخمسون من فضائلها»: وجود بئر البلسم التي بأرض المطرية التي دعا لها عيسى عليه السلام وكذلك وجود النخلة التي كانت تنضح لعيسى الزيت بمدينة أشمون.

«الستون من فضائلها»: ما يوجد بمصر من مساجد الأنبياء والصحابة والأولياء «فمن ذلك»: مسجد سليمان عليه السلام بالإسكندرية ومسجد يوسف عليه السلام بمنف وأربعة مساجد لموسى عليه السلام واحد بالإسكندرية ومسجد بمنف ومسجد بطرا ومسجد بوادي المقطم وللخضر عليه السلام مسجدان واحد بالإسكندرية وواحد بنتوهة في أسفل الأرض ومسجد ذي القرنين بالإسكندرية عند اللحات ومنها مسجد الأقوام وهم قوم أهل المعافر قتلوا على موالاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومسجد عقبة بن عامر الجهني بسوق وردان ومسجد مسلمة بن مخلد بسوق وردان ومسجد الزبير بسوق وردان ومسجد الزمام ومسجد حرس الحصن ومسجد درب الكندي في زقاق فيه قبر الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومسجد البئر والجميزة في طريق الجب بني على رأس إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار فأخذه

أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع. اهـ.

قال ابن زولاق: وبمصر من مساجد الصحابة سوى ما ذكرناه بنوها حين الفتح عدتها نحو مائتي مسجد وثلاثة وثلاثين مسجدًا وكانوا يبنونها بالآجر الأحمر ويبنون منازلهم باللبن وأكثرها باق إلى اليوم ومنها مسجد أهل الراية وهو الجامع العتيق بناه عمرو بن العاص سوى ما تجدد فيه بعده وكان في الأول موضعه جنانًا فبني في سنة إحدى وعشرين من الهجرة.

ويقال: وقف على قبلته ثمانون صحابيًا. انتهى.

أما المساجد العامرة التي في أيامنا هذه: فمسجد الحسين بن علي ومسجد السيدة زينب ومسجد الجامع الأزهر ومسجد عمرو ومسجد الظاهر بيبرس ومسجد الغوري ومسجد الرفاعي ومسجد السلطان حسن ومسجد محمد علي باشا ومسجد السيدة نفيسة ومسجد أحمد الزاهد ومسجد السيدة سكينة ومسجد عائشة النبوية ومسجد فاطمة النبوية ومسجد زين العابدين ومسجد أبي العلا ببولاق ومسجد صالح الجعفري بالدراسة ومسجد الشعراني ومسجد ابن الفارض ومسجد الشافعي ومسجد قايتباي ومسجد المؤيد ومسجد الليث ومسجد ابن طولون وهو من أعظم مساجد القاهرة ومسجد الزمالك ومسجد خالد بن الوليد بإمبابة ومسجد محمد أبي الذهب ومسجد العدوى بالدراسة ومسجد الإنبابي بإمبابة ومسجد سيدي أحمد البدوي بطنطا ومسجد الدسوقي بدسوق ومسجد المرسي بإسكندرية ومسجد سيدي جلال بأسيوط ومسجد الفولي بالمينا ومسجد سيدي عبد الرحيم بقنا ومسجد الإمام عبد الحليم محمود بالشرقية ومسجد الفرغل بأبي تيج ومسجد رابعة بمدينة نصر. وبالجملة فلا توجد مساجد في بلاد الدنيا في كثرتها ببلدة مثل التي بمصر. وقد اشتهرت مصر بكثرة مساجدها.

حتى أنَّ مساجدها أكثر من أهلها. وفي خطط مصر القديمة توجد ثمانية عشر مسجداً لتجيب وثمانية عشر مسجدًا لمذحج ولسبأ مسجد واحد ولخولان ثلاثة وعشرون وللعيص واحد ولراشدة واحد. وليحصب ثلاثة عشر

ولمهرة ثمانية عشر ولدعين ثمانية عشر ولكلاع تسعة عشر ولمعافر خمسة وخمسون ولمعانق واحد وعشرون وللأزد واحد ولفهم ستة ولبني بحر واحد ولبني يبة واحد وليشكر اثنان ولهذيل خمسة ولبني سلامان اثنان وبالجيرة ثمانية عشر مسجدًا.

قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة»: وهذه مساجد الخطط التي بنتها الصحابة تعرف فيها الإجابة والبركة وبالقرافة ونواحيها مساجد منها مسجد الإجابة ومسجد الكرب وبها دار الأبرار. اهـ.

«الحادي والستون من فضائلها»: مقبرتها المقطم فلا يفضلها مقبرة فيما نعلم إلا البقيع وتماثلها أيضًا الشونيزية ببغداد. وذلك لعظم ما بمقبرة المقطم من فضائل لا تحصى ولعظم ما دفن بها من الأولياء والصلحاء والعلماء والمحدثين والفقهاء وأكابر الصوفية. فهي بعد البقيع في الفضل.

روى ابن لهيعة عن عياش بن عباس أَنَّ كعب الأحبار سأل رجلًا يريد السفر إلى مصر فقال له: اهْدِ لي تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعبًا الوفاة أمر به ففرش تحت لحده تحت جنبه.

قال كعب: كلم الله تعالى موسى من الطور إلى أطراف المقطم من القدس وقال تبيع بن عامر الكلاعي: منازل الفسطاس في القدس.

وروي أَنَّ موسى عليه سجد بالمقطم فسجدت معه كل شجرة من المقطم إلى طوى.

وسُمِيَ المقطم لأَنَّ المقطمَ بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام كان ينزله.

قال الحسن البصري: يحشر من المقطم الشهداء يوم يحشر الخلق إلى الجبار.

وقيل: جانب الطور الأيمن هو المقطم قال تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾.

قال ابن زولاق: ودفن بمصر من أمرائها اثنان وسبعون بالمقطم أولهم عمرو بن العاص وآخرهم كافور. اهـ. ويروى أنه مكتوب في «التوراة»: وإذا فُتِحَ مقدس جديد - يعني - وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة وأنَّ موسى عليه السلام كان يناجي ربه بذاك الوادي.

قال الكندي في كتابه «فضائل مصر»: والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب من المقطم ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها. اهـ.

والواقع اليوم أنَّ أهلَ مصر استعمروا المقابر وسكنوها وطغت فيها المدنية حتى عمروها بالعمائر الهائلة والمدن الفاخرة كمدينة المقطم حيث عبّدوا فيها الشوارع والحدائق وسكنوا الترب.

«**الثاني والستون من فضائلها**»: ما ورد في فضل نيلها في القرآن حيث لم يرد ذكر نهر في القرآن سواه على التعيين.

«**الثالث والستون من فضائلها**»: أنَّ الحق تعالى سمى نهر النيل يمًّا في القرآن فقال: ﴿**فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم**﴾. ولم يُسَمَّ نهرٌ بلفظ اليم في القرآن سوى النيل. واليم من أسماء البحر في اللغة. ومن فضائل نهر النيل أن الحق تعالى سماه بحرًا فقال تعالى: ﴿**أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾ ولم يُسَمَّ نهرٌ بحرًا في القرآن سوى النيل.

«**الرابع والستون من فضائلها**»: أنَّ الحقَ تعالى شبَّه نهر النيل بأنهار الجنة فقال تعالى على لسان فرعون: ﴿**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**﴾. فشبه أن الأنهار تجري من تحته بمصر كما تجري الأنهار من تحت قصور أهل الجنة.

ونقل ابن زولاق في «تاريخ مصر» عن كعب الأحبار قال: أربعة أنهار

من الجنة وضعها الله في الدنيا فنهر مصر نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء وجيحان نهر اللبن.

وبالجملة ففضائل النيل لا تحصى ولا تعد: وقد ذكر منها أشياء ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة» قال: «فمنها»: أنه لا يوجد ماء أعذب من مائه على وجه الأرض سوى زمزم. وهذا واضح في نكهة مائه الذي يطبخ به وتصنع المشاريب منه. حتى أن ماءه وهو كدر يكون كالعسل في الطبخ. ومنها»: أنه يجري على رمل لا على طين في غالبه. «ومنها»: أنه ليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال غيره ولا نهر يصب في بحر الروم والصين سواه.

«ومنها»: أن زيادته تخالف جميع زيادات الأنهر فكلما اشتد الحر زاد أعظم وهذا مخالف لجميع أنهار الدنيا. إذ المألوف أن الأنهار تزيد في الشتاء وهو يزيد في الصيف.

«ومنها»: أن زيادته تأتي في وقت ضيق فتوفر من الأموال ما لا يعلمه إلا الله وليست كمثل زيادات الأنهار الأخرى لا ينتفع بها الناس لكونها قد تأتي في زمن الشتاء حيث الأمطار والسيول الغزيرة.

«ومنها»: أنه منتظم الوقت في زيادته ونقصه. اهـ.

«الخامس والستون من فضائلها»: أنَّ من بدائع عجائبه ومناقبه أي النيل أن حلاوته تزداد كلما اتجهنا نحو الصعيد. قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة»: ويوجد في مائه من العسيلة كأنه شيب بلعاب الشهد. وكان عيسى الهاشمي لما توجه إلى مصر لإمارتها يخلط له ماء النيل بالعسل في مراحل الطريق فلما بلغ فاقوس سقي ماء النيل فلما شربه قال: زدتم في عسيله؟ فقالوا: لا هو صرف بلا عسل فتعجب من ذلك.

ومن شواهد ذلك ما أنشده القاضي فخر الدين بن مسكين لما ولي قضاء قوص من الصعيد وكان قبل قاضيًا بإبيار يقول:

والله لــولا العـــار ما اخـترت غـير إبيـار
لكـن الصعيـد أعـلى ومـاؤه لـي أحـلى

وقيل: لولا ما بمصر من الليمون والحموضات ما عاش أجدبها لشدة حلاوة ماء النيل. «ومن خواص النيل»: التمساح فإنه لا يوجد في غيره. وقلما توجد تماسيح في نهر من أنهار الدنيا إلا النادر.

وتوجد بالنيل التماسيح الضخمة حيث يكون الواحد منها كفحل الجاموس. وهو حيوان زاحف مفترس قد يخرج بأعالي الصعيد ويفترس الناس والبهائم.

«ومن عجائب نهر النيل»: شدة لذة طعوم أسماكه كالبلطي والبياض والقرموط. فإني ذقت أسماكًا كثيرة فلم أجد سمكًا ألذ من بلطي النيل. وكذلك كثرة الأسماك التي به بحيث لا يوجد نهر به أسماك كمثله.

«ومن عجائب نهر النيل»: السمكة المعروفة بالرعادة. وهي فيها نسبة كهرباء. ومن لمسها مسته الكهرباء فارتعد وأطلقها. ومن لمسها بحديدة يحدث له كذلك. اهـ.

«ومن عجائب النيل»: أن الحق تعالى أجرى فيه معجزة موسى الكبرى لما ضرب بعصاه فانفلق كل فرق كالطود العظيم.

«ومن عجائبه»: كونه أوسع نهر في الدنيا.

«ومن عجائبه»: كونه ألقي فيه موسى في التابوت فاحتمله وحفظه.

«ومن عجائبه»: كونه قليل الفيضان وحتى إن فاض فليس فيضانه مدمرًا أو متلفًا للبلاد وأرواح العباد. وقبل إنشاء السد العالي كان كثير الفيضان على القرى والكفور التي على جوانبه حتى كان يغرق القرى ويكون التنقل بالقوارب. وحدثتني والدتي أن الناس كانوا يجمعون السمك من الفيضان جمعًا هائلًا لا يعد ولا يحصى حتى يتعفن. فلما أنشأ السد توقف.

«ومن عجائبه»: أنه يخصب أرض مصر ويرفع قوة غرينها لما يحمله من

أعالي البلاد من كمية الطمي والغرين فتزداد نسبة خصوبة الأراضي لما يطرح الغرين بها. وليس أحلى من فاكهة وخضراوت تروى بماء النيل.

« ومن عجائبه »: كثرة الجزر التي بوسطه وسعة هذه الجزر. ومن أعظمها جزيرة الزمالك التي استحدثها الباشوات والملوك والحكام قديمًا وأنشأوا بها السرايات والقصور الفاخرة وذلك لطيب هوائها. حتى أصبحت من أفخر مساكن القاهرة وأغلاها ثمنًا. وكان من الجزر قديمًا شيء لا يحصى.

« ومن عجائبه »: ما قاله الكندي في « فضائل مصر »: ليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نيل مصر ولا يجبى من خراجها. اهـ.

« ومن عجائبه »: كونه من أنهار الجنة وقد وردت بذاك آثار.

والصحيح أنه لم يرد حديث صحيح في فضل نيل مصر عن النبي ﷺ. وبالجملة ففضائل النيل لا تعد ولا تحصى.

« السادس والستون من فضائلها »: أنَّ أهلها أول من قاسوا الماء في الأنهار.

فأول من قاس النيل يوسف عليه السلام بنى مقياسًا بمنف وهو أول مقياس وضع.

قال ابن ظهيرة: وكانت القبط بمصر تقيس على مقياس منف إلى أن بطل ثم من بعده مقياس دلوكة العجوز في نواحي إخميم وكانت هناك ومقياس آخر بأرضنا وهو صغير الذرع والعمل عليه عندهم ثم عملت القبط مقياسًا آخر في قصر الشمع ثم عملت الروم مقياسًا آخر بالقصر خلف الباب الصغير يمنة الداخل ثم بنى عمرو بن العاص مقياسًا بأسوان ثم بنى في أيام معاوية مقياسًا بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان وكانت منزله وكان صغير الذرع ثم وضع أسامة بن زيد أساس المقياس القديم بأنف الجزيرة القبلي ثم عمل محمد بن عبدالله خازن الإخشيد مقياسًا بصاغة مصر وهو باق إلى اليوم ثم بنى المتوكل مقياسًا بالجزيرة أول

سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبدالله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد والعمل عليه إلى يومنا هذا. وأمر المتوكل بعزل النصارى عن قياسه وورد كتابه إلى القاضي بكار بن قتيبة بأن لا يتولى ذلك الا مسلم يختاره فاختار أبا الرداد واسمه المعلم عبدالله بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي الرداد المؤدب العجمي أصله من البصرة وقدم مصر وحدَّث بها. اهـ.

« السابع والستون من فضائلها »: اعلم أيدك الله أن خراج مصر عظيم منذ القدم وهي مشهورة بخراجها حتى كانت تسمى « بسلة الخبز ».

ونقل ابن زولاق عن بعض علماء مصر أن فرعون الأول كان يستخرجها تسعين ألف ألف دينار.

يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفُّف وعشرة آلاف ألف للولاة والجند والكتاب. وعشرة آلاف ألف لمصالح فرعون. ثم يكنزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار. اهـ.

وفي كتاب « المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار » للمقريزي: أنَّ الخراج كان في زمن ندارس بن صا وهو الذي حفر خليج سخا مئة ألف ألف وخمسين ألف دينار ثم كان في زمن الريان بن الوليد العمليقي فرعون يوسف عليه السلام الخراج سبعة وتسعين ألف ألف دينار فأحب أن يتمه مئة ألف ألف دينار فأمر بالعمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط الأرض حتى بلغ ذلك وزاد عليه وانتهى الخراج في زمن فرعون موسى عليه السلام إلى سبعة وتسعين ألف ألف دينار. انتهى.

وتتابع الظمأ في زمانه ثلاث سنين فترك فرعون لأهل مصر خراج ثلاث سنين. وأنفق من خزائنه على نفسه وعلى عسكره فلما كانت السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر حتى اعتاض جميع ما أنفقه من خزائنه ولما فتحها عمرو بن العاص جباها أول دخوله ثمانية آلاف ألف فاستعجزه عمر بن

الخطاب رضي الله عنه. وقال: جباها الروم عشرين ألف ألف دينار وجبيتها ثمانية آلاف ألف فلما كانت السنة الثانية جباها اثني عشر ألف ألف فلما توفي عمر وولي عثمان صرف عمرًا عنها وولى عبدالله بن أبي السرح أخاه من الرضاع فجباها أربعة عشر ألف ألف دينار.

فنظر عثمان إلى عمرو بن العاص وكان عنده بالمدينة وقال له: قد علمت أن اللقحة درت بعدك. قال: نعم ولكن أجاعت أولادها وقد أضرت هذه السنة بما بعدها. فلما يجبها بنو أمية وبنو العباس إلا دون ثلاثة آلاف ألف دينار إلا في أيام هشام بن عبد الملك فإنه أوصى عبيد الله بن الجنحاب عامله على مصر بالعمارة فجباها أربعة آلاف ألف انتهى. وسئل بطريق من الروم عن خراج بلد الروم كله فذكره فإذا هو خراج كورة من كور مصر.

وذكر بعض العلماء أن خراج العراق لم يكن قط أوفر منه لأيام عمر بن عبد العزيز فإنه بلغ مائة ألف ألف درهم وسبعة عشر ألف ألف درهم ولم تكن مصر قط أقل خراجًا من أيام عمرو بن العاص فإنه بلغ عشرة آلاف ألف دينار.

وقال أبو حازم عبد العزيز قاضي العراق: سألت أحمد بن محمد بن المدبر بالشام عن مصر قال: كشفتها فوجدت عامرها أضعاف غامرها.

ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا وكانت الخلفاء تسمّي مصر سلة الخبز. انتهى كلام ابن زولاق. وبالجملة فخراج مصر لا يعدله خراج قديمًا.

أما الآن فالعجز بائن في ميزانيتها. وهي مستدينة وتقدم لها المساعدات من الدول لعدم استغلالها كما ينبغي.

«الثامن والستون من فضائلها»: قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة» إنها تمير الحرمين الشريفين وسائر بلاد الدنيا ولولا مصر لم أمكن المقام بالحرمين وأعمالها.

ولما أمكن الحجاج الواردين الوصول إليهما من كل فج عميق. ولما وجب المقام بهما يومًا واحدًا لنفاد أزوادهم وقلتها وغلائها. لولا ديار مصر.

وقد تكلف بعضهم وقال: لو أنَّ عابدًا ترك التصرف وأقبل على العبادة وآخر ليس بمتعبد قام له بمؤنته وكفايته لكان شريكًا له في الأجر فكذلك مصر منزلتها من الحرمين. انتهى ما قاله ابن ظهيرة.

أما اليوم فإن بلاد الحجاز أغنى بلاد الدنيا لظهور البترول والذهب بها وهذا لدعوة الأنبياء السابقين لها. فتأخرت هذه الدعوة. وكان من آثارها غنى أهل الحجاز وظهورهم على الخلق. فلم يكونوا في حاجة لأن يميرهم أحد. لتفشي أموال الدنيا فيهم فأصابتهم كل نعمة.

«**التاسع والستون من فضائلها**»: كونها تمير كل بلاد العالم والدنيا في العلم الديني وعلوم العرب والإسلام. قديمًا وحديثًا.

فلا يوجد أعلم من أهلها بقرآن الحق وسنة النبي ﷺ.

حتى أنَّ الدولَ العربية التي أغنيت ترى قصورها متفشيًا برغم مالهم فيحتاجون إلى علماء مصر فيرسل لهم العلماء بعد إلحاح شديد منهم. وكذا يرسل علماء الأزهر في بعثات إلى جميع دول العالم مثل دول الإفريق ودول الأمريك ودول الأورب. ومشايخ الأزهر مشهورون بهذا في تقدمهم على غيرهم في فنون العلم. فلا يسبقهم سابق في بلاد الدنيا حتى يرد إلى الأزهر الوراد للتعلم فيه ويسلم كثير من الكفار لما يسمعونه عن الأزهر وعلمائه في أقاصي بلاد الكفر.

«**السبعون من فضائلها**»: أنها تمير كثيرًا من الدول بعمالها لعظم الأيدي العاملة فيها وقلة بطالة أهلها.

ومشهور في دول الدنيا وأصقاعها أنه لا يوجد أصبر ولا أذكى من عامل مصر ولا أقوى منه.

« الحادي والسبعون من فضائلها » : أنها كانفة لكل دول الإسلام. إذْ لولا قوة جيشها لتشتت الإسلام والمسلمون قديمًا وحديثًا.

إذْ هي قلعة الإسلام وكنانة الله في أرضه وهي آخر صقع يهزم من أصقاع المسلمين وجيشها آخر جيش يهزم لقوة صموده.

وهذا ظهر في عين جالوت قديمًا وفي معركة السادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين حديثًا فمصر هي أم المسلمين وأم العرب.

ومن جملة فضائلها أن الملائكة حاربت مع جيشها في حرب رمضان وقد شهد بذلك الأولياء.

« الثاني والسبعون من فضائلها » : عظم مدينة القاهرة وكثرة سكانها. ولا نعلم مدينة في مدن الإسلام وبلاد الشرق أعظم منها. ولا أوسع منها. وبها سكان في عدد سكانها. وبالجملة فمدينة القاهرة بها من المساجد والزوايا والمباني ما يفوق الوصف واتساع الشوارع وتنظيمها. قال ابن ظهيرة: ولقد تواترت الأخبار وأجمع المسافرون والسائحون في بلاد الله تعالى الشاسعة وأرضه الواسعة. أنه ليس في الدنيا تحت السماء من مشرقها إلى مغربها مدينة أعمر بأهلها منها لا يكاد ينقطع الزحام بشوارعها العظيمة وهي ضيقة لكثرة الناس والدواب حتى إلى الليل وبعد العشاء بكثير ولا تشق فيهم إلا بالكتف ومن لم يكن متيقظًا يداس بسرعة. وناهيك بمدينة ينفق فيها في كل ليلة ثمن زيوت وحدها توقد في الجوامع والحوانيت والبيوت ما ينيف على عشرة آلاف دينار وفي صبيحة كل يوم جمعة يلقى في الترب على المقابر بالقرافتين والصحراء من الريحان وسعف النخل والآس والبقل ما يتجاوز ثمن خراج إقليم. ثم يذهب به إلى المقابر ويحرق. اهـ.

وكيف لو رأى الرائي مدينة القاهرة اليوم إذْ هي كبغداد قديمًا.

ولا توجد بلدٌ في بلاد الدنيا بها مساجد في العدد كالتي توجد بها في سعتها وعظم نقوشها وزخرفتها وطول منائرها وتعددها إلى غير ذلك من

قصور وحدائق وجامعات وكباري ومنتزهات ومطاعم ومقاهٍ ومتاجر وملاهٍ وأضرحة.

«**الثالث والسبعون من فضائلها**»: ما يوجد بها من طرق صوفية فلا يوجد بلد في العالم به طرق في كثرتها كما يوجد بمصر حتى أنشأت لهم الدولة مشيخة.

«**الرابع والسبعون من فضائلها**»: ما يوجد بها من زوايا وخوانيق الصوفية. حيث لا تعد وتحصى. ولا توجد بلدة إلا وبها زاوية صوفية يقوم عليها قتيم. ولا توجد بلدة من بلادها ولا قرية ولا كفر إلا وبه شيخ صوفي وخلق متصوفون وزوايا أو زاوية صوفية على الأقل.

«**الخامس والسبعون من فضائلها**»: حب أهلها لمذهب الصوفية وعشقهم لهذا المسلك وهم في هذا خير من بلاد شتى كبلاد الحجاز التي انتشر بها المذهب الوهابي وعمان التي انتشر بها المذهب الإباضي وبلاد فارس والعراق حيث انتشر بها مذهب الرفض والشيعة.

«**السادس والسبعون من فضائلها**»: كثرة الموالد التي بديار مصر التي تقام فلا نعلم بلدًا بها موالد لمشايخ الصوفية كالتي توجد بمصر.

حتى تكون السنة كلها موالد متصلة ينتهي هذا ويبدأ هذا فإذا انتهى وصله غيره إلى أن يبدأ الأول وتتصل الدورة.

قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة»: وقيل في خانقاه سعيد السعداء وحدها: إنَّ أهلها يعمرون مدينة وقد بلغ عدد الصوفية بها قديمًا سبع مائة نفر. انتهى.

«**السابع والسبعون من فضائلها**»: كثيرة الأضرحة أي أضرحة الأولياء التي بها. حتى أن هذه الأضرحة لا تخلو منها بلدة من البلدان فإن قلنا هي خمسة آلاف ضريح تقصد بالزيارة في أرجاء مصر قللنا من شأنها وأخفقنا وكفى بجبل المقطم ومدينة البهنسا وما بها من أضرحة وكذلك ما بالمقابر من

أضرحة. وما جُهِلَ ونُسِيَ من هذه الأضرحة أعظم مما ذكر وقصد بالزيارة.

« الثامن والسبعون من فضائلها »: ما بها من حمامات فاقت حمامات الدنيا في سعتها وكثرة رخامها وعظم زوارها وصفاء مائها.

وهذه الحمامات منها حمامات لشفاء المرضى كمثل حمامات حلوان التي اشتهرت في بلاد الدنيا بمياهها الكبريتية التي هي شفاء لبعض الأمراض المستعصية. وتوجد بديار سيناء حمامات شفاء كذلك مشهورة وبعض العيون ذات المياه الساخنة.

قال علي باشا مبارك في « الخطط التوفيقية »: ويظهر مما كتبه الفرنساوية في خططهم أن عدد الحمامات التي تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة. والآن لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حمامًا وقد ذكر المسجد في « تاريخه » أن العزيز بالله نزار المعز بدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة. وقال الشريف أسعد نقلًا عن القاضي القضاعي إنه كان في مصر ألف ومائة وسبعون حمامًا. انتهى.

« التاسع والسبعون من فضائلها »: شهرتها بفنادقها المريحة وكثرتها قديمًا وحديثًا ورخص الأسعار فيها. حتى يقيم فيها الفرد أيامًا طوالًا ولا يتكلف إلا التكلفة القليلة.

« الثمانون من فضائلها »: رخص الأسعار بديار مصر وذلك لكثرة الخير بها وهي مشهورة بهذا.

ووجود الخلق بها كثير من شتى بقاع العالم لرخص موادها وخيرها ومتوفر بها كل ما يتمناه المتمني.

« الحادي والثمانون »: سهولة عيش الغني والفقير بها.

فكل مستوى له مستوى الذي يناسبه. والطيور على أشكالها تقع.

قال ابن ظهيرة في « الفضائل الباهرة »: حتى ترى الفقير يعيش راضي

العيش بثلاثين جنيهًا بل بعشرة جنيهات في الشهر وترى الغني يعيش بألف جنيه وبخمسة آلاف جنيه في الشهر. وهو في درجة الفقير في رضاه بعيشه.

«الثاني والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بقصورها ومبانيها وسراياتها الفخمة الضخمة قديمًا وحديثًا لا سيما على شاطئ نهر النيل.

وتميزت القاهرة بستّ مناطق وجدت في زمننا هذا بها القصور الفخمة هي: مصر الجديدة والزمالك وجاردن سيتي والمعادي وحدائق القبة ومنطقة الهرم مع مناطق أخرى استحدثت كمدينة نصر والمهندسين. وقد تميزت القاهرة بالبيوت والعمائر والسرايات على شاطئ النيل ببولاق قديمًا.

ابتدئ بالبناء في هذه القصور في أيام الملك المؤيد شيخ ثم أخذ الناس في البناء وتزايد إلى وقتنا هذا فصارت مدينة ضخمة ذات أسواق وحمامات وشوارع وأزقّة يتيه السالك فيها إن لم يكن معه دليل وسكنها خلق عظيم من سائر البلاد.

ومن أجمل تلك القصور قصر المعز الأشرف الجمالي ناظر الخواص تغمده الله برحمة والقصر البارزي والقصر الباسطي وهو الآن باسم المعز الأشرف الزيني بن مزهر كاتب السر والقصر المعروف بالبرانجية والمدرسة الجعانية وهي ظريفة لطيفة والقصر المعروف بالحجازية ثم القبطية وغير ذلك مما لا يعلم اليوم في مملكة من ممالك الإسلام نظيره.

وأما القصور التي بناها محمد علي باشا وبنوه وأحفاده فكثيرة جدًا من أعظمها قصر الجوهرة بالقلعة والقصر العالي وسراي الجيزة وسراي الجزيرة وبنى محمد علي باشا سراية القلعة وسراية بشبرا وقصر القبة وقصر عابدين وقصر المغارة وقصر رأس التين وقصر المنتزه وقصر الزعفران وقصر الطاهرة. ومثل قصر القبة لا يوجد مثله بديار الإسلام وقد بناه إبراهيم باشا وصرف عليه مبالغ طائلة قديمًا. وهناك أيضًا قصر البارون بمصر ومن رأى القصور

التي توجد بمصر الجديدة قال كفى بها لندرة منالها ومثلها قصور جاردن سيتي.

قال علي مبارك باشا في «الخطط التوفيقية»: وأول من أدخل المباني الرومية إلى الديار المصرية هو العزيز محمد علي فأحضر معلمين من الروم فبنوا له سراية القلعة وسراية شبرا وبنوا لبنة زينب هانم سراية الأزبكية ولبنته نازلي هانم سراية على ساحل النيل. وحذا حذوه في إنشاء العمائر بنوه وأمراؤه فبنى المرحوم سر عسكر إبراهيم باشا قصر القبة بعد العباسية وبنى في جزيرة الروضة والمقياش قصرًا عرف بقصر المغارة لأنه عمل فيه مغارة ورصّع حيطانها بأنواع الودع الملون على أشكال بديعة وبنى القصر العالي.

وفي زمن المرحوم عباس باشا بنيت له سراية الحلمية وسراية العباسية بولغ في تشييدها وسعتها وتحسينها. وفي زمن الخديوي إسماعيل تنظمت خطة الإسماعيلية والفجالة وفتح شارع محمد علي وعمل كبري قصر النيل وتنظمت جهة الجزيرة والجيزة بعد بناء سرايتها وهما من أعظم المباني الفخمة التي لم يبن مثلها.

وكان الخديوي إسماعيل باشا مشغوفًا بحب البناء فبنى غير هذه السرايات سرايات أخرى مثل سراية عابدين وسراية الإسماعيلية الصغيرة. واستمر العمل في سراية الجيزة وسراية بولاق الدكرور وسراية فاطمة هانم والقصر العالي وسراية الزعفران بالعباسية للوالدة وسرايات أخرى بالاسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة. انتهى ملخصًا من «الخطط التوفيقية».

«الثالث والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بالعوامات الفخمة التي توجد على ضفاف النيل ولا يعرف هذا إلا بها للسكنى.

«الرابع والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بأسواقها الزاخرة التي حوت ذخائر الدنيا ومواريثها بأسرها.

فتجد بأسواق مصر ما تمني الأنفس وتشتهي كخان الخليلي وأسواق بور

سعيد ومتاجر شارع فؤاد وشريف والمومكي والقبة والأزهر وشارع الجيش. وقد تسمت شوارع وأماكن باسم أصحاب الحرف مثل النحاسين والعطارين والعقادين والمغربلين والخيامة وسوق السلاح. وتميزت أسواق كاملة ببيع صنف بعينه من أصناف التجارة كالرويعي لأدوات المعمار وكأسواق الكهرباء بالموسكي وبه أسواق الأحذية وأسواق الملابس والأقمشة وأسواق الأدوات المنزلية وكأسواق الخشب بدرب سعادة وأسواق التحف بخان الخليلي وأسواق بيع الكتب بالصنادقية وأسواق روض الفرج للفواكه والخضراوات وسوق الحجر الفرعوني بالبساتين وأسواق الجمال بالبراجيل وأسواق الروبابكيا بجهات مختلفة مثل سوق الجيزة وسوق المطرية وسوق الإمام وسوق إمبابة وأسواق وكالة البلح ببولاق لبيع الملابس المستعملة والخردة وسوق السبت للغلال والطيور بإمبابة وسوق آلات الغناء والموسيقى بشارع محمد علي وسوق السباكة بالفجالة وسوق العدد والحدادة بالسبتية وتكثر بمصر العمال والصنايعية بالأحياء الشعبية مثل مصر القديمة والسيدة زينب وإمبابة وبولاق والوراق وبمصر المذابح العظيمة مثل مذبح بين العيون وهناك المجزر الآلي.

وانتشرت صناعة الموبيليا بدمياط وأسيوط.

وانتشرت بها صناعة الملوحة والفسيخ برشيد.

وانتشرت بها صناعة العسل بنجع حمادي.

وانتشرت بمصر صناعة السكر في الحرامدية وقنا وأسوان وكوم أمبو وقوص ودشنا وأرمنة والبلينا.

وانتشرت صناعة الزيوت النباتية بها في كفر الزيات والمنيا وطنطا والإسكندرية.

وانتشرت بها صناعة الأغذية المحفوظة كصناعة اللحوم المحفوظة في القاهرة والإسكندرية والأسماك المعلبة برشيد ودمياط وبور سعيد. والخضراوات المعلبة في القاهرة والإسكندرية. وتجفيف البصل في مغاغة.

والفاكهة المعلبة في القاهرة والإسكندرية وأم ختان وبرنشت.

وانتشرت بمصر صناعة الحديد والصلب في جنوب حلوان، وهي البلدة العربية الوحيدة التي بها هذه الصناعة.

وانتشرت بمصر صناعة تكرير البترول لا سيما في السويس وطنطا ومسطرد.

وانتشرت بمصر صناعة الغزل والنسيج في المحلة الكبرى وشبرا الخيمة كالصناعات القطنية.

أما الصناعات الصوفية فهي منتشرة في المحلة الكبرى وأسيوط والقاهرة. وتنتشر الصناعات التحريرية في حلوان ودمياط وإمبابة وأخميم.

وتنتشر بمصر صناعة تجميع السيارات. وبها الهيئة العربية للتصنيع لتصنيع وجمع الأسلحة وهي البلدة العربية الوحيدة التي اخترقت هذا الميدان.

وتنتشر بمصر مصانع الأسمنت في حلوان وفي الإسكندرية وبها مصنع تجميع الألمونيا.

وتنتشر بمصر صناعات الزجاج بكل أصنافه الفخمة في القاهرة والإسكندرية وهي تعتمد على تنقية الرمال من الشوائب. وبها مصانع الأسمدة في أسوان وأبي زعبل وطلخا وأبي قير وبها مصانع الورق في رشيد والإسكندرية بها سبعة مصانع. وبها صناعة الصابون في الإسكندرية وكفر الدوار.

وبها صناعة دبغ الجلود في القاهرة في المدابغ.

وبمصر يستخرج الحديد من الصحراء الشرقية في وادي كريم وفي شرق أسوان وله سكة حديد تربطه وتنقله إلى حلوان وبمصر يستخرج البترول من سيناء وتحت مياه خليج السويس وفي صحرائها الغربية ويستخرج من شرق خليج السويس من حقول مطارمة وأبو رديس وسدري وفيران وبلاعيم ويستخرج من جنوب العلمين وغرب السويس ويستخرج منها الفوسفات من

صحرائها الشرقية من سفاجة ويستخرج من منطقة الحمامة. ويستخرج منها المنجنيز من سيناء من أم بجمة ويستخرج من جبال البحر الأحمر. وتستخرج أملاح الصوديوم من ملاحات رشيد ودمياط ومرسي مطروح.

وتنتج مصر الإسفنج الحسن من البحر المالح وتزرع مصر القطن والقمح والشعير والذرة الرفيعة والأرز وفول الصويا والقصب السكري والتمر والموالح والزيتون والبنجر والكتان.

وبها في الصحاري النباتات الطبية الفريدة النوع كالشيح والبابونج وشاي الجبل وخصوصًا التي تنمو في جزيرة سيناء ومجموع الصحارى المصرية.

وتجد بديار مصر مصائد الأسماك الفاخرة كالتي في بحيرة ناصر وبحيرة قارون وتصاد الأسماك التي هي ألذ أسماك الدنيا من نهر النيل لا سيما البلطي. ويصاد السردين والجمبري من البحر المالح.

ويصاد سمك القرش والأسماك الملونة من البحر الأحمر ويستخرج من زيت كبد الحوت الذي ذكر النبي (ﷺ) أنه أول طعام أهل الجنة. وتصدر زعانفه لبلاد الصين ويدبغ جلده ويجفف لحمه فيكون علفًا للبهائم قيل يصاد حول جزيرة شدوان في البحر الأحمر.

وببلاد مصر الخضروات الفاخرة والفاكهة لا سيما في الجيزة والقليوبية والمنوفية وبني سويف والمنيا والفيوم. وبمصر مصانع لصناعة الطيارات والصواريخ والدبابات والمدافع والقنابل والرادار والذخيرة وقد وُجِدَ هذا كله في هيئة التصنيع العربية.

وتجد بديار مصر السكك الحديدية التي توصل البلاد كلها ببعضها من اسكندرية حتى أسوان وتسير على القضبان القطارات الفاخرة المكيفة بالهواء صيفًا وشتاءً وتتوفر بها المأكولات والمشارب.

ونهايات هذه السكك هي السويس وبور سعيد وأسوان والسلوم والإسكندرية وتعتبر القاهرة مركز تجمّع هذه السكك. وقد عُبِدّت الطرق

الأسفلت من أسوان حتى الإسكندرية وهي الطرق البرية للسيارات.

وتجد بمصر المطارات الفخمة مثل مطار القاهرة. والإسكندرية ومرسي مطروح والإسماعيلية والأقصر وأسيوط وأسوان. بحيث يكون التنقل من مناطق البلاد الداخلية سهلًا وكذا التنقل إلى خارج البلاد.

والذي جعل الملاحة البحرية صالحة بنهر مصر الرياح الدائمة التجارية وهي الشمالية الشرقية تساعد السفن على السير من الشمال إلى الجنوب بينما التيار المائي يساعد السفن في النهر على السير من الجنوب إلى الشمال.

وكذا موقع مصر بين البحرين المالح (المتوسط) والأحمر وربط أهل مصر لهذين البحرين بقناة السويس جعل مصر تستفاد دخلًا وفرضًا من الضريبة على السفن العابرة من جهات العالم فتجد السفن العملاقة تمر من هذا الخليج التي هي بمثابة مدن كاملة عائمة.

وتوجد بديار مصر الكباري العملاقة والسدود والقناطر ومترو الأنفاق والسد العالي والقناطر الخيرية وكوبري أسيوط ومنها نفق الشهيد أحمد حمدي بطريق السويس ومنها مترو الأنفاق والترولي والأنفاق العظيمة ككوبري إمبابة وكوبري أبي العلا وكوبري الزمالك وكوبري الجامعة وكوبري قصر النيل ومن أعظم تلك الكبارى كوبري ٦ أكتوبر ولعمري هو كوبري عظيم أنشأه المهندس أحمد عثمان وأظنه أطول كوبري رأيناه ببلاد الشرق ولا توجد جهة في القاهرة إلا ولها فرع من هذا الكوبري العظيم الذي جمع شمل القاهرة ولولاه لاختنقت القاهرة من زحمة مواصلاتها.

أما كوبري إمبابة فهو أقوى كوبري لكونه يتكون من ثلاثة طوابق فتمر عليه السيارات والقطارات والناس وعربات الكارو.

وتتميز القاهرة بسعة شوارعها واتزان أرصفتها وعلو مبانيها وكثر فنادقها وتعدد مستشفياتها حتى ترى فندق رمسيس هيلتون يسع أهل مدينة بأكملها لعلو طوابقه وكبر مساحته.

وتميزت مصر بكثرة فنادقها العملاقة الهائلة مثل فندق شيراتون وفندق الهيلتون وفندق رمسيس هيلتون وفندق سميراميس وفندق شبرد. ومن مميزات القاهرة مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وهي من أعظم مارستانات الدنيا.

« **الخامس والثمانون من فضائلها** » : ما يوجد بدار الكتب المصرية من مخطوطات وهي « الكتبخانة الخديوية » قديمًا ولا نعلم دارًا حوت كتبًا في بلاد الدنيا مثلها في فنون الإسلام وعلوم العرب القديمة والحديثة.

ولولا ما بدار الكتب من المخطوطات لضاع تراث المسلمين.

وتوجد بمصر من مكتبات المخطوطات إلى جوار دار الكتب المصرية المكتبة الأزهرية ومكتبة بلدية الإسكندرية ومكتبة بلدية سوهاج ومكتبة جامعة القاهرة والمتحف الإسلامي ومعهد المخطوطات العربية بجوار نادي الصيد بالقاهرة ومكتبة أحمد تيمور باشا وهي المكتبة التيمورية وبالجملة فدار الكتب المصرية جمعت ثروة الفكر الإسلامي كله وتراثه عددًا وندرة.

أما مكتبات العلم الطبيعي فأعظمها مكتبة المركز القومي للبحوث وهي أكبر مكتبة في الشرق في هذا المجال ومنها مكتبة جامعة القاهرة ومكتبة مركز البحوث الزراعية والمكتبة البريطانية.

« **السادس والثمانون من فضائلها** » : اشتهارها بالمتاحف العظيمة كمتحف محمد علي باشا والمتحف الزراعي ومتحف البريد والمتحف الإسلامي والمتحف القبطي ومتحف الشمع والمتحف الحربي ومتحف الآثار الفرعونية بالتحرير وهو أعظم متاحف الدنيا.

قال عزيز خانكي بك في كتابه « نفحات تاريخية » : في مصر أحد عشر متحفًا : هي المتحف المصري والمتحف العربي والمتحف القبطي والمتحف الحربي والمتحف الزراعي والمتحف الصحي والمتحف الجيولوجي والمتحف الجغرافي ومتحف الفن الحديث ومتحف السكة الحديدية ومتحف البريد. ا هـ.

« السابع والثمانون من فضائلها » : اشتهارها بالمسارح العظيمة النادرة التي يندر أن يوجد أمثالها بدول الشرق وتحتوي على قصور الثقافة والمجالس المشهورة ومثال ذلك مسرح محمد عبد الوهاب ومسرح يوسف وهبي بك ومسرح نجيب الريحاني ودار الأوبرا التي أنشئت في عهد إسماعيل ومثلت عليها رواية عايدة باللغة الإيطالية ومسرح فريد الأطرش ومسرح أم كلثوم والمسرح القومي ومسرح البالون. ويوجد بها من قصور الثقافة قصر ثقافة الغوري ودار الأدباء بشارع القصر العيني ويوجد بها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بقصر النحاس بجاردن سيتي ويوجد بها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالزمالك والثقافة الجماهيرية والمجلس الأعلى للرياضة والشباب والمجلس الأعلى للجامعات ويوجد بها اتحاد الكتاب هذا إلى جوار صالونات الأدباء ككرمة ابن هانئ ويوجد بها رابطة الأدب وتوجد بمصر حديقة حيوان كبيرة بالجيزة جمعت صنوف الوحوش والسباع والحيوانات البحرية والطيور والدواب والهوام والزواحف والثديات ويوجد بمصر من الحدائق العامرة المتسعة الفخمة ما يفوق الوصف كحديثة الأورمان وحديقة الأسماك بالزمالك وتوجد الحدائق الغناء الواسعة بالقناطر الخيرية وبمدينة نصر حديقة كبيرة متسعة تسمى الحديقة الدولية وهي أكبر حديقة على الإطلاق بالقاهرة ويوجد بديار مصر السيرك القومي ما لا يوجد في بلد عربي مثله.

ويوجد من الملاهي بمصر شيء لا يوصف كمدائن الملاهي للأطفال.

ويوجد بديار مصر المطاعم الفاخرة لجميع صنوف المأكولات كمطاعم الكبار ومطاعم الأسماك ومطاعم الكوارع ومطاعم الفول والطعمية وهي أكثر المطاعم انتشارًا بديار مصر. وبأرض مصر توجد محلات عصير القصب ما ليس موجودًا في ديار غيرها.

وتوجد بأرض مصر دكاكين الحلوى الفاخرة بجميع فنونها وصنوفها كالشطائر ولقمة القاضي والكنافة والبسبوسة والجاتوهات والملبسات وغيرها.

وبديار مصر الجمعيات العلمية والأدبية والدينية العظيمة وبها المجامع العملاقة الهائلة كجمعية العقاد الأدبية وجميعة أبُولُّو وجمعية الرابطة الإسلامية وجمعية الديوان قديمًا والجمعية التجانية ومشيخة الطرق الصوفية والجمعية الجغرافية والجمعية الطبية والجمعية الزراعية وجمعية الشبان المسلمين وجمعية الاقتصاد والإحصاء والتشريع والجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة وجمعية منع المسكرات والجمعية المصرية للحشرات وجمعية الهلال الأحمر والجمعية الرمدية. وبمصر المجمع اللغوي بالزمالك أنشأ سنة ألف وثلاثمائة وواحد وخمسين (١٩٣١م) وهو مجمع عظيم لا نعلم مثله في ديار الدنيا وقد أصدر كثيرًا من التحقيقات اللغوية والمعاجم ودواوين اللغة وكتب القدماء كديوان الأدب للفارابي وغيره ويوجد كذلك بها مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر وبها مجمع المحاكم ومجمع التحرير.

«الثامن والثمانون من فضائلها»: كان لها أي لمصر - الفضل في ظهور أول مطبعة بها في بلاد الإسلام وهي مطبعة بولاق الأميرية وقد أنشئت عام ١٨٢١م. وكان لظهور الطباعة بديار الإسلام الفضل في انتشار طباعة الكتب المخطوطة لكونها ضيقة النطاق قليلة النسخ قد لا يوجد من الكتاب إلا نسخة واحدة في الدنيا بأسرها ومن ثم انتشرت نسخ القرآن فأصبحت ألوفًا مؤلفة لا تعد ولا تحصى.

وانتشرت كتب السنة المطهرة كصحيح البخارى ومسلم وغيره من كتب الصحاح. وبذلك طبع معظم تراث الإسلام الضخم كالأغاني ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة والعقد الفريد ما نشر من دواوين شعراء العرب. وكان لظهور دار الكتب فضل عظيم في نشر تراث العرب.

«التاسع والثمانون من فضائلها»: انتشار المكتبات العظيمة بها كمكتبة دار الكتب المصرية ودار المعارف ودار الشعب ودار التحرير ودار الهلال والحلبي والخانجي وصبيح والمكتبة التجارية الكبرى ومؤسسة الأهرام ومؤسسة الأخبار ومؤسسة روز اليوسف وقد نشرت هذه المكتبات كثيرًا من تراث

الإسلام مما لم تنشره بلد سوى مصر لهذا اشتهرت مصر بمكتباتها العظيمة التي حوت عددًا كبيرًا من المصنفات العربية المطبوعة.

ومما اشتهرت به مصر النقابات العملاقة مثل نقابة الأطباء ونقابة الصحفيين ونقابة المحامين ونقابة المهندسين ونقابة المعلمين. ومما اشتهرت به مصر حب أهلها لقراءة العلم ومطالعته.

حتى يشتري الرجل منهم الكتاب وهو جائع فقير.

« **التسعون من فضائلها** » : ظهور الجرائد والمجلات والصحافة.

وكانت أول صحيفة ظهرت بمصر سنة ١٨٢٨ م هي الوقائع المصرية وكانت باللغة التركية ثم جمعت بين التركية والعربية ثم اقتصرت على نشر الأخبار باللغة العربية وحررها رفاعة طهطاوي فوسعها.

ثم لحقت بها مجلة روضة المدارس لعلي مبارك باشا ثم أنشئت صحيفة الأهرام والمقطم ومجلة الهلال لجورجي زيدان والمؤيد للشيخ علي يوسف.

وبعدها ظهرت جريدة اللواء لمصطفى كامل والجريدة للطفي السيد وظهرت مجلات أدبية علمية جليلة كالمقتطف والرسالة للزيات ومجلة معهد المخطوطات وفي وقتي الآن ما لا يحصى من الجرائد والمجلات مثل أخبار اليوم والجمهورية والوفد ومجلة ٦ أكتوبر والمصور وصباح الخير وآخر ساعة.

وبمصر المجلات الدينية المتوسعة كمنبر الإسلام والإسلام قديمًا والأزهر ولواء الإسلام وطريق الحق أسسها شيخنا محمد الحافظ التجاني قدس سره.

« **الحادي والتسعون من فضائلها** » : كان الفضل لأهل مصر أنْ ظهر بهم أول من ترجم عن اللغات الأجنبية كرفاعة طهطاوي وهو رجل أزهري أصله من طهطا ببلاد الصعيد.

وكان من فضائل مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر أن أنشئت بها مدرسة الألسن ومن أشهر المترجمين القدماء لطفي السيد والمازني ومحمد

حسين هيكل والمنفلوطي وطه حسين.

وانشئت بديار مصر المجامع العلمية لتعريب المصطلحات الأجنبية وقديمًا ترجمت المؤلفات العلمية في عهد رفاعة في فن الحساب والطبيعة والكيمياء والنبات وغيره.

« الثاني والتسعون من فضائلها »: كان لمصر الفضل الأول في البعوث والرحلات العلمية إلى بلاد الإفرنج لاقتباس العلوم عنهم ومنهم وإرسال الطلبة المتفوقين لنقل نهضة الغرب إلى ديار الإسلام التي هم أساسها وأحق الناس بها فأجدادهم أول من وضع أسسها ومبادئها.

« الثالث والتسعون من فضائلها »: كان لعلمائها الفضل الأول من دفع شبه المستشرقين وكشف تعصُّبهم على الملة الإسلامية وإظهار ما خفي من خلطهم وكذب بعضهم على رسول الله (ﷺ).

« الرابع والتسعون من فضائلها »: تعدد إذاعاتها المرئية والمسموعة. وفضل إذاعتها مشهور.

ومن جملة الفضل تخصيص إذاعة للقرآن الكريم على حدة وتخصيص برامج رياضية ودينية وتعليمية وترفيهية بالإذاعة ومن ثم تبدأ الإذاعة بالقرآن الكريم وتختم به.

-وعرفت مصر الإذاعة في عام ألف وثلاث مائة وثلاث وأربعين (١٩٢٣ م).

وعرفت التلفزيون في عام ألف وثلاثمائة وثمانين (١٩٦٠ م).

ومن فضائل الإذاعة المصرية أن كل الإذاعات العربية تقتبس منها في كل شيء. ولا توجد إذاعة ألطف ولا أظرف ولا مقبولة للروح مثل إذاعة مصر.

« الخامس والتسعون من فضائلها »: أنه في عام ألف وثلاثمائة وثلاثين (١٩١٠ م) كان ظهور أول رواية عربية بديار الإسلام مطبوعة وهي رواية

زينب لمحمد حسين هيكل باشا.

«السادس والتسعون من فضائلها»: اشتهارها بمستشفياتها العظيمة بحيث يقصدها المرضى من كل فج عميق كالقصر العيني وهو أكبر مستشفى في العالم الشرقي والمستشفى الإيطالي بالعباسية واليوناني ودار الشفاء ومستشفى أم المصريين ومستشفى عين شمس التخصصي ومستشفى أحمد ماهر ومستشفى بولاق الدكرور ومستشفى المطرية ومستشفى باب الشعرية ومعهد الشلل ومعهد الصدر ومستشفى الحميات كل هذه الثلاثة الأخيرة بإمبابة وتوجد مستشفى للحميات بالعباسية وهناك مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية والمستشفى الحسيني بالدرامية والمستشفى القبطي ومستشفى العجوزة ومستشفى جامعي بأسيوط وبالزقازيق.

وهناك معهد الأورام بفم الخليج ومعهد العيون بالجيزة. هذا دون المستشفيات الخاصة بالهيئات الأخرى كالسكك الحديدية والجيش والشرطة والأزهر ومجمل موظفي الدولة. وهناك مستشفيات خاصة لا تعد ولا تحصى.

ولا نعلم بأرجاء الإسلام الآن دولة بها مستشفيات ومصحات كالتي بديار مصر وهي أنواع منوعة.

«السابع والتسعون من فضائلها»: حسن أصوات أهلها رجالًا ونساءً بحيث خرج من جلتهم مطربون لن تنسى الدنيا بأسرها فضلهم كأم كلثوم وأسمهان ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش ومنيرة المهدية. وفي وقتنا هذا لا تجد إذاعة إلا وهي تذيع أغاني لمطربي مصر كل يوم بما في ذلك الإذاعات الأجنبية كلندن وصوت أمريكا.

ولولا مطربو مصر لكسدت بضاعة العرب في هذا الشأن.

«الثامن والتسعون من فضائلها»: اشتهار أهلها بحسن استعمالهم لأدوات الموسيقى وإنتاج الأنغام الرائقة البديعة والمقطوعات الساحرة. وقد أنجبت مصر في مطلع القرن الثالث عشر الهجري جملة من أعلام هذا الفن كسيد درويش

والسنباطي وزكريا أحمد وعبد الوهاب بحيث لن يخمد لهم نجم على مر الدهور.

«التاسع والتسعون من فضائلها»: خروج جملة من القراء للقرآن الكريم لن يعوضوا مع مطلع قرننا هذا مثل الشيخ محمد رفعت وعبد الباسط عبد الصمد والبنا والمنشاوي ومصطفى إسماعيل وعلوش والطبلاوي.

وتجويد أهل مصر للقرآن لا يتقنه سواهم وقد ظهر مع مطلع هذا القرن.

وبالجملة فأهل مصر نوابغ التجويد والترتيل.

وقد ظهرت منهم طائفة في التواشيح والابتهال الديني مثل النقشبندي ونصر الدين طوبار وطه الغشي لم يدرك فيه سواهم. وبمصر كانت طائفة من الباشوات أهل الخير مثل سعد زغلول باشا ومحمود سامي البارودي باشا ومصطفى كامل باشا وعبد الخالق ثروت باشا وأحمد عرابي باشا وطه حسين باشا ومصطفى النحاس باشا وعلي مبارك باشا وأحمد تيمور باشا ومحمد حسين هيكل باشا.

«المائة من فضائلها»: اشتهار مصر بجملة من جامعاتها التي هي أشهر جامعات المشرق على الإطلاق كجامعة القاهرة وجامعة الأزهر وجامعة عين شمس وجامعة أسيوط وجامعة حلوان وجامعة الإسكندرية.

ومن فضائل مصر العظيمة اشتهارها بأكاديمية البحث العلمي وهي أعظم أكاديمية في الشرق وما يتبعها من مراكز بحوث كالمركز القومي للبحوث.

هذا خلافًا لمعهد الطاقة الذرية ومعهد الصحراء ومركز البحوث الزراعية ومعهد العيون ومعهد أبحاث البترول وما بها من المدارس كالمدرسة الخديوية ومدرسة المتفوقين بعين شمس ومدرسة الأورمان والمدرسة السنية التي هي أول مدرسة للبنات بديار مصر والمدرسة السعيدية والمدرسة الإبراهيمية هذا خلافًا للمعاهد الأزهرية المنتشرة بنواحي البلاد.

« الحادي بعد المائة من فضائلها » : اشتهارها برقة طباع أهلها وشفافيتهم وسعة رحمتهم لا سيا نساء مصر فلا توجد بلد مثل مصر بها نساء في رقة ونعومة نسائها ولا أعلم بلدًا بها نساء أخف طبعًا ومزاجًا من نساء مصر. ولا أمرح ولا أفرح من حريمها.

حتى ترضى الواحدة أن تعيش مع زوجها ولو على لقمة بملح.

وهن أرضى نساء الأرض بعيشة متواضعة.

« الثاني بعد المائة من فضائلها » : كونها أقدم حضارة ظهرت على وجه الأرض ويشهد لها بذلك ما تبقى من الآثار السالفة كالأهرامات وأبي الهول والمعابد والتماثيل التي بالأقصر وأسوان ومن دخل متحف الآثار بالتحرير علم قوة الحضارة المصرية.

« الثالث بعد المائة من فضائلها » : اشتهارها بجامعها الأزهر الذي هو علامة الوجود الإسلامي البارزة وبالجملة لو عددنا فضائل الأزهر فإننا لا نطيق وصفها.

إذ هو أشهر مسجد في ديار الدنيا في أيامنا هذه.

لما جثم على صدره من أعباء الإسلام في ديار الدنيا كاستقباله للبعوث وتوفير السكن والأكل والكتب لهم ومسكنهم الحالي مدينة البعوث وكان قديمًا الأروقة.

ومن جملة فضائل هذا المسجد إرسال البعوث إلى بلاد الدنيا مسلمها وكافرها ونشر الدعوة في بلاد الكفار وتزويد المسلمين بالكتب وطبع المخطوطات وعقد الاجتماعات العلمية والدفاع عن الإسلام.

« الرابع بعد المائة من فضائلها » : عزة النفس عند أهلها فلا يخضع أحدهم لذل قط.

وتجد المصري في كل بلد أعز الناس نفسًا وأعظمهم تكبرًا على متكبر حتى

فقيرهم لا يخضع لذل قط.

وقد رأينا فقراء الحرم يأكلون الخبز والطعام.

ورأينا فقير مصر لا يأخذ الخبز والطعام ولا يأخذ قرشًا أو قرشين بل أقل ما يأخذه خمسة قروش وما رأينا فقيرًا يشترط سوى فقيرهم.

« **الخامس بعد المائة من فضائلها** » : تساوي مظاهر أهلها فكلهم سواء في الأكل والملبس والنفقة وهذا ظاهر على هيئاتهم.

وكلهم يأكل كما يأكل الآخر ويلبس كمثله ويركب كمثله.

والتكافؤ بائن بين طبقات الشعب المصري وقد وجدت زبالًا عنده تلفزيون ملون وثلاجة وفيديو وغسالة وبوتوجاز.

« **السادس بعد المائة من فضائلها** » : وجود الآثار النبوية الشريفة بها وهي مرود ومخضب وقطعة من الفضة وشعرات من شعره (ﷺ) وهي بالمسجد الحسيني وقبل ضُمَّ إليها أشياء من آثار الأولياء ومثل ذلك الحجر الذي عليه طبع قدمه (ﷺ) وهو بجامع سيدي أحمد البدوي بطنطا.

« **السابع بعد المائة من فضائلها** » : اختصاصهم بإقامة الخلفاء من بني العباس عندهم بعد خراب بغداد على يد التتار سنة ستمائة وستة وخمسين.

وقام الخلفاء بديار مصر من سنة تسع وخمسين وستمائة حتى آخر عهدهم.

« **الثامن بعد المائة من فضائلها** » : اختصاصها بخصوبة تربتها فلا يعلم ببلاد الدنيا تربة أخصب من تربة مصر وذلك لانشقاق النيل إلى شقين.

« **التاسع بعد المائة من فضائلها** » : اختصاصها بالسد العالي وهو منذ أنشيء أزاح عن مصر بلايا كبيرة ونفع أهل هذه البلاد منافع جمة كتوليده لمعظم كهرباء الديار المصرية.

« **العاشر بعد المائة من فضائلها** » : اختصاصها بقبور السادة الفضلاء من

الصحابة وهم: عمرو بن العاص وعقبة بـن عـامـر الجهني بمشهـده المعـروف بالقرافة إلى غير ذلك من المشاهد المختصة بهم.

«الحادي عشر بعد المائة من فضائلها»: اختصاصها قديمًا بتقديم كسوة الكعبة وكسوة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وستر ضريح نبينا عليه السلام وكله من الحرير المذهب المنمق النفيس.

قال ابن ظهيرة: ثم يمرون بذلك من باب القاهرة إلى الرميلة تحت القصر بقلعة الجبل تجاه باب السلسلة لينظره السلطان وهو بالخرجة من القصر ومعه القضاة الأربعة ونوابهم وأعيان الدولة وسائر فرق الفقراء بأعلامهم وطبولهم. ١ هـ.

«الثاني عشر بعد المائة»: اختصاصها بقلعة الجبل التي هي من أعظم قلاع الدنيا ولا تزال قائمة حتى الآن وقد عدل فيها في زمن حاكم مصر أنور السادات فرممت وجُمِّلَتْ كثيرًا وكذا اختصاصها بالكنيسة المعلقة وكثرة آثارها الفرعونية في شتى أنحاء البلاد وكذا اختصاصها ببرج الجزيرة الذي هو من أعظم أبراج بلاد العرب وكذا اختصاصها بالنوادي الفاخرة كنادي الجزيرة ونادي الزمالك والنادي الأهلي ونادي القرمانة ونادي الصيد ونادي السيارات ونادي السلاح ونادي الطيران ونادي التجديف ونادي الشمس خلافًا لنوادي الجيش والشرطة وباقي الهيئات الحكومية وبها من البحيرات بحيرة قارون وبحيرة ناصر وبمصر من المصايف ما لا يذكر.

لا سيما مصائف الإسكندرية ورأس البر ومرسي مطروح وجمصة والبحر الأحمر والإسماعيلية.

وفاقت مصر في اعتدال مناخها وتوجد بها المناخات المناسبة فالإسكندرية في الصيف وأسوان والأقصر في الشتاء.

وتباع بمصر أصناف التحف والمشغولات اليدوية من النحاس والخشب والفضة والذهب والمسبوكات ما يفوق الوصف وكل هذا بخان الخليلي وبها

المدبوغات الجلدية والأقمشة المزخرفة والحرائر ما لا يوجد إلا بها كالتحف الفرعونية والأحجار الكريمة والسبح.

وبديار مصر الأكلات الشعبية المفضلة مثل الفول والطعمية والمفتقة والملوحة والحواوشي والمحشي والمسقعة وتباع بها المشروبات الشعبية مثل البوظة وعرق السوس والتمر هندي وعصير القصب والبليلة وعصير المانجو وعصير الفراولة. واعلم أن أهل الديار المصرية أمرح الناس وأفكههم وأهلها أكثر الخلق تمسُّكًا بالضحك ومواطن الفكاهة.

واتسعت القاهرة بزمننا هذا حتى استعمر الناس الجبال كالمقطم ومدينة نصر والصحارى كصحراء سيناء والوادي الجديد والواحات. وزادت القاهرة زيادة عظيمة عما كانت عليه قديمًا لكثرة عدد نفوسها إذ أن عدد نفوس أهلها في زمننا هذا كعدد نفوس بلاد العراق كلها والتحمت القاهرة بمناطق كثيرة مجاورة لها كحلوان وأبي النمرس والوراق والمرج والقلج والقليوبية والحوامدية وهذا أعظم عدد سكانها وانفجرت مساحتها إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى عمر الناس المقابر كترب الغفير وبنوا بها العمائر الهائلة وأصبحت الأرض بالمقابر ذات ثمن باهظ كما حدث بالمقطم والدويقة. وأنشئت المدن الجديدة كمدينة نصر ومدينة السلام ودار السلام والمعادي الجديدة وألماظة وحدائق حلوان والمرج والزهراء و٦ أكتوبر والعاشر من رمضان والمهندسين والمقطم.

خاتمة جامعة لفضائل الديار المصرية

اعلم أنَّ أهل مصر أصبر الناس على الظلم وأكرمهم سجيّة وأعظمهم حلمًا وأعطفهم على الغريب وأرأفهم بالمحتاج والمسكين وألينهم قلوبًا وأرقهم طبعًا

وألطفهم مزاجًا وأعذبهم حديثًا وأحلاهم شمائل، وأعلمهم بالكتاب والسنة وأصحهم عقيدة.

« ومن فضائلهم »: أن حاكمهم دومًا يرحمهم ويوافقهم وحتى إنْ ظلم فإن ظلمه يقلّ عن ظلم غيره ومصر مقبرة الغزاة تطرد الظالم من أرضها ولا تقبل إلا عادلًا.

ومصر شمعة الدنيا لولاها لأظلم الكون وكفى ما سقنا من فضائلها. والعرب بلا مصر كطائر بلا جناح.

« ومن فضائل مصر »: أنها هي أول من طرد اليهود من مقدسات العرب في حرب أكتوبر (رمضان) المباركة سنة ١٣٩٣ (١٩٧٣).

« ومن فضائلها »: أن شرطتها ومخابراتها أذكى شرطة ومخابرات في العالم في تقصي الحقائق الغامضة والنادرة ولهم حكايات مشهورة في هذا الشأن وتوجد بها كلية الشرطة وهي مشهورة على مستوى العالم وبها كلية الضباط المتخصصين المسماة أكاديمية الشرطة أما قواتها المسلحة فبها نخبة. حسنة من الكليات والمعاهد مثل الكلية الحربية والكلية البحرية والكلية الجوية وكلية الدفاع الجوي والكلية الفنية العسكرية والمعهد الفني العسكري.

« ومن فضائل مصر »: بنوكها الكثيرة الأمينة مثل البنك المركزي المصري وبنك مصر وبنك القاهرة وبنك الإسكندرية والبنك العقاري المصري وبنك فيصل الإسلامي والبنك الأهلي المصري.

« ومن فضائلها »: وجود الجامعة الأمريكية بها.

ويحفظ لمصر أنها هي التي طردت الاستعمار من أرضها ومن معظم الديار والممالك الإسلامية قديمًا وحديثًا.

فقديمًا طردت التتار والصليبيين وحديثًا طردت الإنجليز من أرضها

وطردت الاستعمار من أرض اليمن والجزائر وليبيا والعراق والسودان بقوة مساعدتها لهذه الممالك.

ومصر هي التي نقلت وأشاعت الجمهوريات وأحيتها وأماتت سنن الممالك والملكية ومصر هي التي أماتت الألقاب وقتلت التنابز بها وأحيت التساوي بين طبقات الأمة فلا باشا ولا بك. ومصر هي التي أممت القناة وأقامت قانون الإصلاح الزراعي.

ومصر هي التي أسقطت آخر الملوك وهو فاروق وقامت من بعده الجمهورية وهي المعبر عنها بالخلافة.

وقامت مصر بإعطاء الحقوق لأبناء أمتها من بعد زمن ضاعت فيه الحقوق وكان الفضل لحاكمها جمال عبد الناصر في كل الاصلاحات المستحدثة وأتى السادات من بعده فقام بحرب رمضان فأحيا العرب من بعد موت فأنار جبينهم وأعاد لهم العزة بعد افتقادها وكان لمصر الشرف الأول على كل دول الإسلام في هذه الحرب لا كما يزعم البعض.

ولا نعلم حكامًا في عدلهم كحكام مصر مهما اتهموا فكل هذا في حقهم كذب وهباء منثور.

« ومن فضائل السياسة المصرية »: إباحة المعارضة في الرأي حتى تكونت الأحزاب التي لها جرائد تعارض فيها من شاءت وتتهم من تتهمه، وهذا لا يوجد في صقع من أصقاع الديار الإسلامية إلا بها. ومن عدل الحكام المصريين حرية التفكير والنقد الديني حتى تكونت الجماعات الإسلامية على أصنافها وهذا لا يوجد بأرض سواها مثل الجمعية الشرعية ومشيخة الطرق الصوفية وجماعة الإخوان المسلمين والعشيرة المحمدية وجمعية أنصار السنة.

« ومن فضائل السياسة المصرية »: إباحة الحريات الشخصية والأفكار الجديدة والاختراعات الحديثة والمذاهب الفلسفية وطبع الكتب التي لا تطبع إلا بهذا البلد الآمن.

« ومن فضائل مصر »: أنَّ النصارى بها أفضل نصارى الأرض وهذا ورد بنص الحديث النبوي الصحيح: (ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا) ولم يرد حديث نبوي في فضل نصارى سوى نصارى مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: عدم وجود فرق دينية تفصلهم عن بعضهم في ملة الإسلام نفسها كالشيعة بل كل أهل مصر في جميع نواحيها في أيامنا هذه على مذهب أهل السنة والحمد لله ولله المنة وهم على المذاهب الأربعة.

« وكذا من فضائلها »: قلة اختلاف أهلها سواء بين المسلمين فيما بينهم أو بين المسلمين والنصارى وهذه نعمة كبرى.

« ومن فضائل مسلمي مصر »: غيرتهم الشديدة على دينهم فترى في صلاة الجمعة والعيدين لا مكان تصلي به من عظم المصلين وقد سدوا الشوارع والطرقات.

« ومن فضائل مصر »: وجود ضريح الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بها وهذه كرامة كبيرة لأهل مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: توقير أهل الأديان لمشاعر بعضهم فالمسلم يهنئ النصراني يوم عيده والنصراني يهنئ المسلم يوم العيد وفي رمضان ويوم حجه ورأيت بعض النصارى يصومون رمضان بديار مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: أنَّ قطبَ الغوث غالبًا يكون منهم وكذا كبار أهل الولاية ولأهل مصر اعتقاد حسن في الولي ومقامه يفوقون فيه اعتقادات كل أهل البلاد.

« ومن فضائل مصر »: قلة وقوع الزلازل والفيضانات والحروب والغارات والكوارث بها لكونها محروسة وهي منَّة الله في أرضه ما أرادها أحد بكيد إلا رُدَّ خاسئًا وهو حسير.

وبديار مصر الكنائس العظيمة والعطارين ودكاكين الأعشاب ما يفوق

الوصف. وبديار مصر محلات لصناعة الطرابيش ما لا يوجد إلا بها. وبمصر القطن الجيد الذي لا يوجد ببلاد الدنيا إلا بها، وبها البرتقال الذي له سرة ولا يوجد إلا بها، وبها العسل الذي لا يصنع في بلاد الدنيا مثله. وبمصر الدجاج الفيري الذي لا نظير له وانتهت بمصر الكياسة والسياسة لوجود جملة من القواد بها لا تعوض في أمة الإسلام مثل عمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وقطز والغوري ومحمد علي باشا وجمال عبد الناصر والسادات.

رسالة
فناء أوصاف العاشقين
في أوصاف خاتم المرسلين

الحمد لله أن أبرز من عما الاقتدار الصفة المحمدية. وبرأ من العماء المحض المحاسن القاسمية. وأنشأ من عيون المعاني الجمالات الأحدية. وأكمل بكماله المطلق بديع الكمالات النبوية وأبدع ببديع القدرة حلقة الأخلاق المصطفوية. وحقق بالتعيينات الأمرية صورة الختم الرسولية.

وصلى الله على بديع الجمال ومتحقق الكمال. المكتمل الخصال روح الأرواح. ساقي الأشباح بفائض الأقداح هيكل الوجود. وعمود الشهود كرسي المملكة وعرش المشيخة. محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه لعمري رسالة ماء الذهب أودعتها أوصاف رسول الله (ﷺ). وأرجو أن تحوز القبول. وتفي بالمأمول جمعت فيها ما بين منقول ومغفول. وعلى الله قصد السبيل. وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد في هيئة النبي (ﷺ): كان (ﷺ) يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويمشي في الأسواق ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضي من نفسه ولا يأكل متكئاً ولم يُرَ قط ضاحكًا ملء فيه وكان يقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إليَّ كراعٌ لقبلت. انتهى.

قال الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان في باب في صفته

(صلى الله عليه وسلم) بسنده عن البراء وقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

وقال بسنده عن أنس قال: كان رسول الله أسمر قلت: الظاهر أنه اشتبه على الراوي أزهر بأسمر. وقال بسنده عن عائشة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لبس خميصة سوداء فقالت عائشة: ما أحسنها عليك يا رسول الله يشوب بياضها سوادك ويشوب سوادها بياضك فثار منها ريح فألقاها قالت: وكان تعجبه الريح الطيبة.

وقال بسنده عن علي بن أبي طالب أنه كان إذا وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) قال كان عظيم الهامة أبيض مشربًا بحمرة عظيم اللحية طويل المسربة شثن الكفين والقدمين إذا مشى كأنما يمشي في صبب لم أرَ مثله قبله ولا بعده (صلى الله عليه وسلم) وقال بسنده عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت أسرع مشية من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كأنما الأرض تطوي له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

وقال بسنده عن ابن عمر قال: رأيت شيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحوًا من عشرين شعرة بيضاء في مقدمه. انتهى.

وروى ابن حبان في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: تنام عيني ولا ينام قلبي.

وروى مالك في الموطأ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (صلى الله عليه وسلم).

قال الدهلوي في شرحه على الموطأ المسمى المسرى: البائن هو المفرط طولاً لأنه بعد عن قدر الرجال الطوال الأمهق الذي لا يخالط بياضه حمرة الآدم

فوق الأسمر يعلوه سواد قليل القطط سديد الجهودة السبط هو المسترسل الذي ليس فيه تكسر وهذا الذي ذكر من كمية عمره قول لطائفة من الصحّابة والتابعين وذهب آخرون إلى أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين قال البخاري: وهذا أصح. انتهى.

قال اليعقوبي في تاريخه في صفة رسول الله (ﷺ): وكان رسول الله فخمًا مفخَّمًا. ظاهر الوضاءة. متبلج الوجه. حسن الخلق. أطول من المربوع. وأقصر من المُشذَّب. لم تعبه ثُجْلَة ولم تُزْرِ به صعلة. وسيمًا قسيمًا. لم يماشه أحد من الناس إلا طاله. وإن كان الماشي له طويلاً. عظيم الهامة. رجل الشعر إن تفرقت عقيقته انفرقت فرقًا. لا يجاوز شعره شحمة أذنه. أزهر اللون. مُشْرَبًا بحمرة. في عينه دَعَجٌ. وفي أشفاره وَطَفٌ. وفي صوته صحَلٌ. وفي لحيته كثافة وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن وفي رأسه في فودي رأسه. سهل الخدين. ضليع الفم. حلو المنطق لا نزر ولا هذر. دقيق المَسْرُبة. معتدل الخلق. عريض الصدر والكتف. بعيد ما بين المنكبين. واسع الظهر غير ما تحت الإزرار من الفخذ والساق. وأنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط. عاري ما سوى ذلك من الشعر. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. طويل الزندين رحب الراحتين. شَثْن الكفين والقدمين شائل الأطراف. خمصان الأخمصين. ذريع المشية. إذا مشى كأنما يخط من صبب أو يتقلع من صخر. وإذا التفت التفت معًا خافض الطرف. نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء. جل نظره الملاحظة. يبدأ من لقيه بالسلام. وكان جل جلوسه القُرْفُصى. وكان يأكل على الأرض. وكان إذا دعاه رجل فقال: يا رسول الله قال: لبيك. وإذا قال: يا أبا القاسم. قال: يا أبا القاسم وإذا قال يا محمد قال: يا محمد. وإذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها. وإذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخليه. وإذا سأله سائل حاجة لم يرده إلا بحاجته أو بميسور من القول. انتهى.

وقال اليعقوبي في تاريخه: في المشبهين برسول الله (ﷺ): وكان المشبهون

برسول الله جعفر بن أبي طالب. قال رسول الله: أشبهت خلقي وخلقي. والحسن بن علي. وكانت فاطمة تقول: بأبي شبيهٌ بأبي غير شبيه بعلي. ويقال: إن أبا بكر قال له: وقد لقيه في بعض طرق المدينة: بأبي شبيه بالنبي غير شبيه بعلي. وقثم بن العباس بن عبد المطلب. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. وأسهد بن العترة وهاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف. ومسلم بن معتب بن أبي لهب. انتهى.

قال البيهقي في المحاسن والمساوىء: وأما جماله وبهاؤه ومحاسن ولادته (ﷺ) فما روي عن عثمان بن أبي العاص قال: أخبرتني أمي أنها حضرت آمنة أم النبي (ﷺ) لما ضربها المخاض قال: جعلت أنظر إلى النجوم تتدلى حتى قلت لتقعنّ عليّ فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى صرت لا أرى إلا نورًا قال: وسمعت آمنة تقول: لقد رأيت وهو في بطني أنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم ولد (ﷺ) فخرج معتمدًا على يديه رافعًا رأسه إلى السماء كأنه يخطب أو يخاطب. انتهى.

ومن أعظم ما رأيته في وصف الواصفين وصف الإمام الوصابي المتوفى سنة ٧٨٢ في كتابه البركة في فضل السعي والحركة: (فصل) وهذه صفة المصطفى (ﷺ) بأسرها أتيت بها تبريكًا للكتاب بذكرها لأنه روي أنه من كان عنده صفة المصطفى في منزله أو في رحله أو بين أمتعته أو على عضده وكان ظاعنًا أو قاطنًا إلا أمن من الشرق والغرق والحرق وجور السلطان ولم يفارق منزله السرور أبدًا وجد ذلك في كتاب اللباب في فضائل المصطفى والأصحاب.

وهو أنه (ﷺ) كان أزهر اللون. أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار. أبلج أزج. أقنى. أفلج. أشيب. عظيم الهامة. معتدل القامة. مدور الوجه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده ورونق الجلال يطرد في أسرة جبينه. كأن الجدر تلاحك وجهه ويهب نوره عليها إذا مشى بجانبها واسع الجبين كث اللحية. تملأ صدره. سهل الخدين ضليع الفم.

أحسن الناس عنقًا. كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة. سواء البطن والصدر. واسع الصدر عظيم المنكبين. ضخم العظام. عبل العضدين والذراعين والأسافل. رحب الراحة. شثن الكفين والقدمين طـويـل الزنـديـن. سـائـل الأطراف. سبط العصب. أنور المتجرد. في ساقيه حموشة لو رأيته رأيت الشمس طالعة. موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط. عاري الثديين ما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. ربع القامة ليس بالطويل البائن. ولا بالقصير المتردد. ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله (ﷺ). إذا افترَّ ضاحكًا أفتر عن مثل سنا البرق. وعن مثل حب الغمام. بل ضحكة التبسم. وربما ضحك حتى تبدو نواجذه. إذا تكلم رأيت كالنور يخرج من بين ثناياه. جهير الصوت حسن النغمة في صوته صحل. كانت قراءته مفسرة حرفًا حرفًا. وربما رجع فيها. وفي كلامه ترتيل لا فضول فيه ولا تقصير. كان متماسكًا ضرب اللحم. ليس بمطهم ولا مكلثم. منهوس العقب. أخمص الأخمصين. مسيح القدمين. ينبو عنهما الماء رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه. إذا هو وفره وربما ضفره إذا زال زال تقلعًا. ويخطو تكفؤا. ويمشي هونًا ذريع المشية. إذا مشى كأنما ينحط من صبب. وإذا التفت التفت جميعًا. خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء. جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام. خاتم النبوة عند مرجع كتفه اليسرى. مثل الجمع حولها خيلان. متواصل الأحزان. دائم الفكرة. ليست له راحة. طويل السكوت. إذا أشار أشار بكفه كلها. وإذ تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى. وإذا فرح غض طرفه. وإذا غضب أعرض وأشاح. وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. وإذا اهتم أكثر مس لحيته. وربما نكت في الأرض بعود أو مخصرة في يده. بين حاجبيه عرق يدره الغضب كان يتختم تارة باليمنى. وتارة باليسار. وكان خاتمه فضة وفصه منه. ومرة فصه حبشيًا كان يجعل فصه مما يلي كفه. وكان نقش خاتمه محمد سطر ورسول

سطر والله سطر هكذا:

محمد

رسول

الله

في الأصح. وقبيعة سيفه من فضة. كان يلبس ما وجد مرة شملة ومرة جبة من صوف ومرة حبرة يمانية ومرة قباء ومرة بردًا أحمر ومرة بردين أنضرين ومرة جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج. ومرة بردًا نجرانيًا غليظ الحاشية ومرة جبة رومية ضيقة الكمين وتوشح مرة بثوب قطري وصلي وربما لبس في بيته مجولاً وكان (ﷺ) يصلي في مروط نسائه. وكان يأتزر إلى أنصاف ساقيه. وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة. وكان كمه إلى الرسغ. وكان له ثوب لجمعته خاصة. وإذا اعتم سدلها بين كتفيه. وخطب يومًا وعليه عمامة سوداء. وعصب رأسه مرة بخرقة حمراء ومرة بحاشية برد. وكان على رأسه في مرضه الذي مات فيه عصابة صفراء. وكان لنعله قبالان. وصلّى يومًا في نعلين مخصوفتين. وكان يحب التيمُّن ما استطاع في كل شيء من شأنه. وفي ترجله. وتنعله. وطهوره كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه. وأخذه وإعطائه. وكان يده اليسرى للاستنجاء ولما كان من أذى. وكان إذا جلس احتبى بيديه. واحتبى مرة بشملة. واستلقى مرة في المسجد واضعًا إحدى رجليه على الأخرى. وخرج يومًا يتوكأ على أسامة ومرة على الفضل. واضعًا كفه على منكبه. وربما اتكأ على وسادة على يساره. وكان (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كل يوم مرة أو مرتين. ولا يفارقه المشط والمرود في حضر ولا سفر. وكان يترجل غبًا. ويكثر القناع. ولم يكن في رأسه شيب إلا شعرات في مفرق رأسه. إذا دهن واراهن الدهن. وكان شيبه أحمر. وربما أخذ من طول لحيته وعرضها. وكان يصبغ ثيابه بالصفرة. ويكره الخلوق للرجال. ويكره الحمرة من الألوان. وكانت له مكحلة يكتحل منها عند

النوم ثلاثًا في كل عين. وكان يحب من الشاة الذراع والكتف. ومن القدر الدباء ومن الشراب الحلو البارد. ومن الأزهار الفاغية. ومن الألوان الخضرة. ومن الصباغ الخل. ومن التمر العجوة. ومن الفواكه الرطبة البطيخ والقثاء والعنب. وربما أكل العنب حتى يسيل رؤاله على لحيته كاللؤلؤ وكان يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول منه حبة حبة بيده اليمنى. فيأكل وربما أكله خرطًا وكان يأكل القثاء بالرطب والملح. وأكثر طعامه التمر والماء. وكان يأكل البطيخ بالرطب ويجمع بين الخربز والرطب. وأُتي بجمار نخلة فأكل منها. وكان ينقع له الزبيب أول الليل فيشربه من الغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة ثم يأمر به فيهراق. وكان يتجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين. وأطيب الطعام لديه اللحم. وكان يأكل الثريد باللحم والقرع. ويعجبه الفأل الصالح. والكلمة الحسنة. ويعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد يا نجيح يا تمام ونحوه. وكان لا يتطير من شيء فإن كره شيئًا رؤي كراهته في وجهه. وكان يعجبه الزبد والتمر. والنقل. وهو ما بقي من الطعام. ويعجبه الثريد من الخبز. والثريد من الحيس. ويأكل الخبز بالسمن والفالوذج. وكان أكثر لباسه البياض. وكان يلبس القلانس تحت العمائم. وبغير عمامة. وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة يصلي إليها. وكانت له عباءة تفرش له حيثما انتهى. وحيثما انتقل. تثنى تحته طاقين. وكانت له عنزة يخرج بها يوم العيد. وكان يحب العراجين. ودخل يومًا المسجد وبيده عرجون فحك به النخامة وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة. وكان فراشه الذي ينام عليه أو ما حشوه ليف. وكان ينام أحيانًا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وكان إذا عرس قبيل الصبح ينصب ذراعه ويضع رأسه على كفه. وروي أن سلمى طحنت شعيرًا ثم جعلته في قدر وصبت عليه زيتًا ودقت الفلفل والتوابل وقالت: هذا مما كان يعجب النبي (ﷺ) ويحسن أكله وكان (ﷺ) يأكل لحم الدجاج والحبارى. وقال عتيبة: رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي (ﷺ) ما لنا طعام ولا شراب إلا ورق الشجر. وقال ابن أبي أوفى غزونا مع النبي (ﷺ) ست غزوات نأكل الجراد ويأكله معنا. وكان

(ﷺ) يعقد التسبيح بيمينه. وربما خرج وفي يده الخيط المربوط ليتذكر به الشيء. وكان يشرب الحليب ممزوجًا بالماء على الريق ويتغدى بعد ذلك بخبز الشعير مع الملح ونحوه. وكان يحب الطيب ويكره العرف الرديء. وكان يتتبع الطيب في رباع النساء. وكان يكثر العرق وعرقه أطيب الطيب (ﷺ). ورائحته أطيب العنبر والمسك الأزفر جبلة وإن لم يمس طيبًا وكانت له سكة يتطيب منها وكان لا يرد الطيب. ويستجمر ثلاثًا بالعود وبكافور يطرحه معه. وكان يتطيب بالمسك حتى يوجد بريقه في رأسه ولحيته. وكان يغسل رأسه بالخطمي وربما لبده. وكان يقبل عائشة ويمص لسانها وهو صائم. ومضغ وترًا في رمضان. ورصف به وتر قوسه. وخرج يومًا وعليه مرط مرجل من شعر. واغتسل يومًا من حمام بالجحفة. وكان أحب الأشياء إليه بعد النساء الخيل. وكان يحتجم على هامته وبين كتفيه. واحتجم على وركه وعلى ظهر قدميه. وفي الكاهل والأخدعين. وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين (ﷺ). ومات يوم الاثنين فسجّي وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف لا قميص فيها ولا عمامة. وقبر ليلة الأربعاء. وهو ابن ثلاث وستين سنة. ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا. ولا شاة ولا بعيرًا. إلا سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة وهي مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك. وما بقي من خمس خيبر. انتهى.

قال البلاذري في أنساب الأشراف: حدثني الزيادي حدثني أبو أحمد السكري حدثني عبد الملك بن وهب عن الحر الخثعمي أن النبي (ﷺ) خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة فنزل بامرأة من خزاعة يقال لها عاتكة بنت خالد بن خليف ويقال لزوجها أكثم بن الجون بن منقذ الخزاعي وهي أم معبد. فوصفته (ﷺ) فقالت: كان ظاهر الوضاءة. متبلج الوجه حسن الخُلق. لم تعبه ثُجلة ولم تُزْرِ به صعلة. وسيمًا قسيمًا. في عينه دُعج. وفي أشفاره وطَف. وفي صوته صُحل. وفي عنقه سَطع. وفي لحيته كثاثة. أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار. وإن تكلم سمَّى وعلاه البهاء. أجمل الناس وأبهاهم من بعيد. وأحسنهم وأجلاهم من قريب. منطقه فصل. لا نزر ولا

هذر. كأنه خرزات نظم يتحدرن. حلو المنطق. لا يُشنى من طول. ولا تقتحمه العين من قصر. غصن بين غصنين. فهو أنضر الثلاثة منظرًا أو أحسنهم قدرًا له رفقاء يحفون به. إذا قال أنصتوا وإذا أمر بادروا إلى أمره. محفود محشود. لا عابس ولا مفتد. (ﷺ).

تفسير غريب اللغات (الثجل): عظيم البطن. (والصعل): صغر الرأس. (والوسيم): الجميل. وكذلك القسيم. (والدعج): شدة سواد العين (والصحل): شبيه بالبحة. تقول إنه ليس بحاد الصوت. (والسطع): طول العنق. (والوطف): طول هدب العين. انتهى.

وروى البلاذري في أنساب الأشراف بسنده عن البراء قال: رأيت شعر رسول الله (ﷺ) يصيب منكبيه.

وروى بسنده في أنساب الأشراف عن البراء بن عازب قال: ما رأيت أجمل من النبي (ﷺ) مترجلاً في حلة حمراء. وروى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) أزهر اللون وكان عرقه اللؤلؤ ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة منه. ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كفه.

وروى بسنده عن أبي طفيل عامر بن واثلة كان يقول: رأيت رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة. فما أنسى شدة بياض وجهه. وشدة سواد شعره. وإنَّ من الرجال رجالاً حوله يمشون. فمنهم من هو أقصر منه. ومنهم من هو أطول منه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: رسول الله (ﷺ).

وروى بسنده عن أم هانيء قالت: ما رأيت أحدًا كان أحسن ثغرًا من رسول الله (ﷺ). وما رأيت بطن رسول الله (ﷺ) إلا ذكرت القراطيس المثنية بعضها فوق بعض تعني عُكنة. ورأيته يوم الفتح قد ضفر رأسه بضفائر أربع.

وروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي (ﷺ) أشد حياء من جارية عذراء في خدرها وكان إذا كره شيئًا عرفت كراهته في وجهه.

وروى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) يسرح لحيته بالماء في كل يوم.

وروى بسنده عن ابن عمر قال: كان النبي (ﷺ) يصفّر لحيته.

وروى بسنده عن شيخ من كنانة قال: رأيت رسول الله (ﷺ) بسوق ذي المجاز بين بُردين أحمرين. مربوعًا كثير اللحم. حسن الوجه. شديد سواد الشعر سابغه. شديد البياض. وروى بسنده عن عائشة قالت: كنت إذا أردت أن أفرق رسول الله (ﷺ) صدعت الفرق بين يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه. انتهى.

قال الحميدي في المسند: ثنا سفيان قال ثنا يونس بن أبي إسحاق يحدث عن العيزار بن حريث عن أم حصين قالت رأيت رسول الله (ﷺ) يخطب وهو متلفع ببردة وعضلته ترتج.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان رسول الله (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسدل ناصيته ثم فرق بعد.

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي (ﷺ) فنام عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي (ﷺ) فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ .قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) طويل الصمت قليل الضحك.

وروى الترمذي عن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله (ﷺ).

روى مسلم في المعراج عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) أتاه

جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه جبريل فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدًا قد قُتِلَ فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (ﷺ).

روى مسلم عن أنس قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي (ﷺ) فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وَجِعٌ فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمة بين كتفيه مثل زر الحجلة.

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله (ﷺ) كأنه بيضة حمام. وعند الترمذي لفظه: كان خاتم رسول الله (ﷺ) الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

قال الترمذي في الشمائل: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم حدثنا عزرة بن ثابت حدثني علباء بن أحمر اليشكري قال حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال قال لي رسول الله (ﷺ) يا أبا زيد ادن مني فامسح ظهري فمسحت ظهره فوقعت أصابعي على الخاتم. قلت: وما الخاتم. قال: شعرات مجتمعات.

وقال في الشمائل المحمدية: حدثنا محمد بن بشار حدثنا بشر بن الوضاح أنبأ أبو عقيل الدورقي عن أبي نضرة العوفي قال سألت أبا سعيد الخدري عن خاتم رسول الله (ﷺ) فقال كان في ظهره بضعة ناشزة. انتهى.

قال القرطبي: لم يظهر لنا تمام حسنه (ﷺ) لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته (ﷺ). اهـ.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية باختصار: (فأما وجهه الشريف) (ﷺ) أخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله (ﷺ) إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت إلينا رسول الله (ﷺ) بوجه مثل شقة القمر.

وروى البيهقي عن أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من هَمْدَان قالت حججت مع النبي (ﷺ) فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده. وروى الدارمي عن أبي عبيدة قال قلت للربيع بنت مُعَوِّذ صفي لي رسول الله (ﷺ) قال لو رأيته قلت الشمس طالعة. وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له صف لنا رسول الله (ﷺ) فقال كان أبيض مليح الوجه وكان عليه الصلاة والسلام إذ سُرَّ فكأن وجهه المرآة وكأن الجدر ترى في وجهه.

(وأما بصره الشريف) (ﷺ) فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه (ﷺ) قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ قال كان رسول الله (ﷺ) يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه (ﷺ) كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا.

(وأما سمعه الشريف) (ﷺ): فقد قال (ﷺ) إني أرى ما لا ترون

وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى رواه الترمذي عن أبي ذر.

(وأما جبينه الكريم): فقد كان (ﷺ) واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه علي فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين أي واضحه وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رأيت رسول الله (ﷺ) فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين.

(وأما فمه الشريف) (ﷺ) فعن جابر أنه (ﷺ) كان ضليع الفم. وقال ابن أبي هالة يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه يعني نسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم. ووصفه ابن أبي هالة فقال أشنب مفلج الأسنان والشنب رونق الأسنان وماؤها ومفلج الأسنان أي متفرقها.

(وأما ريقه الشريف) (ﷺ) ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله (ﷺ) قال يوم خيبر لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها قال أين علي بن أبي طالب قالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله (ﷺ) في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وحج (ﷺ) في بئر ففاح منها رائحة المسك. وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها. ومسح (ﷺ) بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه. وكان به شرف فما كان يشم أطيب رائحة منه. وأعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روي.

(وأما صوته الشريف) (ﷺ) فعن أنس رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيًا قط إلا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت حتى بعث الله نبيكم (ﷺ) فبعثه حسن الوجه حسن الصوت.

وعن علي رضي الله عنه أنه (ﷺ) كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من

بين ثناياه. وقد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء قال خطبنا رسول الله (ﷺ) حتى أسمع العواتق في خدورهن. وعن أم هانىء قالت كنا نسمع قراءة رسول الله (ﷺ) في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي.

(وأما ضحكه) (ﷺ) ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله (ﷺ) مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه (ﷺ) كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك. قال ابن بطال والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك.

(وأما يده الشريفة) (ﷺ) فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح (ﷺ) خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار رواه مسلم.

قال ابن بطال كانت يده (ﷺ) ممتلئة لحمًا غير أنها مع ضخامتها كانت لينة. وعن معاذ قال ردفني رسول الله (ﷺ) خلفه في سفر فما مسست شيئًا قط ألين من جلده (ﷺ).

وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي (ﷺ) الدم بيده عن وجهه ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام إلى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم. ومسح (ﷺ) رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت عليه يده أسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه وعن أبي زيد الأنصاري قال مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال الراوي عنه فبلغ بضعًا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض

وجهه حتى مات رواه البيهقي.

وقد جاء في عدة أحاديث من جماعة من الصحابة بياض إبطيه. قال الطبري ومن خصائصه (ﷺ) أن الإبط من جميع الناس متغير اللون. وعن رجل من بني حريش قال ضمّني رسول الله (ﷺ) فسال عليَّ من عرق إبطه مثل ريح المسك. رواه البزار وأخرج الإمام أحمد عن مُحَرِش الكعبي قال اعتمر النبي (ﷺ) من الجِعْرَانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وأما قدمه الشريف) (ﷺ) فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن القدمين أي غليظ أصابعها.

وعن ميمونة بنت كرَدم قالت رأيت رسول الله (ﷺ) فما نسيت طول أصْبَع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الإمام أحمد. وعن عبدالله بن بُرَيْدَة قال كان رسول الله (ﷺ) أحسن البشر قدمًا.

(وأما لونه) (ﷺ) فقد وصفه عليه الصلاة والسلام جمهور أصحابه بالبياض. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يُسْتَقَى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

انتهى ما ورد في المواهب اللدنية اللقسطلاني

روى الإمام أحمد عن عطاء بن يسار قالت: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله (ﷺ) في التوراة فقال أجد والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأدميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق. ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الله العوجاء. بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعينًا عميًا. وآذانًا صمًا. وقلوبًا غلقًا).

قال ابن القيم في زاد المعاد: ومن تدبر أغذيته (ﷺ) وما كان يأكله

وحده لم يجمع قط بين لبن وسمك ولا بين لبن وحامض ولا بين غذائين حادين ولا باردين ولا لزجين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا مستحليين إلى خلط واحد ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوي وطبيخ. ولا بين طري وقديد ولا بين لبن وبيض ولا بين لحم ولبن ولم يكن يأكل طعامًا في وقت شدة حرارته والمالحة بائتًا يسخن له بالغد ولا شيئًا من الأطعمة العفنة والمالحة كالكوامخ والمخللات والملوحات وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال. انتهى.

روى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه رسول الله (ﷺ) ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله (ﷺ) ما كان أسفل من ذلك.

قلت: ولئن كان يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن الظاهر فإن أبا القاسم عليه الصلاة والسلام لو أبدى لهم ذرة من جمال حسنه الباطن لصعقوا. وحتفوا. فإن جماله المرئي في الآخرة يفوق جميع الكائنات لكونه محجوبًا عنا في هذه الدار لعدم تحمل العقول لرؤيته فافهم يا ولي الله. ألا ترى أنه عبر عن هذا الذوق بقوله: من رآني فقد رآني حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بي. وهذا يكشف أن مرائي الجمالات المحمدية بكر كلها. مهما تنوعت وتفرعت. هناك هناك يعلم العارف المحقق في الدار الآخرة شأن الجمال القاسمي. والحسن المحمدي عندما يرفع سحاب الحجاب. عن حبيب رب الأرباب. فهنيئًا لك أبا القاسم (ﷺ) وبارك.

تَمَّ

بعون الله تعالى

كتاب

إحياء علوم الصوفية

٢٦ محرم عام ١٤١١ هـ.

والصلاة والسلام على محمد صلّى الله عليه وسلّم.

إجازة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الإمام العالم العلامة ★ والحبر الفهامة ★ الحبر الموقر ★ والجهبذ المتصدر ★ على بساط الحقيقة ★ شيخ العقال وعلامة أسيوط في زمانه وإمامها ★ أستاذنا وشيخنا أبو جلال محمد بن سيد دلال العقالي السيوطي الحنفي رضي الله تعالى عنه:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تنجز المهمات. والصلاة والسلام على خير المرسلين وسيد النبيين. وشفيع الخلق أجمعين. وبعد.

فإنني بحمد الله وتوفيقه اعتبر أول مرشد لتلميذي الشيخ محيي الدين الطُّعْمِي. وأول من سقاه لبن الشريعة وعرفه قوانينها. وأوقفه على دواوينها. وكان عمره آنذاك في السادسة عشرة ورأيته شابًا فاق الأقران. وسبق أعيان الزمان. عقله أكبر من سنه. ولبه أكبر من عمره. هو البحر الذي لا يسابق. والمحيط الذي كلما نضب ماؤه يتعامق.

ولذا فإنني استخرت الحق تعالى في أن أجيزه إجازة خالدة تالدة. عاملة شاملة. وتوكلت على الله. إرضاء للإله.

وقد أخذت الفقه الحنفي عن والدي عالم العقال وإمامها الشيخ سيد بن أحمد دلال العقالي رضي الله عنه.

وأخذت طرفًا من الفقه المالكي عن الوالد أيضًا رضي الله عنه. وأخذت

الفقه المالكي والتفسير عن الشيخ محمود عنبر وأصله من طهطا وهو أخذ عن العلامة محمد بخيت المطيعي من طريق الصاوي عن الدردير. وأخذت النحو وعلوم اللغة العربية عن الشيخ عبد الحق أبي ناصر العلامة النحوي الشهير وأصله من بني سويف رضي الله عنه. وكذلك أخذت النحو عن العلامة المتبحر الشيخ أحمد هيكل الباقوري من باقور من أعمال أسيوط رضي الله عنه. وكذلك قرأت طرفًا من «تاج العروس» للزبيدي وقرأت «مختار الصحاح» على والدي علامة العقال الشيخ سيد دلال العقالي رضي الله عنه.

وقرأ والدي فقه المالكية على الإمام شيخ الإسلام سيدنا يوسف الدجوي رضي الله عنه ويقال عنه بلغ قطبانية وقته. وأخذ والدي فقه الشافعية وفقه الحنفية عن العلامة الإمام مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي رضي الله عنه.

وأخذ والدي الفقه المالكي وفتاوى المالكية عن العلامة الأزهري الشهير الشيخ عليش رضي الله عنه.

وأخذ والدي علوم التفسير وفقه المالكية عن أبي الوفاء الشرقاوي الأزهري علامة عصره وإمام قرنه رضي الله عنه وبلغ قطبانية الزمان رضي الله عنه. وحضر الوالد دروس الإمام محمد عبده في حلقات التفسير رضي الله عنه.

وأخذ والدي الحديث وعلومه عن العلامة مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي رضي الله عنه.

أما أنا فأخذت علوم التوحيد والكلام على الشيخ زكي الشهير بالدكتور.

وأخذت المنطق عن العلامة المنطقي الشهير الشيخ عبد الحكم الملوي الأزهري رضي الله عنه.

وتلقيت الحديث عن محدث الأزهر الشهير الشيخ الأودن رضي الله عنه وأصله من المنصورة.

وتلقيت علوم التفسير ومصطلحه عن الشيخ محمد أبو الروس رضي الله عنه عالم الأزهر الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق.

ودرست المنطق على العلامة الغباشي رضي الله عنه. ودرست التاريخ وفنونه وأيامه على العلامة المتبحر الدكتور فياض رحمه الله ورضي عنه.

وكذلك تلقيت علوم الحديث ومصطلحه ورواياته ودراياته على محدث الديار المصرية العلامة محمد بن عبد اللطيف بن سالم التجاني بالمغربلين فلذلك أكون أنا وتلميذي الشيخ محي الدين زميلين في التلمذة على الشيخ التجاني الكبير محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم رضي الله تعالى عنه وقدس سره.

وكذلك أخذت العلم وفنونه عن آل أبي العيون وهم ممن كان لهم الأثر الكبير فيَّ منهم الولي المحدث الشيخ محمد أبو العيون وكذا إخوته وأبناء عمومته كسيدي إبراهيم وعبد الحفيظ رضي الله عنهم.

وكذلك كنت أحضر وأستمع درس الجمعة بالأزهر على شيخنا ولي الله الشيخ صالح الجعفري رضي الله عنه الفقيه المالكي. دفين الدراسة.

وكذلك تتلمذت على يد العالم العلامة والحبر الفهامة إمام أسيوط في زمانه الشيخ عمران أحمد عمران رضي الله عنه وتلقيت عنه جملة صالحة من العلوم.

وكذلك تتلمذت للشيخ الإمام شيخ مصر وحبرها مولانا حسن البنا رضي الله عنه وأخذت عنه علوم الوعظ ودعوناه للحضور إلى بلدنا العقال فحضر ودرس وأفتى ووعظ وأعجب به أهل العقال وتتلمذوا كلهم على يديه وسمعوا خطبه الرنانة الطنانة وكان يصحبه آنذاك الشيخ أحمد الباقوري.

هذا وإنني لا أنكر فضل الشيخ العلامة محمد بن علي الطعمي رضي الله عنه على ابنه محي الدين فإنه كان له الفضل الأكبر في تنشئته ورعايته علميًا وخلقيًا وتعريفه بآداب السلوك والطريق.

وقد كان الشيخ محي الدين الطعمي أنبغ تلاميذي بالقراءة والمناقشة

والمدارسة حتى اطمأن له قلبي فسمحت له بالرواية ونصحته بالاطلاع ومصاحبة الأشياخ الصالحين وقد أجزته بهذه الإجازة الخالدة التالدة وبالرواية عني وعن شيوخي وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله عبدًا تقيًا فإن التقوى أعظم العلم والله يوفقه، مع رجاء المداولة على الاطلاع وصحبة الأشياخ العارفين.

محمد سيد أحمد دلال العقالي

١٨/ رمضان/ ١٤٠٩

محتويات الجزء الثاني من
كتاب «إحياء علوم الصوفية»